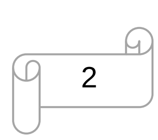
جرائم ارتكبتها

حين كنت حارسا لدين الله

حسنين السراج


2

الفهرست

الأهداء العام

الى كل أنسان سُلبت إرادته وجُرحت مشاعره وتعرض للتحقير أو للإهانة أو للتعذيب أو للقتل لا لشيء سوى لأنه الاخر الذي يرمز للشر في عيون محتكري الحقيقة...الى كل انسان سيء الحظ بذل كل ما في وسعه ولم يحصل على نتائج ... الى كل انسان لم يتمنى اكثر من الحصول على لحظات جميلة يشعر فيها بتقدير المجتمع له واعترافه بوجوده ولو بكلمة طيبة ولم يحصل الا على التعالي والسخرية والاهمال.

الاهداء الخاص

الى زوجتي وشريكة حياتي وحبيبتي وام ولدي (ام صفاء) التي كانت لي خير سند ولا زالت...ليحفظك الله لي زوجة وحبيبة وشريكة .

ولدت بغير إرادتي وأموت بغير رغبتي دعوني أعيش بحريتي

حكمة ألمانية

المقدمة

هذا الكتاب... كتبه الانسان العادي...خطه القلم البسيط...يعرض كيفية تعاطي (نموذج من شريحة واسعة ومهمة من المجتمع) مع معطيات الحياة (المجتمع , الدين , العلم , التاريخ , السياسة...ألخ)

هذا الكتاب...ليس كتاب سيرة ذاتية وليس كتاب مذكرات . انه كتاب يضع الذات البشرية تحت المجهر لمحاولة فهمها .

هذا الكتاب...في بعض صفحاته تجد نفسك...وفي بعضها الاخر تجد ضدك .

هذا الكتاب...في وجه من وجوهه...رحلة عصيبة من عالم التعصب واحتكار الحقيقة وإلغاء الآخر الى عالم الواقعية وقبول الاخر وتفهمه . من عالم الحقيقة الواحدة الى عالم الحقائق المتعددة . هو وصف وترجمة للمونولوج الداخلي للإنسان المؤدلج المغسول الدماغ الذي يحتكر الحقيقة لنفسه ويلغي الآخر.

هذا الكتاب...وصف لكيفية تعاطي الانسان مع الواقع ووصف للكيفية التي تتطور بها افكار الانسان وتتغير تفاعلا مع هذا الواقع . هو تفسير للغاية والوسيلة وآلية التفكير والسبب والنتيجة في عالم استغلال الدين وامتطائه. ولا اقصد بالضرورة الانسان الذي اختار العنف الجسدي وسيلة للتعبير عن نفسه بل اقصد شريحة أكثر اتساعا وهي الشريحة التي تلغي الآخر معنويا كممارسة يومية من خلال تحقيره وتحويله الى رمز للشر . فهي لا تمارس العنف بالضرورة لكن مجتمعها بيئة صالحة لازدهار العنف .

نفي الأديان أو إثباتها ليس ما يستفز قلمي . لا أدافع عن الأديان ولا أشكك بها وذلك لاني أؤمن بان كل إنسان له الحق في اعتناق أي فكر وأي دين وكل الأديان والفلسفات والقناعات حقيقة في عقول وقلوب معتنقيها وليست كذلك في عقول وقلوب آخرين . ما يستفزني ويدعوني الى التأمل والتفكير هو (الآخر) ومدى قبوله وتفهمه.

قد أقف على قمة جبل وأنا مطمئن النفس وقد يقف غيري في مكاني وهو خائف يرتعب لأنه الآخر وليس أنا . أنا موجود والآخر موجود وكلانا يمثل حقيقة موجودة على ارض الواقع . كل شيء في تغير مستمر ولا يوجد ثابت الا المتغير نفسه . وكل شيء نسبي وحتى بعض الأخلاقيات تعتبر نسبية في عرف المجتمعات فهناك سلوكيات تعتبر غير أخلاقية في مجتمع و تعتبر مقبولة وأخلاقية في مجتمع آخر .

كل دين يمثل حقيقة مطلقة في عقول وقلوب معتنقيه ولا يعد كذلك في عقول وقلوب اخرين. العلم غير ثابت وبين فترة وأخرى تظهر نظرية تدحض النظرية التي سبقتها وتحولها من نظرية علمية الى ماضي عفا عليه الزمن . مجتمعات متعددة مختلفة الانتماءات تحوي

مليارات البشر لكل مجتمع انتماء مختلف عن الآخر ولكل مجتمع نمط حياة مختلف عن الآخر . الحياة قصيرة وأمر مؤسف أن نهدر وقتنا القصير في هذه الحياة ونحن نمجد أنفسنا ونعظمها بسبب وبدون سبب ونحط من أقدار الآخرين ونسقطهم بسبب وبدون سبب . قبول الآخر وتفهمه والتماس العذر له أجمل لغة نقضي بها أيامنا القصيرة في هذه الحياة طالما أن الآخر لا يصادر حريات الآخرين الشخصية ولا يجرح مشاعرهم أو يسلب إراداتهم. الغاية لا تبرر الوسيلة والغايات النبيلة يجب ان تتحقق بطرق نبيلة أيضا. اما ادعاء تحقيق غاية نبيلة بوسائل وضيعة فهو في الواقع تحقيق لغاية قمة في الوضاعة لا تختلف بشيء عن الطريقة التي تحققت من خلالها .

هذا الكتاب...اخذ من كاتب السطور ثمان سنين تقريبا . كانت البداية في العالم الالكتروني ثم كانت الانتقالة للعالم الورقي عن طريق كتابي الاول والذي يحمل عنوان (التعذيب باسم المقدس) والذي طبع في مصر عن طريق (روافد للنشر والتوزيع).

نشرت احدى المقالات قبل سنوات تحت نفس عنوان هذا الكتاب الذي بين يديكم الان وكانت تتحدث عن مضمون مشابه من حيث الفكرة الرئيسية وبعض التفاصيل . ولاحقا نشرت مجموعة من المقالات التي تحوي بعض مضامين هذا الكتاب مجتمعة تحت نفس العنوان ككتاب الكتروني . لكن هذا الكتاب هو ثمرة جهد ثمان سنين من الكتابة . بعض بذراته الرئيسية (دون التفاصيل الموسعة) نشرت كمقالات وبعضها الاخر لم ينشر مطلقا . الكتاب الالكتروني الذي يحمل نفس العنوان يحوي على اقل من 200 صفحة اما هذا الكتاب فيحوي اكثر من 500 صفحة .

كاتب السطور لم يجد نفسه في مجال الكتابة الا في عالم الانترنت . لكن المفارقة انه لا يجد نفسه في عالم القراءة الا في العالم الورقي فللكتاب الورقي هيبة وطلة لا ينافسها لا حاسوب ولا جهاز نقال ولقراءة الكتاب الورقي طقوس خاصة (كالشاي والسجارة والاستماع لموسيقى هادئة) لا زلت اتذكر اول مقال كتبته في نهاية التسعينيات واتذكر اني ارسلته لاحدى المجلات الدينية لكن لم ينشروه . لذلك لم اجد نفسي في العالم الورقي والعالم الورقي نفسه لم يرحب بي . بدات بالكتابة في مجال الرياضة وتحديدا كرة القدم وفي منتدى عراقي اسمه (منتدى كووورة عراقية) كان يتابعه عدد كبير من رواد الرياضة و جماهيرها . تواصلت من خلاله مع الكثير من نجوم الرياضة ابرزهم عمو بابا وفييرا . جميلة هي المشاعر التي كانت تنتابني حين اذهب لاجري حوار مع شخصية رياضية معروفة واكتشف انه يعرفني سلفا من خلال كتاباتي في الانترنت . هذا الشعور الجميل ما كنت لاحصل عليه لولا عالم الانترنت . قمت بتأسيس رابطة للكتاب الرياضيين في الانترنت مع عدد من الكتاب وكانت تعد الاولى من نوعها في حينها وطرحت فكرة ان يكون اول نشاط لها هو منح الكابتن عمو بابا جائزة الرياضي الافضل في العراق على مر العصور وهو ما حدث فعلا لكنه كان نشاطها اليتيم الوحيد فالرابطة لم يكتب لها النجاح مع الاسف لاسباب عديدة لكنها كانت تجربة واعدة ومهمة .

التفاعل المباشر مع القاريء يضيف لك الكثير ويعلمك الكثير واهم ما يروضك عليه هو (تقبل النقد) وهذا التواصل المباشر مع القاريء ومعرفة رد فعله ورأيه يطور الكاتب حتما . فضلا عن ذلك عالم الانترنت يعرفك باشخاص مختصين في مجال الكتابة ومعرفتي بعدد من الصحفيين والكتاب اضاف لي الكثير . ولا زالت نصائح الصحفي والكاتب والصديق خفيف الظل علي البدراوي ترن في آذاني لانها خرجت من القلب بعفوية دون تكلف ودون استعلاء ... في لحظة معينة شعرت ان الكتابة في مجال الرياضة لا تشعرني بالرضا . فقررت ترك الكتابة في هذا المجال والاتجاه الى الكتابة في مجال اكثر سعة . لكن بعد ان جربت الكتابة في مجالات اخرى اكتشفت ان للكتابة في مجال الرياضة لذة خاصة وروح مغامرة جميلة لا يجدها الانسان في مجال اخر .

من الامور التي يركز عليها نسبة من النخب حين يقرأون مقال معين انهم يبحثون عن زلات لغوية لصاحبه خصوصا اذا كانت وجهة نظره لا تلائمهم ظنا منهم ان هذا يكشف ضعفه وجهله امام القراء . اللغة ليست اكثر من اداة لإيصال المعنى . الاهتمام باللغة امر جيد لكن الافراط في لاهتمام قد يقتل الخيال . نعم التركيز على صحة اللغة بدرجة مفرطة قد يقتل الخيال احيانا . المجتمع هو من يشكل لغته واعتقد ان هذه اللغة لابد ان تتطور في بعض اجزائها . فما تتذوقه غالبية المجتمع وتجده مناسب (لا اقصد املائيا بل نحويا) ويجده خبراء اللغة استنادا لقواعدها خاطيء قد يكون لون من الوان تطور اللغة . و يبدو ان خبراء اللغة مهتمين بهذا الموضوع فعلا حسب خبيرة لغوية ناقشتها مؤخرا حيث قالت انهم ياخذون تطور اللغة في الحسبان . على كل حال اعشق اللغة العربية خصوصا حين تكون شعرا بليغا لكني وبكل صراحة لا احب قيودها ولله در الشاعر الاديب الياس صالح حين قال متذمرا من قواعد النحو :

ماذا الذي يهمني	إن قام زيد أو قعد
أو إن ذهبت ماشيا	أو راكبا نحو البلد
أوكان زيد مبتدأ	أوفاعلا سدَّ المسد
أوإن يكن ذا الاسم يبنى	أو يكن هذا يُهد
تصالح الفعلان أو	تنازعا طول الأبد
وأفعل التفضيل كم	قد شذ فيه و شرد
و غير هذا عقد	تبا لهاتيك العقد
ترى بها قواعدا	بدون معنى أو زبد

مختومة جميعها   بـ قس عليه ما ورد

القصيدة السابقة تجعل عشاق اللغة يشعرون وكأنهم يشربون شاي ساخن فيه قطعة من الثلج فهي تمتعهم من جهة لانها تلتزم بقواعد اللغة بحذافيرها وتزعجهم من جهة اخرى لان مضامينها تتذمر من قواعد اللغة .

هناك اشكالية تتمثل في موضوع الاعتماد على مصادر الانترنت المعلوماتية. اذا كان الحديث عن الابحاث العلمية الاكاديمية فيجب ان يعتمد الباحث على مواقع رسمية رصينة معروفة على نطاق واسع وتشرف عليها جامعات رصينة او مؤسسات علمية معروفة.

لكن في مجال الكتابة الحرة فالموضوع مختلف . قد تكون المعلومة مجرد رأي جميل لشخص يستخدم اسم مستعار ولا اجد حرج في اقتباس رأي جميل سواء كان في الانترنت او خارجه حتى لو كان كاتبه يستخدم اسم مستعار او يستخدم اسمه الحقيقي لكنه مجهول الشخصية . فالمحور هو المحتوى وليس الشخص . اما المعلومات العلمية والتاريخية وغيرها فأعتقد ان اكتشاف صحتها من عدمها في عالم الانترنت اكثر سهولة من العالم الورقي . فبامكانك ان تبحث وتقارن وتطلع على اراء المختصين وتعليقاتهم لتتوصل لنتيجة ترضيك . في النهاية الكاتب حر والقاري حر ايضا (take it or leave it) خذها او اتركها .

هناك راي يذهب الى ان الانترنت سيقضي على الكتاب الورقي . اختلف مع هذا الرأي كليا فالكتاب الورقي لا يمكن التخلي عنه اطلاقا . التلفزيون لم يقضي على الراديو . كذلك الانترنت لن يتمكن من ان يحل محل الكتاب الورقي . نعم له اثر كبير على المطبوعات بصورة عامة خصوصا المجلات والصحف لكن في مجال المؤلفات والابحاث والكتب الاكاديمية فاعتقد ان الكتاب الورقي سيبقى صامدا امام الانترنت ... قد تستند على كلام لشخص معين ثم تاتي بعد مدة لتجده قد حذفه بسبب تعرضه للانتقاد او لاي سبب اخر . وهذه من مشاكل الاستناد على الانترنت وهذه النقطة تحديدا تعطي الافضلية للمصدر المطبوع على المصدر الالكتروني . فكل شخص يستطيع ان يحذف اي شيء يكتبه ثم ينفي صدوره عنه . الانسان في الانترنت لا يتمالك نفسه حين تخطر في ذهنه فكرة فينشرها فورا ثم يشعر بعد قليل بالندم .

يقول الكاتب محمد عبد القادر الفار : حين كان الإنسان يرسل الرسائل عبر البريد في ما مضى، كان يمكن أن يكتب خطابا فظا، ثم يمزقه، ويكتب غيره، وقد يتراجع وهو في الطريق إلى صندوق البريد....هناك عدة فرص قبل صدور النسخة النهائية.... اليوم مع الرسائل الفورية، تم إفلات اللجام....لم يعد من السهل احتباس أي فكرة، أو أي غريزة...بل إن ما كان يتم بضغطة، أصبح يتم بلمسة...عن طريق تقنية الـtouch...في الحروب، في القتال،،،، كان القتل يحتاج إلى قطع مسافات طويلة تحتاج أياما وأشهرا...وكانت عملية

القتل نفسها تحتاج إلى حمل سيف ثقيل أو رمح طويل....كانت فرص التراجع، أو حتى إصابة الآخر نصف إصابة واردة.. اليوم حتى هذا أصبح يتم بكبسة زر....إن مسار التقدم مقصود ولو لم نكن واعين له....إن هذا المسار يستدرج كل هواجسنا وغرائزنا للخروج...يستدرج العقل الباطن ليخرج إلى حيز الفعل المباشر، بدلا من إنتاج تراكمات الكبت والتأجيل...إننا في الطريق لنصبح مباشرين مباشرين جدا .(انتهى) (1)

ارى ان الكذب العلمي في الانترنت يكتشف بسرعة اكبر من الكذب على الورق. فذوي الاختصاص يحبون ابراز عضلاتهم لو وجدوا من يكتب كلام غير حقيقي يتعلق باختصاصهم فيدحضون كلامه . والمستفيد في النهاية نحن المهتمين (غير المختصين) فهم يسهلون علينا التنقيب عن المعلومة . الانسان هو الانسان . سواء كان في الانترنت او في الواقع . هل جميع الابحاث الاكاديمية العلمية دقيقة لدرجة يمكن الوثوق بها تماما؟؟؟ كلا قطعا فعدى امكانية ان يمرر الانسان معلومة غير صحيحة او تستند على اراء مسبقة . من الممكن ان يقع في الخطأ ايضا سواء كان يستند على قواعد اكاديمية في الكتابة او لا يستند . يبقى الانسان هو الانسان ... في عالم الانترنت... كل من لديه موهبة في مجال معين يمكنه التعبير عن نفسه ببساطة . فلم يعد هناك حاجة لاستجداء جهة معينة لتنظر نتاج فلان او علان كل ما عليه هو تسجيل موهبته وعرضها . الانترنت حرق مراحل تحقيق الطموح . ولم يعد هناك داعي ان يكون الانسان تحت رحمة فلان او علان ليحصل على فرصة .

هذا الكتاب...ليس كتاب ديني وليس كتاب علمي وليس كتاب تاريخي مع انه يتطرق لكل ما سبق واكثر...انه بحث حر تدور رحاه حول الانسان...الانسان العادي...نظرة الانسان العادي للدين...نظرة الانسان العادي للعلم...كيف يفكر الانسان العادي؟كيف يحلل الاشياء؟ كيف يتعاطى مع العلم؟ كيف يتعاطى مع الدين؟ ماذا يدور في عقله؟ الانسان العادي حسب تصوري هو الرقم المهم في المعادلة وليس النخبوي . لانه يمثل اغلبية من الممكن ان تشكل قوة مؤثرة لاي شخص او مجموعة اشخاص ينجحون في اقناعهم بايديولوجيتهم ويتمكنون بذلك من السيطرة عليهم وقمع الخارجين عن النص بقوتهم الجماهيرية . اما النخب فهم الحلقة الاضعف في المعادلة لانهم معتادين على مخاطبة انفسهم . عبقرية النخب تظهر حين يتمكنون من اقناعنا بوجهة نظرهم نحن الغير مختصين والغير منتمين لعالمهم الخاص . عبقريتهم تظهر حين يتمكنون من تبسيط افكارهم لنا وجعلها قابلة للاخذ والرد وليس حين يثقلون كاهلنا بتعقيدها وجعلها (نخبوية)

على الارجح هذا الكتاب هو خاتمة رحلتي مع الكتابة (في هذا المجال على الاقل) لاني اعتقد ان (صرخة واحدة) يلملم فيها الانسان شتات نفسه ويبذل فيها قصارى جهده محاولا ايصالها لابعد الجدران لينتقل صداها من جدار الى جدار لاطول فترة ممكنة افضل من ان يقضي عمره كله في الصراخ دون ان يسمعه احد . حلم واحد قد يتحقق وقد لا يتحقق افضل كثيرا من كابوس مستمر لا يضمن لك الا ألم الصراخ دون جدوى.

من الطفل الذي عاش طفولته وحيدا الى اليتيم الذي خاطبته السماء

الى حبيبي محمد ... بعد التحية والسلام ..

احببتك منذ صغري..احببتك حبا جارفا..احببت ذلك الطفل اليتيم..وذلك الشاب الطموح..وذلك المتأمل الذي انقطع عن الناس في غار حراء..لا زلت ابكي على ذلك اليتيم الذي فقد امه وهو في امس الحاجة اليها..اتدري؟؟؟كم اتمنى لو اني كنت من اقرانك..نلعب معا ونجلس معا ونضحك معا..من لايتمنى ان يكون رفيق طفولته نبيا؟؟؟كثيرا ما احاورك في خيالي..احاور اليتيم مرة والنبي مرة..كلما اتذكر ان هناك يتيما صار نبيا اشعر بنشوة النصر..نصر قليلي الحظ على حظهم العاثر..ايها الرسول..احبك ملء قلبي..حبي لك خارج ارادتي..لا علاقة له بالعقيدة ولا القومية..لا احبك لانك خاتم النبيين ولا لانك عربي..احبك لانك حبيبي محمد..حبي لك ليس قانون وليس طاعة..انه حب مجرد لا صلة له بلغة الاوامر والنواهي..حب خالي من لغة التظاهر بخلاف الحقيقة..ساصارحك بكل تساؤل او استفهام يجول في نفسي فلا قيمة للحب اذا كنت اخفي على المحبوب ما يجول في خاطري من استفهامات .

لست يتيما لكني اشعر بك..مع ان لدي (اربع اخوات واخ احبهم بشدة) الا اني اكبرهم سنا و عشت طفولتي وحيدا..اشعر بوحدتك..بغربتك..لا زال الطفل الذي في داخلي يعانق ذلك اليتيم الذي خاطبته السماء عناق الصبي للصبي مواسيا له على فقدان امه.. يا حبيبي يا محمد..تعلمت منك ان لا مواربة في الفكر..وان العقل رأس الحكمة..تعلمت منك تكسير القيود الموروثة..فهذا ما فعلته انت مع قومك..تكسير القيود سنتك..انها سنة اليتيم الذي خاطبته السماء..حتى لو كانوا يدعون انها منك و تحمل ختمك..فما عهدنا اليتامى يقيدون الناس يوما !!! اليتامى يحطمون القيود..هذه سنتهم..تعلمت منك ان ما يحاط بهالة من القداسة يجب ان يعاد النظر به مرارا وتكرار فهالة القداسة لا تعني الحقيقة دائما..هذا ما فعلته انت مع قومك..هذه سنتك ولن احيد عنها..لا مواربة ولا مهادنة مع من يدعون انهم يتبعونك وهم يقيدون الناس بالقيد الذي كسرته . تكسير القيود المحاطة بهالة من القداسة نهج النبي محمد . لقد حولوا اسمك الى قيد وقيدوا به ايادي المستضعفين . لو اردت ان اثبت لنفسي مدى صدقي في حبي لك..يجب ان اكسر كل قيد حتى لو كان اسمك مطليا عليه بماء الذهب..انشد الروح الامين اللحن الالهي قائلا للرسول اليتيم (افلا يتفكرون) ها نحن نتفكر ووصلنا لنتيجة ان جوهر المنهج المحمدي وجوهر القيمة الانسانية هو الوقوف ضد كل من يريدون غسل ادمغة الناس مهما كان عنوانهم (ديني او لاديني , اسلامي او غير اسلامي)

حقيقة الله

كثيرا ما يفكر الإنسان في معضلة الوجود وفي ذات الله العليا , غالبا ما يكون مسار تفكيره كروي يتجه باتجاه واحد يعود الى نفس النقطة التي انطلق منها . بعد معاناة واستدلالات وبحث عميق في النهاية قد يصل الى نتائج تثبت وجود الله وقد يصل الى نتائج تنفي وجوده وقد يبقى في مرحلة الشك الى نهاية عمره . أخبرني أحد أصدقائي مرة أنه قرأ أكثر من 200 كتاب وفي النهاية وصل الى أن عليه أن يسلم أن هناك اله لأنه لم يصل الى يقين مطلق.

جلسنا أنا وهذا الصديق في لقاء عابر لم نرتب له مسبقا نتحدث حول اللغز الكبير وحقيقة الوجود في حوار قل نظيره بالنسبة لي فكل منا كان يناقش ما يطرحه الآخر بشكل حقيقي من غير ان يبحث عن جواب مضاد يفحم به الآخر . كان كلانا يحاول فهم الآخر . وكان لتدخيننا نفس النوع من السجائر أثر كبير في إيجاد مشتركات فقد يكون لهذا المشترك الشاخص (نوع السجائر) اثر في تحفيزنا على اكتشاف المشتركات بسرعة أكبر . بدأ الحوار بالاديان وانتهى بالفيزياء والفلك مرورا بالفلسفة . حلاوة الحوار المجرد من أي انتماء طغت على الغاية من الحوار فنادرا ما أجد نفسي في لحظات تجرد كامل . من الصعوبة أن يجرد الانسان نفسه من انتمائه ويصل الى أعلى درجات الموضوعية وهو يناقش موضوع مهم الى أقصى درجات الأهمية كحقيقة الوجود . مع أننا كنا مختلفين في تفسير الكثير من الأمور الا أن النقاش لم يخلُ من لذة تبادل المعلومات وأكثر ما أثار انتباهي هو ثبات ميوله الفكرية وتفسيراته من الطفولة الى اللحظة التي كنا نتحدث فيها . فحتى بعد أن اطلع على الكثير من الأفكار لم تتغير ميوله الفكرية كثيرا.

في طفولتي كنت كثير التفكير في ذات الله وغالبا ما كانت تدور في رأسي أسئلة كثيرة ليس لها جواب أو ليس لها جواب مقنع وبعضها لم أجد له جواب حتى اليوم . كان انطباعي عن الله إيجابي جدا يمنحني شعورا لذيذا بالأمان والراحة . مخيلتي وأنا ابن السادسة كانت تذهب الى أن الله بهيئة رجل في الستين من عمره يجلس فوق السماء بوجه مبتسم وينظر الى الناس نظرة حب ومنها يشع كل شيء جميل في الحياة .

أتذكر أن التلفاز كان يعرض تلاوة القرآن قبل فترة برامج الاطفال وكانت غالبا بصوت القارىء صاحب الصوت الأخّاذ الذي يجعل الإنسان يستمع بروحه قبل أذنه عبد الباسط عبد الصمد . سألت أهلي عن القرآن ما هو وعن ماذا يتحدث ؟ فقالوا لي أن القرآن كلام الله فتصورت أن صوت القارىء عبد الباسط عبد الصمد هو صوت الله . فأنبوني بشدة على تصوري هذا . تصورات ساذجة وبسيطة داعبت خيال من رفع عنه القلم . حين صرحت بما أعتقد واكتشفت انني إن لم أستغفر وأتُب فسيعاقبني الله وسيفعل بي أمورا فظيعة أقلها الحرق بالنار ! ليس حبا في إيذائي بل لتأديبي كما قيل لي . شعرت بخيبة أمل وحزن شديد

وخرجت من حالة الإطمئنان الشديد الى حالة الذعر والخوف , أصبحت صورة الله في ذهني مشوشة فلم أعد أتخيله مبتسم وبدأت أرسم في عقلي سجن افتراضي يحوي انواع العذاب من سلخ للجلد الى حرق بالنار الى تعليق للأجساد من جفون العين الى قطع الألسن الى كوي الأيدي والأرجل بالحديد الساخن , في جهنم الموجودة في عقلي لم أبق أحدا أعرفه الا وتخيلته يتعذب ! الكاذب مصيره النار , فلو كذب أحد زملائي في المدرسة كان لزاما مني كطفل يملك خيال جامح أن اتخيل كيف سيعذب!

مع اني كنت اعيش في مجتمع منفتح على الاخر . متسامح . غير متشدد . لكن يبدو ان ثقافة التخويف بغضب الله او بعذاب الله ثقافة عامة ولازمة اجتماعية او يمكن ان نسميها طريق مختصر (shortcut) ليصبح الطفل مطيعا باسرع وقت ممكن .

كنت أعتقد أن النبي محمد حي يرزق ! وكيف لي أن أعلم أنه ميت ؟ وقع في يدي كتاب ديني وبدأت أتصفحه وكان يتحدث عن سيرة النبي محمد وكنت أقرأ العناوين فقط فوصلت في نهاية الكتاب وفصله الأخير الى عنوان (وفاة النبي محمد) وكانت هذه أول مرة أعرف بها ان النبي محمد ميت فبدأت أبكي عليه بشدة وحرقة وهو ما أثار انتباه جدتي فقالت لي ما الذي يبكيك فقلت لها متى توفي النبي محمد ؟ فقالت لي منذ فترة بعيدة جدا ففهمت جدتي من حالي الالتباس الذي وقعت فيه وابتسمت وواستتني على المصيبة المتفردة فكنت آخر من يعلم على الإطلاق بخبر وفاة النبي محمد .

سألت خالتي مرة من يسمع كلامي حين أتحدث مع نفسي ؟ فقالت لي الله سبحانه وتعالى يسمعك فقلت لها وهل يسمعني النبي محمد والسيد الرئيس ؟ فأجابتني بالنفي وفي قلبها ألم شديد لأني جمعت صدام حسين مع النبي محمد في المنزلة نفسها , في الواقع كنت أعتقد أن صدام حسين مُنَصّب من الله رئيسا على العراق وما هو الا امتداد للانبياء والصالحين وهذا الانطباع لم يأت عبث فدور الاعلام والمدرسة كان كفيلا بجعل صدام نبيا أو أكثر من ذلك!

كانت صورة صدام حسين في أذهان الاطفال تدور في أطار المقدس ولا تحيد عنه . كنا بحاجة الى بضع سنين لنصل الى مرحلة ندرك فيها حقيقة ما يجري وحقيقة خوف أهلنا من فلتات ألسنتنا خارج المنزل حين نسمعهم ينتقدون الحكومة , حين يفكر الانسان في سر الوجود وفي ذات الله خصوصا حين يكون في بلد شمولي كثيرا ما يصطدم بصور جانبية تقحم نفسها لتجعل نهاية هذا البحث سريعة ونتيجته معروفة (لاتفكر كي لا تكفر).

لغة الخوف هي المتسيدة وهي الأقوى . أعتقد أني لو كنت باقيا على مخيلتي الساذجة في تخيل الله بهيئة رجل مبتسم .... تلك المخيلة التي تسير في إطار الحب المتبادل الذي يوصل الإنسان الى مرحلة التأمل لتوصلت الى نتائج إيجابية , لكن دخولي في إطار الخوف والرعب وسلخ الجلد وقطع الألسن جعل لغة الخوف اللغة الوحيدة في تفسير سر الوجود وحقيقة الله .

يقول المفكر السعودي عبد الله القصيمي : لقد وجدت كلمة الله في لغة الإنسان كما وجدت لفظة آه . (1)

من الأمور التي صدمت بها لاحقا هو أن ما درسته في المدرسة عن الدين يختلف عن اعتقاد أهلي الديني (من حيث العقائد والفقه والتأريخ) فأهلي شيعة والشيعة ليس لهم أي اعتبار يذكر في إعداد المناهج وفي هيكل الدولة بشكل عام إلا في بعض الحالات النادرة.

هذه الإزدواجية وضعتني في مأزق نفسي فما تعلمته في المدرسة يناقض ما يعتقده المجتمع الذي أنتمي إليه . وبمرور الزمن تبلورت عندي فكرة هجينة بين ما درسته في المدرسة وبين ما ورثته من أهلي . هي فكرة ليس لها أساس ألا في عقلي (أحب الجميع وأنتمي للجميع)

في درس الرسم هذا الدرس الجميل المليء بالخيال والرومانسية كان يطلب منا أن نرسم دبابة وأن نرسم أشلاء ممزقة ونُمنح درجة كاملة حين نرسم الجندي العراقي واقفا على تل من جثث الجنود الإيرانيين.هكذا وظفوا خيالنا وهكذا علمونا. القتل على الورق كان شيئا نمارسه بشكل شبه يومي . مواليد جيل السبعينيات من العراقيين يعلمون جيدا عن ماذا أتحدث ويعلمون عمق المعاناة النفسية التي ولدتها هذه المرحلة من حياتنا.

في عام 2005 تقريبا سافرت الى ايران وصادف ان جلست قربي عائلة ايرانية اثناء انتقالي بالقطار من مدينة الى اخرى . أستلطفتني تلك العائلة وتحدثوا معي عن العراق وتناقشنا في كثير من الامور . التلفاز الموجود في القطار كان من ضمن برامجه فيلم سينمائي يتحدث عن الحرب العراقية الايرانية . شعرت بحزن شديد وانتبه احد افراد العائلة لحالي فسألني عن سبب حزني . فقلت له ان نصف ركاب القطار من العراقيين ونصفهم من الايرانيين هل تجد ان عرض فلم يتحدث عن حرب دموية جرت بين البلدين امر حكيم؟؟؟ فأيدني جميع افراد العائلة بالرأي واتفقوا معي في ضرورة طي صفحة الماضي الاليم . المشكلة هي ان الايرانيين يعتقدون ان كل افراد الجيش العراقي في حينها كانوا بعثيين او مرتبطين بالنظام وهم لا يعلمون ان معظم الجنود العراقيين كانوا اشخص عاديين لا صلة لهم باي نظام وباي حزب وكانوا اذا رفضوا التجنيد الالزامي يحكم عليهم بالاعدام رميا بالرصاص بتهمة الخيانة .

تلك الحرب اكلت خيرة الشباب العراقي الذين كانوا مجبرين على خوضها والذين لا صلة لهم بهذا النظام لا من قريب ولا من بعيد والكثير منهم من الشيعة الذين كان يتهمهم نفس النظام بالولاء لايران فهم هنا (ايرانيين) وهناك (بعثيين) وضاعوا بين المطرقة والسندان . ما الذي حدث بعد اعلان وقف اطلاق النار؟؟؟ كنت حينها طفلا ولا زلت اتذكر ما سمعته من بعض الجنود العائدين من الحرب خصوصا من كانوا في الجبهات المتقدمة حيث تحدث بعضهم عن قيامهم بمباريات كرة قدم مشتركة مع الايرانيين وتبادلوا العملات كتذكار . هذا

هو واقع البشر يوجد الكثير من الامور التي تجمعهم . لا نملك الا ان نطوي تلك الصفحة المريرة من حياتنا . الحروب لها منطقها وكل جانب يرى الحقيقة بمنظاره . والحقيقة الوحيدة التي اراها ان الحرب اكلت خيرة الشباب العراقي والايراني معا . ولم تحقق اهدافها لا من الجانب الايراني (اسقاط نظام البعث) ولا من الجانب العراقي الذي ما ان خرج من تلك الحرب حتى احتل بوحشية بلد اخر كان يقف بجانبه في حربه مع ايران .

يد الله الضاربة

كانت عائلتي عائلة غنية وكان جدي من تجار سوق الشورجة المعروفين وهو رجل عصامي بنى نفسه بنفسه . وتنحدر عائلتي من اقدم المناطق البغدادية العريقة وهي محلة الشيخ بشار . حتى ان لقبي (السراج) ليس لقب عشيرة بل هو على غرار البغداديين لقب مهنة عائلية . ومع اننا انتقلنا من تلك المنطقة منذ خمسينيات القرن الماضي اي ان جيلي والجيل الذي قبلي لم يتربى فيها ولم يعرفها لكن كلما مررت من تلك المنطقة شعرت بلون من الوان الحنين للمكان الذي ترعرع فيه اجدادي .

انتقلنا من تلك المنطقة البغدادية القديمة في خمسينيات القرن الماضي الى منطقة اخرى وهي المنطقة التي ولدت ونشات فيها واتمنى ان اموت بها . هي شبه جزيرة نهرية يحتضنها دجلة من ثلاث جهات وتحتضن هي بدورها كل بغداد من الجهة الرابعة . وهي من المناطق التجارية الاجتماعية الثقافية التي تستأنس العوائل البغدادية بزيارتها . ويروق لجميع البغداديين وغير البغداديين على اختلاف خلفياتهم السكن والعمل بها ولا يشعرون بأي غربة لان مجتمعها بصورة عامة مجتمع ودود خفيف الظل . لا انكر ان هناك نزعات انتماء مناطقي وتعاضد بين سكانها القدامى لكنها نزعات طبيعية و صحية لان ليس لها اثر سلبي على الاخر الا ما ندر . ويبدو ان لواقعها الجغرافي (محاطة بالماء من ثلاث جهات ومنبسطة على الجميع من الجهة الرابعة) اثر في بناء الطبيعة الاجتماعية لسكانها الذين لا يشعرون الاخر (مهما كان انتمائه) باي غربة واي وحشة

كان جدي كثير السفر و دائما ما يستضيف تجار اجانب خصوصا من الهند وجنوب شرق اسيا . مثقف جدا وعنده مكتبة عامرة بالكتب . كنت اذهب معه الى السوق وتعلمت هناك الكثير . مع اني لم اكن بحاجة للمادة فكنت فتى مدلل احصل على كل ما اريد لكن قررت ان اعمل بنفسي واكون رصيد خاص بي فقمت ببيع بعض السلع البسيطة على الرصيف في ما نسميها بالعراقي (بسطية) وشعرت بسعادة بالغة حين كنت اكسب المال بنفسي مع ان اهلي كانوا يستغربون رغبتي في العمل بهكذا عمل بسيط مع عدم حاجتي له . اختلاطي بالطبقة الفقيرة والمتوسطة اكسبني الكثير من خبرات الحياة وافادني لاحقا بعد ان توفي جدي وبعد ان جائت فترة الحصار وتحول حالنا من عائلة غنية مترفة الى عائلة متوسطة بل احيانا فقيرة . ولا بد ان اشير الى ان الاختلاط بمختلف فئات المجتمع وطبقاته له اثر بالغ في اكساب المرء جلادة وقوة وقدرة على تجاوز الظروف الصعبة .

حين أصبح عمري اثنى عشر عاما تعلمت الصلاة من جدتي الطيبة وواضبت عليها وبعدها بفترة تعرفت على احد اصدقاء خالي الذي كان يربطه به علاقة صداقة و عمل وكان ملتزم دينيا وطيب جدا ولا زلت لهذه اللحظة ابحث عن هذا الرجل الطيب واتمنى اللقاء به مرة اخرى ولا اعلم اين اخذته الحياة ؟ علمني هذا الرجل الكثير من الاشياء الجميلة والانسانية والكثير من التفاصيل الفقهية والعقائدية والروحانية وكان بالنسبة لي كالاخ الاكبر لا يكل ولا يمل من كثرة اسألتي وانقطع تواصلي معه بعد فترة من الزمن بسبب ظروف عمله.

اصبح انتمائي الإسلامي في أقوى حالاته . كنت أصلي في الجامع والنكتة أني كنت أصلي صلاة الشيعة في جامع سلفي وذلك يعود لسببين : الاول هو قرب هذا الجامع من منزلنا والثاني هو البيئة المنفتحة على الاخر التي نشات بها والتي لم تكن تعطي اهمية كبيرة للهوية المذهبية لكن صلاتي في ذلك الجامع عززت عندي شيء من الانتماء المذهبي والاعتزاز بالمذهب كرد فعل على الواقع المؤسف الذي اكتشفته عند بعض المصلين . حين أتذكر تلك الأيام أشعر بأني كنت على قدر عالي من الشجاعة . أقمت علاقات مع بعض المصلين في هذا الجامع . كانوا يعاملونني بلطف وسوء أدب في الوقت نفسه . فطريقة تعاملهم معي كانت رقيقة لكن شعرت بألم نفسي حين تحدث احدهم عن مراجع الشيعة بكلام جارح وهذا ما جعلني انفر منهم واشعر بأنتمائي المذهبي . بعد فترة من الزمن اكتشفت أن بعض من تعرفت عليهم وجالستهم في حلقات النقاش داخل الجامع هم عبارة عن مجموعة من الأشخاص المثيرين للإشمئزاز بشكل لا يُحتمل فحين كانوا يجتمعون قبل الصلاة يهتمون كثيرا في السُخرية من المصلين . كانت صدمة كبيرة لي فكان الجميع يعتبرهم قدوة لهم كونهم أول الحاضرين وآخر المغادرين . حين سألتهم لماذا تسخرون من المصلين أليس هذا الفعل محرم؟ استهزأ بي أحدهم وضحك معه الاخرون . بعد هذا الموقف بفترة تركت الصلاة في الجامع . لكن للأمانة هؤلاء هم الوحيدون الذين احتككت بهم عن قرب ,وهم يعدون على اصابع اليد الواحدة والبقية كان ظاهرهم الطيبة والصدق . وسلوكهم هذا ليس حكر على السلفيين ففي كل مذهب ودين وملة هناك منافقين وهناك صادقين . ولا زلت اذكر شيخ الجامع هذا الرجل الطيب الذي كان يستلطفني جدا (مع علمه اني شيعي) وكان يتودد لي كوني صغير السن واصلي وللامانة لم يكن الرجل طائفي ابدا ولم يتحدث معي باي تفاصيل مذهبية .

بعد فترة تركت الصلاة من الأساس . كنت متلهفا لممارسة الحياة قمت باستغلال كل الفرص المتاحة للشعور بجمال الحياة وتذوق طعمها . ومع أني تركت الصلاة الا اني في تلك الفترة كنت لا أزال منتميا للفكر الديني بشكل كبير فكنت أصنف نفسي (فاسق أو منحرف) حين بلغت السادسة عشرة عدت الى أحضان الدين وعانقت العبادات مرة أخرى وبشكل أكثر قوة . أنها توبة نصوح هكذا أسميتها في حينها . واحد اهم الاسباب هو اني عملت في محل اصحابه متدينين فتاثرت بتلك الاجواء الدينية ولا زال الحنين يشدني لتلك الايام الجميلة .

لم تكن العودة الى أحضان الدين بشكل مفاجيء (بين ليلة وضحاها) أمرا اعتياديا . فكانت عودة مصحوبة بقراءة واختلاط أوسع بأشخاص متدينين من المذهبين . أصبحت كلمة الإسلام بالنسبة لي قضية كبرى بل قضيتي الوحيدة . نشر الدين والدعوة الى الالتزام بالعبادات كان شغلي الشاغل . ردة فعلي حين يستمع أحدهم الى أغنية في التلفاز اقوم الى التلفاز لأغير القناة (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده) فعلت هذا الفعل مرة مع أحد الضيوف في بيتنا فقام من مكانه وغادر منزعجا مع أني كنت قبل أشهر أحضر حفلات في فنادق الدرجة الاولى حتى الصباح ! لا يمكن تفسير تصرفي مع الضيف الذي استَمَعَ الى أغنية الا (انعدام سافر للأخلاق) كان لدي أصدقاء لا يصلون بحكم توجهاتي السابقة . كنت اقول لهم أنتم لستم مسلمين بل أنتم كفار . وحين سألوني عن الدليل قلت لهم بكل وقاحة وتبجح (تارك الصلاة كافر) أخذ أصدقائي غير الملتزمين ينفرون مني بل حتى أن بعض الملتزمين وجدوني لا أستحق مصاحبتهم وهم محقون تماما في هذا . مساكين يستحقون الشفقة من يعتقدون أنه يملكون الحقيقة المطلقة وهنيئا لمن يتفهمون الاخر فهؤلاء هم أصحاب النفوس المطمئنة.

تحول أحد أصدقائي المتحررين بشكل مفاجئ الى متدين وبدأ ينظر الى من يستمعون الى الأغاني (ليسوا اكثر من شياطين يستحقون اللعن) وهو لم ينتبه أنه كان بالامس شيطان مثلهم !!!

يقول الباحث والمؤلف حسن إبراهيم أحمد : ليس أسهل عند المؤمن من وصم مخالفه بالرأي بالكفر والزندقة , ولأسباب لا تتطلب حتى ما هو أدنى من ذلك , وأحكامهم هذه تتسم بالتأبيد وتبتعد عن المرحلية وتكون معبرا ومبررا لكل الشناعات التي ارتكبت وترتكب بحق الآخر المخالف بالرأي . والمؤمن مضطر بل من صلب عقيدته أن يتهم مخالفيه بأنهم ليسوا على الطريق الصواب (انتهى) .(2)

أخذت علاقتي بالأصدقاء الجدد (المتعصبين) تزداد قوة ومتانة . والحقيقة أنهم كانوا يرسخون في ذهني أني على حق في تصرفاتي المنحطة مع أصدقائي . والدليل (أكثرهم للحق كارهون) أصبح الانفعال جزءا من شخصيتي . اذا شاهدت سيدة غير محجبة اشعر بالاشمئزاز . والاستماع الى أغنية يجعلني مضطرب . كنت أنظر بفخر منقطع النظير الى (احتلال المسلمين لإسبانيا) والذي كنت أسميه (فتح الاندلس) .

قبل فترة قريبة كان احد اصدقائي يتغنى بفتح الاندلس (كما كنت انا يوما ما) ويتحدث عن معالم الحضارة الاسلامية ومظاهر العمران والانفتاح الثقافي وهو محق فعلا فيما يقول لانه يتحدث عن وجه واحد فقط من وجوه الحقيقة ولا يعلم شيء عن الوجه الاخر . فلابد ان نعترف ان الدولة الاسلامية في الاندلس شهدت تطور عمراني وثقافي وصناعي وتجاري لا يمكن نكرانه لكن في الوقت نفسه لا يمكننا غض البصر عن حمامات الدم التي شيدت عليها هذه الحضارة .

كان هذا الصديق يتحدث بحسرة على ضياع الاندلس فقلت له (لماذا تنزعج اذن من الوجود الامريكي في العراق وترتاح لوجودك في بلد اخر انت فيه تعد اجنبي؟؟؟) فقال لي ان المقارنة ظالمة فما فعله الامريكان عمل بشري مبني على اطماع استعمارية اما ما فعله المسلمين فالغاية منه نشر الدين الاسلامي في اصقاع الارض وشتان بين الاثنين ثم ان الجيش الامريكي قام بجرائم كثيرة في العراق اما الجيش الاسلامي فجاء الى الاندلس بناءا على استنصاره من قبل اهلها لتخليصهم من السلطة الظالمة .

هناك نوعين من عشاق فتح الاندلس : النوع الاول لم يطلع الا على نصف الحقيقة وهي (معالم العمران والحضارة والتطور الثقافي) ونوع ثاني اطلع على الحقيقة كاملة لكنه لا يجد مشكلة في ان تسبى نساء ويأخذ غلمان كأسارى باسم الله.

المشكلة ليست مع النوع الثاني فهؤلاء ممسوخين اخلاقيا لا جدال في بشاعتهم وهمجيتهم . المشكلة مع النوع الاول الذي لا يقبل ابدا ان يطلع على وجه الحقيقة الاخر لانه مرتاح جدا للوجه الجميل الذي رآه . وكثيرا ما يقولون (الشمس لا تغطى بغربال ومعالم الحضارة الاسلامية الاندلسية لا يمكن تشويهها ومن يشوهونها غايتهم تشويه الاسلام نفسه)

على عيني يا حبة عيني

تامل اللوحة السريالية التالية التي رسمها ابن كثير لتعرف حول ماذا كانت تدور الفتوحات:

وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر، وقد لبس موسى ثيابا حسنةً وهيئةً حسنةً، فدخل ومعه ثلاثون غلاما من أبناء الملوك الذين أسرهم، والأسبان، وقد ألبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأبهة العظيمة، فلما نظر إليهم الوليد وهو يخطب الناس على منبر جامع دمشق بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة البالغة، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر، وأمر أولئك فوقفوا عن يمين المنبر وشماله، فحمد الله الوليد وشكره على ما أيده به ووسع ملكه، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة، ثم نزل فصلى بالناس، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئا كثيرا، وكذلك موسى بن نصير قدم معه بشيء كثير، من ذلك مائدة سليمان بن داود عليهما السلام، التي كان يأكل عليها، وكانت من خليطين ذهب وفضة، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثله، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة. وقيل: إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس أيضا من البربر، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الغنائم أربعون ألف رأس قال الناس: إن هذا أحمق، من أين له أربعون ألف رأس خمس الغنائم؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم، ولم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير أمير المغرب. وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد

الأندلس وقال: ولو انقاد الناس لي لقدتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى، ولما قدم على الوليد قدم معه بثلاثين ألفا من السبي غير ما ذكرنا، وذلك خمس ما كان غنمه في آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب، وقدم معه من الأموال والتحف واللآلي والجواهر ما لا يحد ولا يوصف، ولم يزل مقيما بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان، وكان سليمان عاتبا على موسى فحبسه عنده وطالبه بأموال عظيمة.(أنتهى)(3)

لك ان تحكم من ينزه الله هل هو من يتغنى بالحضارة التي شيدت على هذه اللوحة السريالية المرعبة ام من يفصل بينه وبين الجشع البشري واستغلال الدين لتحقيق غايات توسعية ؟؟؟

حين نتحدث عن فتح الأندلس فنحن نتحدث عن الاجتياح العسكري الأموي لشبه جزيرة أيبيريا . وهي شبه جزيرة الجزء الاكبر منها اسباني والجزء الاخر برتغالي .(4) مهما كان السبب المعلن لأجتياح الأندلس سواء كان بطلب من احد الحكام مستعينا بهم على خصومه أو لنشر نور الأسلام في العالم أو غيرها من الأسباب يبقى الأمويين هم الأمويين .

يقول المفكر والباحث السعودي حسن فرحان المالكي : الغريب الذي لم يأخذ الباحثون المسلمون البال منه . لماذا الفتوحات كانت في بلاد البشرة البيضاء ولم تكن في بلاد السود ؟ يعني لماذا لم نرسل ولو مرة الى الصومال وجيبوتي ندعوهم الى الأسلام ؟ لماذا لم يتوسعوا في وسط أفريقيا ؟ ثم أخذوا الاندلس ثم ناحية أرمينيا أذربيجان والناحية الشرقية حتى بلاد الهند ؟ وكأن البشرة السوداء لا تستحق الهداية . هذا يكشف لنا بأن الفتوحات في الأصل ليست لنشر الأسلام , فالأسلام لا يفرق الأسود والأبيض , وأنما كانت لجلب السبايا والاموال والعبيد البيض , أي البلاد التي فيها تجارة , أما البلاد الفقيرة والسوداء فما تعمدت الدولة الاموية والعباسية حتى بعث الدعاة , فهذه من الأشياء التي تستوقفك ! عندما تنظر لخريطة الفتوحات الأسلامية تستغرب لماذا الأتجاه شمالا فقط ! هذا يكشف لنا أن الاهداف الاساسية لم تكن لنشر الاسلام , بل تمت عسكرة الاسلام معرفيا . فنحن الى اليوم عندما نناقش شخصا في الأخبار وما جرى في التاريخ فيقول : (أنت تقول لاناس وصلوا الأندلس وفتحوا وو.... !!) اذن فالمعيار العسكري أصبح هو الحاكم في سلوكنا وفكرنا وأبتعدنا عن معيار القران معيار الحقيقة ... هؤلاء الفاتحون الهداة كانوا قد هدموا الكعبة مرتين وقتلوا نسل النبي واستباحوا المدينة وفجروا بنساء الصحابة قبل أن يتوسعوا في الفتوح . أتكلم عن الفتوحات العسكرية لا عن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . أغلب العالم الأسلامي دخل الدين بالدعوة ولولا تشويه الفتوحات لكان الناس اليوم كلهم مسلمين بالنموذج(انتهى) .(5)

يجب ان نذكر ان الدماء الاندلسية هدرت بين المسلمين (الفاتحين – 711 م) وبين المسيحيين (المحررين – 1492 م) . وكان لمحاكم التفتيش دور محوري رئيسي في طمس الهوية الاندلسية والثقافة الاندلسية . حيث تم معاملة المسلمين بوحشية مفرطة و تم طردهم والتنكيل بهم وقتلوا منهم الكثير على الهوية وتعرض الكثير منهم للتعذيب. وتم نسف الهوية

الاندلسية قسرا من خلال منع استخدام اللغة العربية وحرق الكتب الدينية وغير الدينية ومنع ارتداء الازياء العربية ومنع اي شيء يمت بصلة للثقافة العربية الاندلسية.

ليس فقط المسلمين تعرضوا للقسوة المفرطة بل اليهود ايضا تعرضوا كذلك لمصير مشابه وتم طردهم لانهم حلفاء رئيسيين للمسلمين منذ دخولهم الاندلس وسبب هذا التقارب بين المسلمين واليهود هو تعرض اليهود للاضطهاد قبل مجيء المسلمين فكانوا يشعرون ان المسلمين ملاذ امن لهم فساعدوهم ومكنوهم من دخول الاندلس والسيطرة عليها . ونفس الواقع تكرر في حروب استرداد الاندلس فاستعان الاسبان بعملاء (اندلسيين مسلمين) على قومهم وكان لهم دور فاعل .

يقول المفكر والباحث العراقي هادي العلوي : وقدم يهود اسبانيا خدمات هامة للفاتحين بسبب ما كانوا يعانونه من اضطهاد ديني . فكان المسلمين كلما فتحوا مدينة وأرادوا التوجه الى غيرها نظموا يهود تلك المدينة ليكونوا مع الحامية الاسلامية للدفاع عنها ... وسنجد الاسبان يعتمدون في المراحل المتأخرة من حروب الاسترداد على عملاء من المسلمين (انتهى) .(6).

تم طرد المسلمين من الاندلس بموجات متتالية انتهى اخرها بعد اكثر من قرن من الزمن . وتم اضطهادهم واجبارهم على اعتناق المسحية وتم تعميدهم وطمس هويتهم الاسلامية بالقوة والاكراه . ويطلق على مسلمي الاندلس تسمية (الموريسكيين) ولا زال احفادهم يعيشون في المغرب وغيرها من الدول ولازالوا يحتفظون بشيء من الثقافة الاندلسية . اما اليهود الذين طردوا واضطهدوا فيطلق عليهم (يهود السفارديم) وقرر البرلمان الاسباني قبل فترة منح احفادهم الجنسية الاسبانية لكن لم يشمل هذا القرار احفاد الموريسكيين!!!(7)

حسنا...اذا كنت تقبل ان يقوم المسلمين باحتلال بلدان العالم وتسمي هذا الاحتلال (فتح الهي) عادل فعليك اذن ان تلتزم بقواعد اللعبة دائما وليس من حقك ان تقول مثلا ان اسرائيل ظلمت الفلسطينيين او امريكا ظلمت العراقيين . الجدير بك ان تقول ان الفلسطينيين والعراقيين (خسروا) وليس (تعرضوا للظلم) لانك تقبل قانون الغاب الذي ياكل فيه القوي الضعيف ولا تجد مشكلة في ذلك . نعم حين ترفض قيام المسلمين باحتلال دول اخرى سيكون من حقك ان تقول ان اسرائيل ظلمت الفلسطينيين لكن بما انك موافق على المبدأ فانت خاسر ولست مظلوم .

في تصوري هناك ثلاث انواع من الضمير...الاول ضمير يعمل طوال الوقت والثاني ضمير لا يعمل طوال الوقت والثالث ضمير يعمل على المزاج وفيه زر ايقاف وتشغيل فلو كان من يتعرض للظلم من ابناء جلدته فيضغط زر التشغيل اما لو كان من يمارس الظلم ابناء جلدته ومن يتعرض للظلم غيرهم فيضغط زر الايقاف . تجد ذلك واضحا في مهاترات الدفاع عن الجلادين فعبيدهم يجدون كل افعالهم مقدسة وجميلة ويبالغون في سرد انجازاتهم

ومناقبهم وحين تذكر مجازرهم يجدون لها الف مبرر . وكل جلاد له ثلة من العبيد لديهم استعداد ان يفنوا اعمارهم في الدفاع عنه . وهناك نوع من العبيد يتباكون من جلادهم لكنهم يتغنون بآخر بعيد عنهم . هؤلاء لا يرفضون الظلم بالمطلق . يرفضونه فقط حين يقع عليهم. انهم نموذج مثالي للضمير الذي يعمل بزر ايقاف وتشغيل .

لنقوم بالاختبار البسيط التالي لنكتشف هل ضمائرنا حية على الدوام ام لها زر ايقاف وتشغيل:

لنتأمل الاسماء التالية...الشيخ المصري حسن شحاتة ورفاقه الذين تعرضوا للقتل بوحشية لاسباب مذهبية...الناشطة الايرانية ندا اغا سلطان التي قتلت في الاحتجاجات التي خرجت ضد نتائج انتخابات عام 2009 والتي فاز بها الرئيس نجاد وتعرض حينها العديد من المحتجين للاعتقال...الملحد المصري احمد حرقان الذي تعرض للضرب هو وزوجته لاسباب عقائدية واجهضت زوجته على اثر هذا الاعتداء...الناشط السعودي رائف بدوي الذي حكم عليه بألف جلدة وبالسجن عشر سنوات وبغرامة مالية بسبب وقوفه بوجه الاصولية الدينية...الصحفي الكردي سردشت عثمان الذي قتله مجهولين بعد مدة من كتابته لعدة مقالات ينتقد فيها حكومة الاقليم نقد لاذع وكان آخر كلماته (اينما انتهت حياتي فليضع اصدقائي نقطة السطر وليبدءوا هم بسطر جديد)...الافغانية فرخندة (وهي متدينة) قتلها الناس حرقا و رجما بالحجارة ومثلوا بجثتها بتهمة حرق القران وتبين لاحقا ان جميعهم اميين لا يقرأون ولا يكتبون اي انهم قتلوا انسانة لاجل القران الذي لا يجيدون قراءته ! وثبت لاحقا بطلان هذه التهمة وتبين ان السبب الحقيقي هو وقوفها بوجه متاجرة حماة الضريح بالخرافات للحصول على المال . وسبب قدومها هو لمساعدة بعض الفقيرات حيث تأثرت لحالهن حين شاهدتهن قبل فترة وهن بحال مزري يرتجفن من البرد فجلبت لاحداهن سترة شتوية...ماذا عن مقتل عدد من المدونين البنغال الذين ينتقدون الاصولية الدينية...او تعرض اقلية الروهينجا المسلمين في بورما للاضطهاد...او تعرض مسلمي الايغور في الصين لضغوط لمنعهم من الصوم في المؤسسات الحكومية...او تعرض اشخاص للنبذ والاعتداء بناءا على مظهرهم الخارجي او نمط حياتهم او مجرد خروجهم عن المألوف...ماذا عن قتل الشيعة على الهوية...او قتل السنة على الهوية...قائمة طويلة عريضة لا نعلم اين تبدأ واين تنتهي من الاضطهاد الذي يتعرض له البشر لاسباب عقائدية او قومية او فكرية او سلوكية او غيرها . اذا وجدت نفسك متعاطف مع بعض النماذج ولا تكترث لامر اخرين او تجدهم يستحقون ما جرى لهم فقد فشلت في اختبار الضمير . فالضمير الحي لا يتوقف هنا ويعمل هناك بل يعمل على طول الطريق بلا انقطاع .

اتعاطف مع مسلمي الروهينجا في بورما جدا لكن ليس لانهم مسلمين بل لانهم اشخاص يتعرضون للاضطهاد لاسباب دينية ولو كان البوذيين في دولة مسلمة يتعرضون للاضطهاد لتعاطفت معهم بنفس الطريقة .

اروع لوحة شاهدتها لتعاطف جرى بين مجموعتين تناقض احداهما الاخرى هي اعلان مجموعة من الملحدين المصريين في صفحتهم الفيسبوكية عن تعاطفهم مع مسلمي الايغور في الصين بسبب التضييق عليهم من قبل الحكومة ومحاولة منعهم من ممارسة عقيدتهم ومنعهم من الصوم في المؤسسات الحكومية . مع ان مطلب الملحدين معاكس فهم يطالبون بالسماح لهم بالافطار العلني في شهر رمضان لكن تشابه الحال (اقلية تبحث عن حقها) جعلهم يتعاطفون معهم . وهذه درجة راقية من درجات الشعور بالاخر.

الاخر ليس عقائدي دائما فقد يكون قومي او عرقي . اذا اردت ان تشعر بالاخر فلا ينفعك دائما ان تضع نفسك محله فهذه الحالة التخيلية ليست سهلة . ما يستطيع العقل البشري تخيله بشدة هو (اسقاط واقع الاخر على واقعه) مثلا لو كنت عراقي عربي و اردت ان تفهم لماذا الشعب الكردي يحلم بالانفصال فلن ينفعك ان تتخيل انك كردي . لكن سينفعك جدا ان تسقط الواقع الكردي على اوقعك ... تخيل دولة عربستان لتفهم دولة كردستان ... تخيل ان العرب ليس لديهم دولة والكرد لديهم اكثر من عشرين دولة والعرب منقسمين في اربع دول كردية. هكذا ستفهم الحلم الكردي في تأسيس دولة . لا اتحدث عن السياسة بل اتحدث عن حلم الشعب الكردي في تأسيس دولة خاصة به . لو لم يكن للعرب اي دولة وكانوا منقسمين في اربع دول كما الكرد الان ولو كان للكرد اكثر من عشرين دولة هل يحق للعرب ان يحلموا بتأسيس دولة ؟؟؟؟ هكذا تفهم الاخر جيدا . لو فرضنا ان الحلم الكردي في اعلان دولة كردستان اصبح حقيقة . اتوقع ان تهدأ النفوس وينحسر الشحن القومي تدريجيا . وستصبح الدولة العراقية اقرب دولة سياسيا واجتماعيا للدولة الكردية وسيحن كرد العراق للعراق لانه جزء من ثقافتهم وسيحن عرب العراق لكردستان لانه جزء من ثقافتهم ايضا . حينها ستكون مسببات الشحن القومي قد انتفت . وسيبقى الكرد جزء من الهوية العراقية حتى لو انفصلت كردستان...لماذا؟؟؟لان هناك الكثير من الكرد الذين يعيشون في محافظات العراق العربية بمليء ارادتهم بل هناك الكثير من الاحياء المنتشرة بالعراق التي تحمل اسم (حي الاكراد) لذلك سيبقى الكرد جزء من الهوية العراقية حتى لو اعلنت دولة كردستان .

كنت اتعاطف مع كل ما هو اسلامي حتى لو كان رياضي اجنبي اسمه اسلامي مثل الملاكم محمد علي كلاي . من هذا المنطلق كنت اتعاطف مع ايران ووقوفها بوجه امريكا ومن نفس المنطلق تعاطفت مع حركات المقاومة الفلسطينية ومن نفس المنطلق فسرت ظهور الحركات الاكثر تشدد مثل القاعدة وطالبان على انه رد فعل عكسي على همجية امريكا واجرامها.

كنت اعيش حلم اتحاد المسلمين امام الغرب واتحاد المجاهدين الشيعة والمجاهدين السنة في وجه الغرب الكافر لمواجهة المخطط الاجنبي الذي يريد هدم الدين . حين كنت اسمع في اذاعة طهران اخبار الانتفاضة الفلسطينية الثانية وتلتقي الاذاعة بالناطق الرسمي باسم الحركة الاسلامية الفلانية والعلانية في فلسطين كنت اشعر براحة كبيرة لوجود تقارب بين الشيعة والسنة لمواجهة عدو مشترك . كنت اعلم ان حركة طالبان الافغانية حركة ارهابية

لكن المشكلة الكبرى في العقلية المتخلفة ليست التشخيص بل الانحياز الاعمى لكل من يعادي الغرب فكنت اقول في نفسي (على الاقل يواجهون الامريكان ... على الاقل مسلمين يتشهدون الشهادتين ... الخ من السخافات والترهات)

حين حدثت احداث الحادي عشر من سبتمبر شعرت ان هناك ابرياء ماتوا لا دخل لهم بما يفعله الجيش الامريكي لكن لم اكن ارى ذلك الفعل الاجرامي الا رد فعل يوازي القاء امريكا واسرائيل اطنان من القنابل على المدنيين في العراق وفلسطين وفي نفس الوقت كنت ارى ان الامريكان لم يتعاطفوا مع العراقيين حين قامت حكومتهم بقتل المدنيين بدم بارد في ملجا العامرية مثلا . لذلك لا داعي للتعاطف مع ابريائهم كونهم لم يتعاطفوا مع ابريائنا .

والحقيقة ان لحرب الخليج (1991) والتي كنا فيها في بداية مراهقتنا ونهاية طفولتنا والصور المروعة لموت المدنيين من خلال القصف الامريكي اثر بالغ في تفكيرنا بهذه الطريقة .

والواقع اني لا زلت ارى قصف المدنيين من قبل امريكا او اسرائيل سواء كان مقصود او غير مقصود جريمة لا تغتفر لكن ليس لان من مارس القتل امريكي ومن مات يشاركني الوطن او الدين بل لان هناك ابرياء قتلوا دون وجه حق وهذا ينطبق على ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر وعلى اي عمل عنيف يؤدي الى موت مدنيين حتى لو كان من فعله مسلم ومن مات على اثره امريكي.

في ذلك الوقت كنت أقول في نفسي التفسير المنطقي التالي :(بوش مجرم وبوش انتخبه الشعب إذن الشعب مجرم او على الاقل مسؤول عن افعال حكومته بدرجة من الدرجات) وحين أصف هذا التفسير بالمنطقي لا يعني أنه تفسير جيد فاستخدام المنطق في غير محله هو أحد أسباب استفحال الظلم والقسوة واللاعقلانية في هذا العالم . فلا تتصور ان من يقتل بناءا على عقيدة راسخة يعتقد انه يظلم الاخر بل يعتقد انه يفعل امر صائب ومنطقي .

يقول الباحث والمؤلف واثق غازي : لا يوجد اروع من دوستويفيسكي في تصويره لدوافع القتل في روايته الجريمة والعقاب في هذه الرواية نقرأ عن الانسان الذي يبيح لنفسه القتل بالاستناد الى العقل والمنطق . فبطل الرواية ومجرمها راسكولينكوف , هو شاب ترك دراسته الجامعية بسبب الفقر يكتب مقالة بعنوان (جريمة) وينشرها في احدى الصحف وهو في مقالته هذه يرى ان هناك اناسا لهم الحق في ارتكاب الجرائم وقتل الاخرين لانهم مخلوقات غير عادية او متفوقة . فهو يقسم الناس الى نوعين : عاديين وغير عاديين . وفرض على الناس العاديين ان يعيشوا مطيعين (انتهى) .(8)

حدث مرة انفجار في أسرائيل وكان بين القتلى طفل رضيع . تالمت لاجله قليلا ثم ما لبثت ان عدت الى عقليتي المنحازة التي تنفصل فيها العواطف البشرية عن اتخاذ المواقف التي تنطلق من منطلقات عقائدية . فقلت في نفسي التبريرات الروتينية التالية (لو قدر له أن

يكبر فقد يتحول الى مجرم يقتل الابرياء... هذه اخطاء تحدث في المعركة ... ماذا عن اطفال فلسطين والعراق هل يتعاطف الامريكان والاسرائيليين معهم ؟؟؟؟... ألخ)

مع ان التعاطف مع مقتل بريء لا يحتاج الى شرط حتى لو كان هذا البريء ابن قاتل ابي مثلا . الجريمة لا يمكن ان تبرر تحت اي عنوان . الموضوع يتعلق بضميري انا ولو كان التعاطف مع الاخرين مشروطا لما قدم اي بشر يد العون البتة.

يقول الدكتور مصطفى حجازي : أحكام الإنسان المتخلف على الظواهر والأشخاص يشوبها الكثير من التحيز والقطعية . إنها أحكام متسرعة ونهائية تصنف الظواهر والناس في فئات جامدة , سالبة كلها أو إيجابية كلها , أو هي متأثرة الى حد كبير بالأفكار المسبقة والآراء الشائعة التي يطغى عليها التعصب . لذلك أن طغيان الانفعالات . بإلغائها لوظيفة النقد العقلي يفتح الباب واسعا أمام بروز الميول الاختزالية , التي تحول الآخر من حالته كشخص الى مجرد أسطورة تلعب دور السند المادي للإسقاطات الذاتية على الخارج . يتحول الآخر الى مجرد رمز للسوء , او للشر أو التعطيل أو الخطر أو الضعف أو العنف , أو الحب والعون , ألخ .. ومنذ تلك اللحظة يتحدد التعامل معه والموقف منه انطلاقا من دلالة الرمز الذي أعطي له , الذي يستخدم أصلا , كتبرير مادي للانفعال الذي ارتبط به , سلبا أو إيجابا (انتهى) .(9)

لا زلت اذكر تلك المربية الفاضلة التي كانت تدرسنا مادة التاريخ في الصف الثاني متوسط وكيف كانت تعاملنا كما تعامل ابنائها بكل حب وود وجعلتنا نحب درس التاريخ لاسلوبها المشوق القصصي في سرد الاحداث .

المشكلة الكبرى التي جعلت احد اصدقائي يبغضها ويراها مجرد كتلة من النجاسة هي انها كانت مسيحية . ولاكون منصفا مع نفسي فاني استنكرت جدا منطقه واسلوبه المج في الحديث عنها باحتقار فكنت اراها ام فاضلة تستحق كل الحب واتذكر ان احد الاصدقاء قام باحتساب كم مرة تذكر مفردة (ابني) حين تشرح الدرس فكانت 77 او 76 مرة على ما اتذكر . كل هذا وهناك من يحتقرها لا لشيء الا لكونها مسيحية . هو في الواقع لم يأتي بشيء من جيبه فمنع تلك الفكرة فقهي .

قد يقول احدهم (ان المسيحيين واليهود والصابئة والمجوس محكومين بالطهارة لانهم اهل كتاب ... الخ). طيب ماذا عن الهندوس ؟؟؟ ماذا عن السيخ ؟؟؟ ماذا عن البوذيين ؟؟؟ ماذا عن الملحدين ؟؟؟ اليسوا بشر خلقهم نفس الخالق ولم يقطع عنهم الرزق ؟؟؟

حسنا ... اذا كان الحكم بالنجاسة يترتب على العقيدة الفاسدة فمن باب اولى ان يترتب على الاخلاق الفاسدة ايضا لان النبي محمد لم يبعث الا ليتمم مكارم الاخلاق ... فلماذا لا يحكم بنجاسة المنافق او المرائي او الكذاب او السارق ... تخيل معي هذه المفارقة التي تقول ان

السارق المسلم يحكم بالطهارة لانـه مسلم فقط اما النزيـه البوذي فيحكم بالنجاسـة لانـه لـيس مسلم...انها لمفارقة عجيبة!!!

تكرر امامي موقف مشابه قبل اشهر من الان . حيث قام شاب بمصـافحة رجل مسن يمشـي على عكاز فقال له الرجل المسن انـه لا يستطيع مصـافحته بسبب امساكه بالعكـاز فـرد عليـه الشاب (لقد جئت اودعك لاني سأهاجر خارج البلد) وللامانة رد عليه الرجل المسن بكلام طيب . وبعد ان ودعه توجه لي وقال (هذا كـان جاري سابقا وجـاء ليودعني لانـه سيسـافر لكني تحججت عليه بعدم مصافحته بأمساكي للعكاز لانه مسيحي لا يمكن ان اضـمن طهارتـه وانا متجه للصلاة)

تأمل كيف قتلت فكرة الطهارة والنجاسـة مشاعر هذا الرجل فهل يوجد ارقـى مـن ان يأتيك جـار قـديم يريـد السـفر ويتعنـى لـك ليودعك مـع قدرتـه علـى عدم المجـيء ولـيس هنـاك مـن سيعتب عليه ؟؟؟

موضـوع النجاسـة والطهـارة بحد ذاتـه كـان شـغلي الشـاغل والمؤسـف انـه ابعدني عن احب الكائنات الى قلبي وجعلني انفر منهـا وهـي (الكـلاب) . فـي طفـولتي كـان الجـرو الـذي ربيتـه اقرب صـديق لـي مـع ان اهلـي كـانوا يرفضـون تربيتـي لـه الا انـي لـم اتعلـم منـه الا الحـب والوفاء . الى ان جاء اليوم الـذي يفطـرون بـه قلبـي ويبعدوه عنـي بحجـة انـه يسبب امـراض ولا زال الطفل الذي في داخلي يبكي على جروه العزيز الذي اخر مـا جمعهمـا معـا هـو بكـاء كلاهما على فراق الاخر.

وجاء بعدها الالتزام الديني والتركيز على النجاسة والطهارة ليتحول حبي للكلاب الـى نفـور بـل هـروب منهـا علـى بعـد مسـافة لا تقـل عـن ثـلاث امتـار حفاظـا علـى طهـارتي (مـع ان موضـوع التطهر بحد ذاته ايجابي بل رائـع) وارجـو ان لا يفهـم القـاريء انـي احكـم علـى مـن يبتعد عن الحيوانات بالرجعية مثلا . كلا ابدا فهذا الموضـوع يتعلق بطبيعـة الانسـان . وكثيـر من الناس يتحسسون من الحيوانات وهذا امر طبيعي . وبعضـهم يتحاشـونها لمخـاوف نفسـية . وكثير من الملتزمين يتحاشون ملامسة الحيوانـات لكنهم يعطفون عليهـا ويطعمونـها . وهنـاك من يتحاشـون الاقتـراب مـن الحيوانـات لاسـباب تتعلـق بـالخوف مـن الاصـابة بـامراض وهـذا شيء ضـروري . ما اتحدث عنـه هو التركيـز علـى فكـرة الطهارة علـى حسـاب تعزيـز روح المساعدة .

هذه الفكـرة (الحفاظ على الطهارة) قتلت مشاعر الكثير من الناس مع انهـا بـذاتها رائعـة . فهـو حين يـرى كلـب جـائع لا ينتبـه انـه جـائع ويطعمـه لانـه منشـغل فـي الحفـاظ علـى طهارتـه ولا يتـذكر الوفـاء والاخـلاص الموجـود عنـد الكلـب بـل يتـذكر النجاسـة ولا ادري مـا هـو دور المـاء؟؟؟اليس مطهـر؟؟؟ لمـاذا اذن كـل هـذا التحسـس مـن هـذا الكـائن الطيـب . مـع ان هنـاك

روايات دينية تحث على الرفق بالحيوان لكن التركيز على النجاسة والطهارة وجعلها باب الله الاول قتل الحس المرهف في التفاعل مع الحيوانات الضعيفة لدى الكثير من الناس .

فرق شاسع بين تحويل الاخر الى(مجرد شيء)وبين(اضفاء الحياة)على الاشياء الجامدة

قبل فترة قرأت تعليق لاحدهم على كارثة تشالنجر التي ذهب ضحيتها سبع رواد فضاء يقول فيه المضمون التالي (هؤلاء في نظري لا يختلفون شيء عن اي مجموعة خراف تذبح في مسلخ ولا يرف لي جفن عليهم كونهم مجموعة من الكفار لا يستحقون ان نتعاطف معهم او نهتم لامرهم)

يقول الدكتور مصطفى حجازي : (في المجتمع المتخلف) تنعدم علاقة التكافوء لتحل محلها علاقة التشيؤ . بدل علاقة انا – أنت التي تتضمن المساواة والاعتراف المتبادل بأنسانية الاخر وحقه في الوجود , ذاك الاعتراف الذي يشكل شرط حصولنا على أنسانيتنا من خلال أعتراف الاخر بنا كقيمة أنسانية , بدل هذه العلاقة تقوم علاقة من نوع انا – ذاك ذاك هو الشيء ذاك هو الكائن الذي لا اعترف به , بأنسانيته وقيمتها , أو بحياته وقدسيتها بأعتباره شيئا يصبح كل ما يتعلق به أو يمت اليه مباحا (انتهى) .(10)

هوّة كبيرة وساحقة بين من ينظر الى (الانسان) الذي يختلف معه في الدين او الفكر على انه مجرد (رمز للشر) فيفصل تعاطفه معه ولا ينظر له الا بعين التحقير وبين الذي ينظر (للجمادات) التي تحيط به نظرة مشاعر و(يضفي لها الحياة وينفخ فيها الروح) كونها شاركته بعض لحظات الحياة (مثل كوب ماء كان يشرب به او هاتف نقال يعتز باللحظات التي قضاها معه وبالذكريات السعيدة لبعض المكالمات التي شاركه فيها او قلم جاءه هدية من شخص عزيز)

يقول الشيخ الدكتور احمد الوائلي راثيا كوبه الذي كان يستخدمه لعشر لسنوات بعد ان تحطم ذلك الكوب :(11)

اساقيتي كم شربنا معا ولذ باسماعنا محفل

فما مل ثغرك ثغري ولا سئمنا ولا ادبر المقبل

اشدك للثغر فعل الرضيع بثدي شدت به الانمل

واقرأ وجهي عليك وما اذا كان يكبر او يذبل

واعرف فيك الصديق الوفي فعشر تصرمن او اطول

وصحبة عشر بهذا الزمان مكاسب في ندرة تحصل

الى ان رايتك فوق الثرى وقد هشم الراس والمفصل

فعادت بتحطيمك الذكريات حطاما و احزنني الموئل

كنت أتعامل مع الآخر على أنه رمز للشر ورمز لعداوة الله . أما المسلم الملتزم خصوصا فهو رمز للخير ولمحبة الله . كنت أتعامل مع المخالفين لي في مجتمعي بتكبر واحتقار (داخلي غير ظاهر على الاقل) فأنا الأعلى لأني من أحباء الله وهم الأدنى لأنهم من أعداء الله . لم أكن أبالي بمشاعرهم ورغباتهم لأنهم باختصار مجرد رموز للشر يجب دفعهم للايمان بشتى الوسائل . لم أكن أهتم لردود أفعالهم فكل شيء كنت أفعله تقربا لله . فقد فعلت ما أراده الله وهذا بحد ذاته فضيلة تجعلني من أحباء الله وأصفيائه .

أما عن الآخر غير المسلم فهو باختصار (عدو الله) . من الأمور المثيرة للاهتمام اني كنت أعتقد أن غير المسلمين لديهم يقين بصحة الدين الأسلامي إلا أنهم يريدون محاربته بشتى الوسائل لأنهم اختاروا طريق الشر ولا يريدون انتشار الخير.

هل يمكنني أن أصف نفسي في تلك المرحلة (بالتخلف والسقوط والانحدار ووو... واذكر ما شئت من الأوصاف السلبية في قاموس اللغة العربية) ؟؟؟ هل يحق لي ان اقسو على نفسي واصفها بتلك الصفات على ضوء ما سردته من تفاصيل؟؟؟اعلم جيدا ان الكثير من الناس لا يجدون اي مشكلة تذكر في كل ما ذكرته بل قد يجده بعضهم فضيلة وقد يجده الاخر امر عادي مرحلي قد يحدث مع الكثير من الناس ولا يستحق ان يوصف بتلك الصفات القاسية.

المشكلة التي نتحدث عنها (الغاء الآخر) حتى لو كانت مجرد سلوكيات بسيطة او بعض الافكار الغير مؤثرة الا انها مرحلة مهمة يجب ان نقف عندها ونضعها تحت المجهر لان الكثير من الناس لا يكفيهم هذا المستوى من رفض الاخر بل يتمرحلون الى مراحل اخرى اكثر شدة حتى وان كانت خالية من العنف الجسدي .

لو اردت ان اكون منصفا مع نفسي يجب ان اقول اني (كنت متدينا متعصبا) هذا وفق المعايير العامة لسلوك المجتمع لكن وفق معايير الحد الاعلى من الضمير المتقد كنت مجرما بامتياز مع اني لم أقم بإيذاء أحد جسديا . مجرد تفكيري بأني أمتلك الحقيقة وغيري يمتلك السراب ,ويجب ان يعتنق حقيقتي ويسلك سلوكي يعتبر جريمة من الطراز الرفيع . باختصار كنت أرى نفسي سكرتيرا للإله وناطقا رسميا باسمه والمحبط أن الدنيا ملأى بهذا النموذج الذي يسمح لنفسه باتخاذ قرارات باسم الله ونيابة عنه.

يقول الكاتب والباحث حسن ابراهيم احمد : الجماهير المؤمنة كثيرا ما تصادق على الأحكام الصادرة على المخالفين لمفاهيم إيمانهم ولقواعد هذا الإيمان , كما يصور ذلك المشرفون على حماية الجماعة من الفساد , أما السكوت وعدم الاحتجاج فيفسران على أنهما موافقة على الأحكام (انتهى) .(12)

كلمة السر

و تتلخص كلمة السر في تحول المتعصب دينيا الى شخص يقبل الاخر ويتفهمه بل قد يدافع عنه حسب تصوري في ثلاث امور . الاول (طبيعة الشخصية والظروف المحيطة بها) والثاني (التفكير بحرية وتجرد وكسر حاجز الخوف الزائف الذي اضفيت له جدران من القداسة) والثالث (الخروج من قوقعة المحيط والاطلاع على الافكار الاخرى)

لم أكن أميل للعنف في حياتي اليومية فمنذ الصغر وأنا أحاول تجنب العنف جهد الامكان . وحتى حين كنت أضطر للدفاع عن نفسي في مشاجرات المدرسة كنت أبكي كثيرا على من يتألم بسببي وانسى بسرعة استفزازه لي واعتدائه علي في اللحظة التي اتمكن منه . ولا زالت بعض لحظات العنف الطفولي ضد الآخرين تبكيني عليهم سواء كان عنف استخدمت فيه اليد أو الكلام . التقيت قبل مدة باحد رفاق الطفولة الذي حدث بيني وبينه مشاجرة سببها استفزازه لي انتهت ببكائه. كان لقائي به عاطفي جدا وتعانقنا واستذكرنا تلك الايام فذكرته بتلك المشاجرة وبعد ان عصر ذاكرته تذكرها جيدا وضحك كثيرا فطلبت منه ان يسامحني فضربني بكف خفيف كتعبير عن الود وقال لي وهو يضحك من كل قلبه (بعدك تذكر؟؟؟) نعم مع الاسف لا زلت اتذكر كل لحظة آذيت فيها انسان دفاعا عن نفسي (جسديا اونفسيا) في مرحلة الطفولة . ولا زلت اتذكر كل لحظة اذيت فيها انسان نفسيا في المراحل اللاحقة لمرحلة الطفولة . ومن العدالة ان يدفع اي انسان اعتدى على انسان (او اي كائن حي اخر) ثمن اعتدائه . ومن العدالة ان يرد الاعتبار لمن تعرض للاعتداء .

لا أذكر هذا من باب إضافة فضيلة لنفسي . هي في الواقع ليست فضيلة بل صفة ملازمة لشخصيتي لا يمكنني التخلص منها حتى لو رغبت بذلك . وهي الصفة السحرية وكلمة السر التي تملأ حياة من يتصف بها بمقدار هائل من الألم يوازيه مقدار هائل من الحب والحنو والشفقة والشعور بالآخر.

يبدو لي أن الشعور بمعاناة الآخرين حالة تُولد مع نسبة من الذين يتصفون بها وتعتبر جزء من تكوين شخصياتهم . من الممكن ان تقوى ومن الممكن ان تضعف ومن الممكن ان يتم استغلالها ومن الممكن ان تكتسب من قبل من لا يتصفون بها وكل ذلك يعتمد على الظروف المحيطة وخط الحياة . وهي في كثير من الاحيان تجعل الانسان اكثر مرونة في تقبل الاخر وتفهمه .

كيف تتم ادلجة رقيق القلب ؟؟؟

بكل بساطة يقال له ان ابناء جلدتك يتم قتلهم من قبل الفئة الفلانية ويتعرضون للاضطهاد والعذاب... ألخ . فيتحول حبه وتعاطفه مع ابناء جلدته الى حقد على الاخر فيصب غضبه عليه او يقال له ان الاخر (يعادي الله بسلوكه او معتقده) فيتحول حبه لله الى بغض للاخر.

قـام الاعلامـي والكاتـب السـعودي المعـروف داوود الشـريان بمجموعـة مـن الحـوارات مـع متشددين مارسوا العنف يمكثون فـي السجن منذ سنوات . قال احدهم المضمون التـالي (لا تتصور ان الذين ينتمون للجماعات المتشددة المسلحة ليس لديهم قلب بل هم رقيقي القلب يبكون ويتأثرون اذا شاهدوا اي موقف انساني امامهم) هذا المضمون ليس بعيد عن الواقع . فعلا نسبة من المتشددين رقيقي القلب وتم استغلال تلك الرقة لتحريضـهم علـى الاخر الـذي صور لهم على انه مجرم يؤذي ابنـاء جلدتهم فأنقلبت رقتهم الـى حقد تجاه من اقنعوهم انـه مجرم . اي ان بداية اقناعهم بالعنف كانت اللعب على وتر رقة قلوبهم وسذاجتهم فـأقتنعوا ان الغاية من العنف هي تطبيق الدين الصحيح وايقاف تعرض (اخوانهم فـي العقيدة للالم) لكن بعد ذلك قاموا هم انفسهم بممارسات اقل ما يقال عنها انها قمة الخسة والدنائة والانحطـاط وتحول العنف بالنسبة لهم الى روتين يومي بل ادمان واصبح العنف الذي يمـارس ضد ابنـاء جلدتهم مجرد نزهة قياسا بالعنف الذي يمارسوه هم .

كيف تقوى وكيف تضعف صفة الحنو؟؟؟

من خلال البيئة المحيطة سواء كانت البيئة الضيقة او البيئة الواسعة فأما تعزز تلك الصفة لديه او تجعلها صفة مخزية يجب التخلص منها فكثيرا ما نسمع بعض الاباء يقول لابنـه حين يجده رقيق القلب يبكي لاجل معاناة الاخرين (بابا صير رجال ... صير زلمة ... لتصير مثـل النسـوان) فيعـزز عنـده فكـرة ان تعاطفـه مـع معانـاة الاخـرين امـر معيـب ... والعكس صحيح فقد تجد اب يـزرع فـي ابنـه الـذي يتعامـل مـع الاخـر بخبث او قسوة صفة الرقـة والشعور بمعاناته .

كنـا نتنـاقش فـي بعض المسائل الفقهيـة فقـال لـي أحدهم : (يجوز النظر الـى زوجـات الكفـار نظرة شهوة) وبصراحة لحد الان لا اعلم من اين جاء بتلك الفكرة ولست مهتم لمعرفة ذلك. فشعرت حينها برغبـة شديدة بالبكـاء . لوصـولي لحقيقـة ان الإلتـزام الأخلاقـي الـذي يدعيـه بعض هؤلاء لا يعدو كونه نزوة منحرفة مختنقة في عباءة الأيمان .

في ذلك الوقت كنت في بداية الدراسة الجامعية تقريبا. بدأت أعيد النظر بكل شـيء . الشعور بالـذنب أخـذ مـن وقتـي الكثيـر ولا زال . كـان الـزمن كفيـل بإزالـة معظـم رواسـب السـقوط الفكري الذي كنت أمتلكه أو كان يمتلكني . الانفتاح والقراءة كان لهما دورٌ كبير في إيصـالي الـى قناعـة أن الاسـلام ديـن مـن الاديـان وفكـرة مـن الأفكـار والحقيقة يدّعي الجميع امتلاكهـا وليسـت حكـر علـى المسـلمين . وصـلت الـى قناعـة تامـة ان حـاجز الخـوف المسـيطر علـى عقولنا من المصير السـيء فـي الدنيا والاخـرة الذي يجلبـه (الاستفهام حول امور جوهريـة والاطلاع على افكار الاخرين بتجرد) ما هو الا وهم يتعمد بعضـهم ايغالنا فيه ويروج لـه البعض الاخر بحسن نية .

يقول الشاعر والفيلسوف الصوفي جلال الدين الرومي:

تعلمت من نعومة أظافري أن أتحدى الدنيا بمفردي

ثم إقتنعت أن علي أن أسير مع الجمع

بعد ذلك توصلت الى أن السير الأصيل لابد وأن يكون ضد الجمع

تعلمت التفكير

بعدها تعلمت التفكير داخل قوالب

بعدها تعلمت أن التفكير الصحيح هو التفكير من خلال تحطيم القوالب .(12)

اسأل نفسي كثيرا السؤال التالي (هل انا افكر بحرية ام اني اخرجت نفسي من قوالب واحطتها بقوالب اخرى مختلفة ؟؟؟) الجواب على هذا السؤال ليس سهل الا اني اتصور ان الحرية المطلقة بالتفكير دون اي قيد اجتماعي او ديني او ثقافي او سايكولوجي امر صعب لكنه يستحق العناء لان الحرية الداخلية حسب تصوري هي الطريق الامثل للسلام الداخلي والتوافق مع الذات. الإسلام حقيقة ساكنة في قلوبنا نحن المسلمون وأذا أردنا من الآخرين احترام ديننا وعقيدتنا فعلينا احترام عقائدهم مهما كانت لأنها ساكنة في قلوبهم وعقولهم كما أن الأسلام ساكن في قلوبنا وعقولنا . طويت صفحة مريرة من صفحات حياتي أفضل ما فيها أني لم أفكر في إيذاء أحد جسديا . وأسوأ ما فيها أني قمت بإيذاء بعض الأشخاص نفسيا وكنت أبرر إيذاء الآخرين بحجة حماية الدين .

لست سوى عينة مستهدفة من شريحة مهمة

حين كنت في سن المراهقة كان لي صديق تعرفت عليه في مكان عملي يكبرني بأكثر من عشر سنوات . كنا نتحدث مرة عن هؤلاء المغرورين الذين يتحدثون عن انفسهم بكثرة وبطريقة مجة . فقال لي (ليس دائما الحديث عن الذات غرور بالضرورة . أذا كان الحديث عن الذات ذو مغزى وذو فائدة فهو شي جيد)

حين أتحدث عن نفسي وعن صفحات من حياتي فهذا ليس من باب توثيق سيرة ذاتية أو كتابة مذكرات . أبدا ليس كذلك فلا اعتقد أن حياتي مهمة للآخرين لأوثقها لهم . أتحدث عن نفسي كعينة مستهدفة من شريحة لا يستهان بها من الناس . لا اتحدث عن فئة نادرة من البشر ولا اتحدث عن شخص اصولي ينتمي لمجموعة متطرفة ... اتحدث عن شريحة واسعة ومهمة من المجتمع كنت احد افرادها يوما ما . حالتي لم تكن نادرة وليست شاذة بل منتشرة ولا زالت كذلك .

اعصبوها برأسي وقولوا جبُن عتبة

معاشر المؤمنين بالفكر الاقصائي (ديني او لا ديني) معاشر الرافضين لأي فكر آخر ... يوما ما كنت أنتمي إليكم قلبا وقالبا ... بطريقة او بأخرى كنت منكم ... نعم تتفاوت النسبة وتختلف طريقة التعبير عن الذات... يوما ما كنت أحدكم بطريقة من الطرق و بدرجة من الدرجات... لا يهم المهم أني كنت أؤمن بالفكر الأحادي... أحتكر الحقيقة لنفسي واعتقد أني يجب أن أكرس نفسي لجعل غيري مثلي فكرا وسلوكا.

أعلم جيدا لماذا قد تواجهون الفكرة بصراخ او انفعال ... أعلم جيدا . نعم أحيانا لتمسككم بأحقيتكم وصحة أفكاركم في مقابل طرح فكر مناقض ولا أتحدث عن هذا البتة..قطعا ليس هذا ما أقصده..ما أتحدث عنه هو انفعال بوجه الآخر يضمر شيئا دفينا ومهما ... ما هو هذا الشيء يا ترى؟؟؟

إنه انفعال على الذات لأنها وجدت شيء من الاخر يسكن فيها . انه انفعال على الذات لانها وجدت كلامَ الآخر عقلاني ومؤثر... إنه خوف من الخروج عن الرتابة في التفكير. حين يقول احدهم (من أنت أيها الرويبضة لتتجرأ على كذا وكذا ... ألخ) فمن الممكن أن تترجم في بعض الاحيان (أرجوك لا تؤثر بي ... أرجوك اسكت فأنا خائف من الخروج عن الرتابة الفكرية فهذا قد يكلفني خسارة شعوري بالأمان والراحة) إنه صراع داخلي مع الذات شعوري أو لا شعوري يتم إسقاطه على الآخر بطريقة او بأخرى ... يا معشر المؤمنين بالفكر الأحادي والنظرية الواحدة والحقيقة الواحدة ... اعصبوها برأسي وقولوا جبُن عتبة.

يقول الكاتب والروائي هيرمان هيسه على لسان بستوريوس احد شخصيات رواية (دِميان): الشخص الذي تريد ان تتخلص منه ليس فلانا بل هو مجرد مظهر خادع . اذا كنت تكره شخصا ما فانك تكره شيئا فيه هو جزء منك انت , وما ليس جزءا منا لا يزعجنا.(14)

شعور ايجابي هو ذلك الشعور بالندم على اشياء سلبية فعلناها (مع انه مؤلم) لكنه مع كل الاسف ليس فضيلة . من الممكن ان يتولد عنه فضيلة لو قام الانسان بفعل عملي يكفر به عن ذنبه . من الممكن ان تنتج عنه فضيلة لو اتعض احدهم منه وتجنب الوقوع فيه . لكن الندم بذاته المجردة لا فضيلة فيه .

يقول الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا: ليس الندم فضيلة , اي انه لا يتولد من العقل , بل يكون الشخص الذي يندم عن فعله شقيا او عاجزا مرتين .(15)

حين اسميت الكتاب (جرائم ارتكبتها) فانا اقصد امرين...**الاول:** ان ثقافة الغاء الاخر حتى في حدها الادنى يجب ان تعتبر جريمة . **والثاني :** اقصد (الذات الاعمق) . (الانا البشرية)

التي تنتمي للجنس البشري...جرائم ارتكبتها انا (الانسان) الذي يتبجح امام الكائنات الحية الاخرى بسيطرته على الكوكب . جرائم ارتكبها ابناء جنسي (البشر) وتميزوا على كل الكائنات الحية الاخرى لكن ليس العقل ما يميزهم وليس النطق وليس القدرة على الابداع بل شيء اخر اكثر تميز من كل ما سبق وهو (القدرة على القتل لاسباب فكرية) نعم هذا ما يميز البشر فعلا فهو الكائن الوحيد الذي يقتل الاخر لانه يختلف معه في الفكر اما الكائنات القاتلة الاخرى فهي تقتل وفق غرائز تحركها ليس اكثر .

لو وقفنا انا وتمساح وهذا الداعشي الذي اكل قلب انسان اخر وجاء كائن فضائي ماذا سيصف الصورة لابناء جنسه ؟؟؟ سيقول رايت ثلاث اشخاص من سكان كوكب الارض احدهم يختلف عن الاثنين الاخرين وبكل تاكيد لن اكون انا المختلف لانه راى التمساح هو المختلف من حيث الشكل الخارجي . لو خيرت بين ان ياكلني التمساح وبين ان يأسرني داعشي سافضل حتما وبكل شرف ان ياكلني التمساح فهو اكثر مروءة من الدواعش ومن لف لفهم .

قرب نهر دجلة

قد يكون لقرب نهر دجلة من مدينتي أثر في نفسي وذكرياتي معه كثيرة فكثيرا ما كنا نجلس و نتسامر قرب النهر ونتحدث في كثير من المواضيع . أتذكر مرة كان الحديث عن فتوى دينية غريبة لا يتقبلها العقل فقال أحدهم بشكل مفاجيء (ماذا لو كان كل شيء كذب في كذب) انفجر الجميع بضحك متواصل وكأنه أعطى أمرا بتجاوز المقدس فبدأ الجميع يتحدثون عن ماذا سيفعلون لو ثبت لهم أن الأديان من صنع الإنسان . في الواقع كل هذا الحديث كان يدور بإطار المزاح لكنه كان فرصة مناسبة ونادرة للتعرف على أفكار الآخرين في موضوع قلّ الحديث عنه بهذه الصراحة . كل منا حين كان يكمل حديثه يختمه بعبارة (أستغفر الله العظيم) فقد كانت الإباحية والتحرر الجنسي أغلب ما دار عنه الحديث وما أن وصلنا الى بيوتنا حتى عدنا ركّعا سجّدا قلوبنا عامرة بالأيمان!

من حق الإنسان أن يشكك بالمسلمات . لكن المشكلة هي حين يقمع الإنسان نفسه ويلجمها . لا أعتقد أن اللحظة التي يضع فيها الإنسان دينه موضع تساؤل هي لحظة إلحاد . الملحدون أنفسهم لا يقبلون أن يحسب عليهم إنسان لا يملك الا بعض التساؤلات فالإلحاد في معناه الشامل أكثر عمقا من سؤال تشكيكي . حين يفكر الأنسان مليا وبعمق بهذا الوجود ويصل الى مرحلة يتجاوز فيها الشعور بأنه يتجه نحو الشر وحين يضع الدين وما يناظر الدين موضع التأمل والفهم والنقد سيكون التفكير مثمر فقد يؤدي الى إيمان بالله أكثر قوة من السابق وقد يؤدي الى عكس ذلك .

من الجيد أن تشخَصّ أمامَ المؤمن وهو يفكر في لغز الحياة صورة الآله الرحيم الذي يسمح للإنسان أن يتأمل ويفكر في الحقائق . أما صورة الآله المرعب الذي يغضب ويشعل فتيل

جهنم فور ورود سؤال له علاقة بحقيقة وجوده من شأنها أن تعطل العقل تماما . من غير الإنصاف أن يقمع الإنسان نفسه أو غيره باسم ربه .

يشعرك البعض أحيانا أن علاقة الانسان بالله كعلاقة الإنسان بالإنسان . يحذرك من الله ويوحي اليك أن الله حادُ المزاج صعب الطباع يثور فقط لأن أحدا ما فكر بحقيقة وجوده ومع معرفة الإنسان بقدرة الله المطلقة يصبح من الصعب جدا إعطاء العقل رغبته الدفينة في التأمل.

يقول الدكتور علي الوردي : رجال الدين عندنا يتصورون الله كالملك جالسا على العرش وحوله الملائكة وهو يأمر بينهم وينهي . إنهم أخذوا هذه الصورة من حياتهم السياسية . فهم ينظرون الى الله كما ينظرون الى حاكمهم السياسي , أذ يحاولون أن يتملقوا ويتزلفوا إليه أو يمدحوه ويبرطلوه (انتهى) . (16)

إن تأملات الانسان ليست مجردة . فالإنسان تحكمه طبيعة شخصيته ويتأثر بمحيطه وتراثه وانفعالاته وتجاربه مع الحياة وحين يتأثر بفكرة ما فهو في الواقع يجدها تحاكي تأملاته وتنطق بما يعجز عن البوح به لنفسه.

يحدث أن يقرأ أحدهم مقالا في جريدة فيقول في نفسه (كم قريب هذا الكلام الى نفسي وكم هو واقعي وحقيقي) هو في الواقع كان يشعر بمعانيه في عمق ذاته الا أنه لم يجمع في عقله تلك الحروف التي تعبر عنه بالكلمات . وما كان هذا المقال الا ترجمة لما هو مكنون في ذاته.

أن مسألة الأيمان بالغيبيات مسألة شعورية أكثر منها عقلية منطقية فتجد من يُعرض عليه ألفُ دليل على وجود الله لكنه لا يشعر بوجوده . وتجد من يُعرض عليه ألف دليل على عدم وجود الله ولا يجدها إلا هراء . وتحيط بالإنسان الكثير من المؤثرات التي تجعله يمنطق الامور ويجعلها معقولة أو يجعلها غير منطقية وغير معقولة . المكان والزمان والتراث وطبيعة الشخصية والتأملات والتجارب والإطلاع كلها عوامل مؤثرة في تحديد مسار شعور الإنسان بما هو منطقي أو غير منطقي وما هو معقول أو غير معقول .

يقول الدكتور هيثم عيسى : أجمل شيء لاحظته وتأكدت منه أن إحساسي وشعوري بوجود الله لم يتغير وعلمت بأن الله في نفسي ليس فكرة إنه شعور إنه ضياء داخلي عابر للأديان والنظريات إنه إحساس وليس فكرة وهو لا يمكن أن يكون إلا صادق أما الفكرة فتحتمل الخطأ والصواب مهما أضفينا عليها من قداسة لا لشيء إلا لقابليتها للانتقال والمداولة والمبادلة. (انتهى) (17)

احد الملحدين (الذي سنتطرق لتجربته المهمة بتفصيل) بدأ الالحاد معه شعوريا فقط . لم يكن يشعر ان هناك اله . لا اكثر ولا اقل . وبعد سنوات اطلع على النظريات والدلائل التي

يستدل بها الملحدين فوجدها عقلانية . والكثير من المؤمنين يؤمنون بوجود قوة غامضة في هذا الكون تمسح على رؤوسهم لكن لا يستدلون على وجود هذه القوة الا بشعورهم الداخلي المبني على التأمل .

إثبات وجود الله للملحد أمر صعب بقدر صعوبة إثبات عدم وجود الله للمؤمن . وقد تجد مؤمنين يلحدون وملحدين يؤمنون وهذا أمر طبيعي جدا وغير مستغرب . وتجد أيضا مؤمنين يزدادون إيمانا وملحدين يزدادون الحادا وهذا أيضا أمر طبيعي . من يشعر بوجود الله يجد أدلة وجوده منطقية ومقبولة عقلا ومن لا يشعر بوجود الله يجد أدلة عدم وجوده منطقية ومقبولة عقلا.

يقول الامام علي (إلهي , ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك و لكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك)(18)

عدا الفكرة الرائعة التي يجسدها الإمام علي والتي ترفع الإيمان من العبودية الى الحرية ... من عبادة المصلحة والخوف الى التواصل مع الله بناءا على قناعة ذاتية ... عدا كل هذا لفتت نظري مفردة مهمة جدا ولعلها أهم ما موجود في هذه المناجاة ... قال الإمام علي (وجدتك) ماذا نفهم من هذه المفردة (وجدتك) هل تعني أن الامام علي تأمل وبحث ووجد الله أهلا للعبادة فعبده ؟؟؟ لقد وجده...هكذا قال (وجدتك) افهمها (تأملتك وبحثت عنك فوجدتك تستحق أن أتواصل معك) هل هذا يعني أن تأمل الله والبحث عنه أمران متاحان للإنسان...بل وفق ما وصل إليه الإمام علي مطلوبان من الانسان.

كيف وجد الامام علي ربه؟؟؟ هنا يأتي السؤال الكبير وجوابه عند الرسول محمد وعند الامام علي نفسه وعند نسبة من المفكرين والفلاسفة الذين وصلوا لنفس النتيجة من خلال المعرفة الذاتية التأملية .

سُئل النبي محمد متى يعرف الانسان ربه؟ فقال (اذا عرف نفسه)(19) وقال الامام علي (نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس)(20)

يقول السيد كمال الحيدري : من هنا ذكر المحققون من علمائنا أن المعرفة الأنفسية أنفع من المعرفة الآفاقية، وهذان الاصطلاحان مأخوذان من قوله تعالى:(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) وقال: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ .وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ) ولعل هذا هو مراد إمام المتقين علي عليه السلام في قوله: (المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين). توضيح ذلك: (أن طريقي النظر إلى الآفاق والأنفس وإن كانا نافعين جميعاً، غير أن النظر إلى آيات النفس أنفع، فإنه لا يخلو من العثور على ذات النفس وقواها وأدواتها الروحية والبدنية، وما يعرضها من الاعتدال في أمرها أو طغيانها أو خمودها، والملكات الفاضلة أو الرذيلة والأحوال الحسنة أو السيئة التي تقارنها. (انتهى) . (21)

هذا المعنى قريب جدا من المعنى الذي ذهب اليه الفيلسوف الهندي المعاصر سادجورو في حديثه عن تطلع الانسان وفضوله لمعرفة ماذا يحدث بعد الموت.

يقول سادجورو : اذا كنت تريد ان تعلم حقا (ماذا يحدث بعد الموت؟؟؟) الشيء الاكثر اهمية هو ان تعرف ما يحدث في الحياة الان؟؟؟ انت هنا ... ماذا يحدث لهذه الحياة الان ؟؟؟ وكيف يحدث ذلك ؟؟؟اذا كنت تسعى لمعرفة هذا وعرفته فستعرف كل شيء . هذا سبب ترديد الناس لعبارة (اعرف نفسك) لعصور (انتهى) .(22)

اذا كنت تملك مركبة فضائية وتود ان تبحر بها في هذا الفضاء الشاسع لترضي فضولك حول حقيقة الكون . لكنك في نفس الوقت لا تعرف كيف تدير تلك المركبة وكيف تتحكم بها وكيف تحركها . فلن تتمكن من معرفة الكون . انت تملك الاداة ولديك الرغبة لكن ليس لديك المعرفة الكافية بتلك الاداة وهي الوحيدة التي من الممكن ان توصلك الى هدفك المنشود . هكذا هو الانسان . يحاول معرفة كل شيء الا نفسه (المركبة الفضائية التي يملكها) وبدون معرفة الذات لا امل في معرفة اي شيء لانها ذات كامنة غير متحررة .

يقول هيرمان هيسه : حياة كل انسان عبارة عن طريق نحو نفسه , محاولة على طريق كهذا , تلميح نحو الممر . لم يسبق لانسان ان كان نفسه تماما وبشكل كامل . لكن كل انسان يحاول ذلك (هذا بطريقة خرقاء وذاك بطريقة بارعة) كل حسب ما يستطيع . وكل انسان يحمل اثار ولادته... ان لنا جميعا اصلا واحدا هو امهاتنا . وجميعنا جئنا من الباب ذاته . لكن كلا منا (بخبرات الاعماق) يجاهد للوصول الى مصيره . يستطيع كل منا ان يفهم الاخر , لكن ايا منا لا يستطيع ان يشرح نفسه الا لنفسه (انتهى) .(23)

مؤمن بعين الملحد وملحد بعين المؤمن

كنت في نقاش مع أحد الأصدقاء حول الإلحاد فسألني هذا الصديق :(هل أنت ملحد ؟) أجبته: اريد أن أعرف أولا ما الذي دعاك الى أن تسأل هذا السؤال ؟ فقال ألمس في كلامك ميولا لتبرير إلحاد الملحدين . فقلت له : قد أكون ملحدا كما تتصور وقد أكون مؤمنا وقد أكون لادينيا ربوبيا أؤمن بوجود خالق ولا أؤمن بالأديان . كل شيء جائز . لكن السؤال هو ما هو الفرق عندك في تقييمي ؟ فقد أكون ملحد وأدعي الأيمان كيف ستعلم الحقيقة ؟ وقد أكون مؤمن لكني أتفهم السبب وراء إلحاد الملحدين والتمس لهم العذر . لماذا على الأنسان أن يصنف نفسه ؟ لا أجد من الضروري أن أصنف نفسي كمؤمن أو ملحد . فلم أعد أفكر بالإنتصار لأفكاري . لو كنت مؤمنا فإيماني شيء مكتوم بيني وبين ربي . ولو كنت ملحدا فلا اعتقد أن الله سينفعل ويغضب لأن أحدهم لم يشعر بوجوده ولم يعقله . وقد يجعلني كل ما سبق مؤمنا بعين الملحد وملحدا بعين المؤمن .

قد يقول أحدهم أنت تناقض نفسك فأنت تعرض أفكارك على الآخرين وتحاول إثبات صحة وجهة نظرك فكيف تقول (لم أعد أفكر بالإنتصار لأفكاري) ؟؟؟ لا تناقض فما اقصده في

مفردة افكاري هو (اعتقادي الشخصي ونظرتي لحقيقة الوجود) فأنا لا آمل في داخلي أن يتحول الآخرون مثلي أو يعتنقوا معتقدي الشخصي ونظرتي الى حقيقة الوجود . نعم الشيء الوحيد الذي أتحول فيه الى تبشيري هو ثقافة قبول الآخر .

لا يقدر أحدهم على سلب الاله من قلبك

شيء مؤلم أن تجد ملحدا يجرح المؤمن بمقدساته ويستهين بعقله بحجة أنه بعيد عن العلم . ومؤلم جدا أن ترى مؤمنا يتمنى أن يشاهد الملحد يحترق في النار .

حين يقول المؤمن للملحد أدعو من الله أن يهديك الى الصراط المستقيم فهذا الكلام نابع من محبة لأن المؤمن يعتقد بوجود الله ويعتقد أنه قادر على كل شيء وحين يدعو له بالهداية فهو يقدم له المزيد من الحب .

هل يستطيع المؤمن أن يتفهم أن الملحد لا يشعر بوجود الله او اثبتت له الادلة عدم وجوده والموضوع لا يخص المؤمن بل يخص الله والملحد فقط ؟؟؟

إن الملحد ليست لديه القدرة على الدخول الى قلب المؤمن وسلب الله منه إلا إذا كان هو غير متمسك بوجود الإله في قلبه . و المؤمن ليس له قدرة على إدخال الآله في قلب الملحد إلا إذا أراد هو أن يؤمن به بكل اطمئنان .

يقول المفكر سلامة موسى : ان بؤرة ايماني هي الانسانية , بمن تحوي من فلاسفة وانبياء وادباء , وبما تحوي من شجاعة وذكاء ومرؤة ورحمة وجمال وشرف . (24)

حراس السماء

حراس العقيدة . حماة الدين . جند الله . كل هذه التسميات تعبر عن دين يحميه الإنسان .والمفترض أن يقوم الدين بحماية الإنسان وليس العكس ! من خلال خلق حالة توازن نفسي وعلاقة متزنة بين الله والانسان والإنسان والإنسان الآخر. في اللحظة التي يحتاجني الدين لأحميه أصبحت أنا الدين وأصبح الدين مجرد فكرة بحاجة الى حماية من أنسان . الإنسان الذي يحمي الدين أصبح هو الدين . في الوقت الذي يشعر فيه الإنسان أن فكرة وجود الله معرضة للخطر وقد تزيحها فكرة أخرى فعليه أن يتاكد أن هكذا إله ليس له وجود . نعم الإله الذي يحتاج مني أن أحميه ليس إله . علاقتي مع الله يفترض ان تكون مكتومة . وهي علاقة المخلوق مع الخالق . أساس هذه العلاقة هو التواصل الذي يجسده التأمل المستمر والتساؤل والإستفهام . الخالق لا يحتاج مني أن أدافع عن فكرة وجوده ولا يحتاج مني ان أنصب نفسي محامي أو ناطق رسمي باسم السماء . على ضوء عرض الاديان لقدرة الخالق فأنا من احتاج أن أتأمله وأتواصل معه في لحظات ضعفي وقوتي وفي لحظات حزني وسعادتي وفي كل تقلباتي.

ما يجعل للحياة معنى

الموت لاجل المبدأ امر سامي وراقي وهو ما فعله الثوار والاحرار في العالم فلا معنى للحياة لو كنت مجبول على ان تعيشها كما يريد غيرك ولخص هذا المبدا الرائع الكثير من الثوار منهم الامام الحسين بقوله (موت في عز خير من حياة في ذل) وفرق شاسع بينه وبين مواجهة الاخر بالقوة لاسباب دينية او مذهبية او عرقية او غيرها. فلا معنى لادعائي اني احب الامام الحسين واتبعه وانا اتلذذ في اذلال الاخرين ليعيشوا بنمط حياة غير مقتنعين به وهذا المنطق معاكس لمنطق الاحرار تماما فالاحرار افنوا حياتهم لاجل حرية الانسان اما حين ادعي انتمائي لهم وكل همي هو اجبار الناس على نمط حياة معين فأدعائي لا قيمة له .

فرق شاسع بين ان تموت وانت تدافع عن حقك في اعتناق فكر معين او اسلوب حياة معين وبين ان تموت وانت تحاول اجبار الاخرين على اعتناق افكارك .اجبار الاخرين على اعتناق فكرة بالقوة أمر ساذج وخطر مهما كانت هذه الفكرة . الشيء الوحيد الذي يجعل للحياة معنى هو ذلك الشعور الرائع الذي تولده مساعدة الإنسان لإنسان آخر بحاجة إليه . الحياة ممتلئة ألم وما يجعل لها معنى هو تقليل الألم .

يقول نيتشه : اه كم تكره نفسي ان ترغم اخر على اعتقاد افكاري .(25)

الحياة سريعة وتافهة و ممتلئة ألم وما يجعل لها معنى هو زرع الامل في نفوس اليائسين والمحبطين وما أكثرهم . وليس بالضرورة أن أتعرض أنا لهذا الألم لاشعر به فهناك مألومون في كل مكان وفي كل لحظة وأجمل ما في هذه الحياة هو رفع المعاناة عن الآخرين وإشعارهم بالراحة وبدون الشعور بمعاناة الآخرين ومحاولة تقليلها عنهم ليس للحياة معنى .

يقول الممثل والمخرج والمؤلف الامريكي سيلفستر ستالون : دعني أخبرك بأمر تعرفه مسبقا ... العالم ليس مشرقا بأكمله... ولا يعمر بأقواس قزح...بل هو مكان في غاية الدناءة والقذارة...ولا يهمه مدى صلابتك وشدتك...فسيركعك على ركبتيك... وسيبقيك خاضعا له على الدوام ... إن سمحت له بذلك...سيضربك بقسوة وعنف ... ولكن الأمر لا يتعلق بمدى قسوة الضرب الذي تتعرض له بل بمدى تحملك للضرب.... واستمرارك في التقدم للأمام (انتهى).(26)

التعاطف مع الكائنات الحية بمجملها هو تسامٍ وارتفاع عن واقع السقوط في حبائل الإنحياز الأعمى للفئة والذي من شأنه جعل مشاعر الإنسان أشبه بحاسوب يعمل وفق رمز سري معين وهو (الفئة التي ينتمي لها الإنسان) من يتردد في التعاطف مع كائن حي يتألم ومن يكبت تعاطفه مع الآخر لأنه ينتمي لانتماء مختلف هو في الواقع خارج نطاق الحياة وخارج

حدود الزمن وحياته بلا قيمة تذكر وفوت على نفسه الكثير من المشاعر الرائعة التي تتولد حين يرى الراحة في عيون الآخرين بعد ان يقدم لهم العون.

يقول الفيلسوف والطبيب الالماني ألبرت شفايتزر : غاية الحياة الانسانية خدمة الاخرين والتعاطف معهم والرغبة في مساعدتهم (انتهى) .(27)

تملق الخالق وتزلفه

تقديس مخلوقات الله واحترامها أسمى طريقة للتواصل معه وتعظيمه أما تقديس الله وتحقير مخلوقاته فهو استخفاف بالخالق وهو لون من ألوان التملق الذي اعتاد عليه البعض كمنهج في حياتهم اليومية للوصول لدرجة اعلى في الوظيفة فهم يتعاملون مع الله بنفس الفلسفة التي يتعاملون بها مع مديرهم وهي فلسفة التملق والتزلف الذي يوازيه إيذاء الآخرين للوصول الى منصب اعلى وهذه الفلسفة التي تنجح احيانا مع رؤساء العمل لا تنجح أبدا مع الله .

يستدل على وجود الله بمخلوقاته ثم يحتقر دليله

اقبح حالات النفاق هي ان ياتي احدهم مدافعا عن فكرة وجود الله فيناقش هذا المشكك او ذاك الملحد فيدعوه لتأمل الوجود بكل ما فيه فيحدثه عن عظمة خلق الله ويدعوه الى تأمل المخلوقات ويعدد له الاشياء الجميلة في الكون ثم يقول له (كل ما في الوجود من خلق الله فتأمله بحب لتشعر بوجود الله) ثم يصلي وهو في قمة الخشوع ويصدف ان هذا الشخص نفسه موظف في احدى دوائر الدولة فتجده يتعامل مع الناس باحتقار وتعالي وعدم شعور بالمسؤولية ويجلس بكل برود يقلب صفحته الفيسبوكية والناس تنتظر بذل وهوان لكنه يقوم وكانه مصعوق بصعقة كهربائية (منتول) حين يسمع صوت الاذان لانه يشعر بمسؤولية كبيرة تجاه الله . وهذا هو التملق والنفاق بعينه . الم تعطينا محاضرة طويلة عريضة عن مخلوقات الله ؟؟؟ هؤلاء المراجعين الذين تحتقرهم ولا تكترث لامرهم أليسوا في نظرك من مخلوقات الله ؟؟؟ كيف تستدل على وجود الله بشيء انت تحتقره؟؟؟

هذا اقرب وصف لما نسميه بالعراقي (لوگي) او متملق بالعربية الفصيحة . فالمتملق يتقرب لمديره ولو على كتف زميله لان غايته هي ان يرتقي فقط . بنفس هذا المنطق يتعامل البعض مع الله فهو يعتقد ان ركوعه وسجوده لا صلة له بعلاقته مع الاخرين ومدى احترامه لهم مع انه استدل على وجود الله بهم !!! حين تستدل على وجود الخالق من خلال مخلوقاته فأنت الزمت نفسك باحترامها فهي الدليل الشاخص الذي تستدل به على صحة معتقدك . هو يعتقد ان الله يحبه حين يجلس على السجادة ويتوسل بان يرزقه ويحفظه لكنه لا يربط ابدا بين احترامه لمخلوقاته التي يستدل بها على وجوده وبين تواصله معه لانه يتصور ان الله يتعامل بنفس منطق المدير الذي يستمتع بوجود العصابات التي تحيط به من المتملقين ويستمع اليهم بود . قد تجد موظف استعلامات في دائرة يجيب الناس باحتقار وقد لا يجيبهم

اصلا وقد يبقى منشغلا بحديث جانبي مع من يجلسون قربه دون ان يلتفت اصلا لمن يتحدث معه لكن هذا (المسكين او الارعن او كلاهما) لا يعلم ان الجهد الذي يبذله في الابتسامة في وجههم اقل من الجهد الذي يبذله في تحقيرهم والتحدث معهم بوجه عبوس . والعائد الايجابي من الابتسامة بوجههم اكثر فائدة بكثير من التعامل معهم باحتقار.

عالم الذرة المسلم وعالم الذرة الهندوسي

العقيدة التي يعتقد بها الانسان حقيقة ساكنة في قلبه قبل عقله . قال أحد رجال الدين مرة (إن عالم الذرة الهندوسي وصل الى أرقى درجات العلم لكن لا زال ضحل العقل يقدس البقرة) لو سألنا عالم الذرة الهندوسي عن الكيفية التي يعقل بها تقديس البقرة لوجدنا لديه أكثر من جواب والف مبرر منطقي بل سيتعجب كيف أننا لا نجد في البقر قدسية!

وفي نفس الوقت قد نجد رجل دين هندوسي يقول (هناك عالم ذرة مسلم وصل الى أرقى درجات العلم ولا زال يقدس حجرا ويدور حوله في وقت معين من السنة ويسمون هذه الطقوس بالحج) وحين تسأل عالم الذرة المسلم عن الكيفية التي يعقل بها تقديس حجر والدوران حوله سيبين لك وبشكل منطقي العلة من الحج والمغزى الأساسي منه والرمزية فيه . المسلم يملك حقيقة مطلقة يدافع عنها والهندوسي يملك حقيقة مطلقة يدافع عنها وكل عقيدة هي حقيقة مطلقة في قلوب وعقول معتنقيها.

سألت أحد الأصدقاء عن الديانة البهائية فنصحني بقراءة معلومات عنها في أحد المواقع الإسلامية فقلت له أريد معلومات عن البهائية وليس عن رأي المسلمين بالبهائية فقال لي أن المسلمين يبينون لك حقيقة البهائية . فقلت له هل من الأنصاف أن أقرأ عن الاسلام في موقع مسيحي ؟ أو موقع يهودي ؟ بالتأكيد أكثر من يعبر عن حقيقة ما أعتقد به هو أنا وليس غيري . من الظلم أن تقرأ عن الملحدين وحقيقة الإلحاد من أدبيات المتدينين فقط . ليكون الأنسان موضوعي يجب أن يطلع على ما يقوله الملحد ليفهمه ولا أجد من الضرورة أن يعلق الأنسان في ذهنه دائما فكرة الإطلاع على أفكار الآخرين أو عقائدهم لنقدها أو اعتناقها . حين يكون الهدف الأساسي فهم الآخر سيكون الإنسان أكثر موضوعية وتجرد وستكون لديه قابلية أكثر على استخدام الموهبة التي تميزه عن سائر المخلوقات وهي أن يضع نفسه محل الآخر ليفهمه ويستوعب أفكاره وسلوكياته.

حين يقول أحدهم أن الكثير من الاحاديث التي يرددها المشايخ هي إسرائيليات أو مدسوسة فهو يجافي الحقيقة التي تقول إن هؤلاء المشايخ يعتقدون بصحة هذه الأحاديث ويتخذونها عقيدة ومنهج حتى لو كان ما يقوله الشيخ مدسوس وليس له أساس فقد أصبح له أساس وتحول الى حقيقة حين أريد له ذلك . أن التحري عن مدى صحة ما وصلنا من الدين أمر جيد لكن المشكلة هي ان الفاصل الزمني حوَّل الكثير من الأمور الدخيلة الى أصيلة بل حولها الى عقائد لا نقاش فيها . وأصبحت حقيقة دينية ساكنة في قلوب مصدقيها. والرهان

قائم على المجددين الذين يستندون على الضمير والعقل في خلق واقع جديد مختلف الحقائق فيه تتماهى مع الضمير وتتفق مع العقل .

نيبال الداعشية تقطع رؤوس ربع مليون حيوان بيومين(28)

العنوان السابق هو عنوان لخبر قراته قبل فترة والتالي هو نص الخبر : يستمر المهرجان يومين . مرة كل 5 سنوات في النيبال الفقيرة , وهو داعشي الطراز بامتياز , لانه دموي وشرس فريد من نوعه . بدأ هذا العام , امس الجمعة وتابع فعاليته اليوم السبت بذبح اكثر من 250 الف حيوان وطير , في مجزرة تحول البلاد الواقعة في جبال الهملايا بين الهند والصين , الى اكبر مسلخ بالعالم . وللمهرجان المتأبط شرا بالمواشي وذوي الاجنحة , قصة واردة مع اختلافات بالتفاصيل في حكايات كثيرة , وملخص اشهرها طبقا لما قرأت العربية نت في مقال كتبه انيل ابوت , السكرتير العام للمجلس الهندوسي في المملكة المتحدة بصحيفة الغارديان في مايو الماضي , من ان احد الملاك الاقطاعيين في النيبال قبل 260 سنة , واسمه باغوان شاوداري , زجوه سجينا لتورطه في مشكلات يبدو انها كانت معقدة . وفي احد الايام رأى باغوان حلما وهو نائم في الزنزانة , فهم منه أن مشاكله ستجد حلا دائما اذا ما قدم ذبيحة لمعبد غادي ماي وهو ما فعله يوم اطلقوا سراحه , فذبح حيوانا ووضع دمه في وعاء من فخار , حمله الى المعبد , وهناك شع نور من الوعاء . وبسرعة انتشر الخبر بين الاهالي , فراحوا وما زالوا يقلدونه , املين من الهة غادي ماي ان تحل مشاكلهم , لذلك فالذبح شغال منذ ذلك الوقت بهوس غريب . وقبل بدء مهرجان هذا العام باسبوعين , كتبت الممثلة المعتزلة بريجيت باردو , المتقاعدة عن التمثيل لكبر سنها , رسالة مفتوحة الى الرئيس النيبالي , رام باران يادف , طلبت فيه باسم مؤسسة تحمل اسمها وتنشط بالدفاع عن الحيوان , ان يقوم بما يستحيل عليه , ولو في المنام , وهو ان يمنع اكبر عملية ذبح جماعي للحيوانات على حد ما نقلت الوكالات من رسالة الفنانة التي اتمت 80 سنة في سبتمبر الماضي.(انتهى الخبر)

حين تطالب بريجيت باردو ايقاف هذا المهرجان فهذا امر معقول كونها من الناشطين في الدفاع عن حقوق الحيوان لكن حين يصيغ موقع عربي عنوان الخبر بالشكل التالي (نيبال الداعشية تقطع رؤوس ربع مليون حيوان بيومين) فهذا هو الغير معقول فلا ادري ماذا نفعل نحن المسلمون في موسم الحج هل نطبطب على اكتاف الخراف مثلا؟؟؟هل نشتري لها سنيكرس؟؟؟

وما هو عنوان ذبحنا للخراف ؟؟؟ اليس قربة الى الله ؟؟؟ وماذا تسمى اصلا؟؟؟ اليست اضحية (تضحية)؟؟؟اليست واجبة اي انها بطلب من الله؟؟؟اليست عقيدة ذبح الخراف في الحج مستمدة من سنة النبي ابراهيم حين شاهد في المنام انه يذبح ابنه النبي اسماعيل فاقدم على ذبحه تنفيذا لامر الله فاستبدله بكبش؟؟؟

قد يقول قائل بعد ان يقرأ الكلمات السابقة (ايها الابله اتشبه الاضحية الشرعية بخرافات وحشية ما انزل الله بها من سلطان؟؟؟ الا تعلم ان النبي ابراهيم نبي معصوم وهذا الاقطاعي النيبالي مجرد مخرف؟؟؟)

ابراهيم الخليل ابو الانبياء (عندنا نحن مقدس) لكن عند النيباليين ليس كذلك ... ما نقدسه نحن لا يراه الاخر بنفس العين (محاطا بهالة من القداسة) والعكس صحيح . اذا كان النيباليين يذبحون ربع مليون حيوان كل خمس سنوات وتذبح جميعها في يومين فنحن نذبح في العام الواحد فقط مليونين خروف وتذبح جميعها في نفس اليوم اي ثمان اضعاف ما يذبحون هم في خمس سنوات

اهاااا تذكرت الفرق شاسع بيننا وبينهم فنحن نأكل تلك الخراف ونوزع لحومها على الفقراء وهم يتركونها جثث هامدة اي اننا نستثمر تضحيتنا في سبيل الله . قد يكون معرفة النيباليين باننا ناكل الاضحية التي نضحي بها لوجه الله امر يثير اشمئزازهم وغثيانهم!!!من يدري؟؟؟

اكثر مقطع لفت انتباهي في الخبر هو المقطع التالي : (وفي احد الايام رأى باغوان حلما وهو نائم في الزنزانة , فهم منه أن مشاكله ستجد حلا دائما اذا ما قدم ذبيحة لمعبد غادي ماي وهو ما فعله يوم اطلقوا سراحه)

لا ادري حقا من الذي يذبح ذبيحة ويسميها (فجران دم)؟؟؟ هل نحن فعلناها ام غيرنا؟؟؟ ام ان الاقطاعي النيبالي المدعو باغوان (ابن البطة السودة)؟؟؟انتبه للتسمية التي نستخدمها نحن (فجران دم) هذا ما يقوله احدنا حين يخرج من مصيبة او يحدث له شيء جيد . لا يقول مثلا اشتروا لحم ووزعوه على الفقراء بمناسبة خروجي من المستشفى او من السجن او لشرائي سيارة او لشرائي بيت او لاي امر اخر بل يقول (اذبحوا دجاجة او خروف فجران دم) يريد ان يفجر دم في المقام الاول واطعام الفقراء ياتي كتحصيل حاصل . اذن الامر يتعلق بتفجر الدم ... اذن الامر طقسي يمارس للتقرب من صاحب القدرة المطلقة . لو كان الامر يتعلق باطعام الفقراء فقط لاقتصر على شراء لحم جاهز وتوزيعه عليهم ولطبق نفس الشيء في الحج لكن الذي يبحث عنه الناس هو (تفجير الدم تقربا لله وتعبيرا عن شكره) .

من يقرأ مانشيت الخبر (نيبال الداعشية) يتصور اننا نلاعب الخراف اونسجلها في الروضة او ناخذها للبحر (تتفسح) او نشتري لها بلاك بيري ولسنا نتخذها اضاحي لنتقرب بها من الله ونطبع دمائها بكفوفنا فوق السيارة الجديدة او على حائط البيت الجديد .

الشعور بالاشمئزاز يكون منبعه احيانا عدم الاعتياد ليس اكثر . وتقبل شيء معين يكون منبعه احيانا الاعتياد عليه . حين نتحدث عن حرق الهندوس للموتى نشعر بالغثيان وقد يكون هذا هو شعور الهندوس حين يتحدثون عن دفننا للموتى .

قامت عالمة الانثروبولوجيا (علم الانسان) بيث كونكلين بمعايشة مع قبيلة (واري) في البرازيل وهي من القبائل اكلي لحوم البشر (يأكلون لحوم موتاهم) وتوقفوا عن تلك العادة في ستينيات القرن الماضي وتحولوا بعدها الى دفن موتاهم . احد افراد القبيلة و يبدو انه لم يكن متقبلا لفكرة دفن الموتى قال بحزن ورفض : (في ذلك الوقت حيث كانت القبيلة تأكل الجسد، لم يكن المرء يحتاج ان يفكر ان ابنه مستلقي في حفرة باردة في اعماق الارض، نحن لم نكن حزناء على فقدان الابناء في السابق كما هو الامر الان) استنتجت الباحثة بعد ان مكثت بين افراد تلك القبيلة لفترة من الزمن ودرستهم جيدا (ان سبب اكل هؤلاء لامواتهم ليس وحشيتهم بل دافع الحب لديهم لان هناك افكار ماورائية تجعلهم يظنون ان اكل لحم الميت يجعله جزءا منهم او يجعل روحه تحيا معهم).(29) وكما راينا ان احد افراد القبيلة (واجزم ان هذا حال كثيرين مثله) يشمئز من الدفن ويجده فعل قاسي .

قبل سنوات...وبعد تفكير طويل قررت ان اتحول الى نباتي فتركت اكل جميع انواع اللحوم وقررت ان استيعض عن ذبح الحيوانات كتعبير عن الامتنان لحصول شيء جيد او الخروج من شيء سيء (كما هي العادة) بشراء حرية كائن مستعبد ومحبوس (بل امارس هذه العادة حتى بدون مناسبة فشراء حرية من سلبت ارادته بحد ذاتها مناسبة جميلة) فاذهب الى سوق الحيوانات واشتري طيور برية او اي حيوان اخر (بري الاصل اي انه مولود في البرية وغير معتاد على الاقفاص) واطلق سراحه كتعبير عن الامتنان واحصل على الثواب في نفس اللحظة والثواب الذي احصل عليه هو ذلك الشعور الرائع الذي ينتابني حين ارى سعادة الطير وهو يعود الى السماء مرة اخرى ويرفرف بجناحيه بسعادة لا يمكن وصفها ابدا وهذا الشعور الرائع (الثواب اللحظي) الكثير من الناس محرومون منه ولا يشعرون به لانهم اختاروا ان (يفجروا الدماء) كتعبير عن الامتنان . اطلاق سراح الحيوانات البرية وشراء حريتها امر جميل جدا ومن الجيد ان يتحول الى عادة فهي تعود بالفائدة على الانسان وعلى الحيوان الذي اطلق سراحه .

قتل الحيوانات واكل لحومها ليس حكرا على من يؤمنون بدين معين . حتى الملحدين ياكلون اللحوم . يجد الانسان دائما مبرر لما يفعله . فمن يؤمن بدين ياكل الحيوانات تحت عنوان ان اكلها مباح وطبيعي . ومن لايؤمن بدين ياكل الحيوانات تحت عنوان (دورة الحياة الطبيعية) او البقاء للاقوى او (السلسلة الغذائية) او اي عنوان اخر .

قد يظن احدهم ان الحديث عن اكل الحيوانات يحوي في طياته نقد للاديان او ادعاء بان النباتيين اكثر شفقة ورحمة من الاخرين . الجواب لا ابدا الموضوع لا يتعلق بنقد الاديان ولا بنقد المتدينين ولا بمن هو اكثر شفقة فاكل اللحوم لا يقتصر على اتباع الاديان والنباتية لا تقتصر على الملحدين بل هناك ملحدين ياكلون اللحوم بشراهة ومؤمنين نباتيين . الموضوع لا صلة له بالدين او اللادين وهو مختلف عليه بين فئات متعددة من البشر مؤمنين وغير مؤمنين .

النباتيون لم يترك جميعهم اكل اللحوم بسبب شفقتهم على الحيوانات. نعم نسبة لا يستهان بها منهم كذلك لكن هناك نسبة اخرى منذ الولادة لا يتقبلون اكل اللحوم ونسبة ثالثة لا ياكلون اللحوم لاسباب تتعلق بالصحة ليس اكثر ونسبة اخرى جمعت كل هذه الاسباب معا . وهناك اشخاص ياكلون اللحوم اكثر شفقة ورحمة تجاه الكائنات الحية من بعض النباتيين الذين لا يكترثون لامر الحيوانات بل يكترثون للضرر الذي قد يصيبهم بسببها ولو كانت الادلة اثبتت لهم ان اكل اللحوم مفيد لما ترددوا في اكلها . ويقال ان هتلر كان نباتيا. تركي لاكل اللحوم لا يعني اني صاحب فضيلة بل يعني بكل بساطة اني اخترت ترك اكل اللحوم لان هذا الخيار الافضل لي والذي يريحني نفسيا ويجعلني اكثر تصالحا مع نفسي واكثر شعورا بالاطمئنان والراحة . النباتية ايقظت في نفسي مناطق كانت ميتة او مشفرة في خريطة (التعامل مع الكائنات) الموجودة في نفسي وقلبي وعقلي . نسبة من النباتيون يعلمون جيدا عن ماذا اتحدث فما اتحدث عنه امر من الصعب ترجمته الى كلمات . هي مشاعر جميلة من الصعب شرحها .

اقف بانبهار امام ابا الحسن الذي اعده الاب الروحي للنباتيين المسلمين بامتياز فاغلب الروايات على اختلافها تشير الى انه كان ياكل انواع محددة من الطعام منها مثلا : (الخبز و الملح والخل واللبن والتمر وبعض البقوليات) ولم تمر امامي رواية تشير الى ان الامام علي كان ياكل الثريد مثلا . واروع صورة من صور الشعور بالكائنات الحية هي انه في يوم مقتله وعند خروجه من البيت تفاعل مع الاوزات اللواتي اعترضن طريقه . كان يرفض القسوة مع الحيوانات بل يروى انه اسس مربدا (مكان) للحيوانات الظالة يعتني بها وينفق عليها من بيت المال الى ان يأتي اصحابها بحثا عنها فيعيدها لهم . وكان يرفض التفريق بين الناقة وفصيلها . ويرفض انهاك المواشي بالحلب كي لايؤثر هذا سلبا على ابنائها.(30) يقول الامام علي : لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان .(31) ويقول البرت شفايتزر: لن يعثر المرء على السلام الا عندما يوسع من دائرة تعاطفه لتشمل جميع الكائنات الحية.(32)

السؤال الذي يطرح نفسه..لماذا خلق الله طعام الإنسان له مشاعر وعواطف ويساق الى الموت على يد الراعي الذي وثق فيه طوال عمره مع أن الله كامل القدرة يستطيع أن يخلق لحما على شكل ثمار مثلا بما أنه قادر على كل شيء؟؟؟

يعتقد البعض ان هكذا استفهامات تشكك بوجود الله . ويحاولون قمعها او السخرية منها لانها غير معقولة وغير منطقية ولا تؤدي الا الى التشكيك والتشويش... هكذا استفهامات لا يمكن ان تغضب الله الا في خيال هذا اللون من الناس... انت من تشكك بالله حين تعتقد انك تملك الحق في ان تملي على الاخرين تصوراتك فيما يتقبله الله من استفهامات وما لا يتقبله ...اذا كان الاب الواعي يتقبل كل انواع الاسئلة من ابنه لمعرفته بقصور عقله وفضوله ورغبته في المعرفة فكيف هو الحال مع الخالق؟؟؟من يضفي للخالق صفة الانفعال والغضب تجاه اي استفهام مهما كان هو من يشكك به وهو من يشوش الناس وليس العكس . خصوصا

هؤلاء الذين نصبوا انفسهم مدافعين عن حقوق السماء دون اي تفويض يثبت ادعائهم . حين يناقشون احدهم في موضوع معين يوحون اليه وكأنهم حصلوا قبل قليل على برقية من السماء تدعم غلضتهم وانفعالهم مع الاخر .

لسان حال هؤلاء يقول (من انت لتتدخل في شؤون الله ومن انت لتعتقد ان عدم تقبلك لشيء يعطيك الحق في الاستفهام حوله وحول مدى معقوليته ؟؟؟ الله سن هذه السنن بحكمة فمن انت لتعتقد ان هناك بدائل اقل قسوة ؟؟؟طالما ان الله سن هذه السنة فكل ما عليك هو ان تلقي اللوم حول عدم تقبلك لها الى قصور عقلك وغرورك الداخلي) الاكثر من ذلك هو ان من يطرح هكذا استفهامات (سخيفة) ينظرون له نظرة استخفاف ويستكثرون جهد الاجابة على اسئلته لانها في نظرهم لا تستحق الاجابة لشدة سخفها . فكل ما ألفوه واعتادوا عليه لا يجدر بالانسان الاستفهام حوله .

هؤلاء لا يعلمون ان عدم نقاش هكذا استفهامات بجد واهتمام وعقلانية قد يقود الى استفهامات اكبر . هم يعززون من حيث لا يعلمون ما يحاولون تداركه بل قمعه من خلال استخفافهم المج به.

لو افترضنا اني مت وبعد موتي شاهدت الملكين منكر ونكير . لن اتردد في ان اطرح اي استفهام سبب لي الارق والألم بكل اريحية بل بشغف منقطع النظير ولا اعتقد ان من يخلق كون متلاطم الاطراف سيكترث لان شخص يستفهم !!! من اتوقع منه الغضب لان احدهم يستفهم ليس الخالق بل من يدعي غضبه وانفعاله والواقع انه هو من يغضب ويسقط غضبه على عالم الغيب . قد يقول قائل (ومن سيعطيك الفرصة لتسأل اصلا بعد موتك ؟؟؟ كل ما عليك هو ان تستمع لما سيوجه لك من اسئلة وتجيب عنها...هل تعتقد ان الموت نزهة؟؟؟) لو تبين ان هذا المضمون صحيح فسأشعر باحباط شديد وبكل تأكيد سانصاع للواقع وساكون في قمة الطاعة لكن ليس اقتناعا بل خوفا .

اذا كان الله يعلم ما يدور في عقلي دون ان اتحدث به...ما الجدوى اذن من كبته والتظاهر بخلافه وعدم مناقشته ولو مع نفسي؟؟؟

قد يقول قائل وهو يبتسم ابتسامة ساخرة (اتقول لماذا خلق الله طعام الانسان له مشاعر؟؟؟ما هذا التفكير الغبي الذي لم يخطر على بالنا حتى حين كنا اطفال وماذا نقول عن اكل النباتات؟؟؟ اذا فكرنا بهذه الطريقة ستتوقف الحياة)

بخصوص اكل النباتات فالامر مختلف تماما فالنباتات نأكل ثمارها بعد ان تنتهي دورة حياتها ولا اعتقد ان للنباتات جهاز عصبي كما الحيوانات . وحين نقطع النباتات لا نرى نفس ذلك المنظر المؤلم الذي يعاني فيه الحيوان حين يذبح . واذا ثبت لي ان النباتات تعاني كما الحيوانات فسأطرح نفس السؤال (لماذا خلق الله طعام الانسان يتألم؟؟؟)

المشكلة في ذبح الحيوانات ليست في موت الحيوان فالحيوان سيموت بكل الاحوال . المشكلة تكمن في اقتياده من قبل من يثق به طوال عمره الى الموت وهو حائر لا يجد تفسير مقنع لما يجري . يقول جورج برناردشو: (الحيوانات أصدقائي وأنا لا آكل أصدقائي.(33)) فكرة مؤلمة ومرهقة أن تأكل طعام كان قبل ساعات يشعر بالحياة ... لا يحتاج الموضوع الى عبقري ليجيب فالقوي يأكل الضعيف.

قتل الكائنات لبعضها البعض واقع فعلي موجود لكن هل انا مضطر ان اكون جزء من قانون (القوي ياكل الضعيف) وجزء من (الصراع من اجل البقاء) وجزء من (قانون البقاء للاقوى) وجزء من (سنة الحياة) هل انا مضطر فعلا لذلك ؟؟؟ في بعض الحالات انا مضطر مثل اخذي للعلاج حين اصاب بفايروس او بكتريا فما هو بالنسبة لي (علاج) يعتبر بالنسبة للبكتريا (سم قاتل) لكني مضطر ان اقتل البكتريا لان بقائها قد يقتلني .

البقاء للاقوى...احقر واصدق وصف للواقع...الطبيعة تنتقي الاقوى كما يقولون وهذا ما يسمى (الانتقاء الطبيعي) فالانواع التي انقرضت سبب انقراضها هو ضعفها وعدم تمكنها من التأقلم مع الواقع وعدم قدرتها على مزاحمة الانواع الاكثر قوة . فراخ الطير تتزاحم على فم امها لتحصل على الطعام لكن الاقوى هو من يبقى فالضعيف الذي لا يتمكن من الوصول لفم امه مصيره الموت . تبا للطبيعة التي تنتقي الاقوى وسحقا لها .

كان ابو العلاء المعري نباتي لا يأكل اللحوم . حين مرض مرضا شديدا وصف له الطبيب لحم الدجاج كعلاج وحين وافق بعد الحاح شديد قال مخاطبا الدجاجة (استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الأسد؟؟؟) وحين وافاه الاجل اوصى ان يكتب على قبره البيت التالي : (هذا ما جناه ابي علي – وما جنيت على احد) ولم يجني على احد بمعنى انه لم يتزوج وينجب ابناء كما فعل اباه وجنى عليه حين جعله جزء من هذا الواقع البائس .(34) (حين أتأمل حجم المعاناة الموجود في هذا العالم لا ألومه)

اثبات الايمان الغيبي

الجدل الدائر بين الايمان والالحاد حول حقيقة وجود عالم الغيب هو جدل صحي لانه يشكل حركة فكرية تنطلق من دوامة الصراع الازلي تنجب فكر حداثي جديد يصحح الفكر العتيق ويطوره . ينتج عنه فهم اخر مختلف ينطلق من رحم الجدل العقيم بين ثنائية الايمان والالحاد الذي ينتهي ببقاء المؤمن مؤمنا و الملحد ملحدا (في اغلب الاحيان) . ولكن!!!

لماذا يجب ان اثبت ايمان غيبي اعتقد به لمن لا يعتقد به؟؟؟ لماذا يزعجني انكار الاخرين لصحة ما اعتقد به؟؟؟ لماذا يجب ان اكترث لاحدهم لانه يسخر من ايماني بحياة ما بعد الموت مثلا؟؟؟ وهل انا ملزم ان اثبت لاحد صحة ايماني من عدم صحته؟؟؟ قد يجد الكثيرين انفسهم ملزمين بتقديم ادلة تثبت صحة اعتقادهم الغيبي . اؤمن بالكثير من الغيبيات التي عرفتها عن طريق الدين لكن لا اجد نفسي ملزما ان اثبت صحتها لغيري وغيري غير

ملزم بها . ليس المهم ان يؤمن الاخر بما اؤمن به من غيبيات . الفيصل بيني وبين الاخر هو المعاملة الحسنة وحسن الخلق وليس الايمان او عدمه .

لا دليل قطعي على اعتقاد غيبي حسب تصوري حتى لو كان مدعم بنصوص مقدسة . لانها حمالة اوجه (لو كان من استدل عليه مؤمن يؤمن بها بطريقة اخرى) ولا محل لها من الاعراب (لو كان من استدل عليه ملحد)

لو كان من استدل عليه مؤمنا فسندخل في اشكالية شخصها الامام علي قبل اكثر من 1400 عام وهي ان القران (حمال اوجه) لذلك بامكانه ان يغلبني بسهولة من خلال تأويل النص او مواجهة النص بنص اخر . ولو كان من استدل عليه ملحدا فلا يمكنني باي شكل من الاشكال ان استدل عليه بنص لا يؤمن بصحته وفي نفس الوقت لا املك دليل اخر سوى تأملاتي الشخصية وهي ايضا لا تلزم الملحد بشيء . لا اريد الا ان اثبت حقي في ان اؤمن بالغيب وحق غيري في ان لا يؤمن به . طالما لا يوجد تبعات لهذا (الايمان او انعدامه) تلغي الاخر .

حين اقول للملحد (انا اؤمن بوجود ملائكة)

سيجيبني (وما هو دليلك)

اقول له (دليلي النص المقدس الذي اؤمن به)

سيجيبني (هذا النص ليس حجة علي لاني لا اعترف بصحته هل لديك دليل اخر؟؟؟)

اجيبه (شعوري الداخلي)

يجيبني (شعورك الداخلي لا يلزمني بشيء واحتفظ به لنفسك)

من الممكن ان اتفلسف عليه واتذاكى واقول له (ان الايمان بوجود شيء غيبي يستلزم عدم تمكنك من ادراكه بحواسك والا لما سمي ايمان) او اقول له (ان هناك الكثير من الاشياء التي نعترف بوجودها لكنها غير مرئية) او اقول له (ان الملائكة كائنات يستحيل ادراكها من قبل الانسان لانها ليست مادية او لانها تنتمي لعالم اخر لذلك اثبات وجودها بالتجربة العملية مستحيل لاستحالة ادراك عالم الغيب بالحواس) ... الخ من المغالطات الفلسفية القابلة للرد لانها لا يمكن باي حال من الاحوال ان تنتهي الى نتيجة قطعية . الايمان حالة يدعمها الشعور الداخلي والتأمل اكثر مما يدعمها الاستدلال .

لا سلطة لاحد على مصادرة حقي في اعتناق اي فكرة غيبية لكن في حالة واحدة فقط يجب ايقافي عند حدي ووضعي في السجن او في مستشفى الامراض العقلية او في مزبلة التاريخ. وهي حين ادعو الى الغاء الاخر باسم السماء .

تعتقد شريحة لا يستهان بها من الملحدين ان الايمان هو مرحلة من مراحل تطور الفكر البشري والتجربة البشرية والبقاء عليه لحد الان في زمن (العلم) يعد تمسك بمرحلة انتهت . وتعتقد شريحة لا يستهان بها من المؤمنين ان الألحاد مجرد لوثة فكرية واوهام . ومن يعلن الحاده هو شخص مختل عقليا يحتاج ان يراجع طبيب نفسي . لا الالحاد مرض ولا الايمان مرض...الغاء الاخر هو المرض الفعلي الذي يجب استئصاله وعلاج صاحبه .

بين نظرية التطور ونظرية التصميم الذكي مفارقة عجيبة

لست مهتم بنظرية التطور ولست مهتم بنظرية التصميم الذكي مع احترامي لكلا النظريتين وكل منهما قد تكون صحيحة وقد لا تكون وفي كلتا الحالتين الموضوع لا يفرق عندي شيء فتفسير الوجود لن يغير من حقيقة ان واقعنا قمة القسوة .

من الامور المملة والمضجرة هي ان المؤمنين التبشيريين يبشرون بنظرية التصميم الذكي ويضعونها في مواجهة الالحاد . والملحدين يبشرون بنظرية التطور ويضعونها في مواجهة الايمان . والجدير بالاهتمام ان الاعتقاد بصحة نظرية التطور ليس حكرا على الملحدين فهناك مؤمنون علميون يعتقدون بصحتها الى درجة كبيرة مثل الداعية عدنان ابراهيم والذي يرى ان تلك النظرية تقترب من الافاق القرانية بنسبة كبيرة ولا تتناقض معها بل تدل عليها مثل الاية القرانية (يزيد في الخلق ما يشاء) وغيرها من الايات .(35) والاعتقاد بصحة نظرية التصميم الذكي ليس حكرا على المؤمنين فهناك ربوبيين (لا دينيين) يؤمنون بصحتها ومن ابرزهم الربوبي الذي عدل عن ألحاده انطوني فلو .يقول فلو : (ان دقة نظام الكون وما عليه الطبيعة من نظام وانتظام , يشير الى وجود مصمم ذكي)(36)

من يروجون لنظرية التطور يعتبرون نظرية التصميم الذكي لا ترتقي اصلا لتسمى نظرية وهي مجرد فرضية ذات منبع ديني تستند على علم زائف ويردون على من يقول لهم ان نظرية التطور مجرد نظرية غير مثبتة بالقول (انت لا تميز بين النظرية العلمية وهي لابد ان تكون حقيقة علمية مثبتة وبين الفرضية وهي غير مثبتة ولم ترتقي بعد لتسمى نظرية لانها لم تدعم بادلة معتبرة)

اما من يروجون لنظرية التصميم الذكي فيعتبرون نظرية التطور مجرد نظرية عتيقة اكل الدهر عليها وشرب وليست حقيقة علمية . والدلائل تشير الى اضمحلالها مستقبلا لعدم صمودها امام نظرية التصميم الذكي الاكثر منطقية على ضوء اخر تحديثات العلم .

تابعت كثيرا الجدل الدائر بين المؤمنين والملحدين حول هاتين النظريتين . واستخلصت النتيجة التالية :

ان نظرية التطور تحاول اثبات ان الكائنات الحية تنحدر من كائنات اخرى اقل تعقيدا منها . والمسؤول عن ذلك هو الانتقاء الطبيعي والطفرات الجينية وعوامل اخرى . ومع ان هذه

النظرية تتحدث عن اصل الانواع ولا تتحدث عن نشاة الكون ولا تتحدث عن وجود خالق من عدمه لكنها اصبحت ايقونة الحادية وعامل استفزاز للمؤمنين بصورة عامة . لسبب بسيط وهو تناقضها حسب رأي الكثيرين مع فكرة خلق الله للانسان المذكورة في الكتب المقدسة للاديان الابراهيمية .

اما نظرية التصميم الذكي فتحاول اثبات ان التكوين البايولوجي للكائن الحي معقد لدرجة يستحيل معها العشوائية والصدفة . وان الكون مصمم لبناء العوامل الرئيسية للحياة. واي تغيير في الثوابت الفيزيائية للمادة يؤدي الى تغيير جذري في الكون . وكل ما سبق لا بد ان يقف خلفه مصمم ذكي .

اي انسان يطلع على فكرة معينة اوفرضية معينة او نظرية معينة من الطبيعي ان يفكر بها ويتأملها ويحللها في عقله ويحكم عليها . وقد يصل لنتيجة انها حقيقة وقد يصل لنتيجة انها زيف وقد لا يصل لنتيجة واضحة تجعله يتمكن من الحكم عليها . لكن هذا لا يعني ان حكمه حكم علمي يعتد به فحكمه لا يصنف اكثر من رأي شخصي وهذا الرأي يجب ان يحترم حتى لو كان غير علمي . نعم حين يدعي احدهم ان رأيه علمي وهو مجرد راي شخصي وقد يكون مزاجي لا اكثر . هنا قد وقع في فخ استغباء الذات ووضعها في (مواقف بايخة).

هل انا ملزم ان اكره نفسي بسبب (ضغوط الخجل من عدم الاعتراف بما تحول الى بديهة علمية) على التظاهر بتصديق شيء غير مقتنع به ؟؟؟ لا مكان للخجل في التعبير عن القناعات حتى لو اجمع عليها كل بني البشر من ذوي التخصص . هي في النهاية لا تتعدى كونها قناعات ذاتية .

لو ثبت لي بالدليل القاطع ان نظرية التطور حقيقة علمية لا يعني ذلك بالضرورة عدم وجود خالق . والنفي القاطع لها لا يعني بالضرورة وجود خالق . وكذلك اثبات صحة نظرية التصميم الذكي لا يثبت بالضرورة صحة الاديان . ونفيها لا يثبت بالضرورة عدم وجود خالق . لو ثبت لي الان صحة احدى النظريتين لن يتحول العالم الى مكان اجمل ولن يتغير شيء من هذا الواقع الخسيس وسيبقى هناك كم هائل من الوجع ليس له اي معنى .

الواقع لا يتغير فور اقتناع احدهم بفكرة معينة . لكن هو نفسه يتغير تغير جوهري وتتغير نظرته للواقع . دواخلنا قد تتغير وترى الواقع رؤية مختلفة . النظريات العلمية الجوهرية التي تتحدث عن (كيف جئنا ومتى والى اين نحن ذاهبون) من الممكن ان تغير رؤية احدهم للواقع . لكن الواقع سيبقى يتحرك بنفس الوتيرة وبنفس الاتجاه كما كان قبل ان يطلع هو على تلك النظرية ويقتنع بها . كل ما هنالك ان هذه النظرية لفتت انتباهه لشيء لم يكن يدركه وهذا الشيء غير طريقة تعاطيه مع الواقع .

مع اني لست مؤهل علميا لدحض نظرية التطور او نظرية التصميم الذكي بأدلة علمية لاني ببساطة لست مختص في هذا المجال . لكني مؤهل ان اكون عن اي شيء رأي شخصي قد

يكون صحيح وقد يكون خاطيء وقد يكون هجين يجمع بين الصح والخطأ وقد يكون غامض وهناك احتمال ان لا اتمكن من الوصول لنتيجة وابقى (لا ادري) . تلك النظريات يعرضها المختصين على انها حقائق قابلة للهضم من قبلنا لتكوين صورة عن حقيقة الوجود. والا لما كان هناك داعي ان ينشروها من الاساس .

ان رأي شخصي من قبل انسان غير مختص في مجال معين هو عبارة عن فهم العقل البشري لمضمون الفكرة او تصور العقل البشري لها بصورة عامة وليس بالضرورة فهم لكل تفاصيلها العلمية الدقيقة التي قد يجهل الكثير منها . هذا الرأي لا يحتاج الانسان فيه ان يكون مختص في (علم الوراثة مثلا) نعم حين يريد دحض النظرية علميا يجب ان يكون مختص وضليع بكل تشعباتها وتفاصيلها الدقيقة ويجب ان ياتي بادلة تصمد امام ادلة تلك النظرية وتطيح بها علميا . لكن بناء رأي شخصي لا يحتاج الانسان فيه ان يختص كل ما يحتاجه هو فهم مضمون الفكرة وتكوين تصور عنها والابحار ضمن حدود القدرة في بحرها ورأيه المنبثق في النهاية يسمى رأي شخصي لا اكثر ولا اقل .

العقل الانساني بصورة عامة قادر على هضم المضمون الذي لخصه لنا المختصين بسطور قليلة واراحونا من تفاصيله وتشعباته (المملة غالبا) وبالتالي العقل الانساني قادر على تكوين رأي حوله (بغض النظر عن مدى صحته) .

ما انا متيقن منه هو ان التجربة الانسانية في حالة تطور مستمر والمعرفة الانسانية تتطور وتتراكم دائما وابدا . وما انا متيقن منه هو ان البقاء للاقوى فعلا وهذا ما يقوله الواقع لكن!!! العلماء الذين يعكفون على جعل هذا الكوكب مكان افضل سيجعلون الاضعف اكثر قوة . اعتقد ان دورنا في هذه الحياة هو ان نتحدى جهد امكاننا واقع (اضمحلال الاضعف) وليس الرضوخ له . ولا اقصد هنا الانتقاء الطبيعي للانواع بالمفهوم (الدارويني) بل اقصد مفهوم اخلاقي...اقصد تحديدا (تكالب الاقوياء على الضعفاء) ذلك الطفل الذي يتعرض للتنمر من زملائه بسبب ادبه وهدوئه مثلا...ذلك العامل الذي يتعرض للاستغلال من زملائه بسبب تعامله مع الاخرين بحسن نية وبسبب روح التعاون اللامتناهية لديه...ذلك الكائن الحي مهما كان نوعه والذي يتعرض للاستضعاف والتعذيب والقتل لاسباب مختلفة منها المتعة الخالصة !!!

اما التطور البايولوجي الذي تتحدث عنه نظرية التطور فسواء كان (حقيقة ثابتة او مجرد وهم) لا اثر له على حياتي . سواء كانت تطورات تراكمية تاخذ وقت طويل جدا ياكل معه اجيال متتالية او تطورات صغيرة مرحلية . سابقى يوميا اصحو من النوم لاجدني كما انا وواقعي كما هو . ليس للتطور اثر واضح على حياتي اليومية كأنسان عادي .

الحديث عن تطور البكتريا مثلا ليس له اثر على حياتي . فحين تصيبني بكتريا سواء كانت متطورة او غير متطورة سافعل نفس الشيء وهو الذهاب الى الطبيب لاحصل على علاج

ولست مختص بطبيعة الحال لأدرس تلك البكتريا . لن تفرق عندي المعادلة شيء البكتريا هي البكتريا .

نعم المختصين في هذا المجال من الجدير بهم الاهتمام والتفحص بدقة عالية لكن انا الانسان العادي فليس بمقدوري مشاهدة ما سيحدث في الطريق للتطور من نوع الى اخر او ما قد حدث لطول الفترة الزمنية المفترض ان يحدث فيها التطور وعمري الافتراضي لا يسعفني لاشهد بنفسي شيء تأثيره على حياتي صفر بمعنى الكلمة . لا اثر يذكر للتطور البايولوجي طالما انه يحتاج فترات طويلة تأكل معها اجيال متلاحقة .

هناك ادلة وهناك ادلة وهناك ادلة ... لن يختلف من المعادلة شيء سواء كانت نظرية التطور حقيقة ام وهم . تبقى شيء لن يتحقق كليا في حياتي . لا اجد اهمية تذكر لمعرفتي ان الانسان والقرد ينحدران من سلف مشترك . ليكن ذلك حقيقة ثم ماذا؟؟؟النتائج التالية غير مترقبة في حدود عمري القصير . عمري الافتراضي لن يتعدى الثمانين سنة في افضل الاحوال . هل اهدره في تأمل صورة ستتحقق بعد اجيال واجيال واجيال وتحققها من عدمه ليس له اثر يذكر؟؟؟ لن يختلف عندي شيء لو كان جدي وجد القرد واحد فعلا .

بعد مدة طويلة جدا...من سيشهدون حدوث تطور (قياسا لواقعنا الحالي) لن يشعرون به لانه يحدث تدريجيا ولمدة طويلة وقد يكونون في ذلك الوقت يدرسون احفوريات زماننا ليتأكدون هل هم اسلاف لنوع اقل تعقيد منهم ام لا . ونحن لن نكون موجودين بينهم لنلمس هذا التطور . التطور الملموس فعلا هو التطور المعرفي فنحن الان قياسا بنا قبل عقد من الزمن تطورنا كثيرا . قفزنا قفزات هائلة . هذا التطور الذي يستحق ان نلتفت اليه فهو امر واقع لا يمكن نكرانه . قال احدهم مرة وهو من المتحمسين لنظرية التطور (ان التطور المعرفي للبشر مرتبط بنظرية التطور) هذا التطور المعرفي انا اصدقه صدق اليقين ما الذي يزعجك اذن سواء كنت اصدق التطور البايولوجي ام لا هل يفرق عندك شيء ؟؟؟ انكاري للتطور البايولوجي او تصديقي له لماذا يجب ان يجعلني جاهل او عاقل ؟؟؟

التصميم الذكي لن يغير من المعادلة شيء ايضا ...هناك مصمم ذكي خلف هذا الكون وكل ما يجري فيه يجري وفق نظام دقيق يهيء الفرص لوجود حياة . ما الذي تغير؟؟؟ لا شيء. لا زال هناك اشياء غامضة تجري من حولنا نحتاج ان نحصل على اجوبتها بشدة . وجود مصمم ذكي لا ينفي الحاجة الى اجوبة ملحة لاسئلة جوهرية . ولا ينفي وجود كم هائل من المعاناة بحاجة الى تفسير .

على فرض صحة اي من النظريتين...الطريق الوحيد امامنا هو اشباع فضولنا نحو الاشياء التي نجهلها . بالعلم والفكر الحر والتأمل . اما دور الايمان فهو دفع الانسان للارتقاء الروحي ومنحه الشجاعة ليواجه استفهاماته ويبحث لها عن اجوبة تقترب من الحقيقة جهد الامكان . الايمان الذي يمنح اجوبة جاهزة تقتل الاستفهام لا يطور الانسان البتة .

لو ان العلماء الذين ساهموا في الارتقاء بالبشرية من البدائية الى ما هي عليه الان اكتفوا بالاجوبة الخرافية القديمة او بأجوبة رجل الدين (اي دين كان) الذي يصر بالحاح انه يملك جواب لكل سؤال محير ...هل كانوا سيصلون بنا الى واقعنا الحالي ام سيشبع ذلك الجواب فضولهم ويتوقفون عن البحث ؟؟؟

ما الذي يميز العلم الحقيقي عن العلم الزائف؟؟؟

العلوم الحقيقية حسب اعتقادي هي العلوم التي تعود بالنفع على جميع البشر دون استثناء . مثل الطب والصيدلة والهندسة وغيرها من العلوم التي يحتاجها اي انسان على وجه الارض دون استثناء . لكن ماذا عن العلوم التي لا تشكل حاجة عامة للجميع بل لفئات معينة من البشر هل هي زائفة ؟؟؟ في تقديري الحكم عليها نسبي فهي زائفة لا نفع لها بالنسبة لفئة من البشر وحقيقية مهمة بالنسبة لفئة اخرى .

قد يكون علم الاحجار الكريمة بالنسبة للكثيرين علم زائف لكنه بالنسبة لمن يهتمون به علم حقيقي له اثر على حياتهم . قد يكون علم الفضاء بالنسبة لشخص مصاب بمرض مستعصي مجرد علم زائف لانه لا يوفر له علاج يخلصه من المعاناة ومجرد هدر للاموال دون معنى . نعم الابحاث العلمية التي تحاول ايجاد علاج لمرضه هي بالنسبة له علوم حقيقية مستعد ان ينفق عليها كل ما يملك . العلوم الدينية بالنسبة للمتدينين علوم حقيقية لانهم يحتاجونها لكنها بالنسبة للملحدين علوم زائفة .

(الحاجة) حسب تصوري هي من تحدد ما هو زائف وما هو حقيقي وليس (جهة معينة) كل جهد بشري ينتج نتاج فكري او مادي يشكل حاجة لمجموعة من البشر هو علم حقيقي في نظرهم على الاقل حتى لو كانت هذه الحاجة بالنسبة لغيرهم وهمية . هي بالنسبة لهم حاجة حقيقية (نفسية في اقل تقدير) .

هكذا افهم العلم : (جهد بشري لتفسير الواقع وتحسينه و سعي الانسان لاشباع فضوله) العلوم التي تعود بالنفع على الجميع وتشكل حاجة ملحة هي علوم حقيقية لا جدال فيها . لكن كل ما عداها من منافع نسبية تتفاوت اهميتها من مجتمع الى اخر ومن شخص الى اخر الاعتراف بها نسبي بالضرورة وهي حقيقية هنا ووهمية هناك .

الجدير بنا ان ننصب تمثال في كل بلد لمكتشف لقاح شلل الاطفال الامريكي جوناس سالك . هذا عالم حقيقي نفع جميع البشر دون استثناء منفعة ملموسة على ارض الواقع . خصوصا اذا علمنا ان هذا الرجل العظيم رفض تسجيل اللقاح الذي اكتشفه (كبراءة اختراع) لينتفع به جميع البشر .

العلوم الدينية علوم حقيقية ولكن!

بما ان العلوم الدينية حاجة لمليارات البشر ولا يمكن عمليا ان يتفرغوا جميعهم لدراستها والتخصص بها فهي علوم حتى لو كانت في نظر الاخرين مجرد حشو . هي في نظر المهتمين بها حاجة ماسة وهم مليارات البشر (على اختلاف اديانهم) العلوم الدينية بحد ذاتها علوم ليس لان هناك مليارات البشر يهتمون بها فحسب بل لانها افادت وتفيد باحثين في مجالات اخرى (مؤمنين وغير المؤمنين على حد سواء) كمن يدرسون التاريخ او تطور التجربة البشرية او طبيعة الانسان في عصور خلت او اي مجال اخر . من لا يؤمنون بصحة الاديان يستندون في كثير من ابحاثهم على العلوم الدينية لاثبات بطلانها وهذا يعني انها مادة بحثية مهمة حتى بالنسبة لمن يريدون دحضها . العلوم الدينية تحوي في طياتها تاريخ واخلاق وفلسفة و اسلوب حياة وتفسير للوجود . الانسان قادر على تعقلها وهضمها وتقييمها بالضرورة لانها وجدت لاجله ولانها معدة اصلا كي تعقل وليس كي تطبق تطبيقا اعمى واذا طبقت دون فهم ودون وعي فهذا يعني انها ولدت ميتة . لكن هذه العلوم الدينية لا يمكن ان تقفز على علوم اخرى ومن الظلم ان ابحث عن تفسير غيبي لظاهرة لها تفسير علمي . او ان احاول دحض العلم المثبت بالفكر الديني . هذا ظلم للعلم والدين معا.

من حق الانسان ان ينكر الغيب بناءا على قناعة ذاتية فهو في النهاية سيحاسب وحده على قناعاته (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لكن ليس من حق رجال الدين دحض العلم المثبت بالفكر الديني بل العكس هو الصحيح عليهم دحض التراث الذي ينافي العلم المثبت . وهم الزموا انفسهم بذلك حين قالوا ان الدين لا يناقض العلم . هؤلاء الذين يصرخون ليل نهار (ان الدين لا يناقض العلم) بدل ان يربطوا تلك الاية بهذه النظرية ويدعون انهم اكتشفوها قبل الغرب باكثر من الف عام . لينظفوا التراث من التفاسير والراويات التي تناقض العلم المثبت لو كانوا حقا يؤمنون ان الدين لا يناقض العلم المثبت !!!

حلم

لا ابحث عن نظرية تفسر الوجود بقدر بحثي عن شيء يجعل هذا الوجود المليء بالوجع اكثر منطقية واقل قسوة . اريد الاستيقاض في عالم اقل وحشية واقل دموية من هذا العالم . لا اريد عالم طوباوي (مثالي) فالمثالية ليست جميلة دائما بل قد تكون مملة . لا اريد الحرير والاستبرق . اريد ان اجتمع باهلي واصدقائي مرة اخرى في مكان يشبه هذا العالم لكن اقل وحشية .

ماذا لو كان الانسان قادر على فعل الشر لكن لا يمكنه قتل انسان اخر؟؟؟ يمكنه ايذائه وقتيا فقط لان الكائن الحي من القوة بحيث لا يموت . فلو طعنه احدهم بسكين يتالم وينزف لكن يتماثل للشفاء . ولو رماه احدهم من شاهق تتكسر عظامه لكن لا يموت . ماذا لو كان الانسان يكبر لكن يتوقف في سن الخمسين؟؟؟ لا اريد شباب دائم . الوصول لسن الخمسين

والبقاء الابدي بهيئة الخمسين امر جميل ... ماذا لو كانت جميع الكواكب مؤهلة للحياة مثل الارض وينتقل كل جيل يبلغ الخمسين من عمره الى كوكب اخر ليعيش فيه ويقضي فيه ابديته ؟؟؟ماذا لو كان كل انسان قادر على انجاب طفل واحد فقط او طفلين وبعدها يصاب بعقم اوتماتيكي؟؟؟ ماذا لو كان الانسان يمرض ويعاني لكن يشفى من المرض بعد مدة؟؟؟ ماذا لو كان الشر الانساني محدود؟؟؟ يقولون ان وجود الشر في العالم يجعل للخير معنى...ليكن ذلك لكن لما لا يكون الشر محدود؟؟؟ لما كل هذه القسوة؟؟؟ لم ولن يتحول العالم الى مكان اقل قسوة الا بفضل رجال عظماء من امثال جوناس سالك مكتشف لقاح شلل الاطفال . لنعود الى ارض الواقع .

في هذه اللحظة التي اكتب بها هناك شخص يحتضر ويقف اهله يشاهدون ألمه ويودعونه بكل حزن ... في هذه اللحظة هناك شخص ابلغه الطبيب انه مصاب السرطان ... في هذه اللحظة هناك كائن حي ينتظر دوره ليذبح كي يتحول الى وجبة طعام .... في هذه اللحظة هناك سادي معتل يعذب حيوان ليمتع نفسه فقط ... في هذه اللحظة هناك زوجة طيبة تتعرض للاضطهاد من زوجها المعتل ... في هذه اللحظة هناك زوجة خائنة تخون زوجها الطيب . في هذه اللحظة هناك انسان ينتظر الموت على يد من يدعون انهم يمثلون السماء .

في هذه اللحظة ايضا هناك زوجان تزوجا منذ عشر سنوات ولم يوفقا في انجاب اطفال وابلغهما الطبيب باجمل خبر يتأملان سماعه وهو ان الزوجة حامل في الشهر الثالث ... في هذه اللحظة هناك شاب تخرج من الجامعة وامه تبكي من الفرح لان حلمها في رؤية ابنها يحصل على شهادة جامعية تحقق ... في هذه اللحظة هناك شخص انقذ حيوان من الموت وقام بايواءه ... في هذه اللحظة هناك شخص ابلغه الطبيب بشفائه من السرطان .

في هذه اللحظة حدثت اشياء مؤلمة واخرى مفرحة... لم نأتي لهذه الحياة بطلب منا ولا نملك الا ان نعيش الواقع كما هو و يمكننا ولو بالحد الادنى تقليل الالم عن انفسنا وعن الاخرين وهذه هي الغاية الوحيدة التي تجعل هذا الواقع المجبرين على التواجد فيه اقل قسوة واكثر مقبولية . فاللحظة التي ترى فيها السعادة التي تشع من عيون الاخرين بسببك هي لحظة تستحق العناء حقا.

الايمان يجعلنا نعيش حالات رائعة من التجلي . وقد يغير اشياء كثيرة في داخلنا . وقد يغير نظرتنا للواقع . وقد يجعلنا اكثر تفائلا . وقد يدفعنا لنكون اكثر فاعلية . لكن الفضول الانساني وحده قادر على قلب المعادلات الكبرى وتحويل ما هو مستحيل اليوم الى واقع غدا . قد يكون لايماني الغيبي دور في اعطائي دفعات هائلة من الامل تجعل جسدي اكثر قابلية للشفاء بسبب طاقتي الايمانية الايجابية . لكن الرهان في القضاء على الامراض قائم على العلم .

من يجيب عن الاسئلة المحيرة التي تخطر في ذهن الانسان ؟؟؟

حسب اعتقادي هناك ثلاث طرق للحصول على اجابة حول سؤال محير واستفهام شائك . فهناك طريق (التفسير الغيبي) وطريق (الفلسفة) وطريق (العلم) .

التفسيرات الغيبية

لنأخذ الظواهر الطبيعية (الزلازل او الفيضانات او غيرها) التفسيرات الغيبية التي يستنتجها نسبة من الناس تذهب الى ثلاثية (العقوبة) مرة و (الامتحان) مرة اخرى و (الحكمة الالهية) مرة ثالثة . والتفسير يتعلق بالمكان والمجتمع الذي يتعرض للكارثة . وكثيرا ما تتردد العبارات التالية (الله صب غضبه علينا بسبب سوء افعالنا) او (الله يمتحن ايماننا) او (الله له حكمة لا ندركها)

نفس المنطق ينطبق على تفسير الولادات المشوهة فهذا يقول (الله خلقه لنعتبر ونتعض) وذاك يقول (الله يعاقب الوالدين على سوء فعلهم – لو كانا غير متدينين -) او (الله يختبر الوالدين ويرى مدى صبرهم – لو كانا متدينين -) وغيرها من الاراء المزاجية .

هناك تفسيرات غيبية اكثر عقلانية ... منها مثلا المضمون التالي :

قد تكون هناك اسباب بشرية جعلته يولد مشوها كتعاطي امه للحبوب مثلا . فالله اوجد قانون تسير عليه الحياة ومخالفة هذا القانون تؤدي الى نتائج شاذة سببها الانسان . فتناول الام للحبوب في فترة الحمل له عواقب ونتائج . وقد يكون لزواج الاقارب اثر سلبي ايضا . المسؤول الاول هو من يسيء التعامل مع الواقع البايولوجي لجسده . هناك نواميس للكون . والله وهب الانسان العقل ومخالفة نواميس الحياة امر غير عقلاني وله عواقب . لذلك بعض اسباب ولادة اطفال مشوهين هو اساءة التعامل مع الجسد وعدم الشعور بالمسؤولية تجاه الجنين . ومن جانب اخر هذا الطفل الذي ولد مشوها لا ذنب له والله بكل تأكيد سيعوضه في الحياة التالية عن معاناته .

حتى هذا الجواب العقلاني قد يكون مقنع وقد لا يكون . وقد نعبر عن عدم اقتناعنا بصراحة وقد نستعيض عن هذه الصراحة بالقول (لا ادري...الله اعلم) وهذه الجملة الاخيرة كثيرا ما تستفز الملحدين لانهم يعتقدون ان من يقولها يلغي عقله وانا اختلف معهم في ذلك . صحيح ان البعض ينتهي عندهم الاستفهام المعرفي عند هذه الجملة لكنها تعبير ايماني دارج يقصد به احيانا (لا املك جواب شافي لحد الان) من يعترف بعدم ادراكه للمغزى لا يلغي عقله بل يعترف بواقعه القاصر . ومن قال لك ان هذا القول يعني ان من قاله قتل حالة الاستفهام المعرفية التي تجول في عقله بالضرورة ؟؟؟

التفسيرات الفلسفية

يقول سبينوزا متحدثا عن مفهوم الخير والشر في الوعي الانساني : فبعد ان ايقن الناس ان كل ما يحدث انما يحدث من اجلهم , رأوا ان قيمة الاشياء متوقفة على مدى افادتها لهم , وان اكثرها جودة اكثرها تحقيقا للمتعة . وهكذا تكونت عندهم تلك المعاني التي يدعون انها تساعدهم على تفسير طبائع الاشياء , وهي معاني الخير والشر , والنظام والفوضى , والحر والبرد , والجمال والقبح , كما نشات لديهم عن اعتبار انفسهم احرارا , معان اخرى كالثناء والتوبيخ , والخطيئة والاستحقاق... فقد سمى الناس خيرا كل ما ساعد على الصحة وعبادة الله , وشرا كل ما خالف ذلك . ولما كان الذين لا يملكون معرفة بطبيعة الاشياء لا يثبتون عنها شيئا , بل يتخيلونها فحسب ويظنون الخيال عقلا , كانوا يجزمون بوجود نظام في الاشياء , جهلا منهم بطبيعتها وطبيعتهم على حد سواء... وبالتالي فان ما يبدو خيرا لبعضهم يبدو شرا للبعض الاخر , وما يكون منظما في اعتقاد بعضهم يكون مشوشا عند البعض الاخر , وما يروق لبعضهم يتقزز منه البعض الاخر , وهكذا دواليك (انتهى) .(37)

يتحدث سبينوزا عن اعتقاد الانسان انه محور الكون وكل شيء يحدث لاجله وان انطباعات الانسان عن الخير والشر محورها التصورات الذاتية للانسان التي تنطلق من واقعه الشخصي وليس من المعرفة الحقيقية للنظام الطبيعي الكلي . فالانسان يحكم على الشيء كونه خيرا او شرا بناءا على اثره عليه هو ... لا زلنا في حلقة مفرغة فما يقوله سبينوزا لا يعطي جوابا شافيا . لماذا ؟؟؟ لان محور الاستفهام هو (وجود معاناة غير مبررة) واذا كان النظام الطبيعي لا يكترث لامري ويعمل كل جزء منه دوره الطبيعي دون الالتفات لأثر هذا الدور على الجزء الاخر فالعبثية هي الحاكمة اذن ؟؟؟ لماذا يجب ان يكون الشر بالنسبة لي هو خير بالنسبة لغيري . لماذا يجب ان يموت الأيل ليعيش النمر ؟؟؟ الرؤية الفلسفية لا تلغي الاستفهام بالضرورة . نعم هي تعطي رؤية جديدة للوجود لكن هذه الرؤية لم تلامس السؤال الملح (لماذا هناك ألم غير مبرر)

ارجو ان لا يفهم القاريء ان القصد من مفردة (ألم) هو (الشعور بالألم) ويقول ان الشعور بالالم رحمة للانسان لانه ينبهه على وجود خلل معين . ليس هذا ما اعنيه . ما اعنيه تحديديا هو الاسباب التي تقف خلف شعور الانسان بالالم وليس وجود الالم بحد ذاته كمنبه لحدوث خلل معين .

التفسيرات العلمية

ذوي الاختصاص يعللون لك غالبا اسباب الظواهر الغير منطقية . فالاطباء يجيبوك عن سبب ولادة طفل بتشوه خلقي . وقد يساعدونه من خلال تحسينهم لوضعه جراحيا . وخبراء الجيولوجيا يعلوون لك سبب الظواهر الطبيعية كالزلازل والاعاصير والبراكين . وكذلك

الحال في جميع المجالات العلمية . فالعلم يعلل في الغالب اسباب الظواهر التي تسبب الالم وقد يساعد على تقليله .

الاجوبة الغيبية والفلسفية قد تقنعك وقد لا تقنعك . فمعرفتي ان من يولد مشوها سيعوض في حياة اخرى قد يقنعني لكنه لم يجعل حال هذا المشوه افضل فلا زال مشوه ولا زال يتألم . ومعرفتي اني لست محور الكون ولا يعمل كل شيء لاجلي كما يقول مضمون كلام سبينوزا لا يجعل الحياة مكان افضل . لكن العلم وحده يعلل لك (غالبا) السبب الحقيقي لحدوث الظواهر التي تسبب الالم ويساعدك على الارجح في تقليل الالم والخروج باقل الخسائر.

الغيب والفلسفة والعلم كل منها يجيبك وقد تقتنع وقد لا تقتنع لكن العلم وحده يخرج البشرية بأقل الخسائر . ونحن ندين بالفضل لكل الباحثين الذين اكتشفوا ادوية لعلاج الامراض المستعصية او اخترعوا اجهزة للمعاقين وغيرهم من الذين خدموا البشرية وجعلوا الحياة مكان افضل من السابق.

ما هو دور الايمان اذن؟؟؟

الايمان قوة دافعة نحو المعرفة والتأمل وفي حال لم يكن كذلك فهو مجرد معلومات موروثة لا قيمة لها...الايمان حالة روحانية ورابطة وجدانية بين الانسان وكل ما هو غامض في هذا العالم...من يدعي ان الدين يحوي كل النظريات العلمية ليتقدم اذن وينافس جهابذة العلم في مختلف المجالات منافسه (قبلية) وليس (بعدية) اي ان يأتي بالفكرة قبل ان تكتشف وليس ان يربطها بعد ان تكتشف بنصوص دينية ويدعي انها تدل عليها . ليأتي بنظرية جديدة او اكتشاف جديد ويدل الناس عليه ويثبت كلامه بادلة وسيخرس بذلك كل الالسن .

الدين خطوط عريضة وقواعد اخلاقية وحوادث تاريخية منها ما هو مطلق ونافع لكل زمان ومكان ومنها ما هو نسبي يرتبط ارتباط وثيق بزمانه فقط...معرفة كل شيء كلمة فضفاضة لا معنى لها ... فما هو (كل شيء) في منظورك انت؟؟؟ وما هو (كل شيء) في منظوري انا؟؟؟ الموضوع نسبي فقد يكون كل شيء بالنسبة لي هو معرفة ما بعد الموت وقد يكون كل شيء بالنسبة لك هو معرفة هل هناك حياة في مكان اخر من الكون ام لا ؟؟؟ وقد يكون كل شيء بالنسبة له هو معرفة هل من يحبها تبادله المشاعر ام لا .

الايمان قوة دافعة لمعرفة كل شيء (مهما كان هذا الايمان) وليس جواب لكل شيء...الايمان حالة تجعلك تشعر انك قادر على تحقيق هدفك... يعطيك القوة للوصول للهدف...يجعلك تؤمن بقواك وقدراتك... يجعلك اكثر قدرة على تأمل كل ما في هذا العالم من غموض .

الايمان والعلم والحقيقة ... اذا تضارب العلم مع الايمان في تفسير الحقيقة اين اتجه؟؟؟ هذا يعتمد على مفهوم الايمان بالنسبة لي ... هل الايمان حالة روحانية تجعلني اكثر قوة؟؟؟ هل الايمان نصوص اقرأها لاحصل على ثواب؟؟؟ هل الايمان تفسير للوجود؟؟؟هل هو كل ما سبق واكثر؟؟؟

حين ابحث في مسألة فقهية اسأل الفقهاء ولا اسأل علماء الكيمياء وحين ابحث عن تفسير لظاهرة فلكية لا اسأل الفقهاء بل اسأل علماء الفلك وحين ابحث عن سبب رؤية احدهم لاوهام وهلاوس اسأل الطب . حشر الدين في كل شيء هتك لحرمة الدين ولحرمة العلم . مهمة الايمان ان يجعلني اكثر قوة و صلابة ويجعلني اكثر بصيرة في محاولة تلمس الحقيقة مهما كانت ومن اي طريق كانت (الدين او العلم او الفلسفة او التأمل الذاتي)

الايمان عكس العلم...العلم يشترط الدليل ليسمى علم...مفردة علم ترادف مفردة جهد...اما الايمان فهو توقيع على بياض...اؤمن بوجود عالم اخر دون ان اراه وهذا الايمان لا يحتاج الى جهد...لو اردت ان اعامل الايمان بقواعد العلم فسأنسف ايماني بأقل من دقيقة...لا يختلط الماء بالزيت...هكذا ارى الايمان والعلم .

صالحت بين ايماني الغيبي واحترامي للعلم . ولا اجد تناقض بين ان اتصور ان سبب هذه العاصفة الرملية هو قدسية هذا اليوم الحزين مثلا وبين التفسير العلمي الذي يعلل سببها بدقة. لكن حين يسألني احدهم عن سبب العاصفة الرملية فساحتفظ برأيي الغيبي لنفسي او قد اذكره مع التأكيد على انه اعتقاد غيبي اشعر به واعيش حالة روحانية معينة بسببه لكن ليس لدي دليل يثبته ولا اكترث البتة في ان اثبته ولا يعنيني بشيء انكار غيري له وغالبا ما احتفظ به لنفسي . هيئة الانواء الجوية تملك التعليل النمطقي العلمي وهي من تملك الاجوبة المؤكدة حول المناخ . اما ايماني الغيبي فهو حقي الطبيعي ولا يضر احد بشيء طالما انه لا يلغي الاخر . لا يوجد مشكلة في التفسيرات الغيبية للظواهر طالما ان من يفسرها يعلم ان هناك اليات محددة لحدوثها يفسرها العلم لكن هذه الاليات لا تناقض الايمان الغيبي في شيء البتة .

حقائق شتى ... لا حقيقة واحدة

الحقائق نسبية من جهة ومتعددة من جهة أخرى . فما أعتقد أنه حقيقة هو سراب بالنسبة لغيري وما يعتقد به غيري هو وهم بالنسبة لي .

يقول جلال الدين الرومي: الحقيقة كانت مراة بيد الله وقعت وتشظت , كل فرد اخذ قطعة منها , نظر اليها وخال انه يملكها كاملة.(38)

وحتى النظريات العلمية محل نقاش وإعادة نظر وقد تاتي نظرية اخرى اكثر رصانة تناقضها فتحولها من نظرية علمية محترمة الى نظرية خاطئة عفى عنها الزمن . لذلك لا يمكن الإعتماد على العلم اعتماد كلي يقيني في تحديد موقف من عقيدة معينة .

من النظريات القديمة التي تفسر الوجود والتي عفى عنها الزمن نظرية مركزية الارض . واول من قال بها هو العالم اليوناني بطليموس في القرن الثاني بعد الميلاد وتقول هذه النظرية ان الارض هي مركز الكون والشمس والقمر والنجوم تدور حولها . الى ان جاء عالم الفلك البولندي نيكولاس كوبرنيكوس في القرن السادس عشر الميلادي وتوصل حسب حسابات فلكية الى نظرية مركزية الشمس وان الارض هي من تدور حولها . وفي القرن التالي جاء العبقري الايطالي غاليلو غاليلي الذي اثبت تلك النظرية من خلال التلسكوب.(39)

نظرية مركزية الارض في وقتها كانت صحيحة . كانت هي النتيجة المثلى . ولولاها لما وصلنا لما نحن عليه الان . هي مرحلة مهمة تمثل الحقيقة حسب الوعي البشري في تلك الحقبة. واتصور ان الكثير من النظريات العلمية التي اصبحيت بديهيات في عصرنا من الممكن ان يثبت بطلانها يوما ما . لما لا؟؟؟ كل شيء وارد .

يقول المفكر ضياء الشكرجي (الله بالنسبة لي لا يعرف بالدين، ولا ينفى بالعلم، بل يستدل عليه بالفلسفة، أو الأدلة العقلية)(40)

العقل قد لا يصدق بعض الاشياء الممكنة خصوصا اذا كانت غير مالوفة. لو كنا في القرن السابع عشر وجائنا شخص عبقري يسبق زمانه وقال لنا (استطيع بطريقة معينة ان اجعل من هم في دولة تبعد عنا الاف الكيلومترات يستمعون لصوتنا ويرونا كأننا قربهم) ماذا سيكون رد فعلنا ؟؟؟

لن نعقل ما يقوله وسنتهمه بالجنون والهرطقة والسحر . ماذا لو كان هناك عبقري بيننا الان (يدعي اشياء نحن نراها بعقولنا التي لم تألفها بعد غير ممكنة لكنها قد تكون ممكنة مستقبلا؟؟؟) ماذا لو كانت بعض الافكار التي نراها غير معقولة هي معقولة وممكنة لكن عقولنا لا تتقبلها؟؟؟

لحد هذه اللحظة عقلي يقف منبهرا امام الهاتف و التلفاز فكيف بشخص كان يعيش في القرن السابع عشر؟؟؟

العقل غير مأمون الجانب فقد لا يعقل اشياء ممكنة (بل حقيقية جدا) وقد يصدق اشياء وهمية (لولا علمه المسبق في كونها مجرد خدع) فالكثير من حيل السحرة تنطلي عليّ وأقف امامها منبهرا ولا استطيع ان اصدق ان ما حدث خدعة بل اراه شيء خارق للطبيعة مع انه خدعة واعلم جيدا انه خدعة لكن عقلي لا يدرك اين تكمن الخدعة لذلك يقف منبهرا بها .

قد يقول قائل الحديث عن خدعة الساحر لا يقاس به ويختلف تماما عن الحكم على فكرة او نظرية او فرضية .

اذا كان العقل من الممكن ان يخدع بصريا لما لا يكون هناك احتمال ان يخدع ادراكيا في اماكن اخرى ليس لديه علم مسبق في انها خدعة (كما الالعاب السحرية)؟؟؟ فما يجعلني اشعر بيقين ان الساحر لا يقوم بسحر ليس عقلي النبه بل علمي المسبق في ان الالعاب السحرية مجرد العاب خفة . ماذا لو كان الكون يلعب علينا بعض ألعاب الخفة؟؟؟!!!

يقول رينيه ديكارت : وعلى كل حال فقد اكون مخدوعا , وقد لا يكون الا قليلا من النحاس والزجاج ذلك الذي اعتبره ذهبا وماسا .(41)

خدعة الساحر قابلة للاختبار ومن الممكن فعلا اكتشافها حتى من قبل من لم يرونها سابقا . لكن ماذا عن الاشياء التي لا يمكن اختبارها ؟

يقول الكاتب البريطاني ديفيد ايك : وظيفة العقل هي استقبال الحقيقة عن طريق الفصل , اللغة , الانظمة , التدرج , القوانين , الزمان , المكان والشخصية . هذه مهمته... ان يمنح الوعي الاكبر مثل هذه الاختبارات . المشكلة تكمن في كون البشر تقولبوا في العقل واتحدوا فيه لدرجة انه اصبح هويتهم , هو و حس الاستقبال فيه , وبالتالي باتوا يؤمنون بأن التجارب التي يحيونها ويختبرونها هي حقيقتهم . هي هم . لكن البشر لم تنس حقيقتها الابدية المجردة بعامل الفطرة والطبيعة (انتهى) .(42)

ما هو الحل اذن هل نترك العقل ؟؟؟

كلا قطعا لكن ما يترتب على امكانية تعرض العقل للخداع الادراكي حسب اعتقادي هو عدم (الانكار المباشر او التصديق المباشر) لكل فكرة او فرضية او نظرية تبدو غير معقولة في اي مجال كانت . فكل الاحتمالات واردة وتأمل ما يحيط بنا مليا وتلمسه بعناية خير طريقة نقضي بها ايام عمرنا القصير .

نعم ما يجدر بنا انكاره بشكل مباشر ودون تفكير هو اي شيء يخالف الضمير فصوت الضمير لا يخدع ابدا . و كل ما يخالف الضمير مرفوض سواء كان تحت عنوان ديني او تحت عنوان علمي فلا يوجد ما يبرر القسوة تحت اي عنوان . فانتهاك حرمة الكائن الحي شيء يرفضه الضمير (كأتخاذ النساء جواري) هنا او (القيام بتجارب علمية على بشر او حيوانات قد تكون نتائجها مريعة) هناك .

لما لا تكون احدى النظريات التي كانت تبدو سخيفة وغير معقولة من قبل المختصين في مجالها هي اكثر النظريات عبقرية واكثرها ملامسة للحقيقة ؟؟؟ لكن غرور بعض العلماء جعلهم يسخرون منها ويرفضون مناقشتها من الاساس لذلك اضمحلت واندرست ولم يجرأ

احد على الخوض فيها مرة اخرى لان اسم لامع قرر ان يتذاكى ويمارس عجرفته العلمية وفوت علينا بذلك فرصة ان نكتشف حقيقة من حقائق الكون .

صاغ الباحث الفيزيائي لويس دو بروجلي نظرية فيزيائية تتناقض مع بديهيات الفيزياء لكنها في النهاية أعتبرت أنجاز كبير في عالم الفيزياء . قال عنها باحث فيزيائي اخر هو بول اهرنفست (لو أن ما يقوله صحيح معنى هذا أني لا أفهم شيء في الفيزياء) أجابه أينشتاين (لا الفيزياء أنت تفهمها جيدا , العبقرية هي التي لا تفهمها)(43)

ماذا لو كانت نظرية البيوسنتريزم (مركزية الحياة) للعالم والطبيب الامريكي روبرت لانزا صحيحة ؟؟؟ هذه النظرية التي تعتمد على العلم في محاولة اثبات ان الموت ليس نهاية المطاف كما يتصور الكثيرون . الجسد يموت فعلا لكن الوعي لا يموت حسب هذه النظرية فالوعي طاقة موجودة في الدماغ والطاقة حسب بديهيات الفيزياء لا تفنى ولا تستحدث من فراغ . تستند هذه النظرية في فهم ماهية الوعي على الفلسفة وتستند عمليا على النتائج التجريبية لفيزياء الكم (دراسة الجسيمات التي تتراوح بين المستوى الذري وما دون الذري)(44)

التالي هي مقتطفات من مقال لروبرت لانزا يوضح فيها ابعاد تلك النظرية :

ان احد الجوانب المعروفة جيدا في فيزياء الكم تقول انه لايمكن التكهّن برصد الأشياء لدرجة دقيقة وقطعية،الا ان هنالك مدى معين يكون فيه هذا الرصد ممكنا لكنه يختلف من حالة الى أخرى بحسب الأحتمالات المرتبطة بتلك الحالة.،واذا القينا نظرة على احد التفاسير لهذا الأتجاه التفكيري، نجده يتمثل في موضوع (العوالم المتعددة) والقائل بأن كل واحد من هذه الأحتمالات الممكنة سيتوافق مع كون او فضاء مختلف وهو مايدعى بالتعدد الكوني...ان النظرية الجديدة التي تدعى بالـ(بايوسنترزم)تعمل على تكرير وتنقية هذه الأفكار.فهنالك عدد لانهائي للأكوان وكل الأشياء الممكن حدوثها يمكن ان تحدث في بعض هذه الأكوان،وهنا فأن الموت يعتبر حالة لانراها موجودة في أي من هذه السيناريوهات...وبالرغم من ان الأجساد المفردة تتجه الى حالة التدمير الذاتي،فأن شعور الأنسان الحي والذي نستطيع وصفه بالمتسائل دائما(من أنا؟) لايمثل الا ينبوعا صغيرا من الطاقة يقدّر بـ 20 واط فقط من مجموع الطاقة العاملة في الدماغ.الا ان هذه الطاقة لا تتبدد عند الموت،وان اخذ اكثر البديهيات تأكيدا في العلم تقول ان الطاقة لاتموت ابدا،وهي كذلك لايمكن خلقها كما لايمكن تدميرها... أن الفضاء والزمن لايعدان العوامل الصلبة المطلقة كما نعتقد... ان كل شيء تراه وتشعر به الآن عبارة عن دوامة من المعلومات تتمثل في عقلك،وببساطة...فأن الفضاء والزمن هما أداتان تقومان على جمع الأشياء مع بعضها البعض... الموت غير موجود في حالة العالم اللافضائي و اللازماني،وفي النهاية حتى أينشتاين اعترف قائلا: الآن...(رحل بيسو-صديق قديم له-من هذا العالم الغريب قبلي بقليل).هذا لا يعني شيء!،ان الناس ممن هم مثلنا يعلمون ان الأختلاف بين الماضي

والحاضر والمستقبل ماهو الا وهم متكرر بصورة عنيدة.أن مفهوم الخلود لايعني الوجود الأبدي الدائم في زمن بلا نهاية،الا انه يعطي اشارة تفيد بامكانية التواجد خارج الزمن بشكل كلي (انتهى) .(45)

يؤكد سبينوزا نفس المعنى فلسفيا في قوله : (لا يمكن للنفس البشرية ان تفنى تماما مع الجسم , بل يبقى منها شيء ازلي)(46) كما ان الاديان السماوية وغير المساوية تتفق مع نفس المضمون في ان هناك حياة اخرى بعد الموت . لكنها قد لا تتفق مع التفاصيل .

ليس الغاية من المرور على لمحات من هذه النظرية اثبات وجود حياة بعد الموت فهذا امر غيبي جدا حتى لو اثبته العلم بالتجارب يبقى التحقق منه مرتبط بالموت نفسه . فحتى من يؤمنون بدين لدرجة اليقين يبقى تخيلهم للتفاصيل المذكورة في نصوصهم المقدسة مبني على خيالهم المحض وليس على واقع ملموس .

المشكلة الكبرى تكمن في ذلك المؤمن الذي قد يقول لك (اي نظرية تثبت وجود حياة بعد الموت؟؟؟ ماذا افعل بتلك النظرية ولدي دين سماوي اخبرني بوجود حياة بعد الموت) والمشكلة العظمى تكمن في ذلك الملحد الذي قد يقول لك (اي نظرية تثبت وجود حياة بعد الموت؟؟؟ هذا علم زائف لا قيمة له ... ما اراه بعيني هو ان الانسان يموت ويتحلل ويتفسخ ويتعفن فاترك عنك هذا الهراء الذي يلبس لباس العلم)

يقول الطبيب النفسي دايفيد شاينبرج: أن الأفكار هي دوامات من الطاقة قادرة على أن تتحوّل لتصبح ثابتة ومتحجرة صارمة. وهذه الدوامات المتحجرة الكثيفة تعبِّر عن نفسها كآراء ثابتة ورؤية صارمة للحقيقة وموقف لا يتغير (انتهى) .(47)

لما لا تكون اكثر الافكار غرابة واكثر الفرضيات جدلا واكثر النظريات اثارة . صحيحة ؟؟؟ قد تكون صحيحة وقد لا تكون لكن استبعادها من قائمة الممكنات هو قتل لكل ما في هذه الحياة من اثارة ومتعة في محاولة معرفة حقيقة الوجود . اكثر المحبطات في محاولة الاستفهام وتلمس الواقع هو مؤمن يرفض كل ما هو خارج حدود الفكر الديني وملحد لا ياخذ اي فكرة على محمل الجد الا اذا كانت تتوافق مع اجوائه الالحادية المادية . والنموذجان موجودان على ارض الواقع . وما يحرك فضولهما حسب ظني هو الانحياز في احيان كثيرة .

كانسان ميال لفتح الباب على مصراعيه امام جميع الاحتمالات مهما كانت لا يمكنني ان اقطع جازما بصحة شيء او عدم صحته . قرأت قبل فترة معلومة تقول ان مجرة درب التبانة ستصطدم بعد اكثر من ثلاث مليارات سنة مع مجرة اندروميدا ... لا اعطي اهمية كبيرة لهكذا معلومات التحقق منها يحتاج ان ابقى اكثر من ثلاث مليارات سنة على قيد الحياة وهذا امر مستحيل ... الطب قال لستيفن هوكنغ انه سيموت بعد اربع سنوات حين كان في عقده الثاني والان هوكنغ في نهاية عقده السادس .

لم اجد شيء يجعل الحياة ممتلئة اثارة اكثر من فتح الباب امام جميع الاحتمالات . ولم اجد شيء يزيد الحياة رتابة اكثر من الجمود (الايماني او الالحادي). مناقشة جميع الاحتمالات بجدية يجعل جميع نوافذ الحياة مفتوحة وقابلة للنقاش . و يجعل كل شيء من الممكنات على عكس الثبات واليقين الذي يجعل كل النوافذ مغلقة الا نافذة اليقين وحدها لا غيرها .حين يكون كل شيء وارد بمعنى الكلمة يكون للحياة طعم اخر ولون اخر .

تقول الكاتبة والمفكرة اللاادرية (يهودية الاصل) ليزلي هازلتون :الشك هو الاساس...تمعّن معي وصف جراهم جرين للشك بأنه (هو صلب الموضوع) فعند استبعادك لكل أنواع الشك، فما بقي ليس إيمان، إنما هو اعتقاد مطلق لا جوهر له (انتهى) . (48)

اليقين (بالفكر الديني الموروث او بالفكر الالحادي) كالوصول للمحطة الاخيرة والنزول من قطار الاثارة والترقب الى واقع الرتابة والجمود . اما الشك فهو كقطع تذكرة جديدة في كل مرة تنتهي بها لعبة الشغف لمعرفة ما يختفي خلف كل ما هو غامض في هذا العالم . الشك ليس امر سيء . الشك هو من اوصل المنظومة المعرفية الى ما هي عليه الان وهو ما سيطورها لاحقا .

يقول الكاتب محمد عبد القادر الفار : خارج إطار الحياة، لم يعد أحد ليخبرنا هل هي النهاية أم هي استمرار أو بداية من نوع ما ... ورغم أن بوسعنا ومن داخل حقل الحياة اكتشاف ذلك، إلا أننا لاغترابنا عن حقيقة وجودنا ... فزعنا من الموت... وأفسحنا المجال للنخب التي استطاعت السيطرة على عقولنا وحياتنا عن طريق "الخوف من الموت" .... احتكارها لتفسير الموت وسلطتها على المجهول،، واحتكارها للتواصل مع العالم الآخر جعل لها كامل السلطة علينا ... لذلك بدأ التزاوج بين السلطة والكهنة منذ بداية التاريخ الذي نذكره،، والذي لم يعد بإمكاننا أن نتعقبه إلى ما قبل بدء ذلك الاغتراب عن حقيقتنا .... دون أن يكون كل ما سبقه مجرد تزوير كامل .... تزوير التاريخ،،، بحيث يبدأ التاريخ الموثق ما بعد لحظة الاغتراب ... ويكون كل التاريخ الذي سبقه إما مروي بشكل مزيف وضمن مصالح الطبقة التي تمثل تزاوج السلطة مع الغيب... والتي لجأت إلى جعل الموت لحظة يبدأ معها فيلم رعب يجب لئلا يكون رعبا الالتزام بأسلوب حياة وتفكير لا يتعارض مع مصلحة تلك النخبة في استمرار حالة الاغتراب المعرفي ... أو – في الحالة الثانية- يصبح الانسان مستسلما للنظرة المادية التي لم تعد واثقة أنه يمكن اختبار أي شيء خارج حقل الحياة المادية... وبالتالي يصبح الموت نهاية لا قيامة بعدها... وهذا لا يتعارض عادة مع مصلحة النخب ... فالاهم بالنسبة لها هو الابتعاد عن الحقيقة الروحية ... سواء بطرق روحية مزيقة .. بين قوسين (كذا وكذا) ... او بالمادية والإلحاد التام (انتهى) .(49)

الواقع (الذي قد لا يصدق) هو ان الفكر الاصولي الديني قد لا ينفعل امام الفكر المادي الوجدي القائل (بعدم وجود حياة بعد الموت) بقدر انفعاله امام الفكر الروحاني الحر المبني على التأمل الذي قد يتبنى افكار ما ورائية لا تنسجم مع الفكر الاصولي التقليدي . والسبب

ببساطة هو ان الفكر المادي المحض يوازي الفكر الاصولي ولا يتصل معه ابدا . اما الفكر الروحاني الحر الذي ينطلق من التأمل فيتصل مع الفكر الاصولي في اصل الفكرة لكن قد يفترق عنه في كل ما عداها . وهذا يعتبر في نظرهم اشد خطرا من الفكر المادي لانه قد يشتت مريديهم ويشوشهم .

بعض العلوم النظرية التي لا يمكن التثبت منها حسيا (من حيث انا كانسان عادي غير مختص) كل الاحتمالات حولها مفتوحة . لا يمكننا الجزم بصحتها او عدم صحتها . حتى لو بت بصحتها الف عالم مختص يبقى التحقق منها عمليا امر مستحيل على الاقل في عصرنا الحالي . ومثال على ذلك نظرية البيوسنتريزم او نظرية الكون الموازي وغيرها .

ليس هناك مفر من احترام الآخر لانه أنا بصورة أخرى

الان أنا أضحك على بعض قناعاتي قبل عشر سنوات ولا أعلم ما هو موقفي من قناعاتي الآن بعد عشر سنوات . لذلك الحقائق التي أؤمن بها تبقى نسبية وقابلة للنقاش دائما وأبدا والحقائق التي يعتقد بها الاخرون تبقى محترمة لأني قد أقتنع بها يوما ما . لذلك ليس هناك مفر من احترام الآخر لانه أنا بصورة أخرى . فقد أتحول أنا الى الجانب الآخر وقد يتحول الآخر الى جانبي والطريقة الوحيدة لاحترام الذات واحترام الآخر هي تفهمه حتى لو كانت أفكاره تبدو سخيفة لأول وهلة .

يقول برتراند راسل : (من الصحي بين الحين والآخر أن تضع علامات استفهام على الاشياء التي كانت ثوابت على المدى الطويل)(50)

تحقيق غاية أخلاقية بوسيلة فاسدة

وجهة النظر الدينية تقول ان الدين وجد لتنظيم علاقة الانسان مع الله وتنظيم علاقة الأنسان مع الإنسان الآخر . إذن الدين مسخر للإنسان ووجد من أجله . يقول الرسول محمد (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) بدأ الرسول محمد كلامه بمفردة (إنما) وهي أداة حصر . أي أن الدين بكل ما فيه محصور في هدف واحد وهو الأخلاق . لا يمكن أن تكون الغاية إتمام مكارم الاخلاق ووسيلة الوصول اليها بعيدة عن الاخلاق كالقتل والغلظة وسوء الخلق وسلب إرادة الآخرين باسم حماية الدين وتنظيف المجتمع من الرذيلة !

اكبر كذبة على وجه الارض حين يدعي احدهم انه حريص على الدين والاخلاق فيقوم بسلب ارادة من يراهم هو (بلا اخلاق) بسبب مظهرهم الخارجي او سلوكهم . وقد يسلب حياتهم او يعذبهم لا لشيء الا لتقويم اخلاقهم او تخليص المجتمع من شرهم فيقوم بذلك (بتشويه ذاته هو قبل غيره) . اوضح نموذج للغباء المركب هو حين احاول علاج سلبية بسلبية اكثر فداحة منها.

قال الإمام علي موجها كلامه لمن خذلوه : وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ (اعوجاجكم) وَلكِنِّي واللهِ لاَ أَرى إِصْلاَحَكُمْ بَإِفْسَادِ نَفْسِي.(51)

الغاية لا تبرر الوسيلة فلو كانت غايتي هي جعل شخص معين يترك سلوك يعود عليه قبل غيره بالضرر كشرب الخمر مثلا (غاية أخلاقية سامية) لا يمكن أن تكون وسيلتي تعذيبه وتقطيع أوصاله لإجباره على ترك الخمر (وسيلة فاسدة) فقد يترك الخمر خوفا مني لكنه سيبقى يتمنى شربه في أي لحظة وابتعاده عنه ليس سوى أمر وقتي سببه الخوف . إذا كنت أريد تحقيق هذه الغاية فعلا فيجب أن أبرز عضلاتي في التأثير على الآخر والولوج الى عقله وروحه وهذا هو الإنجاز الانساني العظيم الذي يستحق الاحترام وهو تحقيق غاية سامية بوسيلة سامية . اما حين أختبأ خلف المقدس فلا اعبر بذلك الا عن ضعفي وعدم قدرتي على التأثير بالناس .

حسنا ... اذا تمكن رجل الدين او المتدين من اخراج شخص يشرب الخمور من (الملهى) وادخاله الى (المسجد) بملىء ارادته ودون اي ضغط و اي تخويف ساقف له احتراما وسارفع له القبعة ويستحق في ذلك الحين ان نحيي ذكراه ونشيد له نصبا تذكاريا .

المؤسف ان واقعنا فيه طرفي نقيض . فنسبة من الذين يشربون الخمور متطرفين ايضا بل احيانا (وضعاء) خصوصا حين يقومون بالتبول في الشارع او يقومون برمي القناني الفارغة من نافذة السيارة او يقودون السيارة برعونية . بل ان مكان تواجد الملاهي الليلية بحد ذاته غير معقول . هل من المعقول ان تتواجد ملاهي ليلية قرب مناطق سكنية؟؟؟ واقعنا لا معقول في كل شيء ومتطرف في كل شيء . لا يحل مشاكلنا الا دولة مدنية قوية توقف كل من يتطاول على حياة الاخرين عند حده سواء كان متدين او غير متدين .

المفارقة ان المفاسد التي يرتعد منها نسبة من الناس الذين اخذوا على عاتقهم (حماية الدين) معظمها شكلية او خيارات شخصية او مضرتها ذاتية تعود على الشخص نفسه بالدرجة الاساس وهي غالبا ما تؤثر على (الشكل الظاهري للمجتمع) الذي يتسم بالوقار . اما المفاسد التي تعود بالضرر على الجميع فلا يرتعدون منها بنفس الطريقة وينتقدونها على استحياء (كالنفاق و الكذب و الدجل وغيرها) فهذه الاشياء لا تخل بوقار المجتمع .

قد تجد رجل دين يصرخ بكل ما اوتي من قوة وغضب ضد الاحتفال بعيد الحب وقد يسميه (خرق اجتماعي) لكن نفس الرجل حين ينتقد النفاق كحالة سلبية لن تراه يتحدث بنفس القوة والانفعال ولن يقول عنه (خرق اجتماعي) لان الانفعال لا يرتبط بالاخلاق بالضرورة لكنه يرتبط ارتباط وثيق باي شيء يخل بوقار المجتمع (الظاهري) .

يقول السيد المسيح: 1 لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، 2لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. 3وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ 4أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ 5يَامُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!(52)

ويقول الإمام علي : مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْأجْلاَلِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.(53)

يتطور الفكر الديني

حين يكون العلم المثبت متنه والاخلاق المطلقة سنده المتصل

هل الاخلاق نسبية ام مطلقة

حديثنا عن الاخلاق هنا ليس حديثا عن النموذج المثالي للاخلاق وما يجب ان نرتقي اليه لنكون مثاليين . وليس حديث عن صور طوباوية (خيالية) نحتقر بها الواقع لعدم ارتفاعه اليها . بل هو وصف للواقع (كما نراه) مصحوبا ببراهين عقلية وشواهد واقعية. وهذا الوصف وتلك البراهين نسبية بالضرورة حتى لو كان كاتب السطور يجزم بصحتها او يرجح صحتها . ومنبع نسبيتها هو وجود وجوه متعددة للحقيقة دائما وابدا . وطبيعة العقل البشري تفرض نسبية احكامه واستنتاجاته . حين نقول نسبية لا نعني بالضرورة عدم الثقة بصحتها . بل الثقة المطلقة بضرورة مراجعة اي شيء مرة اخرى لو اثبتت ادلة جديدة عدم صحته .

من يحدد ما هو اخلاقي وما هو غير اخلاقي؟؟؟ولماذا هناك افعال اخلاقية في مكان وغير اخلاقية في مكان اخر؟؟؟ قد نفعل شيء في مكان ولا نشعر بالحرج ونفعل نفس الشيء في مكان اخر ونشعر بالحرج لانه هنا اخلاقي وهناك غير اخلاقي .

ولماذا هناك افعال اخلاقية في كل مكان وزمان واخرى على النقيض منها غير اخلاقية في كل مكان و زمان ؟؟؟

هناك اشياء لا تستطيع ان تعبر عن حبك لها في اي مكان في العالم حتى وان كان هناك من يمارسونها على نطاق واسع تحت عنوان زائف يجعلها ضرورة مبررة . فلا تستطيع في اي بقعة من العالم ان تقول (انا احب القتل بحد ذاته لانه يشعرني بلذة ترضي وتشبع الاعتلال النفسي الذي اعاني منه). وفي نفس الوقت في كل مكان عمل الخير يعتبر امر اخلاقي حتى لو لم يكن الجميع يُقبلون عليه لكنه يبقى في نظرهم عمل ايجابي .

الاخلاق المطلقة (العامة)

هناك افعال مرفوضة وغير اخلاقية ويستقبحها البشر في كل مكان و زمان و مجتمع مثل(القتل والسرقة والظلم...ألخ) وافعال اخرى مقبولة واخلاقية ويستحسنها البشر مثل (عمل الخير و مساعدة الضعيف و انصاف المظلوم...ألخ)

يقول باروخ سبينوزا : حتى لو كنا لا نعلم ان انفسنا خالدة , فان الاخلاقية والدين , وعلى وجه الاطلاق كل ما بينا انه يتعلق برباطة الجأش والمروؤة والاريحية , ستظل في نظرنا امورا رئيسية (انتهى) .(1)

حين نقول يستحسن البشر عمل الخير لا نعني ان الجميع يلتزمون بفعل الخير . وحين نقول يستقبح البشرعمل الشر لا نعني ان الجميع لا يفعلون الشر . بل نقصد ان الخير والشر محور رئيسي لافعال الانسان سواء اقدم على الخير ورفض الشر او اقدم على الشر ورفض الخير . لان من يفعل الشر يعي جيدا ان الشر عمل سيء لذلك يفعله خفية او يتحجج بحجج تجعل عمله اضطراري واجبر على فعله . ومن لا يحب عمل الخير ولا يهتم لامر الاخرين قد يتظاهر بحبه لعمل الخير او يقوم بعمل الخير لاجل غايات اخرى لانه يعلم ان عمل الخير جيد.

ما هو مصدر كل هذا ؟؟؟ ليكن مصدرها الفطرة الالهية او المجتمع او الوعي الجمعي للمجتمع الناتج عن تطور التجربة البشرية وتشكلها... ليكن المصدر ما يكن ليس مهم... المهم هو وجود هذه الاعتبارات على ارض الواقع .

فمن ينصاع لرغباته ويقوم بأختلاس اموال يعرف جيدا ان الاختلاس فعل سيء ومرفوض اخلاقيا لذلك يفعله خفية ولا يكتب على صفحته في الفيس بوك (المهنة :مختلس) وحتى امام ذاته يخلق مبررات لفعله كي يتصالح مع تلك الذات المهزومة امام اللذة . فيقول في نفسه انه اختلس المال لانه مضطر لذلك بسبب صعوبة العيش مثلا او لتلبية رغبة ملحة في نفسه او ان من سرق منهم يستحقون ذلك . وقد يجد مبرر مقدس لعمله فقد يقول في نفسه انه اخذ المال من يد الكفار او العلمانيين اعداء الله وسيقوم بصرفه في اوجه يرضى عنها الله . والقاتل يتحجج احيانا بقتله لفلان بحجة انه يشكل خطر على المجتمع وهو بقتله يريد حماية المجتمع من شره . ولا يقول علنا ان فلان الذي قتله يتعارض مع مصالحه مثلا او قتله حبا في التسلط على المجتمع . اذا شاهدت مسلسل تلفزيوني فيه شخصية انتهازية . هل تتوقع ان الشخص الانتهازي الذي يشبهه على ارض الواقع سيعبر عن حبه له امام الناس حين يشاهده مثلا؟؟؟ قطعا لن يفعل لان قيمة هذه الشخصية اجتماعيا سلبية ومرفوضة . محور عرضه لنفسه امام المجتمع هو ما ابلغه وعيه انه مقبول .

في جانب اخر السيئون يتظاهرون بعمل الخير لانه قيمة عليا في الوعي الانساني الجمعي . ومن الجيد كسب ود الناس من خلال التظاهر بفعل ما ترتضيه الفطرة . وهذا ما يفعله الكثير من الانتهازيين والمرائين .

المجتمع يضع روبن هود في خانة الابطال مع انه سارق!!! لانهم يضعون فعله تحت عنوان (تحقيق العدالة الاجتماعية) وليس تحت عنوان (السرقة) فروبن هود كان يسرق من الغني ويعطي للفقير . هم يضعون في ذهنهم اعتبارات اخلاقية تجعل السرقة ليست عنوانا حقيقيا

فأخذ مال من الغني الجشع عديم الاحساس وانفاقه على اطعام طفل جائع امر ايجابي في الاعتبارات البشرية لانه يحقق العدالة الاجتماعية . الموضوع لا يتعلق بأستحسان السرقة بل بأستحسان تطبيق العدالة الاجتماعية.

لا يمكن للفعل السيء ان يتحول الى قاعدة ومحور للسلوك البشري . فالسارق المحترف لا يمثل (نموذج عام) يحتذى به حتى في نظر من يحتذي به ويحاكيه . كيف ذلك؟؟؟ لانه يحتذي به وهو يعلم ان ما يفعله يخالف الاخلاق العامة للبشر ولا يحتذي به كقدوة لجميع البشر . ولماذا لا يتحول الى قدوة لجميع البشر مع ان فعله يؤدي الى اكبر منفعة بأقل جهد ؟؟؟ لو تركنا فكرة انعدام المرؤة في استيلاء الانسان على املاك غيره جانبا وتحدثنا عن النتائج فقط . فالنتيجة ستكون وخيمة لو كان السارق (قدوة عامة) فهذا يعني ان اصول اللعبة ستكون اني معرض للسرقة في اي وقت ومن اي شخص وبامكاني سرقة اي شخص في اي وقت وهذا سيحول العالم الى كتلة من الفوضى الخلاقة .

يقول ايمانويل كانت : بإمكان العقل الاكثر انتشارا (بين البشر) ان يميز من دون تلقي توجيه , الصورة التي تجعل المسلمة صالحة لتشريع شامل عن تلك التي لا تصلح , فهي مثلا انني جعلت لي مسلمة ان انمي ثروتي بكل الوسائل المضمونة . والان بين يدي وديعة توفي صاحبها ولم يترك قيدا فيها . هذه طبعا حالة لمسلمتي . الان اريد فقط ان اعرف : هل يمكن ان تصلح تلك المسلمة لأن تكون ايضا قانونا شاملا , ويكون علي حينئذ ان اطبقها على الحالة التي امامي وأسأل هل بالامكان ان تأخذ فعلا صورة قانون , وهل استطيع بالتالي ان اعطي في الوقت نفسه عبر مسلمتي قانونا كهذا : يحق لكل انسان ان ينكر وديعة ليس بوسع احد ان يثبت ايداعها . هنا ادرك على الفور ان مبدأ كهذا , بوصفه قانونا , سوف يلغي نفسه بنفسه لأن النتيجة عنه سوف تكون القضاء على كل وديعة . ان قانونا عمليا , اعرف عنه انه كذلك يجب ان يثبت جدارته لاعطاء قانون شامل (انتهى) .(2)

التلاعب بالالفاظ اخذ دوره في وصف الاشياء السيئة . فالقبيلة التي تغير على قبيلة اخرى لتنهبها تسمي ما تفعله (غزوة) . و الجميع موافق على اصول اللعبة فالقبيلة التي يتم غزوها لا تشعر بالظلم بل تشعر بالعار لان قبيلة اخرى تمكنت منها . الموضوع اشبه بلعبة التحدي. اي فرد من الافراد الذين ينهبون قبيلة اخرى تحت عنوان (غزو) حين تقول له انت سارق يشعر بالاهانة . فهو ليس سارق بل (غائر) يقوم بعمل بطولي في وضح النهار. ونفس الشخص يستنكف ان يسرق من جاره شيء تافه لان هذا العمل غير اخلاقي لان عنوانه الواضح هو السرقة .

الطفل حين يعتدي على طفل اخر يتحجج غالبا بان الطفل الاخر هو من ضربه اولا . وهذه الحجة تجعل اعتدائه ضرورة وليس عمل غير اخلاقي لان وعيه اخبره ان هذا العمل سيء ويجب ان يتذرع بذريعة تجعله ضرورة ودفاع عن النفس . هل اكتسب هذا الوعي من

المجتمع ام هو فطرة ألهية؟؟؟ مهما كان الجواب يبقى الواقع الملموس هو ان الطفل غالبا ما يكون واعي في سن مبكر لهذه القيم الانسانية سواء خالفها او طبقها .

شواذ عن القاعدة

هناك شواذ عن القاعدة محور سلوكهم ليس الاخلاق العامة المطلقة فهم منفصلين ذهنيا عن الوعي الجمعي الانساني ومعيار الاخلاق عندهم هو (الممكن) فكل ما هو ممكن عندهم اخلاقي بالضرورة . وليسوا كأقرانهم الذين يرتكبون (الشر) تحت غطاء (الخير) بل يرونه خير فعلا كما هو دون مواربة ودون مداراة للمجتمع . ومثال على هذا نسبة من القتلة المتسلسلين الذين يعترفون بقتلهم لضحاياهم بكل اريحية وكل برود ولا تلمس عندهم اي شعور بالندم او حتى تظاهر بالندم . لكن هؤلاء لا يمكن باي شكل من الاشكال ان تتحول قواعدهم الاخلاقية الى قوانين انسانية . من يعترف بجريمته بهدوء وفخر وراحة هو يعتقد انه فعل الصواب لان كل ما يستطيع فعله اخلاقي بالضرورة لان الاخلاقيات عنده مرادفة للممكنات .

بالمناسبة رجال الدين على اختلاف مذاهبهم لا ينكرون وجود اخلاق مطلقة ثابتة يهتدي لها الانسان دون ان يتعرف على دين ولا ينكرون دور العقل بل ان الشيعة يضعون العقل احد مصادر استنباط الحكم الشرعي لكن اين تكمن المشكلة؟؟؟ المشكلة تكمن (حين تجد شيء لا يوافق العقل) هل تتوقع ان يقال لك ان هذا برهان عقلي وهو حجة لك ومبرء للذمة؟؟؟ كلا قطعا سيقال لك ان هذا الشيء الذي تراه غير معقول هو معقول لكن عقلك قاصر عن ادراك معقوليته اي انك ملزم ان تعقلن ما هو غير معقول (في نظرك) ليكون للبرهان العقلي وجود.

الاخلاق النسبية المتغيرة

هناك اخلاق نسبية متغيرة تتمثل (بأسلوب الحياة وطقوس المجتمع وعاداته وغيرها من الامور) وتختلف من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان ومن مجتمع الى مجتمع وتتأثر بعوامل عدة منها الحركة الاجتماعية وتطورها والجغرافية والطقس والتأثر بالمحيط والوازع الديني والواقع الفكري وربما عوامل اخرى . ففي مكان تجد فعل معين اخلاقي وفي مكان اخر تجده غير اخلاقي . وفي حقبة زمنية يكون اخلاقي وحقبة زمنية اخرى غير اخلاقي . المجتمعات تتطور وتتغير تأثرا بعوامل عدة. من الممكن ان يتغير مجتمع معين في اسلوب حياته وبشكل تدريجي ولاسباب مختلفة وعوامل مختلفة كما حدث في اوربا واخذ هذا التحول وقت طويل نسبيا .

يقول رينيه ديكارت : وانه لمفيد ان نعرف شيئا عن اخلاق الامم المختلفة , حتى يكون حكمنا على اخلاقنا اصح , وحتى لا نظن ان كل ما خالف عاداتنا هو سخرية ومخالف للعقل , كما هو دأب الذين لم يروا شيئا . ولكن اذا اسرف المرء في صرف الوقت في

السفر فانه ينتهي الى ان يصير غريبا في بلده . ومن اسرف في التطلع الى ما كان يحدث في العصور الخالية ظل في العادة شديد الجهل بما يقع في زمانه (انتهى) .(3)

الاخلاق النسبية المتغيرة هي المعظلة الكبرى في نظر نسبة من الناس . فقد يقول احدهم (انظروا الى واقع الانحلال الاخلاقي في الغرب وكيف ان الغرب وقع في حبائل الشيطان...ألخ)

هو على الاغلب يعلم جيدا ان كل ما يحصل في الغرب يحصل عندنا تماما لكن بشكل مخفي . لكنه غير مكترث لوجود هذا الواقع من عدم وجوده . هو يكترث لاظهاره علنا فقط. نعم يشعر بارتياح اذا اخفى المجتمع تلك السلوكيات لكن لا يكترث للوقوف عليها ومعالجتها (بما انه حريص على المجتمع) بل لا يعترف بوجودها من الاساس . لذلك يرددون دائما (هذه حالات فردية ومجتمعنا ولله الحمد مجتمع ملتزم متدين يخشى الله ورسوله... ألخ) هكذا يخلقون النفاق وهكذا يدفعون الناس للتظاهر بخلاف باطنهم . بل هم يرتاحون لتحول المجتمع الى مجتمع منافق يتظاهر (بالفضيلة الظاهرية المألوفة) لارضائهم فقط والتخلص من ردود افعالهم . معظم امراضنا الاجتماعية تستفحل بسبب هؤلاء . انت لست محور العالم ولا يدور كل شيء حولك .

هل القانون هو الفيصل بين الناس ام الانفعالات؟؟؟ يُفترض ان لا يُسمح لاحد ان يتدخل في خصوصيات الاخرين سواء كان (متدين حشري) قرر ان يحشر انفه بما لا يخصه او (سكير فوضوي) قرر في لحظة سكر ان يتحرش باحداهن . هؤلاء المعربدون اسميهم (الارهاب الناعم) فهم لا يقتلون البشر لكنهم يعتدون على خصوصياتهم ويرهبوهم بسلوكياتهم الغير منضبطة . وهم في نفس الوقت مشروع ارهابيين وهذا الكلام ليس جزافا بل واقع فعلي فالكثير من الارهابيين كانوا مدمني مخدرات او منحلين اخلاقيا ثم فجاة وبقدرة قادر تحولوا الى تائبين ومحبين لله ورسوله . من الممكن ان يتحول المدمن او الضائع الى عالم الاصولية حتى لو لم ينظم الى مجموعة ارهابية .

لنأخذ مثلا الداعية السعودي فيحان الغامدي الذي عذب ابنته حتى الموت . كان الغامدي يوما ما مدمن مخدرات كما قال بنفسه في حوار تلفازي ثم تحول الى داعية يحاول مساعدة غيره من المدمنين على العودة الى الطريق المستقيم .هناك دائما فرصة اخرى في الحياة ... المدمن من الممكن ان يعود للحياة الطبيعية بل ممكن جدا ... لكن حين يتحول المدمن الى داعية ثم بعدها يقوم بتعذيب ابنته حتى الموت فهناك مشكلة ضخمة تتمثل في امكانية التحول من ظلمة الى ظلمة اخرى قد تكون اكثر وحشية من الظلمة الاولى .

نعود للاخلاق النسبية المتغيرة... حين نسخر من عادات مجتمع معين او طبائعه وطقوسه ونعدها غير عقلانية او مضحكة او سخيفة نحن في الواقع ننطلق من واقعنا نحن... واقعنا النسبي المرتبط بتجربتنا الخاصة...لو شاء القدر ان نولد في ذاك المجتمع الذي نسخر منه

او نعده غير عقلاني لكنا جزءا منه يتعقله ويدركه ويستوعبه كل الاستيعاب وقد نسخر من المجتمعات الاخرى لانها ليست مثلنا.

يقول ديكارت : في الحق اني حينما كان جهدي مقصورا على ملاحظة اخلاق الناس فاني لم اجد فيها موضعا ليقين , ولحظت فيها من التباين نحو ما لحظته من قبل في اراء الفلاسفة . وقد كان اكبر ما حصلته من فوائدها , انني لما رأيت امورا كثيرة , تبدو لنا من الشطط والسخرية , ومع ذلك فان امما عظيمة تجمع على قبولها والرضا عنها , فانني تعلمت الا اعتقد جازما في شيء ما بحكم التقليد او العادة وكذلك تخلصت شيئا فشيئا من كثير من الاوهام , التي تستطيع ان تخمد فينا النور الفطري وتنقص من قدرتنا على التعقل (انتهى).(4)

الانسان يرى كل الافعال الضرورية اخلاقية

الشعوب البدائية لا تقتل الاضاحي البشرية تحت عنوان حب القتل بل للضرورة فالالهة طلبت منهم ان يضحوا ببعض الناس بطقوس معينة ليكسبوا رضاها . وحين يقوم نفس الشخص الذي يذبح الاضاحي بقتل جاره بدون سبب سيستنكر عليه المجتمع هذا الفعل لانه اعتداء سافر لا يحمل اي عنوان يجعله ضرورة . كذلك الداعشي الذي يذبح المرتد لا يقتل جاره تحت عنوان حب القتل المجرد . لا بد ان يخترع مبرر يجعل القتل ضروري .

افلاطون هذا الفيلسوف العملاق الذي يقول (إن الذي يتوق إلى الحب الحقيقي ينبغي له منذ صباه أن يسعى في الاتصال بالأشكال الجميلة) هذا الفيلسوف الذي نذر نفسه للدفاع عن الاخلاق والمثل العليا . نفسه يرى بوجوب تقنين قتل الطفل ناقص الخلقة في المدينة الفاضلة!!! لماذا يفكر من يرفع شعار الاخلاق والمثل العليا بهذه الطريقة؟؟؟ لانه يرى هذا الفعل ضروري لبناء مجتمع مثالي . وهذه رؤية اي مختل عقليا لديه قدرات كلامية ومستوى معين من الذكاء الاجتماعي على مر العصور . كل ما هنالك ان بعض المختلين خدمتهم الظروف والبعض الاخر لم تخدمهم.

قبل مدة شاهدت صورة لمسلخ في دولة من دول جنوب شرق اسيا يذبح الكلاب ليبيع لحمها وتعرض الكلاب حية في المسلخ . ردود افعال الناس كانت الشعور بالاشمئزاز من هذا الفعل . لكن من شعروا بالاشمئزاز انفسهم يجدون اكل لحم الخراف امر مألوف وطبيعي واخلاقي . اعتدنا نحن ان الكلب صديق وفي . واعتادوا هم ان الكلب طعام . ما نراه غير اخلاقي هم يرونه ضروري واخلاقي . النباتيين والمدافعين عن حقوق الحيوان يرون فعل كلا الطرفين غير اخلاقي .

في الحروب التي تجري بين بلدين...حين يخرج الجندي من المنزل تعلم امه انه ذاهب ليحمل سلاح بيده ومن الممكن ان يقتل انسان اخر له ام تنتظره مثلها تماما وقد يقوم الاخر بقتل ابنها . لكنها لا تشعر ان حمل ابنها لسلاح قاتل فعل غير اخلاقي بل تراه واجب مقدس

لان هناك ضرورة لحمله وهي (حماية الوطن والمواطن) . لو قام ابنها بحمل السلاح لقتل ابن الجيران لن تودعه بنفس العاطفة الجياشة بل قد يغمى عليها .

ضرورات فعلية وضرورات زائفة

هناك ضرورات زائفة اي انها اعطيت عنوان الضرورات وهي ليست كذلك . تخيل ان العلاقة توترت بين حكومتان في بلدين متجاورين ووصل الاشكال الى طريق مسدود وحشد كلا منهما جيشه . ماذا لو ان الجيشين امتنعا عن القتال وتركا الحكومتين (يصطفلوا بيناتهم) كما يقول السوريين؟؟؟ هل كان القاء القنبلتان الذريتيان على اليابان ضرورة؟؟؟ قبل فترة شاهدت حوار مع اخر امريكي على قيد الحياة شارك في القاء احدى القنبلتين كان يتحدث بطريقة توحي انه قام بعمل بطولي ثم استدرك قائلا لو انه كان من سكان احدى المدينتين لما غفر لامريكا فعلتها لكنه يرى ما فعلوه ضرورة . هل ما فعلوه ضرورة؟؟؟اليابان نفسها ليست ملاك طاهر ففي احتلالها للصين وكوريا قامت بأفعال يندى لها الجبين . هل كان ما فعلته اليابان ضرورة؟؟؟ هل كل الحروب التي جرت في هذا العالم ضرورية؟؟؟الحرب ليست ضرورة فعلية دائما . نعم الدفاع عن النفس ضرورة ملحة تتوقف عليها الحياة. لكن ليست جميع الحروب التي ترفع شعار الدفاع عن النفس اندلعت فعلا لهذا السبب.

هناك ضرورات يتوقف عليها وجودنا ويحركنا في فعلها (غريزة البقاء) وهي حتما اخلاقية لان انعدامنا من الوجود لن يجعل للاخلاق معنى فوجود الاخلاق الانسانية مرتبط بوجود الانسان . يوميا نقتل ملايين البكتريا صباحا حين نغسل ايدينا . لكن هذا القتل اخلاقي ومقبول لانه ضرورة والموضوع ليس شخصي فلا البكتريا تعرفني وتريد بي السوء ولا انا اعرفها واريد بها السوء كل منا يريد البقاء لا اكثر ولا اقل. اعتبار سلوك معين اخلاقي يرتبط ارتباط كبير بضرورته بغض النظر سواء كانت هذه الضرورة فعلية ام زائفة . لا نتحدث عن صحة اعتباره ضرورة بل عن واقع اعتباره ضرورة .

الاخلاق المطلقة العامة تميز الضرورات الفعلية عن الزائفة

اعتقد ان الاخلاق المطلقة هي من تحدد ما هو ضروري فعلا وما هو غير ضروري (واعطي عنوان الضرورة ليصبح اخلاقي) وليس العكس . فالاقتتال لاسباب سياسية تافهة ليس ضرورة لكن اعطي عنوان الضرورة ليصبح اخلاقي . اترك عنك المثاليات والحكم والكلام الانشائي الذي لا يسمن من جوع . لو نظرنا للموضوع من منظور المصلحة فمن مصلحتنا ان نضع (الاخلاق) معيار (للضرورات) وليس العكس . وكل ما يجري في العالم من تدمير وتحطيم للقيمة البشرية وتحت عناوين مختلفة دينية او وطنية يجري بسبب وضع (الضرورات) معيار لما هو اخلاقي ولو كنا عكسنا المعادلة ووضعنا الاخلاق المطلقة ميعار رئيسي لما هو ضروري لكان العالم مكان افضل بكثير .

يقول الامام علي : لو كنّا لا نرجو جنّة، ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنّها ممّا تدلّ على سبيل النجاح.(5)

المصلحة تقتضي ان نلتزم بالاخلاق . علي بن ابي طالب يفترض عدم وجود عائد مترتب على الاخلاق في حياة اخرى . ومع ذلك لا زال الالتزام بالاخلاق ذو منفعة بل المنفعة الاكبر تترتب على الالتزام بها بسبب رؤيتنا لجمالها وليس لبحثنا عن مكسب اخروي منها .

الاخلاق بناء انساني جاء الدين ليتممه

حين يقول الرسول انه جاء ليتمم الاخلاق ماذا افهم من ذلك ؟؟؟ افهم ان هناك بناء مشيد الى مرحلة معينة وجاء ليتممه (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)...(انما - اداة حصر) اي ان البعثة محصورة بهذا الغرض(اتمام مكارم الاخلاق) و هي موجودة في الوعي الانساني الجمعي . اعد هذه الاخلاق الى اي مصدر تشاء... يبقى الواقع الفعلي ان الرسول محمد كما قال جاء ليتممها . اي ان وجودها مرتبط بوجود البشر بغض النظر عن مصدرها . وحين نتأمل مفردة (أتمم) توحي ان الجزء الاكبر من البناء كان موجودا فعلا . اي ان الدين يتمم . تأمل لم يقل (بعثت بالاخلاق) او (بعثت لابدل الاخلاق) .

فهم الدين يقع تحت سطوة الاخلاق المطلقة وليس العكس

لما لا يكون هذا البنيان في جزئه الثابت المطلق هو المعيار في صحة ما يرد من نصوص وروايات وتفاسير للنص المقدس ؟؟؟

لما لا تكون الاخلاق العامة (رفض السرقة ورفض القتل ورفض الظلم وحب عمل الخير وحب مساعدة الناس والشعور بالراحة بعد انقاذ حياة احدهم ...الخ) هي المعيار الرئيسي للحكم على تفسير النص المقدس او صحة رواية معينة من عدمها وليس العكس؟؟؟

ما تراه (غير اخلاقي) واقنعت نفسك انه (اخلاقي) لان هناك رجل دين فسر لك اية قرانية او رواية بطريقة تبيح لك ان تنتهك حرمة الاخر فأنت هنا مسخت (البنيان) الذي لم يأتي الدين الا ليتممه لا اكثر . الفطرة الرافضة لكل ما هو سيء هي من تحدد ما هو صحيح وما هو غير صحيح من الدين وليس العكس .

قد يبحث احدهم بسبب نزوة شخصية عن رجل دين يجعل (العمل الذي لديه رغبة جامحة لفعله مع ادراكه لعدم اخلاقيته) عمل مقبول شرعا .

هو في الواقع يعلم ان ما يريد فعله غير اخلاقي ومرفوض لكنه مهتم جدا للعثور على شخص يلقي على عاتقه الفعل الذي يعلم في اعماقه انه غير اخلاقي ليحترق بدله في النار لاحقا .

لا يمكن ان تتجاهل الصوت الالهي الذي يصدح في عقلك وقلبك ووجدانك وضميرك وتتوقع الحصول على السلام الابدي السرمدي . هو ذلك الصوت الذي يصيح بقوة بلا اخلاقية ما تنوي فعله . انت تعلم جيدا ان ما تريد فعله لا اخلاقي لكنك لست مهتم . فغاية ما تريده هو ان يضمن لك احدهم الاحتراق عوضا عنك في جهنم لو ثبت بعد الموت حرمة ما فعلت .

ما تريد فعله تحت غطاء شرعي ثابت الحرمة حسب اعتقادي فور شعورك انه لا اخلاقي وفيه اثار اجتماعية سلبية لذلك هذا الافتراض في ان هناك من (يشيل القضية) عوضا عنك لا اساس له . لان هذا الصوت الذي تجاهلته هو من يفترض ان يكون حجة عليك . وليس من يحلل لك القيام بما ترفضه الفطرة حجة لك .

صوت العقل (شيخ الاسلام الاكبر) وصوت الضمير (اية الله العظمى)

صوت العقل هو شيخ الاسلام الاكبر والميزة التي يفترض ان تميز الانسان عن غيره (كَذلِكَ يُبَيّنُ الله لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الخطاب عام وموجه للجميع ويدعو لاستخدام العقل . وفي اية اخرى يذم القران ترك العقل (إِنَّ شر الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ) وبطبيعة الحال لا يقصد الله المصابين بالصم والبكم العضوي بل يقصد من توقفوا عن استخدام العقل مع قدرتهم على استخدامه فهؤلاء حسب القران شر من يدب على الارض .

والصوت الداخلي المتركز في عمق الذات الانسانية والذي يصدح بعدم اخلاقية الفعل الفلاني الذي يبحث له الانسان عن مخرج شرعي يجعله اخلاقي هو اية الله العظمى (ويريكم اياته في الافاق وفي انفسكم)

حين اشعر ان الفعل الفلاني الذي اشتهي فعله من الممكن ان تترتب عليه نتائج سلبية اجتماعيا لكني اتجاهل هذا الشعور وذلك الصوت وابحث عن فتوى تحلل هذا الفعل فانا هنا كفرت بشيخ الاسلام (العقل) وباية الله العظمى (الضمير)

كنا نتحدث انا واحد الاصدقاء عن موضوع كان يبحث له عن مخرج شرعي وهو يعلم جيدا ان له اثار سلبية اجتماعيا فقلت له لنفترض انك وجدت من يفتي لك بأباحة هذا الفعل الا تحسب حساب للضرر الاجتماعي الذي سيترتب عليه؟؟؟ فأجابني وبدون تردد (هو يتحمل المسؤولية) هو يعلم ان ما يريد فعله من الممكن ان يترتب عليه اثار سلبية اجتماعيا لكنه لا يكترث لهذه الاثار . كل همه ان يتحمل احدهم وزره بعد الموت ليفعل ما يريد فعله وهو مرتاح الضمير . اغلب المواضيع التي يبحثون عن مخارج شرعية لها تدور حول نزوات شخصية مختلفة غالبا ما تكون(مادية او جنسية).

يقول سبينوزا: اسمي عجز الانسان عن كبح انفعالاته عبودية . والانسان الذي تقهره الانفعالات لا يكون ولي نفسه بقدر ما يخضع لسلطان القدر , حتى انه غالبا ما يجد نفسه مجبرا على القيام بالاسوأ مع انه يرى الافضل .(6)

لماذا لا ينام الملحدين مع محارمهم؟؟؟

اذا توصل الملحد لنتيجة ان الله غير موجود لماذا لا يمارس الجنس مع محارمه؟؟؟ فما المانع من ذلك اذا لم يكن هناك رادع ؟؟؟

الواقع اني وقفت عند هذا السؤال تحديدا لان الوقوف عنده يبين لنا ما هي الاخلاق عند نسبة من الناس؟؟؟هذا السؤال يُطرح كثيرا على الملحدين من قبل نسبة من المؤمنين . ولست هنا في معرض الدفاع عن الملحدين مع اني لا اجد ضير في الدفاع عنهم . لكن سبب وقوفي عند هذا السؤال هو محاولة فهم عقلية من يطرحوه والمحبط انه يطرح كثيرا .

هو يعتقد ان عدم ممارسة الناس للجنس مع محارمهم سببه ان الله ابلغهم بحرمة هذا الفعل وتوعدهم بان يحرقهم بالنار لو فعلوه لذلك لا يفعلوه . وهذا الاعتقاد لا صحة له ولا واقع . نعم الله حرم مواقعة المحارم لكن سبب امتناع الناس عن هذا الفعل ليس التحريم وليس الايمان بوجود الله بل (الاخلاق المطلقة العامة) التي تملي على الانسان لا اخلاقية هذا الفعل. فحتى من لا دين له لا يجد هذا الفعل اخلاقي .

يقول الرازي : إنّ العقلاء قبل علمهم بالشرائع والنبوّات مطبقون على حسن مدح المحسن و حسن ذم المسيء، فإنّ من أحسن إلى محتاج، فذلك المحتاج يجد من صريح عقله حسن مدحه و ذكره بالخير؛ ولو أساء رجل إليه، فإنّه يجد من صريح عقله حسن ذمه، وهذا الحكم حاصل سواء كان ذلك الإنسان موَمناً يصدق بالأنبياء، أو لم يكن كذلك، فعلمنا أنّ الحسن والقبح مقرر في عقولهم. (انتهى) .(7)

اذهب الان الى السجون واسأل من دخلوها بسبب ارتكابهم جريمة زنى المحارم (هل تؤمنون بوجود الله ام لا)؟؟؟ اذهب الى الدول التي لا تلتزم بدين وانظر هل يبيحون ممارسة الجنس مع المحارم؟؟؟ ان مخالفة الاخلاق المطلقة لا تتعلق بالايمان الغيبي لا من قريب ولا من بعيد . فقد يخالفها مؤمن وقد يخالفها ملحد . ومعظم من يخالفوها يعلمون ان ما يفعلوه منافي للفطرة الا نسبة قليلة جدا من الشواذ الذين يعتقدون ان ممارسة الجنس مع المحارم امر اخلاقي طالما انه يتم برضى الطرفين او طالما انه ممكن .

من يلتزم بالاخلاق كجندي ينفذ اوامر سلطة عليا لا قيمة تذكر للاخلاق التي يلتزم بها فهي تشبه كثيرا التزام الجندي بواجب عسكري مزعج لا قدرة له على تركه خوفا من العواقب . فرض المحال ليس محال ... لو فرضنا ان الله اباح للانسان ان يتزوج من محارمه هل سيفعل؟؟؟من يطرحون هكذا سؤال لو كان الله اباح لهم الزواج من المحارم هل سيفعلون؟؟؟

يقول سبينوزا : ان من تقوده الخشية ويفعل الخير تحاشيا للشر لا يكون سلوكه على مقتضى العقل.(8)

اخلاق بلا دين افضل من دين يقتل الاخلاق

قال الامام الحسين موجها خطابه لجيش يزيد (ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا احرارا في دنياكم)

من كان يوجه لهم الخطاب كان يعلم علم اليقين انهم مسلمين يتشهدون الشهادتين. قال لهم (ان لم يكن لكم دين) على ماذا يدل ذلك؟؟؟ يدل على ان الدين عنده مرادف للنزعات الاخلاقية التي ترفض الشر وتُقبل على الخير ... الخلاصة هي ان الحسين بن علي لم يكن يعطي اي اهمية للتظاهر بالدين وتشهد الشهادتين . وقوله (فكونوا احرارا في دنياكم) يعطي قيمة سلبية للدين الذي يمسخ الفطرة . وفي نفس الوقت يرادف الاخلاق الذاتية (بالحرية) لذلك الحديث عن احتكار المنظومة الدينية للاخلاق ضرب من ضروب الخيال .

الغريب ان هناك اشخاص حين يشاهدون شخص يقوم بفعل لا اخلاقي يقولون (هذا الشخص بلا دين) هم يظنون ان من لديه دين فقط يلتزم بالاخلاق وفاتهم ان ابشع الافعال اللا اخلاقية تم ارتكابها تحت غطاء الدين . فالقتل بدم بارد والاغتصاب تحت عنوان الاسترقاق وانتهاك الحرمات والسرقة التي اعطيت عنوان غنائم وقائمة طويلة من اللااخلاقيات تم ارتكابها جميعها بعنوان التقرب الى الله . نعم من يفعل فعل لا اخلاقي هو قطعا بلا اخلاق لكن قد يكون ذو دين وقد لا يكون والعكس صحيح ايضا.

من كان يخاطبهم الامام الحسين كان لهم دين في الواقع وكان دينهم يقول لهم ان الحسين خرج على امام زمانه . وامام زمانهم هو كل من يتمكن منهم بالقوة . الكثير من عمليات مسخ الفطرة الانسانية تمت تحت غطاء المنظومة الدينية . الكثير من الدواعش كانوا اشخاص عاديين لا يتمكنون من رفع رأسهم في وجه بنت الجيران خجلا منها . لكن غسل الادمغة حولهم الى مغتصبين للنساء ويقتلون الاطفال بكل اريحية ودون ان يرف لهم جفن .

قد يعترض احدهم بالقول هذا ليس الدين الصحيح والدين الصحيح هو ما اؤمن به انا وهو يحرم كل ما هو غير اخلاقي .

كلام جميل جدا ومريح . الدين كما تؤمن به انت اخلاقي ولا يناقض الفطرة الانسانية لكن ماذا نفعل لمن يؤمن ان الله امره ان يقتل الاخرين لانهم ليسوا مؤمنين ؟؟؟

صوت الضمير متن الدين

يقولون...ان العقل ليس ميزان للاحكام الشرعية . فكم من حكم شرعي لا يتطابق حسب ظاهره مع العقل وعدم التطابق هذا لا ينفي صحة الحكم الشرعي .

اعتقد ان العقل من الممكن فعلا ان يتعرض للايهام والخداع ولا يمكن الثقة المطلقة بكل احكامه لكن هناك جزءا من العقل لا يمكن ان يتعرض للخداع لانه جزء فطري حتى حين نخالفه نشعر بالخزي . وهو ذلك الشعور بعدم الارتياح الذي يصاحب مشاهدتنا لصورة تحوي مظهر من مظاهر الظلم ... هو ذلك الشعور بالخزي الذي ينتابنا بعد ان نقوم بعمل سيء ... انه ما نطلق عليه الضمير.

نعم الضمير حجة مؤكدة حسب اعتقادي وهو متن الدين والعلم المثبت سنده المتصل ولا قيمة لاي رواية وان كانت مسندة بمليار سند طالما انها تخالف الضمير وتناقض العلم المثبت.

الدين الموجود الان هو تراكم لتراث مملوء بالغث والسمين . فضلا عن ذلك هناك مصطلحات مستحدثة وتلال من الحشو جعلت الدين صعب مستصعب لا طاقة لاحد على فهمه الا نخبة النخبة . الجبل الموجود من المعلومات المتراكمة قام بتضخيم فكرة الدين وعقدها وافرغها من محتواها وحرفها عن مسارها (بقصد وبدون قصد).

اعلم جيدا ان الفكر الديني تطور مع تطور الزمن . واعلم جيدا ان المصطلحات التي ظهرت لاحقا اوجدتها الضرورة . لكن احد معايير معرفة هل نحن في المكان الصحيح ام لا هو الضمير فكلما وجدت فتاوى تستفز ضميري وتشعرني بعدم الارتياح ساجزم انها ليست متصلة بالدين الفعلي بل متصلة بالتراكم المعلوماتي الذي اوجد لاحقا والعكس صحيح. اذا قام الفكر الديني بقتل الوازع الاخلاقي وخالفه ودعاني الى تقبله كما هو تحت عنوان (ان الخلل في عقلي القاصر الذي لا يدرك كنهه) فهو بكل تأكيد ليس متصل بالله .

العلم المثبت سند الدين المتصل

علينا ان نختار احد الطريقين ... اما ان نقول ان الدين (لا يناقض العلم) ونلزم انفسنا بهذا القول وننسف كل التراث الذي يخالف العلم استنادا لتلك القاعدة او ان لا نقولها مرة اخرى ونسكت للابد .

حين نقول ان الدين لا يناقض العلم فنحن ملزمين ان نراجع فهمنا للنص الثابت او للرواية بما يتوافق مع العلم المثبت . وحين نقول ان الدين يكمل الاخلاق . فنحن ملزمين بالضرورة ان نعيد النظر بفهمنا للنص والرواية بما يتفق مع الاخلاق المطلقة الثابتة . كلا المعيارين يستطيع اي انسان بسيط المعايرة عليهما بكل بساطة ويستطيع الوصول بنفس البساطة لنتائج مذهلة .

عدم تناقض العلم مع الدين يدل بالضرورة على بطلان التراث المناقض للعلم المثبت

هؤلاء الذين يبذلون جهدا كبيرا جدا في محاولة اثبات ان الحقائق العلمية موجودة في الدين قبل ان يكتشفها العلماء المختصون في مجالها . هؤلاء يعتقدون ان العلم لا يناقض الدين بل

يدل عليه . ولا اختلف معهم في ذلك بل ألزمهم بما الزموا به انفسهم . بدل ان ينشغلوا بربط تلك الحقيقة العلمية بذلك النص الديني ربط ظني حمال اوجه قابل للتأويل لينشغلوا بتنقية التراث الذي يخالف العلم المثبت . الا يعتقدون ان الدين لا يتناقض مع العلم؟؟؟ لينقوا التراث اذن من الخرافات والاساطير والتي لا تمت للعلم المثبت بأي صلة . لان دفاعهم عن هذا التراث وتأويلهم له وتزويقه وربطهم للدين بالعلم في نفس الوقت يثير الضحك . اذا كنت تعتقد ان الدين من المستحيل ان يناقض العلم فماذا تنتظر لتحرق التراث الذي يخالف العلم المثبت ؟؟؟ حفاظك عليه ودفاعك عنه يعني انك مجرد مدعي حين تربط الدين بالعلم . مجرد شخص كسول يحاول ان يثبت ان الاخرين جاءوا متاخرين وهو من يملك العلم كله.

البرهان (الذهبي) وخط الشروع ونقطة الالتقاء

خلاصة الكلام...ما احب تسميته بالبرهان الذهبي (الاخلاق المطلقة والعلم المثبت) اكثر رصانة واكثر قدرة واكثر صمود امام متطلبات العصر من اي برهان اخر . لو تأملنا الزمن منذ صدر الاسلام الى الان سيتولد لدينا شعور ان الكثير من المتغيرات حدثت والكثير من المستحدثات طرأت منها ما هو ضروري ومنها ما هو غير ضروري واريد له ان يكون ضروري . ولو رسمنا خط شروع وهمي بين ذلك الزمن وبين زماننا سنجد ان نقطة الانطلاق بعيدة كل البعد عن النقطة التي نحن فيها الان من حيث الجوهر . لكن البرهان الذهبي (الاخلاق المطلقة والعلم المثبت) قادر على اعادتنا لجوهر نقطة الانطلاق دون ان نضطر للمرور بتلك القشور التي تولدت عبر الزمن .

وجوه الدين المتعددة وفهم الانسان للدين

قد يستدل رجل دين بروايات معينة تدعم طروحاته . لكنه قد ينكر صحة روايات اخرى تقف بالضد منها . وهذه الحالة موجودة فعلا وحدثت امامي قبل مدة حيث قام رجل دين بالاستدلال بحديث مرسل وحين واجهه احدهم بان هذا الحديث مرسل تبين من جوابه انه على علم بهذه الحقيقة وليس غافلا عنها لكنه استدل به لانه يدعم الفكرة التي يروج لها فبدأ بالدفاع عن (الاستدلال بحديث مرسل) بشتى الطرق وبدأ يبين كيف ان الحديث المرسل يمكن الاخذ به في بعض الحالات . انا متأكد لو اتى له احدهم بحديث اخر مسند يناقض هذا الحديث لما اهتم لامره ولقلل من شانه او لقام بتأويله او تضعيفه .

كثير من الامور التي ننسبها للدين هي في الواقع انعكاس شخصياتنا على الدين . هي فهمنا للدين مغلف ببعض النصوص والروايات التي تدعمه . ولا يمكن ان ننزه انفسنا من المزاجية في تعظيم شان الرواية الفلانية والتقليل من شأن اخرى ونحن في طريقنا لجعل منبع الفكرة التي نريد الترويج لها ديني .

رجل الدين لو كان دافيء القلب حنون الطباع ستنعكس صفاته الذاتية على رؤيته للدين من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر . ورجل الدين حاد الطباع وعصبي المزاج ستنعكس طباعه

على رؤيته للدين ايضا . من الممكن ان تجد كلا الرجلين يتحدثان عن نفس الموضوع لكن لن تجد اي تشابه في الطرح وقد تجد كلا منهما يناقض الاخر لان طباعهما طوعت النص الديني لها من حيث يشعران ومن حيث لا يشعران.

يستطيع الانسان ذو الطباع الجميلة ان يعكسها بقوة على الفكر الذي يطرحه واوضح مثال على ما ارمي اليه هو الشيخ السلفي السعودي الرائع سليمان الجبيلان . اتابع احيانا محاضرات هذا الرجل واجزم لو ان مقادير الفكر السلفي وضعت في يده لاصبح الفكر السلفي فكر محبة وتسامح (مع كل ما فيه من تشدد) هو مصلح اجتماعي اكثر منه رجل دين واكثر ما يركز عليه هو اشاعة الابتسامة ولغة التفاهم واللاعنف وثقافة المحبة .

نظرة الانسان للدين وتفسيره له مراة تعكس طبيعته وشخصيته ونظرته للحياة . فرجل الدين الذي يصرخ بكل ما اوتي من قوة (بان التفكير والاستفهام حول اشياء جوهرية ينتج عنه غضب الله) هو قد يقصد شعوريا او لا شعوريا غضبه هو . هو ورث واقع مبني على الجمود وغير قابل للنقاش . ما يغضبه حسب تصوري من استفهام احدهم حول (امور جوهرية مصيرية قد تضع اصل الدين موضع نقاش) هو اعتياده على ان مريديه يستفهمون ضمن دائرة يبرع بها جيدا وهي دائرة الاسئلة التي يريد بها السائل التحقق من الطريقة المثلى لتطبيق الدين ليحرز بذلك الاطمئنان . وليس اسئلة استفهامية جوهرية قد توحي له ان السائل يحاكم تفسير النص او يحاكم الرواية . وهذا تماما ما يشعر هكذا رجل دين بعدم ارتياح .

ومنبع عدم الارتياح هذا ليس الرغبة في اسكات الاخر وقمعه دائما ولا يجب ان نستغرق في سوء الظن فهناك رجال دين لا يشعرون بارتياح من طرح استفهامات قد تحاكم تفسير النص او الرواية لكن ليس لانهم يريدون قمع الاخر واسكاته بل لانهم متيقنين ان هكذا استفهامات قد تجر السائل الى استفهامات اكثر شدة قد تبعده عن دينه وتوقعه في الهاوية حسب اعتقادهم اي ان دافعهم الجوهري هو الحب . وللانصاف هناك رجال دين مرنين جدا لا يكلون ولا يملون من الرد على اي استفهام ويحترمون عدم اقتناعك بجوابهم .

اذكر من هؤلاء المرحوم (الشيخ عباس الدفاعي) او (حجي عباس) كما يحلو لابناء حينا بتسميته. مع انه امام مسجد الا انه لم يتخذ من امامة المسجد عمل ومهنة بل كان له عمله الخاص وهو عمل بسيط ومتعب في نفس الوقت حيث كان وكيل مواد غذائية ويوزع بنفسه الحصة التموينية للناس . ولا استطيع تخيله الا بلحيته البيضاء وملابسه البسيطة وهو قرب الميزان. مع اني لم اتحدث معه مطولا الا مرات قليلة الا ان تلك المرات وضحت لي حقيقة هذا الرجل الذي فقد الجزء الاكبر من بصره وبقي يعمل ويأم الجماعة في نفس الوقت الى ان فقد بصره كاملا في ايامه الاخيرة وفوق هذا فقد احدى ساقيه . اتذكر اني سألته مرة عن موضوع جوهري فكان جوابه هادىء مرتب غير انفعالي شعرت انه صديق يجيب صديق اخر . لم يكن يضع في ذهنه الانتصار للدين بقدر رغبته في الوصول لنتيجة . كان حقيقي

جدا . طالما احب العمل . ورحل عن هذه الدنيا وهو يكسب رزقه من عرق جبينه بما تحمل الكلمة من معنى . لن انسى وجهه المبتسم ابدا . فهذا الوجه كان يظهر ابتسامة جميلة لكنها تخفي في طياتها وجع السنين .

الدين كما اراه ... تفسير للوجود يحوي في طياته دعوة للالتزام بأخلاق وسلوك وطقوس للنجاة في هذه الحياة وحياة اخرى بعدها. هذا هو الدين بكل بساطة . عمر الاديان الاف السنين لذلك هي لم تصلنا مباشرة من المصدر بل مرت عليها اجيال متعاقبة .

مر على ديننا (الاسلام) اكثر من 1400 سنة اي اننا لم نلتقي بالنبي محمد . لذلك وصلنا الدين مكتوب ومدون . اي اننا لم نستمع للرسول محمد مباشرة ولم تتح لنا الفرصة في سؤاله عن ما يدور في خاطرنا من استفهامات ولم نرى حقيقة ما يروى من روايات في كتب الحديث رؤية فعلية . والقران كما يقول الامام علي (حمال اوجه) ودليل صحة ما يقوله الامام علي هو وجود عشرات التفاسير للقران تختلف عن بعضها البعض.

اشبه (علم الرجال او علم الجرح والتعديل) بتقدير عمر المخطوطات بفحص (الكاربون المشع/14) . هو فحص علمي عملي يستخدم لمحاولة اكتشاف عمر المخطوطة لكنه يعطي نتائج تقديرية وليست دقيقة 100% . حتى لو كان الراوي او المفسر في قمة المصداقية و الورع والامانة تبقى هناك امكانية ان يتعرض للاشتباه او السهو . والاكثر من ذلك هو ان من يتفحص حياة الراوي بشر ايضا من الممكن ان يخطأ و مهما احرزنا صدقه وحذره وامانته يبقى تعرضه للخطأ امر وارد . لذلك (فحص الكاربون14) يعطي نتائج تقديرية وفحص (الرواة والمفسرين) يعطي نتائج تقديرية ايضا . لكن ما يعطي نتائج قطعية في صحة ما يرد من التراث هو البرهان الذهبي (العلم المثبت والاخلاق المطلقة)

هل تناقش ثوابت الدين يا هذا؟؟؟ هل تناقش قول المعصوم؟؟؟ ومن انت لتناقش قول المعصوم؟؟؟

قبل سنين قليلة كنا في نقاش انا واحد الاصدقاء عن احدى الروايات المنسوبة لاحد ائمة اهل البيت فقال لي بنبرة مستفزة (قول المعصوم وفعله وتقريره حجة عليك فمن انت لتناقشه؟؟؟) ما قاله صديقي مغالطة (قمعية) قد يكون واعيا لها وقد لا يكون...لاحظ انه ادار محور النقاش من مدى معقولية الرواية ومدى صحة نبستها للامام الى جعلي في مواجهة الامام . من يقول ان هذا القول قاله الامام فعلا؟؟؟ الحديث عن عدم معقولية رواية تنسب للنبي محمد او لاحد الائمة او لاحد الصحابة الغاية منه هو التشكيك في نسبة الرواية لهم وليس التشكيك فيهم . وحتى لو فرضنا ان احد الاشخاص متيقن من صحة تلك الرواية ويجدها غير معقولة فما هي المشكلة في ذلك؟؟؟ لا يستطيع اي انسان وضع حدود لفكر انسان اخر حتى لو تمكن من اسكاته لكنه سيبقى قادر على التفكير بلا حدود .

لتكن مصادر الفقه الرئيسية (القران والسنة والاجماع والقياس) او لتكن (القران والسنة والاجماع والعقل) او زد عليها مصادر اخرى او انقص منها . في النهاية ستبقى تدور في دائرة (فهم النص) فحتى حين تجعل العقل احد مصادر التشريع قد تقوم بعقلنة ما هو غير معقول بناءا على فكرة (من المستحيل ان يشرع الله شريعة غير معقولة لذلك القصور في عقلي) لكن ما فاتك هو ان الشريعة التي وصلتنا هي (فهم رجال جاءوا قبلنا لها) ولم تصلنا عن طريق النبي او اهل البيت او الصحابة مباشرة بل وصلتنا عبر اجيال متعاقبة والمتغيرات والتداخلات والتطورات التي حدثت عبر تلك الاجيال فضلا عن الطبيعة البشرية وامكانية وقوع الانسان في الخطأ ... كل هذه العوامل واكثر كفيلة بجعل الانسان يراجع نفسه الف مرة وهو يطلع على تفاسير القران وعلى الروايات المنسوبة للنبي او لاهل البيت او للصحابة . لذلك فهم القران و السنة هو فهم بشري بحت قابل للنقاش.

الكارثة ان الفهم البشري قد يقوم بأفراغ الظلم من محتواه ويجعله انصاف وهذه هي الطريقة المثلى لمسخ الفطرة . ثقافة سب السيئين بمفردة (ابناء الزنا) من اين اتت؟؟؟ مع ان ابن الزنا ليس مذنبا بل والداه هما المذنبان . انها ثقافة مستمدة من التراث الديني . لا يعقل طبعا ان يتم تمييز ابن الزنا عن باقي المجتمع بذنب ليس له فيه يد . اذا كان فعل الزنا سيء فما ذنب ابن الزنا في ان يصبح واقعه (شتيمة) لما لا يُشتم السيئين بمفردة (زناة) مثلا؟؟؟

يجيبني وامثالي الشيخ الكوراني قائلا : هل سمعت بقانون منع الحويمن لشخص مؤمن ان يتولد من زنا؟ فهؤلاء الماخوذ عليهم الميثاق (يقصد في عالم الذر) والمسموح لهم بالحياة من الخمسة ملايين حويمن او انسان , فيهم البر والفاجر ولا يُسمح للمؤمن من ذرية الرجل الزاني ان يخصب بويضة الزانية ! ترى بعضهم مشفقين على ابن الزنا يسألون ما ذنب هذا الطفل حتى يحرمه النبي صلى الله عليه واله من حقوق مدنية كامامة الصلاة والشهادة والقضاء ويحكم عليه بانه شر الثلاثة اي شر من ابويه , وبانه لا يفلح ابدا ! لكنهم لا يعرفون تاريخه , وانه ادى امتحان في عالم الذر ورسب واستحق ان يتكون من نطفة حرام (انتهى) .(9)

انا لا ادري هل كان الشيخ الكوراني هناك حين امتحنوا ابناء الزنا ورسبوا؟؟؟ وهل يتذكر هو نفسه عالم الذر؟؟؟تريد ان تتخذ موافق مسبقة بناءا على امتحان تقول ان جميع البشر حضروه وابناء الزنا فشلوا فيه لكن لا احد يتذكره ؟؟؟حقيقة وجود عالم الذر ليست هي المشكلة . ليكن عالم الذر موجود ليس هذا محل النقاش . لنسلم بانه حقيقة . شخصيا لا اتذكر هذا العالم و لا اتذكر رسوب ابناء الزنا . لكني رأيت بعيني الكثير من ابناء الحلال في هذا العالم وهم يرسبون في الامتحان . ورأيت بعيني الكثير من ابناء الزنا في الغرب وهم يفلحون!!!

ويستدل الشيخ الكوراني بروايات يثبت فيها ان ابن الزنا لو كان مؤمنا لا يدخل الجنة و لا يدخل النار لكن يسكن منطقة وسطى!!!... يقول الكوراني : وروينا ان ابن الزنا لا يدخل

الجنة , فان كان صالحا سكن في هذه المنطقة الوسطى ففي الخصال (564/2) : (عن سعد بن عمر الجلاب قال : قال لي ابو عبد الله عليه السلام : ان الله تعالى خلق الجنة طاهرة مطهرة فلا يدخلها الا من طابت ولادته) . وفي المحاسن للبرقي (149/1) : (فقال عبد الله بن عجلان معنا رجل يعرف ما نعرف , ويقال انه ولد زنا ! فقال ما تقول ؟ فقال ان ذلك ليقال له , فقال ان كان ذلك كذلك بني له بيت في النار في صدر يرد عنه وهج جهنم وياتي برزقه) قال في البحار (287/6) (والظاهر انه مصحف من صبر بالتحريك وهو الجمد) اي الحجارة (انتهى).(10)

بصراحة لو ألحد احدهم بسبب هذه الروايات والافكار فلا ألومه البتة لما فيها من ظلم واجحاف ومسخ للفطرة الانسانية والعدالة الاجتماعية .هذا ما كنت اقصده في معرض حديثي عن تحويل الظلم الى انصاف من خلال الفهم البشري للدين . هكذا تمسخ الفطرة الانسانية وهكذا تغسل العقول . اذا كانت هذه الروايات مكذوبة ويُبنى عليها احكام مسبقة فهذه مصيبة واذا كانت صادقة فالمصيبة اعظم .

يقول الله في القران (ولا تزر وازرة وزر اخرى) وهذه الاية تنسف صحة كل هذه الروايات وتثبت عدم ورودها عن النبي او اهل البيت . وفضلا عن ذلك الاخلاق العامة تقول ان هذه الروايات فيها من الظلم ما يكفي ليُبكي الصخر .

بسبب حرج ان يكشف ابن الزنا عن نفسه في مجتمعنا (هذا اذا كان يعلم اصلا) لم التقي سابقا بابن زنا لاكتشف هل هو يحن للحرام فعلا ام لا . لكني التقيت بالكثير من (ابناء الحلال الذين ولدوا من زواج شرعي) لكنهم ليس فقط يحنون للحرام بل منغمسين بالسفالة والدناءة والسقوط الاخلاقي . ولا اعلم لماذا يهاجر (ابناء الحلال) ويتحملون الصعاب ويواجهون الموت في البحر ليعيشوا في كنف (ابناء الزنا) في الغرب؟؟؟

المفارقة ان المجتمع يطلق مفردة (نغل) على الحذق واسع الحيلة ويطلقها كتعبير عن الانبهار وليس كمسبة . وهذه مفارقة مثيرة للاهتمام حقا!!! وعلى ذكر تعابير الانبهار هناك الكثير من التعابير ذات المدلول السلبي التي تستخدم للتعبير عن الانبهار مثل (خرب عرضك) اذا كان هذا التعبير عن الانبهار فكيف يكون التعبير عن الاستياء؟؟؟والمفارقة الاكبر هي جملة (دير بالك على نفسك) و تعني (اعتني بنفسك) وتبدو ايجابية ظاهريا لكنها تستخدم احيانا للتهديد المبطن !

اذا كان القران في عهد قريب جدا من الرسول محمد (حمال اوجه) فما بالك في عهدنا اي بعد 1400 عام من تطور اللغة وتغيرها وتبدلها ؟؟؟ في العهد الذي كانت فيه لغة العرب محكية كان القران حمال اوجه فما بالك في عهد اصبحت فيه اللغة العربية لغة ادبية رسمية واللهجات هي السائدة ؟؟؟

الان لو حدثت حادثة في زماننا ... زمان الانترنت والتوثيق الفيديوي ... من الممكن جدا ان نختلف في سردها وتفسيرها وتأويلها ... فكيف الحال في ذلك الزمان؟؟؟

النص القراني ثابت لكن الفهم متغير . اذا كان معيار صحة السنة من عدم صحتها (القران) حمال اوجه وله اكثر من تفسير وقابل للتأويل فكيف بربك سنتمكن من المعايرة عليه ؟؟؟هناك مضامين في النصوص المقدسة واضحة ومفهومة ولا تحتمل وجهين وتتفق مع الاخلاق ويطمأن لها الضمير .

(واما اليتيم فلا تقهر) هل يحتاج الانسان لمفسر يفسر له معنى هذه الاية ؟؟؟ لا اعتقد ذلك . (ادعو الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) هل يحتاج الانسان ان يدرس لسنوات ليفهم معنى هذه الاية ؟؟؟ لا اعتقد ذلك فهي تفسر نفسها بنفسها . (ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) لا نحتاج الى عبقري ليفسر لنا معنى الاية فهي واضحة جدا ولا تحتمل وجهين .

المشكلة تكمن في النصوص التي تم الاستيلاء عليها من قبل الاصوليين (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) بأمكان اي معتوه ان يقتل ويدعي انه يقتل بالحق وهو الاستثناء الذي نص عليه القران وهذا ما يحدث على ارض الواقع فعلا . ما هوالحل اذن ؟؟؟

لا بد ان يتصدى اشخاص للتخصص في العلوم الدينية

من غير المعقول ان نتخصص جميعنا في العلوم الدينية (مع ان الكثير من مفردات الدين يستطيع غير المختص فهمها مع شيء من الجهد) لكن لا بد ان يتصدى اشخاص للتخصص في العلوم الدينية ونحن قادرين برأيي على تمييز ما يطابق (الاخلاق المطلقة والعلم المثبت) وما لا يطابقهما من نتاج هؤلاء المختصين . ومنبع هذه القدرة هو بساطة المعايير وسلاستها ووضوحها .

ما نحتاجه فعلا هو بناء نسخة جديدة من الفكر الديني على ركام التراث القديم والفهم القديم للنص المقدس تتوافق مع الواقع وقابلة للتطور والتأقلم مع المتغيرات . وهذا ما يحدث فعلا فالنسخة القديمة تحرق نفسها بنفسها وجاري التحديث للنسخة الحديثة الاكثر توافق مع الواقع والاكثر موائمة للفطرة الانسانية وواقع البشرية المتغير والمتطور . خامة النسخة الحديثة وقاعدتها هم هؤلاء الذين يرفضون العنف والقتل باسم الدين ويبرأون ساحة الدين منه . ورسامي هذه النسخة ونحاتيها هم رواد الحداثة والتجديد في عصرنا وهم كثر .

ان معجزة القران الفعلية التي لها اثر غير منقطع على ارض الواقع دائما وابدا هي (مرونة النص) او (ظاهر وباطن النص) او حسب تعبير الامام علي (حمال اوجه) مع ان الامام علي قالها مشيرا لامكانية تأويل الخوارج للنص بما يناسب مصلحتهم لكن هي التفاتة ذكية وتعد معجزة قائمة بذاتها لكنها سلاح ذو حدين فلو كان (البرهان الذهبي) هو المعيار في

فهم النص لاصبح واقع الفكر الديني مختلف تماما لانه مرتبط بالنور الالهي . اما لو كان الجمود والفهم العتيق هو الحاكم فالمعجزة تتحول الى كارثة بل تحولت الى كارثة وانتجت تنظيم القاعدة ودولة الخلافة ولا ندري لو استمر الحال ماذا ستنتج؟؟؟

يقول ابو الوليد بن رشد : ان الشرع دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل , وتطلب معرفتها به , فذلك بين في غير ما اية من كتاب الله تبارك وتعالى , مثل قوله تعالى (فاعتبروا يا اولي الابصار)...واذا تقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات , واعتبارها , وكان الاعتبار ليس شيئا اكثر من : استنباط المجهول من المعلوم , واستخراجه منه (انتهى).(11)

ما سبق كلام نظري لكن تطبيقه الاجرائي العملي (لو اصطدم ظاهر النص بالعقل) هو (التأويل) على اعتبار ان الدين لا يناقض العقل مطلقا . لكن ما هو التأويل؟؟؟

يقول ابوالوليد : ومعنى التأويل هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية , من غير ان يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز , من تسمية الشيء بشبيهه او سببه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عُددت في تعريف اصناف الكلام المجازي...واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكم بالحرى ان يفعل هذا صاحب علم البرهان ... ونحن نقطع قطعا ان كل ما ادى اليه البرهان , وخالفه ظاهر الشرع , ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي (انتهى) .(12)

عدم وجود خالق او ان رسالة النبي ليست من الخالق دلالتان يحاول المتمسكون بالتراث المخالف للعقل اثباتها من حيث لا يشعرون . نعم هؤلاء اكثر تأثير في دفع الناس الى الالحاد من الملحدين انفسهم .

يقول الشيخ جعفر السبحاني: إنّ التشريع القرآني ينظر إلى الحقائق لا إلى القشور، فلا تجد في الإسلام مظهراً خاصاً من مظاهر الحياة يكون له من القداسة ما يمنع من تغييره ويوجب حفظه إلى الأبد بشكله الخاص، فليس هناك تناقض بين تعاليمه والتقدّم العلمي...فلو كان التشريع الإسلامي مصـرّاً على صورة خاصة من متطلبات الحياة لما انسجم مع الحياة، فمثلاً ينهى الإسلام عن أكل الأموال بالباطل، وعلى هذا فرّع الفقهاء حرمة بيع الدم لعدم وجود منفعة محلّلة له في تلك الأعصار الغابرة بيد انّ تقدّم العلوم والحضارة أتاح للبشر أن يستخدم الدم في منافع محلّلة لم يكن لها نظير من قبل، فعادت المعاملة بالدم في هذه الأعصار معاملة صحيحة لا بأس بها، وليس هذا من قبيل نسخ الحكم، بل من باب تبدّل الحكم بتبدّل موضوعه كانقلاب الخمر خلاً...فالإسلام حرّم أكل المال بالباطل، فمادام بيع الدم مصداقاً لتلك الآية كان محكوماً بالحرمة، فلمّا أُتيح للبشر أن يستفيد منه في علاج المرضى خرج عن كونه مصداقاً للآية، وهذا هو الذي عبّرنا عنه في عنوان البحث بأنّ الإسلام ينظر إلى المعاني لا إلى القشور.(انتهى)(13)

جوهر ما يقوله الشيخ السبحاني هو جوهر نوراني رائع لا شك في جماله وروعته لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل خرجنا من القشور الى المعاني فعلا؟؟؟ام لا زالت القشور هي الحاكمة وهي من تعيق عقل الانسان وتفقده القدرة على خوض بديهيات الحياة؟؟؟

حين تطلع على الاستفتاءات التي توجه للفقهاء (من سنة وشيعة) تشعر باحباط شديد للجوانب القشرية التي يهتم نسبة من الناس بمعرفتها . ولا ادري حقا هل الفقه هو من وجه اهتمامات الناس الى هذه القشور ام الناس هي من وجهت الفقهاء الى هذه الاهتمامات ؟؟؟ قرأت مرة سؤال لاحدهم يقول فيه انه كان يجامع زوجته وعن طريق الخطأ قذف على الفراش فما هو الحكم؟؟؟ السائل انسان نقي طيب ولا شك عندي في ذلك . لكن اليس جواب هذا السؤال بديهي لاي انسان على وجه الارض ؟؟؟اي حكم واي فراش اغسل الفراش واغتسل انت وزوجتك ونم قرير العين . تحول الدين من حالة نورانية الى وسواس مستمر . ان الاهتمام المبالغ بالفقه افقدنا القدرة على خوض بديهيات الحياة وجعلنا معاقين ذهنيا وجعلنا كالاطفال تائهين لا نقدر على فعل شيء الا بعد السؤال عنه وقد يكون الاطفال افضل حالا منا لانهم يفطمون يوما ما لكن نحن لا نفطم .

لا ادعو لنسف الفقه كما قد يتصور البعض...فلا يوجد مشكلة في ان يبحث الانسان عن الحكم الشرعي لابسط الامور . لكن المشكلة حين تكون هذه الامور هي محل اهتمامه الاول والاخير وتبعده عن جوهر الدين (التأملي الاخلاقي) فهو يسعى جاهدا لارضاء الله في اشياء شكلية ويركز عليها كل التركيز ويفقد بذلك القدرة على الانطلاق الروحي والعقلي . ليست المشكلة حين يسأل الانسان عن تفاصيل صغيرة لكن المشكلة حين تتحول هذه التفاصيل الى قضيته في الحياة .

الفقه جعل نسبة من الناس مقيدين في مساعدة الفقراء فهم يرغبون في مساعدتهم لكنهم يخشون ان يكون هذا الفقير غير مطابق للشروط المنصوص عليها في الفقه لذلك يترددون كثيرا ويفصلون بين (انسانيتهم وتعاطفهم) وبين (رغبتهم الملحة في تطبيق كاتلوك الفقه) فيقول في نفسه (هل هذا الفقير مسلم ام غير مسلم؟؟؟ يصلي ام لا يصلي؟؟؟ملتزم ام غير ملتزم؟؟؟اذا كان حالق اللحى ماذا افعل معه؟؟؟) الرغبة الذاتية في مساعدة الاخرين اصبحت مشروطة . اعني تحديدا فصل الفطرة عن الذات الانسانية .

الصراع الاسلامي الاسلامي (بين التشدد والاعتتدال) سيبقى دائرا لفترة من الزمن بين الفهم القديم والفهم الحديث الذي يتأقلم مع واقع العالم . وهذا الصراع الفكري الطاحن الذي سيرفض فيه وبقوة شديدة (رعاة الفهم القديم) التنازل عن اهم ما يملكون ينتج عنه تشدد البعض وتحولهم الى مجرمين وخروج البعض الاخر عن الدين وبقاء نسبة اخرى مأزومين. لكن الواقع الذي سيفرض نفسه هو ولادة فكر ديني جديد له اتباع كثر وقابل للعيش كما حصل للمسيحية تماما .

قد يقول قائل ان الدماء التي سفكت في القرون المنصرمة تحت غطاء الكنيسة كان سببها ليس النص بل سوء التطبيق من قبل الكنيسة . وهذا بالضبط ما يقوله الان المؤمنين العفويين المعتدلين وهو اشارة الى وصولنا يوما ما الى ما وصلوا اليه اليوم .

ان المسيحيين يؤمنون بالعهد القديم والعهد القديم فيه نصوص دموية لكنها بالنسبة لهم شريعة قديمة جددها السيد المسيح . لكنهم لا ينفون حدوثها ويؤمنون بصحتها . هي في الواقع افرغت من محتواها الدموي بسبب تطور وتبدل وتغير فهم الانسان للتفاصيل وتفسيره للمضامين .

حين احاول اثبات ان هناك نصوص دموية في العهد القديم لأجعل الدموية شيء جيد ومقبول فهذه قمة الخسة والدناءة فلا يوجد ما يبرر الدموية ابدا .

ما احاول اثباته هو ان الفكر الديني يتطور ويتماهى مع التجربة البشرية . والانسان لا يحتاج دائما الى نصوص دموية ليقتل باسم الله فمجرد الادعاء والقدرة يكفيان . والنصوص التي يمكن ان تؤدي الى موت وقتل باسم الله من الممكن ان تتحول الى نصوص موقوفة في زمانها في نظر من يؤمنون بصحتها . وما حدث لليهودية والمسيحية سيحدث لنا مع مراعاة الفارق الزمني بين ظهور الاسلام وظهور اليهودية والمسيحية . المسيحية حدث فيها تقهقر لاحق ثم تطور فالمسحيية بدات دعوة سلمية تنبذ العنف ثم تحولت بعد حدوث تزاوج بين السلطة والكهنوت الى ثقافة الغاء الاخر ثم عادت الى السلمية بعد حدوث تطور اجتماعي .

هل يحتاج المرء دائما الى نصوص دموية ليتسلط على الناس باسم الدين؟؟؟

هل يستطيع الانسان ممارسة العنف باسم السماء بدون نصوص دموية؟؟؟ لما لا؟؟؟ قبل ان تظهر محاكم التفتيش كان هناك محاكم تسمى (المحاكم التهويلية)

بدأت المحاكم تنتهج منهج تعذيب المتهم بالحديد الساخن وأعلامه أنه لو كان بريئا سيبرد الحديد ولن يصيبه أذى ليعترف بشكل مباشر في حال كان مذنبا . في القرن الثالث عشر ظهر أسقف معارض لهذا النوع من التعذيب اسمه بيتر شانتر يقول : (أن شرط النجاة من محاكمة التعذيب دون أي أذى هو نوع من المعجزة التي تناقض العهد القديم الذي يقول (يجب أن لا تجرب الرب إلهك) وذكر عدة نماذج لمحاكمات عذبت اشخاص وتبين لاحقا أنهم أبرياء .لكن محاولات شانتر باءت بالفشل الذريع وأستمر هذا النوع من التعذيب بل أصبح أكثر اتساع . وكان يمارس على من يتهمون بالهرطقة . وكان يتهم بالهرطقة أي شخص لديه فكرة جديدة تختلف عن الأفكار المسيحية التقليدية حتى لو كان أختلافا بسيطا. (14)

لم تعتمد تلك المحاكم على نص مقدس لممارسة التعذيب بل اعتمدت على فكرة عبثية رعناء لا اكثر ولا اقل . ونفس الفكرة اعتمد عليها الكثير من الطغاة . فعدم تدخل الله لايقافهم يفسروه على انه موافقة على افعالهم .

اتباع الاديان الابراهيمية الثلاث (اليهود والمسيحيون والمسلمون) لو استعرضنا تاريخهم لوجدناهم تعرضوا للعنف من الاخرين ومن ابناء دينهم ومارسوا العنف ضد اخرين وضد ابناء دينهم . للنص المقدس دور مهم لكن لا يحتاج الطاغية الى هذا النص دائما ليمارس العنف . يكفيه القدرة على ممارسة العنف والادعاء في ان السماء تنظر اليه بعين الحب وتوافق على افعاله و هذه الحجة تكفي وتغني عن النصوص المقدسة .

أنتهت عمليات القمع الاجتماعي والرسمي الذي تعرض له المسيحيون بشكل تدريجي في نهاية القرن الثالث الميلادي تقريبا . حين تحول المسيحيون الى نسبة عشرة بالمئة من السكان وحين بدأ المجتمع يتقبل تدريجيا واقع أن المسيحية دين مستقل والمسيحيون شعب مستقل . وذلك لأن عمليات الأضطهاد التي تعرضوا لها كان يقابلها عمليات بناء اداري وكهنوتي رسم معالم دين مستقل له قواعده المميزة والثابتة . فضلا عن أنشغال الامبراطورية بامور أخرى أكثر أهمية من ملاحقة المسيحيين . مما أدى الى أعطاءهم مجال للتطور والتمدد. (15)

قسطنطين : (16)

تغير الحال كليا حين أعتنق الأمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية (272-337م) لتتحول المسيحية الى دين الدولة الرسمي وتبدأ مرحلة جديدة . أعلن قسطنطين أعتناقه المسيحية . واعاد الاملاك المصادرة من الكنيسة . واعاد للمسيحيين اعتبارهم . وهناك أكثر من راي حول سبب اعتناقه للمسيحية فهناك من يقول انه أعتنقها صادقا ومؤمنا . وهناك من يقول أنه أعتنقها لاغراض سياسية . وفي كلتا الحالتين تحول قسطنطين لاحقا الى أكبر المدافعين عن المسيحية وأكبر المبشرين بها . حيث كان يقوم بقمع كل فكر ألحادي . والجدير بالذكر أن اعتناق قسطنطين للمسيحية لم يحوله الى حاكم متسامح فبقي كما كانوا اسلافه حاكم مستبد قمعي . وكان يبرر ذلك بانه ضرورة للوقوف بوجه الفوضى السائدة .

قام قسطنطين بقمع الملاحدة كتعبير عن ولائه للدين المسيحي ومفردة ملاحدة لا تعني بالضرورة عدم الايمان بوجود الله . فكان يتهم بالالحاد كل من يخرج عن الفكر المألوف . ويتهم بالالحاد كذلك من كان يقول أن المسيح أنسان عادي مبعوث من الله . كل هذه الافكار كانت تعتبر ضرب من ضروب الألحاد . وكان من هؤلاء أساقفة وقساوسة لهم شعبية وتاثير على ارض الواقع تم نفيهم وطردهم من الكنيسة وحرقت مؤلفاتهم.

زاوج قسطنطين بين الملكية و الكهنوت. كانت وجهة نظره تقول ان النظام الروحي للكنيسة يتلائم مع نظام الحكم وسيؤدي بالنهاية الى نشر دين يوحد المجتمع . لكن خطواته كانت

حذرة وذكية وتدريجية لانه كان يعلم جيدا ان معظم الجمهور لا زال يقدس الالهة القديمة للرومان . وظهر ذكائه جليا في خطبه الشعبية التي كان يستخدم فيها مصطلحات عامة لا تظهر ميله للمسيحية . حتى أنه كان يقوم بدوره الرسمي ككاهن اكبر للالهة التقليدية لمعظم الجمهور .

لم ياتي قسطنطين بنص للسيد المسيح يدعو فيه لقمع من لا يؤمنون بانه ابن الرب . تزاوج السلطة والكهنوت يكفي لجعل كل افعال قسطنطين مقدسة . مفارقة تستحق التأمل في ان يتحول من كانوا يتعرضون لاقصى درجات العنف الى ممارسين له. وهذه المفارقة تكررت في اكثر من مكان فالمسلمون الاوائل تعرضوا لشتى انواع العنف حين كانوا يمثلون اقلية . لكن حين تحول الاسلام الى دين اغلبية مارس المسلمون العنف تجاه الاخر .

الموضوع يتعلق حسب اعتقادي بتحول الدين من فكر وسلوك شخصي الى دين دولة يستقطب كل من يبحث عن مصالح شخصية او يبحث عن اشباع طموحاته او لا يريد الاغتراب عن المجتمع او اي سبب اخر لا علاقة له بالايمان الفعلي او الثورة ضد الواقع . الاتباع الاوائل لا جدال في ثوريتهم وفي تمردهم على الواقع ولا جدال في عمق ايمانهم الروحي . لكن الحال يتبدل دائما حين يتحول الدين الى دولة .

لنتوقف مليا عند المقطع التالي وسنبين لاحقا من كتبه ولماذا :(في البداية الحروب شيء غير محبب على مدار التاريخ. والحروب تحدث. ولكن يوجد حروب كثيرة دفاعا عن النفس والوطن. ولا أحد يتهم بان هذا شيء دموى ان يدافع شعب عن نفسه وعن ارضه.ولو نظرنا لتاريخ أي دولة سواء دافعت عن نفسها او حتى هاجمت سنجد كل الدول قامت بحروب كثيرة فانظر فارس واليونان والرومان بل حتى الدول الحديثة مثل بريطانيا وفرنسا. بل حتى أمريكا في اقل من مئة سنة قامت بالحرب العالمية الاولي والثانية التي فيها هيروشيما...) (انتهى).(17)

القاريء النبه يتوقع من اللحظة التي قرأ فيها اول الكلمات من المقطع السابق والتي يذم فيها الكاتب الحروب انه سيدافع عنها لاحقا . وهذا هو الواقع فعلا . كاتب السطور السابقة يحاول الدفاع عن حروب حدثت قديما تحت عناوين مقدسة... **ويقول ايضا** : (أيضا نلاحظ شيء مهم وهو ان هذه الحروب توصف بالحروب النبيلة الشريفة التي توصف بأنها تطبق حتى ما يشبه قوانين الحرب الحديثة. فلم يكن فيها خيانة ولا تامر ولا اغواء ولكن هجوم مباشر في النهار وانتصار مباشر.(انتهى). (18)

لو قلنا ان كاتب هذه السطور مسلم معتدل يحاول تبرير الحروب الاسلامية سيكون كلامنا معقول وواقعي . لكن ماذا لو قلنا انه مسيحي تبشيري يدافع عن الحروب المذكورة في العهد القديم ويبررها؟؟؟ انه فعلا كذلك .

كاتب السطور السابقة هو مسيحي تبشيري معروف باسم (الدكتور غالي) له نشاط في عالم الانترنت للتبشير بالمسيحية والدفاع عنها . المقاطع السابقة اقتطعتها من بحث عنوانه (سلسلة الرد على حروب العهد القديم) هكذا يفكر المؤمن حين يكون الحديث عن حروب موجودة في الكتاب الذي يقدسه لكن حين يكون الحديث عن حروب مذكورة في كتاب اخر فالكلام مختلف تماما . لذلك قال الدكتور غالي (فمن يفكر في حروب العهد القديم بطريقة حيادية يجد انها ليست قسوة.) وهذا ما يقوله المسلمون المعتدلون حول الحروب التي جرت في عهد النبي محمد.

كمسلمون ليس امامنا الا اعادة صياغة انفسنا كما فعل المسيحيين وهذه سنن الطبيعة التي لا مفر منها . المسيحية بدأت مع السيد المسيح دعوة للتسامح ونبذ العنف . ثم اختطفت وتحولت الى كهنوت وتزاوج هذا الكهنوت مع السلطة لينتج دموية تلحقها دموية ثم تحول الكهنوت نفسه الى سلطة مطلقة باسم الرب تجسدت بمحاكم التفتيش التي تمثل الصفحة المظلمة في تاريخ المسيحية ثم انتهت تلك المحاكم بشكل تدريجي بعد حدوث تطور طبيعي في المجتمع المسيحي. وبعد تجارب متلاحقة وثورات مستمرة في اوربا عادت المسيحية للتسامح وتم تحجيم الكهنوت واصبح الان رمز للتواصل الروحي لان تطور التجربة الانسانية لم يعد يسمح بذلك. المسيحيون لا يعطون اهمية للنصوص الدموية في العهد القديم لان روح المسيحية روح تسامح لا تتوائم مع روح الحرب والدم لكن مع ذلك يعترفون بصحة تلك النصوص ويحاول نسبة منهم تبريرها وتخفيف وطأتها مع انها بالنسبة لهم موقوفة في زمانها!!!

لنتوقف قليلا عند العهد القديم (سفر التثنية الاصحاح السابع عشر) :

(2)اذا وجد في وسطك في احد ابوابك التي يعطيك الرب الهك رجل او امراة يفعل شرا في عيني الرب الهك بتجاوز عهده (3) و يذهب و يعبد الهة اخرى و يسجد لها او للشمس او للقمر او لكل من جند السماء الشيء الذي لم اوص به(4) و اخبرت و سمعت و فحصت جيدا و اذا الامر صحيح اكيد قد عمل ذلك الرجس في اسرائيل(5)فاخرج ذلك الرجل او تلك المراة الذي فعل ذلك الامر الشرير الى ابوابك الرجل او المراة و ارجمه بالحجارة حتى يموت (6) على فم شاهدين او ثلاثة شهود يقتل الذي يقتل لا يقتل على فم شاهد واحد(7) ايدي الشهود تكون عليه اولا لقتله ثم ايدي جميع الشعب اخيرا فتنزع الشر من وسطك(8) اذا عسر عليك امر في القضاء بين دم و دم او بين دعوى و دعوى او بين ضربة و ضربة من امور الخصومات في ابوابك فقم و اصعد الى المكان الذي يختاره الرب الهك (9) و اذهب الى الكهنة اللاويين و الى القاضي الذي يكون في تلك الايام و اسال فيخبروك بامر القضاء(10) فتعمل حسب الامر الذي يخبرونك به من ذلك المكان الذي يختاره الرب و تحرص ان تعمل حسب كل ما يعلمونك(11) حسب الشريعة التي يعلمونك و القضاء الذي يقولونه لك تعمل لا تحد عن الامر الذي يخبرونك به يمينا او شمالا(12) و الرجل الذي يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب الهك او

للقاضي يقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من اسرائيل(13) فيسمع جميع الشعب و يخافون و لا يطغون بعد . (19)

لنكون منصفين يجب ان نطلع على تفسير المسيحيين للصورة الدموية التي مررنا عليها . نأخذ مثلا تفسير القمص تادرس يعقوب: (20)

النص:

(إذا وجد في وسطك في أحد أبوابك التي يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شرًا في عينيّ الرب إلهك بتجاوز عهده، ويذهب ويعبد آلهة أخرى، ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء الشيء الذي لم أوصِ به، وأخبرت وسمعت وفحصت جيدًا، وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجس في إسرائيل، فاخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذي فعل ذلك الأمر الشرّير إلى أبوابك، الرجل أو المرأة، وأرجمه بالحجارة حتى يموت)

التفسير :

ينظر إلى عبادة الأوثان كجريمة عظمى، بكونها خيانة ضدّ الله وضدّ الجماعة المقدَّسة وضدّ الإنسان نفسه، لهذا فإن عقوبتها هي الإعدام رجمًا. كانت الأوثان منذ القديم تتركَّز بالأكثر في عبادة الشمس والقمر والكواكب، ثم اتَّجهت نحو التماثيل التي تصور بطريقة أو أخرى بشرًا أو حيوانات أو طيورًا أو زحَّافات. أمَّا خطورة هذه الخطيَّة فهي أن من يمارسها لا يهدأ حتى يغوي الآخرين ليمارسوا نفس العبادة... ألخ

ثم يردف مستفهما : لماذا يُنظر إلى عبادة الأوثان كجريمة عظمى؟

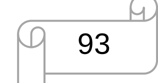
أولاً: إنَّها تمثل عصيانًا مباشرًا لله الذي لم يأمر بالعبادة الوثنيَّة، بل حرمها. عبادة الأوثان هي حركة تمرُّد ضدّ الله. إن كان التمرُّد ضدّ الملك الزمني يُحسب جريمة عظمى، كم بالأكثر التمرُّد ضدّ ملك الملوك؟!

ثانيًا: إنَّها شرّ في عينيّ الرب: "يفعل شرًا في عينيّ الرب إلهك بتجاوز عهده" ، يبغضها ولا يطيقها، لأنَّها تعني إحلال الخليقة الجامدة في موضعه.

ثالثًا: تحمل خيانة للعهد المُبرم مع الله، فهي نوع من الخيانة للعهد الزوجي، تكسر الرباط الزوجي الروحي بين الله ومؤمنيه.

رابعًا: رجس في إسرائيل [4]؛ فإن كان الله قد اختار شعبه ليكون خاصًا به، مقدَّسًا ومكرَّسًا له، يتمِّم إرادته الإلهيَّة، يقدِّم له معرفته لأسراره الإلهيَّة. فإنَّه إن انحرف إلى العبادة الوثنيَّة تكون خطيَّته أعظم من الشعوب الأخرى. إنَّها رجس!

النص:



على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يُقتل الذي يُقتل، لا يقتل على فم شاهد واحد.أيدي الشهود تكون عليه أولاً لقتله، ثم أيدي جميع الشعب، أخيرًا فتنزع الشرّ من وسطك"

التفسير :

ثالثًا: عقوبة عبادة الأوثان الرجم، سواء كان العابد رجلاً أو امرأة، فإنَّه لا يُقدَّم ضعف المرأة عذرًا للتعبُّد للأوثان.

رابعًا: يتم الرجم عند باب المدينة، وفي مواضع أخرى نجد أن العقوبة كانت تنفَّذ خارج أسوار المدينة ، وفي أثناء التيه في البريَّة كانت تتم خارج المحلَّة. ويُلقي الشاهدان أو الأكثر أول الحجارة وذلك للأسباب التالية:

أ. مادامت الخطيَّة علنيَّة، أو يمكن أن تصير علانيَّة، يجب أن تكون العقوبة علنيَّة.

ب. لكي تتَّعظ المدينة كلَّها، فيكون ذلك درسًا للجميع.

ج. إذ يُلقي الشهود الحجارة الأولى لا يستطيعون أن يتبرَّروا أمام ضمائرهم إن كانوا شهود زورٍ، إذ يشعروا بأنَّهم قتلوا إنسانًا بأيديهم ظلمًا.

النص :

و الرجل الذي يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب الهك او للقاضي يقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من اسرائيل فيسمع جميع الشعب و يخافون و لا يطغون بعد.

التفسير :

- في ظل الشريعة القديمة من يعصى الكهنة يُطرد خارج المحلَّة ويُرجم بواسطة الشعب، أو تقطع رأسه، ويكفر عن استخفافه بدمه. أمَّا الآن فإن العاصي يُقطع بسيف الروح أو يُستبعد من الكنيسة ويُقطع إلى أجزاء بواسطة الشيَّاطين الثائرة.

دورة حياة الاديان الابراهيمية

يقول الباحث الدكتور اوسم وصفي متحدثا عن حروب العهد القديم :

ليس من الإنصاف أو الموضوعية، أن نَحكُم على عصرٍ بمقاييس عصرٍ آخر. الحروب في تلك العصور القديمة، ونحن هنا نتكلم عن أكثر من ثلاثة آلاف سنة مَرّت، كانت في أغلب الأحوال حروب إبادة، خاصة وإن كان أحد أطرافها قبائل بدائية وليست ممالك مدنية مستقرّة تحترم العهود والمواثيق. وكان نظام الغنائم والسبايا وغير ذلك، من القواعد المُتَّبَعة

في الحروب، قبل تكوين جيوش نظامية مبنية على الوطنية وبها يتقاضى الجنود والضباط أجور وامتيازات غير متعلقة بالانتصار أو الهزيمة في الحروب. كما لم تكن هناك اتفاقية جنيف لتبادل أسرى، ولا الصليب الأحمر، ولا كُلّ هذه الأشياء، حيث لم تكن هناك تلك "القيمة" للإنسان التي صارت في البشرية، وخاصة بعد المسيحية (انتهى) .(21)

ان ما يقوله الدكتور اوسم صحيح وواقعي الى درجة كبيرة . فعلا الحكم على حقبة تاريخية يجب ان ياخذ ينظر الاعتبار طبيعة العالم في تلك الحقبة . وفعلا للمسيحة دور في بث روح التسامح لكن لا يمكن انكار المحطات الدموية التي قام فيها الكهنوت بالاستيلاء على التسامح ولا يمكن انكار تحول الدين الى سلطة الهية . ما هي طبيعة العالم في عصر ظهور الاسلام؟؟؟ هل كان العالم يعيش في ظل دول ديمقراطية؟؟؟ كل ما قاله الدكتور اوسم عن حروب العهد القديم من الممكن اسقاطه على الاسلام .

دورة حياة الاديان الابراهيمية وببساطة:

(شريعة موسى ... كلمة المسيح ... كلمة محمد-مكة-... شريعة محمد -المدينة-)

تطور الفكر الديني يرتبط ارتباطا وثيقا بتطور المجتمع ونزعاته لا ينفك عنها ولا ينفصل . ما نفهمه نحن الان من الدين يختلف عن ما فهمه من عاشوا قبلنا بقرون وما سيفهمه من سياتون بعدنا بقرون يختلف عن فهمنا . كل ما سبق سببه ان العقل البشري نسبي وامكانية اعادة النظر بالتفسير العتيق للنص الديني يرتبط ارتباط وثيق بامرين الاول (مكانة الدين الاعتبارية في شخصية الانسان) والثاني (مواكبة الانسان للتطور الطبيعي للمجتمع وللعالم ككل) لو تاملنا الاديان الابراهيمية الثلاث لوجدنا انها تطورت على مر العصور ولم تبقى كما هي . لسبب بسيط وهو ان الدين مرتبط بالانسان من حيث الفهم ومن حيث التطبيق .

هناك من لا يقبلون التطور وفي جميع الاديان وللامانة هم في الاسلام اكثر من غيرهم وهذا طبيعي لان الاسلام احدث من بقية الاديان ولا زال في مرحلة سابقة لمرحلتهم . لكن العودة للسلف (العودة للاصول بمعزل عن الواقع) لا يقتصر على المسلمين فقط .

فهؤلاء المستوطنين المتطرفين الذين يعتدون على الفلسطينيين وعلى منازلهم وقاموا في الفترة الاخيرة بأحراق منزل لعائلة فلسطينية ومات على اثر هذا الاعتداء طفل مسكين عمره اقل من سنتين محترقا . هؤلاء في واقعهم اصوليين متدينين يلتزمون بالنصوص . لا ادري اي نص تحديدا اباح لهم ذلك لكن بكل تأكيد المقاطع التالية من سفر يشوع (الاصحاح السادس) احدى هذه النصوص :

(1)وكانت اريحا مغلقة مقفلة بسبب بني اسرائيل . لا احد يخرج ولا احد يدخل (2) فقال الرب ليشوع انظر قد دفعت بيدك اريحا و ملكها جبابرة الباس(3) تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب حول المدينة مرة واحدة هكذا تفعلون ستة ايام(4) و سبعة كهنة

يحملون ابواق الهتاف السبعة امام التابوت و في اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات و الكهنة يضربون بالابواق(5) و يكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق ان جميع الشعب يهتف هتافا عظيما فيسقط سور المدينة في مكانه و يصعد الشعب كالرجل مع وجهه(6) فدعا يشوع بن نون الكهنة و قال لهم احملوا تابوت العهد و ليحمل سبعة كهنة سبعة ابواق هتاف امام تابوت الرب .(22)

نختصر ونذهب مباشرة الى ساعة الصفر

(20) فهتف الشعب و ضربوا بالابواق و كان حين سمع الشعب صوت البوق ان الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور في مكانه و صعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه و اخذوا المدينة(21) و حرموا (قتلوا) كل ما في المدينة من رجل و امراة من طفل و شيخ حتى البقر و الغنم و الحمير بحد السيف .(23)

او قد يكون النص التالي من سفر يشوع (الاصحاح الثامن)

(24) و كان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم و سقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا ان جميع اسرائيل رجع الى عاي و ضربوها بحد السيف(25) فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال و نساء اثني عشر الفا جميع اهل عاي(26)و يشوع لم يرد يده التي مدها بالمزراق حتى حرم جميع سكان عاي(27) لكن البهائم و غنيمة تلك المدينة نهبها اسرائيل لانفسهم حسب قول الرب الذي امر به يشوع(28) و احرق يشوع عاي و جعلها تلا ابديا خرابا الى هذا اليوم(29) و ملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء و عند غروب الشمس امر يشوع فانزلوا جثته عن الخشبة و طرحوها عند مدخل باب المدينة و اقاموا عليها رجمة حجارة عظيمة الى هذا اليوم (انتهى) .(24)

اليهود سباقين في (دعششة) المجتمع لكن اللهم اشهد دواعشنا يستدلون ادلتهم من كتبنا وليس من كتب اليهود . وحتى لو كان الاسلام امتداد لليهودية (حسب وجهة النظر الايمانية او الالحادية) تبقى الحقيقة الشاخصة هي ان الدواعش يستدلون من مصادر اسلامية وليس من التوراة . ولنكون منصفين يجب ان نذكر بعض الاستدلالات التي يستدل بها الدواعش على صحة افعالهم :

مثلا الاية التي تقول (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (التوبة 29). او الاية التي تقول (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) (التوبة 14)

او الحديث الذي يقول : يا معشر قريش لقد جئتكم بالذبح . او الحديث الذي يقول : من بدل دينه فأقتلوه . او غيرها من الايات والاحاديث .

الرؤية الاصولية المتطرفة للنص الديني والتراث الاسلامي ليست الوحيدة فهناك من يقولون (وهم كثر ومن مختلف المذاهب) ان كل حروب النبي محمد على الاطلاق كانت دفاعية وينكرون صحة التراث الدموي ومنهم المفكر الاسلامي مؤسس المنهج القراني او التيار الفكري الذي يسمى (القرانيين) الدكتور احمد صبحي منصور الذي يقول :

وبرغم ما كتبه المؤرخون فى ظل الامبراطوريات القرشية العربية، فقد كانت كل حروب النبى عليه السلام دفاعية ، ومن يقول غير هذا فهو كافر بالقرآن وعدو للنبى محمد عليه السلام ، لأنه عليه السلام لو حارب معتديا لكان عدوا لله رب العالمين ، فالله جل وعلا يقول :(وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ). ولو حارب معتديا لنزل الوحى يتبرأ منه . كانت حروبه عليه السلام دفاعية فقط ، بذل فيها جهده وماله ومعه جنود مؤمنون مغمورون ولكن كانوا سابقون بالايمان والعمل الصالح . لم يسع أحدهم أن يكون قائدا أو زعيما بل رضوا بالجهاد خلف النبى بالمال والنفس وبقدر المستطاع (انتهى) .(25)

القرانيون وغيرهم (من السنة) الذين يرفضون التراث اللاعقلاني من بذرات التحول من الاصولية الى الحداثة داخل المذهب السني . لذلك تجد المتطرفين يتعبرونهم مرتدين . وهناك مجددين شيعة ايضا من داخل المؤسسة الدينية ومن خارجها يدفعون اثمان باهضة ويتحملون نقد لاذع لمحاولاتهم المضنية في تنقية التراث وتفعيل العقل وتعزيز دوره .

في التراث الاسلامي بصورة عامة تجد...الخرافة...الاسطورة...الدموية...غسل الادمغة...رفض الاخر...احتكار الحقيقة...لكنك تجد ايضا شذرات ناصعة قابلة للعيش ابد الدهر لانها لا تتناقض مع السلم ولا تتناقض مع العلم . والصراع الحقيقي سيحدث بينها وبين باقي التراث الذي اما يناسب زمانه فقط او لاوجود له ولا يناسب حتى زمانه . ما يُفعل العقل يعيش ابد الدهر . لكن ما يلغي العقل قد يعيش لفترات طويلة ليس لانه صالح للعيش بل بسبب قوة السلطة التي تدعمه او بسبب الخوف من عواقب التفكير بحرية بعد الموت التي لها دور كبير في تقويض العقل .

حين يقوم مسيحي او يهودي برفض الدموية بالمطلق سواء كانت في حروب العهد القديم او في الاسلام فهذا قمة الانصاف . لكن حين يرفض افعال داعش ويبرر الدموية في العهد القديم فهذا هو الانحياز بعينه. نأخذ من هؤلاء الدكتور اوسم وصفي حيث يقول مدافعا عن يشوع:

أننا عندما نُقارِن داعش بيشوع، فالمقارنة، رُبما للوهلة الأولى تبدو أنها مُنطَبِقَة لكنها في الواقع معكوسة. لا ينبغي أن يوضَع يشوع في مُقابل داعش، وإنما من قام يشوع بقتلِهِم، هُم الذين ينبغي أن يُقارَنوا بداعش. دعني اقولها بطريقة أخرى: إذا قام جيشٌ ما، سواء كان

جيشاً أُمَمياً تُشَكِّلُهُ الأُمم المتحدة، أو جيش دولة قوية مثل الولايات المتحدة بقتال داعش و"تحريمهم تماماً" والقضاء تماماً على نسائهم وأطفالهم (الذين يُدَرِّبونهم على الذبح ويجعلونهم يلعبون الكُرة برؤوس البشر، والذين بالطبع قد لقنوهم هذه المبادئ وتلك المُمارسات باعتبارها الأمر الوحيد الذي يُرضي الله). في ذلك الوقت، فإن هذا الجيش هو الذي تُقارِنه بيشوع وليس داعش (انتهى).(26)

هو في الواقع يتحدث عن شيطنة من ابادهم يشوع لجعل فعله جميل . هو يتحدث عن تشبيه عبدة الاوثان في عهد يشوع بداعش . ويقول عن داعش :

عندما يُصبِحُ الشرّ ديناً، يُتَعَلَّم ويُعَلَّم للأجيال التالية، عندئذ يكون قد "اكتمل الذنب" ولا سبيل مع جماعة أو ثقافة كهذه إلا الاستئصال التام. إنها تصبح مثل الغنغرينة في جسد البشرية. والغنغرينة عندما تُصيب قدماً. بالرغم من أنها قدم بشرية. نعم داعش من المفترض أنهم بشر، لكنهم لم يعودوا "بشراً" بالمعنى المفهوم للبشر. وهذه القدم "الميتة" لم تعد قدماً بالمعنى المفهوم للقدم، وإنما هي مستودعٌ للسموم، ينبغي قطعها لئلا تقضي على الجسد البشري كله (انتهى).(27)

لكن ما هو وجه الشبه بين داعش وعبد الاوثان في عهد يشوع ؟؟؟ يقول د.اوسم:

لكي نعرف كيف ينبغي أن تكون المُقارنة، رُبما يكون من المناسب إلقاء بعض الضوء على هذه العبادات الكنعانية الوثنية التي كانت منتشرة في تلك المنطقة في تلك الحقبة من الزمن، والتي قام شعب إسرائيل بسببها بالقضاء على هذه الشعوب قضاءًا تاماً. خاصة عندما نُدرك أن هذه الممارسات انتشرت في العالم القديم كُله، وكان على شعب إسرائيل لكي يؤسس لعبادة الله الواحد الأخلاقي المُحب، كان عليه أن يقضي تماماً (بمعونة الله) على عبادة هذه الأوثان التي تُحَقِّر البشرية وتحُط من شأنها (انتهى) .(28)

ثم يسرد لنا بعض المعلومات عن الاوثان التي كان الكنعانيين يقدسونها :

البعل. الاسم حرفياً يعني "رب". وكان البعل معروفاً لدى الكنعانيين أنه ابن عيل الذي هو الإله الرئيسي في مجموعة الآلهة الكنعانية كلها... تضمنت عبادة البعل ممارسة العهارة الجنسية وأحياناً تقديم الأطفال كذبائح... كانت عشتاروت هي الإلهة الأنثى وهي زوجة البعل. ومن هُنا جاءت تسمية الزوج بالبعل. وعشيراه زوجة عيل (الذي هو كما ذكرنا الإله الرئيسي لمجموعة الآلهة الكنعانية). ارتبطت عشتاروت بنجم المساء كما كانت الإلهة الجميلة للحرب والخصوبة، وقد عُبِدَت في بابل تحت اسم "عشتار"... و"عستارت" في آرام وكانت بالنسبة لليونانيين هي أفروديت، وبالنسبة لليونان (يقصد الرومان) فينوس. وكل هذه الآلهة كانت تُمارَس عبادتها من خلال ممارسات جنسية فاضحة ومفرطة. من هذه المُمارسات كانت هناك أيضاً ممارسات جنسية مثلية أيضاً كما نقرأ في الأصحاح الرابع عشر من نفس السفر: 24وَكَانَ أَيْضًا مَأْبُونُونَ فِي الأَرْضِ، فَعَلُوا حَسَبَ كُلِّ أَرْجَاسِ الأُمَمِ

الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فالمأبون هو الذي يمارس الدعارة المثلية في الهيكل. وسفر أيوب أيضاً يشير إليهم ويشير إلى موتهم المُبكر، الذي نفهم الآن أنه كان بسبب الأمراض الجنسية الشديدة والسريعة الانتشار من خلال الجنس المثلي بالذات...ألخ (انتهى) (29)

لادري ما هو وجه الشبه بين داعش وبين عبدة الاوثان؟؟؟ والمفارقة ان مصادره في تحديد سوء فعل تلك الاقوام هي الكتاب المقدس نفسه!!! ويقول بكل اريحية (والتي قام شعب إسرائيل بسببها(عبادة الاوثان)بالقضاء على هذه الشعوب قضاءًا تاماً. خاصة عندما نُدرك أن هذه الممارسات انتشرت في العالم القديم كُله)

داعش يصفها بالغنغرينا او القدم الميتة وبما انه شبه داعش بتلك الاقوام وشبه داعش بالقدم الميتة اذن هذه الاقوام ايضا قدم ميتة وفي نفس الوقت يقول ان عبادة الاوثان انتشرت في العالم القديم كله !!! وهذا يعني ان بني اسرائيل اقلية . بربك اقلية ترى الاغلبية انهم مجرد جزء مريض من جسد الانسانية لاسباب عقائدية سلوكية!!! هذا يعني ان العالم كله يجب استئصاله من قبل بني اسرائيل وهذا يجعل القدم الميتة هي بني اسرائيل لانهم اقرب للوصف (بالقدم) نسبة للجسد لانهم اقلية وباقي العالم الوثني على حد قول الدكتور اوسم اغلبية منتشرة . هذا يعني ان القدم تريد حرق الجسد!!!

يقول ان هناك شعوب قضي عليها من قبل بني اسرائيل ثم يذكر مجموعة اسباب منها تقديم الاطفال كأضاحي للالهة... اي انك بسبب رفضك لتقديم الاطفال كأضاحي تقوم بابادة الشعب كله حتى الاطفال (المتألم لاجلهم لانهم يتحولون الى اضاحي) والنساء والبقر ووالخ كما تعبر التوراة ؟؟؟ هل هذا منطق ؟؟؟ (هو فيه ايه يا معلم؟؟؟هي ايه العبارة؟؟؟) ثم انك بتشبيهك لعبادة الاوثان بداعش حللت المشكلة فلا داعي لانتقاد حروب النبي محمد لانها ضد عبدة الاوثان ايضا ام ان هؤلاء جيدين وهؤلاء سيئين؟؟؟

هل الاباحية الجنسية (لو فرضنا صحة ما تقوله التوراة) سبب منطقي لتشبيه تلك الشعوب بداعش؟؟؟ ما هو الفرق بين من يقدم الاطفال كأضاحي لالهة وثنية وبين من يقدم شعوب كاملة كأضاحي لله الواحد .

حدد موقفك اما ابادة الشعوب امر سيء او جيد . اما قتل الانسان امر سلبي او ايجابي. شيطنة من ابادوهم بني اسرائيل مغالطة واهية يستطيع المسلم اعادتها عليك بشيطنة من قتلهم المسلمين. الدعوة لمواكبة الواقع تحتم نبذ العنف الذي حدث سابقا والذي يحدث الان تحت اي عنوان وتحت راية اي دين . اما الدفاع عن العنف في كتبي المقدسة ونبذه في كتب غيري فهذه مغالطة تجعل الانسانية مجرد ادعاء لا قيمة له.

الوثنيون لديهم اباحية...لديهم شرك...لديهم طقوس جنسية...لديهم ولديهم ما لنا ولهم نحن الابراهيميون؟؟؟ وماذا نريد منهم؟؟؟ الان التعددية في الهند هل تضرك ايها المسلم وايها

المسيحي وايها اليهودي في شيء؟؟؟الانزعاج من عدم قيام غيرك بعبادة الهك وحده لماذا يزعجك؟؟؟ غيرك غير مكترث لامرك ولم ينصب نفسه وليا على افعالك ولم يطلب منك ان تعبد الهته المتعددة لماذا انت تفرض نفسك عليه بالقوة وتشيطنه ليصبح فعلك تجاهه مبررا؟؟؟لو رجعنا لمجتمع مكة قبل الاسلام وتتبعنا مدى وجود تعددية دينية من عدمها لوجدناه مجتمع تعددي وهذا الواقع لا يمكننا نكرانه . وان كانت هذه التعددية وثنية الا انها تعددية . بربكم ايهما اكثر تقبلا للاخر هل هم المكيين الوثنيين قبل الاسلام الذين لم يعيب احدهم على الهة الاخر ولم يلغي حقه في تقديسها ام المسلمون الاصوليون على اختلاف مذاهبهم الذين لا يطيقون من يختلف معهم في المذهب فكيف هو حالهم مع من يخالفهم في الدين؟؟؟

كيف كان الواقع في القرن السابع عشر؟؟؟ يصف لنا ذلك بدقة الفيلسوف سبينوزا بقوله:

لقد دهشت مرارا من رؤية اناس يفتخرون بايمانهم بالدين المسيحي اي يؤمنون بالحب والسعادة والسلام والعفة والاخلاص لجميع الناس , ويتنازعون مع ذلك بخبث شديد ويظهرون اشد انواع الحقد , بحيث يظهر ايمانهم في عدائهم لا في ممارستهم للفضيلة . ومنذ زمن طويل وصلت الامور الى حد انه من المستحيل تقريبا التعرف على نوع عقيدة الشخص , وهل هو مسيحي او يهودي او مسلم او وثني , الا من خلال مظهره الخارجي ومن ملابسه او من تردده للعبادة على هذا المكان او ذاك او من قبوله لهذه المعتقدات او تلك او من قسمه بكلام هذا المعلم الروحي . وفيما عدا ذلك تتشابه حياتهم تماما . ولقد بحثت عن سبب هذا الشر ووجدته دون العناء في النظر الى مهام الكنيسة على انها شرف والى وظائف القائمين بالعبادة على انها مصدر للدخل , فأصبح الدين عند العامي اسباغا لمظاهر التكريم على رجال الدين , ومنذ ان شاع الفساد داخل الكنيسة فقد استحوذت رغبة جارفة في دخول الكهنوت على قلوب اكثر الناس شرا , وانقلب الحماس لنشر الدين الى شهوة وطموح مزر (انتهى) .(30)

الواقع الذي يصفه لنا سبينوزا يدور حول غسل الادمغة من خلال توقيف العقل وتعزيز الخرافة ومسخ الفطرة . وهذا الواقع يتكرر دائما . هؤلاء يعلمون اين يكمن السر في السيطرة على المجتمع . يعلمون جيدا ان تفعيل العقل يؤدي الى القضاء على سلطانهم تدريجيا لذلك وجهوا بوصلتهم نحو تجميد العقل . جرب ان تقول لاحدهم (هذا الرأي الديني لا يعقله انسان) وستجد مفارقة غريبة وهي ان من سيوقفك عند حدك في المقام الاول ليس رجل الدين بل اقرانك (مغسولي الادمغة) الذين سيتهمونك بالانحراف . وهو فعلا انحراف عن مجتمع لا يتقبل ان يقوم احد افراده بتفعيل عقله وجعله سلطانا على احكامه .

يستطرد سبينوزا قائلا : فلا عجب ان لم يبقى من الدين الاصلي الا العبادة الخارجية , وهي عند العامة اقرب الى التملق منها الى عبادة الله , اذ لم يعد الايمان الا تصديقا اعمى باوهام متعصبة واية اوهام متعصبة؟ انها اوهام اولئك الذين يحطون العقلاء الى مستوى

البهائم لانها تمنع ممارسة الحكم , وتعوق التمييز بين الخطأ والصواب , وتبدو وكانها وضعت خاصة لاطفاء نور العقل . يا للعجب! لقد اصبحت التقوى واصبح الدين اسرارا ممتنعة , واصبح اصحاب النور الالهي لا يعرفون الا بشدة احتقارهم للعقل وبحطهم من شأن الذهن ونفورهم منه وقولهم انه فاسد بالطبع (31)...فالنور الفطري لم يوضع موضع الاحتقار فحسب بل انه كثيرا ما ادين باعتباره مصدرا للكفر (انتهى) .(32)

يا لسخرية القدر...من يتعقل دينه يعتبر منحرفا ومصابا بلوثة بعقله ومن يتباهى بكل بلاهة بطاعته العمياء يعتبر في قمة العقلانية والتقوى والايمان . اقصى حالات الشعور بالاشمئزاز تنتابني حين اشاهد احد (مغسولي الادمغة) وهو يتهم من (يستعمل عقله) بانه واقع تحت تأثير جهات مدسوسة تريد ابعاد الناس عن دينها...اتعلمون لماذا يتهمون دائما كل مفكر حر بان هناك جهة تقف خلفه وتحركه؟؟؟ لانهم لا يعهدون طريقة اخرى...فهم مسيرون طوال عمرهم دون ارادتهم فلا يتخيلون ولو للحظة واحدة ان هناك شخص قادر على التفكير بنفسه لذلك يسقطون هذا الواقع الذي لا يعرفون غيره على اي واقع اخر. هل هناك احتمال ان تكون جهة خارجية تقف خلف شخص يبث افكار معينة لغايات خبيثة ؟؟؟ نعم لما لا كل شيء وارد فمن يتابع السلوك البشري على مر العصور يجب ان يتوقع كل الاحتمالات . لكن لو كان العقل هو الحاكم لا يفرق من المعادلة شيء سواء كانت افكاره مصدرها عقله او مصدرها جهة خفية تحركه . نحن نتعامل مع افكار والافكار الخبيثة يميزها العقل حتما من خلال تحديد خواتيمها ومؤدياتها .

في جميع الاديان الابراهيمية ظهر معتلين عقليا يعتقدون انهم يمثلون الله في الارض . احيانا تعكزوا على نصوص وفي احيان اخرى لم يكونوا بحاجة اليها فمجرد وقوفك بوجههم يكفي لتصبح عدو الله .

تقول ليزلي هازلتون: لا بد أنها واحدة من سخريات القدر العديدة عبر التاريخ هي أن إحدى أفضل الشتائم التي استخدمها الراديكاليون المسلمون هي ذاتها التي فضّلها الراديكاليون المسيحيون الذين يُعرفون باسم (الصليبيين) وهي كلمة : كافر (Infidel) المأخوذة من اللاتينية بمعنى (من لا إيمان له) وما يضاعف من سخرية الأقدار في هذا المقام، هو أن اعتقادهم المطلق هو واقعاً ما يعاكس الإيمان. وبذلك، فهم من يصدق في حقهم الكفر. وكحال كل الأصوليون المتطرفون من جميع الأطياف والديانات، فهم لا يطرحون الأسئلة والشكوك ، ولا يقدمون لنا إلا الأجوبة الجاهزة. وقد أمسكوا في أيديهم الترياق المثالي للفكر (انتهى) .(33)

حين ياتي مسلم ليحاول اثبات عدم وجود حد للردة في الاسلام ويكذب الحديث الذي يقول (من بدل دينه فأقتلوه) هل يشكل خطر على الانسانية ام يشكل عامل ايجابي في تنقية الفكر الديني وتطويره؟؟؟ احد ابرز هؤلاء الشيخ المصري الازهري الشاب محمد عبد الله نصر

الذي يثبت بطلان حد الردة من القران . في مقال يحمل عنوان (لا حد للردة في الاسلام) يقول فيه :(34)

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من بدل دينه فاقتلوه"ولقد اعتمد فقهاؤنا على هذا الحديث في اثبات أن من يرتد عن دين الإسلام فإن حَدَّهُ القتل. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :"لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة : الآية 265) ويقول سبحانه وتعالى في سورة يونس : "وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ" (يونس : 99) لقد جاء ذكر الردة في آيات كثيرة من كتاب الله سبحانه وتعالى ، ولكن أيا من هذه الآيات لم يذكرحدا أو عقوبة دنيوية للمرتد ، لا القتل ولا الجلد ولا غير ذلك ، وإنما ذكرت الآيات الكريمة العقوبة الأخروية فقط ...ولقد بينت الآيات الكريمة أن أناسا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدخلون الإسلام ثم يخرجون منه ، ثم يدخلون مرة أخرى ثم يخرجون منه، ولم تذكر آية واحدة من كتاب الله سبحانه وتعالى عقوبة دنيوية لهؤلاء الناس ،كما لم يرد حديث صحيح واحد يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أحدا ارْتَدَّ عن دينه :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً

انَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ

انَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُم

يآأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

لقد كانت هنالك حالات ردة كثيرة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكلام للشيخ محمد عبد الله نصر) ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل أحد ارتد عن دينه ، ولم تذكر آية واحدة من كتاب الله سبحانه وتعالى حدا للردة.فهل يجوز أن نُسَلِّمَ لحديث آحاد واحد " من بدل دينه فاقتلوه" لنثبت به وجود حدٍّ للردة ، ونغض الطرف عن جميع الآيات الكريمة التي تنفي وجود حد للردة في الإسلام !!!؟؟؟(انتهى)

وجه احدهم السؤال التالي للشيخ محمد عبد الله نصر حول نفس الموضوع (حد الردة):

السؤال : قال تعالى (وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ

عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)فما هو العذاب الأليم في الدنيا ؟؟ **اجابه** : العذاب الاليم هو الالم النفسى الم الخزى والعار. (انتهى)

هذا المنهج الذي ينتهجه الشيخ محمد وغيره من التنويريين من جميع المذاهب والتوجهات هو منهج عقلاني انساني قابل للحياة. اقول لغير المسلمين : حتى لو كنتم تعتقدون ان طروحات التجديد غير واقعية وليس لها اصل من مصلحتكم دعمها و من اهم نتائج محاربتكم لها دعم الخط المتطرف الذي يتفق معكم ضمنيا في محاربة التجديد .

الدين كالشجرة

ما يبقي الشجرة ثابتة هو الجذر . لكن الساق والاوراق والثمار ليست مرافقة له تحت الارض مع انها متصلة به . الجذر يبقيها على قيد الحياة لكنها تتأثر بالمحيط . الشجرة كانت يوما ما بذرة والبذرة اذا وضعتها في الارض تجذر وتنبت ثم تنضج وتكبر وتتفاعل مع المحيط والمناخ وتتنفس الهواء وتعانق المطر وتذوق حر الشمس وتصبح اكثر جمالا وتنبت اطيب الثمار . الجذر يثبتها في الارض . لكن لو اردت ان لا تعترف بهذا الواقع بامكانك ان تبقى تقطع اوراقها والجزء الاكبر من ساقها وتقول ليس لهذه الشجرة الا جذر عتيق ولا تنمو ولا تتفاعل مع المحيط . هذا ما يفعله من يصرون على العودة للجذور والعيش في الماضي . اتركوا الشجرة تنمو وتثمر وتتفاعل مع المحيط وسترون اكثر الاشجار جمالا واطيب الثمار طعما . الجذور تمتد تحت الارض وهي سبب بقاء الشجرة واقفة وحية لكن نحن نعيش فوق الارض ولا يمكن ان نستفيد من تلك الشجرة الا اذا تركناها تتأقلم مع المحيط وتنمو بحرية . ولا بد لنا ان نسقي تلك الجذور من ماء الواقع لتستمر حياة تلك الشجرة.

حين ننظر الى داعش فنحن ننظر الى التاريخ وهو يعيد انتاج نفسه... حروب الردة... الغزوات...محاكم التفتيش... حروب بني اسرائيل في التوراة... ألخ من الصور الدموية التي اعاد الدواعش تجسيدها بطريقة وبأخرى...الكثير من نصوص (الكتب السماوية) التي تُفسر على انها اوامر بقتل الاخر يفسرها الانسانيون على انها دفاع اضطراري عن النفس موقوف في زمانه ولا يستنبط منه تشريع وهذا ما يمكن ان نسميه ارشفة لتلك النصوص وتحويلها الى ماضي لا يخصنا بشيء. النص عبارة عن كلمات والكلمات عبارة عن مجموعة من الحروف تشكلت مع بعضها . الانسان يرى الكلمات عادة كما يحب ان يراها او كما يملي عليه وجدانه اوطبيعته او واقعه الاجتماعي.

يقول سبينوزا : كلما اهتدينا بالعقل , اخترنا من بين خيرين اثنين اعظمهما , ومن بين شرين اثنين اهونهما.(35)

اوجه متعددة لفهم النص الديني

في احدى محاضرات السيد احمد القبانجي كان يحاول ان يثبت ان القران بحد ذاته معجزة وليس بجزئيات معينة مثل (الاعجاز العلمي او الاعجاز البلاغي او غيرها) حسب فهمي كان يضع المنطق معيار للبلاغة فمثلا كان يذهب الى المضمون التالي (ليس من المنطقي ان يقول القرآن "الرحمن , علم القرآن , خلق الانسان" لان الانسان خُلق قبل وجود القرآن وكان يجب ان يقدم خلق الانسان على تعليم القرآن)(36) . بكل تأكيد هناك جواب من المفسرين ومنهم مثلا الدكتور محمد راتب النابلسي الذي يقول (قدم تعليم القران على خلق الانسان تقديما رتبيا لا تقديما زمنيا لان الله سبحانه وتعالى اراد من هذا التقديم ان يبين لنا ان وجود الانسان لا معنى له دون منهاج يسير عليه) (37)

بغض النظر عن هذا وذاك انا كمتلقي بسيط حين أقرأ سورة الرحمن لا اشعر بوجود عدم ترتيب زمني ولا أشعر بوجود ترتيب رتبي لسبب بسيط وهو أن الآية محورها في ذهني (الرحمن) وحين أقرأها او استمع إليها اشعر ان هناك من يصف لي لوحة فمثلا لو كانت اللوحة عبارة عن شلال ونهر وشمس بعد ان ينتهي الوصف سأفهم ان في اللوحة نهر وشلال وشمس بغض النظر عن أي منهم ذكر اولا . سأتخيل اللوحة كما وصفت دون ان التفت الى تسلسل ذكر الاشياء ... هكذا أقرأ سورة الرحمن ففي النهاية انا فهمت ان الله خلق الانسان وعلمه القران والبيان لم اكترث لا لتسلسل زمني ولا لتسلسل رتبي وفي الوقت ذاته كلما قرأت سورة الرحمن وتحديدا بدايتها أشعر أن فيها لحنا سماويا أخاذا (الرحمن, علم القران , خلق الانسان , علمه البيان) اشعر احيانا ان وجود مفردة (خلق الانسان) بين مفردة (علم القران) ومفردة (علمه البيان) يجعل اللوحة أكثر اتساقا ... هكذا اشعر وهذا ما يدور في ذهني كإنسان بسيط . لا اضع ثقتي المطلقة بالمنطق فالمنطق كما اعرفه قد يؤدي الى نتائج صحيحة وقد لا يؤدي . كمتلقي بسيط اشعر ببلاغة منقطعة النظير دون ان التفت لا لترتيب زمني ولا لترتيب رتبي .

كريستوف لوكسنبرغ...اسم مستعار لشخص يعرف نفسه على انه (بروفيسور الماني مختص في اللغات السامية) الف كتاب مثير للاهتمام اسماه (قراءة ارامية سريانية للقران : مساهمة في تفسير لغة القران)

حسنا...من اي منطلق ينطلق لوكسنبرغ؟؟؟يقول لوكسنبرغ : لقد انطلقت من فكرة أنّ لغة القرآن يجب أن تُدْرَس من وجهة نظر تاريخية ـ لغوية. فعندما تمّ جمع القرآن، لم تكن اللغة العربية موجودة بشكلها الكتابي (التدويني) لذلك كان هذا بمثابة دليل بالنسبة لي يجب أخذه بعين الاعتبار وعدم التغاضي عنه... وفوق كل ذلك ، اللغة الآرامية في ذلك العصر (بين القرن الرابع والسابع للميلاد) لم تكن اللغة الكتابية الوحيدة المعتمدة في التواصل فحسب، بل كانت أيضاً اللغة المشتركة لجميع سكان تلك المنطقة في جنوبي قارة آسيا (انتهى) .(38)

ما هي اللغة؟؟؟بكل بساطة وبفهمي المتواضع (هي طريقة للتواصل الصوتي بين بني البشر من خلال اختيار مخارج معينة للدلالة على معنى متفق عليه) البشر يتفاعلون فيما بينهم...هل هناك امكانية ان تتشكل اللغة وسط شعب معين بطريقة تتشابه بها مع اللغة عند شعب اخر؟؟؟ طبعا ممكن بل يجب ان يحدث هذا الامر والغريب ان لا يحدث...اللغات (العربية والارامية والسريانية والاكدية والمندائية وغيرها) كلها لغات سامية اي انها من اصل واحد...اللغة العربية في عهد النبي محمد (قبل التنقيط والتشكيل والتطور الاجتماعي) تختلف عن اللغة العربية بعد قرون من الزمن...ما فعله لوكسنبرغ هو انه ابعد عن ناظره التفسيرات الاسلامية للقران وذهب الى تحليل لغة القران مقارنة باللغة (السريانية الارامية) التي كانت تعد حينها كاللغة الانكليزية في زماننا .

(ناطوري كارتا) تعني بالآرامية (حراس المدينة) في العراق كنا نسمي الحارس الليلي (ناطور) ومع ان هذه المهنة اندثرت واندثر مها استخدام المفردة بشكل كبير الا انها لا زالت مفردة متداولة وهي تطابق مفردة (ناطوري) الآرامية من حيث المعنى ومن حيث اللفظ . وعلى ذكر (ناطوري كارتا) من الجدير بنا ان نشير الى انها جماعة يهودية محافظة تعيش في القدس . كونها مجموعة من اليهود الموجودين في فلسطين قبل تأسيس دولة اسرائيل . تقف بالضد من قيام دولة اسرائيل و في عهد عرفات كان اعضائها يعترفون به رئيسا شرعيا لفلسطين .

لوكسنبرغ (كما يبدو) يحاول الدفاع عن القران وليس اتهامه . فهو يذهب الى ان الغرب اساءوا فهم القران بسبب اعتمادهم على مصادر اسلامية فقط وهذه الاخيرة قامت بتأويله الى مضامين بعيدة عن المضمون الاول والذي يعده لوكسنبرغ امتداد لمضمون المسيحية .

من النتائج المثيرة التي توصل لها لوكسنبرغ :

المعنى السائد لحور العين هو (فتيات جميلات في الجنة) لكن لوكسنبرغ يذهب الى ان حور العين فيما لو اخذنا بعين الاعتبار (السريانية - الارامية) تعني (العنب الابيض) وهو احد العناصر الرمزية للفردوس في المسيحية والتي ذكرت في العشاء الاخير .(39) طيب اين نذهب بالاية التي تقول (وزوجناهم بحور عين)؟؟؟الجواب كما يبين لوكسنبرغ هو ان التنقيط غير المعنى وكلمة (زوجناهم) هي في الحقيقة (روحناهم) (40)

لا اعتقد ان هناك رجل دين مسلم يؤيد هذا الرأي . ففضلا عن استنكافهم من خوض غير المسلمون في القران وسوء ظنهم بهم فهم (في غالبهم الاعم) لا يقبلون راي خارج عن السائد (هذا على فرض ان صاحب الرأي باحث مسلم) وللامانة هناك باحثين غير مسلمين رفضوا تأويل لوكسنبرغ لمفردة (حور العين) مثل المستشرق الالماني ستيفان فيلد الذي

يرفض هذا الرأي بسبب وجود تعابير تؤكد ان المقصود (فتيات جميلات) مثل تعبير (ازواج مطهرة) (41) مع ان لوكسنبرغ يذهب الى ان مفردة (ازواج) لها معاني متعددة منها (انواع)(42)
بغض النظر عن صحتة ما يذهب اليه لوكسنبرغ من عدم صحته...تبقى هكذا اراء (سواء كانت صحيحة او غير صحيحة) جزء من الحل وليست جزء من المشكلة...لماذا ؟؟؟لانها تفتح الباب لاعادة النظر في الفهم السائد للنص وهذا هو المطلوب . تركيز النقاد المسلمين على جزئيات جانبية واثارة اجواء (نظرية المؤامرة) لا معنى له حتى لو فرضنا جدلا (سوء نية المؤلف او مجهولية شخصه) لماذا؟؟؟ لان (نوايا المؤلف) لا قيمة لها بالنسبة لنا لاستحالة الوقوف عليها لكن محتوى افكاره هو المهم وهو من يجب ان يتعرض للتشريح والنقد... وشخصية الباحث الحقيقية ومن يكون فعلا لا قيمة لها بالنسبة لنا ... ليكن من يكن لا اهمية لذلك ...القيمة الحقيقية تكمن في الافكار والتفاصيل لا اكثر ولا اقل .
الباحث الشاب لؤي الشريف (وهو باحث مسلم يدرس اللغة الارامية) يبحث عن اصول ارامية للحروف المتقطعة في بدايات السور (ويؤكد ان بحثه –لغوي- وليس ديني) فتوصل الى ان (ألم) وهي الاحرف الموجودة في بداية سورة البقرة تعني بالارامية (انصتوا) كتنبيه الى ان الكلام القادم مهم(43)...هكذا ابحاث سواء كانت صحيحة او غير صحيحة تعتبر مهمة...لماذا؟؟؟لانها تجعل العقل يعمل بطاقة عالية وتخرجه من حالة الكسل والاتكاء على الموروث .

الدين كما اراه (غيبيات واخلاقيات)...من حقي ان اؤمن بغيبيات يعدها بعض الناس خرافة ومن حقي ان التزم باخلاقيات يعدها بعض الناس تخلف . ومن حقي ان ارفض اي رؤية دينية تخالف الضمير واي رؤية غيبية لا تتماهى مع تأملاتي الشخصية . لكن يجب ان يتم ايقافي عند حدي حين ادعي اني فهمت من الدين ان من واجبي الغاء الاخر وسلب ارادته انتصارا للسماء.

قد يجيبك ملحد بالقول (هذا كلام رومانسي خيالي لا صلة له بالواقع) وقد يجيبك متشدد حشوي (هذا كلام المبتدعة الذين يريدون هدم الدين) هذه الحقيقة التي اعتقد بها والتي ساواجه بها وجه ربي بعد موتي وعلى فرض ان ما يقولونه الملحدين صحيح والموت هو المحطة الاخيرة فلن اكون هناك لاشعر بندم . واذا فرضنا ان هناك حقيقة ثالثة موجودة بعد الموت ترسلني الى عالم اخر غير العالم الذي اؤمن بوجوده فلن اشعر بندم ايضا ولن ابالي لسبب وجيه وهو اني لم اكتفي بما ورثته وبذلت كل جهدي لاصل لنتيجة توافق العقل وترضي الضمير .

الرسول محمد بين الإسلام الانساني والإسلام الدموي

حين نقف أمام التاريخ والتراث الاسلامي فسنجد صورتين لكل منهما وجود على ارض الواقع. فهناك نصوص وأحداث تدعو الى الرحمة وقبول الاخر والتسامح لها جمهورها الذي يجعل منها لبنة الدين الاساسية ويطوعون جميع النصوص الاخرى لمدلولاتها . وهناك نصوص وأحداث حازمة مع الاخر وحدية تكاد تخلو من المرونة لها جمهورها ايضا ويجعلون منها لبنة الدين الاساسية ويطوعون النصوص المرنة مع الاخر لها ويفرغونها من محتواها .

ومثال على النصوص القرانية والاحاديث النبوية التي تعكس صورة حضارية للاسلام :

لا إكراه في الدين

إدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأعراضهم

إن أشر الناس منزلة يوم القيامة من يتقيه الناس مخافة لسانه

وغيرها من النصوص القرانية والاحاديث النبوية التي تدعو الى قبول الاخر ومواجهة الفكر بالفكر

في الجانب الاخر هناك أحداث تاريخية ونصوص قرآنية يغلب عليها الحدية والحزم ومنها على سبيل المثال :

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون

حادثة قتل رجال بني قريظة من قبل المسلمين وسبي نسائهم واطفالهم

قيام خالد بن الوليد بقتل بني جذيمة بعد ان أسلموا...وغيرها .

الإنسانية في الاسلام

لو أردنا ان نستشف الانسانية و قبول الاخر في سيرة النبي محمد فليس هذا أمر صعب فهناك موارد كثيرة منها على سبيل المثال :

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من أئتمنه الناس على أموالهم واعراضهم.

رجال الدين المتشددون لا يركزون على هذا الحديث ويركزون على رواية اخرى تقول (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) لان النص الاول الذي فيه مفردة (الناس) يناسب الحياة المدنية والحداثة فهو يشمل جميع الناس دون تمييز ديني او قومي اما النص الذي فيه مفردة (المسلمون) فهو يناسب ثقافة الكراهية والتخندق ويخدم اهداف المتشددين اكثر ففيه دعوة لاحترام المسلمين بصورة خاصة وطبعا تخصيص المسلمين من شانه خلق مشاعر عنصرية بين المسلم وغير المسلم...(المسلم من سلم الناس) ماذا تفهم حين تسمع مفردة (الناس) ؟؟؟ جميع الناس على اختلاف أديانهم وقومياتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية والسلوكية . هذا الحديث يتحدث عن دواخلنا نحن فحتى لو كان هناك إنسان غير محترم فنحن لا نستحق ان نعامل الآخرين بدون احترام . الحديث يتحدث عن تدريب الذات على احترام وتقدير وقبول الاخر مهما كان انتماؤه .

ان اشر الناس منزلة يوم القيامة من يتقيه الناس مخافة لسانه

بمن يذكركم هذا الحديث للنبي محمد؟؟؟ من هم الذين يحاول الناس تجنبهم وفعل ما يريدون او ما يناسبهم اتقاء شرهم ؟؟؟ هل هم المطربون ؟؟؟ هل هم الممثلون ؟؟؟ هل هم منظمات حقوق الانسان ؟؟؟ هل هم لاعبو الجمباز؟؟؟ هل هم لاعبو كرة السلة ؟؟؟ قطعا لا ... أذن من هم ؟؟؟ أترك الجواب لكم .

لو أطلعنا على دستور المدينة وهو الصحيفة التي سنها الرسول محمد بعد الهجرة والتي تنظم علاقة المسلمين فيما بينهم وعلاقة المسلمين والأقليات الاخرى كاليهود . سنجد انه يحوي على 52 فقرة أكثر من نصفها تتحدث عن تنظيم علاقة المسلمين مع غير المسلمين والبقية تتحدث عن تنظيم علاقة المسلمين مع بعضهم البعض .

ما سبق هو الدين الحق (في نظر الكثير من المسلمين على اختلاف مذاهبهم) وهو جدير فعلا بان يكون الدين الحق لكن رؤية الانسان للدين مختلفة وهناك من لديهم رؤية اخرى تناقض هذه الرؤية ويدعمونها بنصوص دينية ايضا . ما سبق هو وجه من وجوه الدين وهو الوجه الأنصع والأجمل والأكثر إشراقا ويمثله في وقتنا الحاضر خير تمثيل المؤمنون المعتدلين و هم الاكثر شبها بالجيل الاول من المسلمين (الجيل المكي).

الشدة والدموية في الاسلام

بنو قريظة

قصتهم باختصار شديد هي أنهم كما تقول الروايات نكثوا عهدهم مع النبي وتآمروا على المسلمين في معركة الخندق فأمره الله ان يقاتلهم فتمت محاصرتهم واستسلموا بعد ذلك

فاختار النبي سعد بن معاذ ليكون حكما عليهم ووافقوا على تحكيمه و كان قد اصيب في معركة الخندق فحكم ان يقتل الرجال وتسبى النساء والاطفال وتاخذ ممتلكاتهم غنائم .

لنتأمل المقطع التالي من القصة كما يرويه الشيخ علي الكوراني :

(وانزل رسول الله - صلى الله عليه واله - العسكر حول حصنهم فحاصرهم ثلاثة ايام فلم يطلع أحد منهم رأسه , فلما كان بعد ثلاثة ايام نزل اليه غزال بن شمول فقال يا محمد تعطينا ما اعطيت اخواننا من بني النضير , احقن دماءنا ونخلي لك البلاد وما فيها ولا نكتمك شيئا . فقال : لا او تنزلون على حكمي فرجع . وبقوا اياما فبكت النساء والصبيان اليهم وجزعوا جزعا شديد , فلما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله (صلى الله عليه واله) فأمر بالرجال فكتفوا وكانوا سبع مائة وأمر بالنساء فعزلن (انتهى) .(1)

بعد ذلك اختار النبي سعد بن معاذ ليحكم فيهم وقبلوا بحكمه وتوسلوه ان يحكم عليهم بإنصاف فحكم عليهم سعد بالتالي :

(قد حكمت يا رسول الله ان تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم وتقسم غنائمهم واموالهم بين المهاجرين والانصار . فقام رسول الله فقال قد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة)(2)

اما تفاصيل قتل الاسرى فكانت كالتالي :

(وساقوا الاسارى الى المدينة وامر رسول الله (صلى الله عليه واله) بأخدود فحفر بالبقيع فلما امسى أمر باخراج رجل رجل فكان يضرب عنقه ... ألخ)(3)

ماذا عن السبايا ؟؟؟ ... لنتوقف عند هذا المقطع :

(اما السبي فبيع في من يزيد , ثم قسم ثمنه في المسلمين المشاركين في هذه الغزوة وبعث (صلى الله عليه واله) ببعض السبي الى نجد أو الشام فبيع هناك واشترى السلاح والخيل وقسم ذلك بين المسلمين)(4)

ولنتوقف ايضا عند هذا المقطع :

(فأنصرف رسول الله واصطفى منهم ست عشرة جارية فقسمها على فقراء بني هاشم , واخذ لنفسه منهن واحدة يقال لها ريحانة . وقسمت اموال بني قريضة ونساؤهم ...الخ)(5)

لنتأمل التفاصيل التالية :(خيانة بني قريظة للعهد وتامرهم على المسلمين , حصار , بكاء اطفال ونساء , حفر اخدود لتلقى به الجثث , قطع رؤوس , نساء تباع في (من يزيد) وتعني بالترجمة المصرية (مين يزود) , اصطفاء الرسول لستة عشر جارية وتوزيعهمن على فقراء بني هاشم , تصدير بعض السبايا الى نجد او الشام , شراء خيل وسلاح بنقود النساء , ووو ألخ)

صدقا ... بعد ان اطلعتم على تلك التفاصيل ماذا تذكرتم وأي صورة استحضرتم ؟؟؟

ونحن نقرأ تلك التفاصيل بماذا يجب ان نشعر ؟؟؟ بنشوة الانتصار على اليهود الخونة؟؟؟ ام بالغثيان والصدمة؟؟؟ اي تفصيل سنتوقف عنده ؟؟؟ خيانة بني قريظة للعهد ؟؟؟ طلبهم الامان والرحيل بعد ان حوصروا؟؟؟ عدم استجابة النبي لطلبهم ؟؟؟ حكم سعد بن معاذ الذي كان يحتضر واختار ان يُقتل رجالهم وتُسبى نساؤهم واطفالهم؟؟؟ ام اكتشافنا ان هذا الحكم هو حكم الله من فوق سبعة ارقعة ؟؟؟ أي منظر سنتخيل ؟؟؟ منظر أمهات يقفن في السوق وأبناؤهن ينظرون اليهن وقد تجمع حولهن رجال يقلبون بهن ويزايدون عليهن ؟؟؟ما هو ردة فعل الطفل حين شاهد أمه تباع ؟؟؟ اذا شعرنا بالتعاطف مع بني قريظة هل علينا ان نستغفر الله من تعاطفنا ونتوسل ان يتحول التعاطف الى جانب المسلمين كوننا ننتمي اليهم؟؟؟ هل هذا ما يجب ان نفعله كي نبقى في الاتجاه الصحيح؟؟؟ ام نهرع لاقرب رجل دين نستفسر منه عن الموضوع لنحصل منه على جواب يريح ضمائرنا ؟؟؟ ام نذهب لأقرب كتاب يتحدث عن الواقعة ونرى كيف يبرر ما حدث كي نطمئن ؟؟؟ ومن نحن كي نطرح سؤالا لم يتجرأ مليارات المسلمين قبلنا على طرحه ؟؟؟ وهل يعقل ان مئات رجال الدين مرت عليهم هذه الحادثة لم ينتبهوا لما انتبهنا نحن إليه؟؟؟

هل الحكم عادل مقابل جريمة التآمر واكثر معالم العدالة فيه هو ان النبي اختار من يرضون هم بحكمه لذلك ما حدث جزاء عادل لجرمهم ومن الممكن ان يحدث في اي دولة في العالم يتهم فيها مواطنون بتهمة الخيانة العظمى؟؟؟

حسب الدين الاسلامي سأحاسب وحدي بعد الموت لماذا لا ينسحب ذلك على التفكير والاستنتاج ؟؟؟

بل اني قد احاسب على اشياء اتكلت فيها على آراء آخرين مع عدم قناعتي التامة بها ... أجد علاقة وثيقة بين فكرة ان تحاسب وحدك بعد الموت وفكرة الارادة الحرة...اجد علاقة وثيقة بين فكرة ان الانسان لا ينفعه الا عمله بعد الموت وفكرة ان الانسان يجب ان لا يسمح لاحد ان يفكر نيابة عنه فالعمل الصالح لا يختلف كثيرا عن الفكر الصالح.

حين اقف على حادثة تاريخية او نص مقدس واشعر بعدم ارتياح وعدم قناعة واشعر برغبة في البحث اكثر عن حقيقة هذا النص او تلك الحادثة ثم اجد رجل دين يعلل ذلك الاستفهام بتعليل غير مقنع لكنني اقنع نفسي بأنه افهم مني لكن عقلي قاصر ... اوأجد رجل دين اخر يحاول التحذير من الوقوف طويلا امام هكذا استفهام واستجيب لهذا التحذير ... أشعر اني ممسوخ او في طريقي لأمسخ .

اما حين اجد راي إلحادي يعزز ذلك الشك ويدغدغ ذلك الارتياب وانساق اليه بكل سلاسة دون فحص ودون تدقيق واتبناه بسرعة البرق فقط لانه يدعم مشاعر داخلية تنتابني ... فأشعر اني مجوف او في طريقي لأجوف.

حسنا... رجل دين يبرر قصة بني قريظة ويجعلها منطقية وعادلة...باحث ملحد يجعلها جريمة لا تغتفر...لماذا يجب ان اتكل على أحدهما ؟؟؟

يقول النبي محمد النجاة في الصدق ... هل يعقل ان انافق الله لاتجنب غضبه؟؟؟

اجمل ما في الانسان حين يصدق مع نفسه ولا ينافقها والاجمل منه هو ان يصدق مع الله ورسوله ولا يتظاهر خلاف الواقع الذي يشعر به . والمشكلة التي يتجنب الكثير من الناس مصارحة انفسهم بها هي ان الله يعلم ما شعرت به فعلا حين استنكرت نفسي لا اراديا شيئا ما . فلماذا اذن اتظاهر امامه بعكس ما اشعر وادعي اني ارى الامور في احسن صورة؟؟؟ وذلك الاستنكار الداخلي اللا أرادي هل يجدر بي ان اتوب منه؟؟؟ هل هذا يرضي الله؟؟؟ هل يرضي الله ان يكون ظاهري خلاف باطني (منافق)؟؟؟ ومع من ؟؟؟ معه هو !!! الله المطلق القدرة!!! هل يعقل ان ينافق احدهم الله ليتجنب غضبه؟؟؟

رأي شخصي

اقولها امام الله وبكل صدق ان ما حدث لبني قريضة يذكرني بأساليب داعش فتفاصيل قتل الرجال تذكرني بواقعة سبايكر وما حدث من سبي النساء والاطفال يذكرني بما حدث للأيزيديات واطفالهن . حين نتعاطف مع تفاصيل معينة مؤلمة ولا نتعاطف مع اخرى تشبهها لوجود خطوط حمر وهمية فنحن نقضي على ضمائرنا. الغريب ان الشيخ الكوراني يتحدث بحرقة عن مظلومية الشيعة لكن هذه الحرقة تختفي ويحل محلها لذة النصر حين يكون الحديث عن الاخر وما حدث للاخر(كما يسرد هو) لا يختلف كثيرا عن ما حدث للشيعة .

انا حائر فعلا في السبب الذي يجعل من يصححون تلك الروايات (من السنة والشيعة) يستنكرون افعال ابو بكر البغدادي؟؟؟ هذه الروايات هي بذاتها مصادر ابو بكر البغدادي في افعاله فكيف تصححونها وتستنكرون افعال من يطبقها؟؟؟

السؤال الذي يطرح نفسه... حين يقوم باحث شيعي بالبكاء على مظلومية اهل البيت بسبب تعرضهم للسبي من قبل بني امية ... هل يتفاعل معهم بسبب استنكاره لفعل السبي بالمطلق واستنكاره لاثاره الفادحة ام الموضوع يتعلق بهوية المسبي وهوية من يقوم بالسبي؟؟؟هل الامر كذلك ؟؟؟اذا كان الامر كذلك فعلى الضمير السلام.

الامام الحسين بالنسبة لي شخصية ليس لها مثيل وتفاعلي مع ما تعرض له هو واهل بيته واصحابه لا صلة له بتقديسه كامام ولا صلة له بقرابته بالنبي محمد ... له صلة بشخصيته كثائر عملاق اجتمع حوله خير الاصحاب من مختلف الاديان والمذاهب بوجه الظلم . وتعرض اهل بيته لظلم قل نظيره . التعاطف معه والاستنكار لما تعرض له اهل بيته يتعلق

بالافعال وليس بالاشخاص . لو كان شخص اخر غير الامام الحسين وقف ضد الظلم لتعاطفت معه ايضا ولو كان اهل بيت شخص اخر تعرضوا للظلم لتعاطفت معهم ايضا .

لا والطريف انه يقول (واخذ لنفسه منهن واحدة يقال لها ريحانة) يا سلام ... من تعتقد انه معصوم يتخذ لنفسه واحدة منهن وتتقبل انت هذا الفعل بكل اريحية؟؟؟ فماذا يفعل غير المعصوم؟؟؟ ولماذا تعتب على غيره اذا كنت تتقبل ان يقوم المعصوم بهذا الفعل؟؟؟

حسنا... اختاروا احد الطريقين... اما تصححون تلك الروايات الدموية ولا تستنكرون تطبيقها لانها واردة عن النبي نفسه حسب تصحيحكم لها ... او تكذبونها وتستنكرون افعال من يطبقها . لا يعقل ان تروي رواية وكأنها نصر اسلامي مؤزر وكل تفاصيلها تتحدث عن عدم العفو والقتل الجماعي واتخاذ النساء جواري . ما الذي يجري؟؟؟ من يروي قصة تعرض نساء بني قريظة للسبي وشراء اسلحة بالاموال المستحصلة من بيعهن وكانه يتحدث عن استبدال كمية من الرز بكمية من القمح لا يحق له ان يتباكى على مصيبة اهل البيت .

ارجح ان قصة بني قريظة حدثت لكن مبالغ بها وسبب هذا الترجيح يعود لاربع امور :

الاول :هو الطبيعة البشرية التي تميل الى المبالغة في نقل الاحداث والمبالغة في التفاصيل وتضخيمها والان في زماننا لو حدثت مشاجرة بين شخصين جرب ان تذهب الى بُعد خمسين متر وتستفسر عن ما حدث و ستجد قصة اخرى مختلفة .

اما الثاني :فهو مخالفتها لروح الدين وهذه الروح تتجسد في قول النبي (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) و تفاصيل تلك القصة لا تمت للاخلاق بصلة لا من قريب ولا من بعيد.

و الثالث : هو وجود سوابق في تزوير قصص واحداث دموية لدعم الافعال الدموية للسلطان لذلك ليس غريب ان تكون التفاصيل البشعة لهذه القصة مزورة او مبالغ بها لدعم سلطان جائر في صناعة قصة يصبح فيها ما يفعله مشابه لما فعله النبي فيكون محاط بهالة من القداسة.

الرابع : لامعقولية القصة...كم عدد المتامرين؟؟؟ هل يعقل ان جميع بني قريظة متامرين؟؟؟ اصحاب القرار في كل عشيرة افراد معدودين هل يعقل ان تعاقب عشيرة كاملة بسببهم؟؟؟ هذا خلاف العقل والمنطق . لا يعقل ان يعاقب مئات بسبب افراد . و لو ثبت ذلك علينا ان نعيد النظر بتعاليم الدين فهذا يعني ان الله يعلمنا قواعد اخلاقية لكنه يخرقها .

لنفترض مع هؤلاء ان الرواية صحيحة وحدثت فعلا

لنقف عند هؤلاء الذين يشعرون بنشوة النصر حين يتحدثون عن تفاصيل هذه القصة وقد يقول احدهم ان ما حدث هو نصر الهي مؤزر ومعركة انكسر فيها اليهود وبقيت وصمة عار عليهم . يتحدثون عن الموضوع وكانه مباراة كرة قدم .

مع اني ارجح ان الرواية مبالغ بها لكن لنفترض انها صحيحة فعلا كما وردت. لن اتردد في رفضها وعدم الموافقة عليها والتضامن مع ضحاياها . لن اتردد ولو لحظة في تعاطفي مع الضحايا والاطفال والامهات اللاتي تم بيعهن في سوق النخاسة . وساموت وانا متضامن مع كل مظلوم بغض النظر عن انتمائه الديني او المذهبي او العرقي وساموت وانا استنكر كل ظلم حتى لو كان من اوقعه ابناء ديني او مذهبي .

لو جائني ليس فقط من يثبت صحة هذه القصة بدليل قاطع بل ملك منزل من السماء يحدثني بشكل مباشر ويقول لي انها حدثت فعلا فلن ترضاها نفسي ولن اقبل بها وسأبقى رافضا ومستنكرا لها وانا مطمئن النفس ومرتاح الضمير لاني اعتقد ان الله يريد مني ذلك . والا فلا يوجد اي معنى ان يعلمنا الله ان العفو من شيم الكرام (عفى الله عما سلف) ولا يوجد اي معنى حين يقول لنا (ولاتزر وازرة وزر اخرى) ولا يعقل ان يتامر عدد محدود من البشر على دولة فيعاقب كل ذويهم معهم !!! وهو من علمنا ان الاطفال ملائكة الله في الارض وان الجنة تحت اقدام الامهات (ولا يعقل ان تسبى جنة الله وييتم ملائكته انتصارا له)!!!هل يعقل ان يعلمني الله اشياء يناقضها هو ؟؟؟ اذا كان كذلك فساموت وانا مستعد ان احاسب على موقفي هذا بل انتظر هذا اليوم الذي اموت فيه لاقول (لماذا؟؟؟) ... هذا لو فرضنا صحة تلك القصة بكل تفاصيلها .اما لو كانت مكذوبة فالمشكلة منتهية.

بنو جذيمة وخالد بن الوليد

القصة كما يرويها ابن كثير :

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث رسول الله خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ولم يبعثه مقاتلا، ومعه قبائل من العرب وسليم بن منصور، ومدلج بن مرة، فوطأوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح، قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار، وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبدا.

قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا، إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب، وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد.

قال ابن إسحاق: فقال حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد».

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله فأخبره الخبر، فقال رسول الله : «هل أنكر عليه أحد؟».

فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة، فنهمه خالد فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما، فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة.

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر قال: ثم دعا رسول الله علي بن أبي طالب فقال: «يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك».

فخرج علي حتى جاءهم، ومعه مال قد بعث به رسول الله فودى لهم الدماء، وما أصيب لهم من الأموال، حتى أنه ليدي ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال فقال لهم علي حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال يودى لكم؟

قالوا: لا.

قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل ثم رجع إلى رسول الله فأخبره الخبر، فقال: «أصبت وأحسنت».

ثم قام رسول الله فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» ثلاث مرات. (انتهى) (6)

ما هو الامر الغريب والمثير للاهتمام الذي لاحظتموه في القصة ؟؟؟ اذا لم تلاحظوا أي شيء مثير للاهتمام فاتركوا عنكم هذه القصة ولا داعي للخوض فيها . ارجح ان هذه القصة مكذوبة وتم اختلاقها لسبب واحد فقط وهو اضفاء شرعية لما فعله خالد بن الوليد بمالك بن النويرة لا اكثر ولا اقل .

الإسلام النوعي والإسلام الكمي

في تقديري ان الاسلام في عهد النبي مر بمرحلتين الاولى (المرحلة النوعية–ما قبل الهجرة-) مرحلة النقاء الفكري والإصلاح الاجتماعي وتميزت بالنوع لا بالكم والثانية المرحلة التوسعية (المرحلة الكمية–ما بعد الهجرة)

المرحلة الاولى (مرحلة الموعضة الحسنة) هي التي انجبت مسلمين مخلصين مستعدين للتعرض للتعذيب والقتل في سبيل المبدأ والقضية وكل همهم التكافل الاجتماعي والدين العقلاني التأملي الخالي من الوثنية . مسلمين انقياء اوفياء للاسلام لا يبحثون عن اي منفعة شخصية . اما المرحلة الثانية . مرحلة بناء الدولة وتوحيد القبائل فهي مرحلة الكم لا النوع

ودخل فيها للإسلام كم كبير من البشر ليس من الانصاف ان نساويهم بالجيل الاول الذي اختار الدخول للاسلام حين كان مرفوضا اجتماعيا وقبل ان يتحول الى امر واقع . مرحلة الجيش (مرحلة الأشداء على الكفار رحماء بينهم) . مرحلة بناء دولة بالطرق الواقعية والممكنة ووفق المنطق السائد في العالم في ذلك الحين .

نستطيع ان نرى الان في زماننا الحالي مصداق لهاتين المرحلتين ... فهناك مسلمون يمثلون اسلام (إدع الى سبيل ربك بالحكمة) فهم مسلمون عقلاء يشبهون كثيرا الجيل الاول الذي اعتنق الاسلام حين كان يشكل ثورة على اللاعقلانية الوثنية وانعدام العدالة الاجتماعية... وفي نفس الوقت هناك مسلمين يجسدون اسلام (اقتلوهم حيثما ثقفتموهم) بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

لو تحدثنا عن واقع العرب بل العالم بصورة عامة (قبل الاسلام وفي عصر ظهور الاسلام) بواقعية فنستطيع ان نقول ان منطق البشر في ذلك الزمن مختلف . واذا كانت لغة العصر الحالي هي التكنولوجيا فلغة ذلك العصر هي السيف .

لم يظهر النبي محمد في مجتمع متمدن بل ظهر في مجتمع الصحراء . مجتمع البداوة الذي يحترم السيف والقوة . يحلل الدكتور علي الوردي الواقع الاجتماعي في عهد النبي ويتحدث في تحليله عن طبيعة العرب ودور النبي محمد (الديني والاجتماعي والسياسي والعسكري) وطبيعته الشخصية وتأثيره على العرب .

يقول الوردي علي : كان العرب قبائل بدوية يغزو بعضها بعضا . وهم كانوا ينتظرون من يوحدهم ويرمي بهم نحو العالم يفتحونه ولو لم يظهر محمد لربما ظهر فيهم رجل من طراز جنكيز خان أو تيمورلنك والعالم القديم كان مهددا بين كل حين واخر بموجة بدوية تجتاحه وتؤسس الدولة الفاتحة فيه . ومن مزايا محمد أنه ترك في أمته أثرين مختلفين . فهو قد وحد العرب ووجههم نحو الفتح من جهة , وهو من الجهة الأخرى علمهم دينا فيه قسط كبير من تعاليم العدالة والمساواة ... يحاول بعض المستشرقين ذم الإسلام اذ وصفوه بأنه يحمل القرآن بإحدى يديه والسيف باليد الاخرى . وما دروا أنهم يمدحون الاسلام من حيث أرادوا ذمه . فالاسلام قد أنتج بهاتين اليدين تفاعلا اجتماعيا لا يخمد له أوار . فكان يخضع الناس من جانب ويثيرهم من الجانب الاخر . فانبعثت من هذا التناقض بين الاخضاع والإثارة حركة اجتماعية قلما نجد لها مثيلا في التاريخ ... كان الجيش الإسلامي يحتوي على النقيضين . وقد رأت منه الشعوب المفتوحة يدا تجرح وأخرى تمسح من هنا جاء قول غوستاف لوبون (لم يشهد التاريخ فاتحا أرحم من العرب) كان العرب فاتحين وفيهم طبيعة كل فاتح ولكن فيهم طبيعة أخرى بعثها النبي في زمرة من أصحابه المخلصين فكان هؤلاء دعاة العدل والرحمة في كل مكان ذهبوا إليه . استمر الفتح الاسلامي على هذا المنوال طيلة عهد الخلفاء الراشدين . فلما ظهرت الدولة الاموية أخذ كل شيء من التغير يحدث فيها تدريجيا . وهذا التغير نشأ عن كون الصحابة والتابعين صاروا ينتقدون سياسة الدولة

الجديدة ويبتعدون عنها . التف حول الدولة الاموية جماعة من المتزلفين واخذوا يتظاهرون أمام الناس باسم الدين . وهم لم يكونوا في الواقع سوى كهان, شأنهم شأن أي جماعة من رجال الدين تحيط بالسلطان ... كان الدين والدولة متحدين فافترقا في عهد بني أمية (انتهى).(7)

البشر على مر العصور يغزو بعضهم بعضا ... حتى في زماننا الحالي زمان حقوق الانسان وجد الاقوياء طرق ملتوية لغزو من هم اضعف منهم تحت عناوين براقة ... الدكتور الوردي يتحدث عن واقع اجتماعي واتفق معه في اغلب ما قاله ... لكن السؤال الذي يطرح نفسه...يقول الوردي (وهم كانوا ينتظرون من يوحدهم ويرمي بهم نحو العالم يفتحونه) القول في انهم ينتظرون من يوحدهم مفهوم ومعقول . لكن ما لم لفهمه لماذا ينتظرون من يرمي بهم نحو العالم يفتحونه؟؟؟هل كان يجب كتطور اجتماعي حين يتوحد من كان يغزو بعضهم بعضا ان يحولوا توجيه بوصلتهم نحو الاخر؟؟؟

لو كان الشعب الذي تغزوه امة اخرى لا يجد ضير في ذلك ويجد فيه تحقق مصالحه فالامر قد يكون مقبول لكن ماذا لو كان شعب معين رافض لوجود تلك الامة حتى لو كان جيشها معه في قمة التحضر وفي قمة الادب وفي قمة الانسانية؟؟؟

الاسلام الانساني بين الفكر الالحادي و الاسلام الدموي

روح الإسلام الإنساني

تعتقد شريحة من الملحدين بأن ثورة الانترنت والمعلومات كفيلة بالقضاء على الدين الاسلامي ولم يعد هناك إنسان غير مطلع على الادلة التي تفند صحة الأديان وتثبت تفوق العلم ورجاحته.

الفكر الإلحادي قادر على التأثير بنسبة من الناس ومن جانب آخر الفكر الاسلامي الدموي قادر على التأثير بنسبة من الناس ايضا لكن صراع البقاء حسب تصوري لن يكون بين (الالحاد) و(الاسلام الدموي) بل بين الاسلام الانساني والاسلام الدموي. لا يوجد فكر له قدرة وإمكانية على مواجهة الاسلام الدموي اكثر من الاسلام الانساني العفوي الذي يتخذ من الضمير مرجعا له.

فالالحاد موجود منذ القدم ووجوده لم يقضي على الايمان . والايمان كذلك لم يقضي على الالحاد مع كل محاولاته المضنية . الصراع الحقيقي بين الايمان والايمان . بين الفكر العتيق الذي (قد يكون مناسب لزمانه وقد لا يكون له وجود اصلا في ذلك الزمان) وبين الفكر الايماني الواقعي الذي هو حتما يناسب زماننا ويتماهى مع واقعنا.

(الرسول محمد الدموي) القابع في عقل ابو بكر البغدادي ومن لف لفه لن يتمكن من القضاء عليه الا (الرسول محمد الرحيم) المتربع في قلوب المفكرين المجددين والمؤمنين العفويين .

المواجهة العسكرية مع الارهاب مهمة لكنها حلقة مفرغة طالما ان منابعه الفكرية (باقية وتتمدد) تنقية التراث وتجديد روح الدين هي المعركة الحاسمة . انها المجزرة الفكرية التي ستقضي على الارهاب عاجلا ام اجلا .

المتشددون لا يشعرون بالخطر من الفكر الالحادي بل من الفكر الايماني المعتدل والمتجدد الذي يناسب الواقع وينبذ العنف . ونسبة من الملحدين (التبشيريون خصوصا) يزعجهم الاعتدال ويصرون على ان الحقيقة تكمن في التشدد .

ان الخروج من الدين يخلف فراغ كبير بسبب ضخامة فكرة الاله في اذهان الناس لذلك يفضل الكثير منهم (فكر ديني ينبذ التطرف) على (ترك الدين) وهذا كما يرى الملحدون التبشيريون يعيق فطم المؤمنين من الدين وتحريرهم منه.

اختلف مع هؤلاء الملحدين في هذا التشخيص . لاني ارى ان الطريق الوحيد لتحول المجتمع الى مجتمع تعددي يتقبل الاخر وفيه وجود معلن للملحدين واللادينيين هو ان ينتشر

الدين الانساني . التجارب الاخرى خير دليل فالمجتمع الاوربي الان مجتمع تعددي يحترم الاخر ويهتم بحقوق الانسان لكن حين كانت محاكم التفتيش قائمة لم يكن هناك من يتخيل ان هذا ما سيصلون اليه يوما ما . وحين اندرست محاكم التفتيش لم ينقرض الدين المسيحي بل لا زال مستمر لكن عاد كما كان في عهد المسيح دعوة للحب ونبذ الكراهية.

من واجبي كمؤمن (بوجود خالق) ان ادعم وجود منصة حقيقية لها وجود اجتماعي وثقافي يعبر فيها من يناقضني عن نفسه بحرية والا فلا قيمة لي ولايماني ولاذهب (في ستين داهية)

نسبة من الملحدون لا يميزون بين المؤمن المسالم(مؤدلج وغير مؤدلج) وبين المؤمن الدموي

على الاقل نسبة لا يستهان بها من الملحدين لا يميزون بين المؤمنين المسالمين (سواء كانوا مؤدلجين او غير مؤدلجين و هم الاغلبية) وبين المؤمنين الدمويين (ويمثلون اقلية) والسبب حسب اعتقادي هو انهم يعتقدون ان ابو بكر البغدادي يمثل الاسلام الصحيح ويؤكد صحة ما يدعوا اليه الفكر الالحادي في ان الاسلام دين قتل ودم وتكريس للهمجية أما المعتدلون فهم في نظرهم حفنة من الأغبياء السطحيين لا يعرفون شيئا من الدين وهم بهذا وقعوا في خطأ فادح...كيف ذلك ؟؟؟لقد اهتموا بجانب وفاتتهم جوانب اخرى .

هم مهتمون بتفنيد الاسلام من جانبين علمي وعقلي فمرة يناقشون مخالفة الدين للعلم ومرة يناقشون مخالفة الدين لحقوق الانسان لكن فاتهم ان هناك فئة من الناس المسالمين العفويين لا يكترثون بالاستدلال (لا العلمي ولا العقلي) لان ايمانهم غير مبني على نصوص . هو ايمان روحي عفوي يحترم العلم ويحترم الانسانية ويطوع فيه المؤمن فهمه للدين (للانسانية والعلم)

لا يمكننا ان ننكر اثر الفكر الالحادي او اللاديني على ارض الواقع بل على الانسانية بصورة عامة . لكن ؟؟؟!!! المفكرين الحداثيين ورجال الدين المجددين و المؤمنون العفويون الذين لا يصدقون ان حد الردة من الاسلام وينكرون وجوده حتى لو أتيت لهم بألف دليل قادرون بشكل كبير على اشاعة ثقافة ايمانية تتفاعل مع العالم وتحترم الفرد وخياراته . هؤلاء لا يبحثون عن الانفجار العظيم او عن شكل الارض في القرآن ولا عن دوران الارض حول الشمس بل يبحثون عن اطمئنان قلوبهم ... القرآن يسكن في قلوبهم ويعطيهم شعورا بالامان ولا يكترثون لمحاولة احدهم اثبات ان الدين يتناقض مع العلم . يبحثون عن الاطمئنان والامان فأروع لحظات حياتهم هي تلك اللحظة التي يتوضأون فيها ويجلسون على السجادة ويتلون القرآن (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) هؤلاء يعتقدون ان الله محبة وخير والنبي محمد نبي رحمة والقرآن معجزته

والاسلام دين لخدمة الانسان لذلك اذا مرت عليهم آية فيها قتال سيؤولونها لما يناسب ضميرهم الانساني .

لذلك هؤلاء لن يكترثوا بأي مد إلحادي لان الايمان جزء لا يتجزأ منهم لكن الانسانية ايضا جزء لا يتجزأ منهم وهذا يؤدي الى أمرين مؤكدين وهما بقاؤهم مؤمنين الى الموت وبقاؤهم انسانيين الى الموت وهذا يؤدي بالضرورة الى ضمان بقاء مؤمنين انسانيين . ان هؤلاء أصحاب الإيمان الرومانسي الحالم السارح في الخيال هم من يطورون الاديان وهم الوحيدون القادرون على دفن الفكر الديني الذي يلغي الفرد ويمسخه وهم الوحيدون القادرون على إحياء دين الفرد الدين الروحاني الذي يتفاعل مع الواقع .

في ذهنهم صورة للنبي محمد ملؤها الرحمة رُسِمت في عقولهم من نصوص دينية وتراث انساني موجود على ارض الواقع (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وهذه الصورة سترسم وتشكل بألف طريقة الى ان تولد شخصية جديدة قديمة لا تمت بصلة للنبي محمد الدموي الذي يؤمن به ابو بكر البغدادي وستحول الاسلام الى دين مدني حداثي قابل للعيش وقابل للحياة .

يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي : لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل، فإن لمنظرها القبيح خيالاً أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة، لابد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره، وأعماله، ومساعيه.(1)

المسلم الذي يطلق عليه الملحدين تسمية (مسلم كيوت) من باب السخرية ويطلق عليه الاصوليين (مبتدع او منحرف) من باب التسقيط . هو الرقم الصعب في المعادلة وهو من سيشكل خارطة الطريق للفكر الديني مستقبلا .

المؤمنون العفويون يشكلون الروح والمفكرين الحداثيين يشكلون الجسد

إذا شبهنا الممارسة العملية للفكر الديني الانساني التي يمارسها المؤمنون العفويون (بالروح) فبماذا نشبه (الجسد) ؟؟؟ تلك الروح تحتاج الى جسد كي تنهض وتتحول الى كيان شاخص يتمكن من مواجهة الفكر الدموي وإسقاطه . المفكرون الحداثيون (من داخل المؤسسات الدينية ومن خارجها) الذين يدعون لدين يحترم حرية الفرد ويثبتون صحته بالادلة هم من يمثلون الجسد .

(الجسد) هو تحويل الممارسة الى نظرية مدونة ومثبته بأدلة ونصوص دينية قادرة على الصمود امام ما يستدل به الدمويين . وبتقديري هذا ما سيتمكن من تحقيقه مفكرون و باحثون ورجال دين حداثيون . وهذا هو جوهر الفرق بين (المفكر الحداثي و المؤمن العفوي) فالمؤمنون العفويون يمارسون الانسانية (دعاة صامتون) الدعوة الصامتة قادرة

على التأثير الاخلاقي في محيط الفرد لكن النظرية المدونة المدعومة بنصوص دينية قادرة على التبشير في مجال اوسع.

الانتماء الديني يجعلني انا وذلك الافريقي او الكندي او الاسترالي (المسلم) نجتمع بهوية واحدة ولا يفرقنا عرق او لون او لغة . لا بأس بهوية دينية تجمع اشخاص مختلفين ومتباعدين ولا ضرر من ذلك الشعور الجميل الذي ينتاب المرء حين يشعر ان شخصا ما في امريكا مثلا يشترك معه في طقوس معينة ويتواصل مع السماء بنفس طريقته وهذا الشعور الجميل ينتاب حتى من لهم هوايات معينة حين يكتشفون ان هناك من يشاركهم هواياتهم في اماكن بعيدة من العالم وهذه طبيعة الانسان فهو ينجذب ويحنو لمن يشاركه شيئا ما والانجذاب يكون اكثر قوة حين يكون هذا الشيء فكرة معينة ويكون اقوى بكثير لو كان ما يشتركون به اعتقاد ديني . المشكلة حين يقوم هذا الامتزاج الديني بين المتباعدين بألغاء المشتركات البشرية الاخرى بين جميع بني البشر على اختلاف انتمائاتهم .

المشكلة كل المشكلة حين تقوم الهوية الدينية بسحق هوية الانتماء للوطن وتجعل من يسكن في دولة اخرى اقرب لي من جاري الذي يختلف عني بالدين او المذهب . الرابط الاكثر سعة الذي يجمعني مع الافريقي والامريكي والاسترالي والاسيوي سواء كان مسلم او غير مسلم هو رابط (الانسانية) بل الرابط الاكثر سعة من رابط الانسانية هو رابط (الكائنية- عائلة الكائنات الحية-) الذي يجمعني مع جميع الكائنات الحية وهو ما يجعلني اشعر بمعاناة الطير والكلب والقط وغيرهم من الكائنات الحية الاخرى التي تشاركنا الكوكب .

حين يقوم المجتمع تحت عنوان الحفاظ على ثوابت الامة بسحق توجهات الفرد الذاتية وخياراته الشخصية فهنا تكون الامة عدو للانسان . لا مشكلة في الامة الواحدة اذا كان المقصود بها ان هناك عقيدة مشتركة تجعلني انا والذي يعيش في تنزانيا مثلا نشترك في نفس الاعتقاد فيما يخص حياة ما بعد الموت او نشترك في ممارسة نفس الطقوس او نلتقي في مناسباتنا المشتركة لنشعر بذلك الشعور الداخلي بالانتماء لبعضنا . المشكلة الحقيقية تبدأ حين تتقاطع متطلبات الامة مع متطلبات الفرد ويسحق الفرد لاجل الامة ونتيجة ذلك لا يبقى فرد ولا تبقى امة .

ثورة المعلومات ستؤثر تأثير ايجابي على الفكر الديني

ثورة النت من شأنها ان تؤدي الى تصدع الاسلام الدموي وقد يبدو ذلك غير واقعي في نظر الكثيرين لان الاسلام الدموي في أوج عظمته . نعم هذه مرحلة من مراحله لكن هناك سنن كونية لا مفر منها وسيأتي يوم تتداعى فيه أسطورة الدين الدموي ويحل محلها الدين الانساني ولو عدنا للتاريخ فسنرى أن هذه السنة لا مفر منها.

من هو المسلم العفوي وما هو فرقه عن المسلم التقليدي ؟؟

لا بد ان نشير ان المقصود (بالمسلم التقليدي) هنا تحديدا (ليس المتطرف الدموي) فالدمويين اقلية قياسا بتعداد المسلمين الكلي واغلب المسلمين التقليديين (مسالمين) في حياتهم العادية وليسوا متطرفين لكن هناك فرق جوهري بينهم وبين المسلمين العفويين . ونحن لا نعلم علم اليقين ماذا سيفعل المسالمين (على اختلاف اديانهم توجهاتهم) لو اتيحت له الارادة الحرة لفعل ما يشائون؟؟؟!!!

من يفهم العفوية بمعنى السذاجة فهو مخطأ

المقصود بالعفوية (الرفض المباشر دون فحص وتفكير طويل لأي فعل غير انساني حتى لو كان رجل دين يستدل عليه بأدلة من التراث الديني (كقتل المرتد مثلا) وفي الجانب الاخر القبول المباشر دون تفكير طويل بأي فعل انساني حتى لو كان رجل دين يستدل على حرمته من التراث الديني (كاقامة صداقة مع تارك صلاة او تقديم يد المساعدة له) .

المؤمن الحر العفوي مرجعه الضمير والمؤمن التقليدي مرجعه (الفهم السائد للنص) لسان حال العفوي يقول (بما أن الفعل الفلاني يرضي الضمير فهو حتما يرضي الله) ولسان حال التقليدي يقول (بما ان الفعل الفلاني أمر إلهي فحتى لو كان مخالفا للضمير فهو جيد وحتما هناك حكمة عقلي قاصر عن استيعابها) مثلا :

حكم قتل المرتد ... العفوي ينكره فورا دون الالتفات لدليل لأن دليله اليقيني هو الضمير وكل فعل مخالف للضمير لا يرضي الله حتما . اما التقليدي فمرجعه الرواية التي تحولت الى بديهة لا نقاش فيها من قبل رجال دين يثق بهم (من بدل دينه فاقتلوه) فهو يقول (بما ان قتل المرتد ثابت بالدليل فلا قيمة لاستنكاري الداخلي)

يقول المفكر الايراني عبد الكريم سروش: فالمتدينون المقلدون الذين يمثلون اكثرية المتدينين يتحركون بأتجاه اعتناق دين خاص من دون اجراء عملية تصحيح وتنقيح المسبوقات والمباني الفكرية التي يقوم عليها فهم ذلك الدين , وبما ان نظرتهم تنبع من التقليد فانهم لا يلتفتون الى الاراء الواقعة خارج الدين . لذلك فان فهمهم القبلي والبعدي واحد , اما الاشخاص الذين يتحركون في التزامهم الديني من موقع التحقيق فانهم يهتمون بالاراء الواقعة خارج الدين فلو توصلوا الى راي معين هناك واعتقدوا به فأن ذلك من شأنه ان يترك بصماته على فهمهم للمعارف من داخل الدين (انتهى).(2)

رواد الفكر الحداثي يشكلون الدين الانساني ولن يتمكن لا(ملحد) ولا (مسلم دموي) من القضاء عليهم . في ظل وجود الثورة المعلوماتية سيبقى هناك مسلمون دمويون لا يحكمهم ضمير . وسيبقى هناك ملحدون يبشرون بالإلحاد . لكن سيتشكل فكر ديني إنساني وينمو

وينمو الى ان يصبح امر واقع لا مفر منه ورواد الفكر الاصولي سيكون مكانهم المناسب حينها هو المتحف .

الفرد المؤدلج

نقصد بالفرد المؤدلج بصورة عامة (الذي يعتقد بعقيدة معينة - دينية او لا دينية - ويلتزم بها ويتصور انها الحقيقة المطلقة ويضعها معيار رئيسي للحكم على الناس) هذا الفرد يقرأ ويطلع وقد يستحسن ويستقبح لكن في النهاية لن يتمكن من الفرار من بديهيات الجماعة واذا لم يلتزم بها فسيصنف نفسه على أنه عاصٍ لأوامر الله . وفي الوقت نفسه لن يتمكن من الاقرار بصحة رأي مخالف للرأي السائد حتى لو كان يراه منطقيا .

يقول السيد احمد القبانجي : والانسان المؤدلج سيعيش الاغتراب عن ذاته الحقيقية وحاجاته الروحية والمعنوية,وسوف لا يجد حاجة لتغيير وضعه وتحسين حاله لانه يرى نفسه كاملا وصالحا وعلى الاخرين ان يغيروا حالهم ويصلحوا أنفسهم ,أي أن عجبه وحبه الشديد لعقيدته ودينه المؤدلج يمنعانه من إجراء أي تعديل عليه بل يوصد الباب امام العقل ليتحرك بحرية للعثور على نقاط الضعف والخلل في عقيدته ودينه.. اما الثقافة المؤدلجة فهي الثقافة التي تفرض على المجتمع من الاعلى وتمنع حركة النقد للسلطة السياسية والدينية لان النقد بزعمهم يضعف وحدة المجتمع وتلاحمه مع السلطة ما يمهد الطريق لثقافة انصر اخاك ظالما او مظلوما وثقافة الحزب الواحد والقائد الاوحد وينعكس ذلك حتى على العلاقات الاجتماعية وروابط افراد الاسرة الواحدة لان الايديولوجيا لا تتحمل من يخالفها الرأي وبالتالي ستسود ثقافة الارهاب والطائفية والكراهية في مجتمعاتنا الاسلامية (انتهى) .(3)

خطوط وهمية من القداسة

النقطة الجوهرية هي أن هناك خطوط وهمية من القداسة تشبه جدا خطوط الطول والعرض وتترجم هذه الخطوط بالشكل التالي (هل من المعقول أن أشعر ان هذا الامر غير منطقي ولم يشعر به مئات رجال الدين والمؤمنون على مر العصور ؟؟؟ هل من المعقول أن أرى الفعل الفلاني جيد ولم يره المئات من رجال الدين على مر العصور كذلك ؟؟؟) هكذا تسير الامور في عقلية المسلم المؤدلج. المجتمع الإيماني المؤدلج لايسمح للفرد ان يشذ عن القاعدة في سلوك او تفكير وفي أحسن الاحوال سيكون منبوذ من الجماعة .

يقول السيد اياد جمال الدين : الدين التلقيني والايمان التلقيني لا يمكن ان يكون ايمانا حقيقيا لانه يبنى على الخوف والطاعة المطلقة (انتهى).(4)

قد يحلق لحيته لكن لا يحلق انسانيته

اما من يعتقد ان الدين خيار شخصي ولا يلزم الا من يعتنقه فهو يؤمن بأن دينه يخصه وحده وليس له علاقة ان فلان ملتزم او غير ملتزم متدين او غير متدين ملحد او غير ملحد

زوجته محجبة او غير محجبة . كل هذه أمور شخصية لا يسمح لنفسه بانتقادها حتى . هو يبجل رجال الدين ويعطيهم مكانة اعتبارية كبيرة بل هو يتعلم منهم الكثير من الامور . لكنه يحلق لحيته متى يشاء ويطلقها متى يشاء لانه لا يشعر ان لهكذا موضوع علاقة بالتواصل مع الله...هو هكذا...شخصيته هكذا...نعم هو يحرم حلق الانسانية...قد يستمع للاغاني وقد لا يستمع لكنه يحرم الاستماع لثقافة الكراهية...قد يشجع ابنته على الحجاب ويفرح حين تتحجب لكن لا يفرضه عليها... قد يشجع ابنه على الصلاة ويفرح حين يشاهده يصلي لكنه لا يضغط عليه ليصلي...يشعر بان ابنه ارتكب ذنب من الكبائر لو اعتدى على آخرين...يصوم في رمضان لكن لايتخذ موقف سلبي من المفطرين...لديه مساحة واسعة من الحرية الشخصية في ممارسته اليومية وفي نفس الوقت يحترم جدا خيارات الآخرون الشخصية ولا يتدخل بها...وأمر آخر مهم جدا...انه يعيش حياة روحانية دينية أخلاقية .

الدين لا يمكن ان يموت

فهو حقيقة قائمة في عقول كثيرين . لكن الدموية باسم الدين هي من ستنتهي شاء من شاء وابى من ابى . الدين ثابت لكن المفاهيم هي من ستتغير لتكون صالحة للعيش . الافكار الدموية التي اعتنقها نسبة من الناس تحولت من مجرد افكار محبوسة الى حرائق لا تنطفأ في مكان حتى تشتعل في اخر لكنها في النهاية ستتحول الى رماد وهذه نهاية اي حريق مهما طالت مدته ومهما استعرت ناره .

يقول سان سيمون: الدين لا يمكن ان يختفي من العالم انما يتحول ويتجدد.(5)

الواقع الذي نعيشه هو واقع نهضوي مع كل ما فيه من انتكاسات متراكمة ومحبطات متأصلة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا وفكريا . الا اننا نعيش واقع متحرك متفاعل مشتعل . النهضة تبدأ من ركام الفوضى . التنويريين الذين ظهروا في عصر النهضة (رفاعة الطهطاوي ومحمد عبدة وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم) لم يظهروا في عصر مثالي بل في عصر يشبه عصرنا . نحن الان في محطة مفصلية ونعيش تحول جوهري من واقع الى اخر . قد ندفع اثمان باهضة لهذا التحول لكنه سيحدث شأنا ام ابينا . نعيش هزة ارضية ارتدادية حقيقية في جميع المجالات لكن هل سنكون موجودون لنشهد عالمنا بعد ان يستقر من هذه الهزة الارتدادية ؟؟؟ لا ندري ولا يمكننا الجزم .

المفكرون الحداثيون ليسوا فوق النقد

المفكرون الذين ينظرون للتراث الديني نظرة تامل وفحص وتدقيق غير منعزلة عن الواقع وغير منحازة او محبوسة باحكام مسبقة قادرين بنسبة كبيرة على تعديل البوصلة ومصالحة الفكر الديني مع الواقع المعاش . لكنهم بشر حالهم حال غيرهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم . كل ماهنالك انهم خرجوا من دائرة الفكر الاحادي وحرروا العقل من القيود . لكن لا يمكن تنزيههم من الانحياز ولو ثبت انهم منحازين للفكر الجديد الذي يعتنقوه فهذا يخرجهم من

دائرة التحرر ويعني انهم فكوا قيود قديمة وقيدوا انفسهم بقيود اخرى جديدة . ولا يمكن ان يكون هؤلاء المفكرين فوق النقد بل النقد هو ما يفترض ان يرتقي بهم . وعلى كل حال فالقول في قدرتهم على تحريك الساكن لا يعني انهم يمثلون الفضيلة والحق المطلق بل يعني انهم قادرين على تغيير الواقع لكنهم عرضة للنقد مرة وللمدح مرة اخرى .

خطورة اصحاب الافكار الحرة

حسنا...الشعور بالخطر ينتابني في ثلاث حالات...الاولى حين يشهر أحدهم مسدسا بوجهي والثانية حين يحاول أحدهم التحريض على قتلي وجعله تقربا لله زلفى والثالثة حين يتجاوز احدهم حدوده ويتدخل في حياتي الشخصية تحت اي عنوان كان...وكل هذه الحالات لا تنطبق على اصحاب الفكر الحر(من داخل المؤسسة الدينية ومن خارجها) فلم يشهر احدهم مسدسا في وجهي ولم يحرض احدهم على قتلي ولم يجبرني احدهم على سلوك معين او نمط حياة معين . لا استطيع استيعاب المقولة التي تتحدث عن تعرض الفكر او الدين للخطر . كيف ذلك؟؟؟ هل المقصود ان يتأثر اشخاص بسطاء بتلك الافكار و ينحرفوا مثلا ؟؟؟ اذا كان التاثر سيحوله الى ارهابي فنعم هذا فكر منحرف أما اذا لم يحوله الى قاتل او لم يحوله الى حاقد على الاخر فما هو دخلي انا بما يعجب غيري من أفكار او سلوكيات ولماذا يجب ان أشعر بالخطر على ديني انا الذي يتربع في قلبي وعقلي؟؟؟

ما اعلمه ان الفكر يواجه بالفكر أليس كذلك ؟؟؟ إذا كان هؤلاء ضالين مضلين مبتدعين ليبرز منتقديهم عضلاتهم ويواجهون الفكر بالفكر المضاد وليجعلوا هذا الذي تأثر بهم ويسمونه (الساذج او البسيط) يعود الى رشده عن طريق الفكر ايضا وعن طريق الاقناع . اذا كان الفكر باطل فبكل سهولة يمكن إسقاطه ارضا ودفنه الى غير رجعة لأن الفكر الاصيل أقوى واكثر متانة وقدرة حتما على مواجهة الفكر السطحي غير المتين (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) لماذا الشعور بالخطر من الفكر اذن ؟؟؟واين يكمن الخطر؟؟؟

الفكرة التي تطرح من أي شخص يمكن الرد عليها بفكرة تدحضها وليس بإعلان خطر تلك الفكرة على الدين فإعلان خطورة افكار فلان دون دحضها بادلة ليس له تأثير كبير بل هو دعاية مجانية لذلك الشخص . والشعور بالخطر والغضب يزداد لو كان من يطرح الفكرة يرتدي زي ديني والسبب واضح وهو انهم يرونه (منتحل للهوية الدينية)

يقول عبد الله القصيمي : (اننا لا نعادي المخالفين لنا لأنهم ضد الفضيلة أو ضد الإيمان والحق ولكن لانهم ضدنا انهم مخطئون لأن إرادتهم ومصالحهم تناقض مصالحنا وإرادتنا)(6). ما يقوله القصيمي ينطبق على نسبة من الذين يثقفون الناس على خطورة الفكر المخالف وبطبيعة الحال لا يمكن ان ينطبق على الجميع .

لا يمكن ان نسمح لانفسنا ان ننجرف في سوء الظن الدائم

كل شيء نسبي ولا بد ان نضع حسن الظن في الاعتبار . اجزم ان هناك خوف ايماني نابع من حسن نية وحب ولا يحمل ضغينة وكره بالضرورة. فقد يحمل في طياته حنو على الاخر من خلال الحرص عليه وعلى حسن عاقبته . لكن الاسلوب الذي يتبعونه غير مجدي ويأتي بالنفع لمن ينتقدوهم . فبعض الناس لا يعرفون فلان او علان الا عن طريق من ينتقدون افكارهم ويحذرون من خطورتها .

نسبة لا يستهان بها من رجال الدين مخلصين وطيبين ولا يبحثون عن اي مصالح دنيوية وكل همهم التأثير الايجابي على الناس ويطرحون الكثير من الطروحات الانسانية التي تحيي ضمير الانسان وتيقظ وجدانه لكن الواقع المؤسف يقول ان صوت الاقصائيين يطغي على صوتهم .

في ايام الحصار كانت هناك بضائع مغشوشة مثل قطع غيار السيارات وكان يكتب عليها ماركات اجنبية لكن الان هذه البضاعة غير موجودة . لماذا هل الغشاشون تابوا؟؟؟الجواب لا طبعا . بل لأن كلفتها اصبحت كبيرة ولا يمكن بيعها مقابل البضاعة الاصلية الموجودة باسعار معقولة . لم يعد هناك جدوى من غش البضاعة بعد انتهاء الحصار لكلفتها مقابل سعر بيعها . هذا ما سيحدث للفكر الديني القشري ورجاله عاجلا ام اجلا . بضاعتهم لم تجد من يشتريها وصراخهم لم يجد من يسمعه يوما ما لانه سيبدو مضحكا.

فهم الانسان للنصوص والكلمات يختلف من زمان الى زمان استنادا لمستوى وعيه وادراكه واستيعابه وفهمه وواقعه الاجتماعي . لذلك نقف بأستغراب امام بعض التفسيرات القديمة للنص او للرواية وهذا الاستغراب طبيعي حتى لو تجنبنا الوقوف عنده . العقل يتعاطى مع كل شيء انطلاقا من بديهيات الواقع المعاش ومستوى تطور التجربة البشرية. حتى لو كنا نحاول مقاومة هذا الاستغراب من خلال وضع دفاع (قصور العقل) سيبقى الواقع يجبرنا على استخدام منطق مختلف عن المنطق القديم . لان بديهيات الحقبات السابقة كانت مختلفة وما كان منطقي في زمان سابق لم يعد منطقي الان وهذا شيء لا دخل لنا به . انه امر واقع اعجبنا ام لم يعجبنا . وحالة الاستغراب هذه تنتاب الجميع لكن هناك من يتجاوزها وهناك من يقف عندها . التجديد ينفي حالة الاستغراب اللاشعورية التي يسببها عدم توافق (الذات المرتبطة بواقعها وزمانها) مع (الفكر الديني المرتبط بواقعه وزمانه)

الفكر الحر وأثره على الفكر الديني

ما هو الفكر الحر؟؟؟

الفكر الحر كما افهمه هو (ان يفكر الانسان ويستفهم ويشكك ويستنتج دون اي قيد واي شرط ودون ان يقف امام اي حاجز حتى لو كان هذا الحاجز محاطا بهالة من القداسة) الخوف والفكر الحر لا يجتمعان في مكان واحد ابدا . طالما هناك خطوط حمراء مقدسة لا يمكنك تجاوزها لن يكون هناك فكر حر البتة . العلاقة المبنية على الخوف لا يمكن ان ينتج عنها فهم وادراك . نعم في الحياة العادية من الممكن ان يكون الخوف الغريزي شيء ايجابي في بعض الحالات التي يشعر فيها الانسان بالخطر . فالخوف في النهاية غريزة يستفزها الصراع من اجل البقاء . لكن الخوف في مجال الفكر ليس له اي ايجابية تذكر .

هناك ايات قرانية تتحدث عن الخوف من الله مثل (انَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين) او (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ) او (وَإِيَّايَ فَارْهَبُون) لو عدنا الى الغاية الرئيسية من الدين (اتمام مكارم الاخلاق) فسيكون للخوف هنا معنى اخر اكثر عمق من مجرد الخوف الشخصي . بل سيعني الخوف من عواقب وسلبيات عدم الالتزام الاخلاقي اجتماعيا . الخوف من طمس صوت الضمير امام الجشع البشري.

حين يقول الله (فلا تخشوا الناس واخشون) افهم ان الله يريد من الانسان ان يضع في ذهنه امرين الاول (الاخلاق) والثاني (نقيضها)...(فلا تخشوا الناس)...(لا تنقادوا للتيارات التي تبعدكم عن الاخلاق وتقتل فيكم الضمير)...(واخشون)...(لا تستهينوا بسلبيات وعواقب اهمال صوت الضمير وعدم احترام مخلوقات الله عليكم وعلى الاخرين) الخشية هنا من العواقب التي تسببها السلوكيات الغير سوية التي قد يتعدى بها شخص على اخر تحت اي عنوان . وليس من المعقول ان تكون خشية من الله تشبه خشية البشر من بعضهم البعض . اذا وضعت في ذهنك الغاية الرئيسية من الدين (اتمام مكارم الاخلاق) لن تصل الا لهذه النتائج.

طالما ان العلاقة مع الله مبنية على الخوف فلا ينتج عنها الا مشاعر الخوف فقط لا غير . وكل سلوكيات الانسان سيكون منبعها هو مشاعر الخوف لا اكثر ولا اقل . حتى لو كان يتجنب افعال سيئة ويقدم على افعال جيدة يبقى محركه الرئيسي هو الشعور بالخوف . ومن جانب اخر لا يمكنني ان اتأمل الله تأمل حقيقي وانا خائف منه. في اللحظة التي استبدل علاقة الخوف من الله بعلاقة التواصل مع الخالق سينطلق في عقلي امرين مهمين كانا مندرسين وهما (السلوك العقلاني) و(الصفاء الذهني والتأمل الروحي) اذا كان الخوف من الاشياء التي قد تعرض الانسان للخطر في الحياة ضرورة . فالخوف الفكري لا يعدو اكثر من اعاقة ذهنية وعاهة مزمنة لا يتولد عنها الا رهاب وهمي من التفكير الحر .

اذا تمكن رادع من ايقاف المعتلين عقليا عن القيام بجرائمهم فهذا امر جيد . ومثال على ذلك الخوف من عواقب مخالفة القانون الرسمي للبلد او الخوف من الله او الخوف من النار او الطمع في الجنة . اي رادع يوقف الشر هو شيء ذو فائدة ويحقق مصلحة عامة . لكن الفائدة الاكبر والجمال الاكمل يتحقق حين يكون الرادع ذاتي .

لا قيمة لتركي للافعال السيئة اذا كان سبب تركي لها هو الخوف والطمع فقط . ولا قيمة لقيامي بالاعمال الجيدة اذا كان سبب قيامي بها هو الخوف والطمع فقط . هناك قيمة جيدة للاخرين المحيطين بي لكن فقيمتها لي سلبية لاني مجرد منتفع يبحث عن مصالح ذاتية ولا يتمتع بالجمال الذاتي للافعال .

الخوف عدو العقل . الخوف عدو الضمير . الخوف عدو الله . العلاقة المبنية على (التواصل) قد توصلك الى الله وقد لا توصلك . لكن العلاقة المبنية على (الخوف) لن توصلك الى الله ابدا . المكان الوحيد الذي ستوصلك اليه هو (الشعور بالخوف فقط) .

الفكر والخوف طرفا نقيض لا يجتمعان ابدا .ان مواجهة الخوف هو ما يريده الله حتى لو كان الخوف منه . ما كان لعلي بن ابي طالب هذا المفكر الفذ ان يقول (الناس صنفان اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) لولا الفكر الحر الذي تجسد في قوله (ألهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ...الخ)

هم من يزدرون الله حقا

اذا كان الخوف من الله يمنع الانسان من استخدام اداة الله العظمى (العقل) فمنبع هذا الخوف ليس الله ابدا بل من يتاجرون باسمه . فلا يمكن ان يخلق كيان قادر على التحليل والاستنتاج ويبطش به لو استخدم تلك الملكة . من يروجون لفكرة الخوف غايتهم عدم التنقيب خلفهم في ما يعدونها هم ثوابت لا مجال في نقاشها . وهم في ذلك يزدرون الله من حيث لا يشعرون . فلا يستقيم ان يكون الله حكيم ويخلق ملكة العقل في الانسان ويخيفه لو استخدمها فهذا خلاف الحكمة تماما .

هل نحن بحاجة للتفكير بحرية وتجرد؟؟؟

الموضوع نسبي ويعتمد على طبيعة الشخص وتوجهاته واهتماماته واولوياته وموقعه في هرم الحاجات لماسلو . فهناك اشخاص همهم الاول والاخير توفير لقمة العيش كهؤلاء الذين يعيشون المجاعة في افريقيا فهؤلاء لا يكترثون البتة لا لفكر حر ولا لفكر مقيد فلا نظريات الملحدين تشبعهم من جوع ولا دعاء المؤمنين يعالجهم من مرض ولسان حالهم يقول (عن اي حقيقة وجود تتحدث؟؟؟الحقيقة المطلقة عندنا هي الجوع والمرض وانعدام الامان فاما ان تشبعوا حاجاتنا او تخرسوا) هذا لا يعني ان كل الفقراء يهتمون فقط بلقمة العيش ولا

يتأملون ولا يبحثون كلا قطعا بل هناك الكثير من الفقراء وصلوا الى اعلى درجات التكامل النفسي والعقلي والروحي مع شعورهم بالحرمان .

وهناك اشخاص شعارهم (اشطب يومك) ويهتمون جدا في استغلال كل لحظة من الحياة في امتاع انفسهم فعن اي حقيقة وجود تتحدث ؟؟؟ لسان حالهم يقول (لنعيش الوجود بكل جوارحنا وضيعوا انتم حياتكم بمحاولة اكتشافه) .

اما المتدينين فمنهم من اسميناهم (العفويين) الذين يلتزمون بالدين بطريقتين (الالتزام الاخلاقي والتواصل الروحي) ولا يكترثون للخوض في التفاصيل . ومنهم (المؤدلجين) الثابت الاول والاخير عندهم هو (الالتزام بطروحات رجل الدين محل الثقة بغض النظر سواء كان الطرح معقول او غير معقول) قبل مدة كنا في نقاش انا واحد الاصدقاء حول فتوى لاحد رجال الدين فحدثته عن عدم عقلانية هذه الفتوى فضحك ضحكة ساخرة من كل قلبه وقال (ومن انت لتحدد ان كانت الفتوى عقلانية او غير عقلانية انت عليك التطبيق فقط وليس من حقك التقييم فمن انت لتقيم ما استنبطه رجل الدين)

وجه للسيد كمال الحيدري السؤال التالي : اليس اتباع المرجع بدون مراجعة يعتبر عصمة له؟ واذا راجعنا ادلته الا يعتبر هذا اجتهاد ؟ فهل نقلد ام نجتهد؟ اوليس عندنا في القرأن كثير من كبار الاقوام وزعمائهم وعلمائهم اضلوهم دون ان يشعر البسطاء واحيانا حتى بحسن نية من العلماء ولكن لم يقيهم ذلك من عذاب الله ؟(1)

اجاب الحيدري : لا نعتبر المرجع معصوما بل يطالب بالدليل على كل فتوى يصدرها ولا قيمة للفتوى بدون المستند الشرعي.اما مطالبتنا المرجع الدليل لا يعتبر اجتهادا بل يدلنا على مستند الحكم وهناك مراجع وفضلاء يناقشون في دروسهم وأبحاثهم أي رأي فقهي يصدر في الساحة العلمية وان المرجع مرصود في كل ما يصدر منه حتى تصريحاته غير الفقهية...ان الزعماء والعلماء الذين يضلوا الناس فهذا سببه التقليد الأعمى الذي رفضه الإسلام ونرفضه رفضا قاطعا (انتهى) .(2)

احترموا رجال الدين وتوقفوا عن التجاوز عليهم

اكبر تجاوز على رجل الدين هو من خلال تحويله الى اسطورة واضفاء العصمة على نتاجه. هذا هو التجاوز الفعلي وليس الاستفهام والسؤال العقلاني . من لا يحترم رجل الدين ليس من يستفهم بعفوية عن امور تؤرقه ولا يستطيع تجاوزها بسهولة بل من يقمع كل من يستفهم ويختلف مع رجل الدين . تأدبوا مع رجال الدين ولا تغشوهم بأضفائكم العصمة على نتائجهم البشري القابل للخطأ والصواب . من لا يحترم رجل الدين فعلا هو من يحول نتاجه من نتاج قابل للفهم والهضم من بني البشر الى نتاج اسطوري مقدس لا يستطيع الانسان العادي فهمه و تقييمه وغير قادر الا على تطبيقه . من يحقر ذاته امام رجل دين هو في الواقع لا يحترمه ولو كان يحترمه لأحترم ذاته امامه من باب اولى .

رجال الدين خط احمر

من يفكرون بعقل نقدي اولى ان يقولوا (رجال الدين خط احمر) لهؤلاء الذين يقدسونهم تقديسا اعمى .لانهم اكثر احتراما لدورهم في الحياة من هؤلاء الذين قرروا الغاء عقولهم امامهم ولم يكتفوا بذلك بل يريدون من الاخرين الغاء عقولهم معهم . من حقك ان تلغي عقلك لكن ما هو شأنك بعقل غيرك ؟؟؟من اهم نتائج الغاء العقل جعل دور رجل الدين بلا قيمة . فلا قيمة لفعل شيء او تركه دون فهم العلة من ورائه . نعم انتم يا من من نصبتم انفسكم (منظمات مجتمع مدني مدافعة عن حقوق رجال الدين) انتم من لا تحترمون رجل الدين وليس العكس .

ما تروجون له عكس الواقع تماما . من يحترم رجل الدين يصارحه برأيه بما يطرح ولايمجد به ليل نهار بمناسبة وبدون مناسبة . وهذا التمجيد الاعمى هو عدم الاحترام الفعلي وليس النقاش والاستفهام . هذه بضاعتكم ردت اليكم . فلا تسلوا سيوف الاتهام لغيركم وانتم بؤرة مثالية للنقد . النقد والاستفهام والتشكيك من اهم الاشياء التي تطور المؤسسة الدينية وعقلية رجل الدين وهذه الامور كفيلة بخلق تيار مجدد في اي مؤسسة سواء كانت دينية او غير دينية.

الدين ليس لعبة

اتفق مع هذه الجملة جدا . وفعلا الدين ليس لعبة . لكن من الذي يتخذ الدين لعبة؟؟؟

يصبح الدين لعبة حين يطلب احدهم مني ان اصدق كل ما يقوله لي ويطلب مني ان اعمل به دون فحص مع شعوري بعدم صحته. من يستفهم ويشكك يحترم الدين لانه يريد ان يشعر بعقلانيته ومنطقيته ويصل الى نتيجة تجعله مطمئن النفس . منبع هذا التسليم في كثير من الاحيان هو الثقة برجل الدين وبعلمه . الموضوع لا يتعلق بالثقة ولا بقوة العلم لان الانسان يبقى انسان حتى لو افنى عمره في دراسة العلوم الدينية او دراسة علم الفلك او دراسة الفيزياء. تبقى احكامه نسبية والنتائج التي يستقيها قابلة للنقاش .

انت لست مؤهل للخوض في الدين لانك لست صاحب علم

فعلا انا لست مختص في هذا المجال . وفعلا لست فقيه . لكن صلتي بالدين جوهرية لان ما يترتب على اساسه يحدد مصيري بعد الموت واسلوب حياتي قبل الموت . كما ان صلتي بالطب جوهرية مع اني لست طبيب لكن يعتمد على الطب حياتي وصحتي .

كثيرا ما يقولون ان الله ميز الانسان على الكائنات الاخرى بالعقل . وكثيرا ما يقولون ان الانسان لا ينفعه بعد موته الا عمله الصالح وقد تجري عليه اهوال وفضائع لو انه مات على غير هدى . وفي نفس الوقت هناك الكثير من الفتاوى لا توافق العقل . لكن من يستنبطها يقول ان التزامك بها يخلي ذمتك . اي انك بعد الموت لن تحاسب عليها لانك

وثقت برجل الدين الذي استنبطها وكنت ترى فيه القدرة الكاملة على استنباط الحكم الشرعي لذلك هو يتحمل المسؤولية كاملة . السؤال الذي يطرح نفسه:

اذا كان عقلي الذي ميزني الله به لم يتقبل فتوى معينة لكني التزمت بها بسبب ثقتي برجل الدين...هل هناك ضامن ان الله لن يحتج علي بأدراكي لعدم عقلانيتها وتجاهلي لهذا لادراك؟؟؟

لست مختص بالطب لكن بأمكاني ان اقيم الطبيب استنادا على النتائج . نعم فالطبيب الذي يصف لي علاج يؤدي الى نتائج عكسية تتراجع بها صحتي بدل ان تتحسن ليس من العقل ان استمر بمراجعته . قد يكون السبب هو ردائة نوعية العلاج . وقد يكون السبب استخدامي الخاطيء للعلاج . كل شيء وارد . لكن في النهاية ساتحمل المسؤولية وحدي لان الموضوع يتعلق بصحتي . كذلك من يفتي لي بجواز عمل (غير عقلاني) قد يؤدي الى ضرر اجتماعي ينطبق عليه نفس المنطق.

اعتبرني مهزوم واعتبر نفسك منتصر

انا متأكد ان هناك من يقول الان (اين وجدت فتوى غير معقولة عند رجال الدين ؟؟؟ يكفي اتهامات فارغة الغاية منها تشويه رجال الدين وتشويه الدين لا غير)

من الاخير...اعتبرني مهزوم واعتبر نفسك منتصر ولا ضير في ذلك...اذا كان ما يهمك هو ان تشعر بانك منتصر والاخر مهزوم مخذول فاهديك هذا الشعور بكل ود...انا مخذول وانت منتصر .

الان ساجعلك تجد بنفسك وبسهولة فتاوى لا عقلانية. اترك عنك فتاوى رجال الدين من ابناء مذهبك لانك تفقد القدرة على التفكير العقلاني امامها لوجود خط احمر مقدس يجعلك تعقلن اي شيء لا عقلاني فيها مهما كان . ابحث في فتاوى رجال الدين من ابناء المذهب الاخر ستجد بسهولة فتاوى لا عقلانية وستضحك عليها كثيرا.

اترك عنك كاتب السطور وواجه نفسك حين ترد امامك فتوى افتى بها رجل دين من ابناء مذهبك تشعرك لا اراديا بنوع من عدم الارتياح بسبب لا عقلانيتها . وتذكرني حين تلقي اللوم على عقلك القاصر في عدم ادراك العلة منها .

قد يقول قائل...ان الفتاوى الغريبة واللاعقلانية لا يوجد من يطبقها وهي نظرية فقط . او يقول لك احدهم انها اسيء فهمها ولها معنى اخر مختلف...ألخ من الدفاعات .

ماذا تفعل في الكتب اذن؟؟؟ وكيف اسيء فهمها ؟؟؟ تصور ان السنة يعيرون الشيعة ببعض تراثهم . والشيعة يعيرون السنة ببعض تراثهم . وبعض الاشياء التي يعتبرها كلا الفريقين فضيحة على الاخر لديهم ما يشببها . حين نعير الاخر بجزئية معينة في تراثه وادبياته لها

علاقة من قريب او من بعيد بالجنس او بالدموية او باللاعقلانية او باي سبب اخر...هل نعيره بها لانها مستنكرة بذاتها ومضمونها ام لانها غير مثبتة تاريخيا فقط؟؟؟اذا كان سبب تشهيرنا بالاخر هو ان ما يعتقد بصحته مستنكر عقلا فالاولى بنا ان ننقي تراثنا ونعترف بوجود فتاوى وروايات تحتاج الى اعادة نظر .

مغالطة (وانت كذلك – Tu quoque) المنطقية

وهي مغالطة منطقية الغاية منها تفادي مناقشة الحجة ومحاولة عكسها على صاحبها وردها عليه . مثال على ذلك حين يقوم طبيب يحمل في يده سجارة بتوجيه نصيحة لمريضه بان يقلع عن التدخين يجيبه المريض بالمغالطة المنطقية التي تقول (لماذا لم تنصح نفسك اولا؟؟؟ وكيف تريدني ان اترك التدخين وانت لم تفعل ذلك ؟؟؟)(3)

الشيعي : انظروا كيف يسيء السنة لشخص النبي محمد صلى الله عليه واله ويدعون في اصح كتبهم انه تزوج ام المؤمنين عائشة وهي بنت ست سنين ودخل بها وهي بنت تسع سنين . ما اتحدث عنه ليس ادعاء بل سادعم كلامي بالدليل ومن اصح كتبهم وهو صحيح البخاري حيث يروي البخاري في صحيحه , كتاب مناقب الأنصار , باب تزويج النبي صلى الله عليه واله وسلم عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها:

حدثني فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قال : تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج فوعكت فتمرق شعري فوفى جميمة فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين (انتهى) (4)

السني : انظروا الى هذا الشيعي يعتقد انه اصابنا بمقتل حين نقل رواية تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنين ودخوله بها وهي بنت تسع سنين . والله ما زادنا الا تمسكا بعقيدتنا وديننا . هذا الشيعي لا يعلم ان لديه رواية في صحيحة الحلبي لسيدنا جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه تؤكد صحة روايتنا . يقول الشيخ حسن الصفار في حديثا له عن سن الزواج :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين

1- ليس للزواج سنّ معين في الشريعة الاسلامية، فيصح إجراء عقد الزواج حتى للرضيع أو الرضيعة، كما يصح بالنسبة للمسنّ مهما تقدم به العمر رجلاً كان أو امرأة.

2- واذا كان يصح تزويج الصغيرة لكن وطأها لا يجوز قبل ان تكمل التاسعة من عمرها أما سائر الاستمتاعات غير الوطء فهي جائزة. كما ورد في صحيحة الحلبي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال (اذا تزوج الرجل الجارية وهي صغيرة فلا يدخل بها حتى يأتي لها تسع سنين) (الحر العاملي : محمد بن الحسن/ تفصيل وسائل الشيعة ج20 ص101/ حديث رقم 25142) وهذا ما اجمع عليه علماء الشيعة....ألخ (انتهى) .(5)

لو تأملنا الحوار الافتراضي السابق على ضوء العلم المثبت (الذي لا يناقض الدين) وعلى ضوء الاخلاق المطلقة (التي لا تناقض الدين) اجزم ان النبي محمد لم يتزوج السيدة عائشة في هذا السن المبكر واجزم ان الامام الصادق لم يقل هذا القول . لان العلم اثبت ان هناك اثار سلبية فادحة على من تتزوج في هذا السن (نفسيا وجسديا)(6) وفي نفس الوقت هذا الفعل اخلاقيا غير مقبول وتستنكره النفس حتى من قبل الكثير من الذين يدافعون عن الروايات التي يستقون منها حكمه فالكثير منهم لا يقبلون تزويج بناتهم بهذا السن . قد يقول احدهم ان النبي محمد يختلف عن غيره من البشر ولا يمكن ان يقارن بهم...الواقع ان الفقه يجيزه للجميع...نعم هناك محددات وشروط وقواعد لكن الزواج من صغيرات السن من الممكن تطبيقه (دون نكاح على الاقل) استنادا للفقه . من يدافعون عن هذه الروايات يطعنون في صحة الدين الاسلامي لانهم بذلك يثبتون تقنين الاسلام لقانون يؤدي الى اضرار فادحة نفسية وجسدية .

يدافع الباحث عبد العزيز الهواري عن رواية زواج النبي محمد من السيدة عائشة وهي طفلة بعدة نقاط نذكر منها :(7)

-لم يكن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أول الخاطبين لها، بل كانت مخطوبة "لجبير بن المطعم"، مما يدل على اكتمال النضج والأنوثة عندها، أو ظهور علاماتها.

- من المعروف طبيًّا أن البلوغ في المناطق الحارة يكون أسرع منه في المناطق الأقل حرارة. وقد يصل سن البلوغ عند الفتيات في المناطق الحارة إلى 8 أو 9 سنوات...كما تقول الدكتورة "دوشني" -وهي طبيبة أمريكية" :-إن الفتاة البيضاء في أمريكا قد تبدأ في البلوغ عند السابعة أو الثامنة، والفتاة ذات الأصل الإفريقي عند السادسة. ومن الثابت طبيًّا أيضًا أن أول حيضة والمعروفة باسم المينارك (menarche) تقع بين سن التاسعة والخامسة عشرة."

- أن زواج الرجل من فتاة صغيرة ليس بدعًا في ذلك العصر، ولا في العصور التالية له، خاصة في البلاد التي تقوم على النظام القَبَلِيّ، ولا أدلّ على ذلك من زواج "عبد المطلب" الشيخ الكبير في السن من "هالة" بنت عمّ "آمنة" في اليوم الذي تزوّج فيه "عبد الله" أصغر أبنائه من صبيّة هي في سنّ هالة، وهي آمنة بنت وهب...ومن التجني في الأحكام أن يُوزَن الحدث منفصلاً عن زمانه ومكانه وظروف بيئته، فكيف يحاكمونه بعد أكثر من ألف

وأربعمائة عام من ذلك الزواج، فيُهدرون فروق العصر والإقليم، ويطيلون القول فيما وصفوه بأنّه الجمع الغريب بين الكهولة والطفولة، ويقيسون بعين الهوى زواجًا عُقد في مكّة قبل الهجرة بما يحدث اليوم في بلاد الغرب؛ حيث لا تتزوّج الفتاة عادة قبل سنّ الخامسة والعشرين، في الوقت نفسه الذي تمارس فيه الجنس دون العاشرة.

- أشد ما يدعو للعجب هو رفض النصارى لزواج الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكان عمرها 9 سنوات وعمره يربو على الخمسين، في حين لا يرون غضاضة أن تكن مريم العذراء مخطوبة ليوسف النجار، وهي ابنة 12 عامًا، وهو يزيد عن التسعين، أي أن الفارق بينهما كان أكثر من ثمان وسبعين سنة، كما ذكرت الموسوعة الكاثوليكية.(انتهى)

لنبدأ من اخر نقطة وهي المقارنة بين رواية (زواج النبي من السيدة عائشة) و(خطبة ماريوسف من السيدة مريم العذراء) وهذه المقارنة هي تجسيد واضح لمغالطة (وانت كذلك) المنطقية . فأحد وجوه رد التهمة هنا هو اثبات وجود مثلها عند من اثارها .

يقول (أن زواج الرجل من فتاة صغيرة ليس بدعًا في ذلك العصر، ولا في العصور التالية له، خاصة في البلاد التي تقوم على النظام القَبَلِيّ) الاسلام جاء ليخرج البشر من الظلمات الى النور...والعلم والتجربة اثبتا ان زواج القاصرات من (اظلم الظلمات ظلمة) وعصور ما قبل الاسلام تسمى (عصور الجاهلية) اذا كان الاسلام جاء للقضاء على الجاهلية كيف يقف عند اكثر العادات جهلا ويقرها؟؟؟ فهل هذا قضاء على الجاهلية ام ترسيخ لها؟؟؟ من يدافعون عن هذه الرواية يثبتون ذلك . اغلب حالات الطلاق تحدث بسبب حرق مرحلة الطفولة ونقل الفتاة الى مرحلة لا تدرك عنها شيء . اما الزيجات التي تستمر فالكثير منها تستمر على انقاض بشرية وارواح محطمة .

ويقول (ومن التجني في الأحكام أن يُوزَن الحدث منفصلاً عن زمانه ومكانه وظروف بيئته، فكيف يحاكمونه بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام من ذلك الزواج)

اذا كان الامر كذلك كيف يتحول الى حكم شرعي لكل الازمنة؟؟؟وهل من الانصاف ان يتم اسقاط سلوك اجتماعي كان مناسب لذلك الزمان على هذا الزمان؟؟؟هذا على فرض انه كان سلوك اجتماعي سائد . اذا كان من التجني الحكم على حدث دون مراعاة الزمان والبيئة والمكان فمن باب اولى استنباط الاحكام الفقهية بناءا على نفس القاعدة (مراعاة الزمان والمكان والبيئة)

قبل مدة قرأت الخبر التالي: سلَّط الداعية الدكتور محمد العريفي، الضوء على قضية زواج القاصرات في المملكة بتغريدة أشار فيها إلى أن عددا من الولايات الأمريكية تسمح بزواج الفتيات القاصرات...13 عاما(نيو هامشير) 14 عاما (نيويورك). 15 عاما (نورث كارولينا)وذيَّل تغريدته برابط لموقع الموسوعة العالمية ويكبيديا باللغة الإنجليزية، يفتح على تبويب لقائمة توضح بداية السن المسموحة لعقد الزواج في الولايات المتحدة

الأمريكية. وردًا على تغريدة العريفي، علق أحد المغردين متسائلًا عما إذا ما كان "الشيخ" يتخذهم قدوة بالنسبة له، فيما نبهه آخر إلى ضرورة أن يدقق في الشروط الورادة في التبويب قائلا يا شيخ : "كن دقيقًا في نقلك للمعلومات... (انتهى) (8)

فضلا عن ممارسة العريفي لمغالطة (وانت كذلك) فهو يتجاهل لب المشكلة والمشكلة في واقعها لا صلة لها بالغرب البتة. بل تتصل بنتائجها الوخيمة اجتماعيا على ارض الواقع.

لنرى رأي الشيخ صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء فيما يخص تزويج الصغيرة:

الحمد لله: وبعد فقد كثرت في هذا الوقت تدخلات الصحافة والصحفيين في الأحكام الشرعية من غير علم وهذا عمل يخاف من عواقبه على المجتمع. و من ذلك تدخلهم في مسألة تزويج الصغيرة التي دون البلوغ من كفء يصلح لها ومطالبتهم بتحديد سن لتزويج الفتاة. وهذا تدخل في حكم شرعي مرجعه إلى أهل العلم وعلى ضوء الكتاب والسنة. وليس في الشريعة ما يحدد السن الذي تزوج فيه الفتاة. بل في الشريعة ما يدل على خلاف ذلك قال الله تعالى في عدة المطلقة :(وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ)، أي الصغيرات اللاتي لم يبلغن سن الحيض فعدتهن ثلاثة أشهر مثل اليائسات من الحيض فهذا دليل من القرآن على أن الصغيرة تزوج وتطلق وتلزمها العدة. وقد دلت السنة على ذلك فقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنين. ودخل بها وهي بنت تسع سنين فهذا دليل من السنة على هذه المسألة وقد أجمع العلماء على جواز ذلك (انتهى) .(9)

(واللائي لم يحضن) لنتوقف عند فكرة الزواج الرئيسية (تكوين اسرة) هل من هي دون العاشرة مؤهلة لتكوين اسرة؟؟؟ بسجيتك وعفويتك التي وهبك الله اياها هل ترى من هي دون العاشر مؤهلة ان تشكل اسرة؟؟؟التجربة العملية على ارض الواقع اثبتت ان من تتزوج في سن صغير تتعرض لمشاكل نفسية وجسدية جسيمة . هل يعقل ان يحل الله شيء تثبت التجربة ضرره؟؟؟ هل يعقل ان يثبت الطب خطورة شيء لكن الله يجعلنا نطبقه مع ضرره؟؟؟ قطعا غير معقول . قد يجيبك احدهم لا يجوز الدخول بالصغيرة حتى يشتد عودها...ماذا عن الضرر النفسي ؟؟؟

هذا المعنى يجعل القران كتاب ليس فقط بشري بل كتاب يهدم الاخلاق ويعطل العقل . لذلك المعنى الاكثر عقلانية هو (اللائي لم يحضن...اي من بلغن مرحلة النضج وكبرن لكن لم ياتيهن الحيض بسبب وجود خلل له تفسير طبي) وهذا الراي ليس متفردا لكاتب السطور (الغير مختص والذي يهرف بما لا يعرف في نظر الكثيرين) بل ذهب الى نفس الرأي الكثير من الباحثين العقلانيين الذين دأبوا على فهم دينهم بمقتضى العقل والعلم والاخلاق . قد يقول قائل ولماذا تعتد من يستحيل ان تنجب؟؟؟ اذا كان الامر كذلك فالاولى بنا ان نقول لماذا تعتد اليائسة؟؟؟ لا اتصور ان العدة سببها احتراز عدم وجود حمل فقط .

اما المختصين الذين ذهبوا لنفس الرأي فنأخذ نهم مثلا السيد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان الذي يذهب الى تفسير (واللائي لم يحضن) بمعنى (واللائي لم يحضن وهن في سن من تحيض)(10) اما ابن حيان الاندلسي صاحب تفسير البحر المحيط فيذهب الى ان الاية تشمل (من لم تحض لصغر ومن لا يكون لها حيض البتة)(11)

ومن المعاصرين نأخذ رأي الدكتور احمد صبحي منصور الذي اجاب احد السائلين حول هذه الاية بالتالي :

الذى يظهر لى ـ والله تعالى اعلم ـ أن (اللائى لم يحضن) تعنى اللائى جاء عليهن سن المحيض ولم يحضن وظللن هكذا بدون محيض ، وهذا يحدث لبعض من يصيبهن العقم الكلى من النساء. ولذلك تم الحاقهن بمن يشبههن فى الحالة وهى المرأة التى ظلت تحيض ثم بلغت سن الياس ولم تعد تحيض. وللاحتياط فى الحالتين فقد جعل الله تعالى العدة لكل منهما ثلاثة اشهر فى حالة الشك والريبة.وبالتالى فحالة البنت القاصر بعيدة عن هذا الاستشهاد ، خصوصا وأنه لا موضع للشك فى البنت القاصر. فهى قاصر طالما لا تحيض ـ فاذا حاضت لم تصبح قاصرا (انتهى) .(12)

اما حول وجود دليل في الاسلام يمنع الزواج من الفتيات القاصرات؟؟؟ يقول منصور:

كان من المعروف المتعارف عليه ألا تتزوج البنت إلا بعد بلوغها ,وكذلك الولد. هذه فطرة انسانية قبل نزول القرآن ، ولأنها معروفة فلم يأت النصّ عليها مباشرة ، ولكن جاء فى سياق موضوع آخر هو رعاية مال اليتيم من ذكر او أنثى ، يقول تعالى: (وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) (النساء 6) فالحديث هنا عن بلوغ اليتيم النكاح أى أصبح مؤهلا جسديا وجنسيا للزواج ، ولكن ينقصه لكى يدير أمواله بنفسه أن يكون مؤهلا عقليا أو راشدا .ونستفيد من هنا أن سن الزواج هو بالبلوغ ،أى الاحتلام للذكر و الحيض للفتاة . هذا هو العرف أو المعروف الذى يجب اتباعه ، وبه أمر الله تعالى خاتم النبيين فى مكة ضمن عموميات التشريع قبل أن تنزل التفصيلات فى المدينة ، قال له بايجاز (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف 199) (انتهى) (13)

من الاشياء الجميلة في هذا الرجل انه يناقش محاوريه ولا يستنكف من ذلك وهذا دليل مرونته وعقليته المنفتحة . **و في معرض نقاشه في نفس الموضوع مع محاوريه استدرك قائلا :**

السائل سأل عن تحريم زواج القاصرات . ولم أقل إنه محرم ، بل قلت الاتى عن الزواج عند البلوغ (هذا هو العرف أو المعروف الذى يجب اتباعه). ومعنى أنه يجب اتباعه لا يعنى أن عدم اتباعه يعد محرما لأن التحريم فى الاسلام لا يكون إلا بنصّ صريح فى القرآن الكريم كان يقول تعالى فى المحرمات فى الزواج :ألاّ تتزوجوا القاصرات . وهذا ما

لم يحدث. وعليه فهو ليس من المحرم ، ولكن الواجب والمعروف أن البنت لا تتزوج الا عند البلوغ ، فاذا تزوجت فهو زواج حلال .. وله أن يدخل بها ..وليس لنا أن نفتى بتحريم لم يرد فى القرآن الكريم. (انتهى) (14)

اتعلم يا استاذ احمد لماذا لا يوجد نص صريح يحرم الزواج من القاصرات؟؟؟ حتما تعلم فمثلك لا تفوته هكذا التفاتة والجواب موجود ضمنيا في قولك (هذه فطرة انسانية قبل نزول القران)...لا يوجد نص صريح لأن القط والكلب والجرذ والطير والحوت والسمكة والدب والارنب والخنفساء وحدث ولا حرج من الكائنات...جميعها تعلم دون نص ودون ان يبلغها احد ان الزواج من الاطفال غير ممكن لذلك لا تجد هر يحاول التزاوج من قطة صغيرة غير بالغة لانه يعلم بغريزته ان هذا الامر غير ممكن . اهانة للانسان ان يحرم الله عليه شيء تعرفه حتى القطط دون ان يبلغها احد . والكارثة ان الانسان الذي يفترض انه مميز عن باقي الكائنات بالعقل وضع هذا الموضوع محل نقاش .

اذا كانت الميزة التي يتفاخر الانسان بانها ما يميزه عن باقي الكائنات هي العقل لماذا اذن يجعل الحد الادنى للزواج هو القدرة على التكاثر وليس القدرة على تكوين اسرة ؟؟؟القطط ايضا تعرف جيدا بغريزتها ان سن الزواج عندها هو بلوغها الجنسي هل لنا ميزة عن القطط؟؟؟

السؤال الذي يطرح نفسه...اذا كانت الغاية من الزواج تكوين اسرة والثابت عمليا ان لا علاقة بين البلوغ الجنسي وبين وصول مرحلة النضج التي تتمكن منها الفتاة او الفتي من ادراك معنى تكوين اسرة . لماذا المعيار الشرعي في تحديد الحد الادنى للزواج هو الدورة الشهرية وليس النضج العقلي ؟؟؟ الله حسب اعتقادي لا يعامل الانسان معاملة الطفل بل وضع له مساحة من التفكير ليحدد بنفسه ما هو الخيار الاكثر عقلانية.

وجه السؤال التالي لمكتب الشيخ محمد اسحاق الفياض

هل يجوز للحكومة تحديد سن الزواج بسن معين وتعاقب من يخالف ذلك ؟ وهل هذا يعدّ تشريعاً؟

الجواب: الشريعة الإسلامية لم تحدد سن الزواج بفترة زمنية محددة بل رخصت في الزواج بعد سن البلوغ ، وليس للحكومة المنع من الزواج بعد سن البلوغ (انتهى) .(15)

حين يقول الله في القران (يا ايها النبي اذا طلقتم النساء) طيب الان لنذهب انا وانتم الى مدرسة ابتدائية ونقف قرب مجموعة من البنات (في سن الحيض) وهن يلعبن في ساحة المدرسة . لو قلت لكم (هذه مجموعة نساء) يلعبن في ساحة المدرسة ماذا ستشعرون؟؟؟ صدقا ماذا ستشعرون؟؟؟ هل هن فعلا مجموعة نساء؟؟؟ لسن الا اطفال بعمر الورد . لو قلت لكم انهن مجموعة نساء ماذا ستحكمون علي؟؟؟

حتى الصغيرة التي تحيض هل نراها مرأة قادرة على الزواج . حتما غير قادرة لا من حيث المعرفة والادراك ولا من حيث الاستعداد النفسي ولا من حيث القدرة الجسدية على الممارسة الجنسية والحمل . ولهذا السبب تكثر عندنا حالات الطلاق . هكذا نوع من الزواج تكثر في المناطق الريفية والعشائرية . والكثير من حالات الزواج تتم بعقد شرعي وبعد سنوات يتم العقد القانوني . حرق مرحلة الطفولة وعدم ادراك الزوجة لمعنى الزواج وتفاوت العمر بينها وبين الزوج عوامل تزيد من نسبة الطلاق وتخلق واقع مرير لا مناص من تجرع نتائجه الوخيمة.

الغاية من الزواج تكوين اسرة؟؟؟ والايجاب والقبول من شروط الزواج؟؟؟ اذا كان بامكان الاب او الجد تحديد مصير الطفلة دون علمها وتزويجها هل يبقى لهذا الزواج (الصوري) قيمة؟؟؟ وهل له علاقة بفكرة الزواج من الاساس؟؟؟

وجه السؤال التالي من احد الاشخاص لمكتب الشيخ محمد اسحاق الفياض :

لقد سمعت بأن المذهب الشيعي يجيز الزواج بالرضع من غير جماع فما المقصود بذلك وهل هذا الكلام صحيح ؟

الجواب: نعم، صحيح ويجوز العقد على الصغيرة بغرض نشر الحرمة مع أمها او خالتها ونحوها لا بغرض الجماع فإنه غير جائز (انتهى) .(16)

لمن لم يفهم معنى (نشر الحرمة) ساعطي مثال توضيحي : شخص سافر للدراسة في مدينة اخرى واضطر للعيش في منزل عمه الموجود في تلك المدينة في فترة الدارسة . عمه يعتبره مثل ابنه وزوجة عمه تعتبره مثل ابنها لكنه شرعا يعتبر اجنبي لذلك حلا للاشكال الشرعي يعقد الاب له على ابنته (حتى لو كانت طفلة رضيعة) عقد صوري لا اكثر لتكون زوجة العم ام زوجة ابن اخ الزوج ويصبح من محارمها وتنتهي مشكلة وجوده في البيت وتقييده للام .

المضمون متطابق مع مضمون (ارضاع الكبير في الروايات السنية) وهو نشر الحرمة بين الاجانب . لكن الفارق الجوهري هو ان ارضاع الكبير يحدث فيه تواصل جسدي بين ام وبين شاب والعقد على الطفلة لنشر الحرمة لا يتم فيه الا عقد صوري لا اكثر . لكن الفكرة نفسها والمضمون نفسه وهو محاولة ايجاد ثغرة لايقاف حكم شرعي . وللانصاف (العقد على الطفلة الرضيعة وارضاع الكبير) ليس لهما اي واقع (على حد اطلاعي) ولم اجد طوال حياتي من يطبقهما ولا اجدهما اكثر من حبر على ورق .

هكذا اشياء من الممكن ان تنفع مع دائرة الهجرة مثلا حين يقوم احدهم بالزواج من احدى الاجنبيات وغايته الحقيقية ليست الزواج بل الحصول على جنسية تلك الدولة فدائرة الهجرة لا تعلم ان زواجهم صوري شكلي الغاية منه حصول الزوج على الجنسية لكن الله يعلم ان

زواج الشاب من الطفلة صوري الغاية منه ان يصبح هذا الغريب محرم. هكذا اشياء تنفع في المحكمة حين يقوم المحامي بالبحث عن ثغرات قانونية تجعل القانون في صف موكله فيفحم القاضي ويجبره على تبرأة صاحبه لانه يتحدث بنصوص تجعل فعله قانوني.

اسمع يا ابن اخي انا اعلم جيدا انك اهل للثقة وزوجتي تعتبرك مثل ابنها لكن الشرع سيحدد حرية زوجتي في المنزل لذلك سنردد انا وانت بعض الكلمات السحرية التي ليس لها اثر على ارض الواقع لتتحول فجاة الى محرم لزوجتي ونتجنب بذلك الحرج الشرعي.

الان لو قامت سيدة بعدم التحجب من ابن اخ زوجها لانه في نظرها مثل ابنها تماما وهو ايضا يراها مثل امه تماما . سيحكم عليها احدهم انها غير ملتزمة بشرع الله . لكن لو قامت بتلك الطريقة السحرية سيصبح فعلها طبيعي ومقبول . ولا ادري ما هو اثر العقد الذي يجري بين الولد وبين الطفلة الرضيعة على ارض الواقع؟؟؟ لا اثر له البتة الا شيء واحد وهو ان الام لم تعد تحتاط من وجود الولد . لكنها بهذا العقد وبدونه تعتبره ابنها وهو يعتبرها امه. ترديد كلمات العقد ليس الا شي يشبه ترتيب اوراق الملف المرفوع لله ليكون قانوني لا اكثر ولا اقل .

هناك مواضيع اخرى تدخل تحت نفس المضمون (ترتيب اوراق الملف ليكون الفعل المحرم مباح) لها اثر بالغ على ارض الواقع . مثلا الله حرم الربا لامرين وجيهين وهما ان فيه استغلال للفقير وفي نفس الوقت يحصل فيه المرابي على اموال دون جهد . لكن هناك من وجدوا طرق ملتوية يحققون بها نفس الغايات المحرمة مع هروبهم من الوقوع في تفاصيل الربا . كأن يقوم بتغيير جنس العملة فيبيعه دولار مقابل عملة عراقية لكن بسعر اعلى من سعر السوق ولمدة محددة مسبقا وبذلك يتملص من الوقوع بالربا . او ان يطلب من الشخص الذي استدان منه ان يعطيه المال الزائد بنية الهدية مثلا ولا ادري لو لم يكن قد استدان منه هل كان سيعطيه هدية؟؟؟في النهاية تحققت غاية الربا (استغلال حاجة الفقير والحصول على اموال دون جهد) لكن ليس تحت عنوان الربا فنحن (حذقين) ولسنا (غشمة) و(البي زود يعبي السكلة ركي) والحمد لله على نعمة التحايل على النصوص لتحقيق غايات غير اخلاقية . وكما يقول المثل المصري (احنا اللي صبغنا الهوى بوية)

حين ضيعنا الغاية الوحيدة من الدين (اتمام مكارم الاخلاق) حولنا الدين الى تلال من الحشو ومن القوانين والقواعد الرقيمة التي يمكن تجنب الوقوع بها مع تحقيق غايتها . والكثير من الامور التي يستنكرها الناس لانها محرمة تحدث مع شيء من التزويق تحت عناوين مقبولة.

الله ليس مدير عام لدائرة لتحرص كثيرا على ان يكون ملف معاملتك مرتب امامه تحت عناوين قانونية . وليس قاضي تحقيق لتتمكن من اعطاء عنوان قانوني لفعل غير قانوني من خلال استغلال الثغرات القانونية . الله هو الاخلاق بعينها وهذه الاخلاق مطبوعة في فطرة

الانسـان . لـذلك معظـم النـاس (حتـى مـن يـدافعون عـن التـراث اللاعقلانـي) لا يطبقونـه لانـهم يعلمون بعمق ادراكهم انه غير معقول .

التبني جائز استنادا على نفس المنطق !

التبنـي حاجـة ملحـة فـي مجتمعنـا فـي ظـل وجـود هـذا الكـم الهائـل مـن الايتـام مـن جهـة والمحرومين من الانجاب من جهة اخرى . لا ادري لماذا يتم التعامل مع هذه الحاجة الملحة بجمود و مع حاجات شخصية مصلحية بمرونة ؟؟؟ من الممكن التبنـي (بعنوان كفالـة اليتيم) لما لا فالكثير من الاشياء تنتخب لها عناوين اخرى(بعناية) لتكون جائزة!!!

يقولون ... بأمكانك ان تكفل يتيم لكن ليس بامكانك تبنيه لوجود نتائج وخيمة ... لنناقش تلك النتـائج ونضـع لهـا حلـول حسـب المبـاني التـي ذكرنـاهـا سـلفا والتـي تجعـل الربـا لـيس ربـا والاجنبي ليس اجنبي :

تسجيل الطفل المتبنى بأسم الوالدين لا يجوز ... في كل شـيء يرجعون للماضـي الا فـي هذا...لم يكن في زمن النبي هوية احوال مدنية لذلك هي مجرد وثيقة قانونية لاثبات الوجود والوالدين في نيتهم (كفالة اليتيم) لكن لعدم وقوع اليتيم بحرج امام المجتمع الفضولي الذي يحشر انفه في كل شـيء اسموه باسمهم (الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) الوثيقة الرسمية مجرد خرقة لا قيمة لها امام النية .

الموضـوع لا يتعلـق بالوثيقـة بـل بمـا يترتـب علـى اعـلام النـاس ان هـذا الطفـل ابـنهم مـن صلبهم وهو ليس كذلك ... حسنا ... المجتمع نفسه يطلق فيه اي انسان كبير السن علـى من هو اصغر منه سنا (ابني) من هذا المنطلق يقولون انه ابنهم ... هو ابنهم روحيا لما لا؟؟؟ ام ان استخدام المصطلحات العرفية هناك جائز وهنا غير جائز؟؟؟ حين يكون الابن رسميا وعرفيا وواقعيا باسم والديه الذان تبناه سيشعر الجميع بروح العائلة الواحدة.

الوالدان ليسا اباء حقيقيين لـذلك لا يجوز ان لا تكشف الام شعرها امـام الولـد المتبنـى او تكشف البنـت المتبنـاة شعرها امـام الاب ... هنـاك وصـفة سـحرية اسمها (نشـر الحرمـة) ام انها تعمل هناك ولا تعمل هنا!!!اذا كانت تعمل هناك فقط ولا تعمل هنـا لنتحدث بلغة الارقام اذن:

نطـرح (ذنـب عـدم ارتـداء الحجـاب) مـن (اجـر كفالـة اليتـيم) حتمـا كفالـة اليتـيم اكبـر فيمحـى الذنب !!! ام ان لغة الارقام تعمل فقط في موسم الحج حين يقال للنـاس انك تعود كما ولدتك امـك اي ان كـل (المصـائب) التـي فعلتهـا تمحـى؟؟؟ ولهـذا تجـد بعـض النـاس يصـرون علـى الذهاب اكثر من مرة وكـأنهم يقومـون (بعمليـة تبييض للذنوب علـى غـرار تبييض الامـوال) كنـت امـزح...قطعـا لغـة الارقـام لا تعمـل لكـن النوايـا تعمـل دائمـا . لا ادعـو احـد ان يصـدقني

لكني اجزم ان الله لا يحرق من تتبنى طفل وتربيه لانها لم تتحجب منه بل لا يرضى الله ان تجرح مشاعره وتتحجب منه وكأنه غريب مع كل مشاعر (الامومة) التي تغمرهما .

المتبنى ليس ابن حقيقي لذلك لا يحق له ان يرث الوالدين...حل هذه المشكلة بسيط ايضا...يعطوه بنية الهدية...ام ان نية الهدية هناك تعمل وهنا لا تعمل؟؟؟

المتبنى قد يتزوج محارمه مستقبلا لعدم معرفته من هم ابائه الحقيقيين...حسنا...هذه الصدفة قد تحدث لكن نسبة حدوثها ضعيفة جدا...واذا لم يكن هناك معلومات كافية عن الطفل المتبنى يحرز منها الابوين عدم الوقوع في المحضور ففحص (DNA) يكفي لتجنب هذه المعظلة...نحن في زمن الطفرات العلمية .

اذا كنت تحرز عدم الوقوع بالمحضور (الفقهي) فهناك غالبا حلول للكثير من الامور ؟؟؟ من الممكن ان تتبنى يتيم (بنية الكفالة) ليس عليك الا البحث عن (مخارج شرعية) لا بد ان تعم ثقافة التبني في مجتمعنا فعدد الايتام في تزايد ويتناسب معه عدد المحرومين من الانجاب...ليكمل احدكم الاخر ودعكم من هذا النموذج الذي تربى بين والديه وتزوج وانجب عشرة ابناء ولم يذق لا طعم اليتم ولا طعم الحرمان من الذرية ويتفلسف عليكم بقوله (التبني حرام ميصير بابا) لماذا المرابي سيء النية وجد لنفسه مخرج والوالد المسكين الذي يمني النفس بطفل يؤنس وحدته يحرمون عليه عيشته ؟؟؟ اذا كان من فائدة (للمخارج الشرعية) فهي في هذه الاشياء الرائعة التي تلم شمل المجتمع وليس في اشياء لا لون لها ولا طعم ولا رائحة .

ملك اليمين

وجه السؤال التالي لموقع اسلامي يشرف عليه الشيخ السلفي محمد صالح المنجد :

ما هو " ملك اليمين " ؟ وهل يجب أن يكون الشخص متزوجاً كي يحصل على واحدة منهن ؟ وكيف لك أن تنهي الأمر وتحصل على واحدة ، وتنص على أنها من ملك يمينك.

والتالي هو الجزء المهم من الجواب وليس الجواب كاملا (لطوله) :

الحمد لله...أولاً: إذا أقدر الله تعالى المجاهدين المسلمين على الكفار المحاربين : فإن رجالهم يكون أمرهم بين القتل أو الفداء أو العفو عنهم أو استرقاقهم وجعلهم عبيداً ، ويكون الأمر راجعاً في اختيار واحدة من هذه الأربع إلى الإمام حسب ما يراه من المصلحة في ذلك .وأما النساء فإنهن يصرنَ إماء وملك يمين ، والأطفال الذكور يصيرون عبيداً ، ويقسِّم القائد والإمام هؤلاء بين المحاربين المجاهدين...قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : "وسبب الملك بالرق : هو الكفر ، ومحاربة الله ورسوله ، فإذا أقدر اللهُ المسلمينَ المجاهدين الباذلين مُهَجهم وأموالهم وجميع قواهم وما أعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار : جعلهم ملكاً لهم بالسبي إلا إذا اختار الإمام المنَّ أو الفداء لما في ذلك من المصلحة

للمسلمين" . "أضواء البيان ". (3 / 387)...فقد حصر الإسلام مصادر الرق التي كانت قبل الرسالة المحمدية في مصدر واحد وهو : رق الحرب الذي يفرض على الأسرى من الكفار. وقد أكرمهن الإسلام في رقهن عما كنَّ يلقينه في غير بلاد الإسلام ، فلم تعد أعراضهن نهباً مباحاً لكل طالب على طريقة البغاء...(انتهى) (17)

السؤال الذي يطرح نفسه ما ادراه ان ان اعراض النساء كانت نهبا مباحا لكل طالب عن طريق البغاء؟؟؟

يقول (وقد أكرمهن الإسلام في رقهن) ويقول (وأما النساء فإنهن يصرنَ إماء وملك يمين ، والأطفال الذكور يصيرون عبيداً ، ويقسِّم القائد والإمام هؤلاء بين المحاربين المجاهدي) يا للتكريم ويا للحفاوة !!! النساء توزع النساء بين (المجاهدين) واطفالهن يصيرون عبيد (هذا التكريم والا فلا)

وجه السؤال التالي لمكتب السيد كاظم الحائري :

يوجد الكثير من النساء في استراليا ليس لهنّ دين مطلقاً (أي: لا دينيّات)، فما حكمهنّ من حيث النكاح؟ وهل ينطبق عليهنّ ملك اليمين، أو لا؟

الجواب : لا ينطبق عليهنّ ملك يمين؛ فإنّ ذلك لا يكون إلّا في الحرب، أو في الاستيلاء القهري على أقلّ تقديرمن قبل وليّ الأمر (انتهى) .(18)

الجيد في الجواب ان حكم ملك اليمين لا ينطبق عليهن لكن المحبط جدا هو اثبات اصل الحكم في الشريعة (الاسترقاق) لكن تحققه يحتاج لتوفر شروط معينة غير متوفرة حاليا . والمؤلم هو استخدام السيد الحائري لمصطلح (الاستيلاء القهري) كعامل من العوامل التي يجب توفرها لتحقق الاسترقاق .

ووجه السؤال التالي لمكتب السيد السيستاني :

السؤال :ما حقيقة ملك اليمين موضعاً وهل يمكن تحققه في زماننا وظروفنا؟

الجواب : لا يتحقق الاسترقاق في زماننا هذا لعدم توفر شروطه (انتهى) .(19)

هل هذا يعني ان الاسترقاق من الممكن ان يتحقق لكن شروطه غير متوفرة او كان متحقق يوما ما حين كانت شروطه متوفرة ؟؟؟!!!السؤال الذي يطرح نفسه هل هناك امكانية ان يتحقق هذا الحكم يوما ما لو توفرت شروطه؟؟؟ وما هي الشروط ؟؟؟

الان نحن نرى بأعيننا كيف تقوم (دولة الخلافة) باسترقاق النساء . لنفترض جدلا ان الشروط توفرت كيف يكون الاسترقاق الشرعي؟؟؟ اذا كان البغدادي قام بالاسترقاق بطريقة همجية هل هناك طريقة لطيفة لاسترقاق النساء ام ان المشكلة تكمن في ان البغدادي ليس

مخول من الله؟؟؟عن تملك النساء نتحدث...عن الاستعباد نتحدث...هل هناك استعباد لطيف واستعباد وحشي؟؟؟ هل هناك استعباد يحبه الله واستعباد يبغضه؟؟؟هل نستنكر ما يفعله البغدادي لانه غير انساني ام لان البغدادي متطفل على شيء ليس من اختصاصه؟؟؟في يوما ما كانت الامم تتسابق في استعباد بعضها البعض . لكن ان يكون هذا الاستعباد امر يروق لله (حتى لو تحت شروط وحتى لو بلطف) فهذا ما لا يمكن ان يتقبله عقل.

يذهب الشيخ محمد عبد الله نصر الى ان معنى ملك اليمين هو (من هم تحت عنايتنا ورعايتنا ورقابتنا وأعيننا ونفوذنا)(20)

ويستفهم حول الاية التي تقول (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ . بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ . فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)(سورة النساء : 25) قائلا (ولو كانت ملك اليمين من السبايا فما فائدة استئذان اهلهن قبل نكاحهن وهل من أسر امرأة وسباها يعود الى أهلها ليستأذنهم ؟واذا كان القرآن أمرنا باطلاق الأسير المحارب أو فدائه فكيف يأمرنا بسبى نسائه (انتهى) . (21)

ما يذهب اليه الشيخ محمد عبد الله نصر هو تجسيد عملي لقول ابن رشد (ونحن نقطع قطعا ان كل ما ادى اليه البرهان , وخالفه ظاهر الشرع , ان ذلك الظاهر يقبل التأويل)

وجود مضامين في التراث الديني لا تتوافق مع الاخلاق المطلقة والعلم المثبت يحتمل اربع احتمالات:

الاول ان الرواية مكذوبة او ان النص تم تأويله بطريقة تحرفه عن مساره

والثاني ان الدين ليس من عند الله .

والثالث ان الدين من عند الله لكن الله ليس كما نعتقد .

والرابع ان الدين من عند الله لكنه يقترن دائما وابدا بالانسان لان الانسان هو جوهر الدين فالدين وجد لاجله .

لنفترض ان جميع اتباع دين معين ماتوا دفعة واحدة هل سيبقى وجود لهذا الدين؟؟؟ رب قائلا يقول (على فرض حدوث ذلك سيرسل الله رسل اخرين يكملون الرسالة) لا زلنا مرتبطين بالوجود البشري فالرسل بشر ويخاطبون بشر مثلهم وعقول من يخاطبوهم نسبية من حيث الفهم والاستيعاب والتصديق . هذا في ظل وجود الرسل بينهم كيف الحال في عدم وجودهم؟؟؟ ارتباط الدين بالانسان ونسبية فهم الانسان للدين يجعل الفكر المتغير امر واقع لابد منه ويرتبط ارتباط وثيق ببديهيات العصر ومعاييره حتى لو قاومنا هذا الارتباط وانكرنا وجوده. ولكل عصر بديهياته و معاييره الخاصة به .

ان تطور الفكر الديني امر واقع لا مفر منه . والمحاولات المضنية في ابقائه كما هو لا تعود بالضرر الا على الفكر الديني نفسه . وهذه المحاولات في ابقاء الجمود على الفكر الديني تجعله فكر نظري او غير معقول وتزداد الهوة اتساعا كلما تطورت التجربة البشرية. الواقع ان ارباب الفكر العتيق يزيدون هذه الهوة ويحققون عكس ما يبتغون. فرجال الدين الكلاسيكيون يبتغون تفاعل الناس مع الدين وانغماسهم به . لكن كلما تمسكوا بعدم التجديد والحفاظ على رتابة الفكر القديم كلما اتسعت الهوة بين بديهيات العصر الحالي و بديهيات الفكر العتيق. النص السماوي ثابت لكن الفهم متغير .

يقول المفكر الايراني عبد الكريم سروش في معرض تلخيصه لمجمل ما ورد في نظريته المعروفة بنظرية (القبض والبسط) :

ان فهمنا للمتون والنصوص الدينية متنوع ومتعدد بالضرورة , وهذا التنوع والتعدد لا يقبل الاختزال الى فهم واحد , وليس هذا الفهم متنوعا ومتعددا فحسب بل سيالا ايضا , والسر في ذلك ان النص صامت ونحن نسعى باستمرار لفهم النصوص الدينية وتفسيرها سواء في الفقه او الحديث او القران من خلال الاستعانة بمسبوقاتنا الفكرية وتوقعاتنا من النص والاسئلة التي تدور في اذهاننا في مرحلة سابقة , وبما انه لا يوجد تفسير دون الاعتماد على الاسئلة والفروضات المسبقة , وبما ان هذه التوقعات والفروضات المسبقة مستوحاة من خارج الدين , وبما ان الفضاء المعرفي خارج الدين متغير وسيال , كما ان العلوم البشرية والفلسفة ومعطيات الحضارة الانسانية تزداد وتتراكم وتتغير باستمرار , فلهذا كله كانت التفاسير المترتبة على هذه الاسئلة والتوقعات والفروضات المسبقة متنوعة ومتغيرة(انتهى) .(22)

ثبات الدين بالفكر المتغير وليس بالفكر الجامد

العالم لا يثبت في محطة . انه اشبه بسفينة متجهة الى الامام ولا يمكننا التوقف لاننا جزء منها . التجربة البشرية لا تجزء . العالم متصل ببعضه . حتى لو لم يعجبنا ذلك . كلما تحركت السفينة الى الامام كلما وصلتنا رسالة نصية مفادها ان الفكر الديني بحاجة لتحديث يوافق الحركة . لان الفكر الديني الذي كان يناسب المرحلة السابقة انطلق من نسبية فهم ابناء تلك المرحلة للدين . العقل البشري النسبي يقتضي بل يوجب تحديث الفكر الديني . حتى الدواعش (اقصى حالات التطرف) غير منفصلين عن الواقع فهم يستخدمون نتاج هذا العصر وتكنولوجيته لمحاولة اثبات صحة افكار وتطبيقات عصور اصبحت تحت التراب . وهم اثبتوا بطلان افكارهم من حيث ارادوا اثباتها .

المعظلة التي تواجه السنة والشيعة معا

المعظلة التي تواجه الشيعة والسنة معا هي رفضهم الداخلي لبعض تراثهم ودفاعهم عنه في نفس الوقت . وسبب ذلك هو وجود مكانة اعتبارية وروحية كبيرة للكثير من (الرواة

والفقهاء) في نفوسهم . تجعلهم لا يتجرعون مرارة الاعتراف امام انفسهم (في اقل تقدير) ان هذه الشخصيات تخطأ وتصيب .

المسلم على اختلاف مذهبه يردد كثيرا انه يتقبل النقد وجميع الشخصيات معرضة للخطأ لكن على ارض الواقع لا يعترف بذلك . فهو مستعد ان يدافع دفاع مستميت عن فتوى او رواية يشعر بداخله بعدم منطقيتها على ان يتجرأ ويقول (ان هذه الرواية غير عقلانية او ان تلك الفتوى غير منطقية) فهو بدل ان ينكر صحتها او يعترف بلاعقلانيتها يلجأ الى الدفاع عنها . فيجري للتراث عمليات تجميل وترقيع ليبدو منطقيا . تجد ذلك واضحا في رد الشبهات عن بعض الفتاوى او الروايات التي لا تتجاوز بعض الكلمات او سطر واحد لكن هذا الرد قد ياخذ صفحات طويلة وعريضة تأخذك يمنا وشمالا وطولا وعرضا لتجعل تلك الرواية او الفتوى جميلة .

من الممكن ان تبجل شخص وتعترف بوقوعه بالخطأ

من الممكن ان تعطي (لرجل دين او راوي حديث) مكانة روحية دون ان تلجأ لتنزيهه تنزيه كامل . بل في دفاعك عن مثالبه افراغ من مكانته الطبيعية كانسان طبيعي من الممكن ان يصيب ويخطأ . لا يوجد مشكلة تذكر من الممكن ان تبجل فقيه او راوي حديث وتثبت انه اخطأ اين المشكلة في ذلك ؟؟؟

هو يخشى على فقدان ذلك الشخص لمكانته الروحية لو اعترف بعدم معقولية شيء ينسب اليه . الموضوع ابسط من ذلك بكثير فالامم التي تعطي مكانة روحية لشخصية معينة لها دور ديني وتاريخي تعلم انه يخطأ ويصيب وليس اله او نبي .

الرواة والفقهاء بشر...قد نلتمس لهم العذر لو بدر منهم شيء غير عقلاني لانهم بشر مثلنا...يجري عليهم ما يجري علينا...يمرضون...يدخلون للحمام...يفرحون... يحزنون....يتأثرون...يتألمون... ليسوا فوق النقد...والنقد لا يخل بمكانتهم الاعتبارية... فلا تخشى على تلك المكانة من النقد...بل الخشية كل الخشية من التظاهر بكمالهم امام الناس مع ادراكك لواقع انهم بشر يصيبون ويخطأون...احيانا يشتبهون...لما لا فهم بشر مثلنا كانوا يوما ما اطفالا يبكون وترضعهم امهاتهم فيسكتون...يحبون اكلات معينة ولا يحبون اخرى...تلك الصورة الاسطورية التي تعطيهم مكانة فوق القدرة الطبيعية لا وجود لها الا في خيالنا.

النُخب حين يتامرون علينا !!!

نسبة من النُخب على اختلاف توجهاتهم (اسلامية او علمانية) يصابون احيانا بلون من الوان التعالي منبعه المعرفة . ولا نقصد بالتعالي في السلوك مع الاخر بالضرورة بل في طريقة التفكير تجاه الاخر.

مع انهم لا يتفقون فيما بينهم (اسلاميين وعلمانيين) الا انهم يتفقون في المنهج (تسفيه المجتمع والتشكي من عاداته البالية وتخلفه) ولا نتحدث عن صحة وجود ما يدعونه فقد يكون واقعي فعلا . نتحدث عن طريقة تعاطيهم مع المجتمع . فهذا العلماني يتحدث دائما عن جهل المجتمع وتخلفه وذاك الاسلامي لا ينفك ايضا عن ترديد نفس المضمون لكن بمحتوى مختلف .

هناك نسبة من المثقفين والمتفقهين في الدين الذين يُطلق عليهم مصطلح (نُخب) حين تعاشرهم عن قرب تشعر بصدمة كبيرة لما في داخلهم من شعور كبير بالترفع عن المجتمع (مدركين او غير مدركين) احيانا حين تمر امامهم رواية من ذلك النوع المثير للجدل يحاولون (طمطمتها)عن الناس بحجة انهم بسطاء ومن الممكن ان تشوش ايمانهم . وهناك حالة حدثت امامي قام فيها احد هؤلاء النخب بانكار وجود فتوى مثيرة للجدل منسوبة لرجل دين كي لا تشوش على العامة وهو يعلم علم اليقين انها موجودة . هو يعلم ان تلك الفتوى ستثير الجدل وبدل ان يحاول اخذ دوره الفعلي كمثقف ومتفقه قام بدفنها امام العامة وانكار وجودها من الاساس ظنا منه ان الناس (سذج) ويجب ان يقوم هو (الفطن) بأستغلال هذه السذاجة لصالح الدين . وهو لا يعلم ان (الفطنة اوالسذاجة) لا يتصلان ابدا (بسعة المعلومات والقدرة على استعراضها)

والواقع الذي اراه ان العكس هو الصحيح فذلك الذي لا يهتم كثيرا بحفظ كم هائل من التفاصيل الدينية ليتفاخر بمعرفتها امام الناس يقوم في احيان كثيرة بالفعل الصائب دون تردد . فقد يعطي كل ما في جيبه لسيدة فقيرة تربي ايتام . اما نسبة من هؤلاء المتفقهين قد يترددون كثيرا قبل ان يعطوها ليتاكدوا اولا ان كانت تصلي ام لا تصلي ... مسلمة ام غير مسلمة ...الخ .

قد تسمعهم في احيان كثيرة ينتقدون المجتمع في اشياء تتعلق بقلة التدين وقد تجدهم (عمت عيني عليهم) يعبرون عن حزنهم الشديد لتراجع تدين المجتمع وألمهم الشديد لظهور ظواهر دخيلة. واذا باحدهم يفاجئك بفكرة جهنمية يعبر فيها عن تمنيه في ان يتدخل الفقهاء لردم سلوك اجتماعي معين لا يتماهى مع طبائعهم الاجتماعية بفتوى تحرمه . ما اتحدث عنه ليس دراما خيالية بل واقع فعلي. هذه هي المؤامرة الفعلية على الانسان العادي وعلى الدين معا . فتحقير عقول الناس وذائقتهم مؤامرة . واحتكار الحقيقة الدينية مؤامرة اكبر.

قد ينصحون شخص معين بعدم قراءة كتب المؤلف الفلاني (التنويري) مع انهم يقرأونها. وذلك لانهم يشعرون ان ايمانهم وفطنتهم اقوى من ان يتأثرون بذلك الكاتب . وما يقرأون كتبه الا للرد عليها اما هذا البسيط الغير متفقه فقد يتأثر بها ويضيع ايمانه .

يقول ابن رشد : ان مثل من منع النظر في كتب الحكمة...مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات من العطش , لان قوما شرقوا به فماتوا , فان الموت من الماء بالشرق امر عارض ومن العطش امر ذاتي وضروري (انتهى) .(23)

التعالي الذي ينبع من المعرفة مرض يصيب نسبة من النخب التي تدعي التدين من جهة والتي تدعي التحضر ومواكبة العصر من جهة اخرى . وتلك الثقافة والمعرفة التي اكتسبوها اعطتهم شعور بالافضلية. فينظرون للاخر الذي لم يحفظ مثلهم (بعض مصطلحات الحداثة هنا وبعض المصطلحات الفقهية هناك) نظرة استصغار .

المشكلة العويصة

المشكلة العويصة هي ان الفقه يشبه الرياضيات الى حد كبير والاخلاق المطلقة المتصلة بالضمير حالة شعورية لا صلة لها بالرياضيات . 2+2= 4 ولا يمكن ان تساوي 5 . بما انه لا يوجد دليل على حرمة الفعل الفلاني فهو حلال استنادا الى قاعدة كل شيء حلال حتى تثبت حرمته . تتبع المشاعر الداخلية التي ينتجها الضمير لا علاقة له بمعادلات رياضية . 2+2 لا تساوي 4 بالضرورة بل قد تساوي مليون وقد تساوي صفر.

قبل فترة قام شخص بتوجيه سؤال لرجل دين (في برنامج تلفازي) عن حكم تربحه بربح قد يفوق سعر البضاعة باضعاف . فقال له (جائز لكن غير اخلاقي) لا ادري كيف يكون الفعل مباح لكن غير اخلاقي؟؟؟اردت التأكد من حقيقة هذه الفتوى فبحثت عن اراء رجال دين اخرين فوجدت ان جميع الاراء (التي اطلعت عليها) تشبه هذا الرأي فجميعهم يجدون ان الربح المضاعف جائز لكنهم ينصحون بمراعاة الناس وعدم استغلالهم . النصيحة منبعها شعورهم الداخلي بعدم اخلاقية استغلال الناس واستنزاف اموالهم . لماذا قال له ان الربح المضاعف جائز لكن غير اخلاقي؟؟؟ يا اخي اما يكون الفعل جائز واخلاقي او غير جائز وغير اخلاقي . حين يبيح الله شيء فهو اخلاقي بالضرورة واذا كان الربح المضاعف مباح (حسب الفقه) فهو اخلاقي بالضرورة !!! هل انت اكثر قدرة من الله على تحديد ما هو اخلاقي وما هو غير اخلاقي؟؟؟ هذا يعني ان الله يبيح اشياء لا اخلاقية وهذا مناقض للغاية الوحيدة التي بعث بسببها النبي محمد (اتمام مكارم الاخلاق) طالما ان ضميرك وغزك وجعلك تقول (غير اخلاقي) اذن هو مخالف للغاية الوحيدة من البعثة .

سبب هذه المعظلة لغة الارقام . الله حسب تصوري لا يعامل الانسان كطفل بل يعامله كبالغ . الله وضع (code) في عقل الانسان يحدد له تلك الاشياء التي يجب ان يتجنبها وهو (الضمير) من وجه السؤال حول جواز التربح بربح مضاعف يشعر بداخله ان الربح المضاعف فيه استغلال لذلك يحاول ان يجد مخرج من وغزات الضمير او يحاول ان يتخلص من لوم فلان او علان ويخرسهم بفتوى شرعية . لكنه خرج من حفرة ووقع في

بئر. فمن اجابه قال له انه جائز لكنه غير اخلاقي . السؤال الذي يطرح نفسه هل كل شيء لا يوجد نص يحرمه مباح ام كل شيء يرفضه الضمير حرام؟؟؟

القول في ان الفعل الفلاني مباح لكن غير اخلاقي يشبه كثيرا وقوف متهم امام القاضي والقاضي يدرك تماما في اعماقه ان هذا المتهم مجرم لكن لم يجد دليل واحد يثبت جريمته لذلك يقرر اخلاء سبيله وفي داخله رغبة بان يعتقله . الله حسب تصوري يراهن على عقل الانسان والا فما الفائدة من منحه عقل قادر على التحليل والتقييم ولا يعطيه مساحة في استخدام هذه القدرات ؟؟؟ الفقه يستند على قاعدة كل شيء مباح حتى تثبت حرمته اما الضمير فيستند على قاعدة كل شيء محرم لو شعرت بداخلك انه غير مقبول وغير انساني.

يقول البعض...انت لست معني بالنتائج...انت مكلف بتطبيق ما يريده الله والنتائج تحصيل حاصل...سمعت هذا المضمون ووقفت عنده كثيرا...اذا كان لعقل الانسان قدرة على تحليل الوقائع وتوقع النتائج بنائا على الخبرات المسبقة او التحليل المنطقي او المعرفة...كيف يكلفه بامور يتوقع عقله ان نتائجها سلبية ويطلب منه تطبيقها دون الالتفات لنتائجها؟؟؟

نعود للسؤال...ما هو الضامن ان رجل الدين سيتحمل عبأ تطبيقي لفتواه التي استنكرتها نفسي بدلا منه ؟؟؟ لماذا لا اضع بالاعتبار ان الصوت الذي قال لي (هذه الفتوى غير عقلانية) هو ما سيحتج الله به علي ؟؟؟

هل يجب ان اهمل استنكاري الداخلي لشيء غريب يقال عنه (واجب شرعي او جائز شرعا) او اهمل استحساني الداخلي لشيء جميل يقال عنه (محرم او مكروه)؟؟؟

قد يجيبك شخصا ما...ان عقلك القاصر هو من يراه (قبيح او جميل) وحتى لو اردنا ان نحكم على صحة الاحكام من العقل فغيرك وصل لقناعة عقلية تطابق الحكم الشرعي وهذا يدل على قصور عقلك. ويقولون ايضا : المختصون في هذا المجال والخبراء هم من يُقيمون اما نحن (العوام) فلا قدرة لنا على ذلك لان عقولنا قاصرة . بل قال احدهم مرة بالحرف الواحد (على المسلم أن يبادر أولاً إلى اتهام فهمه وقصور علمه قبل أن يتهم الإسلام) والواقع انه في قوله هذا يمارس الارهاب الفكري . لانه يريد ببساطة ان يجعل فهم شيوخه هو (الاسلام) لذلك من يناقش افكارهم يتهم الاسلام . وهذه طريقة معتادة عند نسبة من الناس في احتكار الحقيقة في جيب مشايخهم فقط . طيب اذا كنت تتحدث مع مسلم متسائل تستطيع ان تخرسه من خلال ارهابه بقولك (اتهم قصور عقلك قبل ان تتهم الاسلام) ماذا لو كان المتسائل غير مسلم اي انه اصلا لا يؤمن بنبوة النبي محمد ماذا ستقول له لتتخلص منه وانت ذلك الدعوي التبشيري الذي يريد ان يتحول العالم كله يوما ما الى دينه؟؟؟

فعلا عقلي القاصر هو من يحكم لكن في نفس الوقت انا من يقال لي (انك ستواجه اهوال عظيمة بعد الموت وستمر بأمتحانات فضيعة والام موجعة) وان من يقال لي (ان الله ميز

الانسان عن غيره من الكائنات بالعقل) ما هي قيمة هذه الميزة اذن اذا كان مطلوب مني ان اتجاهل ما تستحسنه وتستقبحه ؟؟؟

القول في ان (رجل الدين يحاسب حساب مضاعف وتطبيقي لفتاواه يبرء ذمتي) لا قيمة له امام القول في ان رجل الدين (اذا اخطا له اجر واذا اصاب له اجرين) من يحاسب اذن (ولد الخايبة) فقط؟؟؟

التقرب لله من خلال تحقير الاخر

من ألعن انواع غسل الادمغة وقتل الضمائر هي ايهام الناس ان تحقير الاخر ينتج عنه رضى الله . لا يوجد غسل ادمغة اكثر تحطيم للذات البشرية من غسل الادمغة باسم السماء. لانه يُخلي المسؤولية الاخلاقية لمن يروج لتلك الفكرة ويلقيها على عاتق المقدس .

يروى في صحيح مسلم كتاب السلام :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعني الدراوردي عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه (انتهى) .(24)

محاولة جادة لتحويل الانسان المسالم الى (بلطجي) من خلال ايهامه ان الله يريد منه تضييق الطريق على الاخر وهذا الفعل يبدر من البلطجية ومن ارباب الشوارع بل حتى البلطجية قد يترفعون عنه . لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام...ماذا نفعل اذن؟؟؟ محاولة جادة لقتل بديهيات السلوك الاجتماعي الطبيعي .

اعلم ان اقراني الشيعة الان يجدون انهم غير معنين بهذا الحديث لانه ليس من تراثهم لذلك لا يمثلهم . لكن هل تراثهم يخلو من هذه اللغة ؟؟؟

روى الشيخ التوسيركاني في كتاب لئالي الاخبار :

قال (الرسول محمد) صلى الله عليه واله : من اعان تارك الصلاة مثقال ملح فكأنما زنى بأمه الف مرة (انتهى) . (25)

ويروي ايضا :

قال (الرسول محمد) صلى الله عليه واله : من تبسم في وجه تارك الصلاة فكأنما هدم البيت المعمور سبع مرات وكأنما قتل الف ملك من الملائكة المقربين والانبياء المرسلين (انتهى).(26)

لا نتحدث هنا عن تارك الصلاة بل عن من يبتسم في وجهه...تخيل ان من يبتسم في وجه تارك الصلاة حاله حال من يقتل الف ملك من الملائكة المقربين والانبياء المرسلين!!!يعني من يبتسم في وجه تارك الصلاة اسوء من قاتل يحيى بن زكريا...وفي الحديث الذي قبله يتحدث عن من يعين تارك الصلاة بمثقال ملح...هو كمن زني بأمه الف مرة!!!يعني سفاح القربى اهون من اعطاء مثقال ملح لتارك صلاة لانه لا يوجد مختل يسافح امه الف مرة اما اعطاء مثقال ملح فهو يوازي هذا العدد الهائل .

هذه الاحاديث المكذوبة لا يحتاج الانسان ان يكون خبير في الاسانيد ليكتشف كذبها...كل ما يحتاجه ضمير متقد وعقل منفتح لا اكثر ولا اقل .

يقول الله في القران (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) و يقول الرسول محمد (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)(27) هذا هو جوهر الدين وكل ما يخالف هذا الجوهر لا قيمة له ولا اساس حتى لو كان مسند بالف سند صحيح .

هذه الاحاديث السوداء التي تدعو لسوء الخلق واشباهها من الاحاديث الموجودة في كتب السنة والشيعة قام اشخاص مأزومين نفسيا يعيشون حالة الكراهية بتزويرها (ليسوا بالضرورة نفس من نقلوها في كتبهم) لهؤلاء خيال واسع في رسم صور مرعبة لغسل ادمغة الطيبون من المؤمنين . لاحظ ان هذه الاحاديث موجهة للمؤمن الملتزم الذي يتعامل مع الاخر بود وحب . من انتحلوا هذه الاحاديث كانوا يحاربون ظواهر اجتماعية طيبة فكانوا يواجهون المؤمنين الودودين مع الاخر بها .

الكثير من الناس الطيبيين تم طمس معالم الطيبة في محياهم وتم غسل ادمغتهم ليصدقوا ان تحقير الاخر فعل طيب . فهذا يقول له الفاسق عدو الله ويجب مقاطعته ونبذه وحالق اللحى فاسق . والاخر يقول له ان غير المسلمين نجسين يجب ان تغتسل بعد مصافحتهم . وثالث يقول له ان السافرة عاهرة حتى لو كانت بعيدة المنال وغير متاحة جنسيا لان مجرد اظهارها لمفاتنها عهر بحد ذاته . ما اتحدث عنه ليس قصص خيال علمي بل ثقافة تشبع بها نسبة لا يستهان بها من الناس وسمعت هذه المعاني والمضامين كثيرا . وللامانة ليس كل من يتحدث بهذه المضامين يأتي بأدلة ومصادر يثبت بها كلامه فالكثيرون يعيشون هذه الروح المظلمة دون حاجة الى مصدر يثبت صحتها . هي افكار نمطية لا يحتاج من يعتنقها الى نص مقدس دائما .

يقول الرسول محمد (راس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس)(28) لم يقل التودد الى المسلمين الملتزمين بالدين بل قال (الناس) .

قد يقول قائل ان هذه الاحاديث المظلمة التي تحث على الكراهية غير ثابتة ولا يعتد بها . لن يفرق شيء كبير فهناك شريحة واسعة يستدلون بها ويتناقلونها وكانها حقيقة لا جدال فيها .

التجديد ضرورة ملحة وليس ترف

لأنـي شـيعي...اعلم جيدا دور المرجعيـة الدينيـة والحـوزة العلميـة فـي المجتمـع الشـيعي...انه دور كبير وجوهري...الشيعة يمثلون المعارضة عبر التـاريخ لذلك هنـاك جفـاء متبـادل بينـهم وبـين السـلطات المتعاقبـة وتعرضـوا للاضـطهاد و النبذ والاهمـال والتجهيـل المتعمـد . لـذلك دور المرجعية الدينية والحوزة العلمية جوهري في حياتهم فهي ملاذهم الامـن لقـرون عديـدة. وبغض النظر عن المكانـة الدينيـة المقدسـة هـي امـر واقـع وافـراز طبيعـي فـي مجتمـع منغلـق علـى نفسـه . دور المرجعيـة الدينيـة بالنسبة للشيعة يختلـف تمامـا عـن دور المؤسسـة الدينيـة السـنية . فمكانتهـا عميقـة جـدا لـدورها المحـوري فـي حيـاتهم . ولا يمكننـا ان ننكـر مواقفهـا التاريخية في العراق خصوصا . لكن هذا لا يجعلها فوق النقد بـل النقد ضـرورة ملحـة تعـود بالنفع عليها قبل غيرها .

يقول الامام الحسين : إنما سمي الصديق صديقا لأنه يصدقك فـي نفسـك و معايبـك فمـن فعـل ذلك فاستنم إليه فإنه الصديق.(29)

ان تقول مـا يجـول فـي خـاطرك بصـدق تجـاه المؤسسـة التـي لهـا دور تـاريخي فـي مجتمعـك افضل بكثير من التمجيد المتواصل الـذي لا يغنـي ولا يسـمن مـن جـوع . النقد هـو مـا يرتقـي بالمؤسسات وليس المدح الببغائي المج . هناك من لا يحتملون حتـى مفـردة (ارتقـاء المؤسسـة الدينيـة) لانـهم يجدون ان هذه المفـردة تسـيء لهـا لانهـا فـي نظـرهم فـي اعلـى حـالات الرقـي والقول في انها من الممكن ان ترتقي يجعلها فـي مكانـة اقل قيمـة . هذا واقـع بعضـهم فهـم لا يقبلـون الا لغـة التمجيـد والطاعـة العميـاء . الحـوزة العلميـة والمرجعيـة الدينيـة ليسـت ملككـم لتشعرون ان الحالـة التـي تعيشـونها هـي مـا يجـب ان يعيشـه الجميـع . الواقـع ان كـل القـائمين علـى الحوزة العلمية بشـر يخطـأون ويصـيبون . وكـل مؤسسـة مهمـا كـان اختصاصـها تحتـاج دائما للاصلاح لان الكمال امر مستحيل .

وجـود الحـوزة العلميـة لا خـوف عليـه ولـيس هـو محـل النقـاش لكـن التجديـد الحقيقـي اصـبح ضرورة للحوزة العلمية نفسها قبل مريديها . ان مشكلتنا الرئيسية وفـي جميـع المجـالات هـي النُخـب (او نسـبة مـنهم علـى اقـل تقـدير) فهـؤلاء يتصـورون انهـم حلقـة الوصـل بـين العامـة والخاصـة .

لا زلـت اذكـر زيـارتي لمنـزل السـيد السيسـتاني قبـل 15 عـام تقريبـا . وكـان منزلـه حينهـا مكتضـا بمئـات المحبـين والمريـدين . ولا اخفـي سـعادتي البالغـة حـين التقيـت بـه اول مـرة والقيـت عليـه التحيـة ولا تـزال كلمـات الـدعاء التـي وجههـا لـي (حـالي حـال بـاقي مريديـه ومحبيه) ترن في اذاني وهي من الـذكريات الجميلـة التـي لا تفـارق وجداني . واقـف بـاحترام امام دوره التاريخي ومكانته الاعتبارية .

لقائي الشخصي بالسيد السيستاني كان لقاء عابر لا يمكن ان يُبنى عليه حكم شخصي حول شخصية هذا الرجل . لكن (فضلا عن مواقفه العامة) ما انا متيقن منه من خلال المعلومات التي عرفتها من اشخاص ذوي توجهات مختلفة (اسلاميين وعلمانيين) تواصلوا معه ان هذا الرجل (انساني جدا ومنفتح جدا) وليس كما يتصور البعض بانه منشغل فقط في الفقه بل هو مطلع جيد على الكثير من الامور الجوهرية وهو مستمع جيد للرأي الاخر ويدفع دائما لمواجهة الراي برأي مثله مهما كان هذا الرأي . لكن جوهر المعظلة اعمق من شخص المرجع ومدى مرونته وتقبله للرأي الاخر . جوهر المعظلة يتعلق بتجديد بناء قائم لقرون طويلة .

التجديد لا يعني مواكبة العصر من خلال انشاء موقع الكتروني للتواصل مع الناس و الافتاء في اخر المستجدات محل الابتلاء فقط بل يعني جعل (العلم المثبت الذي لا يتناقض مع الدين) و(الاخلاق المطلقة - السبب الوحيد للبعثة النبوية -) معيارين رئيسيين لفهم النص واثبات صحة الرواية . ما سبق (بكل واقعية) غير ممكن فهو يحتاج الى بذرات اولية واهمها ظهور تيار مجدد من داخل المؤسسة نفسها . ما نحتاجه فعلا اجواء صالحة لنمو هكذا تيار . لا بد ان نكون منصفين ونقول ان هناك مجددين لكن التيار التقليدي قوي لدرجة يجعل تأثيرهم ضعيف .

نسبة لا يستهان بها من العوام (كما يسميهم النُخب) لم يعودوا كذلك . ويمكننا ان نقول ان مستوى ادراكهم في تنامي مستمر وقد يوازي او يفوق ادراك النُخب . التجديد الجذري الشامل لم يعد ترف بل اصبح حاجة ملحة للمؤسسة الدينية قبل المجتمع . نحن بحاجة لاعادة نظر حتى في المصطلحات والمفردات والادبيات و(كل شيء) بمعنى الكلمة من الالف الى الياء . لم يعد الجواب الذي يقول مضمونه (لسنا مكلفين ان نعرف العلة والروايات اثبتت هذا الحكم) مشبع وكافي . قرأت مرة هكذا اجابة من مكتب احد الفقهاء حين استفسر منه شخص عن سبب حرمة اكل الارنب. وهل على الانسان ان يحدد عقله واستفهاماته في ما هو مكلف به فقط ؟؟؟ هكذا جواب في زماننا قد يعني (لاجواب)

الخطر الفعلي على المجتمع ليس من الافكار التي تسمى (دخيلة) فالحديث عن تعرض المجتمع للخطر منها فات اوانه . فالافكار التي تسمى دخيلة اصبح الناس يستنشقونها مع الهواء في كل لحظة بسبب الانفتاح وعالم الانترنت الذي لم يحول العالم الى قرية صغيرة فحسب بل جعل راعي الغنم في العراق يستطيع ان يعد انفاس ستيفن هوكنغ وهو جالس قرب غنماته .

العلم الان يشخص اسباب الظواهر ويتوقع نتائجها . هل هي سلبية ام ايجابية ام نتيجة طبيعية لتطور المجتمع؟؟؟ هل نتائجها وخيمة ام حميدة؟؟؟ان الاوان ليكون للعلوم المختلفة دور في استنباط الحكم الشرعي و حين نقول (يكون للعلوم دور) لا نعني ان يقوم الفقه في

تحديد موقفه من مستحدثات العلم كما يحدث الان على ارض الواقع بل نعني ان يكون للعلم دور في استنباط الحكم الشرعي . في ذلك الوقت سيكون الفقه اكثر واقعية واكثر ملائمة .

من الضروري على الفقهاء من منطلق (لا ضرر ولا ضرار) ان يرجعوا لعلماء الانثروبولوجيا (علم الانسان) وعلماء الاجتماع وعلماء النفس (خصوصا) قبل صناعة الفتوى لمعرفة اثرها على الانسان هل فيها (ضرر وضرار) ام لا . المستهدف في الفقه هو (الانسان) والمجالات العلمية سالفة الذكر تختص في فهم (الانسان)

أليس الدين لا يناقض العلم بل يثبته ويدل عليه؟؟؟أليست القاعدة تقول (لا ضرر ولا ضرار)؟؟؟المشكلة محلولة اذن...لنحتكم للعلم المثبت (الذي نتفاخر دائما ان الدين سبق العلماء المختصين في الاشارة لوجوده) في تحديد اين يكمن الضرر والضرار . هذا لو اردنا للفقه ان يواكب العلم فعلا. اما اذا اردنا ان يبقى الفقه جامد كما هو فما علينا الا ان نبقى في نفس المجال وهو (اعطاء رأي لاحق باخر المستحدثات العلمية)

قد يقول قائل (ان الفقه يعتمد على نصوص ربانية معصومة وما قيمة هذه العلوم امام هذه النصوص وهل هؤلاء يعلمون ما لم يعلمه الله؟؟؟) هذا الكلام فيه مغالطة كبيرة في الواقع فكما قلنا سابقا النص المقدس مرن وله اكثر من تفسير والتراث الديني موبوء بالحشو ووصلنا عن طريق بشر فهمهم نسبي بالضرورة . على ضوء ما سبق يصبح الاحتكام للعلم المثبت طريق مثالي ومختصر للوصول للمعنى الاقرب للحقيقة .

هذا كلام مُحب فضل قول ما يجول في خاطره بصدق على ان يمجد تمجيد مج لا يسمن ولا يغني من جوع .

اما المؤسسة الدينية السنية (في بلدي العراق خصوصا)...فأقولها بصدق وحب منقطع النظير...القضاء على داعش عسكريا امر ممكن لكن القضاء على منبع داعش الفكري مهمتكم انتم...تنقية التراث هو السبيل الوحيد لقطع التغذية الفكرية التي تؤدي الى نمو ثقافة الكراهية. تجديد التراث الديني السني هو السبيل الوحيد للقضاء على المنابع الفكرية لداعش ومن لف لفهم. تنقية التراث ليس ترف فكري والمكابرة والدفاع عن التراث مع استنكار ما تفعله داعش امر خطير لان من نتائجه استمرار دورات مستمرة من الدواعش تنتهي دورة لتبدأ دورة اخرى.

القول في ان داعش لا يمثلون الاسلام والاسلام منهم براء وحده لا يكفي . تنقية التراث هي الترجمة العملية لهذا القول .

ما الذي يهدم الدين ؟؟؟

هدم الدين ليس بوضعه محل تحقيق وبحث واستفهام (كما يروجون) بل العكس هو الصحيح. هدم الدين الفعلي حين يتبعه الناس ويلتزمون به مع شعورهم بعدم معقولية بعض

مضامينه او كلها . هكذا يهدم الدين فعلا ويتحول الى مجرد بناء خاوي من المضمون يسلم الناس بصحته ويتجاهلون استفهاماتهم . ما يهدم الدين فعلا ليس التفكير والفحص بل التسليم الاعمى بصحة كل ما يرد عن رجل الدين . الدين عقيدة والعقيدة لو سلمنا بصحتها مع عدم ادراكنا لها لا تسمى عقيدة . نعم تسمى كذلك حين تتخلل مشاعرنا وعقولنا وقلوبنا . التظاهر بالاعتقاد هو كذب على الذات ونسبة من رجال الدين يفضلون ان يتظاهر الناس بالاعتقاد بسبب خوفهم من الحاجز المقدس على ان يكونوا صادقين وحقيقيين .

ما هي قيمة مليار انسان او خذ مئة مليار انسان يتبعون دين معين لكن لديهم شعور داخلي بعدم القناعة ببعض تفصيلات الدين او عمومياته ويغضون النظر عن عدم قناعتهم لان هناك من اقنعهم ان عقولهم قاصرة لا يعتد بها والفكر الديني المطروح هو الحقيقة التي يجب اتباعها.

اغلبية (مغسولي الادمغة) لا يعدون اتباع حقيقيين للدين بل (اقلية مطمئني النفس يستخدمون العقل) هم الاتباع الحقيقيين . هدم الدين هو بتحويل اتباعه الى كتل لحمية ترفع شعارات خاوية. اما احياء الدين فهو بتحرير عقول اتباعه حتى لو كانت النتيجة خروج نسبة منهم عن الدين فهذه النتيجة جيدة فهي ابقت مؤمنين حقيقيين فقط واعطت للبقية قيمتهم الانسانية في اختيار ما يرونه صحيح .

قال الشيخ يوسف القرضاوي في احدى الحوارات التلفازية : لو تركوا الردة (يقصد لو تركوا المرتدين دون عقاب) ما كان هناك اسلام ولانتهى الاسلام منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام . الوقوف امام الردة هو الذي ابقى الاسلام...(انتهى)

العكس هو الصحيح...الرصيد الحقيقي لاي دين هو المؤمنين الحقيقيين ولا قيمة لمن يتظاهرون عنوة بالانتماء لهذا الدين بل يجب تشجيعهم على اعلان خروجهم منه احتراما لقيمتهم الانسانية واحتراما للدين نفسه . فتظاهر الناس بالانتماء للدين خوفا سيحوله الى مجرد وعاء خارجي شكلي خالي من اي جوهر بل سيشكل ثقل زائد عليهم يجب حبا بهم وبالدين تخليصهم منه وفك الارتباط القهري بينهم وبينه .

الواقع الان عكس ما يقول القرضاوي تماما فلولا وجود اشخاص يؤمنون بالاسلام بعفوية ومرجعهم الاول والاخير هو الضمير الذي يحددون من خلاله ما هو صحيح وما هو غير صحيح دون الالتفات للتعقيدات الفقهية والعقائدية والمتاهات التاريخية التي يروج لها هؤلاء لما بقي اسلام .

المؤمن (التبشيري) يدعو لنبذ الخرافة حين يوجه خطابه للاخرين ويعزز الخرافة حين يوجه خطابه لاتباع دينه او مذهبه

قد يتشدق احدهم بالدعوة للفكر الحر وتجنب الوقوف امام الحواجز الوهمية من القداسة لكنه يقصد بكلامه اتباع الاديان الاخرى ولا يقصد اتباع دينه .

هذا واقع الدعويون و التبشيريون من كافة الاديان والمذاهب فحين يوجه خطابه لاتباع الاديان الاخرى تجده قمة العقلانية والتنوير فكثيرا ما يردد (يجب ان نحاول دراسة جميع الاديان لنصل الى الحقيقة) و (الانسان في كل شيء يختار الافضل لما لا يفعل ذلك في الدين ويدرس جميع الاديان ويختار افضلها)...(يا عيني عالعقلانية)... فجأة تحول الاخ الى عقلاني متحرر. هو في الواقع حين يقول (على الانسان ان يتجرد ويختار افضل الاديان واكثرها عقلانية) يقصد (نحن افضلها اختارونا) وليس جاد فعلا في كلامه .

التبشيريون جيدون في تهديم احدهم لفكر الاخر ومحترفون في هذا المجال لانهم وبكل دهاء يلجأون للعقل . يعتمدون في كسب الاخر في الدرجة الاساس على تحطيم قيمة دينه العقلية . ويسهل عليهم بعد ذلك جره الى دينهم لانهم لا يرونه كل الصورة ويخفون بدهاء اي شيء لا عقلاني في دينهم . الى ان يحين الوقت الذي ينحاز فيه لهم انحياز كامل فيبرر من تلقاء نفسه الاشياء اللاعقلانية في الدين الجديد الذي اعتنقه . المسيحي يصبح قمة العقلانية حين ينقد الاسلام والمسلم يصبح قمة العقلانية في نقده للمسيحية والسني قمة النبذ للخرافة في نقد الشيعي والشيعي قمة المنطقية والعقلانية في نقد السني.

اليهودية ديانة غير تبشيرية . لذلك لا يكترث اليهود لتحويل الناس الى يهود مثلهم . بل حتى لو اعتنق احدهم اليهودية عن قناعة لن يعترفوا به بهذه السهولة ويحتاج الى جهد كبير واعتراف على نطاق واسع . وسبب ذلك حسب تقديري هو فكرة الاختيار الالهي لهم . هناك حالات اعترفوا فيها بأشخاص اعتنقوا اليهودية مثل الجاسوسة المصرية التي تجسست لاسرائيل انشراح موسى والتي القي القبض عليها هي وزوجها واعدم زوجها وبذلت اسرائيل جهد كبير لاخراجها من السجن واستبدلتها بأسرى مصريين هي وابنائها واعتنقت بعد ذهابها لاسرائيل اليهودية ولا زالت تعيش هناك .

اللجوء الى العقل الحر احدى حيل التبشير والدعوة لاستقطاب اتباع جدد . فهم يستخدمون العقل لتشكيك الاخر بدينه او مذهبه لكن حين يصل الدور لهم ستجدهم يمنطقون اشياء اكثر لا عقلانية من التي شككوا بها عند الاخر . وهنا يعود العقل ادراجه ويرجع التبرير والانحياز للصدارة . يستخدمون مصطلح (فكر حر) لانه ذو دلالة ايجابية لكن حين تضعهم على المحك سيضهر لك حقيقة ايمانهم بالفكر الحر من عدمه .

جرب ان تذهب لرجل دين وتساله ببرائه عن الالحاد . هل تتوقع ان يقول لك مثلا (ان الالحاد هو انكار وجود الله وادعوك ان تطلع على مؤلفات ريتشارد دوكنز لانه اشهر

الملحدين في عصرنا وستجد في مؤلفاته اخر تحديث للفكر الالحادي)؟؟؟ كم انا متفائل اترك عنك الالحاد و لنذهب الى ما هو داخل حدود الايمان . خذ مثلا شخصية معروفة بالتنوير والتجديد في بلدك واسأل عنه رجل دين...بل خذ رجل دين تنويري...هل تظن انه سيشجعك على التعرف عليه من نتاجه الفكري ام سيخوفك بخطورته على الدين ؟؟؟

اغلب الظن سينقل لك بعض تلك الافكار ويحاول تفنيدها لكن ان يدعوك ان تطلع عليها بنفسك فهذا امرمستبعد . اخر ما يفكر فيه نسبة لا يستهان بها من رجال الدين هو ان يدعون اتباعهم الى الاطلاع على الاخر من باب الثقافة والاطلاع على الاقل . ما يركزون عليه هو الخوف من تأثر اتباعهم بتلك الافكار .

ومنبع هذا الخوف حسب تصوري امرين ...الاول (لو احسنا الظن) الخوف عليك بحسن نية من الانحراف عن جادة الصواب...والثاني الخوف من ان تتكل على عقلك وتنفطم من عقله . نعم حين يوجه كلامه لاتباع الاديان الاخرى سيدعوهم للحيادية والاطلاع على جميع الافكار بتجرد وعقلانية اما حين يكون الحديث عن اتباع دينه فلن يتعامل بنفس الطريقة بل سينطلق من منطلق الخوف على اتباعه من التأثر بالاخر .

هل هناك من يغيرون دينهم او مذهبهم؟؟؟ هذه حقيقة واقعة لا مفر منها فهناك اوربيون مسيحيون اعتنقوا الاسلام ومسلمون عرب اعتنقوا المسيحية...السبب الفعلي حسب تصوري هو انهم وجدوا ما يشبع حاجاتهم النفسية في الدين الاخر...لنأخذ بعض التخمينات :

اذا كان الاوربي المسيحي اعتنق الاسلام المعتدل فقد يكون ما يبحث عنه (دين اكثر جدية واكثر انضباط...شريعة جادة مكثفة تشرف على كل مفاصل حياته دون اي مزاح ودون اي تراخي) لانه سأم من لغة الحب المكررة ومل منها ويريد تجربة دين اكثر جدية في التدخل بتفاصيل حياته الدقيقة.

ولو كان تحول الى مسلم متشدد فقد تكون حاجته النفسية هي رغبته الدفينة القديمة في ان يعيش حياة العصابات لكن وغزات الضمير كانت تمنعه فوجد ايمان جديد متشدد يجعل حياة العصابات شرعية بل تسُر الله فعانقها واعتنقها بكل ود وسرور.

ولو تحول المسلم الى المسيحية فقد يكون السبب هو افتقاده للغة الحب في الخطاب الديني الاسلامي...فقد سأم من لغة العنف والموت و الاملائات . فوجد في المسيحية لغة تشيع ثقافة الحب وتشبع حاجته النفسية وتخلصه من فكر الكراهية الجاثم على صدره .

على كل حال هذه مجرد تخمينات وقد يكون السبب الفعلي لدى بعضهم هو قناعة عقائدية مجردة لا يحركها حاجات نفسية . كل شيء وارد .

هل الفكر الحر يؤدي الى الالحاد بالضرورة ؟؟؟

نعم قد يؤدي الفكر الحر الى الالحاد لكن ليس بالضرورة . نسبة من رجال الدين يقصدون (يؤدي الى الالحاد بهم وبالتراث الذي يروجون على انه الحقيقة المطلقة) ما يؤدي اليه الفكر الحر حتما هو (تحرر العقل وانفطامه من عقول محتكري الحقيقة) وهذا امر لا يناسب من يتقمص دور الراعي البتة.

فكرة اخرى يروج لها محتكري الحقيقة وهي (ان الدافع الحقيقي الذي يقود الانسان لطرح الاستفهامات حول البديهيات والمسلمات المقدسة او انكاره لصحة بعضها او جميعها هو الغرور البشري الذي يجعل الانسان يشعر انه ليس بحاجة لاحد ليعلمه دينه وهو بذلك اغرق نفسه بجهله واتجه الى الهاوية)

لا يمكن انكار ان الانسان يقع احيانا تحت تأثير الغرور . لكنه يقع تحت تأثير الحاجة الى اجوبة ايضا واجوبتك انت ليست مشبعة بالضرورة . انت تضعني امام خيارين اما ان اكتفي بجوابك واكون (حباب) او لا اكتفي وابحث عن جواب اخر اكثر اشباع واكون (مغرور بعقلي) المغرور فعلا هو من يعتقد انه الوحيد الذي يملك الاجوبة الصحيحة المشبعة وكل ما عداها لا قيمة له .

قد يقول قائل (حين تستفهم مني واجيبك بجواب لا يقنعك فالموضوع لا علاقة له بي بل بالدين...اي انك لست مقتنع بالدين فانا لم أئتي بالجواب من جيبي بل من حقائق دينية)

عدنا لنفس الحلقة المفرغة...انت من صنفتها على انها حقائق دينية حتى لو كان تصنيفك يعتمد على تراث ديني له واقع فعلي ويجمع عليه ملايين البشر . انت تراها ثوابت لذلك هو حكمك انت حتى لو كان يعتمد على تأييد عدد كبير من علماء الدين قديما وحديثا وحتى لو تحول الى بديهة...يبقى في النهاية حكم نسبي بشري يقبل الخطأ والصواب . انه حكمك انت ومن يختلف معك لا يختلف مع الله بالضرورة .

هناك الكثير من الحقائق الدينية عند السنة لا قيمة لها عند الشيعة والكثير من الحقائق الدينية عند الشيعة لا قيمة لها عند السنة لما لا تكون بعض الحقائق التي يجمع عليها الطرفين لا قيمة لها ايضا ؟؟؟لما لا ؟؟؟كل شيء وارد .

قد يقول قائل (طرح الاستفهامات حول ثوابت الدين وبديهياته لا ينتج عنه الا تشويش المؤمنين وابعادهم عن الدين الحق لذلك هي من الشيطان الذي يحاول ابعاد الانسان عن الله بشتى الوسائل)لا يمكن ان اكون من اتباع دين اذا لم اكن اعقل هذا الدين . لا قيمة تذكر لتسميتي مسلم او مسيحي او يهودي اذا كان هناك استفهامات في نفسي لو واجهتها قد افقد ايماني . ما قيمة ايماني اذن اذا لم يكن نابع من العقل ومتجذر في القلب ؟؟؟

الاستفهام والتشكيك هو محاولة الانسان تلمس ما حوله بعفوية . الاستفهام قد يبقيني مسلم وقد يبقي غيري مسيحي لكن من اهم نتائجه اني ساتحول من شخص ورث دينه الى شخص يعقل دينه . نعم قد ابقى على ديني لكن مفاهيمي ستتغير وتتبدل وسيكون لايماني نكهة اخرى . العقيدة الحقيقية ليس ما يقوله الانسان من باب المهادنة بل ما يدور في ذهنه من استفهامات وما يتبلور عنها من اجوبة وقناعات .

نعم الفكر الحر يؤدي الى الغضب وسوء العاقبة

لكن ليس الله من يغضب بل ذلك الذي يحاول ايهام الناس بأنهم لا يقدرون على فهم شيء بدونه. قد يروج احدهم لسوء عاقبة الاستفهام والنقاش . هو في الواقع يتحدث عن سوء عاقبته هو وليس سوء عاقبتك انت فمن مصلحته ان تبقى الرتابة الفكرية هي السائدة . ان الظمأ الفكري وكبت الذات وقمعها استنادا لفكرة وهمية غير موجودة الا في خيال من يتاجرون بالدين امر مؤسف . ان من يقمع ذاته حسب تصوري مأثوم (عمليا) والاثم هو شعوره بذل القيود مع قدرته على تحطيمها وحاجته لذلك التحطيم وعدم اقدامه عليه. لا يمكن ان اتخيل ولو لحظة واحدة ان الخالق مهتم جدا بمجده الذاتي وركوع مخلوقاته امامه ولا يهتم بتفعيلهم لعقولهم و للحالة التأملية لكل هذا الوجود الغريب.

يقول الدكتور مصطفى محمود : (أن الله أقرب الى الذين يجتهدون في فهمه من الذين يؤمنون به إيمانا أعمى)(30)

قارب الشك الذي ادى الى شاطيء الايمان

هناك من قادهم الشك الى الالحاد. وهناك من حولهم الشك الى ناقدين موضوعيين. وهناك من قادهم الشك من الايمان الموروث الى الايمان اليقيني ومن ابرزهم الدكتور مصطفى محمود .

هو هذا الإنسان الذي بدأ مشككا متسائلا وانتهى مؤمنا مبشرا . هذا الطبيب الذي فضل الكتابة على ممارسة مهنة الطب . بدأ الكتابة في بعض المجلات المصرية و ألف مجموعة من الكتب تعتبر مرآة تعكس مراحل تحوله الفكري . ابرز محطات حياته برنامجه التلفزيوني الشهير (العلم والايمان)

يرفض الكثير من الناس (مؤمنين وملحدين) ربط العلم بالدين . يبدو لي ان هناك نوعين من المؤمنين الذين يربطون العلم بالدين . النوع الاول يمكن ان نسميهم (دعاة تبشيريين) والنوع الثاني يمكن ان نسميهم(مؤمنين علميين)

النوع الاول (الداعية التبشيري) يأتي بنص ديني مقدس ويأتي بنظرية علمية ويربط هذا بذاك ويقول ان هذه النظرية موجودة عندنا قبل اكثر من 1400 سنة في القران . وغايته

في الدرجة الاساس هي ادعاء الاسبقية في الاكتشاف . وهو يعلم جيدا انه ولا بعد مليار سنة سيكتشف تلك النظرية بنفسه لولا ان هناك (كافر) قام ببحث مظني ليصل اليها .

اما النوع الثاني (المؤمن العلمي) فهو يعلم عن ماذا يتحدث . يعرض العلم ويقف امامه بانبهار. ثم يقوم بدعمه بالدين . وهو يختلف عن سابقه حسب تصوري . ومنبع الاختلاف هو ان المؤمن العلمي يحاول اثبات (ان طريق العلم هو الطريق الذي يحبه الله ويدعو له ويؤيده) وهذه صورة جميلة تدعم العلم وتدعو له وتختلف في جوهرها عن سابقتها . ويبدو ان الدكتور مصطفى محمود كان من هذا النوع .

يتحدث في كتابه (رحلتي من الشك الى الإيمان) عن نفسه حين كان يثير الشكوك والتساؤلات حول حقيقة الله قائلا :

كان ذلك من زمن بعيد لست أذكره . ربما كنت أدرج من الثالثة عشرة إلى الرابعة عشرة و ربما قبل ذلك . في مطالع المراهقة . حينما بدأت أتساءل في تمرد : تقولون إن الله خلق الدنيا لأنه لا بد لكل مخلوق من خالق و لا بد لكل صنعة من صانع و لا بد لكل موجود من موجد . صدقنا و آمنا . فلتقولوا لي إذن من خلق الله ؟ أم أنه جاء بذاته ؟فإذا كان قد جاء بذاته وصحّ في تصوركم أن يتم هذا الأمر . فلماذا لا يصح في تصوركم أيضاً أن الدنيا جاءت بذاتها بلا خالق و ينتهي الإشكال ؟ و تغيب عني تلك الأيام الحقيقة الأولى وراء ذلك الجدل . إن زهوي بعقلي الذي بدأ يتفتح و إعجابي بموهبة الكلام ومقارعة الحجج التي انفردت بها كان هو الحافز دائماً وكان هوالمشجع وكان هو الدافع وليس البحث عن الحقيقة ولا كشف الصواب. لقد رفضت عبادة الله لأني استغرقت في عبادة نفسي و أعجبت بومضة النور التي بدأت تتوهج في فكري مع انفتاح الوعي و بداية الصحوة من مهد الطفولة ... إن القول بسببٍ أول للوجود يقتضي أن يكون هذا السبب واجب الوجود في ذاته و ليس معتمداً و لا محتاجاً لغيره لكي يوجد . أما أن يكون السبب في حاجة إلى سبب فإن هذا يجعله واحدة من حلقات السببية و لا يجعل منه سبباً أولا. هذه هي أبعاد القضية الفلسفية التي انتهت بأرسطو إلى القول بالسبب الأول والمحرك الأول للوجود ولم تكن هذه الأبعاد واضحة في ذهني في ذلك الحين (انتهى) .(31)

نلمس بسهولة من كلام الدكتور مصطفى محمود عن نفسه أنه لا يجد أفكاره في تلك الفترة الا غرورا ورغبة في استعراض قدراته الكلامية . في الواقع أن مجموعة من العوامل المتعلقة بالإنسان كفيلة بجعل عقله يتحرك من مكانه ويمر بمحطات اخرى قد تكون مشابهة لمحطته الاولى وقد تكون مختلفة وقد تكون هي نفسها بذاتها ولم يختلف الا مكانها .

يتهم الدكتور مصطفى محمود نفسه بالزهو والغرور والتهمة الأكثر رعبا عبادة الذات وهو في الواقع ما كان ليصل الى هذه اللحظات التي يشعر فيها أنه في قمة الايمان لولا مروره بلحظات الشك .

أن اللحظـة التـي سـجل فيهـا نقده لذاتـه هـي امتـداد للحظـات الشـك , لـو قـدر لنـا العـودة الـى الماضـي وقلنـا لمصـطفى محمـود حـين كـان مراهـق أنـك لا تطـرح هـذه التسـاؤلات إلا لأنـك تزهو بنفسك وتعبد ذاتك لقال لنـا : (لا تحـاولوا إلغـاء عقلـي بهـذه الاتهامـات فأنـا أسـأل لأنـي أبحث عن الحقيقة). لم يكن مصطفى محمود عابدا لذاتـه ولـم يكـن مشـغولا بإرضـاء غـروره بقدر ما كان مشـغولا بتأمل الله وقولـه :(فلتقولـوا لـي إذن من خلـق الله) هـو الـذي أدى الـى قوله : (إن العلم الحق لـم يكـن أبـداً مناقضـاً للـدين بـل إنـه دال عليـه مؤكد بمعنـاه.)(32) ويبـدو واضـحا ومـن خـلال الاطـلاع علـى المـذكرات المنسـوبة للرجـل أنـه وصـل الـى نتيجـة أن استفهاماته الاولى هي التي أدت الى يقينه وإيمانه **ومما يقوله في تلك المذكرات :**

قصة الشك وتـاريخها أصـلا مرتبطـان بطبيعـة تكـوينى الفكـرى وطبيعتـى كمفكـر..فمن طبيعـة المفكرين أن يعيدوا النظـر فـى المسلمات، إنهم يبـدأون مـن البدايـة الأولـى، دائمـاً يبـدأون مـن صفحة بيضاء، فهم على الدوام ضد المسلمات، فهـذه هـى الرحلـة الطبيعيـة، وهـى تعنـى شـكاً منهجيـاً ولـيس شـكاً عناديـاً، فهنـاك فـرق بـين أن يعانـد الإنسـان أو يجـادل، وبـين ألا يسـلم بالبدهات أو يبدأ بالمسلمات بأن يكون منهجيـاً.. وفى عمر الـ١٦ بـدأت بـرفض المسـلمات. لـم أكن أريد أن آخذ شيئاً عن أبـى وأمـى، ولكـن كنـت أريـد أن أجتهـد اجتهـاداً شخصـياً، وبـدأت بالمحسـوس الـذى أمـامى ولـم أبـدأ بمـا وراء الطبيعـة، وقد تمثـل هـذا المحسـوس فـى الطبيعـة (الفيزياء) فوجدت الفيزياء والكيمياء عاجزة عن أن تفسر لـى شيئاً عـاجزة عـن أن تفسـر لـى الحياة والموت، ومن أجل ذلك استعنت بالفلسفة فوجـدت أنهـا فـى حاجـة إلـى فلسـفة لتعينهـا، فبـدأت بالأديـان سـواء كانـت سـماوية أو دنيويـة (بـوذا وزرادشـت وعيسـى وموسـى ومحمـد) فوجدت كمال الأمر كله فى القرآن.. وكانت هذه هـى المرحلـة الطبيعيـة، ورغـم أننـى اتجهـت بقلبى إلى الدين فكانت هناك أسباب حقيقيـة قـادتنى إلـى الشـك، ومـن هنـا بـدأت رحلـة الشـك، وبـدأت أحـاور وأرفـض وتحـدث فجـوة بينـى وبـين الـدين وتزايـدت هـذه الفجـوة تـدريجياً (انتهى).(33)

ان مصطفى محمود ولد مسلما اي ان اهله يؤمنون ان (كمال الامر كله في القران) لكن ابـى ان يسلم بتلك الفكرة تسليما اعمى ففكر وفكر وبحـث وبحـث وعـاد لـنفس النقطـة وهـي ايمانـه ان (كمال الامر كله في القران) كمـا قـال لـه اهلـه تمامـا لكـن هذه المـرة الايمـان فعلـي ولـيس تلقيني وهذا هو الفرق الجوهري . وهذا يثبـت لنـا عدم صـحة الفكـرة التـي يـروج لهـا تجـار الدين في ان من يشكك ويستفهم في المسلمات مصيره الالحـاد . حين يقولـون ان اي تشكيك او استفهام في ثوابت الدين يؤدي الى الالحاد يقصدون (يؤدي الى الالحاد بهم هم)

النتائج ليست متشابهة مع الجميع . والتأملات لا تؤدي دائمـا الـى نفس الشـاطىء . فقد يصـل غيره الى حقيقة أخرى مفادها أن الله غير موجود . وقد يصل آخـر الـى حقيقـة ثالثـة تقـول إن الله موجود لكن الأديان خرافة من صنع الانسـان . وقد يصـل رابـع الـى لافتـة كبيـرة مكتـوب عليهـا (لا أدري) وكـل هـذا وارد . الأكثـر قـوة مـن كـل هـذا هـو القـدرة علـى تفهـم الآخـر واستيعاب انه يمثل وجه اخر من وجوه الحقيقة . والأكثر قوة من ذلك هو فهم الذات.

التجرد والتجديد ... سنة الشيعة وشيعة السنة

السنة والشيعة

قصة قديمة بدأت منذ زمن طويل ولا زالت مستمرة . لكنها قصة مملة ومضجرة و الحديث عنها وعن تفاصيلها يثير الاعصاب ويوتر الأجواء في كثير من الاحيان وذلك لعمق المشاعر المذهبية وتأصلها وانحياز الفرد لمذهبه الذي يشكل جزءا أصيلا من شخصيته . المشكلة في الأساس تكمن في وجود تاريخين متوازيين وكل مذهب ينهل من تاريخ يختلف عن الآخر . نعم هناك مشتركات ولا يمكن نكران ذلك لكن هذه المشتركات ليست هي مصدر المشكلة . المشكلة تكمن في الاختلافات حتى لو كانت نسبتها 10 % . الكتاب المشترك الوحيد الذي يعتمد عليه السنة والشيعة معا هو القرآن لكنهم يختلفون في تفسير وتأويل الكثير من آياته ولا يوجد كتاب آخر غير القرآن مشترك للفريقين فكل مذهب له رجاله و كتبه .

حين يستدل مذهب على المذهب الآخر بأدلة تثبت ادعاءه من كتب المذهب المخالف فلن تجد دائما من يقول لك (أهاااا أفحمتني لم أكن أعلم أن ما تدعيه موجود في كتبي) فالموضوع ليس بهذه البساطة . الموضوع أكثر حساسية وأكثر قوة وأصالة في كيان الانسان من أن يأتي شخص يقول لأحدهم (ما نقوله عن الشخصية الفلانية من مثالب موجود في مصادركم)

لو جاء سني الى شيعي وقال له إن ما نقوله عن الموضوع الفلاني وتنكرونه موجود في بحار الانوار . ولو جاء شيعي الى سني وقال له إن ما نقوله عن الموضوع الفلاني وتنكرونه موجود في صحيح البخاري . لو ذهب وتفحص ووجد أن ادعاء الآخر صحيح فسيبحث عن مخرج من هذا المأزق وإذا لم يجد مخرجا فسيقول بكل بساطة : (هل من المعقول أن يمر أكثر من ألف عام على وجود هذا الحديث في الكتب ولم ينتبه له رجال الدين على مر العصور ؟؟؟ بكل تأكيد مرعليهم ولم يجدوا فيه مثلبة أو منقصة على المذهب وبكل تأكيد له تفسير مختلف عن الظاهر. وهل يعقل أني أفهم أكثر من آلاف الشيوخ الذين مر عليهم هذا الحديث وسكتوا عنه؟؟؟ قطعا لا. بكل تأكيد هناك مخرج وإلا لكان رجال الدين توقفوا عنده وأعادوا النظر في اعتناق المذهب. فهم طلاب حقيقة وصادقون مع أنفسهم وليس من المعقول أن يشاهدوا مثلبة على المذهب ويسكتوا عنها)

قلة قليلة هم من يعيدون النظر بشكل مجرد وصادق بما يعتقدون به دون الاتكاء على استنتاجات وتأويلات رجال الدين . المشكلة تكمن في أن المذهب جزء أساسي من الهوية الذاتية للإنسان ويحاول دائما الإنتصار له بشتى السبل ومن الصعوبة بمكان التجرد من

العاطفة المذهبية . المعضلة الكبرى هي في القراءة المختلفة للأحداث التأريخية . فكل مذهب له قراءة مختلفة عن المذهب الآخر ومثال على ذلك لنأخذ شخصية محورية وهي شخصية الخليفة عمر بن الخطاب فهو في التاريخ السني من رجال الله ومن أصحاب النبي المخلصين والخليفة الثاني المعروف بالعدل والبساطة والتواضع . لكن في التاريخ الشيعي الصورة مختلفة تماما فهناك عمر آخر فهو مغتصب الخلافة وقائد المؤامرة. المشكلة عويصة فليس ذنب السني أنه وجد في تاريخه أن عمر الخليفة العادل وليس ذنب الشيعي أنه وجد في تأريخه ان عمر هو الخليفة الذي اغتصب الخلافة.

كلاهما وصَف له تاريخُه عمر مختلف تماما عن الآخر لذلك التصادم مؤكد وحتمي لو كان النقاش يدور حول شخصية الخليفة عمر بن الخطاب . قد يعتقد الشيعي أن السني يعلم علم اليقين أن عمر هجم على دار الإمام علي وكسر ضلع السيدة الزهراء لكنه يحبه وغير مكترث لما فعله وقد يعتقد السني أن الشيعي يعلم علم اليقين أن عمر هو خليفة الله ورسوله ويعلم أنه مخلص للدين لكنه يكرهه لشخصه . المشكلة معقدة فحتى لو جاء الشيعي بدليل من كتب السنة يثبت فيه مثلبة على عمر وبالدليل القاطع فسيجد أن هناك مليون تأويل وتفسير يجعلها تبدو منقبة ولو جاء السني بدليل من كتب الشيعة يثبت منقبة لعمر فسيجد هناك مليون تأويل وتفسير يجعلها تبدو مثلبة . هناك خطوط عريضة رسمتها أمهات الكتب لدى الفريقين لهكذا شخصيات ولا يمكن أن تنسفها مجموعة من الروايات أو الأحاديث المناقضة لهذه الصورة . لا نتحدث هنا عن الحقيقة أين هي ومع من . نتحدث هنا عن التعايش السلمي وفهم الآخر وتفهمه . الطرفان يمثلان وجهان من وجوه الحقيقة وكلاهما ورثا مذهبهما ولم يعتنقاه بعد بحث وتدقيق . ولو أخذنا طفل ولد حديثا في مدينة كربلاء وأعطيناه لعائلة سنية تعيش في سامراء لأصبح سني ولو أخذنا طفل من مدينة سامراء وأعطيناه لعائلة تعيش في كربلاء لأصبح شيعي . قلة قليلة هم من يبحثون بتجرد ويختارون طريقا آخر غير الطريق الذي وجدوا مجتمعهم يسير عليه .

الحول الإدراكي

الشعور بالإنتماء للمذهب يشبه الشعور بالانتماء للعشيرة في كثير من الاحيان . هذا الانتماء الذي يشعر صاحبه أن أبناء مذهبه مهما بدر منهم فهم على الأقل يعتقدون بعقيدة صحيحة ترضي الله . يبدو أن التبرير والانحياز نتيجتان طبيعيتان للإنتماء العصبي للمذهب . لو انتقدنا شخصية معروفة بشرب دماء العراقيين حد الثمالة أمام أبناء مذهبه قد نسمع هذه الجملة تتكرر (لولا وقوف هذا الرجل بوجههم لما أبقوا منا واحدا على قيد الحياة) مع أنهم يعلمون أنه قتل أبرياء . الإنحياز للمذهب يجعل فلان قمة في الفضيلة وعلان قمة في الرذيلة وقد يكون الاثنان وجهان لعملة واحدة .

حين تُحدث أحدهم عن جرائم ارتكبت ضد الانسانية بشكل مجرد دون ذكر أسماء سيستنكرها لكن حين تقول له إن (ابن مذهبه) مسؤول عن حدوثها سيقول لك وبانفعال (لا

هذا غير صحيح هذه إشاعات من المحتل وأذنابه كي يشوهوا صورته) أما إذا نسبت الجرائم نفسها الى آخر (يخالفه في المذهب) سيقول لك (بالفعل هذا مجرم لعنة الله عليه) وإذا قلت له (ماذا لو كانت هذه الأفعال من فعل مدسوسين من المحتل لتشويه سمعته) لن يتقبل هذا الكلام وسيجده منافيا للواقع والعقل لأنه ليس بحق الذي يؤيده بل بحق آخر .

يقول البروفيسور المتخصص في علم النفس قاسم حسين صالح :

عقلنا العربي - بشكل عام - عقل مصفوفات وقوالب جامدة، يقسم الناس إلى صنفين : (نحن و هم) يرى في ألـ(نحن) المزايا الجميلة والصفات الراقية، فيما يرى في ألـ(هم) ما هو قبيح وسلبي . ويرى في مواقف (نحن) إنها هي الصحيحة وإنها الحق بعينه، فيما يرى في مواقف (هم) إنها الغلط بعينه . والتشخيص النفسي لهذه الحالة، أن هذا العقل مصاب بـ(حول) إدراكي . فحوله الخارجي لا يريه في ألـ(هم) أية صفة إيجابية أو سلوكا مهذبا أو شيئا جميلا. وحوله الداخلي لا يريه في ألـ(نحن) أية صفة سلبية أو سلوكا سخيفا أو موقفا خاطئا . والعلّة في ذلك أن العقل العربي (السلطوي لأسبابه، والشعبي لأسباب مختلفة) متشكل من صور نمطية، أو قوالب إدراكية تتضمن تعميمات ساذجة ذات وجهين : هما أبيض مشرق جميل بخصوص (نحن) وأسود قاتم بخصوص (هم) (انتهى) . (1)

المستبصرون والمهتدون

الحوارات العقائدية التي تجري في القنوات الفضائية أو في الانترنت بين السنة والشيعة هي في الواقع تجري بين السلفيين الذين يتحدثون باسم السنة وبين الشيعة . وقلما تجد مناظرة بين سنة وشيعة . معظم المناظرات تجري بين سلفي وشيعي . وتمكن السلفيون بدهاء من اكتساح الساحة وكسب جمهور السنة وتعريف أنفسهم على أساس أنهم سنة . ويتجنبون دائما الحديث عن المواضيع التي تبين مدى اختلافهم عن السنة خصوصا في موضوع (ماهية الله) ويركزون في نقاشاتهم على مواضيع تدغدغ جمهور السنة مثل (الدفاع عن أمهات المؤمنين – الدفاع عن الصحابة – الدفاع عن النبي...وغيرها) ومن خلال ذلك نجحوا في إيهام السنة بأنهم سنة مثلهم بل هم ممثلو السنة الحقيقية.

الذي يتحول من المذهب الشيعي الى المذهب السني يسمى في اصطلاحات التبشيريين السلفيين (مهتدي) والذي يتحول من المذهب السني الى المذهب الشيعي يسمى في أصطلاحات التبشيريين الشيعة (مستبصر) وهو في الواقع يتحول في كل شيء تقريبا كمن خرج من بناية ودخل الى أخرى فهو يلتزم بجميع العقائد التي يتبناها المذهب الآخر ويؤمن بها وفي كثير من الاحيان يلتزم حتى في الجو العام وهذا الاخير يختلف في عالم الأنترنت عنه في الواقع فمجتمع الشيعة في الحياة الواقعية هناك فيه من ينتقد إيران وينتقد شخصيات دينية شيعية عراقية أو أيرانية وهناك فيه من ينتقد حزب الله أوغير ذلك من المؤسسات الدينية والسياسية الشيعية . لكن في عالم الأنترنت وتحديدا في مواقع وغرف الحوار

العقائدي الأمر مختلف فكل ما هو شيعي مثالي ولا يوجد من يمسه فهناك جو أنحياز كامل لكل ما هو شيعي . وفي الجانب الآخر أيضا في الغرف العقائدية السلفية التي تتحدث باسم السنة نجد أن كل ما هو سني مقدس ومثالي وليس هناك من ينتقده . قد يكون التحول من مذهب الى آخر أمر يحتاج الى تجرد وقوة لكن الأمر لن يختلف كثيرا فحين سينتقل الشخص من مذهبه الى المذهب الآخر سينحاز مرة أخرى الى نفسه من خلال انتصاره لمذهبه الجديد ودفاعه عنه .

التجرد والتجديد

ما يثير الإهتمام أكثر من ظاهرة المستبصرين والمهتدين هي تلك الشخصيات التي تعيد قراءة التاريخ وتعيد قراءة الأحداث ليس بهدف البحث عن المذهب الصحيح والإلتزام به وترك المذهب الاول بالكامل بل بهدف البحث المجرد للوصول الى حقائق وتنقية الشوائب الموجودة في الموروث ومحاولة تصحيح المسار والأكثر إثارة للاهتمام هو اكتشافهم حقائق مختلفة عن الشائع مع بقائهم في دائرة المذهب الذي وجدوا أنفسهم عليه أي أنهم مجددون في المذهب نفسه يمارسون النقد الذاتي بكل تجرد.

أفضل شخصية شيعية يمكن الحديث عنها في هذا المجال هو المرجع اللبناني الراحل محمد حسين فضل الله ويقابله في الجانب السني الباحث السعودي الشيخ حسن فرحان المالكي . لكن كونهما (مجددان) لا يعني ذلك انهما فوق النقد او وصلا لدرجة الكمال . بل يعني بكل بساطة انهما خرجا من عباءة الفكر السائد.

والمفارقة أن كليهما تعرضا لهجمة شرسة من أبناء نفس المذهب الذي ينتميان إليه . فليس من السهل أن ياتي باحث سلفي حنبلي ويقول ثبت لي أن معاوية زعيم الفئة الباغية ومن الطبيعي أن يتعرض لهجمة شرسة من رجال الدين والمجتمع الذي اعتاد على أن معاوية كاتب الوحي وخال المؤمنين . وليس من السهل أن يأتي فقيه ومرجع شيعي ويقول بعدم ثبوت الولاية التكوينية والمقصود بالولاية التكوينية هي أن الله قد فوض تدبير شؤون الكون أو قسم منه للنبي محمد وآله . وهذا المعتقد يعتبر اساسي في الثقافة الشيعية وحين ياتي فقيه ليقول بعدم ثبوته وأنه لا يتناسب مع الدور الحقيقي للنبي والأئمة وهو هداية الناس للخير فبكل تأكيد سيتعرض لهجمة شرسة من رجال الدين والمجتمع على حدا سواء وهذا ما حدث مع السيد محمد حسين فضل الله .

يقول السيد محمد حسين فضل الله ردا على سؤال وجه له حول الولاية التكوينية:

يراد بمصطلح الولاية التكوينية، ما مفاده: أن الله تعالى قد فوض تدبير شؤون الكون أو قسم منه للنبي محمد "ص" وآله "ع". وقد ذهب فريق من العلماء إلى القول بها والإعتقاد بصحته، فيما ذهب فريق آخر إلى القول ببطلانه، والأقوى عندنا هو القول ببطلانه، وذلك لأن الولاية المذكورة إن كانت تعني أن الله تعالى لا يتدخل في إدارة تلك الشؤون فأوكل

أمرها لغيره من الخلق المتميز، كالملائكة والأنبياء والأوصياء، فهم يستقلون في تدبيرها، فذلك هو (التفويض) الذي اتفق علماء الشيعة على رفضه في إطار ردهم على من قال بذلك من فرقة المعتزلة، وحينئذ فإن كل ما يقال في إثبات بطلان التفويض هو مما يمكن قوله لإثبات الولاية التكوينية. وأما إذا كان مرادهم بالولاية التكوينية معنى آخر غير التفويض، وهو أنه تعالى قد شرّفهم فأوكل إليهم إدارة تلك الشؤون، رغم كونه تعالى المدبر الحقيقي والمهيمن الأوحد، فإننا نقول حيث أن دورهم صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، هو هداية الناس وقيادتهم نحو الخير فإن ما عدا ذلك من شؤون هذا الوجود لا يتناسب مع دورهم المذكور. (انتهى) (2)

أما بخصوص رأي حسن فرحان المالكي بمعاوية فيقول في هذا المجال:

وكذلك معاوية كان من أهل البغي بالنص المتواتر والبغي هو الظلم وقد جاءت الدلائل الكثيرة والقرائن العديدة على رضاه بهذا البغي وإصراره عليه وإتيانه بلوازمه وهذا مما بسطه أهل الأخبار وله دلائل من الاحاديث النبوية الصحيحة التي فيها ذم للملك العضوض والعضوض هو الظالم وفيها تخصيص لمعاوية على الأرجح بأنه أول من يغير سنة النبي إضافة الى رضاه بقتل عمار وقاتله وسالبه في النار. (انتهى) (3)

المفارقة المثيرة للاهتمام في هذين الباحثين هي أن المالكي خرج عن المألوف السني وأثبت حادثة الهجوم على دار الامام علي في عهد الخليفة أبي بكر وفضل الله خرج عن المألوف الشيعي و توقف عند الكثير من التفصيلات المتأصلة في التراث الشيعي في هذه الحادثة مثل إحراق الدار وضرب الزهراء ولطم خدها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها مع أنه يثبت الهجوم على الدار والتهديد بإحراقه.

يقول السيد محمد حسين فضل الله في رده على سؤال وجه له حول ملابسات قضية الزهراء:

لقد ذكرنا في بعض كلماتنا وفي صدد الكلام على ظلامات الزهراء (ع) من حيث المبدأ والذي تعرضت له بعد وفاة أبيها (ع)وقلنا في سياق الحديث: "وهذه الظلامات رواها السنة والشيعة، ولا نجازف إذا قلنا إن الروايات التي تتحدث عن مظلوميتها متضافرة ومستفيضة، بل تكاد تكون متواترة. ومع ذلك ذكرنا في موضع آخر، أن هناك بعض الحوادث التي تعرضت لها مما لم تتأكد لنا بشكل قاطع وجازم، كما في مسألة حرق الدار فعلاً، وكسر الضلع وإسقاط الجنين ولطم خدها وضربها.. ونحو ذلك مما نقل إلينا من خلال روايات يمكن طرح بعض علامات الاستفهام حولها إما من ناحية السند وإما من ناحية المتن. والمراد من حاصل كلامنا، أن الروايات التي تحدثت عن ظلاماتها كثيرة، وقد تكون متواترة من حيث مجموعها لا من حيث كل مفردة من مفردات الحوادث الفردية.. ومع ذلك

لو نظرنا الى كل مسألة، فقد تكون هناك روايات معتبرة فنأخذ بها وقد يكون الأمر بالعكس. (انتهى) (4)

ويقول الشيخ حسن فرحان المالكي في معرض حديثه عن الخلافة وتحديدا بعد وفاة الخليفة أبي بكر:

حزب علي كان أقل عند بيعة عمر منه عند بيعة أبي بكر الصديق نظراً لتفرقهم الأول عن علي بسبب مداهمة بيت فاطمة في أول عهد أبي بكر وإكراه بعض الصحابة الذين كانوا مع علي على بيعة أبي بكر فكانت لهذه الخصومة والمداهمة (وهي ثابتة بأسانيد صحيحة) ذكرى مؤلمة لا يحبون تكرارها...كنت أظن أن المداهمة مكذوبة لا تصح حتى وجدت لها أسانيد قوية منها ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف بسند صحيح عن أسلم مولى عمر وغير ذلك . لكن ليس كما يبالغ غلاة الشيعة وليس كما ينفي غلاة الحنابلة. (انتهى) (5)

فضل الله و قبول الآخر

أما بخصوص اللغة التي يتعامل بها كلا الرجلين مع الآخر فكلاهما اختارا لغة هادئة بعيدة عن المفردات التي المنفرة والجارحة **ومثال على ذلك حين وجه سؤال للسيد فضل الله عن كتابة أحدهم مقالا يحمل عنوان جارح ومؤلم لمشاعر السنة و يتهجم فيه على السيدة عائشة بمفردات غير مقبولة أخلاقيا أجاب:**

إننا نستنكر ونشجب ونرفض هذا الأسلوب الشائن في الحديث عن السيدة عائشة أم المؤمنين زوج النبي محمد (ص) الذي يمثل الإساءة الى بيت النبي (ص) واكتفي بالرد على ذلك بما جاء في قصيدة لأحد العلماء القدامى وهو السيد محمد باقر حجة الإسلام (فيا حميرا سبك محرم لأجل عين ألف عين تكرم) هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا الكلام يؤدي الى الفتنة بين المسلمين والى إثارة الحساسيات المذهبية التي تؤدي الى إسقاط الوحدة التي هي الأساس لقوتهم وعزتهم. (انتهى) (6)

أما عن رأيه في موضوع لعن الصحابة فيقول : لا يجوز لعن المسلم وإن خالفنا في التفكير او المذهب كما ان لعن الصحابة باسمائهم غير جائز ولا بأس بلعن الظالمين بشكل عام. (انتهى)(7)

وعن المشاحنات الطائفية وطريقة التعاطي معها يقول السيد محمد حسين فضل الله:

لن يأتي يوم يخلو فيه مجتمعنا من الخلافات المذهبية، كما وأن العصبية ستبقى في نفوس الأفراد بدرجات متفاوتة، المهم أن يسعى المصلحون ليجعلوا التضامن على الهم الإسلامي مطلباً للأمة بغض النظر عن انتماءاتها المذهبية، وهو أمر يحصل عند كل خطب عظيم بطريقة عفوية ناتجة عن البحث والتعلق بأسباب القوة أينما كانت لمواجهة المصيبة، غير أن علينا ان نعمل لنجعل المودة والتعاون على قضايانا واجباً في ظل خلافاتنا المذهبية، كي لا

يستقر في النفوس أن الوحدة الاسلامية تتعارض مع اجتهادات المذاهب وتنوع آرائها، وأن هدف الوحدة هو إزالة هذه الفوارق وإلغاء المذاهب...الخلاف إنما يكون رحمة إذا كان خاضعاً للأساليب العلمية والتي يحرص عندها الجميع على الوصول الى الحقيقة من خلال الحوار والتلاقي، وأما إذا كان الخلاف يؤدي الى التنابذ والتناحر وتكفير بعضنا بعضاً، فهو وبال على الجميع كما هو المشاهد في هذه العصور .(8)

حسن المالكي وقبول الآخر

يقول المالكي : نظرا للضخ المذهبي في التفريق بين السنة والشيعة وحثهم على العنف حتى في المجتمع الواحد، فمن واجبي أن أدعوا الفريقين الى فهم بعضهما. وبما أنني سنّي حرّ شاء من شاء وأبى من أبى، فمن واجبي ألا أصب الزيت على النار، وإنما أسهم في تفهيم أهل مذهبي: من هم الشيعة؟ ويجب فصل الموضوع السياسي عن الفكري حتى يبقى الحد الأدنى من الوحدة الوطنية في كل بلد، فسنّة إيران إيرانيون، وشيعة الخليج خليجيون. ولابد أن نتفق أولا على أن الجميع يريد الجنة والنجاة من النار، وأن كل مذهب إنما تمسك في الجملة بأدلة يراها الطريق للهدى. وأن المهم ليس التحلي بالأسماء والألقاب، وإنما ما وقر في القلب من الإيمان وصدقه العمل والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، الكل مسلم...(انتهى) (9)

ويقول ايضا : زرت الكويت بداية العام الهجري؛ ثم زرت الأحساء؛ وكانت فرصة أن ألتقي مع كثير من الأخوة في الدين والوطن من الشيعة، ورأيت كم هم طيبون ومتواضعون؛ وكم هي الصورة مشوهة عنهم؛ صحيح أني أعرف بعض رموزهم من قبل؛ لكن أن تراهم عن قرب فهذا أفضل...هنيئا للشيعة هذا التحمل للأذى والطعن في الأعراض وسيل الإهانات؛ التي يتعرضون لها بسبب حبهم لأهل بيت النبي (ص) ؛إنه شرف عظيم.وقلت في نفسي "ما الذي يصبرهم على هذا الأذى المستمر أربعة عشر قرناً؟ أليس ما يصبرهم هو الحب الصادق لمحمد وآل محمد؟إلا يتلقون بصدورهم ووجوهم هذه السهام الظالمة من أتهامهم يوميا؛ بأنهم مجوس وأبناء متعة وأنجاس الخ؛ بسبب حبهم لآل محمد؟...لا تكاد تجد في صحيفة حبهم ظالم!أمّا نحن فسنأتي وفي صحيفتنا حب إكثر المنافقين والظلمة!معاوية والحجاج ويزيد والمتوكل!(فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة)؟... (انتهى) (10)

المالكي لا يتوقف عند الشيعة في نظرته الانسانية للاخر بل يمتد الى جميع بني البشر...هل الكفار يدخلون الجنة؟؟؟ يجيب المالكي :

ما يخص من هم اهل الجنة ومن هم اهل النار ينبغي ان تنطلق من آيات دستورية مثل قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وفطرة الله التي فطر الناس عليها ... عندما تجد عجوز عامية من سريلانكا في مزرعتها ما علمت عن محمد وعن الاسلام وما رأت الا كل شر وتفجير وخلافه كيف تريد ان تسلم ؟؟؟ فهنا الله لا يحاسبها الا بالاخلاق العالمية الاشياء

المستقرة (الظلم والكذب...وكذا) ولا يضيع اجر من احسن عملا لان الله في الاخير رب العالمين وليس رب المسلمين ... السلطات جعلت الله لنا والقرأن لنا والرسول لنا مع أنهم للجميع . (انتهى) (11)

الفقيه الانسان

أفضل تسمية يمكن أن تنطبق على السيد محمد حسين فضل الله هي المرجع الانسان . فأكثر ما يميزه عن غيره هو أنه قدم نفسه للجمهور كإنسان وليس كمرجع ديني فقط . وتفاعل معهم بشكل مباشر وهذا شيء خارج عن المألوف . فليس من الطبيعي أن يكون المرجع خطيبا ويكثر الظهور في التلفاز وفي مختلف وسائل الإعلام فهذا أمر شاذ عن القاعدة ولم يفعله الا قلة قليلة جدا .

ما الذي جعل السيد الشهيد محمد صادق الصدر يتربع في قلوب الفقراء؟؟؟انه التواضع والبساطة ... خاطبهم وجالسهم واشعرهم بوجودهم فلامس بذلك شغاف قلوبهم . هذا هو لب الموضوع .

محمد حسين فضل الله إنسان لا يعرف لغة التعقيد وغالبا ما يكون كلامه مباشر وواضح وبسيط وغير مثقل بالمفردات التي تعقد الطرح وتحير السامع .فقيه لم يخاطب الناس وهو في برج عاجي بل نزل إليهم وتعامل معهم بشكل مباشر . أما بخصوص آرائه فله الكثير من الآراء الشجاعة والجريئة . وجرأة تلك الاراء لا تدل بالضرورة على صحتها اوعدم صحة غيرها بالضرورة . ففي تقديري كل الاراء صحيحة وتمثل وجه من وجوه الحقيقة بشرط ان لا تؤدي الى الغاء الاخر واشاعة ثقافة الكراهية . اراء فضل الله الجريئة تدل على وجود حركة فكرية تفاعلية خارجة على الاراء السائدة . ومثال على ذلك أورد مجموعة من تلك الآراء الفقهية والعقائدية :

سؤال : هل التطبير حلال أم حرام أم جائز مع ذكر السبب ؟

الجواب : التطبير محرم لما يسببه من الضرر الذي يحرم إرتكابه شرعاً بحق النفس أو الآخر لما يستلزمه من الهتك والتوهين للمذهب. (انتهى) (12)

سؤال : هل أئمتنا (ع) كليو الوجود، كليو العلم، ماذا نقول إذا كان البعض يؤمن بذلك؟

الجواب : ليسوا كذلك بل هم بشر مخلوقون يموتون (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر:30) ويبعثون، ولكنهم وصلوا الى أعلى مراتب الفضل والقرب من الله تعالى وهم حجج الله على خلقه آتاهم الله العلم والحكمة وقد ورد عن الامام علي (ع): (علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم فتح لي من كل باب ألف باب) . (انتهى) (13)

سؤال : في عقائدنا أنّ الامامَ علي عليه السلام هو أفضل من الانبياء والرسل السابقين...فما هو رأي السيد في هذا الكلام ؟

الجواب : ليس هناك من داعٍ للخوض في ذلك ولم نكلف به ، ولا هناك من مستند واضح لإثباته. (انتهى) (14)

سؤال : يدعى العديد من الشيعة أن المعصومين(ع)يحضرون جميع مجالس عاشوراء فهل هذا صحيح؟

جواب: ليس ذلك صحيحاً. (انتهى) (15)

ماذا لو كانا يمثلان أغلبية ؟

إن حديثنا عن فضل الله و المالكي هو حديث عن التجرد والتجديد ففضل الله شيعي ووافاه الأجل وهو شيعي إثني عشري و المالكي سني ولا زال كذلك . لكن بسبب آرائهما الخارجة عن المألوف هجم عليهما رجال دين فضلا عن شريحة لا يستهان بها من المجتمع . الحقيقة أن ما يجعل الخط المتوازي بين الشيعة والسنة يصبح متصلا حين يكون الحديث عن أي من هذين الرجلين هو أنهما عادا الى النقطة التي كان فيها الخطان المتوازيان في بداية انطلاقهما وهي نقطة الانطلاق واللحظة التي نزل فيها الوحي وما تلاها من لحظات متراكمة وحاولا جهد إمكانهما بذل الجهد الاقصى لتحري الحقيقة . والخلاصة أنهما تمكنا من التوصل الى حقيقة متشابهة الى أقصى الدرجات فيها تفهم للآخر والتماس العذر له طالما ان هناك مجالا لحسن النية . وفي نفس الوقت أشارا الى النقاط المعتمة والقاسية بعين النقد المجرد . تخيل لو كان منهج وفكر هذين الرجلين هو السائد والرائج في المجتمعين السني والشيعي كيف سيكون تعاطي المجتمع مع الاخر ؟ ما أتوقعه هو شيوع ثقافة التسامح وتقبل الاخر وتفهمه مهما كان حتى لو كان بوذي أو هندوسي . فمن كان منهجه التسامح وتفهم الآخر لن يكون إلا كذلك حتى مع المنتمين لأديان أخرى أو حتى مع الملحدين الذين لا يؤمنون بوجود الله . فهكذا منهج لا يواجه الفكر الا بالفكر ولا يواجه الكلمة إلا بكلمة مثلها.

يقول السيد محمد حسين فضل الله : مشكلتي أنني كنت ولا أزال مع الأمة الواحدة، {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}(الأنبياء/92)، لذلك، فإني مسلمٌ، لست سنّياً بالمعنى العصبي، ولست شيعيّاً بالمعنى العصبي، أنا مسلم في خط أهل البيت (عليهم السلام) الذي يمثل الخط الإسلامي الأصيل البعيد عن الخرافيين والمتخلفين الذي يحاولون إقحام الخرافة والغلوّ في منهج أهل البيت(ع)، ومنهج أهل البيت بريء من ذلك... التعصب المذموم هو أن يرى الإنسان سيئات من يحب حسنات وخطأه صواباً ونحو ذلك، وأما الالتزام المبني على متابعة الحق من خلال أهله بعد التأكد من ذلك فلا يكون مذموماً. إن المطلوب هو أن نكون ملتزمين بما نؤمن به من دون أن ننكر على الآخر التزامه بما

يخالفنا، ليكون الحل بيننا وبينه بالحوار، لا أن نكون متعصبين، أي منغلقين على أنفسنا. (انتهى) (16)

ويقول الشيخ حسن فرحان المالكي : ليس هناك أي خطأ أو تناقض في أن يقوم مسلم بنقد أخطاء المسلمين لأن الإسلام غير المسلمين ومن ذلك ان يقوم سني بنقد أخطاء أهل السنة لأن السنة غير أهل السنة ومن ذلك أن يقوم حنبلي – النشأة والتعليم والالتزام الواعي غير المتعصب – بنقد أخطاء الحنابلة لأن الحنابلة غير أحمد ابن حنبل مع أن احمد ابن حنبل نفسه بشر يخطأ ويصيب وهو الذي حث أتباعه على ترك التقليد. (انتهى) (17)

الواقع يختلف عن التمنيات فحسن فرحان المالكي متهم بأنه شيعي مرة و زيدي مرة و نصيري ووو ألخ من التهم . ومع أن الرجل بيّن أكثر من مرة أنه سني لكن هذه الشريحة تصر على تحديد هوية الآخر بنفسها ؟؟؟ أقصى درجات رفض الاخر هي أن تجعل أسماء المذاهب الأخرى مسبة تجاه أبناء مذهبك حين يختلفون عنك بشيء لا يروق لك.

أما محمد حسين فضل الله فقبل وفاته كان متهم بأنه يحابي أهل السنة مرة وأنه بتري(يوالي أهل البيت ولا يتبرأ من أعدائهم) مرة أخرى . اتهمه بعض رجال الدين بأنه ضال مضل . وحتى بعد وفاته وجدت من يذمه بل الأكثر من ذلك أن الشيخ ياسر الحبيب وهو رجل دين شيعي معروف بآرائه المتطرفة والمتعصبة والمنفرة حتى للشيعة أنفسهم **قال بمناسبة وفاة فضل الله:**

نتقدم إلى مولانا صاحب العصر والزمان (عليه السلام) بالتهنئات والتبريكات لهلاك هذا البتري المبتدع الذي طالما آذى قلب الصديقة الزهراء صلوات الله عليها. ونسأل الله تعالى أن يكون هلاكه بداية لمرحلة تنقية الأجواء الإسلامية من السموم التي بثها فيها. والمأمول من المؤمنين الدعاء بأن يضاعف الله تعالى عذابه ويحشره مع أبي بكر وعمر وعائشة (انتهى) .(18)

اذا كانت هذه هي طريقة التعاطي مع الآخر في نفس المذهب فما بالك في الآخر الذي ينتمي لمذهب مختلف ؟ إنه أمر محبط فعلا لكن ما يقلل الاحباط هو ان ياسر الحبيب غير مقبول لدى معظم الشيعة...يبدو أن الوصول الى مرحلة متقدمة في تفهم الاخر وقبوله ومواجهة الكلمة بكلمة مثلها بكل هدوء وروية أمر يحتاج الى مدة زمنية غير قليلة والى أكثر من فضل الله في الساحة الشيعية وأكثر من حسن فرحان المالكي في الساحة السنية وإلى نفس طويل وقدرة على الاستمرار أمام المحبطات وما أكثرها . وكل ما سبق يحتاج الى تطور اجتماعي في جميع المجالات وهذا الاخير يحتاج الى وقت طويل نسبيا . الزمن أمامنا وهو كفيل بالاجابة على ما يدور في مخيلتنا من تمنيات وتوقعات.

الان حين يحضر ضيف من مذهب مختلف تجد ان الاجواء تصبح رسمية وكل شخص يوصي الاخر ان لا يفتح موضوع مذهبي لان الضيف من مذهب مختلف و مبنع هذا هو

الحب بكل تأكيد فالكل حريص على ان لا يسمع الضيف كلام جارح . لكن هناك نوع من الناس يتعمدون فتح مواضيع خلافية حين يحضر ضيف من مذهب آخر .

خلاصة الكلام ... ليس مطلوب من الشيعة والسنة ان يتملق بعضهم البعض الاخر بكلمات مجاملة مجة لا قيمة لها ثم يذهب كل طرف يسب الطرف الاخر في مجالسه الخاصة. المطلوب ان يتفهم كل منهما الاخر لا اكثر ولا اقل . المجتمعات منشغلة بهمومها...بمشاغل الحياة اليومية...بلقمة العيش...هذا الشحن الطائفي مصدره قلة قليلة من الطرفين لكنه يعمل بقوة على تهييج الاغلبية...هل انتهت مواضيع النقاش في العالم ليكون النقاش حول التراث الديني هو المتصدر؟؟؟انا متيقن ان الشيعي والسني لو تركا هذا الموضوع جانبا لوجدا (بغض النظر عن المشتركات الدينية) مليون مشترك انساني واجتماعي يتحدثون فيه . المهندس الشيعي الايراني والمهندس السني السعودي لو جردا نفسيهما من المذهبية لاصبح النقاش بينهما ممتع جدا لانهما وكما نقول بالعراقي(صنف)

الشيعة والسنة في العراق لهم وضع مختلف . فهم عبارة عن حالة معاكسة تماما للواقع الاسلامي . هم باختصار (NAGATIVE) شريط الصور . في العالم الاسلامي السنة اغلبية والشيعة اقلية وفي العراق الشيعة اغلبية والسنة اقلية . الشيعي في العراق اذا فكر بالواقع العراقي فسيشعر انه ينتمي لاغلبية واذا فكر بالواقع الاسلامي فسيشعر انه ينتمي لاقلية . والعكس صحيح مع السني . هذه المفارقة هي ما تزيد الوضع العراقي تعقيدا . فهناك اقلية تنتمي لاغلبية واغلبية تنتمي لاقلية في بلد تحول الى بؤرة للصراع السياسي .

حين يلتقي شخصين بالصدفة ويجري بينهما حديث ويشعر كل منهما بالارتياح للاخر لوجود مشتركات كثيرة بينهما ثم يكتشف احدهما ان الاخر من مذهب مختلف فينفر منه ويتركه . هؤلاء (من كلا المذهبين) هم لب المشكلة وهم البيئة الحاضنة لثقافة الكراهية .

لنحاول فهم بعض الدلالات النفسية عندنا نحن الناس العاديين الغير مختصين في العلوم الدينية. مثلا حين ينكر السني حادثة الهجوم على دار الامام علي قبل حتى ان يدقق في صحة الروايات التي يستدل بها الشيعي فهذا يعني انه يبجل الامام علي . لو كان لا يبجله لاستهان الهجوم على بيته وقبله ووافق عليه الا انه ينكره فورا لانه في نظره عمل قبيح . لو كانت عنده رواية تقول ان المقوقس هجم على دار الامام علي لاعتبر المقوقس عدو الله بسبب هذه الفعلة . الا ان لشخصية عمر بن الخطاب مكانة كبيرة في التراث السني لذلك لا يصدق ان يبدر منه هكذا فعل وهذا الانكار حسب اعتقادي ايجابي جدا ويجدر بالشيعة النظر الى الجانب المشرق فيه لانه يعبر عن حب وتقدير للامام علي . على عكس النواصب الذين يُثبتون الهجوم على الدار ويدافعون عنه وشتان بين الاثنين .

هناك فرق كبير بين من يدافع عن رمز (نبي , امام , صحابي , خليفة...الخ) بدفع الفعل السيء (المنسوب له) عنه...وبين من يدافع عن اي فعل ينسب لذلك الرمز فقط لانه حسب

الروايات بدر منه . الاول نقي محور الدين عنده هو الافعال الحسنة لذلك ينكر كل فعل سيء ينسب لشخصية يقدسها والثاني مستعبد يستحسن جميع الافعال التي تنسب لذلك الرمز مهما كانت فضيعة .

الشيعة والسنة منشغلين جدا بتوفير لقمة العيش وبمشاغل الحياة ومن المعيب ان ينجح بعض المرضى في تحويل بوصلة اهتماماتهم الى ثقافة الكراهية التي تصيب الذهن بعاهة ادراكية وتعيق الانسان عن رؤية كل ما هو جميل . ليس لدينا الا ان نتعايش ويتفهم بعضنا البعض الاخر . والتعايش لا يعني ان يكذب احدنا على الاخر في العلن ويسبه في الخفاء . بل ان يتقبل كل منا الاخر كما هو ويحترم خياراته ولا يجرح مشاعره . لا يمكن لاي منا القضاء على الاخر نهائيا لذلك ليس لدينا طريق الا التعايش .

كيف تمكن السلفيون من ابتلاع السنة ؟

المشكلة ليست في أن يكون الإنسان سلفي او يختار أي انتماء آخر فهذا حق طبيعي ومن حق أي أنسان أن يعتنق الفكر السلفي في حياته الخاصة أو ان يعتنق أي فكر آخر سواء كان فكر يحتكر الحقيقة أو يؤمن بوجود اكثر من وجه للحقيقة . المشكلة لو خرج هذا الفكر من حدود العقل والحياة الشخصية الى حدود الاخر . المشكلة بما يمكن ان يترتب على هذا الفكر من نتائج على ارض الواقع . المشكلة ليست في ان تعتبرني كافر بل حين تسعى لالغائي من الوجود لاني كافر بنظرك .

المشكلة تكمن في تمكن نسبة من أتباع أي فكر (احادي) سواء كان ينطلق من منطلقات دينية أو من منطلقات آيديولوجية أخرى من تحويل النظريات الاحادية الى حقيقة واقعة .

ليست لدي اي حساسية من مفردة كافر او مشرك او اي مفردة اخرى فلا يعنيني بشيء تقييم الاخر لي ولا اجد نفسي ملزم ان اثبت له العكس فهذه مشكلته هو وليست مشكلتي . وهؤلاء الحق ليس عليهم بل على من يبذل جهد كبير ليثبت لهم ايمانه؟؟؟ومن اعطاهم الحق اصلا في تقييم الناس وتصنيفهم؟؟؟هم من عليهم ان يجلبوا شهادة من خبير نفسي تثبت اهليتهم العقلية .

اذا كنت تراني كافر (حتى ولو بدون سبب وبدون حجة) لكن لا توجب قتلي وترى ان دمي معصوم فليس لدي اي مشكلة معك ولا اهتم حتى لاعرف لماذا تكفرني . لكن حين تراني كافر وتوجب قتلي هنا سيكون موقفي مختلف . التوسل بهؤلاء ومحاولة اثبات ايماننا لهم مضيعة للوقت . اذا كان هناك من جهد يجب ان يبذل فهو اثبات انهم مخبولين والحرص على ان يكون مكانهم السجن او المصح العقلي . جعلهم محل سخرية اكثر نفعا من استجداء اعترافهم بايماننا. كشف عوراتهم الفكرية هو ما يمكن ان يجدي نفعا وليس التوسل بهم فهؤلاء يعلمون مسبقا انك مؤمن مثلهم لكنهم لم ولن يعترفوا بك الا اذا اصبحت نسخة منهم.

اثير لغط كبير حول عدم تكفير الازهر لداعش...المؤسسات الدينية (مهما كان انتمائها الديني او المذهبي) تحت مجهر التقييم وليس العكس . لنفترض ان داعش مسلمين ثم ماذا؟؟؟ داعش في نظر العقلاء مجرمين ولا يعنينا بشيء انتمائهم الديني . ليتشهدوا الشهادتين من الان الى مليون سنة ثم ماذا؟؟؟ ارني واقعك اقول لك من انت .

هناك من يميزون بين الوهابية والسلفية ولا اجد فرق كبير بينهما . غاية ما في الامر ان السلفي محمد بن عبد الوهاب وجد الظروف المناسبة لتطبيق الفكر الذي ينتمي اليه (فكر ابن تيمية) بل اكثر من ذلك قام بتضخيمه وأضافة توابل وبهارات عليه وطبخه على نار هادئة حتى اصبح قمة النضج . وفي ظل وجود حاجة ملحة عند طلاب السلطة لكهنوت دموي يسهل عليهم القضاء على كل خصومهم بسلاسة والسيطرة على المجتمع باريحية تم

التزاوج بين طلاب السلطة ويد الله الضـاربة لتتشكل تلك اللوحـة السريالية . والسياسـة طبعـا تتحكم بمنهج الوهابية السلفية ولو اطلع المرء على الوهابية فـي زمـن محمـد بـن عبـد الوهـاب لوجـود اخـتلاف بينهـا وبـين الوهابيـة الان . نعـم مـا يسـمون بالجماعـات التكفيريـة لا زالـوا متمسـكين بالوهابيـة الاصـلية الـى حـد كبيـر. لكـن النمـوذج الموجـود داخـل المملكـة العربيـة السعودية الان يختلف.

بامكانك ان تلاحظ مـن الحـوارات التـي اجراهـا الكاتـب والاعلامـي السـعودي داوود الشـريان مع بعض السـجناء التكفيـريين مـا هـي مشكلتهم مـع ال سـعود؟؟؟ مشـكلتهم ان ال سـعود غيـر ملتزمين بمنهج التكفير الذي كان عليه محمد بن عبد الوهاب و اقاموا علاقات مع الغرب .

احدهم (مـدمن مخـدرات سـابق) قـال لـداوود الشـريان ان كـل مـن فـي السـعودية كفـار وداوود الشريان نفسه كافر ولو ظفر به لذبحه . والسبب هو وجود قبر النبي داخـل المسـجد النبـوي . وقبول هذا الفعل وعدم تغييره كفر . وحين قال له الشـريان هل تعتقد انـك المسـلم الوحيد فـي السعودية؟ أجابه (بل في العالم – يقصد هو ومـن يعتنقـون نفس الفكـر-) هـذا الرجـل لـم يـأتـي بهذه الكوميديا السوداء من جيبـه . هـذا هـو مـنهج محمـد بـن عبـد الوهـاب علـى اصـوله . نعـم السعودية فعلا انحرفت عن منهج محمد بن عبد الوهاب والسبب هـو تطـور التجربـة العالميـة وعـدم تقبلهـا لمثـل هـذا الهـراء . ال سـعود (بصـورة عامـة) يعتبـرون الوهابيـة مجـرد هـراء والدليل ان معظمهم يعيشون حياة مترفة متحررة لا اثر يذكر فيهـا لهـذا المـنهج لكنهم ورثـوه من اسلافهم ومن الجيد ان يستغلوه في السيطرة على المجتمع وقمعه.

السعودية لا زالت تطبق جزء حالك من المنهج الوهابي وهـو (تحقيـر المجتمـع والتسـلط عليـه باسم الله) لكن (ال سعود) مستثنين مـن هـذا التطبيـق لان مـا يسـمون بالمطاوعـة (هيئـة الامـر بالمعروف والنهي عن المنكر) مدجنين تماما ولا قدرة لهم علـى تطبيـق مـنهجهم علـيهم . هـل يستطيع احد المطاوعة الذي ينبـري كالاسـد علـى النسـاء ليـامرهن بـالمعروف او ينهـاهن عـن المنكر ان ينبري بنفس الطريقة على احد الامراء ؟؟؟ قطعا لا لانـه مـدجن مـن قـبلهم وهـم فـي نظره اولياء امره . وهناك من قال له ان هـؤلاء اوليـاء نعمتـك فـلا يحـق لـك الا ان تـدعو لهـم بالخير سواء احسنوا او اساءوا .

نحـن بالنسـبة لاسـلافنا (ملحـدين) بالالهـة عشـتار فـنحن لا نـؤمن انهـا الهـة . لكنـي اسـتنكر ان يستخدم اسمها (كعلامة تجارية لثلاجة) ويستفزنـي ذلـك كثيـرا . لان ذلـك فيـه اهانـة لمقدسـات الاخـرين حتـى لـو كـانوا غيـر موجـودين بيننـا . وفـي نفـس الوقـت فيـه عـدم احتـرام لمـوروث تـاريخي بشـري مـن الجـدير احترامـه وتقـديره . الوهـابيون وال سـعود فعلـوا مـا لـم ولـن يفعلـه بشر مهما كان انتمائه ... هدموا دار النبي محمد وبنوا محلها دورات ميـاه . حتـى لـو فرضـنا ان الحـزب الشـيوعي حكـم الـبلاد لمـا فعـل ذلـك بـل لاعتبـره ارث تـاريخي وبجلـه .

ظهرت في الاونة الاخيرة الكثير من الاصوات السلفية التي تبرأ الوهابية من داعش . لنسلم جدلا ان منبع الفكر الداعشي ليس نفسه منبع الفكر الوهابي . لن يختلف من المعادلة شيء فالتطبيق هو ذاته . لماذا هنا ممدوح وهنا مذموم ؟؟؟ لا يمكنك ترقيع الثوب يا صاح فالرقعة صغيرة والشق كبير. اذا كان سر بقائك هو الوحش الذي ربيته لتسيطر به على المجتمع فمن المحتمل ان يكون نفس الوحش سبب زوالك . لا امان في تربية الوحوش.

استغلال الدين بين السلفيين والاخوان المسلمين

ان السلفيين يشيرون بأصابع الاتهام حول ظهور حركات ارهابية الى افكار سيد قطب ومحمد قطب والاخوان المسلمين . سيد قطب ومحمد قطب ومحمد بن عبد الوهاب وكل من لف لفهم وجوه متعددة لعملة واحدة وهي التكفير واي جهد يبذله مريد اي منهم ليلقي اللوم على الاخر في ظهور حركات متشددة لا قيمة له فكل منهم يعضد الاخر ولكل منهم دور مهم في التأصيل للفكر التكفيري .

نعترف ان هناك فرق بين الاخوان والسلفيين من حيث المظهر والخطاب والثقافة في اقل تقدير. فمظهر الاخوان اكثر مواكبة للواقع من السلفيين فلا يلتزمون بلحى طويلة وجلباب قصير و يهتمون نوعا ما بالاناقة و يضفون على خطابهم شيء من مفردات الحداثة ليبدو مقبولا . الاخوان اكثر دهاء من السلفيين فلديهم قدرة على المراوغة والظهور بمظهر (واقعي) غير منفر . يجمعون بين نعومة الموس وقدرته الهائلة على الذبح . لكن الضربة التي تلقوها على رؤوسهم في مصر لن يكون النهوض منها سهل .

يبدو ان لطبيعة المجتمع التي تتأثر بالجغرافية والبيئة وحركة التاريخ والمناخ وعوامل اخرى اثر في هذا الفرق بين الاخوان والسلفيين (من حيث النظرية ومن حيث التطبيق) لكن هذا الفرق حسب تصوري ليس جوهري فمهما تغير المظهر وتغير رد الفعل تبقى الغاية الجوهرية واحدة .

تبقى الكارثة قائمة مهما كانت البيئة التي يطبخ قربها الفكر الاصولي . فكر اصولي عابر للقارات . جماعة تمتطي الدين لتتسلط على المجتمع . تنظيم يتقبل قادته الوقوف امام قطر صاغرين للحصول على دعم مع انهم ينتمون لبلد حضارته موجودة قبل النبي موسى .

رئيس دولة (محمد مرسي) لا يهتم حين يسحل ابناء بلده (حسن شحاتة ورفاقه) لانه يختلف معهم مذهبيا لكنه يهتم جدا حين يقتل سوري ينتمي لنفس مذهبه ويتباكى عليه في وسائل الاعلام . هذه هي خطورة ردم المواطنة واستبدالها بالانتماء الديني وتحويله من عقيدة شخصية الى تعاضد جمعي لا معنى له يفرغ الوطن من محتواه التعددي . المشكلة ليست في التعاطف مع مقتل بريء في بلد اخر فهذا امر جيد قطعا . المشكلة حين يكون تفاعلك مع ابن بلدك معدوم لانه يختلف عنك بالدين او المذهب وتفاعلك مع الاخر في اوج عظمته لانه من نفس مذهبك . الموقف الوطني هو موقف امير دولة الكويت صباح الاحمد الذي

ذهب الى موقع انفجار احدى الحسينيات بعد الانفجار مباشرة ونزلت دموعه على الضحايا وردد الكلمة المشهورة (هذولا عيالي) وهذه ثقافة لا يستطيع مرسي وامثاله استيعابها ولا بعد مليار سنة .

لكن الى اين تتجه مصر بعد مرسي؟؟؟ يقول الكاتب والباحث سهيل احمد بهجت :

سبب فشل احتواء العنف في مصر هو أن السيسي و حكومته تعتبران أن الملف الأمني هو المدخل الوحيد و الحصري للاستقرار و الأمان في مصر. بدءاً من أحكام الإعدام بحق قادة الإخوان، الذين هم متورطون فعليا في العمليات الإرهابية، الى أحكام السجن بحق صحفيي الجزيرة، الممولة قطريا و الداعمة للإرهاب، و مرورا باحكام السجن و التهديد بحق مفكرين لبراليين "إسلام البحيري و الشيخ محمد عبد الله نصر مثالا و سجن راقصة بتهمة نشر الفسق و الرذيلة، فإن الدولة المصرية لا تزال تنهج ذات المنهج الازدواجي السائد منذ أيام عبد الناصر، السادات، حسني مبارك و محمد مرسي، و هو ضرب الإسلاميين و اللبراليين و العلمانيين ببعضهم البعض و احتوائهم في آن واحد مع تقييد حرية التعبير، خصوصا في المحرمات الثلاث: السياسة، الدين و الجنس...لكي ينجح أي بلد في مجابهة الإرهاب، من المفترض بأولئك المتنفذين في الدولة العمل أولا على فتح أبواب الحرية الفكرية و مناقشة الأفكار و تحليلها. لكن ما تفعله مصر هو العكس تماما . وزير الأوقاف المصري محمد مختار جمعة يقوم بدور تخريبي رقابي يحجر على الأفكار بمستوى لا يقل خطرا عن الدور الإخواني و السلفي حيث صرح "أن الإلحاد يشكل خطرا داهما على الفرد والمجتمع والوطن والأمة العربية كلها، موضحا أن تلك الظاهرة تهدد نسيج الأمة الاجتماعي والفكري، كما تهدد أمنها القومي" ، و كأن كل عمليات القتل و التدمير سببها الملحدون لا المتدينون من أمثاله! هذه السياسة القديمة الجديدة سوف تكرر نفس النكسات السابقة، اغتيال السادات مثالا، و ظهور داعش في سيناء هو النتيجة الطبيعية لهذه الازدواجية في المعايير. وزير الأوقاف محمد مختار جمعة هدد الشيخ محمد عبد الله نصر و من على شاشة التلفاز بسبب نقده لأحاديث صحيح البخاري و إسلام البحيري جابه نفس حالة الترهيب فقط لأنه حاول نشر الانفتاح الفكري رغم احجامه عن مجابهة مباشرة مع الطبقة السياسية و الدينية المهيمنة، هذا في وقت يرفض فيه الأزهر تكفير داعش . (انتهى)(1)

قبل فترة قرات الخبر التالي :

صدر حكم بالسجن ثلاث سنوات على المحامي المصري الشاب عمرو نوهان بعد ادانته أمام محكمة عسكرية بسبب نشر صورة للرئيس المصري عبد الفتاح السيسي على هيئة ميكي ماوس الشخصية الكارتونية الشهيرة في أفلام والت ديزني. ولم يكن نوهان هو الوحيد الذي تعرض للملاحقة بسبب اراء سياسية ساخرة ،حيث اغلق المذيع باسم يوسف برنامجه الساخر بعدما قال إنه تلقى تهديدات تستهدفه واسرته.... (انتهى) (2)

الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي اتخذ موقف حازم ولم يتردد في ضرب الارهاب وحدد موقفه منه بشكل صريح وواضح وهذا من الامور الايجابية . لكن ما يحبط هو الخبر السابق . هل فعلا التعبير عن الرأي بطريقة ساخرة يشكل خطر على الدولة ويجعلها توجه قواها العاملة لمتابعة ماذا قال هذا وكيف سخر ذاك؟؟؟ . ما سبق يثير في نفسي السؤال التالي (هو الشعب المصري خرج على مبارك ليه؟؟؟)

الشعب المصري بصورة عامة متدين لكن تدينه خفيف الظل وليس تدين عصبي . فالانسان المصري يحب الحياة ويحب الترفيه عن نفسه ولا تناسبه ضغوط التشدد الديني . لكن يبدو ان للفكر السلفي والفكر الاخواني اثر في اشاعة روح التعصب بدرجة من الدرجات . الشخصية المصرية حسب اعتقادي لا يناسبها هذا التعصب ومهما طالت مدته فهو استثناء وليس قاعدة . لن أئتي بجديد اذا قلت ان الشعب المصري شعب صاحب نكتة يخلق الضحكة من العدم . الغريب ان حتى المتشددين المصريين اصحاب نكتة ايضا . فحتى اكثر الدعاة تشددا قد يضفي على محاضرته الدموية روح النكتة . الشخصية المصرية لم ولن يليق بها ثوب التشدد البتة .

وهذا الانفعال الجمعي لشريحة من المجتمع المصري تجاه الاخر والذي يترجم مرة على شكل تحرش بالفتيات . ومرة على شكل اعتداء على الاخر المختلف دينيا او ثقافيا او سلوكيا لا يمكن ان يتأصل في الشخصية المصرية مهما طال امده . والزمن كفيل في تكذيب كلامي او تصديقه.

عاملان من الممكن ان يعيقا تطور المجتمع او يؤخرانه . وهما الفقر و الجهل . المجتمعات العربية بصورة عامة يستشري فيها الفقر . وهناك ظاهرة خطيرة في مجتمعاتنا وهي ظاهرة التكاثر المنفلت وهذا التكاثر المخيف يعيق اي تطور .

هل نحتاج في مصر والعراق وباقي دول العالم الثالث قانون يشبه قانون الصين في تحديد النسل؟؟؟ اعلم ان تطبيق هكذا قانون شبه مستحيل في مجتمعاتنا واعلم ان سياسة الابن الواحد سياسة متطرفة . قد يلائم مجتمعاتنا وواقعنا تحديد النسل (بثلاثة او خمسة ابناء) لكن حتى هذا شبه مستحيل التطبيق . المشكلة تستفحل يوما بعد يوم وجوهر المشكلة ثقافي اجتماعي بالدرجة الاساس فالتباهي بالابناء ثقافة اجتماعية . ليس من المعقول ان تقوم عائلة لا تستطيع توفير طعام يومها بانجاب عشرة اطفال . هذا الانجاب المنفلت سببه عدم الاكتراث للعواقب . في ظله ستستمر العشوائيات او كما نسميها بالعراقي (بيوت الحواسم) دائما وابدا وستستمر موجات التشكي من صعوبة العيش و موجات التسول والكدية وستستمر عصابات السرقة بالتكاثر والنمو .

المصري يتفاخر بالحضارة الفرعونية وفي نفس الوقت يقدس النبي موسى . ولا ضير في ان يتصالح الانسان مع ذاته ويتفاخر باصوله مرة وينتمي لدينه مرة اخرى . فالدين عقيدة

شخصية وامر واقع ورثناه من ابائنا والجذور امر واقع ايضا . ولا ضير في ان يصالح المرء بين واقعه الحضاري وموروثه الديني . وكل فكر ديني وكل ارث حضاري عرضة للنقد مرة والمدح مرة اخرى . من الممكن ان يتفاخر الانسان بارثه الحضاري بصورة عامة بناءا على المنتج الحضاري لهذا الارث والاسبقية المعرفية ومن الظلم اسقاط حضارة كاملة والانسلاخ منها بسبب تفاصيل معينة من الممكن نقدها منفصلة فهي في النهاية منتج بشري قابل للنقد .

من يتتبع الحراك الفكري في مصر سيجد ان المصريين ذاهبين الى الانشغال ببناء الذات . مصر لها هوية خاصة بها لكنها تنتمي للعالم العربي الاسلامي . المصريون يعتزون بلهجتهم كثيرا ويفضلون الحديث والكتابة بها على العربية الفصيحة وهذا من دلائل قوة الهوية المصرية. مصر بلد مهم يؤثر بالمحيط اكثر مما يتأثر . المجتمع المصري يبدو وكأنه يفك الارتباط مع المحيط العربي الاسلامي لكن فك الارتباط الكامل غير ممكن لوجود مشتركات كثيرة اهمها (اللغة والدين) .

تستطيع ان تستحضر شعورك بالانتماء للحضارة القديمة (فرعونية , سومرية , بابلية ...الخ) لكن لا تستطيع استحضار لغتهم وثقافتهم ومهما حاولت ان تنسلخ من واقعك ستبقى اشياء لا قدرة لك على تغييرها كاللغة والثقافة . من الممكن ان تخلق هوية منفصلة الى حد كبير لها لون مختلف لكن لا يمكنك ان تصل الى مرحلة فك الارتباط الكامل لوجود مشتركات تجعل التأثير والتأثر امر واقع شئنا ام ابينا .

احيانا يكون النكوص نحو الذات ايجابي ومفيد فهو يشغل الامة ببناء ذاتها. لكن من سلبياته هو انك تلمس نظرة دونية للاخر ولغة عدائية وهذه اللغة الانفعالية برزت عندنا في العراق بعد سقوط النظام و خصوصا بعد الكم الهائل من الانتحاريين العرب الذين فجروا جيفهم على اهلنا.

من مفارقات القدر ان العرب ايدوا ما تسمى بالمقاومة في العراق بملىء قلوبهم وعقولهم . لكن حين تكرر السيناريو عليهم وتواجد من اسموهم (مقاومين) في العراق على اراضيهم تحولوا الى (ارهابيين) ولا اعلم حقا لو كان الطيار الاردني معاذ الكساسبة الذي استشهد محترقا على يد داعش اسمه (عبد الزهرة) من محافظة (ميسان) في العراق هل كان سيحصل على نفس التعاطف ام لا؟؟؟اترك عنك عبد الزهرة. ماذا عن احراق داعش لثلاث اشخاص من اهالي هيت (السنية) بتهمة التجسس وعلى رؤوس الاشهاد ؟؟؟هل حصل الضحايا على نفس تعاطف الكساسبة؟؟؟ لا اعتقد ان الانسان العربي يعلم اصلا ان داعش احرقت هؤلاء الضحايا (مع انهم من اهل السنة!!!) يقول المثل (لا يحك ظهرك الا اظفرك) ونحن العراقيون يواسي احدنا الاخر على مصابه . او هذا ما يجب ان يحدث .

والامر المؤسف ان المصريين انفسهم (نسبة لا يستهان بها منهم على الاقل) كانوا يؤيدون بشكل كبير ما تسمى (بالمقاومة) في العراق . وكانوا يعطون للشيخ يوسف القرضاوي مكانة كبيرة . لكن فجاة وبعد ان اكتووا بنار الارهاب وتجربة الاخوان المريرة تحولوا الى ناقمين على الشيخ القرضاوي ورافضين لفكره . لا بد ان ننظر للجزء الممتلىء من الكأس وهو (وعي المصريين لحقيقة ما يجري) من الجيد ان نطوي صفحات الماضي المؤلمة والعبرة بالخواتيم.

الشخصية العراقية تختلف جذريا عن الشخصية المصرية . اذا كان المصري يميل لروح الدعابة فالعراقي يميل للحزن ويحاول جاهدا ان يعيشه بقوة . ومثال بسيط على ما اقول هناك ممثل عراقي كوميدي مشهور جدا دخلت على صفحته في الفيس بوك فوجدت عدد المعجبين بها لا يتجاوز العشرين الف معجب . اما صفحة الدفان العراقي خفيف الظل (علي العمية) فعدد المعجبين بها يتجاوز المئة الف . تخيل ان العراقيين حين فكروا بتغيرر الاجواء وعيش بعض لحظات المرح فضلوا دفان خفيف الظل على ممثل كوميدي (وتحت شعار حب العراق يجمعنا وعلي العمية يدفنا) عاش العراقيين اجمل لحظات المرح وتناسوا كل ما يحدث من طائفية وموت وقتل بالجملة . ومن هذه المفارقة لك ان تقيس كم نحن ملتصقين بالموت والحزن . على عكس الشخصية المصرية تماما .

للسيد اياد جمال الدين رأي لطيف في هذا الموضوع حيث يذهب الى ان المصريين والعراقيين هم ترجمة واقعية لقول الله في القران (وانه هو اضحك وابكى) ابكى (العراقيين) واضحك (المصريين) وهذا الرأي على طرافته لا يخلو من واقعية .(3)

النكوص نحو الذات ومحاولة اعادة ترميمها امر ايجابي سواء كان في العراق او في مصر. لكن السلبي هو تمجيد الذات بمناسبة وبدون مناسبة . استطيع ان امجد في حضارة وادي الرافدين وفي شخصية الفرد العراقي وتميزه عن الاخرين من الان الى مليون سنة لكن في النهاية ساخرج الى الشارع لاجد الواقع يقول ان هناك مياه اسنة و تخلف و جهل وهناك وهناك وهناك...مئات الوجوه للانحدار والتراجع...استطيع ان اقول ان العراقيين القدامى هم من علموا البشرية الزراعة وانا صادق في كلامي لكنني سأصحى على صدمة ان العراق يستورد الطماطم من دول الجوار!!!

المجتمع السعودي بين مطرقة الفكر الوهابي وسندان الثروة النفطية

هناك انطباعان نمطيان مأخوذان عن الشاب السعودي في ذهن شريحة لا يستهان بها من البشر وهما (ارهابي) او (لاهث وراء الجنس) وكلا الانطباعين فيهما الكثير من الظلم . لا ننكر وجود هكذا نماذج على ارض الواقع الا ان الحكم على شعب كامل هكذا احكام عامة جزمية فيه الكثير من التعسف .

سبب وجود تلك الظاهرتان على ارض الواقع (في السعودية وغير السعودية) هو التشدد الديني . ووجودهما في مجتمع معين يرتبط ارتباط طردي بوجود الفكر المتطرف وقمع المجتمع باسم الدين (فثقافة الكراهية) من جهة و(الكبت والحرمان) من جهة اخرى كفيلان بظهور فئة متطرفة ضد الاخر وفئة تعاني من الحرمان الجنسي وتسعى لاشباعه في اقرب فرصة ممكنة وبأي طريقة ممكنة .

في الشعب السعودي شريحة واسعة من المثقفين والجامعيين والمتمدنين . وفي الشعب السعودي شريحة واسعة من المتدينين المعتدلين الذين يرفضون التطرف . الشعب السعودي شعب متنوع. لكن المعظلة ان المتطرفين هم اصحاب اليد الطولى ولهم القدرة على البطش بكل فئات المجتمع .

يقول البرفيسور السعودي المختص في الطب النفسي طارق علي الحبيب :

إن الاضطراب المعاصر في فكر بعض الشباب السعودي في - نظري - ليس فقط نتاجاً لظروف اجتماعية سيئة كالبطالة، وذلك لأن هذه الظروف لم تصل إلى الحد الشديد كما هو في بعض البلدان العربية، ولم تستمر مدة كافية لتفجر مثل ذلك السلوك المتطرف، وإنما هي نتاج لاستعداد قد تشكل عندهم بسبب الأسلوب التربوي الاجتماعي الذي نشؤوا عليه، وشعور عام بالإحباط لأحوال المسلمين الذي تم استغلاله بذكاء من قبل الجماعات المتطرفة...والمتأمل بعمق في شخصية المتدين وغير المتدين السعودي يجد التشابه الكبير، وما التفلت الحاصل عند غير المتدين مقابل الانضباط الزائد أحياناً عند بعض المتدينين إلا اختلاف سلوكي، أما البنية الشخصية فهي متقاربة، لأنها نتاج ذات التربية الاجتماعية التي تجاوزت واستوعبت واحتوت وشكلت طريقة التربية الدينية في محيطها؛ لأن التربية الاجتماعية كانت الأقوى والأكثر تجذراً وعمقاً في سلبياتها وإيجابياتها...والملاحظ أيضاً أن المتدين السعودي يفضل الانتماء إلى الأمة الإسلامية أكثر من الانتماء إلى وطنه، رغم أن الانتماءين لا يتعارضان، مثله في ذلك غير المتدين السعودي حيث ينتمي إلى قبيلته أو أسرته أكثر من الانتماء إلى وطنه، مما يعكس لنا اضطراب المفاهيم الذي حدث أساساً في نظري لدى الفريقين على حد سواء بسبب طبيعة التربية الاجتماعية أكثر من سواها. (انتهى) (4)

الانسان السعودي لا يختلف تكوينيا عن غيره . انسان طبيعي جدا كما باقي البشر . لكن هناك مؤثرات على طبيعة المجتمع السعودي يجب ان نأخذها في الاعتبار حين نتحدث عن شخصية الفرد السعودي. نحن لسنا خبراء في طبيعة المجتمع السعودي . وحسب اعتقادي هناك حاجة ملحة لدراسة جادة شاملة وموسعة للمجتمع السعودي . دراسة واقعية وليست دراسة تعتمد على لغة طوباوية مثالية . يقوم بها باحث سعودي وليس من جنسية اخرى لان (اهل مكة ادرى بشعابها)

يتسائل الكاتب السعودي علي سعد الموسى السؤال التالي (كيف يمكن لباحث أو أكاديمي سعودي أن يقرأ طبيعة المجتمع السعودي في دراسة مقارنة؟) ويجيب عن التسائل الذي طرحه بالتالي :

والجواب البسيط أن يبدأ أولاً بدراسة وقراءة وتحليل هاتين الأطروحتين (يقصد -دراسة في طبيعة المجتمع العراقي- لعلي الوردي و-شخصية مصر- لجمال حمدان) تشخيص الأمراض الاجتماعية يبدأ عادة بالمقارنة والمقاربة. في دراسة جمال حمدان عن (شخصية مصر) يخلص الباحث إلى أنه أمام (شخصية) واحدة متوحدة حول المجرى المائي الشهير لأسطورة النيل التي كانت سبباً جوهرياً في توحيد الأنساق البنيوية لمكونات شعب. يرى أن (شخصية مصر) هي شخصية أمة متطابقة منسجمة في المركب الثلاثي الأهم في حياة أمة: السياسة مع الثقافي والمكون المجتمعي، لكن علي الوردي يخلص في توصيف مجتمعه إلى النقيض: المجتمع العراقي ضحية للجغرافيا مثلما كان أيضاً ضحية لتراكمات التاريخ. في الجغرافيا، كان المجتمع العراقي بحكم موقعه لا يشبه إلا ما قد أستطيع وصفه (محطة ترانزيت) جاءت إليها عشرات الأعراق لتصطدم بماكينة المجتمع (العالمثالثي) الذي يحول هذه (الفسيفساء) العرقية إلى حالة رفض وفرز بدلاً من أن تكون حالة بناء وقوة تنوع ونوع. العراق هو محطة تجارب لأديان الكون وشتى مذاهب الإسلام حتى اللحظة...وعوداً على بدء، سيكشف باحث طبيعة المجتمع السعودي أنه أمام حالة ثالثة لا تشبه الحالتين المصرية والعراقية (انتهى) .(5)

هناك حادثة شهيرة حدثت قبل سنوات حيث قامت احدى المستشفيات السعودية عن طريق الخطأ باستبدال طفل سعودي باخر تركي . القصة طويلة لكنها انتهت بعودة كلا الطفلين لعائلتيهما الاصليتين بعد سنوات غير قليلة قضاها كلا منهما في حجر عائلة غير عائلته ومجتمع غير مجتمعه . لكن بقي كل منهما يحن لامه التي ربته وفرض هذا الحنين حدوث تواصل مستمر بين العائلتين . الطفل السعودي الذي تربى في تركيا نشأ على العادات التركية والطفل التركي الذي تربى في السعودية نشا على العادات السعودية . لا فارق تكويني . هناك فارق ثقافي اجتماعي .

حين نتحدث عن مجتمع معين يجب ان نأخذ بالاعتبار العوامل المؤثرة على طبيعة هذا المجتمع. الانسان جزء من الطبيعة ويتأثر بها . من يعيش في المناطق المنجمدة له طبيعة شخصية لها صلة بمناخ تلك المنطقة . ومن يعيش في المناطق الاستوائية له طبيعة شخصية لها صلة بمناخ تلك المنطقة ايضا . من يعيش قرب النهر لابد ان تختلف طبيعته عن ذلك الذي يعيش في الصحراء . اخذ هذه العوامل بنظر الاعتبار قد يفسر الكثير من المفارقات .

يقول الاستاذ المختص في علم الاجتماع والانثروبولوجيا (علم الانسان) الدكتور كامل جاسم المراياتي :

وفي الواقع فأن البيئة الطبيعية تؤثر في حياة الجماعات بطريقة مباشرة وبطريقة غير مباشرة . ولعل خير مثال يمكن ان يساق للتدليل على التأثير المباشر هو ذلك الأثر الذي يتسبب به اختلاف الجو والمناخ في حياة الانسان ، فالمناخ الحار والمعتدل في بعض مناطق العالم يعد سببا رئيسيا في العديد من الاختلافات في ازياء الناس ولباسهم وفي سكنهم وسلوكياتهم وفي اختلاف العلل والامراض وغير ذلك من انماط وعادات حياتيه وصيانته للجماعاته البشرية.(انتهى) (6)

السعوديون حالهم حال باقي الشعوب . فقد تجد فيهم الشهم والشجاع والكريم والمتواضع وقد تجد فيهم الجلف والمتعصب والمتعالي . و قد تجد من يعامل الاجير بانسانية وقد تجد من يستعبد الاجير . ولا بد ان يكون للبيئة الصحراوية اثر في البنية الشخصية للفرد سلبا او ايجابا.

الجوانب السلبية في الشخصية السعودية

للدكتور طارق علي الحبيب (رؤية نفسية عن المجتمع السعودي) والتالي هو الجزء الذي يتحدث فيه عن بعض الجوانب السلبية:

والجدير ذكره ابتداءً أن هذه الخصائص السلبية ليست سماتاً عند السعوديين من دون غيرهم، فقد تشترك في بعضها مجتمعات أخرى. فالملاحظ أن الشخصية السعودية تتسم بالشك بالآخر (ميراث اجتماعي)، وضعف القدرة على التكامل والانسجام بسهولة مع الآخر من خارج محيطها حتى تعرفه وتطمئن إليه، ونلحظ ذلك من خلال عدم التكامل بين كثير من السعوديين ونظرائهم من دول أخرى. ورغم دور الشخصية السعودية في ذلك فإنه لا يجب أن يتجه اللوم لها وحدها، وإنما هي أيضاً مشكلة حضارية عربية تمنع التكامل بين الفرد والآخر حقيقة التكامل، كما أنها ليست سمة سعودية أو عربية فقط بل تكاد تجدها في مجتمعات أخرى مثل المجتمع الإنجليزي. ورغم ما في بنية الشك من سلبية إلا أنها قد تكون ميزة حياتية إن كان صاحبها متشككاً فاحصاً لا متشككاً طارداً...كما أن طبيعة الشك في الفرد السعودي تجعله حريصاً على المعرفة، لكنه إن وجد في معرفته الجديدة ما يتعارض مع تربيته فإنه عادة لا يرفض تلك التربية أو المعرفة الجديدة ولا يبحث عن الأصوب وإنما يعيش معرفته الجديدة في خط متواز مع تربيته بغض النظر عن صواب أو خطأ المعرفة أو تلك التربية. وتكمن خطورة هذا الأسلوب في عدم رؤية الصواب ولا رؤية الأولويات وكذلك عدم وضع الأمور في نصابها الصحيح...ومن سمات الشخصية السعودية أنها لا تعبر عن أفكارها الحقيقية، وتضطر أن تؤدي الدور الذي يجب أن تمارسه أكثر من الدور الذي تحب أن تمارسه. ومن سمات الفرد السعودي المتميزة استعداديته للتطور والتغير إلى

الأفضل طالما وجد الإخلاص والصدقية والتلقائية التي يقدرها بدرجة كبيرة..كما أنه من الملاحظ أن الفرد السعودي رغم أنه شخصي جداً إلا أنه إذا عاش خارج إطار مجتمعه لظرف ما فإنه سرعان ما يتشكل ويتعايش ويتميز في البيئة الجديدة، وهذا ما يعكس لنا أن هذه السمات الشخصية هي سمات نفسية اجتماعية أكثر منها سمات نفسية متأصلة في نفسية الفرد السعودي، وبالتالي تؤكد لنا الأثر الاجتماعي التربوي أكثر من سواه في نفس الإنسان السعودي...ورغم قناعة الفرد السعودي - متديناً أو سواه - بعدم جدوى بعض تلك السمات فإنه غالباً يمثل دور الحريص عليها، وهو الذي يحدث عادة استجابة للضغوط الاجتماعية من حيث الحرص على الانتماء، وكذلك تماشياً مع الديدن الاجتماعي الذي تختلف فيه عادة - للأسف - القيم السائدة عن القيم المعلنة.(انتهى) (7)

يبدو ان هناك حلقة مفقودة في المجتمع السعودي (والمجتمعات الخليجية بصورة عامة) سببها الثروة النفطية . فهذه الاخيرة جلبت معها ايدي عاملة في مجالات مختلفة . وهم على نوعين خبراء من دول اروبا وامريكا وغيرها يقومون بالاعمال المعقدة والضخمة وفقراء من اسيا وافريقيا يقومون بالاعمال البسيطة . واثر ذلك سلبا على طبيعة الاعمال التي يتقبل الشاب الخليجي العمل بها . لو اردنا ان نقوم باحصائية عن نسبة النجارين او الحدادين اوغيرهم من ارباب الحرف اليدوية في النصف الاول من القرن العشرين وفي مطلع القرن الحادي والعشرين هل سنجد فرق ام لا؟؟؟ الفرق شاسع قطعا فالعمالة الاجنبية بدأت تسيطر على هذه الحرف في ظل فتور الاهتمام بها من قبل ابناء البلد . فك الارتباط بين المهن البسيطة وبين المجتمع مشكلة ليست بسيطة . ومن المشاكل الاخرى التي اوجدتها الثروة النفطية هي مشكلة المربية او الخادمة وهي مشكلة لا تقل اهمية عن سابقتها ويبدو انها اخلت بشكل او باخر بدور الام الطبيعي .

ان الشعب السعودي مبتلى بالمنهج الوهابي سواء من يعتقدون بصحته او من لا يعتقدون . فمن يعتقدون بصحته وينتهجون نهجه تقولبوا بثقافة الكراهية ومن لا يعتقدون بصحته وقعوا تحت مطرقته . من السخف والتحقير ان ياتي من يتصور انه وصي على المجتمع ليفرض اسلوب حياة لا يتناسب حتى مع القرن التاسع عشر بأسلوب لا يخلو من التحقير والاهانة على امرأة حاصلة على شهادة جامعية وعندها قدر غير قليل من الثقافة .

لنتأمل الخبر التالي :

ذكرت تقارير صحفية أن طالبة الماجستير بكلية الدراسات الاجتماعية، آمنة باوزير، أُصيبت بأزمة قلبية حادة في حوالي الساعة 11:00 صباحاً، أثناء تواجدها في الكلية، ورفض مسؤولو الجامعة دخول سيارة الإسعاف إلى الجامعة ، ثم سمحوا لها بالدخول بعد نحو ساعتين، ولكن بعد فوات الأوان.وأشارت صحيفة "عكاظ"، في تقرير لها حول الواقعة، إلى أن مسؤولي الجامعة عللوا رفضهم دخول سيارة الإسعاف، بأن الفتاة كانت دون غطاء، وأنهم لا يستطيعون السماح بدخول رجال الإسعاف إلى مبنى النساء، بالرغم

من حاجتها إلى تدخل طبي سريع.وأضافت الصحيفة، وهي واحدة من أعرق الصحف السعودية، أن معظم الطالبات اللاتي شهدن الحادثة، تعرضن إلى صدمة نفسية، خاصةً زميلاتها اللاتي احتججن على منع دخول سيارة الإسعاف، وأبدين استغرابهن من رفض الجامعة لدخول فريق الإسعاف، بحجة أنهم رجال (انتهى) .(8)

هل يمكنك ان تتخيل كيف وصل هؤلاء لهذه القناعة؟؟؟هؤلاء يمثلون دولة ولا يمثلون انفسهم!!!

شاهدت مقطع فيديو للشيخ السعودي صالح الفوزان . سأله فيه احدهم عن قيادة المراة للسيارة وقال له (هناك حجة فيمن يقول ان الركوب على الراحلة في السابق دليل على اجازة القيادة للنساء) اجاب (بالعامية) : (الركوب على الراحلة ما فيها خطر ولا يترتب عليها مفاسد خلاف قيادة المرأة للسيارة...يترتب فيها مفاسد...فيها خطر...فيها محاذير كثيرة...اذن تمنع منها...والمرأة اذا ملكت سيارة وصار معها مفتاح سيارة صارت تذهب لما شاءت...ليل ونهار معها مفتاح سيارتها ولا احد يمنعها وليس للرجل عليها سلطة وقد يتصل بها فاجر او فاسق...يتصل بها...وعندها وش اللي يمنعها انها تاخذ مفتاح السيارة وتروح للموعد...لانها اخذت حريتها...هذا فيه مفاسد خطيرة)(انتهى)

اتعلم يا سماحة الشيخ ماذا يمنعها من الخيانة؟؟؟ليس مفتاح السيارة وليس مراقبة زوجها وليس سجنها...لو ارادت ان تخون زوجها حتى لو وضعتها في صندوق ستخونه بخيالها... نعم تستطيع ان تتخيل نفسها مع غيره حتى لو وضعتها في صندوق مقفل من جميع الجهات...ما يمنع المرأة من الخيانة ليس مفتاح سيارة بل الضمير وحده . لو كانت المرأة مضطرة للوفاء لعدم وجود خيار اخر مع تمنيها للخيانة فور توفر الفرصة فوفائها بلا قيمة . جمال الوفاء حين يكون خيار حر وليس حين يكون خيار قسري . الوفاء القسري لا قيمة له.

السعودية منبع المنهج الوهابي السلفي

ومنها انتشر الى جميع أنحاء العالم ... تمكن المنهج السلفي في السعودية من تحجيم جميع المدارس المذهبية والفكرية الاسلامية السنية تحديدا فضلا عن الاخرى من خلال تحدثه باسم السنة وادعائه أنه الممثل الحقيقي لهم . وساعد ذلك الحظوة الكبيرة التي يتمتع بها السلفيون من قبل الدولة . لم يكتفي السلفيون بالتحدث باسم السنة في السعودية بل امتدوا الى عالم النت وأحكموا سيطرتهم عليه أما باقي المدارس السنية فصوتها غير مسموع أو سلبية.

الحركات الاسلامية المتشددة المسلحة والتي ظهرت بعد الاحتلال السوفيتي لافغانستان والتي نشأت وترعرت فيها تنطلق من المنهج السلفي . حدثت تغيرات إيجابية في المجتمع السعودي لا يمكن نكرانها مثل ظهور تيار متنوع التوجهات يدعو الى قبول الاخر واحترام أفكاره وآرائه الا أنه جوبه بهجمة شرسة من التيار الاصولي ومن المجتمع المتعصب . ولا

ننكر ان الملك عبد الله حاول بعض المحاولات لتغيير الواقع داخل المملكة لكن تأثير تلك المحاولات نسبي .

حاول النظام السابق في العراق التحكم بالوهابيين ولا زلت اتذكر في نهاية حقبة التسعينيات حين قام بمحاربتهم واعتقال الكثير منهم وصرح احد الوزراء انذاك تصريحات مضادة لهم وقال ان الوهابية حركة صنعها الاستعمار الانكليزي . لكن في عام 2002 وبداية 2003 اعطاهم النظام مساحة كبيرة للحركة . وكنت حينها طالبا جامعيا ولا زلت اتذكر كيف كانوا يعلقون منشورات تتحدث عن الشرك والعودة للدين الصحيح داخل مسجد الكلية . حتى انهم اقاموا اكثر من معرض للكتب والاقراص المدمجة . وكل الكتب كانت وهابية بما تحمل الكلمة من معنى . اما مقاطع الفيديو التي كانوا يعرضونها فكانت تتحدث عن الجهاد وفضله وتحوي مقاطع تحفيزية للمجاهدين في افغانستان . يبدو ان النظام كان يقوم بخطوة استباقية لتهيئة الاجواء لمواجهة الامريكان . وبغبائه المعتاد قام بدعم الوهابيين الغير مقبولين من شريحة واسعة من السنة وغير مقبولين بكل تأكيد من الشيعة . متناسي ان مواجهة عدو خارجي لا يمكن ان تنجح اذا لم يدعمه الشعب كله في تلك المواجهة .

من اكثر خطوات النظام السابق غباءا انه كان يدعم الشعوب العربية وفي نفس الوقت يجوع ويقمع شعبه . فاته انه لو تعرض لخطر خارجي لن يتمكن العربي من الدفاع عنه بل هذا العراقي الذي يعاني بسببه من الحرمان والقمع هو الوحيد الذي يستطيع الوقوف معه .

وبعد سقوط النظام كان للالتحام الوهابي مع المؤسسات القمعية للنظام السابق اثر كبير على ارض الواقع ولا زال . للبعثيين قدرة عجيبة على التلون لتحقيق اهدافهم . بل الغريب انهم احيانا حين يحاولون تسقيط شخص معين يبثون اشاعات تبين انه كان بعثي ليسقط في الوسط الذي ينتمي اليه . وهذا ما حدث مع احد اصدقائي (وهو كاتب معروف) حيث قام مجموعة من الاشخاص بمحاولة اثبات انه بعثي لتسقيطه مع انهم يعلمون جيدا انه ابعد ما يكون عن البعث!!!

كل من لعبوا مع الوحش الاصولي المتطرف لم يسلموا على انفسهم . حزب البعث السوري كان يدعم ما تسمى بالمقاومة في العراق وجعل سوريا مرتع لبقايا البعث وحلفائهم الاصوليين ليسلم على نظامه من امريكا . لكن في النهاية اهتزت اركانه على يد من كان يدعمهم . ولا زلت اتذكر السياسيين العراقيين المؤيدين لما تسمى بالمقاومة كيف كانوا يصرخون بقوة مدافعين عن الحكومة السورية حين عزمت الحكومة العراقية تقديم دعوى قضائية ضدها بتهمة دعم الارهاب في العراق . لكن فجأة وبقدرة قادر انقلبت الادوار وتحول نفس السياسيين الى داعمين للمعارضة السورية ومناهضين للنظام السوري .

اكثر من يستطيع تحجيم الفكر الوهابي السلفي واعادته الى وضعه الطبيعي هي المدارس السنية الاخرى . واي اثر لغير السنة في مواجه الوهابية سيكون ضعيف او معدوم .

أكثر الطرق مثالية في مواجهة التطرف الاسلامي هي من خلال عزل الفكر السلفي عن الفكر السني والتركيز على الخلافات العقائدية بين السنة والسلفية مثل (ماهية الله) وهي النقطة التي يتجنب السلفيون بدهاء النقاش بها أمام عموم السنة لأنها تظهر الشرخ الكبير بينهم وبين السنة. فعموم السنة يؤمنون بأن الله لا يحده زمان ولا يحده مكان والسلفيون يؤمنون بأن الله في السماء ويثبتون له الصفات الجسدية لكن يجملونها بعبارة (ليس كمثله شيء) فقد يقول قائل (نحن نثبت لله ما أثبت لنفسه في القرآن من صفات لكن ليس كمثله شيء) أي أن إثبات اليد لله لا يعني أنها كأيدي البشر حسب تفسيرهم بل هي يد تليق بجلاله وهذا التفسير مخالف تماما لعقيدة عموم السنة .

اكثر جهة تستطيع عزل السلفيين عن السنة هي المدارس السنية الأخرى . لأنها باختصار تنطلق من نفس المنطلق ولها قدرة على التأثير بعموم السنة أكثر من المدارس الفكرية التي تنطلق من خارج حدود الاسلام . لأن السلفيين لديهم خبرة وقدرة كبيرة على الإطاحة بخصومهم أمام عموم السنة من خلال رسم صور مشوهة عن الآخر تنفـّر المتلقي السني منه وتجعله لا يكلف نفسه أصلا في الإطلاع على أفكاره وسبب هذا هو العقلية الانحيازية . فأي متابع للحوارات العقائدية بين المذاهب يجد أن السلفيين يتحدثون باسم السنة ونجحوا في خداع عموم السنة الى حد كبير في تصوير أنفسهم على أنهم ممثلو السنة.

مواجهة السلفيين بالفكر العلماني أو بفكر مذهبي أو ديني اخر سيؤدي الى تعاظم قوتهم . لانهم يلعبون على وتر المصطلحات الايحائية التي تدغدغ المشاعر مثل (الدفاع عن الصحابة- الدفاع عن أمهات المؤمنين- الدفاع عن سنة النبي – الدفاع عن رسول الله) وهكذا مفردات توحي للمتلقي السني أن هؤلاء سنة مثله وسيقف معهم وهذا ما يحدث على ارض الواقع .

المدارس الإسلامية السنية تستطيع إعادة ما سرق منها في وضح النهار . الا أنهم حتى الان لم يصلوا للفاعلية الكافية في مواجهة هذا المد ولا اعلم إن كانوا قد وصلوا الى وعي كامل لخطورة ما يحصل أم لا .

أما المنطلقات الفكرية الأخرى فقد يكون لها تأثير لكنه تأثير ضعيف وللسلفيين قدرة على تجييره لصالحهم من خلال تسقيط الآخر ولا يوجد أسهل من أن يتهم الآخر أنه عابد قبور أو ملحد أو عدو لله ورسوله وهذه التهم التسقيطية بضاعة رائجة لها سوقها . لذلك الفكر السني وحده يملك قدرة على منازعة هؤلاء على نفوذهم .

من الذكاء أن تقوم جميع التيارات الفكرية الدينية وغير الدينية بدعم المدارس السنية المعتدلة التي تواجه الفكر السلفي ومن الغباء وضع المدارس السنية في سلة واحدة مع المنهج السلفي . لأن المستفيد الوحيد من هذه العملية هم الوهابيون السلفيون أنفسهم . كلما

قام العلماني او الليبرالي بنقد المدارس الإسلامية الاخرى كلما خلق مشتركات شاخصة بين هذه المدارس وبين السلفيين أما تمييز السلفيين عن باقي المدارس هو ما سيضعفهم.

الوهابية حصان طروادة في الجسد السني

حين تقول لاحد الوهابيين انت لست سني انت وهابي سيجيبك على الاغلب بالتالي (أولا لا يوجد شيء اسمه وهابية ومن تسميهم انت وهابية هم اتباع السنة الحقيقية) هذا ما يجب على السنة ادراكه . الفكر الوهابي يتعبر عموم السنة مبتدعين . لا بد ان يجد جزئية معينة يراهم فيها مبتدعة . لو خرجوا من حروبهم بسلام سينقلبون على عموم السنة ولن ينجوا منهم الا من يعتنق الفكر الوهابي . انظروا للموصل وما جرى لاهلها لتنظروا باعينكم تجسيد لما اقوله .

المجتمع السوري مجتمع خفيف الظل...متعدد...يتقبل الاخر... الا ان المد الوهابي كان له اثر في اذكاء روح التشدد . المجتمع السوري ابتلي بنظام البعث الشمولي لكنه قطعا لا يقاس بنظام البعث العراقي . فشمولية البعث السوري نزهة قياسا بشمولية البعث العراقي . كيف تمددت الجماعات الوهابية بينهم؟؟؟ بالعزف على وتر الطائفية والحقوق السنية المهضومة وووالخ...هؤلاء يستخدمون شتى السبل لاشعار السنة انهم (سنة مثلهم) ويدافعون عن حقوقهم. انهم يمارسون التقية مع السنة حين يتعلق الموضوع بمحاولة كسبهم.

تخيل ان السعودية تدافع عن حرية التعبير في سوريا!!! يا لسخرية القدر...السعودية التي تجلد مواطنيها تدافع عن حقوق السوريين الذين يملكون عمق حضاري تعددي ثقافي . هذا خلاف قواعد الكون ونظمه . نظام الاسد نظام شمولي لكنه لا يقاس بداعش وجبهة النصرة. يا للوجع...هذا الشعب الطيب المضياف الخفيف الظل تدعي حكومة لا تسمح للنساء بقيادة السيارات بانها تدافع عن حقوقه . كيف انطلت عليك ايها السوري تلك الخدعة؟؟؟

السعودية دعمت الحركات الجهادية في افغانستان وخلقت الكيان الذي يسمى (الافغان العرب) لكن ماذا كانت تظن ؟؟؟ هل كانت تظن ان هؤلاء سيتحولون الى عازفي بيانو يشاركون في برنامج (arab got talent) بعد ان تضع الحرب اوزارها ؟؟؟ ام يتحولون الى مرشدين سياحيين في افغانستان ؟؟؟ نعم قسم منهم عادوا الى حياتهم الطبيعية بل بعضهم تحولوا واصبحوا متمدنين يقفون ضد ثقافة العنف . لكن ماذا عن القسم الاخر ؟؟؟ في النهاية خرجوا عن السيطرة وتحولوا الى مفرخة للجماعات المتطرفة التي يوميا تخرج جماعة اكثر تطرف من رحم اخرى واخر تحديث وصلنا اليه هو داعش ولا نعلم الى ان ياكل بعضهم بعضا الى اي نسخة محدثة سنصل ؟؟؟ المولود المدلل للسعودية والذي يسمى (الجهاد في افغانستان) تحول الى وحش كاسر خارج عن السيطرة وقد تكون اللحظة التي تبنت فيه السعودية هذا المولود هي ذات اللحظة التي كتبت فيها على نفسها الانتهاء على يديه...من يعلم ؟؟؟ كل شيء وارد .

الحرية الفردية بين الجنرال اتاتورك والسيد الخميني

للرجلين دور مهم وجوهري وتاريخي في اسقاط نظامي حكم وراثيين عتيدين وهذا بحد ذاته ابهر الكثير من الناس في العالم . لا يمكننا ان نغفل مكانة السيد الخميني الروحية عند ملايين الشيعة في العالم . بل حتى نسبة لا يستهان بها من السنة (في سنوات الثورة الاولى) كذلك لا يمكننا ان ننكرر الدور المحوري للجنرال اتاتورك في بناء الدولة التركية الحديثة ولا ننكر مكانته كرمز و أيقونة للكثير من العلمانيين في الشرق. لكن هذا لا يجعل النظام الذي اوجده كل منهما مثالي وخالي من الاخطاء بالضرورة ولا يجعله نظام معصوم وفوق النقد .

نتحدث عن رجلين مهمين لهما دور كبير في رسم تاريخ المنطقة وقام كل منهما بثورة أسقطت نظام وراثي عمره مئات السنين . تقاسما القرن العشرين فيما بينهما احدهما اخذ ربعه الأول والآخر أخذ ربعه الأخير. قام الجنرال اتاتورك بإسقاط أمير المؤمنين في الربع الأول. وأعاد جاره السيد الخميني إحياء أمير المؤمنين في الربع الأخير. الجنرال أتاتورك أسقط (الخليفة) والسيد الخميني أعاده بثوب (الولي الفقيه) . جاران لدودان لا يربطهما زمن مشترك لكن يربطهما قرن مشترك كان لكليهما أثر كبير في رسم صورته كل منهما يمسك طرفا من أطرافه ويحاول شده إليه.

كل منهما تصور أنه يملك افكار جميلة ومثالية تجعل المجتمع أكثر سعادة وأكثر تطورا. كل منهما اعتقد أن إكراه شريحة من المجتمع على شيء يشبه إعطاء الطفل دواء السعال فالطفل لا يحب شرب الدواء ويشعره بالإنزعاج لكن الأبوين يجبرانه على تناوله لمصلحته. هكذا كانا يفكران . كلاهما اهتما بالشكليات . منع الحجاب نسبيا في تركيا يقابله فرض الحجاب كليا في إيران . منع لبس الطربوش في تركيا يقابله منع لبس ربطة العنق في إيران.

كل منهما حصل على تعاطف شعبي وتأييد من شريحة كبيرة من الشعب رسخ من خلاله نظام حكمه .آية الله العظمى إبن المؤسسة الدينية ايقونة الربع الاخير من القرن العشرين و الجنرال إبن المؤسسة العسكرية ايقونة الربع الاول منه . كل منهما كان متحمسا جدا ومستعجلا في تطبيق أفكاره على ارض الواقع وحاول جهد الامكان أختصار الزمن في تحويل شكل المجتمع الى ما يحلم به في مخيلته من غير انتظار حدوث تحول اجتماعي طبيعي .

تحولت إيران الى نظام إسلامي من خلال استفتاء شعبي لكن هل من حق جيل أن يحدد طبيعة نظام الحكم للاجيال الاخرى ؟ وهل بقي من وافق على نظام الحكم الإسلامي على رأيه حتى الان ؟ في الجانب الآخر لم يقم أتاتورك بأي خطوة ديمقراطية وكان يتخذ قراراته بشكل فردي دون الرجوع الى الشعب .

أراد أتاتورك رؤية الأتراك يلبسون القبعة الأوربية بدلا من الطربوش وقام بخطوات تمهيدية لذلك حيث قام هو أولا بارتدائها ثم حرسه الشخصي ثم الجيش التركي ثم تم منع الطربوش بشكل رسمي في عموم تركيا . وأراد الخميني رؤية النساء الإيرانيات يلبسن الحجاب وهذا ما حصل بعد أن أصبح نظام الحكم إسلامي حسب نتيجة الاستفتاء الشعبي . كلاهما يعتقدان أنهما يملكان نظام حكم سحري ومثالي من الممكن أن يستمر مدى الحياة . الجنرال أتاتورك علماني شمولي والسيد الخميني إسلامي شمولي . يشتركان في الشمولية لكن كل منهما خرج من رحم مختلفة عن الاخر فهذا من رحم العلمانية وذاك من رحم المؤسسة الدينية.

كلاهما اهتما جدا بشكل المجتمع واهتما جدا بعرض (new look) المجتمع أمام العالم ولغايات مختلفة . فالجنرال اتاتورك كان يحاول جاهدا تغيير الهوية الشرقية الاسلامية للمجتمع الى هوية أوربية علمانية . والسيد الخميني كان يحاول جاهدا إثبات أن ايران الإسلامية متمسكة بالإسلام بحذافيره ولا تتأثر بالغرب . قاما برسم صورة المجتمع كما يحلمان بها . لكن لا خلع الطربوش يجعل الانسان علماني ولا خلع ربطة العنق يجعل الانسان إسلامي . كل هذه الأمور تندرج ضمن الحريات الشخصية وليس لها علاقة لا بالعلمانية ولا بالإسلام . حين يتدخل قائد الثورة في أدق تفاصيل الحياة فهو خلع ثوب الثائر وارتدى ثوب القائد الشمولي.

من حق الطالبة الجامعية او القاضية في تركيا لبس الحجاب أثناء الدوام ومن حق الطالبة الجامعية في إيران أن لا تلبس الحجاب . النظام الديمقراطي الحقيقي يضمن للانسان حقه في تحديد خياراته الشخصية . من الديمقراطية استفتاء الشعب التركي والشعب الإيراني بخصوص الحجاب وفي حال كانت النتيجة 100% تؤيد فرض الحجاب في إيران فلا أعتقد أن هناك ما يدعو لفرضه قانونا لكونه رغبة اجتماعية . وإذا كانت النتيجة في تركيا حول منع الحجاب في المؤسسات الحكومية 100% فهذا يعني أنه حالة يريدها المجتمع ويطبقها ذاتيا ولا تحتاج قانون .لكن من المستحيل تحقق نسبة 100 % في أي استفتاء من هذا النوع لذلك تبقى الحرية الشخصية أجمل مفاصل الأنظمة الديمقراطية .

ان علمانية أتاتورك استخدم في تطبيقها سيف الخليفة الذي أسقطه . تركيا الآن دولة علمانية ديمقراطية متمدنة لها ثقل كبير في أوربا والشرق الاوسط لكن ديمقراطيتها منقوصة طالما أن هناك من تسلب إرادته في ارتداء ما يرغب باسم العلمانية وهذا استغلال للعلمانية يشابه استغلال الإسلاميين للدين وفيه سلب لإرادة الانسان .

ماذا لو أعيد الان استفتاء الشعب الايراني حول طبيعة نظام الحكم الذي يريده ؟؟؟ ماذا ستكون النتيجة وأي نظام حكم سيختار ؟؟؟ هل سيتمسك بالنظام الاسلامي أم سيختار نظام حكم آخر؟الجواب نجده عند الشعب الايراني طبعا .

صحيح ان هناك نسبة من النساء غير المحجبات في إيران مجبرات على ارتداء الحجاب ومسلوبات الإرادة في هذه الجزئية . لكن للإنصاف المرأة في إيران لها مكانة كبيرة في نظر المجتمع و نظر القانون . وذلك لأن المرأة الايرانية إيجابية بطبيعتها وليست خانعة ومستسلمة بل أحيانا تشعر أن المرأة في إيران هي من يمسك بزمام المبادرة. وهذا واقع رأيته بعيني . فالمرأة هناك لها كلمة والرجل هناك مستمع جيد وأحيانا تجده مسالم ومسكين أمام المرأة . و القانون الإيراني ينصف المرأة بل قد يقسو على الرجل أحيانا . على عكس مجتمعنا العربي الذي يميل الى تجيير الدين لمصلحة الرجل .

يبدو ان طبيعة المجتمع تلقي بظلالها على اي نظام حكم مهما كانت طبيعته فالمجتمع البدوي او القبلي مهما كان نظام حكمه (اسلامي , علماني , اشتراكي , او اي نظام اخر) سيكون للبداوة والقبلية فيه مكانة . بعض الدول العربية التي تُحكم بنظام مدني علماني المرأة فيها قد تتعرض للظلم من قبل الزوج او الاخ او الاب ولا تجد قانون ينصفها او لا تجد من يطبق القانون لينصفها على عكس ايران (الاسلامية) التي تنصف المرأة اذا قدمت شكوى في حال تعرضها للظلم بل الرجل احيانا في ايران يتشكى من افراط القانون في الميل للمرأة . يكفيك اسبوع واحد في ايران لتكتشف ان للمرأة هناك مكانة كبيرة وهذا ما لا يعرفه الكثيرون .

يصف السيد اياد جمال الدين والذي عاش في ايران سنوات طويلة وضع المرأة في المجتمع الايراني بالتالي :

المطلع على الوضع الايراني اليوم يعلم ان هناك قسائم معدة من وزارة العدل تتضمن نحو 17 شرطا كلها لصالح المرأة،بما فيها العصمة في الطلاق، وحقها في إقتسام الثروة مناصفة مع زوجها عند الطلاق، وإذا تزوج بإمرأة أخرى تضع تلك القسائم أمامه عقبات وقيود تجعله ينفر من هذه الفكرة... المجتمع الايراني مجتمع أمومي وليس ذكوريا، ومنذ القدم الأم في إيران لها المكانة الاولى في البيت، و المشرّع الايراني سواء أكان مجتهدا ام مشرعا في البرلمان هو ابن بيئته. لنلاحظ شخصية المرأة في السينما والتلفزيون الايراني، في كل النتاجات سواء تلك التي ظهرت في عهد الشاه ام مابعد الثورة، المرأة تتصف بكل صفات الجودة، انها الحكيمة والمدبّرة والمقتصدة بعيدة النظر والصبور المتحملة... (انتهى)(1)

فرض الحجاب في ايران قسرا افرغ الحجاب من محتواه القيمي وحوله الى مظهر شكلي لا قيمة له فمن ترتدي الحجاب قسرا تظهر الجزء الامامي من رأسها اي انها تعبر عن نفسها بالطرق الممكنة...لا اتخيل وجود اله يريد ان تطبق الناس اوامره قسرا وكرها فماذا يفيد الله ان يكون ظاهر المجتمع ملتزم بشكليات الدين وغير مقتنع بتطبيقها طوعا ؟؟؟ هذا الغاء لقيمة العقل البشري ولقيمة الدين معا...ماذا يسمى وجود نسبة من النساء يرتدين الحجاب

قسرا بعد مرور عقود على الثورة الاسلامية ؟؟؟هل حقا يسعدني كمتدين ان تلتزم الناس بظاهر الدين بغض النظر عن قناعتها الشخصية؟؟؟

قد يقول قائل هل تريدها فوضى كل انسان يفعل ما يحلو له وما يطابق مزاجه لتتحول الحياة الى غابة ؟؟؟ الجواب لا...ما نتحدث عنه هو الامور الشخصية التي لا تؤثر على الاخرين ولا نتحدث عن انتهاك حقوق الاخرين او سرقتهم او قتلهم او الاعتداء عليهم...نتحدث عن الحرية الشخصية التي تنتهي حدودها حين تتداخل مع حريات الاخرين .

قد يقول اخر الحجاب يتداخل مع حريات الاخرين فمن لا ترتديه تؤثر على الشباب وتغريهم وتشوشهم . الجواب...الدين يقول (غضوا ابصاركم) وهذا القول يؤكد على ان الدين لا يجب ان يطبق قسرا ولو تأملنا هذا القول جيدا سنجده يفترض وجود نساء غير محجبات يجب ان تغض عنهن البصر. اما حساب تلك النسوة على عدم ارتدائهن للحجاب فهو امر لا يعنيني ولا يخصني ومجرد ان احشر انفي فيه فهو تدخل بين المخلوق والخالق .

الشعور الذي يولده اقناع الناس اجمل بكثير من الشعور الذي يولده اجبارهم...الشعور الذي ينتاب رجل الدين حين يقنع احدهم بصحة افكاره اروع بكثير من ذلك الشعور المج الذي يولده انصياع الناس له كرها...الواقع ان من يبحث عن طرق مختصرة في تغيير توجهات الناس من خلال تقنينها فوت على نفسه ذلك الشعور الرائع الذي يولده اقناعهم او على الاقل اقناع نسبة منهم...شتان بين اتباع الثوار للثائر طوعا واقتناعا في اول ثورته وبين التزام نسبة لا يستهان بها منهم (خوفا من العاقبة القانونية) باطار اجتماعي وسلوكي مستمد من اديولوجيا الثائر .

منع الحجاب في اي مكان في العالم لا يختلف شيء عن فرضه كلاهما تدخل في الحرية الشخصية. قد يكون منع النقاب مبرر لان فيه اخفاء للهوية لكن منع الحجاب لا يبرر تحت اي عنوان . اي بلد اوربي يجد الحجاب يتنافى مع الهوية العلمانية للبلد كان الاولى به ان يحسب حساب هذه النقطة قبل ان يعطي حق اللجوء للمسلمين وبالجملة .

حسب وكالات الأنباء والمواقع الخبرية تم رفع الحظر على الحجاب في المؤسسات الحكومية في تركيا (ما عدا القضاء والجيش) لكن هذا لا ينفي واقعية ما نتحدث عنه فحظر الحجاب في مؤسسات الدولة موجود منذ السنوات الأولى لتأسيس الدولة العلمانية في تركيا. ولا زالت من تعمل في القضاء او الجيش ممنوعة من حقها في ارتداء الحجاب .

ايران وتركيا بين الانتماء القومي والانتماء الديني والانتماء المذهبي

المفارقة ان ايران رسميا رقصت فرحا بفوز الاخوان وعدته انتصار للاسلام لكن ايران نفسها تعلم ان الاخوان لديهم موقف من الشيعة (على الاقل الاخوان المعاصرين) وفي تصرف ساذج قام المترجم الذي ترجم خطبة مرسي التي القاها في ايران من العربية الى

الفارسية بترجمة (الشعبان الفلسطيني والسوري) في خطاب مرسي الى (الشعبان الفلسطيني والبحريني) فقط لاظهار الاخوان وكأنهم متوافقين تماما مع ايران ويلتزمون بجميع مواقفها السياسية . الاسلام السياسي يعني ان تعيش في وهم لا قيمة له ولا معنى . الاسلام السياسي يعني ان تسمح لنفسك ان تفعل اي شيء في سبيل ان تبقى المؤثرات العاطفية وكبسول الشعارات قائم كما هو .

الغريب ان تركيا وايران تعاملتا بأنفعال غير مبرر مع المعارضين والمحتجين واصحاب الرأي. من خلال توجيه التهم القاسية كالعمالة للاجنبي او محاولة تخريب البلد مع ان السماح لهم بالاحتجاج والاستماع لهم اقل جهد واكثر فائدة في كسبهم و امتصاص غضبهم.

حين قتلت الطالبة ندا اغا سلطاني في ايران عام 2009 في التظاهرات التي خرجت ضد نتائج الانتخابات . وبعد ان اثيرت ضجة اعلامية حول مقتلها . دعا الرئيس نجاد السلطة القضائية لفتح تحقيق علني واشار الى احتمالية تدخل اعداء ايران في هذا الحادث لتلطيخ سمعة الجمهورية الاسلامية . **قال نجاد في تلك الدعوة التي وجهها لرئيس السلطة القضائية اية الله محمود هاشمي شهرودي :**

نظرا الى التقارير الملفقة العديدة حول هذا الحادث والدعاية الواسعة النطاق حوله التي بثتها وسائل الإعلام الأجنبية، والتي تظهر ان هناك تدخلا واضحا من قبل أعداء إيران الذين يريدون استغلال الوضع سياسيا والاساءة الى صورة الجمهورية الإسلامية، فإني أطلب منكم بالتالي أن تأمروا السلطات القضائية بالتحقيق في مقتل هذه المرأة بأكبر قدر ممكن من الجدية والتعرف الى العناصر المسؤولة عن قتلها ومقاضاتها (انتهى) .(2)

هل ما يدفع الرئيس لفتح تحقيق هو التهويل الاعلامي من قبل اعداء الامة ام مقتل انسانة بريئة دون وجه حق؟؟؟ اذا كانت اليد التي قتلتها هي يد العدو فكان من المنطقي ان يكون الرئيس اكثر شدة في المطالبة بثأرها ويخرج متقدما تظاهرة كبيرة رافعا سيفه بوجه الشيطان الاكبر . اتصور انه كان سيفعل ذلك لو كانت المقتولة تشبهه في التوجه . هذه هي كارثة ان يتحول الدين من عقيدة شخصية الى اديولوجيا .

تلك الايرانية التي قتلت (ليكن قاتلها من يكن - احد افراد البسيج او مخابرات الشيطان الاكبر) اقرب لنجاد بكل تأكيد من الفلسطينية التي تقتل على يد اسرائيل . لكن هل تعاطف معها كما يتعاطف مع الفلسطينية التي تقتل على يد اسرائيل؟؟؟

اقف حائرا امام شخصية الرئيس الايراني السابق محمود احمدي نجاد ومشاعري تجاه هذا الرجل مزدوجة . فحين اركز على خطابه المج تجاه الاخر اشعر بالغثيان . وحين اركز على تواضعه وبساطته واخلاقه الدمثة وعودته لعمله السابق كأستاذ جامعي بعد انتهاء مدته في الرئاسة اقف امامه بأحترام وتقدير .

تأمل معي الخبر التالي :

وصف رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان المتظاهرين بـ"حفنة من المخربين"، مؤكدا من جديد أنه لن يتراجع عن مشروع تطوير ساحة "تقسيم".وتحدى اردوغان يوم 2 يونيو/حزيران في مقابلة مع قناة "شو تي في" التركية المتظاهرين المعارضين له قائلا "اذا ارادوا تنظيم تجمعات، واذا كانت هذه حركة اجتماعية، فعندما سيجمعون 20 شخصا سأجمع 200 ألف، وعندما سيجمعون 100 ألف شخص سأجمع مليون شخص من انصار حزبي" (انتهى) .(3)

هل تعامل اردوغان مع الموضوع كرئيس حزب ام كرئيس دولة يحاول مراعاة مطالب شعبه؟؟؟

تأمل الخبر التالي :

لقي متظاهر تركي مصرعه الاثنين في جنوب البلاد خلال مواجهات مع الشرطة جراء إصابته بقنبلة مسيلة للدموع، وفق ما أفادت وسائل إعلام الثلاثاء.وأوضحت وكالة دوغان للأنباء أن الشاب، البالغ من العمر 22 عاماً، أصيب في رأسه جراء اطلاق قنبلة مسيلة للدموع، وكان ضمن مجموعة متظاهرين في انطاكيا تجمعوا إحياء لذكرى أحد ضحايا الاحتجاجات ضد الحكومة التركية في يونيو الماضي.يشار إلى أن حركة احتجاج الناشطين ضد مشروع حكومي لإزالة أشجار من حديقة عامة في إسطنبول تحولت إلى حركة احتجاج واسعة ضد سياسات الحكومة عمت عشرات المدن التركية (انتهى) .(4)

كان الاولى باردوغان ان ينصت للمتظاهرين ويعطيهم من وقته كما فعل مع اسماعيل هنية حين استقبله في مجلس النواب التركي بل هؤلاء اولى من هنية بالاهتمام . عندنا مثل يقول (اللي يحتاجة البيت يحرم على جامع) لكن الاسلام السياسي يفرض ان يكون لك وجهان بل عشرة وجوه اذا اقتضى الامر.

تركيا رسميا تقف بالضد من داعش . لكن لا يمكن بطبيعة الحال ان نثق بنظام يرفض الاعتراف بمجازر قام بها العثمانيون ضد الارمن كي لا يضطر لدفع مبالغ تعويضية .

الرئيس التركي رجب طيب اردوغان الذي يلبس رداء الخليفة العثماني ويحضر روحه داعم رئيس (للمعارضة السورية) وابرز فصائل تلك المعارضة (جبهة النصرة - فرع تنظيم القاعدة السوري-) و(الدولة الاسلامية - النسخة المطورة من تنظيم القاعدة-) لكنه قبل فترة اكتوى بنيرانهم داخل تركيا حين حدث تفجير انتحاري في سوروج (على حدود سوريا) في مركز ثقافي وذهب ضحية هذا التفجير 31 ضحية . ولحقه بعد فترة تفجير ارهابي اخر . ليس بالضرورة ان تدعم الارهاب من خلال مده بالسلاح والعتاد يكفي ان تغض النظر عنه وتحاول استخدامه سياسيا لتكون شريكه .

مع كل ما ذكرناه تبقى (ايران وتركيا) متقدمتان على غيرهما من بلدان العالم الثالث . تركيا بلد متمدن ولا يمكننا ان ننكر النقلة النوعية التي قام بها اتاتورك. ولا يمكننا ان ننكر ان ايران تتطور في جميع النواحي وهي متقدمة على دول العالم الثالث الاخرى .

الاسلام في ايران يختلف كثيرا عن الاسلام في السعودية ومنبع هذا الاختلاف ليس مذهبي فقط كما يظن البعض . فالشيعة في المناطق العشائرية في العراق اقرب في التعامل مع المرأة للسعودية وليس لايران مع ان لديهم رابط مذهبي مع ايران . الموضوع يتعلق بطبيعة المجتمع وثقافته اكثر من تعلقه بالدين والمذهب. وكل مجتمع يجد حتما من يجعل عاداته موافقة ومتماهية مع ارادة الله .

يبدو ان الشعب الايراني متصالح مع ذاته فهو يميل للروحانية ولربط الكثير من الامور بعالم الغيب. لكنه في نفس الوقت يحترم العلم ونسبة المتعلمين والجامعيين فيه من اناث وذكور عالية جدا. الشعب الايراني يعيش حالة من الحزن المذهل في ذكرى عاشوراء وفي المناسبات الدينية الاخرى ويتفاعل معها بكل طاقته الروحية . لكنه في نفس الوقت يحرص على الاحتفال بأعياد نوروز بكل ما اوتي من قوة . الشعب الايراني بالمجمل شعب ميال للروحانية لكنه في نفس الوقت يحرص على الرفاهية وتخفيف ضغوط الحياة واعبائها.

الايرانيون يحرصون في كثير من الاحيان على ان تكون الرفاهية عائلية وليست فردية ويخططون لاحيائها قبل مدة غير قليلة .

نحن ندفع انفسنا في كثير من الاحيان الى الانهماك في امرين وهما العمل والتدين اما الرفاهية فهي لون من الوان البطر والترف . واذا تمكن احدنا من الحصول على اجازة من العمل فسيحرص على تصليح جميع الاعطال التي قام بتأجيل اصلاحها سابقا . واذا قلت له لماذا لا تأخذ العائلة في نزهة قصيرة لساعة او ساعتين من الزمن سيجيبك الجواب التقليدي (انت والله بطران احنا بياا حال) فعلا نحن في اي حال؟؟؟ فنحن دائما وابدا في وضع غير طبيعي لكن هذا لا يمنع من تخفيف اعباء الحياة لساعة واحدة في الاسبوع على الاقل . وهي ممكنة وسهلة لكن المانع ليس عدم توفر هذه الساعة بل رفضنا للرفاهية خصوصا مع العائلة . قد تجد اشخاص يميلون لترفيه انفسهم ويحرصون على الخروج في نزهات لكن ليس بصحبة عوائلهم بل بصحبة اصدقائهم . واذا وافق على اخذ عائلته في نزهة بعد جهد جهيد من الزوجة والاطفال قد يحولها الى كابوس بسبب موافقته على تلك النزهة مكرها رغم انفه للتخلص من الالحاح لا اكثر ولا اقل .

ايران وتركيا بلدان قوميان يقدمان المصلحة القومية على اي مصلحة اخرى . المشكلة ليست في ان يشعر القوميين بالاعتزاز بقوميتهم بل حين يقومون بأستغلال المشترك الديني او المذهبي الذي يربطهم بالاخر لتحقيق طموحات قومية صرفة لا صلة لها لا بالدين ولا بالمذهب وهذا ابشع انواع استغلال الدين .

قد يجيبك شخص رومانسي يعيش حالة التوأمة المذهبية مع الاخر :

{ان (ايران – تركيا) دولة مسلمة تهتم بهموم الامة الاسلامية وتدافع عن ابناء المذهب بكل قوة ولا ينكر فضلها الا جاحد}

فعلا تركيا وايران دولتان لهما هوية (اسلامية مذهبية) وفعلا في الخطاب الرسمي والشعبي تسجلان مواقف داعمة للمسلمين بصورة عامة ولابناء المذهب بصورة خاصة لكن!!! لو حدث تضارب بين (الهوية القومية) و(الهوية الدينية او المذهبية) اي هوية ستفرض نفسها؟؟؟

هل سمعتم يوما ان سياسي ايراني او تركي طلب دعم الدولة العراقية ليصل الى منصب سيادي معين في بلده؟؟؟ هل يستطيع سياسي عراقي مدعوم من دولة معينة باسم المشترك المذهبي ان يعطي رايه لتلك الدولة بامر داخلي كتشكيل حكومتهم مثلا؟؟؟وهل يسمحون بذلك اصلا؟؟؟قطعا لا فهو ارتضى على نفسه ما لا يرتضيه الاخرون الذين يدعموه لمصالحهم القومية على انفسهم.

السلوك الايراني او التركي في الاعتزاز بالذات هو الصحيح . وسلوك نسبة من سياسيينا في الانصهار امام الاخر الذي يشتركون معه في المذهب هو طمس لمعالم الامة العراقية . مع ان الأمة العراقية اقدم امة في التاريخ البشري على الاطلاق . من المحزن ان لا يشعر هؤلاء بعمق انتمائهم الحضاري حين يقفون امام الاخر . لو كان السياسي الذي يطمس هويته العراقية امام (التركي او الايراني او العربي) لم يفعل ذلك واعتز بهويته العراقية لكان اكثر تقدير واحترام في عينهم فهم يحتقرون من يقف امامهم صاغرا حتى لو كانوا يقدمون له الدعم . ولا ينظرون بعين الاحترام الا لمن يقف امامهم نظيرا .

اما ابشع استغلال للمشترك القومي فهو تدخل دول من قومية معينة في شؤون دولة اخرى من نفس قوميتها لتحقيق اهداف خاصة لا صلة لها بالمشترك القومي . مثلا حين تقوم دولة عربية بالتدخل في شؤون دولة اخرى فهذا ليس من باب انهم ابناء عمومة . لكل دولة علم وحدود ودستور واهداف ستراتيجية خاصة بها . الكلام عن ابناء العمومة عفى عنه الزمن . لو كان الامر كذلك هل تقبل تلك الدولة التي تضخ اموال للسياسي الفلاني ان يتدخل نفس السياسي في شؤونها الداخلية؟ قطعا لا تقبل .

لو كان الحديث عن التشيع فكوفتنا عاصمة دولة الامام علي وليس غيرها...واذا كان الحديث عن التسنن ففي اعظميتنا تربع الامام ابو حنيفة النعمان احد اهم اعمدة الفقه السني...واذا كان الحديث عن التمدن فيكفينا القول ان لدينا (كابتن طيار إمرأة) عام 1949 ...واذا كان الحديث عن الحضارة فمن يجازف بالمزاودة علينا؟؟؟ تبا لمن لا يحترم كل ما سبق ويقف صاغرا امام الاخرين بلا ذرة خجل.

ليس هناك مشكلة ان يشعر العراقي بوجود مشتركات مع العربي او الايراني او التركي بل هذا امر واقع . ومن الجيد ان تكون علاقتنا مع جميع الشعوب طيبة فقد سئمنا العداوات والحروب . العرب والاتراك والايرانيين جيراننا وليس امامنا الا ان نقيم معهم علاقات طيبة لنعيش بسلام . لكن يجب ان نكون نظرائهم لا تابعيهم .

جيفارا يرتجز في الطف

قبل سنوات وأثناء موسم الانتخابات بدأت حملة يقودها نسبة لا يستهان بها من المشايخ في الدعوة لانتخاب إحدى القوائم تحت شعار نصرة المذهب . فارتقى هؤلاء المنبر وحاولوا جهد إمكانهم ربط المقدسات الدينية بانتخاب تلك القائمة . وتفننوا في اختراعاتهم فهذا يقول (من لا ينتخب القائمة الفلانية فليحضر جوابا يوم القيامة) وذاك يربط رقم القائمة الانتخابي بصفحات من كتب دينية ليثبت انها مسددة من الله والأدهى من ذلك هو ذلك الذي قال (إذا تمكنت من التزوير لصالح المذهب فلا تتردد ففي هذا نصرة للمذهب ونحن في معركة مقدسة والتزوير أداة من أدوات الظفر بهذه المعركة) وغير ذلك من فنون نصرة المذهب من خلال استخدام مبدأ الغاية تبرر الوسيلة . هو يريد بشتى الوسائل أن يدفع الناس الى انتخاب القائمة الاقوى والأكبر والتي تحوي مشروع يتحدث عن مظلومية المذهب ورفع الظلم عن أبنائه . لذلك يجد الكذب على الناس أمرا جيدا بل يثاب عليه طالما أن النتيجة هي رفع راية الله عاليا .

هناك من يعتقدون أن هذا تفنن في الكلام ويدخل من باب الترهيب لنوايا حسنة ويعتقدون أيضا أن هناك شريحة من المجتمع وهم هؤلاء البسطاء من الفلاحين والكادحين في المناطق الريفية وغيرها لم ولن ينتخبوا إذا لم يكن هناك وجوب شرعي يجبرهم على ذلك . الترويج لفكرة ان الانتخاب بصورة عامة أمر يرضي الله ويجب ان يشارك به المواطن لتحديد مصير الوطن من خلال أختيار أشخاص جيدين يديرون الحكومة أمر لاباس به . لكن الغير جيد هو أن يروج لقائمة بعينها ولمجموعة من البشر بعينهم فهذا أبشع أستغلال للدين .

تأمل كيف ينظرون للناس البسطاء؟ انهم ينظرون الى الإنسان البسيط نظرة ملؤها الاستعلاء والإحتقار ويعتقدون انهم من الضروري ان يعاملوهم معاملة القطعان وهم لا يعلمون ان الكثير من هؤلاء البسطاء يملكون حكمة وحسن تصرف وأهلية كاملة للاختيار أكثر من كثير من الأكاديميين الذين يتشدقون على الناس بمصطلحات غريبة وعجيبة

ويحـاولون جهـد الامكـان الارتقـاء عـن النـاس العـاديين بـأبراج عاجيـة وهـم لا يعلمـون أن البسطاء يرونهم بحجمهم الطبيعي ويعرفون حقيقة خوائهم .

لننظر الان من ينتمي فعلا لثورة سيد الثوار الحسين بن علـي ومـن يدعي الإنتماء لهـا زورا وبهتانـا . يقـول سيد الشـهداء الحسين بـن علـي (إنِّـي لا أرَى المَوتَ إلا سَعادةً ، وَالحَيـاةَ مَـع الظالمين إلاَّ بَرَماً)

من الأقرب الى فكر الحسين هل هو من يقول (من لا ينتخب القائمة الفلانيـة فليحضـر جوابـا يـوم القيامـة) أم مـن يقـول : (الطريـق مظلـم وحالـك فـإن لـم نحتـرق أنـت وأنـا فمـن سـينير الطريق) أمـا صـاحب القـول الأول فهـو شـيخ معمـم وصـاحب القـول الثـاني هـو الثـائر تشـي جيفارا .

ترك سيد الثوار الحسين بن علـي فريضـة الحـج وذهـب الـى العـراق لنصـرة المظلـومين وقـام السياسـيون الـذين انتخـبهم الكثيـر مـن النـاس كواجـب شـرعي بتـرك العـراق يحتـرق وذهبـوا لأداء فريضة الحج عكس ما فعل الامام الحسين تماما .

أمـا جيفـارا فبعـد أن سـاهم فـي إنجـاح الثـورة الكوبيـة وحصـل علـى جنسـيتها وتـدرج فـي المناصـب الـى أن وصـل الـى منصـب وزيـر صـناعة . اختفـى بشـكل مفـاجيء وتـرك رسـالة لفيدل كاسترو يستقيل فيهـا مـن جميـع مناصـبه الرسـمية ويتنـازل عـن جنسـيته الكوبيـة ليـذهب الـى إفريقيـا وتحديدا الـى زائيـر (الكونغـو الديمقراطيـة) لنصـرة الثـورة هنـاك .

من ينتمـي للثـورة الحسينية هل هـو مـن يتـرك البلـد يحتـرق ليتملـق الله بفريضـة الحـج أم مـن يترك المنصب وكل امتيازاته لنصرة المستضعفين في قارة أخرى ؟؟؟

قـال سيد الاحـرار الحسـين بـن علـي بعد أن قتـل كـل أصـحابه وأهـل بيتـه (هـل مـن ناصـر ينصرنـي؟) وقـال جيفـارا (إننـي أحـس علـى وجهـي بـألم كـل صـفعة توجـه إلـى كـل مظلـوم فـي هذه الدنيا فأينما وجد الظلم فذاك هو وطني) .

من برأيكم سيسـتجيب لنـداء الحسـين وينصـره هـل هـو ذلـك الشـيخ الـذي يحـرص كثيـرا علـى وصـول السلاطين للسلطة باسم حماية المذهب أم جيفارا ؟؟؟

فـي حـوار تلفزيـوني مـع أحـد السياسـيين وكـان الحـوار يـدور حـول بيـان للمرجعيـة يخـص الانتخابـات وكـان البيـان يحـوي جملـة تقـول (انتخبـوا الاصـلح لـدينكم ودنيـاكم) فقـال هـذا السياسي (المرجعية تقصد الإسلاميين بكل تأكيد فمن هـو الأصـلح للـدين هـل يعقـل أن يكـون العلمـاني ؟؟؟ طبعـا لا) هـو يتجاهـل طبعـا بدايـة البيـان التـي تبـين بكـل وضـوح عـدم دعـم المرجعية لأي جهة ويحاول بكل وقاحة الضحك على الناس .

من اقرب الى فكر الحسين هل هو هذا السياسي الذي يلبس السواد على الحسين في محرم ويتاجر باسمه في موسم الانتخابات ؟؟؟ أم جيفارا؟؟؟

من جاء الحسين لنصرتهم والوقوف معهم لم ينصروه وخذلوه بعد أن كانوا قد أرسلوا له رسائل يدعونه فيها للقدوم . يقول جيفارا (ما يؤلم الإنسان هو أن يموت على يد من يقاتل من أجلهم) من الذي يعيش معاناة الحسين أكثر هل هو هذا الشيخ الذي يرتقي المنبر الحسيني ويسرد واقعة كربلاء عن ظهر قلب ثم في النهاية ينزعج ويخرج بوجه مكفهر حين يجد أن الاجور التي اعطوه إياها أقل من التسعيرة . أم جيفارا الذي قد لا يعرف شيئا عن واقعة كربلاء ؟؟؟

في يوم عاشوراء وحين طلب جيش الكوفة من الحسين أن يستسلم أجابهم (لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد) فقاتلهم ومعه اصحابه وأهل بيته فقتلوا جميعا وكان الحسين آخر من قتل . كان عدد الجنود في جيش يزيد لا يقل عن 30000 مقاتل وعدد الجنود في جيش الحسين لا يزيد عن 73 مقاتلا .

توجه جيفارا الى بوليفيا لمساندة الثورة هناك لكن النتائج لم تكن كما يتوقع وتمت مهاجمته من قبل الجيش البوليفي هو وجماعته الذين يبلغ عددهم 16 مقاتلا بقوة عددها 1500 مقاتل. استمرت المواجهة ساعات طويلة فقتل جميع رفاق جيفارا وبقي يقاتل وحده وبعد قتال طويل تم أسره ثم إعدامه . من استلهم من موقف الحسين المبدئي أكثر هل هو ذلك المعمم المنشغل بسلب إرادة الناس والتدخل في خياراتهم الشخصية أم جيفارا الذي واجه قوة قوامها 1500 مقاتل ب16 مقاتلا فقط دفاعا عن المبدأ؟؟؟

حين كان الإمام علي بن أبي طالب خليفة كان يجلس في محل صاحبه ميثم التمار ويبيع للناس أثناء عدم وجوده . شاهدت قبل فترة صورة لجيفارا حين كان وزيرا وهو يساعد بعض الحمالين من خلال دفعه عربة لتحميل البضائع . من ينتمي لمدرسة الامام علي أكثر هل هو عضو مجلس النواب الذي ينظر الى الناس باحتقار وأنفة ويعاملهم ببرجوازية أم جيفارا ؟؟؟ لو كان جيفارا موجودا في زمن الحسين أجزم انه لن يتردد في نصرته والوقوف معه والاستشهاد بين يديه ولو كان هذا المعمم الذي قال (من لا ينتخب القائمة الفلانية فليحضر جوابا يوم القيامة) موجودا في زمن الحسين أجزم أنه سيقول (من لا يبايع يزيد فليحضر جوابا يوم القيامة)

وجيفارا هذا هناك اراء تذهب الى انه تم اسطرته وتحويله الى ملاك والا فهناك جوانب مظلمة في حياته تتمثل بقيامه بفضائع يندى لها الجبين...على فرض انه كان فعلا كذلك فلا قيمة لكل ما قاله . الوقوف ضد الظلم وممارسة الظلم في آنٍ واحد لا قيمة له . الثورة ضد الظلم مقدسة لكن اذا تبعها ممارسة للظلم فهي ليست ثورة بل (حسد) للظالم الذي اسقطته على ظلمه للناس والتمتع بسلب ارادتهم وسرقة ثرواتهم .

اذكياء منغمسين في الغباء...هم من يحكمون العالم

الغباء المركب هو ان تكون ذكي في مجال الفيزياء وتقوم بأختراع القنبلة النووية...الغباء المركب هو ان تكون امريكا تلك الدولة العظمى منشغلة في حل مشاكل العالم (وغالبا ما تزيدها تعقيدا) ولا تستطيع حل مشكلة عصابات المخدرات والمشردين داخلها..تخيل ان دولة فيها اشخاص يباتون في العراء ويخرج رئيسها ليتحدث عن حقوق الشعب السوري!!! يا للعار .

صرح احد موظفي الادارة الامريكية في الشرق الاوسط قائلا (لقد قمنا بخطوات غبية في العراق) بعد فترة خرج في التلفاز وتراجع عن كلامه ولم يكتفي بان يقول ان هذا التصريح لا يمثل الحكومة بل قال انه لا يمثل حتى وجهة نظره الشخصية (من يمثل اذن؟؟؟) يبدو ان الضربة التي تلقاها على مؤخرته بسبب تصريحه كانت موجعة جدا (لم انت مش أد الكلام بتأول بحبك ليه؟؟؟)

مشكلة داخلية نتجنب تشخيصها...لكن هناك اربع حبوب بعد الطعام تسكن لنا الالم دائما وابدا وهذه الحبوب هي (امريكا...اسرائيل...ايران...السعودية) وطبعا لا يوجد من يبتلع اربع حبوب دفعة واحدة فهي دائما ثلاثة . من يبتلع حبة (ايران) لا يبتلع حبة (السعودية) والعكس صحيح . فاما ان تكون (اسرائيل وامريكا وايران) او (اسرائيل وامريكا والسعودية)

لم نصارح انفسنا ولو مرة (ان ولا الشيطان نفسه يستطيع ان يفعل شيء لولا وجود خلل داخلي) لا يمكن لاي جهة في العالم ان تعبث بمقدرات اي بلد لولا وجود من يمكنها من ذلك . يقول سواق السيارات من ذوي الخبرة (حين تقود السيارة فتخيل ان كل من حولك لا يجيدون القيادة حتى تكون في قمة الحذر) هذا ما يجب ان نفعله فلا يهم بشيء ماذا يريد الاخر مني المهم ماذا اريد انا . الاخر لا يقدر على فعل شيء البتة لولا تمكيني له . لايوجد من يقدم شيء بالمجان كل خدمة تقابلها فائدة لكن من الغباء ان نرفض خدمة تقدم لنا ومن الغباء ان نخلق لانفسنا اعداء . من يقدم لي خدمة اهلا وسهلا ومن يحاول اذيتي احمي نفسي منه واعامله بالمثل . هكذا تفعل الدول الواقعية المحترمة.

الغباء المركب هو ان تكون حريص على المجتمع من بائعات الهوى فتقوم بقتلهن ليصبحن عبرة بدل من تبني اليتيمات المشردات لتجنب وقوعهن في نفس المنزلق...الغباء المركب هو ان يقوم المسؤول بسرقة اموال الدولة ولا يكتفي بذلك بل يزيد الطيب بلة حين يقوم بادارة المنصب الذي اوكل له بأسوء الطرق...هو بذلك قام بأذيتنا مرتين... الاولى حين سرق والثانية حين اوقف تقديم الخدمات بسبب سوء ادارته .

اقترح ان نقوم بتعديل الدستور ونضيف فقرة تقول (ان كل سياسي يود السرقة يحصل على المبلغ الذي يتوقع الحصول عليه بشكل قانوني وفي المقابل يمنع من شغل اي منصب ويسلم المنصب لمن يجيد قيادته ونتجنب بذلك اكثر من نصف الضرر) قد لا يعجبكم كلامي لكنه حل مثالي نتخلص فيه من هؤلاء ومن ينتخبوهم في نفس الوقت لانك اذا طردتهم من الباب يدخلون من الشباك تحت عنوان اخر وفي موسم اخر . فهناك من يقومون بغبائهم المركب بأعادة تدوير النفايات دائما وابدا .

قبل مدة قال احدهم انهم سينتخب شخصية مختلفة عن التي انتخبها في الموسم السابق فاجابه اخر (كلاهما وجهان لعملة واحدة) يحكى ان احد المساجين تم اجلاسه على الخازوق وكان في الغرفة عدد كبير من الخوازيق فطلب بعد قليل من السجان ان يستبدل له الخازوق فنفذ له طلبه. بعد مدة اعاد الطلب مرة اخرى وطلب ان يجلس على خازوق اخر . فقال له السجان ماهو الفرق بين هذا وذاك . فاجابه (لا يوجد فرق الا ان فترة قيامي من هذا وجلوسي على ذاك فرصة جيدة لأخذ قسطا من الراحة) يبدو ان هذا ما نفعله بانفسنا . نحن مثل هذا الذي ضرب نفسه حقنة فاجوعته فصرخ (آخ آخ آخ علة كيفني)

الغباء المركب هو ان تنتخب قوائم راديكالية بنظام ديمقراطي...اذا كنت ارتضيت ان يكون نظامك ديمقراطي لماذا تنتخب قوائم لا تؤمن بالنظام الذي اخترته لنفسك؟؟؟ والادهى من ذلك ان نسبة من السياسيين يذهبون لاستجداء دول ليس فيها برلمان من الاساس ولم يمارس مواطنيها اي لون من الوان الديمقراطية في التاريخ .يا للعار .

لا يوجد دولة شريرة ودولة طيبة...هناك اذكياء يمارسون ذكائهم في مستنقع الغباء ويتبعهم قطيع من البلداء بكل ود وحب...هؤلاء في كل مكان في العالم...لا يوجد محور شر ومحور خير...هناك خير متشضي في كل مكان في العالم وشر يحاول الاستيلاء على معانيه .

البناية التي كانت بها مدرستنا الابتدائية كان فيها مدرستين لذلك كان الدوام فيها صباحي ومسائي . المفارقة التي لا اعلم لها تفسير هي ان طلاب المدرستين كانوا يلتقون في وقت انتهاء الدوام اي وقت خروج تلك المدرسة ودخول الاخرى وما كان يحدث ان طلاب كلتا المدرستين كان يبصق احدهم في وجه الاخر ويرمي الحصى عليه . هذا التمترس والعدائية لا اعلم سببها لكن في الصف السادس تم دمج المدرستين واصبح الجميع رفقاء واضمحلت تلك العداوة . الا يوجد من يخلط كل البشرية في كيس كبير ويقلبه بقوة لنخرج بعدها بلغة واحدة وعرق واحد ودولة واحدة وننتهي من كل هذا الهراء؟؟؟

الغباء المركب ان يراجع احدهم طبيب نفسي بسبب حالة معينة يعاني منها فيجد ان هذا الطبيب ينتمي (لعصر ما قبل فرويد) فيكتب له العلاج اثناء وصفه للحالة دون ان يكلف نفسه عناء الحديث معه ويتبين لاحقا ان لهذا العلاج اعراض جانبية اقوى من الحالة

نفسها...يبدو ان هذا النوع من الاطباء النفسيين هم بحاجة الى طبيب نفسي يشخص حالتهم المتاخرة ويعالجهم !!!

الغباء المركب ان تقوم وسيلة اعلام بأطلاق مفردة (مسلحين) على الارهابيين الذين ينشطون في العراق . وتطلق على نفس الارهابيين مفردة (الفئة الظالة) حين ينشطون داخل البلد الذي ينفق على تلك القناة . وكأنها رسالة لهم مفادها (اذهبوا الى العراق) وهم لا يعلمون ان هناك (تغذية راجعة) لا بد منها بل لا مفر منها . المشكلة ان هناك وسائل اعلام مستقلة على درجة عالية من المهنية والحرفة لكنها حين تصل الى العراق تطلق مفردة (قتلى) على شهداء الارهاب فيه ومفردة (ضحايا) على شهداء الارهاب في بلدان اخرى .

القنوات العربية (الفعالة) تأتي بأعلاميين من شتى الدول العربية لتبدو وكأنها عربية فعلا وليست ملك لدولة واحدة او شخص واحد ولتحصل على اكبر متابعة . لم اجد قناة عراقية (رسمية او غير رسمية) تمكنت من مجاراة تلك القنوات واتباع اسلوبهم في تناول قضايا تخص تلك الدول بطريقة حرفية لمواجهتها بالمثل . ولم اجد قناة تختار لنفسها اسم (جذاب) يجذب المشاهد العربي بصورة عامة وليس فقط العراقي لتتمكن من مواجهة الاعلام المضاد. ولم اجد قناة تستقطب اعلاميون عرب ذوي مكانة مرموقة لتحصل على مساحة اكبر من حيث المتابعة . كل ما تفعله قنواتنا هو نقل الاخبار والاستنكار ومخاطبة الذات لا اكثر ولا اقل . المواجهة الحقيقية للاعلام المضاد من خلال تأسيس قناة لها اسم (عام مؤثر) لا يشير الى ان هذه القناة عراقية المنبع . واستقطاب اعلاميين عرب لهم مكانة في الساحة الاعلامية . وتناول قضايا داخلية تخص الدول التي تستهدف بلدنا وجعلها قضية للنقاش . واستقطاب نقاد ومحللين ومعارضين لهم ثقل . هكذا يتم مواجهة الاعلام المضاد وليس بالاستنكار .

الغباء المركب هو ان يعتقد من يدير دائرة من دوائر الدولة ان ولي نعمته هو من يكون على رأس السلطة وليس الشعب .

مفردة (فضيحة) هي في الواقع مرادف لمفردة (غباء) فحين تسمع من يقول انظروا فضيحة فلان ... المقصود (غباء فلان) هناك اشياء تحدث دائما والكل يعلم انها تحدث لكن حين تظهر للعلن تسمى (فضيحة) بمعنى ما نعلم انه يحدث قد افتضح للعيان . الكل يعلم ان فلان سارق والكل يعلم ان فلان مرتشي لكن فقط حين تنكشف ادلة سرقته تظهر مفردة (فضيحة) لانها بأختصار تعني (غباء) بعض من يهللون للفضائح يشعروك ان لسان حالهم يقول (نحن اذكى من هذا الغبي لم ننكشف بعد مع اننا فعلنا ما هو اسوء) مفردة (فضيحة) هي اكبر عملية احتيال يقوم بها الجنس البشري على نفسه .

الفضيحة هي ان تتطور التجربة البشرية ثم تجد اشياء يفعلها بعض الناس في بلدان متراجعة من قبيل (اختلاق حجج واهية للحصول على فصل عشائري) ثم تجد اشخاص في

بلد يعتبر رمز للتطور (الولايات المتحدة الامريكية) يختلقون حجج واهية للحصول على تعويض من مطعم او محل او مؤسسة . الانسان يكرر نفسه بطريقة مختلفة . في يوما ما كان من لا يجيد الكتابة يبصم...مرت الايام وتطور العلم وعدنا للبصمة لكنها الكترونية هذه المرة...الجشع يتكرر ايضا لكن بصور مختلفة فهنا يتحجج الجشع بحجج سخيفة ليحصل على فصل عشائري وهناك يتحجج بحجج سخيفة ليحصل على تعويض بامر من المحكمة . للدنائة البشرية قابلية كبيرة على التكيف والتطور كما البكتريا تماما .

ان من لديه طموح في عالمنا ويسعى لتطوير نفسه قد يزعجونه من هم ادنى منه مرتبة او من هم بمستواه . لكنه سيجد ان من يحرصون بجد على ايقاف عجلة تقدمه من هم (اعلى منه مرتبة) فهؤلاء خبراء في تحطيم من هم ادنى منهم . يمعنون الاذى بشكل مثير للدهشة. ليس هذا فقط بل قد يسرقون جهوده وينسبونها لانفسهم وكأن شيئا لم يكن . الاغرب من ذلك هو حين يتحالفون على احدهم لتحطيمه وايقافه عند حده . اذا كان هناك شيء يحترف به هؤلاء فهو تحطيم من لديه طموحات . طرح احد الاطباء العراقيين الشباب قصة حدثت معه (عبر الانترنت) وهي قصة مؤلمة . ملخصها ان هذا الطبيب تمكن بجهوده الشخصية من الحصول على دعوة لحضور مؤتمر طبي في احدى الدول الاوربية لكن الكارثة ان (من هم اعلى منه) حاولوا بشتى السبل منع حضوره لهذا المؤتمر والمنظمة التي دعته لحضور المؤتمر حاولت بشتى السبيل تذليل كل العراقيل التي اختلقها (ابناء جلدته).

الامر الذي يحيرني بشدة...لماذا هناك مطالب بسيطة يطلبها بعض الناس وتطبيقها من قبل اصحاب العلاقة سهل ومتاح ولا يحتاج حتى الى مجهود لكنهم يصرون على ابقاء صاحب الحاجة (بحسرة) هل رؤيتهم للحسرة واللوعة في وجهه يشعرهم بالرضا؟؟؟ ام ان استيعابهم ضعيف؟؟؟ بصراحة لا ادري . الذي يحيرني ان الراحل عمو بابا اوصى ان يدفن في ملعب الشعب . طلب بسيط جدا . حصل الرجل بعد وفاته على جنازة رسمية مهيبة وعلى اهتمام واسع (رسمي وشعبي) لكن ما يحيرني ولا اعرف له جواب لماذا دفن (على بعد مسافة من ملعب الشعب) وليس (في ملعب الشعب) هل ضاق ملعب الشعب عليه؟؟؟

الغباء المركب هو ان يتجمع مجموعة من البشر تحت عنوان التضامن مع معاناة الفقراء وكل مايفعلونه هو القيام ببعض الحركات الاستعراضية امام الاعلام من قبيل قيام احدهم بتعريض نفسه للالم او تعري اخر او قيام اخر باضراب عن الطعام دون ان يقدموا اي شيء لهم...تبا لكم... لو انكم قضيتم وقتكم الذي اضعتموه امام وسائل الاعلام مع الفقراء وساعدتموهم ولو بكسرة خبز او كلمة طيبة لكان افضل لكم ولهم... صراخكم الى ان تنشق حلوقكم لن يشبع الفقير ولا اتصور انه سيحرك من لا ضمير له فلا يوجد شخص في العالم لا يعلم ان هناك اشخاص يعانون بسبب الفقر...تستطيع ان تجمع كلا الامرين معا...تستطيع ان تحتج امام الاعلام للمطالبة بحقوق الفقير وتمد يدك لتساعده في نفس الوقت . السيدة انجلينا جولي تتأسى لحال الفقراء لتعبر عن تضامنها معهم ولتوصل صوتهم للعالم لكنها تمد لهم يد العون بسخاء ايضا .

سردت الاعمال الخيرية التي تقوم بها انجلينا جولي امام احد الناشطين في الدفاع عن حقوق رجال الدين فقال لي وبوجهه ابتسامة ساخرة (هاي غايتها تسوق لنفسها مو لوجه الله) هؤلاء يصرون على تشويه كل شيء جميل ... هل انجلينا جولي تحتاج ان تسوق لنفسها؟؟؟ يا ليت من تدافع عنهم يسوقون لنفسهم بنفس طريقة السيدة جولي .

ضع يديك على اذنيك اذا اردت ان تشعر بشيء من معاناة الاصم...لكن الشعور بمعاناته وحدها لا تكفي...من افنى سنين من عمره لاختراع الجهاز الذي يساعد الصم على السمع هو من تفاعل معهم كما يجب .

الغباء المركب هو ان اكون فقير حد الثمالة واتباكى ليل نهار من سوء الوضع وعدم وجود فرص عمل وفي نفس الوقت انجب اطفال بلا توقف ... انها حملة للتكاثر كيف ينجب ابن عمي او اخي عشرة وانا انجب فقط اربعة (هلموا الى المنافسة...هل من مبارز؟؟؟) سأنجب ابناء دون توقف ولن تتمكنوا من ايقافي ابدا وسابقى اتباكى ليل نهار من سوء الوضع ومن عدم وجود عمل (بركبتي كوم لحم يا اهل الرحم) هذا التكاثر المنفلت لا نركز فيه الا على امر واحد فقط وهو التباهي بالعدد امام الاخرين دون تفكير بالعواقب...ما هي فائدة الكثرة هل سيصبحون ابن الهيثم وابن النفيس مثلا؟؟؟ ام ان فكرة وقوفهم معي (ليسدوا عين الشمس) امام العشائر الاخرى تسلب لبي لأحارب بهم الاخرين حرب ضروس كحرب البسوس؟؟؟اذا كنت كذلك فعلا وفي نفس الوقت اقول (شوفوا العالم وين وصل واحنة وين) فهذا دليل شاخص على غبائي المركب . ويا ليت لو كان الضرر يعود علي فقط ... الضرر يعود على الجميع .

معلومة مرعبة تقول ان 1% من البشر يملكون 50% من موارد الكرة الارضية . يبدو ان الاقلية الذين يملكون نصف الكرة الارضية يقولبون العالم كما يشاؤون ولا يحققون العدالة الاجتماعية والاغلبية من الفقراء قرروا ان لا يرحموا انفسهم بان يزيدوا مشاكلهم بتكاثرهم المنفلت . ومتوسطي الدخل قرروا ان يكونوا عبيد (مودرن) في مؤسسات وشركات ملاك المال والسلطة . اذا صادفك كائن فضائي وقال لك حدثني عن جنسكم فأعطه الاربع اسطر السابقة .

معلومة اخرى تقول ان اول مئة ثري بالعالم تغطي ثروتهم اربع اضعاف الفقر . لنتخيل ان سبايدر مان تدخل وتمكن من مصادرة اموال هؤلاء وتوزيعها على الفقراء هل ستنتهي مشاكل الحياة؟؟؟قطعا لا فهناك من سيبددون ما حصلوا عليه من اموال في ساعات قليلة . المشكلة ليست في سوء التوزيع فقط بل في العقلية بالدرجة الاساس .

هناك دائما من يتامر علينا...تحذير ان الماسونية قامت بدس صورة رمزها في تصميم بناية في المكان الفلاني...تحذير ان اسرائيل تكتب الجملة الفلانية على المنتج الفلاني...هل هذه

هي المؤامرة؟؟؟ اذا كانت هذه مؤامرة فكيف تكون المزحة؟؟؟ هل فعلا نحن نروج لهذه السخافات (البايخة) على انها مؤامرات؟؟؟

هل هناك مؤامرات؟؟؟ نعم هناك مؤامرات لما لا لكن ليس هذه السخافات . المؤامرات الحقيقية (تحاك من الاشرار ضد الاخيار) وطرفي المعادلة لا يحدهم مكان ولا زمان ولا دين ولا قومية ولا عرق ولا مذهب . ليتامر من يشاء كما يشاء ليس لنا الا ان نمتنع عن فعل الشر ونفعل الخير ولتذهب كل المؤامرات الى الجحيم فتأثيرها علينا حينها سيكون صفر .

هل ما يقال عن وجود حكومة سرية تريد السيطرة على العالم حقيقي؟؟؟ قد يكون حقيقي وقد لا يكون وليس هذا مهم...المهم ان اكون انا حقيقي ولي وجود ايجابي...هل فعلا تم تغييب شخصيات مهمة ؟؟؟ هل تم تغييب المخترع باترك فالاناجان بشكل متعمد ؟؟؟ هذا المخترع الذي اخترع جهاز (النيوروفون) والذي يقال انه يمكن الصم من الاستماع للصوت عن طريق الدماغ مباشرة دون المرور بالاذن...هل تم تغييب هذا المخترع بشكل متعمد ؟؟؟ هل ما يسمى بالادراك الخفي (SUBLIMINAL) موجود فعلا؟؟؟هل فعلا يتم اقحام كلمات معينة صوتيا او كتابيا في بعض البرامج او المسلسلات التلفازية لتمرير فكرة معينة على العقل الباطن ؟؟؟

ماذا لو كان الترويج لفكرة (ان هناك مؤامرة) هو جزء من المؤامرة لجس نبض المجتمعات؟؟؟ طيب ماذا لو كان القول الاخير جزء من المؤامرة ايضا؟؟؟سلسلة من الهواجس تبدأ ولا تنتهي وحلها بسيط جدا وهو الايمان بوجود سيئين وطيبين...طالما تآمر البشر على بعضهم البعض . ليس هناك جديد فأنصاف المثقفين يتامرون دائما على العباقرة والمبدعين . والاشرار يسعون جاهدين للسيطرة على المجتمعات ... بوجود نظرية تحاول اثبات ذلك وبعدم وجودها هذا هو الامر الواقع والتفاصيل التي تحاول اثبات ذلك لن تضيف شيء جديد سواء كانت حقيقة ام خيال .

الاشرار في العالم ليسوا من صنف واحد فقد يكونوا رأسماليين او اسلاميين او علمانيين او اشتراكيين...يهود او مسلمين او مسيحيين او عبدة شيطان...العنف المقدس ليس له عنوان فقد يكون باسم يهوا او باسم الرب او باسم الله او باسم الشيطان او باسم الانسانية نفسها . الاشرار مهما اختلفت عناوينهم يبقون اخوان غير اشقاء فهم ولدوا من رحم واحد وهو (الشر) لكنهم (نغول) لكل منهم اب مختلف عن الاخر لذلك تجد عناوينهم مختلفة لكنهم يتفقون في الهدف .

فكرة المواطنة العالمية فكرة جميلة لكنها خيالية في ظل اصرار كل فئات المجتمع على تدمير الكوكب من جهة وتحطيم الذات البشرية من جهة اخرى .

يقول الكاتب الامريكي نيك بتيزولاتو على لسان المحقق رست كول في مسلسل (True Detective) : اعتقد ان انبل شيء نفعله لجنسنا هو ان نتوقف عن التكاثر ونمشي يدا بيد نحو الانقراض .

هذا الكاتب ليس اول من طرح هذه الفلسفة فابن المعرة ابو العلاء تبناها قبله بقرون طويلة ووثقها على قبره بعد ان كان قد طبقها عمليا في حياته فهو لم يتزوج ولم ينجب . لا املك تلك الشجاعة التي يملكها المعري ولم اصل لتلك الدرجة من السوداوية ولا اشجع احد على هذه الافكار لكني لا ألوم من يتبناها فالمشهد قاتم لدرجة تجعلني اقول في بعض الاحيان عن هؤلاء السوداويين (تبا...يبدو انهم محقين)

ما نفعله دائما هو اننا نلح بقوة على تجميل صورة الحياة . نخشى من الاعتراف بالواقع . هذا الذي يقول لك انك سوداوي ومتشائم ويجب ان تنظر للنصف الممتلىء يعرف جيدا انك محق لكنه يطردك من راسه لانك تفسد عليه لحظات جميلة وهو محق فيما يفعل . الان اذا قام شخص بوصف مجتمعه على حقيقته سيقال له (اصمت) هذا الكلام لا يصح ان يقال . هم يقبلون وجوده على ارض الواقع لكن لا يقبلون ان تواجههم به . لا انكر ان هناك اشياء جميلة في الحياة و هناك اوقات سعيدة ليس لنا الا ان نعيش لحضاتها ونمسك بها بقوة ولا ندعها تمر مرور الكرام .

لو اردت ان تعرف اشياء عن المجتمع الامريكي لن ينفعك كثيرا متابعة افلام هوليوود . ستنفعك بقوة عروض الستاند اب كوميدي ... خذ مثلا جورج كارلين او ايدي قريفن او ستيف هارفي...متى ستعرف ان ما يقوله حقيقة فعلية وليس مجرد هزل؟؟؟حين تجد الجمهور يصفق بقوة ويضحك مليء فمه...هنا ستعرف ان ما قاله حقيقة جلية يعرفها الجميع لكن لا يتحدثون بها . الهزل المفتعل يضحكنا لكن الحقيقة الفعلية المسكوت عنها تغرقنا بالضحك . من الجيد ان يمارس المجتمع الامريكي رياضة الضحك على الذات خصوصا في عروض الستاند اب كوميدي . فهي رياضة تكشف لك المشتركات السيئة التي كنت تعتقد انك وحدك من تمارسها...ومتى تكتشف ذلك؟؟؟ في اللحظة التي يصفق الجميع بحرارة . ومن فوائد السخرية من الذات هو تهوين الواقع المزري وجعله خفيف الظل. نعم حين نضحك جميعا على شيء يثقل همومنا سيبدو لنا هين وواهن...اما السخرية من الذات على الصعيد الشخصي فلا تخلو من فائدة فهي تسبب الاحباط لمن يريد ان يسخر منك . فحين تسخر من نفسك او تضحك عليها قبل من يحاول ان يسخر منك ستشعره بالاحباط . وهذا المضمون يذهب اليه ديل كارنيجي في كتابه الغني عن التعريف (دع القلق وابدأ الحياة)

مفارقة مذهلة...الفاسدون السيئون يؤمنون بانفسهم ... يتصورون انهم في جانب الخير...لذلك حين يظهرون في التلفاز يتحدثون بحرقة عن الوطنية والنزاهة لانهم يعتقدون انهم فعلا نزهاء...اما المنتجين الحقيقيين النزيهين فقد اصابتهم ما تسمى (متلازمة المحتال)

وهي مصطلح في علم النفس يطلق على الشخص الذي ينتابه شعور داخلي في ان الانجازات التي حققها لا يستحقها وان الحظ كان بجانبه وان الناس تنظر اليه بريبة ... هذا الذي اطلق على هذه الحالة (متلازمة المحتال) فاته ان يطلق على الحالة المناقضة والتي يشعر فيها المحتال انه يستحق ما حصل عليه (بمتلازمة النزيه) لا يهم فقد اطلقتها انا للتو (سجلوها باسمي)

على ذكر متلازمة المحتال والمشاعر الوهمية التي تنتاب الانسان اتذكر مرة كنت راكبا في الباص فصاح السائق (اخوان بعد نفر ما دافع كروة) انا اعلم جيدا اني دفعت الاجرة لكن لا اعلم لماذا شعرت اني لم ادفع...فتشت جيبي وتأكدت من نقودي...لكني لازال هذا الشعور ينتابني...كرر السائق السؤال...ازداد شعوري باني متهم...الكارثة اني بدأت اتلفت يمينا وشمالا وكاني اهم بالقفز من الباص...بدأ سائق الباص يلقي محاضرة عن الاخلاق وعن سوء حال هذا الشخص الذي لم يدفع...طأطأت رأسي خجلا...بعد برهة قلت في نفسي...تبا ما الذي يجري لك...لو نظر لي السائق في المراة (دون ان ينطق حتى) لاعترفت بكل جرائم العالم ولشعرت بندم عليها .

يقولون ان الاطفال المصابين بمتلازمة داون (ما نسميهم خطئا بالمنغوليين) لديهم كروموسوم زائد (47 كروموسوم) في حين ان الانسان الطبيعي لديه (46 كروموسوم) ويقولون ان واحدة من ابرزعلامات هذه المتلازمة هي ضعف الادراك . لكن المفارقة ان كل من خططوا لتدمير العالم بالحروب والويلات كان لديهم 46 كروموسوم لكنهم مصابين بضعف بالادراك ولم يطرق لمسامعنا ان شخص لديه 47 كروموسوم قام بأعلان حرب !!! من يقول ان هؤلاء الذين يتميزون بوجوه متشابهة وبطيبة منقطعة النظير لديهم كروموسوم زائد؟؟؟ قد نكون نحن من لدينا كروموسوم ناقص لان كل ضعيفي الادراك الذين دمروا العالم منا نحن اصحاب الستة واربعون كروموسوم !!!

حين يريد الذكي الذي يمارس الغباء ان يقتل احدهم للتخلص منه فلا يقوم بهذا الفعل بنفسه بل يبعث احد افراد القطيع وهذا الفرد قطعا لا يعلم لماذا يجب ان يقتل هذا ولاي سبب فقط قيل له ان عليه تنفيذ هذا الامر . وفي افضل الحالات اذا فكر قليلا وسأل عن السبب سيقال له انه يستحق ذلك وانتهى...اما حين يريد الذكي الذي يمارس الغباء ان يكذب على الناس كذبة يضمن ان يصدقونها فسيعتمد على مثقف من نخبة المجتمع وسيختاره مقتدر في الكذب...محترف في هذا الفن...معروف بالصدق...نسبة من نخب المجتمع تطبل (للذكي الغبي) ونسبة اخرى تكتفي بالمواقف السلبية . وهؤلاء طالما كانوا جزءا من المشكلة ولم يكونوا يوما جزءا من الحل .

مفارقة غريبة...الطائفيون لديهم مكر فطري عجيب...لديهم فطرة التظاهر بالوطنية وعدم اعطاء (لزمة) على انفسهم حين يحاورون الاخر لكنهم في نفس الوقت يملكون القدرة على اصابته في مقتل!!! هؤلاء الخبثاء اذا كنت تظن انك اذا نلت من السياسي الفاسد الذي ينتمي

لمذهبك ستجعلهم ينالون من سياسييهم الفاسدين فانت واهم جدا لانهم جميعهم بدون استثناء اتفقوا على جواب مثالي يتجنبون به النيل من سياسي فاسد ينتمي لمذهبهم بالقول (همة كلهم حرامية) لتجنب ذكر اسماء . هؤلاء لم ولن ينالوا من سياسي ينتمي لمذهبهم الا في حالة واحدة فقط لا غير (الا اذا تحالف مع جهة تنتمي للمذهب الاخر)

من مفارقات الحياة... ان الفائز بالمركز الثالث في البطولات العالمية افضل من الفائز بالمركز الثاني فالثالث يحتفل والثاني يبكي ...لماذا؟؟؟ لان صاحب المركز الثاني حصل عليه بعد ان خسر من الاول اما الثالث فحصل عليه بعد ان فاز على الرابع فالثاني خاسر والثالث فائز وهنا تكمن الافضلية المعنوية...ليس العبرة اين وصلت قياسا بغيرك بل ماذا شعرت بعد ان وصلت...من الممكن ان تشعر بالمجد وانت في مكان ادنى من الاخرين بشرط ان (تبذل قصارى جهدك)و(لا تلتفت لمن هم في الاعلى) و(تحتفل بما تحققه بقوة) سيلمس الاخرين علو كعبك وينظرون اليك بانبهار . هذا هو المجد ... لحظات نصنعها بانفسنا ونعيشها بقوة دون الالتفات لرد فعل الاخرين (سلبي او ايجابي) لكن المفارقة هي اننا حين لا نلتفت لرد فعلهم على الاغلب سنحصل عليه .

لكل منا حلم...من يكون بعيد عن تحقيق حلمه افضل حالا من ذلك الذي يقترب جدا من تحقيقه ولا يفصله عنه الا خطوة واحدة او نافذة صغيرة ولا يحققه...فمن يكون بعيد جدا عن تحقيق حلمه يشبه فريق كرة قدم شارك ببطولة وخرج من الدور الاول اما من يلامس حلمه ولا يحققه فهو اشبه بفريق كرة قدم شارك ببطولة ووصل الى النهائي وتمكن الخصم من تسجيل هدف الفوز عليه في الدقيقة الخامسة من الوقت بدل الضائع... ايهما افضل حالا من الناحية النفسية؟؟

جميعنا فلاسفة ومفكرين في هذا الزمن فاي انسان تختاره لا على التعيين يستطيع ان يفحمك باروع الحكم...استاذ جامعي...مفكر... سائق تكسي...حمال...رياضي...الخ...براعة الكلام لم تعد حكرا على احد . لكن ترجمة هذا الكلام الى واقع هو الازمة الحقيقية التي ندركها جميعا لكننا عاجزين عن تداركها .

يظن البعض ان العجرفة والتكبر والتعالي صفة ملازمة للاغنياء او اصحاب المناصب العالية لانهم يشعرون انهم جالسين في ابراج عاجية والجميع اقل منهم مكانة...ان بعض الظن اثم...فقد يصادفك بائع جوال متكبر...وقد يصادفك حمال متعجرف...وقد يصادفك موظف بسيط يتصور انه سيد العالم وكل الناس تحت امرته وطاعته...وقد يصادفك متسول تملئه العجرفة والكبر!!!نعم فالتكبر والعجرفة كالمرض العظال الذي يصيب الانسان فهو يصيب الغني والفقير دون تمييز.

ذات مرة كنت جالسا قرب احد الاشخاص وهو مصاب بتخلف عقلي . يطلق عليه ابناء منطقته (فلان المخبل) . فجاء رجل مسن ووقف قربنا . فـ(صفن صفنة طويلة) ثم قال لي (هذا هو واخته مخابيل) فقام (المخبل) من مكانه و(تخوصر) ونظر بعصبية وألم للرجل المسن ثم التفت لي وقال (هذا شبي) ثم قال له (لا عمي لا اختي ما بيهة شي)...في حياتي لم اشرب الخمر ولا اعرف ما هو شعور من يسكر لكن جوابه جعلني اشعر شعور شخص (شارب بطل عرگ) . لقد دفع عن اخته تهمة الجنون ولم يدفعها عن نفسه!!!؟؟؟انه يعلم ان لديه خلل معين في الاستيعاب والادراك وشعر بانزعاج حين وصفت اخته بما يوصف به . هو في موافقته الضمنية على ان يوصف بمفردة (مخبل) اثبت بطلان ذلك الوصف . وفي محاولته تبرئة اخته من هذه الصفة اثبت رجاحة عقله . مجنون واعي لجنونه افضل مليون مرة من مجنون يتصور انه نابغة زمانه فيتخذه (العقال) طوطم (Totem) . والطوطم هو رمز مقدس حامي للقبائل البدائية قد يكون حيوان معين او ظاهرة طبيعية معينة . فهذه القبيلة تتخذ من الذئب رمزا لها وتلك القبيلة تتخذ من الريح رمزا لها وهكذا دواليك...لكن الفرق ان مفردة (طوطم) تم استبدالها بمفردة (تاج راسك) ولكل مجموعة من البشر طوطم خاص بها ....عفوا (تاج راس) مختلف عن الاخر .

تطالب المرأة بحقها في العمل اسوة بالرجل ... تباً لي !!! هل هي جادة؟؟؟ هي في الواقع تطالب بحقها في ان (تستعبد) اسوة بالرجل ... نعم فالعمل يعني الابداع والاستمتاع والانتاج ... والمرأة ترى بعينها كيف يعود الرجل من العمل منهك نفسيا وجسديا وهي من تتحمل عبء انعكاس ذلك على تصرفاته . نحن في الواقع عبيد ... وهناك انواع من العبيد... عبيد كسالى مضطرون للذهاب يوميا في ساعة محددة ويعودوا في ساعة محددة ويقضوا ما بين الوقتين يعدون الدقائق ... وعبيد يتم استنزاف قوتهم الجسدية والعقلية في اعمال تقليدية روتينية غير ابداعية ... وعبيد يتم تشغيلهم في مجالات لا يحبونها عنوة دون رغبتهم ... وعبيد يعملون في مجالات يحبونها ويطرحون افكار ابداعية منتجة لكن عبيد اخرين اكثر منهم مرتبة يحرصون كثيرا على امرين لا ثالث لهما الاول سرقة افكارهم والثاني دفنهم مع افكارهم للابد . هل هذا ما تريده المرأة حقا؟؟؟... هل مفردة (عبيد) مفردة قاسية ام واقعية؟؟؟ لو قارنا نظام العمل الذي نعمل به بنظام العمل في مقر (شركة كوكل) ستنطبق علينا (مع كل الاسف) مفردة (عبيد) ... الاولى بالجميع (رجال ونساء) المطالبة بنظام عمل يشبه نظام العمل في مقر شركة كوكل ليبدع ويتمتع وينتج في آن واحد . وهو نظام فريد من نوعه لكنه حسب تصوري النظام الامثل...وما هو هذا النظام؟؟؟ اسأل محرك البحث كوكل وسيجيبك فالكلام فيه طويل .

لو كان النبي محمد من الصين

قال لي : على كل إنسان البحث عن الدين الصحيح ليصل في النهاية الى حقيقة أن الإسلام هو الدين الحق ومن يتكاسل في البحث عن الحقيقة لن تقبل منه أي عقيدة أخرى لأن الأنسان لديه عقل يجعله أمام مسؤولية الوصول الى الدين الصحيح. فقلت له: لنفترض أني من القبائل البدائية التي تسكن حوض الأمازون كيف سأعرف الإسلام ؟ فأجابني: هذا ليس حجة من واجب كل إنسان البحث عن الدين الصحيح . فقلت له: لنفترض أني بحثت في الدين الإسلامي هل تعتقد أني سأجد شخصية تمثل الأسلام الان أكثر شهرة من أسامة بن لادن او ابو بكر البغدادي ؟ وهل تعتقد أن إنسان بدائي يسكن حوض الأمازون سيعرف أن شخص يمتلك شعبية معتبرة في المجتمع الأسلامي يوازيها دموية وقسوة يلتمس لها الكثير من المسلمين العذر ممكن أن يعتنق الإسلام ؟ فقال لي: أسامة بن لادن منحرف لا يمثل الأسلام وليس قياس ثم أن هناك من اعتنق الإسلام حتى بعد الأحداث الدموية لتنظيم القاعدة لأن لديه عقل يميز به الفكر الإسلامي الحقيقي من الأفكار المنحرفة. وأضاف: أن هناك الكثير من أتباع الديانات الأخرى اعتنقوا الأسلام وبعضهم شخصيات علمية مرموقة وهذا يدل على استطاعة أي إنسان يملك عقلا سليما أن يميز أن تنظيم القاعدة لا يمثل الاسلام الحقيقي وبإمكان أي شخص الوصول الى الفكر الإسلامي الحقيقي .

إن المبدأ الأساسي الذي يدعو له هو مبدأ الإطلاع على جميع الأديان واختيار الأفضل . من المفترض أن هذا المبدأ (البحث والإستقصاء والمقارنة بين الأديان) مبدأ عام يشمل الجميع حتى المسلمين لكن الواقع يقول إن المسلم يستثني نفسه ويكتفي بأن يحمد الله على نعمة الإسلام !

يناقش المفكر غالب الشابندر رأي الشيخ محمد رضا المظفر في هذا الخصوص وسأنقل هنا جزءا من نقاشه لصلته الوثيقة بصلب الموضوع :

قال الشيخ المجدد محمد رضا المظفر رحمه الله (كيف يجوز لهؤلاء النصارى واليهود أن يطمئنوا إلى عقيدتهم، ويركنوا إلى دينهم، قبل أن يفحصوا عن صحة الشريعة اللاحقة لشريعتهم كالشريعة النصرانية بالنسبة لليهود، والشريعة الإسلامية بالنسبة إلى اليهود والنصارى. بل يجب بحسب نظرة العقول أن يفحصوا عن صحة هذه الدعوى اللاحقة، فإن ثبت لهم صحتها انتقلوا في دينهم إليها، وإلا حق لهم في شريعة العقل حينئذ البقاء على دينهم والركون إليه) ـ عقائد الإمامية ص 99 ـ فإذا صح لدى النصراني ما يعتقد به بعد أن بذل جهداً طيبا، فله البقاء على ما يعتقد، بل ذاك مذهبه الذي يجب أن يكون، وبالتالي، هل هو كافر بالمعنى الشرعي هنا؟ ولكن هل يعلم الشيخ رحمه الله تعالى أن فرص العودة إلى الأديان اليوم لفحصها ودرسها من أجل الوصول إلى الصحيح مسألة تعد في غاية الصعوبة و الحساسية، هناك ما لا يحصى من عوامل وأسباب الصدود عن مثل هذه

المحاولة الصعبة والعسيرة، تقف دونها الكثير من الحوائل السياسية والفكرية والمعيشية، فكيف يكون المصير؟ هل أقول إن مصداق الكافر اليوم يعد من المشكلات الكبيرة؟ ترى هل كل المسلمين اليوم يملكون من أسباب القناعة بالإسلام ما يكفي؟وهل نحن مسلمون إلا بسبب الانتماء الوراثي والجغرافي والتأريخي؟ما هو ذنب من لم يولد في عائلة مسلمة، وفي بلد مسلم؟ (انتهى) .(1)

الواقع يقول إن هناك علما منفردا بذاته اسمه (مقارنة الأديان) وهناك علماء أفنوا معظم سنوات عمرهم فيه ولم يصلوا الى نتائج تسعفهم بمحاكمة دين معين بشكل قطعي . وذلك لأسباب عديدة منها اتساع نطاق البحث ووعورته وتعقيده . فكيف بالإنسان العادي البسيط المنشغل بمصاعب الحياة وتعقيداتها والذي قد لا يرى شيئا غير طريقة الوصول لقرص الخبز لإسكات جوع أبنائه؟

يقول النبي محمد :(لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى) إن هذا القول يضع التقوى معيارا للقياس بدلا من العرق (فرض المحال ليس محال) من هذا المنطلق أود فرض الفرضية التالية:

لو فرضنا أن الله شاء أن يبعث النبي محمد الان وشاء أيضا أن لا يكون النبي محمد عربي واختار له أن يكون من بلاد الصين . هل سيهتم العرب بمعرفة الدين الإسلامي والإطلاع عليه؟هل سيفكر العرب في اقتفاء أثر نبي صيني ذي ملامح اسيوية ؟ لو عكسنا كل ما في الإسلام من ضوابط على الواقع الصيني سيفرض على العربي المسلم بالضرورة الصلاة باللغة الصينية وبغيرها لا تقبل صلاته ! وستُفرض عليه قراءة القرآن باللغة الصينية , هل سيعتنق العرب الإسلام ؟ قد يقول قائل هناك ملايين الصينيين اعتنقوا الأسلام ما المانع من حدوث العكس ؟ في الواقع أن كل ما سبق يدور حول العقلية العربية الاسلامية وليس حول الاسلام أو الصين كما يتخيل البعض . فليس المهم دخول ملايين الصينيين في الدين الإسلامي وليس هذا محل نقاش , المهم هو مدى اهتمام العرب بعقائد الصينيين لو شاء الله أن يبعث خاتم النبيين الآن ومن الصين.

طرحت هذا السؤال على الكثيرين فضولا مني لمعرفة رد فعلهم الأول حين يطرق الى سمعهم الإفتراض السابق وطلبت منهم الجواب بصراحة ومن غير تردد فكانت أجوبتهم مثيرة للاهتمام وتدعو الى التأمل . أحدهم قال لي (الدين لا يعرف من جنسية النبي أو شخصه بل يعرف من محتواه ومبادئه) وقال آخر بشكل مباشر (بالتأكيد لا بل أني أتعجب أن الاوربيين اعتنقوا المسيحية للسبب نفسه) أما أكثرهم غرابة هو من قال لي (من السهل أن أقرأ القران باللغة الصينية ومن السهل أن أصلي باللغة الصينية لكن قل لي كيف سأعرف من هو النبي ؟) هو يشير طبعا الى الملامح الآسيوية التي تجعلنا نرى كل الآسيويين متشابهين .

يصطدم عقل الإنسان بكثير من العوائق منها القومية ومنها عامل اللغة وغيرها حين يفكر في الإجابة على هكذا سؤال لكن من الصعب تكهن الواقع الفعلي لو كانت هذه النظرية حقيقة وذلك لمزاجية الإنسان العربي التي تجعل من الصعب توقع سلوكه وخياراته . المزاجية هي من تحكم دول العالم الثالث وليس المبدأية . فالمسلم يجد أن من الضروري على كل إنسان الإطلاع على جميع الأديان للوصول الى الدين الصحيح ولا يجد ضرورة في أن يطبق هو هذا المبدأ كونه سعيد الحظ لأنه ولد مسلم .

احيي كل مسلم غير عربي على تواصله روحيا مع الخالق بلغة اخرى غير لغته الام فهذا شيء ليس هين . تخيل انك تقف على السجادة لتصلي بلغة اخرى غير العربية وبدونها لا تقبل صلاتك!!! لان العربية لغتنا الام نشعر بسعادة انها لغة التواصل مع الخالق لكن ماذا لو كانت لغة التواصل مع الخالق (في الصلاة) هي اللغة الكردية هل سيتقبل العرب الصلاة بها؟؟؟ ماذا لو كانت الفارسية؟؟؟ماذا لو شاء الله ان يكون النبي محمد كرديا او فارسيا؟؟؟ العرب هؤلاء الذين يصرخون ليل نهار (الفرس المجوس) هل كانوا سيتقبلون اتباع نبي فارسي لو شاء الله ان يكون نبيه فارسيا؟؟؟ وهل كانوا سيتقبلون الصلاة بالفارسية؟؟؟ الجواب عندكم .

هناك مسلمون (غير عرب) لديهم عنصرية ضد العرب والصدفة جمعتني بموقف عابر باحدهم وحدثته بالعربية فاجابني بلغته الام بطريقة متعالية معبرا عن اعتزازه بلغته ورفضه للحديث باللغة العربية . اكملت طريقي وانا اشعر بانزعاج وبعد دقائق قليلة اذن المؤذن في الجامع بلغة فصيحة قائلا (الله اكبر ... الله اكبر) فقلت في نفسي اين سيهرب هذا الشخص الان من اللغة العربية وكيف يتحمل مخاطبة ربه بلغة يمقتها ويمقت قومها ؟؟؟ مفارقة عجيبة تستحق التأمل .

فكرة أن عقيدتي هي الطريق الوحيد الى الله تسكن في عقل الإنسان العربي مهما اختلف دينه إلا ما ندر وهذا حق مشروع لكن يجب ان يقترن باحترام خيارات الآخرين .

يقول الدكتور علي الوردي :

كنت ذات يوم في مجلس ضمن جماعة من رجال الدين وقد أجمع هؤلاء الرجال أثناء الحديث على أن سكان الارض كلهم ملزمون بأن يبحثوا عن الدين الصحيح , فإذا وجدوه اعتنقوه حالا فكل إنسان في نظر هؤلاء مجبور على أن يترك أعماله ويذهب سائحا في الأرض ليبحث عن دين الحق . قلت لهم (لماذا لم تسيحوا أنتم في الأرض للسعي وراء الحق ؟) قالوا وهم مندهشون لهذا السؤال السخيف (فنحن لا نحتاج الى السعي وراء الحق لأن الحق عندنا) إنهم يتخيلون أنهم وحدهم أصحاب الحق من دون الناس ونسوا أن كل ذي دين يؤمن بدينه كما يؤمنون هم بدينهم . فأينما توجهت في أنحاء الأرض وجدت الناس فرحين بعقائدهم مطمئنين إليها (انتهى) .(2)

السكير المؤمن

لا توجد فائدة واحدة تذكر في شرب الكحول ولاينتج عنه إلا فقدان الصحة والعقل . ولا توجد علاقة بين شرب الخمر والطيبة لكن المفارقة أن الصفة الشائعة عن نسبة لا يستهان بها من شاربي الخمور هي رقة القلب .

خمار الى درجة الثمالة المستديمة لا تفارق قنينة الكحول جيبه . كان يقف في مكانه الدائم تحت ظل حائط مائل . مر بالصدفة أحد المتسولين من هؤلاء الذين يعيشون في أكبر منزل صيفي في العراق وهو حديقة الأمة التي تقع في قلب بغداد والتي تجمع بحنانها عشرات المتسولين كعائلة واحدة . كان هذا المتسول يمشي حافيا ويبدو أنه فارق الحذاء منذ فترة طويلة الى درجة أن قدميه تلونتا بلون أرضية الشارع . وقف المتسول قريبا من الخمار كي يرتاح من عناء الطريق الذي لا ينتهي الا بتوقف قلبه . انتبه الخمار لحال المتسول وكأنه ينظر للوحة سريالية رسمت بأنامل فنان شديد القسوة . وضع الخمار يده على كتف المتسول ومده بدفعات من الحنان وانتزع نعليه وألبسهما للمتسول وذهب الى بيته حافيا.

مررت بأحد الاصدقاء مرة وكنا واقفين في الشارع ويقف قربنا احد جيرانه . مرت سيدة يبدو عليها الفقر وكان صديقي على معرفة مسبقة بحالها فقدم لها يد المساعدة . انتفض جاره بشكل مفاجيء قائلا : هل تعلم عنها شيئا ؟ هل تعرف إن كانت تصلي أم لا ؟ هل تأكدت من كونها فقيرة فعلا ؟ هل تعرف مستوى إيمانها والتزامها ؟ وغيرها من الأسئلة التي أثارت اشمئزاز صديقي الذي انتفض بوجه جاره بشكل أثار أعجابي وأراحني كثيرا .

قدر الفقير أن يكون الالم صديقه الدائم الذي يزوره دون سابق إنذار . شعار الخمار في قصتنا الأولى هو (الشعور بمعاناة الآخر) وشعار المتدين في قصتنا الثانية هو (استغلال معاناة الآخر للحصول على متعة أبدية لا تنتهي في الجنة)

هناك نوع من المتدينين علاقتهم مع الله مبنية على أساس تجاري تحدده معادلات رياضية . فهو يفكر كثيرا في ما سيحصل عليه مقابل فعل الخير ويفكر في تحقق المعادلة الرياضية التي توصله للمكسب المستهدف من الحسنات لذلك يهتم كثيرا في معرفة مدى قوة علاقة من يريد مساعدته مع الله ولا يفكر بمدى معاناة هذا الشخص ومقدار الألم الذي يشعر به . وهكذا نموذج لو فرضنا أن عمل الخير ليس فيه حسنات لم ولن ينفق دينارا واحدا لأجل رفع المعاناة عن إنسان . الهدف الرئيسي من فعل الخير لدى هذه الشريحة هو تقوية علاقته بالله والحصول على متعة أبدية لا تنتهي . أما الخمار الذي نزع نعليه دون تفكير ليرفع المعاناة عن المتسول وليذهب الى بيته حافيا دون حرج فهذا نموذج من نوع آخر وصل الى أعلى درجات الرقي و الإحساس بالآخر ولم يفكر في معتقده ولا مقدار التزامه ولم يعرف إن كان يصلي أم لا كل ما كان يفكر به هو مقدار الألم الذي يشعر به وطريقة تخفيفه.

هناك متدينون يحملون نفوسا طيبة ومقدارا عاليا من الحنان وهناك خمارون يحملون مقدارا عاليا من القسوة . وتبقى نظرتي للخمر أنه شيء غير مفيد ومضر بالصحة . ما أتحدث عنه هنا هو الحنو على الآخر بدافع الحب وليس بدافع المصلحة . فقد تجد احد (شرابة العرگ) يجد امامه شخص جائع او بحاجة الى اعانة فيبكي عليه ويقول له (عمت عيني عليك) ويحتضنه ويمد له يد العون . لكن في نفس الوقت هناك من يسكرون و يؤذون اهلهم وعوائلهم و ويقسون عليهم وقد يؤذون اهل المنطقة التي يسكنوها ويعربدون عليهم...الطيبة لا صلة لها لا بشرب الخمر و لا بالتدين...الموضوع يتعلق بطبيعة الانسان.

شاهدت مرة كلب أعطاه أحدهم طعام فأخذه بفمه ووضعه خلف إطار إحدى السيارات الواقفة في الشارع ورجع بعد خمس دقائق معه أربع كلاب واقتسموا الطعام جميعا . إن ما فعله هذا الكلب يعجز الكثير من البشر عن فعله . لم أعد أعتقد أن المشاعر الطيبة يجب أن تسمى مشاعر إنسانية فالواقع يفرض غير ذلك . هي مشاعر توجد في البشر وغيرهم من الكائنات الحية .

حين نتأمل قصتي السكير والمؤمن نجد أن صديقنا السكير يؤمن بعقيدة الحنو والشفقة على الضعيف دون تردد وصديقنا المتدين يؤمن بعقيدة التزلف لله لنيل الجنة والتخلص من عذاب النار أما مساعدة الضعيف ورفع المعاناة عنه فهي وسيلة وليست غاية .

يقول المفكر عبد الرزاق الجبران : المهم عندي إشكاليا هو أن أبا ذر لم يخرج ضد السكارى , فلقد رجع الخمر في أيامه بشدة , كما لم يكن ضد الراقصات .. اذ أن أبا ذر شاهد ذلك كله في الشام , أيام معاوية , ولكن لم يكن همه النبوي إلا الفقراء .. وما زالت الأزمة الدينية هي أزمة ابي ذر عينه , أزمة الارستقراطية الدينية , وبالتالي فالتاريخ مشكلة وجودية تلاحقنا (انتهى).(1)

ويقول الدكتور علي شريعتي : قبلت أنا الاسلام ... ليس إسلام الثقافة التي يصنعها العالم , إسلام الايديولوجية , الذي يربي المجاهدين . ليس في مدرسة العلماء , ولا في سنة العوام , وإنما في ربذة أبي ذر (انتهى) .(2)

المفارقة أن هذا الخمار ليس في وعيه الكامل لكنه وصل الى درجة تعتبر وفق المنظار البشري أعلى درجات فهم الآخر والشعور به. والمتدين في كامل وعيه لكنه فشل في التفاعل مع الاخر وقرر الإنتظار في البرج العاجي الى أن يتمكن الآخر المنهك في هموم الحياة من الوصول اليه . في هذه الحياة كل صفة يمكن أن تتوقع وجودها في أي إنسان مهما كان سلوكه الحياتي والتزامه الديني .

أقصى درجات السمو الانساني هو الشعور بمعاناة الآخر ورفعها عنه جهد الإمكان دون التفكير بالمكاسب المعنوية والمادية .

يقول جلال الدين الرومي: ليس اصلح من عمل صالح دون غاية. (3)

مشاهدة البلابل على الاشجار اجمل كثيرا من مشاهدتها في القفص . لا اعلم لماذا نجاهد انفسنا في تربيتها في الاقفاص مع انها امامنا على الاشجار بأبها صورة!!!حتى البلابل الصغيرة التي تدجن وتصبح أليفة اعتبر شرائها جريمة فمعظم الناس لا تعلم معاناة والديها حين يختطفها البائع من العش . انه منظر يدمي القلب .

ذهبت مرة لسوق الحيوانات . وانا اقف قرب احد المحلات جاء شاب ليشتري بلبل وطلب من صاحب المحل ان يقلل من سعره لانه ينوي اطلاق سراحه فلم يصدق صاحب المحل ادعائه وقال له (خلي يولن وين اكو هيجي شي هي مال دروب) فقال له الشاب ساطلق سراحه امامك وفعلا اطلق سراحه فورا فقال صاحب المحل للعامل الذي يعمل معه (هذا يجوز ناذر نذر) هو لا يستوعب ان هناك من ينفق من ماله الخاص دون ان يحصل على مقابل لانه اعتاد على ان لكل شيء مقابل اذا لم يكن في الدنيا ففي الاخرة .

لو اردنا ان نكون اكثر دقة ففعلا هناك مقابل حصل عليه الشاب لكن ليس بمفهوم صاحب المحل الضيق . المقابل الذي حصل عليه الشاب هو (الشعور بالراحة بسبب اراحة كائن اخر) الجهد المبذول لرفع الالم عن الاخرين بالنسبة لبعضهم شيء اشبه بالذهاب لصالة بليارد . فالشاب ينفق امواله هناك وهو الممنون لانه حصل على ما وقت ممتع. الجهد المبذول لرفع الالم عن الاخرين بالنسبة لبعض الناس رفاهية وليس خسارة .

مطعم الظلام في الصين للتعاطف مع المكفوفين

يوجد مطعم في الصين وتحديدا في مدينة بكين اسمه مطعم الظلام ممنوع أن يدخل فيه أي شيء مضيء ويأكل زبائن المطعم في ظلام دامس وفكرة المطعم هي التعاطف مع المكفوفين .

في العراق هناك نسبة من الناس إذا أصبح أحدهم بوجه شخص فقد إحدى عينيه يقول (أعوذ بالله صبّحت بوجه أعور غير يوم مشئوم). (الله على الإنسانية والكلام الطيب الله على التعاطف مع من فقد عضوا من جسده الله على الحنية والرقة)

قد تجد صبيا ذا طباع لئيمة وحقيرة ولا يمد يد العون لأحد لكن حين يكبر وينمو عنده الوازع الديني قد يقوم بأعمال خير ليس حبا في عمل الخير بل للحصول على مكاسب آخروية وهذه الحالة هي من أعظم إنجازات الأديان حيث أجبر الوازع الديني الكثير من الناس ذوي الشخصيات العدائية والأنانية على عدم فعل الشر مرة وفعل الخير مرة أخرى .
من الجيد أن يجبر الدافع الديني بعض اللئام على تقديم المساعدة للآخرين لكن على هؤلاء أن يعلموا ان من يقدمون له المساعدة هو من يتفضل عليهم بقبولها وليس العكس لأن

المكسب الأكبر لهم ويفترض أنهم سيحصلون عليه في حياة أبدية أما ما يقدمونه فهو وقتي وزائل .

اما إذا وجدت شخصا يساعدك لأنه شفوق وحنون ويشعر بمعاناتك ولا يعتبر الاجر والثواب الا تحصيل حاصل وشيء ثانوي . فأعلم أنه كائن حي يقدر الحياة ويعرف قيمتها ولا يساعد أحد إلا لشعوره بمعاناته .

الحمد لله على نعمة الإسلام ... فضيحة الإله نيناساه

الإله نيناساه (nienassah) هو إله القدرة المطلقة لدى أحد الشعوب القديمة ويتكون اسمه من مقطعين حسب لغة ذلك الشعب وهي (نينا) وتعني إله و(ساه) وتعني المطلق ... حين نذكر هذا الإله لا بد ان نذكر الملك ايسور (esor) لأن لهذا الملك قصة مثيرة للإهتمام مع هذا الإله الذي كان يؤمن به وبقدرته المطلقة .

تقول القصة إن الملك ايسور أبلغ عائلته وحاشيته ومساعديه ان الإله نيناساه طلب منه أن يغرق ابنته في النهر ولا يملك إلا الطاعة . والغريب أن ابنته وافقت على ذلك دون تردد حين علمت أنه طلب من الاله . توجه الملك الى النهر وتجمع عامة الناس لمشاهدته وهو يغرق ابنته امتثالا لأوامر الاله نينساه فنظر الملك الى ابنته وهي واقفة قربه تنتظر أن ينفذ فيها الحكم . نزلت الدموع من عينيهما ووقف الملك كثيرا ينظر لابنته ويحتضنها وفي النهاية لم يكن منه الا ان نفذ ما يظن انه رغبة الإله ودفع ابنته الى النهر فجرفها النهر بتياره الجارف الى ان تلاشت عن الانظار وعاد ومعه حاشيته وسط ذهول العامة لا يلوي على شيء . في الصباح التالي كانت المفاجأة حيث عادت ابنته بصحبه مجموعة من الصيادين الذين قاموا بإنقاذها من الغرق بأعجوبة بعد ان وجدوها ممددة على الجرف تلفظ أنفاسها الأخيرة . فرح الملك جدا وشعر ان عودة ابنته إشارة الى ان الآله نيناساه كان يختبر مدى طاعته فكافأه بان أعاد إليه ابنته وولية عهده (انتهت القصة).

حين اطلعت على هذه القصة شعرت بنعمة الاسلام ... فلا أدري أي عقل هذا الذي يؤمن أن ربه طلب منه ان يقتل ابنته؟؟؟ تقول الاية القرانية (ومن قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا) ألم يفكر هذا الملك ولو للحظة ان قتله لابنته بدون ذنب أمر يخالف الفطرة؟؟؟ تقول الاية القرانية (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ألم تفكر ابنته ولو للحظة ان ما ينوي أبوها فعله عمل عبثي وان قبولها بالتضحية بنفسها أمر مخالف للفطرة ؟؟؟أين كانت عقول الناس وهي تسير خلف خيالات وهلاوس ما أنزل الله بها من سلطان ؟؟؟ الحمد لله على نعمة الاسلام.

لنتوقف عن الدجل والكذب فكل ما سبق هو قصة ملفقة من وحي خيال كاتب السطور لا واقع لها ابدا واسم الاله نيناساه هو اسمي باللغة الأنكليزية مقلوبا (hassanein)والملك أيسور هو اسم قطتي باللغة الإنكليزية مقلوبا (rose)

القصة السابقة هي إسقاط لقصة النبي ابراهيم وابنه اسماعيل الذبيح على شخصيات وهمية...من السهل على الانسان ان يكون عقلانيا ومنطقيا حين يتعلق الموضوع بمقدسات لا تعنيه بل تعني غيره لكن من الصعب جدا ان يكون منطقيا وعقلانيا مع مقدساته فأركان القصة سالفة الذكر هي أركان قصة النبي ابراهيم وابنه اسماعيل الذبيح مع تغيير الاسماء والتفاصيل فقط .

الفكرة التي اردت ايصالها هي ان الانسان يفكر بطريقة معينة حين يتعلق الامر بفكرة يقدسها وبطريقة مختلفة تماما حين يتعلق الامر بفكرة لا يقدسها .

لو حدثت أحد الاسلاميين المتحمسين عن هذه القصة بالاسماء المستعارة سيستنتج عقله ان هذا الفعل غير عقلاني لكن حين تذكره بشبه القصة بل مطابقتها من حيث المضمون لقصة النبي ابراهيم سيبرمج عقله بطريقة اخرى وسيعثر على فروقات جوهرية بين القصتين من اهمها ان القصة المنتحلة محورها اله خرافي ليس له اساس والقصة الحقيقية محورها الله المطلق القدرة وسيتحول القاء الملك بابنته الى التهلكة هناك الى طاعة النبي ابراهيم وتفانيه في سبيل الله هنا وهكذا دواليك .

سؤال يطرح نفسه . لماذا لم يناقش النبي ابراهيم الله ويقول له يا إلهي لماذا اذبح ابني والقتل حرام حسب شريعتك ولماذا تضعني في هذا الموقف الصعب وكيف لي ان أقدم على ذبح ابني وهو قطعة مني ؟؟؟

وسؤال آخر يطرح نفسه كيف وافق النبي إسماعيل ان يذبح بكل بساطة دون ان يعرف السبب والمغزى ؟؟؟

السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة هل هو اختبار للطاعة ؟؟؟ أذا كان كذلك فقد حصل النبي ابراهيم على درجة كاملة في الاختبار دون منازع.

ماذا لو كان الاختبار للضمير وليس للطاعة ؟؟؟

ماذا لو كان الله يختبر مدى التزام النبي ابراهيم بوجدانه وضميره ؟؟؟ ماذا لو كان الله يريد من ابراهيم ان لا يقدم على ذبح ابنه لانه يختبر ضميره وليس طاعته ؟؟؟

ماذا لو كان الله امر النبي ابراهيم والنبي اسماعيل برسم تلك اللوحة ليختبرنا نحن وهما على علم بذلك؟؟؟

حسب فهمي ان الاختبار هو ان يمر احدهم بظروف معينة بشكل متعمد دون ان يعلم لمعرفة سلوكه واختياره الحر...هكذا افهم الاختبار...ماذا لو كان الله يختبر فينا التالي: (ما هو تصرفنا وتفسيرنا لفعل غير منطقي محاط بهالة من القداسة) من خلال رسمه لتلك اللوحة التي يجسدها النبي ابراهيم الخليل وابنه النبي اسماعيل الذبيح (او اسحاق حسب العهد القديم)؟؟؟ اي ان المقصود في الاختبار هو نحن بني البشر ومدى تقبلنا للافعال الغير منطقية التي تؤدي الى هدر دماء وتحاط بهالة من القداسة؟؟؟

ماذا لو كان الله متفق مع النبي موسى على الخضر لاختبار ضمير الخضر؟؟؟

ماذا لو كان الله يختبر الخضر وليس موسى في قتله للطفل ؟؟؟ ماذا لو كان هناك تواطؤ بين الله وموسى على الخضر لاختبار ايهما سيغلب طاعته ام ضميره ؟؟؟ لا أعتقد أن كلمة اختبار تعني ان ابلغك أنك في هذه اللحظة في اختبار .

الخضر قتل طفلا بلا ذنب ولك ان تتخيل منظر رجل ذي لحية وتبدو عليه الحكمة يمسك طفل صغير ويقتله بسكين او خنقا او باي طريقة اخرى والسبب هو ان هذا الطفل سيصبح مجرما!!!ماذا لو كان على الخضر ان يعترض على هذه الفكرة او يتوقف ويتسائل ويقول لا يجوز القصاص قبل الجناية ؟؟؟ هذا الطفل لم يبقى ليشهد هذا المستقبل الذي سيرتكب فيه جريمة ويستحق حينها القتل الذي جرى له ؟؟؟ ماذا لو كان موسى يعلم ان الخضر يمر باختبار والأمر ليس كما يبدو ؟؟؟

نعم النهاية ممن الممكن ان تكون سعيدة بالطريقة التالية :

الخضر يعلم الغيب و قتل الطفل قبل ان يصبح مجرما اي انه خلصه من جهنم لانه مات وهو مرفوع عنه القلم ولم يرتكب اي ذنب وخلص ابويه من معاناة تحول ابنهم الى مجرم...الطفل دخل الجنة...الام والاب صالحين ودخلوا الجنة...وجدوا ابنهم هناك واجتمعوا به اجتماع ابدي...لو لم يقوم الخضر بقتل الطفل لما جمع مع اهله في الجنة ولحرموا منه لانه سيتحول الى مجرم ويكون من اهل النار . لكن السؤال الذي يطرح نفسه ما هو الدرس الذي تعلمه موسى من الخضر وكيف سينعكس على واقعه هو ؟؟؟

ماذا لو كان هذا اختبارنا نحن ؟؟؟

أيهما أخف وطأة أن يكون الله أمر الخضر بأن يقتل طفل بريء (قتله قبل ان يرتكب أي جريمة)؟؟؟ أم أن الله اختبر ضمير الخضر والخضر لم ينجح في الاختبار ؟؟؟

قد يقول قائل لو كان هذا صحيح لبينت النصوص الدينية ذلك ... ليس بالضرورة فقد يكون الاختبار ساريَ المفعول لحد الان علينا نحن!

ماذا لو كان الله يريد من الانسان (الإستنكار والرفض لكل فعل خالٍ من الضمير حتى لو كان محاطا بهالة من القداسة)؟؟؟

هل يريد الله جيشا من هؤلاء الذين يطيعون أي أمر دون نقاش أم يريد ضمائر حية؟؟؟ قد يكون النبي ابراهيم والخضر فعلا ما يريده الله فعلا (حسب الظاهر) وهذا أمر محبط جدا فكم هو محبط ان تكتشف أن الله يختبر طاعة الناس فقط وليس ضمائرهم ... يا للاحباط .

صوت الضمير يستحق التقديس ويستحق ان نقف أمامه بخضوع ويستحق كل لحظات التأمل ويستحق حتى التسبيح فهو صوت الله وهو مقدم حتى على العقل فالعقل قد يستنتج استنتاجات تدفع الانسان لاتخاذ قرارات قاسية في سبيل تحقيق أهداف سامية (تخرجه حسب الظاهر باقل الخسائر) أما الضمير فلا يسمح بأي فعل فيه قسوة مهما كانت دوافعه طيبة .

الايمان بصحة الاديان لا يعني أن المؤمن إنسان جيد بل يعني انه يؤمن بوجود الله . والالحاد لا يعني ان الملحد إنسان جيد بل يعني انه لا يؤمن بوجود الله . الضمير المتقد وحده يثبت جودة الانسان بغض النظر عن معتقده .

قد يثبت لأحد المتدينين الذين يعبدون الله تملقا وتجارة عدم وجود الله فلا تستبعد ان يسرق ويقتل لأنه كان يمتنع عن ظلم الآخرين خوفا وطمعا لا اكثر . وهذه حقيقة حدثت أمامي مرة حين كنت جالس في مكتبة أحد الاصدقاء في شارع المتنبي فطرحت السؤال الافتراضي التالي...ماذا لو كانت السرقة حلال ؟؟؟ فاجاب شخص متدين كان يحمل في يده مسبحة (والله العظيم جان قفصت على ثلاث أرباع الناس) لو ألحد هذا فسيشكل خطرا على المجتمع....العيش بضمير سيجلب لك ارتياح دنيوي وقد يجلب لك بقاء أبدي نوراني من يعلم؟؟؟كل الاحتمالات مفتوحة .

الناطق الرسمي باسم الله

الراهبة : قبل أيام حل الجفاف في أستراليا وقام رئيس الوزراء بدعوة الشعب الاسترالي الى الصلاة ليحل المطر وبعد ثلاثة ايام هطلت أمطار غزيرة . أنت طبيب وتؤمن بالعلم التجريبي وأعتقد أن هذه القصة الواقعية خير دليل تجريبي على وجود قوة تستجيب للصلوات .

الطبيب : على ذكر العلم التجريبي . حين كنت طفلا كنت أركع على ركبتي لساعات طويلة داعيا الله ان لا يعود زوج والدتي للبيت لأنه كان يغتصبني بشكل يومي دون علم أحد و يهددني بإيذائي لو أخبرت أحد . لكن لم يستجب لي الله أبدا ومن ذلك اليوم لم أدخل للكنيسة ولم أقم بأداء الصلاة لأن من توسلت أليه أن يخلصني ولم يجبني أبدا يحتمل أحد الإحتماليين : أما أنه (غير موجود أصلا) أو (غير مهتم)وفي الحالتين لم يعد هناك داعي للتواصل معه ! **(مضمون مشهد من المسلسل الأميركي - nip tuck)**

لو تأملنا الحوار السابق سنجد أن الراهبة التبشيرية تتحدث عن ربط ظاهرة طبيعية وهي هطول الامطار بصلوات المؤمنين (سبب ونتيجة) والطبيب ينطلق من نفس المنطق أيضا وهو ربط الأحداث مع بعضها لتفسير حالة معينة .

أن المطر هطل كظاهرة طبيعية لها تفسير علمي قد يكون لدعاء المؤمنين أثر في حدوثها وقد يكون مجرد صدفة لا علاقة لها بأي دعاء . ومحور الإجرام في قصة الطبيب هو زوج والدته وهو الملام الأول ويتبعه والدته وثقتها المفرطة بزوجها وسكوت الطبيب نفسه أحد أسباب تمادي زوج والدته . ربط الوقائع والأحداث بالغيبيات لا يأتي بنتائج مفيدة دائما .

إن تأثير المعاناة والألم أكثر قوة من تأثير المنطق والفلسفة في تبرير الشر والألم . فلو جاء ألف قس وألف راهبة لم ولن يستطيعوا إقناع هذا الشخص في أن ما مر به له تفسير وتعليل . من يمر بالمعاناة ليس كمن يتحدث عنها والبعض يهتمون جدا بالدفاع عن من لا يحتاج الى محامي وهو (الخالق) وينسون التعاطف مع المعاناة والألم الإنساني .

البعض تحكمهم المزاجية في تفسير الأحداث والظواهر والمحور عندهم هو (التدين) ومثال على ذلك :

- أذا احترق بيت أحدهم و كان ملتزم دينيا سيقول نسبة من المتدينين إن هذا (ابتلاء وامتحان)وإذا كان غير ملتزم سيقولون إن هذه (عقوبة من الله) بسبب عدم امتثاله لأوامره.

- لو ابتهل الملتزم دينيا الى الله وتحقق ما يريد سيقول (الحمد لله أن الله وفقني وحقق لي ما اريد) وأذا لم يتحقق ما يريد سيقول (لا بد أن لله حكمة وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم). أما لو ابتهل (غير الملتزم) الى الله واستجاب له سيقول الملتزمون دينيا (يمدهم في

طغيانهم يعمهون) واذا لم يستجب الله له سيقولون (إن دعاء هذا الرجل محبوس بسبب سوء أفعاله)

- لو أنجب فلان الفلاني الملتزم طفلا واكتشفوا أنه متخلف عقليا سيقولون إنه اختبار أما إذا كان كامل الخلقة والاخلاق سيقولون أنه هبة من الله . أما إذا كان والد الطفل سكير فسيقولون انظروا سوء عاقبة شارب الخمر كيف أنجب طفلا متخلفا .

- اذا حدث زلزال في إيران سيقولون أنه اختبار وابتلاء للمؤمنين وإذا حدث في أميركا سيقولون إنه عقوبة من الله لعدوة الشعوب والشيطان الأكبر .

- إذا حدث فيضان في السعودية سيقولون إذا أحب الله عبدا أبتلاه أما إذا حدث في تايلند سيقولون أنه غضب الله على الكفار .

- سيدة طيبة حنونة لم توفق في إنجاب أطفال وبعد عمر طويل يموت زوجها لتعيش وحيدة بين طيور الزينة التي تؤنسها بتغريدها الحزين لتقضي ما بقي من عمرها بائسة وحيدة . ذهبت لتزور فلانة المتنعمة بالجو العائلي بين أبنائها وأحفادها فقامت بعد خروجها بتبخير البيت وقراءة المعوذات من عين الحسد التي تحملها هذه العاقر البائسة . واقع هكذا نماذج أنهم يتعاملون مع الآخر على أساس أنهم مميزون من قبل الله لأفضلية فيهم لذلك يخافون من الآخر غير المنعم وغالبا ما يظهر غرورهم على السطح حتى لو حاولوا عدم إظهاره . وتصرفات هؤلاء غريبة فكثيرا ما يخفون أتفه الأمور التي تحدث في حياتهم عن الآخرين.

- لم أجد مقطع فيديو لشخص شكله غريب او غير طبيعي أو مصاب بحالة نادرة إلا ووجدت تعليقا يقول : (الحمد لله الذي عافانا بما ابتلى به غيرنا خلق الله هذا الشخص للعبرة فاعتبروا واحمدوا الله على كمال الخلقة) .

لا أجد نفسي ملزما بأن اقارن نفسي بمن هو أسوأ لأشعر بالافضلية فلا مجال لأي مقارنة لأن أول ما يجب أن يفكر به أي كائن حي حين يجد معاناة الآخرين أمامه هو التعاطف معهم ومحاولة رفعها عنهم قدر الإمكان وهذا ما يريده الله حقا بل هو صلب التدين والتقرب الى الله .

قبل خمس سنوات كنت في أحدى المستشفيات لعيادة والدة زوجتي تلك الانسانة الطيبة التي رحلت عن هذا العالم قبل سنتين وتركت في حياتنا فراغا كبيرا . وجدت حينها مريضا يصرخ بصوت عالي سألت أحدهم عن حالته فقال لي (إن هذا المريض متخلف عقليا ومصاب بمرض في القلب وعجز في الكلى ومرض في الرئة بحيث لا يتمكن من التنفس الا من خلال الأوكسجين) ليس لي إلا أن أقول بمن سيقارن هذا المسكين نفسه ليشعر براحة ؟؟؟ ولو وجدنا من هو أسوأ منه فبمن سيقارن نفسه ؟؟؟ وبماذا أنتم مفضلون ليعطيكم الله كمال الخلقة ؟ ولماذا هذا الشخص يعاني ثم يعاني ثم يعاني وهو متخلف عقليا ولا يدري ثم

لا يدري ثم لا يدري لماذا يعاني . كل التفسيرات مبنية على إعطاء أفضلية للمؤمنين الملتزمين على غيرهم لأن عقولهم مركبة بهذه الطريقة . طريقة تفسير كل شيء لصالحهم لذلك نجد أن الكثير من المتدينين ينصبون أنفسهم ناطقين رسميين باسم الله و يصرحون (إختبار وامتحان) هنا و (غضب من السماء) هناك .

هكذا نوع من الناس دائما يبحثون عن تفسير ليتبجحوا بتصريحاتهم الصادرة باسم السماء زورا وبهتانا والتي تعلي من شان المؤمنين المتدينين وترضي غرورهم وتقلل من شأن غيرهم مهما كان الحدث ومهما كان الواقع . فهم محور كل شيء بل هم محور الكون .

يقول سبينوزا : رغم كثرة المنافع التي تقدمها الطبيعة , لم يجدوا بدا في ذكر المساويء العديدة , كالزوابع والهزات الارضية والامراض ...ألخ, واقروا بأن هذه الظواهر انما تعبر عن غضب الله المغتاظ من ذنوب الادميين او من تهاونهم في عبادته . ورغم ان التجربة تكذب يوميا هذا الاعتقاد وتبين , بالاعتماد على امثلة لا تحصى , ان الاتقياء والزنادقة يكونون عرضة للنعم او المصائب حد السواء , فانهم لم يتخلوا مع ذلك عن هذا الحكم المسبق المتأصل فيهم. (انتهى) (1)

التصوف الثوري

يتصور البعض ان الاستفهام والاعتراض والاستنكار الداخلي الذي يكون منبعه مشاهدة ظواهر الالم الغير مبرر يجب قمعه والاستغفار منه لانه صوت الشيطان الذي يحاول تشكيك الانسان بمنطقية الله وعدالته ويحاول ايهامه بعدم جدوى هذه الحياة . ان هؤلاء الذين يتاجرون بكل خسة بصور اطفال ولدوا مشوهين تحت شعار (تملقوا الله لانه خلقكم افضل حالا منهم) يجسدون كل معاني الدنائة في هذا العالم . ما يفعله هؤلاء منبعه الشر والشيطان وهم من يجب ان يقفوا بخجل امام الانسانية لاستغلالهم صورة انسان ولد ليعاني . من يجب ان يستغفر هو من يقول (ان الله خلق هذا الانسان للعبرة او لمعاقبة اهله) وليس من يتعاطف معه ويتأسى لحاله ويتسائل بكل صدق عن سبب معاناته .

من يقول لك : ليس من حقك ان تتسائل حول لا جدوى معاناة هذا الانسان لان الله خلقه هكذا وهو حر في ان يخلق ما يشاء ففي النهاية المخلوقات ملكه (مالك الملك) هو من يجب ان يتوب ويستغفر لان سوء العاقبة مصيره المحتوم على الاقل في هذه الحياة فهو بذلك قتل ضميره. وصوت الضمير لا يمكن ان يكون الا (صوت الله) والموت ارحم بكثير من ان يعيش الانسان بلا ضمير . شعرت بالصدمة حين شاهدت (باحث اسلامي عقلاني متمدن مجدد) يشار له بالبنان في الاوساط العقلانية يقول المضمون السابق فماذا يقول اذن اتباع الخط التقليدي؟؟؟الاستفهام والتسائل هو صوت المعرفة وقمعه هو قمع للقيمة البشرية والادمية .

اعتقد ان الاستفهامات العقلية لون من الوان التفاعل الروحي مع الخالق . اذا كانت الصلاة لون من ألوان التواصل مع الخالق فالاحتجاج على كل ما في هذا العالم من قسوة ولا مبالاة اسمى درجات التصوف الثوري . رفض اي لون من الوان العبثية منبعه الحب دائما وابدا . اي فكرة يكون منبعها التعاطف مع المألومين في هذا العالم هي فكرة روحية سامية. ان المألومين يشعرون بنسمة الحب الدافئة التي تخرج من قلوب من يتألمون لأجلهم . وذلك الاحتجاج النابع من الحب المحض هو تصوف عفوي ثوري المحراب فيه هو كل ما في هذا العالم من وجع والانقطاع فيه والانعزال هو عن كل ما في هذا العالم من تملق زائف للرب وخوف محض من النار اورغبة محضة في حور عين وغلمان مخلدون.

لابد ان تجد من يقول لك : ان اول من احتج ورفض هو ابليس ومنبع اي احتجاج واستفهام هو كبيرهم الذي علمهم السحر (ابليس نفسه)

شتان بين هذا وذاك...ارجع الى المنبع لتلمس الفارق الكبير فابليس منبع احتجاجه ورفضه هو (الغرور الشخصي) اما المألومين فمنبع شعورهم بآلام الاخرين واستفهامهم حولها هو (الحب والتعاطف) وليس الغرور . وفرق شاسع بين شر الغرور وخير الحب .

هناك من ينسبون لأبليس العقلانية في رفضه السجود لادم لانه رفض القيام (حسب تصورهم) بفعل غير عقلاني . والواقع هو ان ابليس لا صلة له باي عقلانية لا من قريب ولا من بعيد . نعم هو متصل بالغرور والتملق .

والدليل على ان سجود ابليس لله مجرد تملق واعتراضه على السجود لادم مجرد غرور هو ان ابليس لم يستفهم اصلا عن سبب سجوده لله ولو كان عقلانيا لكان اولى به ان يستفهم عن العلة من السجود بالمطلق وليس فقط يعترض على السجود لادم لانه اقل منه منزلة حسب تصوره .

منبع مواضبة ابليس على السجود هو تصوره ان هذا الفعل يقربه من الله ويعلي من شانه عنده. لكنه حين علم ان هناك من له مكانة اكبر عند الله انتفت الحاجة للسجود فلا جدوى من السجود اذا لم يجعله الاول وهذا هو التملق بعينه لذلك رفضه السجود لادم ليس فعل عقلاني بل مجرد غرور لا عقلانية فيه . ابليس سجد لله سنوات طويلة دون ان يفكر ان يساله ولو مرة عن سبب سجوده له . وهكذا يفعل نسبة من الناس فمنبع افعالهم هو شعورهم ان الله يرضى عنها سواء تعقلوها او لم يتعقلوها .

بعض الناس محور تفكيرهم حين يقومون بشيء معين هو ان ينظر الله لهم بعين الاطراء ويعطيهم منزلة عالية . واخشى انهم لو اكتشفوا يوما ما ان هناك اشخاص (مغمورين) لا يلتزمون بالشكليات ولا يواضبون على اعمال شاقة مثلهم بقدر مواضبتهم على (اشاعة الحب ونبذ الكراهية) لهم مكانة رفيعة عند الله لم يستطيعوا هم الوصول لها مع كل ما بذلوه من جهد . اخشى ان يكون سلوكهم كسلوك ابليس الذي ابى واستكبر .

ماذا لو كان ما يقولونه صحيح وان الله سيحرقني وامثالي في النار ؟؟؟

اذا فعل بي ذلك واحرقني فعلا كما يدعون فساشعر بالاسف ولسان حالي يقول (ما هكذا الظن بك) لكني بعد ان اتذوق طعم الاحتراق بالنار بكل تاكيد سارضخ واتراجع واتوسل ان يتركني بل سألعن نفسي وعقلي واستفهاماتي واتبنى اي فكرة ترضيه ليس لاني مقتنع ومطمئن النفس بل لاني اريد التخلص من العذاب فقط . واتمنى لهؤلاء الذين يدعون ليل نهار ان يحرق المختلفين عنهم بالعقيدة او الفكر او نمط الحياة ان يكونوا في الجنة يمارسون الجنس مع حور العين ويشربون من خمر الجنة واتمنى ايضا ان تكون عندهم شاشة كبيرة الحجم تبث لهم برنامج الواقع (fire got talent) على الهواء ليشفي غليلهم ويشبع ساديتهم .

لكن هذا الكابوس (من حيث نحن) والحلم (من حيث هم) مستحيل التحقق (حسب قناعتي) فلا يستقيم ان يكون خالق هذا الكون الفسيح ينفعل ويغضب لا لشيء الا لان شخص لا قيمة له قياسا بالكون استفهم وفكر واستنتج.

كيف يرون الله ؟؟؟

من الجدير بنا ان نتوقف عند هذه الصورة التي يتخيلها نسبة من الناس (يغضب على احدهم ويحرقه لانه ابدى رأيه واستفهم واعترض وشكك) هذه الصورة تليق بمن؟؟؟ الخالق ام هتلر؟؟؟ ارجعوا الى المقطع مرة اخرى وتأملوه واجيبوا انفسكم بصدق هل هذه الصورة تليق بالله ام بهتلر؟؟؟

بعض الناس يؤمنون بوجود الخالق لكن يظفون عليه صفات هتلرية ستالينية موسيلينية ويتهمون من ينكر تلك الصفات وينزهه عنها بانه كافر... الواقع الذي اراه ان هؤلاء يؤمنون بهتلر ويسمونه الله وفي نفس الوقت يتهمون كل من ينزه الخالق عن الهتلرية بالكفر والالحاد . نعم من الجدير باي انسان ان يكفر بالصفات الهتلرية وينزه الله عنها بل يجب ان توجه لهؤلاء الهتلريين تهمة الكفر (بالرحمة والحنو)

حين اؤمن ان الله ارحم الراحمين وادعوه ان يحرق فلان بدعوى انه يكفر به فالواقع اني اما اكذب في قولي ان الله ارحم الراحمين او اكره ان يكون ارحم الراحمين واشتهيه ان يكون اعظم الانفعاليين .

قد يقول احد هؤلاء الذين يعبدون هتلر ويسمونه الله (ان عدالة السماء تحتم ان...) اسكت يا هذا ولا تتجرأ وتنطق مفردة العدالة بلسانك وانت تدعو ليل نهار ان يحترق فلان ويسلخ جلد علان فقط لانه يختلف عنك في الرأي لا اكثر ...من اين لك الجرأة وتتحدث بالعدالة؟؟؟ نعم من ينزهون الله و يتواصلون معه عن طريق ضميرهم المتقد ويتقبلون الاخر حتى لو

كان لا يعترف بوجوده اولئك يجسدون الرحمة الالهية على الارض بسلوكهم وافعالهم هم اولى واجدر بالحديث عن العدالة اما انت فجدير بك ان تتحدث عن النذالة .

هناك مؤمنين طيبين يتعاطفون مع المألومين ويساعدوهم ويتضرعون لاجلهم (وهم نسبة لا يستهان بها) وهؤلاء ليسوا محور نقاشنا...نتحدث عن هؤلاء الذين حطموا الرقم القياسي في الدفاع عن الله مع أنهم يعتقدون أنه صاحب قدرة مطلقة . ما هي مواصفات الله كما تصفها سلوكياتهم وطريقة تفكيرهم وليس كما يقولون بلسانهم . نعم يقولون إن الله مطلق القدرة رحمن رحيم ليس كمثله شيء . لكن بماذا تنطق سلوكياتهم وطريقة تفكيرهم ؟؟؟

عقدة الشعور بالذنب واستحالة نيل رضا الله

لو حللنا طريقة تعاطي هذه الشريحة مع الظواهر المؤلمة سنجدهم يبحثون دائما عن مبررات تنزه الله من التسبب بالألم . وتبرز بشكل واضح عقدة الشعور بالذنب ومعضلة العجز الدائم عن نيل رضا الله . يعتقدون أنهم مسؤولون بطريقة أو بأخرى بالتسبب بهذه الحالات فهم مجتمع مسيء الى الله والله محق حين يفعل بهم هكذا أمور بتدبير يحمل خلفه حكمة وعدالة . وتتجسد هذه الحالة في القول المشهور (هاي كلها من سوء افعالنا) إذا (حضرة جنابك) تعتقد أنك سيء لماذا على غيرك ان يدفع الثمن ؟؟؟

حسب منطق المزاجيين...حين تتأمل من يولد بتشوه خلقي فكل ما عليك هو أن تتظاهر أمام الله بأنك متفهم وانك تعلم أن هناك حكمة عقلك قاصر عن فهمها وإذا قلت في نفسك لا إراديا (لماذا يا إلهي) فعليك ان تتدارك الموقف وتقول (أستغفر الله والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا) والجملة الأخيرة تترجم بالعراقي (همزين الله مو آني) هو بهذا القول يوافق ضمنيا ان يخلق الله مشوهين لكنه سعيد أن التشوه لم يكن فيه او في عائلته... هناك اشخاص قلوبهم خالية من الرأفة والرحمة تحولوا الى جنود مغسولي الادمغة في كتيبة الطاعة العمياء يتصورون ان الله يخلق اشخاص مشوهين ليشعرهم بمدى اهتمامه بهم ومدى عطفه عليهم حين خلقهم كاملي الخلقة .اما اصحاب القلوب الرحيمة فيقولون (إلهي ارحم هذا المسكين برحمتك وخلصه من العذاب) ويتعاطفون معه ويمدون له العون .

يتصورون أن الله يخلق أشخاصا ناقصي الخلقة بين فترة وأخرى ليتعظ الأشرار ولكننا لم نرى شريرا يتعظ لأنه شاهد شخصا ناقص الخلقة !!! حسب تصورهم وجهة نظر الله تقول (حسنا أنا قادر على خلق إنسان كامل الخلقة لكنني أخلق اشخاص غير مكتملي الخلقة بين فترة واخرى لأخيف الاشرار بهم ليتركوا فعل الشر) لكن المفارقة أن الأشرار لا يتعلمون الدرس والتشوهات مستمرة . بل الاشرار يتصورون ان نجاحهم دائما في تحقيق مبتغاهم هو نصر الهي مؤزر وموافقة من الله على افعالهم.

قال الخالق في القران (أولم يتفكروا في انفسهم) ها نحن نتفكر في انفسنا . لم يقل (ليفكر رجال الدين نيابة عنكم) قال بالنص وبالحرف (أولم يتفكروا في انفسهم) والتفكر يلزم اتباع

صوت العقل وفي مكان اخر قال (وهل يستوي الاعمى والبصير افلا يتفكرون) قطعا لا يستويان . هل يعقل ان تمتلئ هذه الحياة ألم ولا يسال الانسان نفسه ولو لحظة عن المغزى ؟؟؟ من لا يتفكر لا يسأل فقد اعتاد على الاجوبة الجاهزة.

لنقف قليلا عند المعادلة التالية :

الله خلق كل شيء...إذن الله خلق المشوهين...إذا كان الجواب نعم فهذا يعني أن الله تسبب في معاناتهم...وإذا كان الجواب لا فهذا يعني أن هناك أمورا تحدث ليس لله فيها يد وهذا ينفي قدرة الله المطلقة...إذا كان الله خلقهم هكذا كعقوبة للوالدين مثلا فما هو ذنب الطفل كي يعذب ؟؟؟ إذا كان الله خلقهم مشوهين لحكمة مخفية عن البشر أو لا يمكن للعقل البشري استيعابها فهذا خلاف العدالة فمن غير المعقول ان يخلق الله (ما يراه عقل الانسان مؤلم) ويخفي عنه الصورة التي تجعله منطقي وطبيعي .

لا اتبنى هذه المغالطة لكني احتج بها على من يتبجحون في تفسير كل ظاهرة مؤلمة لما يناسب مزاجهم . كل الاشياء التي تسبب الالم لها تفسيرات علمية و العلم (غالبا) يقلل اثارها او يمحيها من الاساس . اعتقد ان مسببات الالم بعضها يتحمل البشر مسؤوليتها وبعضها الاخر خارج ارادة البشر . من المهم معرفتها والاستفهام حولها لكن من السيء ان نستغرق في البحث عن جهة نلقي اللوم عليها. كل ماعلينا هو ان نقلل الالم قدر المستطاع .

الثواب اللحظي والثواب الآخروي

اذا كان الله مطلق القدرة (حسب المؤمنين) فلماذا أعين نفسي محاميا عنه واذا كان الله غير موجود (حسب الملحدين) فلماذا اتهجم على من (لا وجود له)؟؟؟ الجدوى كل الجدوى في حب الخالق والمخلوق (من حيث المؤمنين) وحب الكائن الحي (من حيث الملحدين) اتهام الله او الدفاع عنه مضيعة للوقت...حين يشاهد صاحب الضمير الحي شخصا يعاني لأي سبب كان (اذا كان مؤمنا) لا ترتفع غيرته على الله بل ترتفع على المألوم و(اذا كان ملحدا) لا ينشغل في اتهام الله بل بالمألوم . يدعو المؤمن الطيب (ان يرحم الله التعساء) لكنه لن ينتظر أن يستجيب الله دعاءه بل سيتحول هو الى استجابة للدعاء ويكون مصداقا للرحمة .

قد يبحث بعضهم من تقديمهم يد العون عن (ثواب في الاخرة ورفع المعاناة عن الاخرين في الدنيا) وهذا أمر جيد وقد يبحث البعض الاخر عن (الثواب في الآخرة فقط) وهذا أمر أناني...لكن هناك من يبحثون عن الثواب اللحظي وهو ذلك الشعور الرائع الذي يحدث بعد ان يقوم انسان برفع الألم عن إنسان آخر .

لا أستبعد ان للبعض رغبة في وضع المشوهين في معرض وعرضهم على الناس ليخيفوهم من إمكانية ان يفعل الله بهم هكذا اذا لم يلتزموا بأوامره...الله يتواصل مع من يحركهم الضمير وليس مع من يحركهم الخوف والرغبة في التمجيد لشخصه (هذا ما ارجحه) ولو

ثبت ان ما يروجون له في ان الله يهتم جدا (لمجده الشخصي) فهذا امر محبط ومؤسف . الغريب ان بعضهم يسلمون بصحة الكثير من الامور الغيبية لكنهم غير متيقنين منها و في نفس الوقت يتجرأون على قمع الناس واملاء آرائهم عليهم بناءا على ظنونهم واستحساناتهم و يريدون من الناس الالتزام بنمط حياة وافكار معينة وهم انفسهم يسلمون بصحتها تسليما!!!

ملحدون يدافعون عن الله ومؤمنون يتهمونه

الملحد الذي ألحد بسبب لا معقولية وجود خالق (يأمر بقتل من لا يؤمنون به) اكثر انصافا لله واكثر احتراما لمكانته العليا من ذلك المؤمن الذي يؤمن (ان الله امره ان يقتل من لا يؤمنون بوجوده)

الملحد الذي ألحد بسبب لا معقولية فكرة وجود الله مع كل هذا الكم الهائل من الظلم في العالم هو أكثر احتراما لله من المؤمن الذي يعتقد أن الخالق أمره أن يغزو العالم باسمه...الملحد ينزه الله ويحترمه من خلال إنكار وجوده بهذه الصورة البشرية المقيتة (قائد عسكري ذو ميول توسعية) أما المؤمن المتطرف فيصر على أن الله أمره ان يقتل المشركين ويتخذ من نسائهم جواري .

الملحد : يا أخي لا يعقل ان هناك إله بهذه القسوة يزلزل الارض تحت أقدام الأبرياء ويقتل الآلاف منهم

المؤمن : أخرس الله لسانك الله موجود وسيصيب لسانك بالسرطان لانك تجرأت عليه

الملحد : هل يعقل أن هناك إله خالق لكل هذا الكون الفسيح وينفعل لاني قلت رأيي

المؤمن : نعم الله موجود رغم أنفك وأنف كل ملحد مثلك...أللهم أرني فيه عجائب قدرتك...اللهم شل لسانه اللهم مزقه اللهم اهتك حرمته وعرضه .

لك أن تتأمل...من يحب الله ؟؟؟ هل هو من ينكر وجوده احتراما لعمق فكرة وجود خالق لهذا الكون ام من يتخيله زعيم عصابة يعشق التملق؟؟؟

لك أن تتأمل...من الذي ينزه الله ومن يجعل منه دكتاتور لا يقاوم التزلف ويعشق اختبار قدراته في تمزيق الأجساد وإنزال المعاناة على مخلوقاته .

الحوار الافتراضي السابق يعرض اسوء المؤمنين يحاور افضل الملحدين ولا يمثل صورة عامة بالضرورة والعكس موجود على ارض الواقع .

لنتوقف عند نوع محدد من المؤمنين...هؤلاء الطيبين الذين يعيشون حياة مسالمة ملؤها الطيبة لكنهم يؤيدون أفعال وافكار خالية من الإنسانية

قد تناقش أحدهم عن حكم الرجم مثلا وعدم إنسانيته وهو يقر بعدم إنسانيته لكنه غير قادر على نقاش ليس فقط عدم إنسانيته بل رأي ديني آخر يقول بعدم صحته. لسان حالهم يقول (الله يأمرنا ونحن نطيع) وقد يوجهون اليك الاستفهام التالي (ماذا لو كنت موجودا في زمن النبي محمد وامرك برجم الزاني هل سترفض ؟؟؟)

ليس فقط أرفض بل سأطلب دليلا يثبت النبوة (وهذا ما يطلبه اي إنسان عاقل أو شبه عاقل حين يقول أحد الناس إنه مرسل من الله ويطلب منه ان يلقي احجارا على رأس بشر حتى الموت)

مع اني ارجح ان هذا الحكم لا اساس له في الاسلام لكن على فرض اثبات صحته بالدليل القاطع فسارفضه حتما فمع استقباحي للخيانة الزوجية إلا أني استقبح الرجم ايضا...ماذا أفعل إذا كانت طبيعتي تستقبح الرجم كعقاب؟؟؟هل أنافق الله وأقول له الرجم جميل كي لا يؤذيني فقط؟؟؟ هناك عشرات العقوبات الممكنة وعشرات الحلول الاجتماعية للخيانة الزوجية خالية من القسوة والعنف وأكثر جدوى...هذا ما أراه هل أكذب على الله وأقول له إني أحب الرجم فهو جميل وحل مثالي للزنا؟؟؟يفضل البعض أن يكذبوا على انفسهم ويحاولون التظاهر امامها أن ما يرونه قبيح ليس قبيح فعلا بل جميل لكن عقلهم قاصر عن رؤية الجمال...مصارحة الله بحقيقة ما أشعر أفضل كثيرا من ادعاء العكس خوفا منه مع أنه في كل الاحوال يعرف بماذا أفكر أليس كذلك ؟؟؟

هؤلاء المؤطرون بفكرة تقديس الفقه وليس تقديس الضمير هم اشخاص مسالمون على الاغلب لكنهم لا يجدون مشكلة في ممارسة العنف من قبل آخرين طالما أن مصدر العنف هو فكرة مقدسة أخذت تقديسها من التراث الديني .

يقول الامام علي: اعرف الحق تعرف اهله...الحق كما اراه هو ان الرجم عقوبة شنيعة فضلا عن أنها لا تجعل الزوجة او الزوج مخلص بل تجعله ممتنع عن الخيانة خوفا لكنه يتمنى ان يمارس الجنس خارج العلاقة الزوجية (ولا اقصد بذلك من طبق عليه الحد فهذا ذهب في ستين داهية) الخيانة الزوجية حتى في حال عدم حدوثها خوفا او لعدم توفر الفرصة المشكلة ستبقى قائمة فهناك عدم اخلاص فقد يكون أحدهم تواقا لممارسة الجنس مع أخرى لكن الفرصة لم تتوفر له ولن يجد مشكلة في استغلال أي فرصة للخيانة...بربكم ما الفائدة التي سيجنيها أحدهم لو قاموا برجم زوجته التي خانته حتى الموت غير التشفي ؟؟؟ نعم الرعب وحده هو من سيمنع اخريات من الخيانة وليس الاخلاص .

من لا يخلص لزوجته فلا يستحقها ولتتركه ليضيع وحده وتكمل حياتها مع من يستحقها...بماذا سينفعها رجمه حتى الموت غير التشفي هذا لو تحملت رؤيته بهذا

المنظر...قال لي احدهم مرة انه اذا تزوج سيمنع زوجته من الخروج من المنزل ولن يسمح لها باستخدام الهاتف النقال والسبب هو حالات الخيانة الكثيرة التي مرت امامه وافقدته الثقة بكل النساء . هو في الواقع يعتقد ان منع الزوجة قسرا من الخيانة امر جيد ويحفظ له شرفه لكن فاته انها قد تتخيل الف رجل يضاجعها بداله .

ماذا لو ضاجعت الزوجة رجلا اخر بخيالها كيف سيمنعها ؟؟؟ اذا كانت الزوجة تتمنى ان تخون زوجها لكن فقط لانها لا تخرج من المنزل ولا تستطيع استخدام الهاتف لا تخونه فهي تستطيع ان تتخيل غيره يضاجعها...القوة لا تخلق الاخلاص...لا يوجد ما يمنع الزوجة او الزوج من الخيانة سوى الاخلاص . الخيانة موجودة في كل مكان وزمان بنسب متفاوتة وعلاجها هو الوقوف على العلل ومعرفة الاسباب وتحليلها من جميع النواحي الاجتماعية و النفسية وغيرها . ويبدو ان الانفصال والطلاق افضل عقوبة للخائن او الخائنة . على كل حال هناك نوع من البشر (من كلا الجنسين) يخونون مع اخلاص الشريك لهم ومع عدم تقصيره معهم . لا يحتاج الخائنون الى سبب وعذر دائما .

هل العقوبات الجسدية (بصورةعامة) تجعل الانسان مستقيم ام خائف؟؟؟ جوهر العقوبة (كما ارى) هو (الردع وتحمل العواقب) القانون الثابت دائما وابدا هو (حرمة انتهاك حقوق الغير) اما وسائل تطبيق هذا القانون فهي متحركة ترتبط بتطور التجربة البشرية وهذا ما يحدث على ارض الواقع فعلا ويعلمونه جيدا لكن لا يجرأون على البوح به علنا . الجوهر ثابت دائما وابدا لكن الوسائل متحركة غير ساكنة اما جعل الوسائل القديمة (على فرض انها كانت موجودة فعلا) ثابتة في كل زمان ومكان فهذا يذيب الجوهر ويبقي القشر.

ما هو الرجم :

وهي عقوبة تطبق ضد الزاني المتزوج ويدفن فيها جسده الى النصف ثم تلقى عليه الحجارة حتى الموت . ولا تطبق العقوبة (الزنى بصورة عامة) الا بتوفر شروط محددة من أهمها شهادة أربع شهود شاهدوا عملية الزنا بأم أعينهم . مصدر عقوبة الرجم للمحصن هو الروايات والاحاديث وليس القران ومن يطبقونها أو يؤمنون بصحتها يعتمدون على احاديث وروايات تنص على ان هذه العقوبة قد تم تطبيقها في زمن الرسول محمد .بل هناك من يستدلون على اية خاصة بالرجم لكن نسخ نصها وبقي حكمها !!! والجدير بالذكر ان علماء الفريقين من (سنة وشيعة) يعتقدون بأن عقوبة الزاني المحصن هي الرجم ألا قلة نادرة . وحتى لو كان الفقيه يجد ان تطبيق الحكم عسير وغير ممكن او موقوف في هذا الزمن الا انه يراه حكم شرعي من حيث المبدأ حتى لو كان لا يطبقه على ارض الواقع .

يبين الأستاذ أحمد عبد القادر محمد البهي الحاصل على درجة الماجستير في الفقه المقارن (جامعة الازهر) الأدلة الفقهية في أعتماد حد الرجم كعقوبة للزاني المتزوج (في معرض جوابه عن سؤال يتعلق بحد الرجم) بالشكل التالي :

ليس في كتاب الله آية تتلى فيها عقوبة الرجم على الزاني المحصن، إلا أن الله أنزل على نبيه عليه السلام آية كانت تتلى فيها الحكم على الزاني المحصن وهي قوله (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته نكالاً من الله والله عزيز حكيم) ثم نسخها الله لفظًا وبقيت حكمًا.وهذا هو معنى قول عمر بن الخطاب: (إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب.. فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأتها وعقلتها ووعيتها، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل، ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى، فالرجم حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف، وقد قرأتها -الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته نكالاً من الله والله عزيز حكيم-) متفق عليه . هذا وقد ثبت الرجم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله في الصحيح، وأجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم....(انتهى) (2)

في الجانب الاخر يؤكد السيد جعفر علم الهدى أستاذ البحث الخارج في حوزة قم ان عقوبة الزاني المتزوج هي الرجم وذلك حين وجه له أستفسار حول مدى بشاعة هذه العقوبة وحول الدليل الذي يبين ان عقوبة الزاني المتزوج هي الرجم مع وجود اية تحدد الجلد كعقوبة للزنى بصورة عامة دون تحديد ان كان الزاني متزوج ام لا فأجاب الجواب التالي :

هناك روايات كثيرة من طرق الشيعة والسنّة تدلّ على حكم الرجم ، وهو حدّ ثابت للزاني المحصن ، والزانية المحصنة ، وحكم الله تعالى مستمرّ إلى يوم القيامة ، ولا يصغى إلى ما يقال : من أنّ هذه العقوبة توجب تنفّر الناس غير المسلمين ؛ لأنّ رضاهم وتنفّرهم لا أثر له ، وقد ورد في المثل السائر : (رضى الناس لا يملك) ، وقال الله تعالى (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) البقرة/120. والله تعالى حكيم على الإطلاق ، وله الاحاطة التّامّة الكاملة بالمصالح والمفاسد الشخصية والاجتماعية ، وتكون أحكامه تابعة للمصالحة العامّة ، أو الخاصّة الواقعية ، لا ما نراه بعقولنا الناقصة ؛ لأجل محدودية علمنا واحاطتنا .ولعلّ رجم الزاني المحصن لوحظ فيه بشاعة العقاب لكي يرتدع منه عامّة الناس ، ولولاه لم يحصل هذا الارتداع ، ووقع المجتمع البشري في فساد عظيم ، أهونها تفكك عرى المجتمع ، واختلاف نظام الأُسرة التي هي النواة الأصلية لمتجمع البشري السالم(انتهى). (3)

هناك قلة نادرة لا بد ان نتوقف عندها . تقول برأي يخالف الرأي الشائع . ويعتقد هؤلاء ان عقوبة الزاني (محصن وغير محصن) هي الجلد حسب نص القران ومن هؤلاء البروفيسور الدكتور مصطفى أبراهيم الزلمي الأستاذ المتمرس في الشريعة والقانون , والذي ألف كتاب اسماه (لا رجم في القران) ويقول في المبحث الاول من الكتاب والذي يحمل عنوان (الرجم والقران) :

لا توجد في القران الكريم اية واحدة تشير من قريب أو بعيد الى مشروعية رجم الزاني المحصن أو الزانية المحصنة , وبعكس ذلك في القران ايات كثيرة تدل دلالة قطعية على ان عقوبة مطلقة . عذاب دنيوي يتمثل بالجلد والحبس والعضل وغير ذلك. (انتهى) (4)

اما عن الرواية التي تتحدث عن اية الرجم فيقول :

هذه الاكذوبة هي في الاصل عرف جاهلي وفق التعاليم اليهودية وهي ليست اية قرانية نسخت تلاوتها وبقي حكمها , كما زعم السطحيون . (انتهى) (5)

ويعرض الدكتور مصطفى أبراهيم الزلمي أدلة كثيرة تفند صحة هذه الرواية منها مثلا :

- من له ادنى ذوق بلاغي يعلم أن هذه العبارة بعيدة عن كلام الله , لأن كل كلمة أو جملة أو اية في القران تتسم ببلاغة تفوق بلاغة كلام البشر (انتهى) .(6)

- القول بانها كانت اية قرانية نسخت تلاوتها وبقي حكمها , خطأ فاحش لأمرين : أحدهما : لا نسخ في القران , كما أثبتنا ذلك في مؤلفنا (التبيان لرفع غموض النسخ في القران) بالأدلة العقلية والنقلية . والثاني نسخ المعنى والأحتفاظ بلفظه , او نسخ اللفظ وبقاء معناه , خطأ يرفضه المنطق والعقل السليم , لأنهما متلازمان لزوما بينا بالمعنى الاخص , فالغاء أحدهما يستلزم الغاء الاخر بداهة في الذهن وخارج الذهن (انتهى) .(7)

- الرجم منوط بالاحصان لا بالشيخوخة , فالشاب المحصن والشابة المحصنة يرجمان على حد زعمهم , والمفهوم المخالف لتعبير الشيخ والشيخة , هو أنهما لا يرجمان (انتهى) .(8)

- الشيخ غير المحصن لا يرجم وان بلغ من العمر عتيا باتفاق الاراء (انتهى) .(9)

أضافة الى هذه الادلة يبين الدكتور الزلمي أدلة اخرى كثيرة تذهب جميعها الى تفنيد هذه الرواية وتفنيد الحكم الفقهي الذي يستند عليها وهو رجم الزاني المحصن .

ومن أبرز القائلين بهذا الرأي أيضا (الشيخ محمد أبو زهرة) وهو من كبار علماء الأزهر. وصرح بذلك في مؤتمر ندوة التشريع الأسلامي الذي عقد في ليبيا عام 1972. يقول الشيخ أبو زهرة :

اني كتمت رأيا فقهيا في نفسي منذ عشرين سنة , وكنت قد بحت به للدكتور عبد العزيز عامر وان لي ان أبوح بما كتمته قبل ان ألقي الله ويسالني : لماذا كتمت ما لديك من علم ولم تبينه للناس ؟ هذا الرأي يتعلق بالرجم للمحصن في حد الزنا . ان الرجم كان شريعة يهودية أقرها الرسول (ص) ثم نسخت بحد الجلد في سورة النور.(10) ولي على ذلك أدلة ثلاث : الأول : ان الله تعالى قال : (فأذا أحصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) . والرجم عقوبة لا تنصف , فثبت ان العذاب في الاية هو المذكور في سورة

النور : وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)(11)...الثاني : ما رواه البخاري في جامعه الصحيح عن عبد الله بن اوفى أنه سئل عن الرجم , هل كان بعد سورة النور أم قبلها ؟ فقال: لا أدري فمن المحتمل جدا ان تكون عقوبة الرجم قبل نزول اية النور التي نسختها . (12)...الثالث : أن الحديث الذي أعتمدوا عليه (الشيخ والشيخ أذا زنيا فارجموهما) وقالوا انه كان قرانا ثم نسخت تلاوته وبقي حكمه , امرا لا يقره العقل , لماذا نسخت التلاوة والحكم باق؟ وما قيل انه كان من صحيفته فجائت الداجن وأكلتها , لا يقبله منطق (انتهى).(13)

نظرية الخداع بدافع التقوى...وأخواتها

لست هنا في معرض نقاش حدوث المعجزات من عدم حدوثها فهناك من يؤمنون بحدوث معجزات وهناك من لا يؤمنون . وأنا من المؤمنين بحدوث ظواهر خارقة للعادة كشفاء مريض يعاني من مرض يعجز الطب عن علاجه بسبب قوة إيمانه بعقيدة معينة . قد يقول قائل (ان العلم لم يثبت شيء من هذا ولا يوجد دليل على صحة هذه الاشياء) حتى لو كان العلم لم يثبت ذلك . العلم لم يتوقف عن البحث ولا ندري ماذا سيثبت في قادم الايام وفي نفس الوقت قد اؤمن باشياء بناءا على معطيات معينة وقناعة ذاتية لكني لا اطلب من الاخرين الايمان بها معي . في كل الاحوال ليس هذا محور نقاشنا . ما أريد الحديث عنه هو مجموعة من النظريات والمبادىء والسلوكيات التي تستند على عنوان (الغاية تبرر الوسيلة)

- نظرية الخداع بدافع التقوى

وهي نظرية ظهرت في المسيحية وانتقلت عدواها الى الاسلام . وتعتمد هذه النظرية على فكرة (أن خطيئة الكذب تبررها الأهداف السامية للتغلب على خطيئة أكبر وهي عدم الايمان) بمعنى آخر أن الأديان بحاجة الى ممارسة الخداع لإعادة الإيمان في قلوب الناس . مثل فبركة المعجزات وتزوير الآثار المقدسة وتشويه الوثائق التاريخية والتعدي على سرية الاعتراف الكنسي . (1)

ومن الأمثلة على فبركة المعجزات :

- قيام قس بقراءة كلمات من الإنجيل على شخص مشلول فيتمكن هذا المشلول من تحريك اقدامه بشكل مفاجيء يثير دهشة وعواطف الحاضرين . ليصرخ القس بصوت عالي هللويا (بمعنى سبحوا لله - إشارة لحدوث معجزة -).

- إشاعة قصة عن فتاة مريضة عجز الاطباء عن علاجها وشاهدت العذراء مريم في المنام (او السيدة زينب في الرواية الشيعية أو السيدة عائشة في الرواية السنية) وساعدت على شفائها عن طريق المعجزة وطلبت منها كتابة هذه القصة أربع عشرة مرة وإرسالها وتوزيعها وتطلب في الوقت نفسه من كل من يقرأها ان يكتبها أربع عشرة مرة . ومن يكتبها يرزقه الله ويوفقه ومن لا يكتبها ينزل عليه البلاء .

- نشر مقطع فيديو لفتاة تحولت الى كائن مشوه (سعلاة) لأنها كانت تسمع الأغاني ولا تقرأ القرآن وحين كان والدها يقرأ القران ثارت أعصابها وأخذته منه وقامت بتمزيقه ورميه في المرحاض فتحولت الى سعلاة وتجد في المقطع اسم المستشفى التي ترقد فيها هذه الممسوخة.

- نشر مقطع فيديو لقبر تخرج منه افاعٍي وتبيان أن صاحب هذا القبر كان يستمع الى الأغاني في حياته .

- إشاعة قصة أن فتاة خرجت من القبر بعد موتها وقد تحول نصف جسدها الى نار و شاهدها أهلها حين ذهبوا لزيارة قبرها وهي على هذا الحال وحين سألوها عن سبب ما حصل لها قالت إن السبب هو عدم ارتدائها للحجاب وشاعت هذه القصة في نهاية الثمانينيات وقالوا حينها إنها ترقد في مستشفى مدينة الطب والدخول لها متاح للجميع لتكون عبرة.

وغير ذلك من القصص والممارسات المشابهة التي قام بها مسيحيون ومسلمون (سلفيون وسنة وشيعة) و تهدف بالدرجة الأساس الى إعادة الناس الى الدين وإبعادهم عن طريق الفساد والفجور (حسب وجهة نظرهم).

- ايقاع الناس في فخ التبشير رغم انوفهم !!! ولم اجد اغرب من هذه الفكرة !!!يا للغرابة!!! ابسط مثال متداول ورائج هو ذلك المنشور المج والذي كتبوا فيه (اقسم بالله لارسل كلمة – الله اكبر – لعشرين شخص ... لا تنسى انك حلفت) وغيره من المنشورات المشابهة من حيث الفكرة . المشكلة الاكبر ليست في الجهابذة الذي يروجون لمعتقدهم بالخدع والحيل بل بمن ياخذ كلامهم على محمل الجد وينشره خوفا من ان تحل اللعنة عليه بسبب حنثه باليمين . حين كنا صغار كان هناك لعبة نلعبها اسمها (اي لو لا) وهي عبارة عن توجيه اسئلة للشخص بشرط ان لا يحتوي جوابة لا على كلمة (اي) ولا على كلمة (لا) هؤلاء يلعبون مع الايمان الشخصي لعبة مشابهة اي انهم يتصيدون ما يجعل المرء واقعا في فخ التبشير . الملفت للنظر والمهم والذي يستحق التامل حقا هو (كيف يتصور هؤلاء الايمان والمعتقد وفكرة وجود خالق وكيفية التواصل معه ؟؟؟).

قبل فترة شاهدت شيخ يتحدث عن موضوع كان يبدو مثير للاهتمام . كان يتحدث عن (كيفية التعامل مع الاخر المختلف) وما شد انتباهي انه كان يتحدث بلغة جميلة (لا تنفروا

الاخر منكم...خذوه في الاحضان...الخ) فقلت في نفسي يبدو ان هناك تطور وتحسن في لغة التواصل مع الاخر (حتى لو كانت لغايات دعوية) فقام بسرد قصة يعدها هو نموذج جيد للتعامل مع الاخر...مضمون القصة يتحدث عن مسلم جاء الى جاره اليهودي وقال له لماذا لا تدخل في الاسلام ؟؟؟ فاجابه انا اريد الدخول في الاسلام لكني احب شرب الخمر وشرب الخمر عندكم حرام فقال له المسلم ادخل للاسلام واشرب الخمر...فاجابه اليهودي وهل يجوز ذلك ؟؟؟ فقال له المسلم نعم يجوز لك ذلك فقال اليهودي (اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله) فقال له المسلم (الان اصبحت مسلم اذا شربت الخمر سنقيم عليك حد شارب الخمرواذا تراجعت عن اسلامك سنقيم عليك حد الردة) الدرس المهم الذي تعلمته من هذه القصة هو ان لا تغريني العناوين التي قد تبدو جميلة ففي النهاية لا يملك هكذا نماذج الا الهراء .

بطبيعة الحال تعتمد نظرية الخداع بدافع التقوى على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) وبما أن الغاية هي نصرة الدين وإعادة إحيائه فلابد أن تكون الوسيلة مبررة ومقبولة حتى لو كان منهيّا عنها في الدين لان الذنب المترتب عليها ستمحوه الغاية التي ستحققها وهي نشر الدين وغرس الإيمان في قلوب الناس .

- الدجل والشعوذة

هل هناك اشخاص لديهم قدرة على شفاء الناس؟؟؟ لا اعلم لكن ما اعلمه ان الطب له قدرة على شفاء الناس وانا حالي حال مليارات المؤمنين في العالم ألجأ للطب ثم ألجأ للدعاء.

للانصاف وقبل ان ندخل في الموضوع هناك اشخاص ذوي نوايا حسنة لا يهدفون للحصول على المال وكل ما يفعلونه هو قراءة بعض الادعية ويؤمنون بان تلك الكلمات لها اثر ايجابي روحاني على الشخص الذي يقصدهم ولا نتحدث هنا عن هؤلاء .

نتحدث هنا عن الدجالين الذين يمارسون الخداع بدافع المال...نتحدث عن هؤلاء الذين يدعون انهم يخرجون الجن ويبطلون السحر وغيرها من الامور . هؤلاء يمارسون الخداع بدهاء وحرفية . الصدفة جعلتني التقي بأثنين من هؤلاء في فترات متباعدة ومن خلال احتكاكي البسيط بهما عرفت مدى خسة هؤلاء ودنائتهم . والحق ليس عليهم بل على من يصدقهم ويسلم امره بيدهم وكم اتمنى لو يراهم الناس على حقيقتهم (كما رايتهم) خارج الوقت الذي يمارسون به الدجل . المفارقة الكبرى ان هؤلاء حين تحدثهم يستنكرون الدجل والشعوذة بكل صلافة ويعدونها سرقة لاموال الناس لكنهم يقصدون منافسيهم ولا يقصدون انفسهم فهم يمارسون (طرق شرعية صحيحة) اما غيرهم فيمارس الخديعة . هؤلاء يعيقون مراجعة الناس للاطباء من خلال ادعائهم ان سبب اعراضهم ليس مرض بل جن او سحر . الكثير من اعراض هؤلاء الذين يدعي الدجالون ان الجن تلبسهم هي اعراض امراض نفسية وعقلية معروفة . بل اصيب الكثير من الناس بامراض نفسية وجسدية بسبب هؤلاء

ولا ندري كم شخص مات بسببهم . والكارثة ان نسبة من مثقفي المجتمع يلجأون اليهم بل ان بعض هؤلاء الدجالين حاصلين على شهادات جامعية . سبب لجوء المثقفين اليهم (اليأس واللاجدوى) مرة و(التخلف) مرة اخرى فالحصول على شهادة اكاديمية او الاطلاع لا يعني التخلص من التخلف بالضرورة .

احيانا لا ألوم من يفقد الامل تماما حين يقوم بتجربة اي شيء يعطيه امل ولو بنسبة واحد بالمليار . فاليأس يدفع الانسان لتصديق اي بارقة امل . مرارة ان ترى احد اقربائك يتألم والطب يقف عاجزا عن تخليصه من الألم ودعاء المؤمنين لا يأتي بنتائج فعالة قد تدفعك ان تصدق اي شخص يدعي انه سيساعد من تحبه .

هل هناك من تتحسن حالتهم بعد مراجعة هؤلاء؟؟؟ بدون ان ندخل في عالم الغيبيات والروحانيات نتكلم عن امر واقع فعلي...نعم هناك فعلا من تتحسن حالتهم لكن ليس بسبب قدرات هؤلاء بالضرورة بل بسبب ايمان المريض او المأزوم بقدراتهم. واغلب من يمارسون هذه الاشياء واعين لهذا الواقع لذلك يقولون لكل من يجدوه مشكك (انت لا تؤمن بي لذلك لن ينفع معك العلاج)

كيف يحدث ذلك؟؟؟

اود ان اقرب المضمون الذي ارجح صحته من خلال التشبيه بين ما يسمى (العلاج بالوهم او البلاسيبو - placebo) وبين موضوعنا محل النقاش . ما هو العلاج بالوهم؟وهو اعطاء دواء غير فعال للمريض لا يحتوي الا على املاح او سكريات وايهامه انه دواء فعال فتتحسن حالته على هذا الدواء . وفي عام 2011 توصلت دراسة حول هذا الموضوع في جامعة هارفرد الامريكية الى ان الوهم يلعب دور في العمليات الكيميائية في المخ . وهناك علماء نفس يذهبون الى امكانية علاج الاكتئاب النفسي بالبلاسيبو . بطبيعة الحال هناك مشككين وهناك مؤيدين وهناك جدل اخلاقي حول اخلاقية الخداع بدافع العلاج .(2)

التشكيك الدائم بالبحوث العلمية هو السر في (سحر العلم وبريقه ونورانيته) هناك مشككيين...يعني ان هناك مزيد من البحث للتأكيد او النفي...هناك جدل اخلاقي...يعني ان هناك قيمة للانسان...شتان بين الدجل وبين العلم.

قام صديقي مرة باعطاء والده حبة دواء لا صلة لها بألم المعدة الذي كان يعاني منه فشعر بعد قليل بتحسن . اتصور ان هذا ما يحدث حين يشفى شخص يعاني بعد ان يذهب لاحد هؤلاء .

قرات تجربة لاحدى النساء في احدى الدول العربية كانت تتحدث فيها عن تأثرها بالشيخ الذي اخذها زوجها المتدين اليه ليساعدها في ازالة الم الظهر الملازم لها منذ مدة . وكانت تتحدث عن تأثرها بلمساته وحنانه وعطفه وكيف انه اسرها بتلك اللمسات وطرحت قضيتها

باحثة عن حل يخلصها من تأثرها بهذا الشيخ . امر مثير للغثيان ان ياخذ هذا الزوج (الديوث او المغفل) زوجته بنفسه لذاك الشيخ الساقط الذي يرتدي جبة الايمان لاشباع رغباته المكبوتة بحجة انه يعالجها والاكثر ازعاج هو موافقة الزوجة على هذا القرف تحت عنوان انه علاج . لمسات رقيقة من الزوج ودفعات من الحب والحنان جل ما كانت تحتاجه تلك السيدة لتشفى .

- الباريدوليا :

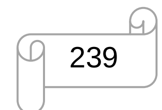
وهي ظاهرة نفسية عامة وليست حالة خداع بالضرورة وهي لا تختص بالمتدينين او المؤمنين فقط ولا تختص بظواهر دينية فقط بل تشمل جميع انواع البشر ومختلف الظواهر... وهي تخيل صور واشكال مختلفة في الظواهر الطبيعية والاعتقاد بانها ذات مغزى كتخيل ان الغيمة على شكل وجه رجل او الشجرة كانها جسد امراة او الاستماع الى اصوات خفية في التسجيلات عند تشغيلها عكسيا او تخيل وجه رجل في القمر وغيرها(3)...اكثر ما يجسد هذه الظاهرة النفسية في عالمنا هو البحث الدائم عن اسم الله او اسم النبي محمد في الطبيعة كالاشجار او الاطعمة كالبطيخ او الخيار او حتى اذن طفل يقولون ان اسم الله مكتوب فيها وغيرها كثير...السؤال الذي يطرح نفسه لماذا دائما الاسم مكتوب بطريقة غير واضحة ولماذا لا يكون بالخط الكوفي او خط النسخ مثلا؟؟؟ وسؤال اخر يطرح نفسه لماذا دائما تكتب الاسماء باللغة العربية وليس الفرنسية او الانكليزية؟؟؟

كمؤمن بوجود خالق لا اجد اي صلة بين وجود الخالق وبين هذه الظواهر بل لا يمكنني ان استوعب ان الله كتب اسمه على شجرة لمغزى معين !!! او كتب اسم نبيه على بيضة !!! يا سلام يكتب اسم نبيه على بيضة تخرج من دجاجة!!! اليس في ذلك اساءة لله وللنبي؟؟؟ الموضوع اصلا من صنع الخيال البشري الذي يرى ما يتمنى رؤيته .

قد اصدق احيانا حدوث اشياء خارقة للعادة واخذها على محمل الجد واتأملها بصدق . لذلك لا انكر على غيري ان يأخذه الخيال في رؤية اسم النبي محمد على شجرة او في غيمة او رؤية اسم الله في ظاهرة طبيعية . لكن المشكلة تكمن في ان نسبة من الباحثين عنها يطرحونها بطريقة وكأنهم يقولون (انظروا ألم نقل لكم ان الله موجود؟؟؟)

اظن ان اغلب الناس المهتمين بهذه الاشياء يبحثون عن الراحة النفسية التي يولدها شعور جميل في ان السماء (تضع توقيعها على ارضنا وتطمئن قلوبنا وكانها تخبرنا اننا لسنا وحدنا وانها معنا وكانها تمسح على رؤوسنا) لكن المشكلة تكمن في النوع التبشيري الذي يعرض هذه الاشياء وكأنها دليل يريد ان يريه للبشر كي يتعضوا او ينبهروا او يؤمنوا . هذا النوع الذي لديه استعداد ان يستغل اي شيء في العالم لدعم فكرة وجود الله وادامة الالتزام الديني . هؤلاء اصبحوا محل سخرية من كثير من الناس وهذا دليل تزايد وعي المجتمع .

كيف يفكر من يمارس الخديعة باسم التقوى ؟



نتحدث عن هؤلاء الذين يكذبون ويبالغون لتعزيز الايمان عند الناس...من يستعمل هذه الاساليب ليس مؤمنا بسيطا . هو في الواقع مؤمن غير عادي وردت أمامه روايات تتحدث عن حدوث معجزات وهو يؤمن بها الى أبعد الحدود . لكنها مع الأسف توقفت عن الحدوث. بعد تفكير طويل سيقول في نفسه (ما هي المشكلة لو أعدت تمثيل معجزة حدثت فعلا ؟هل سيحاسبني الله لو أعدت إحياء معجزة من معجزاته ؟ لا أظن أن الله سيحاسبني لأني قمت بإعادة تمثيل معجزة قام بها سابقا ؟ ما هي المشكلة ؟ بالعكس سيكافئني الله لأني رسمت للناس لوحة من أصدق اللوحات التي تعبر عن وجوده وقدرته) بهذه الطريقة وغيرها سيبرر لنفسه القيام بالخديعة والكذب لخدمة الدين . هذا لو كان مؤمنا حقا . أما لو كان كاذبا يريد الانتفاع ويريد ديمومة الدكان الذي ينتفع منه والذي يزيده ثراءً يوما بعد يوم . فلن يحتاج الى تبرير وفلسفة خاصة . ولن يجد أجمل وأروع من الخديعة والفبركة لإنجاح مشروع (المول الديني التجاري الخاص به) أما المؤمن البسيط فهو من يصدق هؤلاء ويدافع عنهم ويبذل في سبيلهم الغالي والنفيس ويقمع كل من يشكك بهم ويشكل بذلك حصانة اجتماعية لهم .

- نظرية الإستنقاذ

وهي نظرية تقول بجواز سرقة المال العام في الدولة الديمقراطية العلمانية اللادينية . لأن وجود العلماني في السلطة وجود غير شرعي . والذي يجب أن يتواجد في السلطة هو الإسلامي الذي يحكم وفق شريعة السماء . وبذلك يكون العلماني المتواجد في السلطة حائز غير شرعي للمال ويكون أخذه منه ووضعه في يد صاحب الحق الأصلي أمر جائز ولا يوضع تحت عنوان السرقة . ويجب الإشارة الى أن هذه النظرية لا يؤمن بها كل المتدينين بل معظمهم لا يعلمون عنها شيء اصلا وليس كل من يؤمن بصحتها يطبقها بالضرورة .

يقول المفكر ضياء الشكرجي : بعد خوض الإسلاميين التجربة السياسية، وممارسة الكثير منهم للفساد المالي، والباطنية السياسية، والطائفية السياسية، والعنف. بعضهم يمارس سرقة المال العام وهو متدين حقا، ويخاف الله، لكنه لا يعدّ ممارسته من قبيل السرقة، بل من قبيل ما يصطلح عليه بالاستنقاذ، أي إنقاذ المال من مالكه (الخطأ) إلى مالكه (الصح)، لأن الدولة الديمقراطية اللادينية ليست دولة شرعية، بل هو الذي يمثل الامتداد الحق للشرعية الدينية ولذا فهو أولى من الدولة بهذا المال. لكن هناك من يفهم الدين على أن الدولة الديمقراطية تملك شرعية التعاقد الاجتماعي، ولذا يجب الالتزام بلوازمه (انتهى) .(4)

- إتلاف ممتلكات الآخرين لنصرة الدين

ومثال على ذلك بعد 2003 في العراق قام بعض المتطرفين بتكسير محال بيع الخمور وإتلاف زجاجات الخمر بل قاموا بقتل بعض باعة الخمر ليكونوا عبرة لغيرهم . وفي

الحملات الانتخابية قام بعض الاشخاص ومن مختلف الانتماءات والخلفيات الثقافية بتمزيق قوائم انتخابية لقوائم منافسة تحت عنوان إن الانتخابات معركة تحديد مصير.

إن هذا الشخص الذي عيّن نفسه حاميا للدين يعلم أن الشرع يحرم إتلاف ممتلكات الآخرين والتصرف بها لكنه يعتقد أنه يقوم بذلك لأهداف سامية وهي نصرة الدين . لذلك لا يجد أن الله سيحاسبه على خطأه البسيط في مقابل الخدمة الجليلة التي قدمها للدين والمذهب .

- الهوية الدينية هي المعيار

إحدى القنوات التلفازية الدينية تقوم بنقل الدوري الإسباني . و كما يعلم الجميع حقوق نقله حصرية لقناة مشفرة . في إحدى المرات تحولت الكاميرا على الجمهور فظهرت فتاة ترتدي ملابس تظهر أجزاء كبيرة من جسدها . فتعمد المخرج إخفاء الصورة و إظهار صورة ثابتة لشعار القناة وأعاد الصورة بعد فترة وجيزة بعد أن تأكد من أن الكاميرا أبتعدت عن تلك الفتاة التي قد تفسد بمحاسنها الشباب المسلم . لا أدري أيهما أكثر حرمة من الناحية الشرعية سرقة حقوق نقل مدفوعة الثمن من قناة أخرى أم ظهور فتاة ترتدي ملابس نصف مكشوفة؟؟؟

لا أتحدث هنا عن القناة المشفرة وكيف تعرضت للسرقة لأني بصراحة كنت من المستفيدين من هذه السرقة ولست مهتما كثيرا لأمر هذه القناة وهي كفيلة بالدفاع عن نفسها . ما أردت الإشارة اليه هو مدى تقيدهم بالحلال والحرام حسب وجهة نظر الشرع . إن المعيار الحقيقي هو ما يؤثر على الهوية الدينية وليس ما هو غير مقبول من الناحية الشرعية أو القانونية أو الأخلاقية . فمنظر فتاة نصف عارية يؤثر على هوية القناة الإسلامية . أما سرقة حقوق نقل فهو بالعكس من ذلك يعتبر من باب تقديم خدمة للناس وترفيههم وتسهيل أمرهم مع أنه محرم شرعا وغير جائز لكن لا يؤثر على الهوية الدينية لهذه القناة بنفس الدرجة التي يؤثر فيها ظهور لقطة لفتاة ترتدي قميص مكشوف وتوفير أموال الناس كفيل بسد الذنب الناتج عن سرقة حقوق نقل مباراة وقد يزيده أجرا وثوابا . من السهولة تبرير العمل المحرم شرعا طالما أنه لا يؤثر على الهوية الإسلامية .

التقى أحد اصدقائي برجل دين عراقي مغترب وحين ذهب معه الى إحدى الجامعات العراقية لفت انتباه رجل الدين كثرة المحجبات فقال لصديقي مبتهجا (ما شاء الله لم أكن أتوقع أن الإلتزام الديني مرتفع الى هذه الدرجة) فأجابه صديقي (الحجاب لا يعبر بالضرورة عن الإلتزام الديني فقد تكون إحداهن محجبة لكنها غير ملتزمة دينيا وقد تكون مضطرة لارتداء الحجاب بسبب الضغط الاجتماعي أو ضغط الجماعات الدينية المتنفذة في المجتمع) فقال رجل الدين (مجرد وجود الحجاب كظاهرة دليل قاطع على أن الهوية الإسلامية فرضت نفسها وبقوة) هكذا تؤخذ الأمور في نظر الكثيرين . فقد يوصف شخص ما أنه فاسق لأنه يحلق لحيته . وقد يوصف شخص ما أنه ديّوث لان ابنته غير محجبة او

ترتدي بنطال . بهذه القسوة يتم التعامل مع الأمور التي تصنف تحت إطار (الهوية الاسلامية) لكن يتم التعامل مع الحكم الشرعي بكل مرونة وتهوين حين يكون الحديث عن أفعال قد تأتي بمنفعة .

قد تكون السارقة مؤمنة لكن السافرة ؟ مستحيل

لو كانت احداهن محجبة وترتدي الجبة والكفوف وتسرق المال العام باسم (الإستنقاذ) لكان من الممكن وضعها تحت عنوان الإيمان بل قد تكون مأجورة على فعلها . لكن خلع الحجاب أمر لا تساهل فيه ولا رحمة لأنه يسقط الهوية الاسلامية . المقياس الأساسي عند هؤلاء هو (الهوية الدينية) وليس (الإلتزام بالشرع) تحت عنوان كبير اسمه (الغاية تبرر الوسيلة)

هناك نسبة كبيرة من المتدينين يرفضون مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ويحتمل أنهم لم يسمعوا به ابدا لكنهم بفطرتهم السليمة لا يتقبلون الأعمال المنافية للأخلاق ولا يقبلون سوى الغايات التي تشابه الوسائل المؤدية اليها .

يقول الشكرجي ضياء: كثير من المتدينين والإسلاميين سرقوا المال العام واستغرقوا في ملذات الدنيا بغطاء شرعي، بينما نجد الكثير من اللادينيين أو حتى من الملحدين أو المتدينين العلمانيين، وهم موجودون بكثرة، يكونون أكثر تضحية بوقتهم ومالهم وراحتهم من أجل القضايا الكبيرة، من أجل رفاه الناس وخيرهم، ومن أجل العدالة والحرية، كما إن منهم كما هي الحال مع الدينيين من هو مستغرق في الملذات، دون رادع ودون اهتمام بالشأن العام ... الله بالنسبة لي لا يعرف بالدين، ولا ينفى بالعلم، بل يستدل عليه بالفلسفة أو الأدلة العقلية. وهو عندي لا يثيب أحدا لمجرد الإيمان به، ولا يعذب أحدا لمجرد الكفر به، إنما يثيب المحسنين بإحسانه، سواء آمنوا به أو ألحدوا، ويجزي المسيئين بعدله أيضا بقطع النظر عن عقيدتهم، والأدلة تشير عندي إلى أنه غير مهتم بمسألة الإيمان به، بقدر ما يريد من الإنسان أن يزداد تأنسُناً وتعقلُناً .(5)

استغلال المقدس ... دجاج الكفيل نموذجا

هناك الكثير من الشخصيات التاريخية التي نتعرف عليها ونطلع على حياتها لكن القليل منها من تؤثر فينا وتتربع في عقلونا وقلوبنا . من الشخصيات التي أثرت في نفسي هي شخصية العباس بن علي بن أبي طالب . فهذا الرجل العظيم سنحت له فرصة النجاة بنفسه حين طلب منه شمر بن ذي الجوشن الانضمام له وأعطاه الأمان . وشمر كان يمثل قوة السلطة والأغلبية العسكرية مقابل الإمام الحسين الذي يمثل الوقوف ضد السلطة وانتهاكها لحقوق الانسان وكان يمثل أقلية عسكرية خاسرة منطقيا . فليس من المنطق أن يغلب عشرات يقابلهم آلاف . الملهم والمؤثر أن العباس كانت لديه فرصة أن ينجو بنفسه لكنه اختار الموت على المبدأ.

هناك الكثير من الألقاب التي يتلقب بها العباس منها (كفيل السيدة زينب) كم كان شعوري مؤلما أن أرى هذا اللقب يستخدم كماركة تجارية لدجاج تنتجه العتبة العباسية (دجاج الكفيل) ولأني من محبي هذا الثائر شعرت بإهانة شديدة حين وجدت ان هناك من يتاجر باسمه كعلامة لمنتجات حيوانية . لو كان من ينتج هذا الدجاج ويستخدم هذا الإسم تاجر علماني أو سلفي لقامت الدنيا ولم تقعد ولوجدنا فتاوى تحرم أكل هذا الدجاج حتى لو كان مذبوح على الطريقة الاسلامية لأن فيه إهانة لشخص العباس بن علي وسيقال ان من اختاروا هذا الإسم نواصب من أعداء أهل البيت بل قد يقولون إن للماسونية يدا في الموضوع . لكن بما أن الجهة المنتجة هي العتبة العباسية المقدسة (فاشبع ولا تبالي) . أتألم وبشدة في كل مرة أرى فيها لقب العباس بن علي موضوعا على دجاجة ولغاية تجارية بحتة . طبعا هناك العشرات من المنتجات التي تستخدم ألقاب شخصيات تأريخية لها قدسية في نفوس الناس وذكرت دجاج الكفيل كنموذج بسيط . والذين اختاروا هذا الاسم يعلمون جيدا أن الناس تبحث دائما عن البضائع محل الثقة وخصوصا في موضوع الذبح . كنت أتحدث في هذا الموضوع مع أحد الاشخاص فمر شخص فضولي قربنا فتدخل في الموضوع وقال : (هم لا يقصدون بتسمية الكفيل لقب العباس بن علي بل يقصدون معنى الكلمة) يا محاسن الصدف!!! قاموا بتسمية دجاج الكفيل بهذا الاسم ويقصدون معنى الكلمة وبالصدفة تبين ان لقب العباس بن علي هو (الكفيل) ايضا!!! يا سلام!!! يا لها من صدفة !!!

بعد أن ذهب هذا الشخص قرر صديقي أن يسأل أحد كبار السن من المتدينين في هذا الموضوع فاستوقفه وقال له (هل يجوز أن يوضع لقب العباس بن علي قمر العشيرة على دجاجة أليس في هذا الأمر إهانة لمكانته التأريخية والمعنوية؟؟؟) فقال له وبكل ثقة (أكيد أن من طرح هذا الكلام وهابي ؟؟؟لو كان غير جائز لحرمته المرجعية وأنصحك أن تترك هذه المواضيع فليس فيها فائدة)

يعتقد البعض أن على الانسان قتل ذائقته البشرية مقابل ثنائية الحلال والحرام . لا أدري ما هي علاقة الحلال والحرام بأن تستنكر نفوسنا التجارة بلقب شخصية لها مكانة تأريخية كبيرة ؟؟؟ الذين يتاجرون على أرض الواقع يلوذون بالمقدس ولهم مساحة واسعة وشاسعة من الحرية حددها المجتمع الذي يبرر لهم كل شيء وأي شيء ويتكل عليهم في تحديد منطقية وصحة أي شيء . مجتمعنا تجذبه الرموز المقدسة حتى حين يشتري قطعة دجاج لذلك تربح هذه التجارة.

غسل الادمغة الذاتي وتقطيع اوصال الذات البشرية

هل نحن مغسولي الادمغة؟هل نحن فعلا مقتنعين بافعالنا وسلوكياتنا ام اننا نسلم بصحة كل ما وجدنا انفسنا عليه لان معظم الناس قرروا انه صحيح؟

يقول عالم النفس لويس ساتو : ان كل انسان يعتقد دون ان يشعر في امور ونظريات ومباديء يعجز عقله عن تبريرها لكنه يقبلها لمجرد انها مقبوله لدى الاخرين (انتهى) .(1)

هل ينتابك احيانا ذلك الشعور في انك تسخر صامتا من سلوك معين تنتهجه باستمرار تماشيا مع المجتمع لكنك لا تجرأ على الوقوف طويلا امام هذا الشعور خوفا من ان يخرجك من الالفة الاجتماعية ؟؟؟

لا نتحدث عن غسل الدماغ (الممنهج والحرفي) الذي تقوم به اجهزة مخابرات او جهات سياسية او دينية لجعل الانسان يقوم بافعال تنافي قناعاته الشخصية او يقتنع بافكار خلاف افكاره الاصلية . بل نتحدث عن غسل الدماغ الذي يمارسه المجتمع على نفسه . يمارسه جيل على اخر بالتتابع . غسل الدماغ الذي نقوم فيه بزراعة معلومات في رأس الطفل ضد فطرته وضد نزعاته الانسانية لنشعره ان فطرته خاطئة وما نقوله له هو الصحيح . ليقوم هو بدروه بعد ان يكبر بزرع نفس الافكار في رأس ابنه .

يقول الدكتور نبيل راغب : هكذا نرى الطفل يقبل في سذاجة وبساطة افكار واراء واحكام وتاكيدات من هم اكبر منه سنا دون ان تسمح له قدراته العقلية بتحري دقتها او صدقها . ومن هنا نترك للخرافات والتعصبات والاوهام المريضة والافكار السقيمة والتحيزات الطبقية او الطائفية في نفسية الطفل اثرا عميقا (انتهى) .(2)

شاهدت مرة صورة لابو مصعب الزرقاوي حين كان طفلا . لم اتمكن من مقاومة استلطافي لوجهه البريء واسفي على تحوله الى مسخ بشري . وافكر مليا حين اشاهد طفل فيه نفس البراءة التي بعين ابو مصعب (الطفل) هل سيتحول يوما ما الى مسخ بشري ام سيبقى انسان؟؟؟ وكثيرا ما اقف امام صورة صدام حسين (الصبي) تلك الصورة التي يبدو فيها وكانه يخفي ألم وحزن عميق قد يكون سببه الظلم الاجتماعي او قد يكون سببه فقدان الاب او قد يكون اي سبب اخر . واتسائل هل كان من الممكن ان يتحول هذا الصبي الى انسان طيب مسالم لو حالفه الحظ في حياة مستقرة اجتماعيا؟؟؟ سمعت مرة المفكر العراقي المخضرم حسن العلوي يتحدث عن صدام حسين حين كان صبيا وقال انه كان يستخدم عصا او قصيب حديدي لحماية نفسه حين يسافر من مدينة الى اخرى . هل هذا يعني انه تعرض لاعتداء سابقا؟؟؟ لو لم يكن مضطر لحماية نفسه من الظلم الاجتماعي هل كان سيتحول الى هذا الدكتاتور؟؟؟ هل الدكتاتورية تنبثق من رحم انعدام العدالة الاجتماعية؟؟؟ هل نحن نخلق وحوش بطريقة وباخرى؟؟؟ لا يوجد ما يبرر الدكتاتورية مطلقا لكن يوجد ما

يجعلنا نفهم الدكتاتور لنتجنب خلق اخر مثله . فصدام حسين لو لم تتوفر له الفرصة للوصول للسلطة لما تحول الى جلاد لعدم امتلاكه الادوات . هل هناك اشخاص بيننا مثل صدام حسين لكن لم يسعفهم الحظ في ان يمتلكوا ادواته؟؟؟

كيف يفكر الانسان المسالم الذي يؤيد الجماعات الراديكالية الاسلامية ؟؟؟

الراديكالية بصورة عامة لها عدة معاني والمعنى الاقرب للمدلول الذي يشار اليه اليوم بهذا المصطلح هو: نهج وسياسة تسعى لادخال تغييرات جذرية على النظام الاجتماعي القائم.(3)

هل استيقظت يوما حين كنت في سن السادسة لتتفاجأ بوجود خروف في حديقتكم ؟؟؟ اغلب الظن حدث معك ذلك...وهل شعرت بالحماس والفرح وجربت الشعور الجميل حين تطعمه بيدك ؟؟؟ حدث ذلك على الاغلب...هل تعلقت به لدرجة انك اطلقت عليه اسم ؟؟؟ حدث ذلك على الاغلب...هل استيقظت في صباح العيد لتجد امامك صدمة مروعة وهي ان صديقك تم ذبحه ؟؟؟ هل حدث معك ان يطلب منك اهلك ان تشاهد منظر الذبح بنفسك ؟؟؟ هل حدث معك ان يطلبون منك ان تركز على طريقة الذبح ؟؟؟ هل حدث معك ان يطلبون منك ان تضع يدك في الدم وتطبع اثرها على الحائط ؟؟؟ هل بكيت بشدة ام تقبلت الامر ؟؟؟ هل صدمت لان الصديق الذي تعلقت به وتعلق بك تم سلخه امامك وتحول الى طعام ؟؟؟ هل حدث معك ان يلقي عليك الاهل محاضرة يقول مضمونها ان الحزن على الخروف حرام لان الله حلل ذبحه لان لحمه مفيد للانسان ويتغذى عليه ؟؟؟ هل حدث معك ان يصر الاهل على ان يكبحوا جماح تعاطفك من خلال تكرار جملة (حرام تبكي الله حلل ذبحه) ؟؟؟ هل حدث معك بعد ايام ان تقبلت الامر الواقع وشعرت بان الامر طبيعي لان الله امر به واهلك هم من ابلغوك بذلك وهم محل ثقة بكل تاكيد وليس من المعقول ان يحلل الله شيء غير جيد؟؟؟

نفس الية التفكير تحدث في عقل الانسان المسالم الذي يتعاطف مع الجماعات الراديكالية الاسلامية او يبرر افعالها او يلتمس لها العذر او يلقي اللوم على خصومها او يخفف من وطاة جرائمها...اعلم جيدا ان احدهم الان يشعر بالانزعاج والنرفزة والعصبية ولسان حاله يقول (اي سخافة هذه ان يشبه احدهم تقبل ذبح الخراف التي حللها الله وجعلها طعام للانسان بتاييد جماعة متشددة تذبح الانسان ؟؟؟)

نعم قد تبدو المقارنة ظالمة وغير عادلة لدى الكثيرين لكنها اقرب توضيح للطريقة التي يقنعون بها المستجدين او من يمكن ان نعتبرهم (مشروع ذباحين) في محاولة فصل عاطفتهم البشرية عن الواقع الذي يدفعونهم للانسجام معه والذوبان به .

هذا بالضبط ما يحدث من حيث طريقة التفكير فقتل المرتد في ذهنهم كقتل الخروف في ذهنك كلاهما دمه حلال . الجماعات المتشددة تقتل من ترى ان دمهم حلال ويستحقون القتل لذلك ليس من حقك التعاطف معهم او الحزن عليهم لان الله يبارك تلك القتلة بل يامر بها .

هم لا يقتلون من يرونه مؤمن ملتزم بما يلتزمون به . القتل ممنهج ومؤدلج وليس قتل لاجل القتل فقط.

في البداية قد يحزن احدهم حين يشاهد انسان يُذبح لان في داخله طيبة ورقة لكن بعد ان يتم غسل دماغه بنصوص مقدسة تدعم هذا الفعل وتشيطن الاخر سيتحول تعاطفه الى تعاطف مشروط بالايمان والالتزام بما يلتزمون به . هكذا يتم تحويل بعض الناس الى (vampire - مصاصي دماء-)

من يؤيدون الجماعات المتطرفة او ينتمون لها ليسوا وحوش في حياتهم اليومية . انهم اشخاص عاديون على الاغلب ويحبون جيرانهم ويعطفون على الضعيف ويعملون الخير لكن هذه الصفات الطيبة مشروطة بان ينتمي الاخر لعقيدتهم ويلتزم بها.

نعم هناك نسبة كبيرة من المنبوذين من ذوي الميول الاجرامية ومدمني المخدارات دخلوا في هذه الجماعات لسببين رئيسيين : الاول هو اشباع حاجتهم للتسلط على الناس وممارسة السادية عليهم والثاني هو اشباع النقص الذي يشعرون به جراء نبذ مجتمعهم لهم من خلال تسلطهم عليه باسم الله وبطبيعة الحال رضوخ ابناء مجتمعهم لهم وانصياعهم لاوامرهم وهم صاغرين يعطيهم شعور بالرضا وبالثأر من المجتمع الذي نبذهم يوما ما ووصمهم بشتى الصفات الدنيئة.

حين نقول ان الله رحيم لكنه سيحرق كل من لا يعترف بوجوده بالنار!!! لماذا اذن تستغرب ان يقوم هؤلاء بما نعتقد نحن ان الله سيفعله؟؟؟هم في الواقع يحاكون الله (كما وصفناه لهم) ضربا من الخيال ان يقوم المجتمع بغسل ادمغة ابنائه بثقافة مرعبة ولا يتوقع ظهورها على السطح يوما ما . الغريب هو (استغراب المجتمع من التطرف) وليس التطرف نفسه . اليس المجتمع من يحث ابنائه على الصلاة من خلال اخافتهم بالنار؟؟؟ اليس المجتمع من ينفر ابنائه من الاخرين لانهم من مذهب مختلف او دين مختلف؟؟؟ تزرعون الكراهية لكن تريدونها بحدود معينة؟؟؟ لا يمكن ذلك فكل مجتمع يحصد ما يزرع . لا يمكن ان تزرع الشوك وتتوقع ان تحصد الرز . اما ان يتخلى المجتمع عن زرع الشوك او ان يتقبل وغزات حصاده .

يقول غوستاف لوبون : فانفجار بعض الافكار وتبلورها لدى الجماهير يشكل احيانا مباغتة صاعقة . ولكن ذلك ليس الا اثرا سطحيا يخبيء ورائه عادة عملا طويلا وبطيئا سابقا (انتهى).(4)

داعش نتاج عملي لفكر تطور وتبلور عبر الزمن بشكل تصاعدي ولم تاتي من العدم . ذلك الانسان العادي الذي اظهر داعشيته فور توفر الفرصة شرب من هذا الفكر حد الثمالة . هذا الانسان المسالم الذي صدمك بتحوله الى داعشي (مؤيد ومناصر) او (منتمي تنظيميا) هو في الواقع مدعشش منذ صباه .

اختبار ميلغرام(5)

هل هناك احتمال ان يقوم الانسان المسالم العادي بتعذيب شخص اخر؟؟؟ في عام 1974 قام العالم النفسي ستانلي ميلغرام بأختبار أكاديمي لمعرفة مدى وجود عنصر الطاعة العمياء لدى البشر وكانت الغاية من الاختبار هي معرفة سبب الطاعة العمياء للجنود الالمان في تنفيذ الهولوكوست . فجمعوا بعض المتطوعين وأبلغوهم أن الاختبار يدور حول الذاكرة البشرية وقالوا لهم في محاضرة أولية بان الانسان يتعلم بشكل أفضل حين يعاقب على الاخطاء التي أرتكبها . ثم جاءوا بأشخاص اخرين وقالوا للمتطوعين ان هؤلاء (متعلمين) وهم في الحقيقة جزء من فريق عمل ستانلي . تم تعريف كل شخص متطوع الى شخص متعلم وتم ربط المتعلمين الى كرسي كهربائي وتم اجلاس المتطوعين في غرفة اخرى يمكنهم من خلالها النظر الى المتعلمين من خلال الزجاج وكان أمام كل متطوع مجموعة من الأزرار قالوا لهم انها تتحكم بقوة التيار الكهربائي وهي على مستويات مختلفة وفي كل مرة يجيب المتعلم على سؤال باجابة خاطئة يجب على المتطوع ضغط زر الفولتية وكل ما تكررت الأجوبة الخاطئة يجب زيادة الفولتية من خلال الضغط على زر اخر يفترض انه يعطي قوة فولتية أعلى . لم تكن تلك الأزرار في الحقيقة مرتبطة بأي شيء لكن كان المتعلمين يتظاهرون وكأنهم صعقوا بالكهرباء ويتوسلون الرحمة . الكثير من المتطوعين أحتجوا وشعروا بالانزعاج من تعرض المتعلمين للتعذيب لكنهم في نفس الوقت استمروا في ضغط الزر . تظاهر احد المتعلمين أمام المتطوع المقترن به أنه اغمي عليه بسبب التعرض للتيار الكهربائي فقال المتطوع للشخص المسؤول بكل برود بأن المتعلم قد يكون حصل له مكروه ويجب مراجعة حالته . يعلق المسؤول عن الاختبار على هذا القول (هذا الشخص المتطوع يظن انه يقتل أحد المتعلمين ورغم ذلك يتكلم كما لو انه جالس في مقهى ويشرب الشاي) أما أكثر المتطوعين اثارة للذعر هو ذلك الذي أجلسوه مع المتعلم المقترن به في نفس الغرفة ولم يكن يهتم لما يحدث للمتعلم من ألم وعذاب ألبتة بل كان يتحدث مع المسؤول عن الاختبار بكل هدوء وأدب وكان يفعل كل ما يطلبه منه المسؤول عن الأختبار دون نقاش ودون رد فعل عاطفي يذكر تجاه معاناة المتعلم . أما عن افضل النتائج فهي كانت مع شخص توقف عن ضغط الزر بعد أرتفاع مستوى الالم عند المتعلم ورفض الاستمرار رفضا قاطعا وحتى حين قالوا له ليس لديك خيار سوى الأستمرار أجابهم انه جاء للأختبار بنفسه ويملك خيار التراجع وأنه نادم لمشاركته في هذا الاختبار .

النتيجة النهائية للأختبار :

لا يمكن أن تضمن عدم تحول المواطن العادي المسالم الى جلاد متوحش في حال تمكنت شخصيات عدائية من الأستيلاء على السلطة (والكلام عن الولايات المتحدة) والسبب هو وجود نسبة مخيفة من الناس يفعلون كل ما يأمرون به دون تفكير في العواقب أو النتائج أو مدى مقبولية هذا الفعل من الناحية الاخلاقية أوالأنسانية وذلك لأن كل ما يتعلق بتلقي الأوامر منفصل عندهم عن الضمير أنفصال تام .

تجربة مارينا ابراموفيتش

في عام 1974 قامت الفنانة الصربية مارينا ابراموفيتش بتجربة غريبة الغاية منها معرفة السلوك البشري لو اعطي الانسان الحرية الكاملة في ان يفعل ما يشاء . فوقفت بصمت لمدة ست ساعات امام الجمهور وامامها طاولة فيها اغراض مختلفة (ورود و ريش و عسل و مقص و مسدس به طلقة واحدة) كان الجمهور في بداية الامر مسالما يتفرج فقط ثم بعد ذلك مزقوا ملابسها وتحرشوا بها جنسيا وقام بعضهم بغرس الاشواك في جسدها ثم قام احدهم بوضع المسدس في راسها وهدد بقتلها قبل ان يأتي احد المارة وياخذ المسدس منه وبعد ان انتهت الست ساعات تحركت مارينا فهرب الجمهور خوفا من رد فعلها مع انها لم تقم باي رد فعل تجاههم !!!(6)

لا ندري حقا متى يتحرر الوحش الذي بداخلنا ولا نستطيع ان نجزم هل حقا هذا الطيب الذي يلقي علينا التحية يوميا بوجه مبتسم هل هو فعلا طيب كما يبدو؟؟؟!!!

هذه التجربة تذكرني بهؤلاء الذين يلتمسون العذر لمن يتحرشون بالنساء تحت عنوان (ان اظهارها لمفاتنها هيج قلبه الذي لا يحتمل) اقول لهذا الشاب المتحرش الذي يشعر بارتياح حين يشاهد اشخاص يلتمسون له العذر بهذه الحجة...هؤلاء يعتبرونك ثور هائج و يجردونك من بشريتك . بل ان الثور الهائج اكثر كائنية وكرامة منك . هؤلاء يعتبرونك نكرة...من يعتبرونك ادمي فعلا هم من يستنكرون فعلك وليس من يتهمون ضحيتك ويلتمسون لك العذر .

ترميز الضحية وترميز القائد

يرسم الجلادين صورة رمزية لقادتهم تجعلهم بمكانة سامية بحيث تكون كل أوامرهم جيدة ومستحسنة ويجب تنفيذها لانهم يملكون عقلية جبارة ولا يعطون أوامر تعذيب أو قتل الا أذا كان المتهم يستحق ذلك ويقنعون أنفسهم أن التعذيب والقتل هو وسيلة لغاية سامية . وتتركز هذه الصورة الرمزية بشخص القائد الأعلى (الزعيم)

ويرسمون كذلك صورة رمزية معاكسة لضحاياهم وتحتوي على محتوى دنيء يكون فيه الضحية مجرد رمز للسوء وللشر . ليكون تعذيبه امر مقبول بل محبب . حدثني أحد اصدقائي عن حوار جرى بينه وبين أحد جلادي النظام السابق وجرى هذا الحوار قبل 2003 . كان يتحدث معه عن طبيعة عمله فبدأ الجلاد يسرد قصص وروايات تتحدث عن قيامه بعمليات تعذيب شديدة القسوة جعلت صديقي يصاب بالغثيان . سأله صديقي (هل تأتيك لحظات تشفق فيها على هؤلاء او تشعر بندم لأنك عذبتهم) فأجابه بسرعة وبدون تردد (كلا ابدا لأن هؤلاء مجرد حشرات...لا يتعدون كونهم حشرات ضارة يجب تطهير المجتمع منها)

يقول الدكتور مصطفى حجازي : المعتقل يتحول مسبقا الى أختزال كيانه في أسطورة الخيانة , أو التخريب والشر , او عدو الامن القومي . أنه بأختصار ليس بانسان ذي حرمة أو قيمة , بل هو يحول الى اسطورة القيمة المضادة المستباحة بدون حدود . يعتقل الواحد من هؤلاء وتنقطع أخباره فلا يعرف مكانه او مصيره (هل هو حي ام ميت) الغاء أنسانية المعتقل بهذا الشكل , وتحويله الى أسطورة القيمة المضادة , هما اللذان يجعلان ممارسة مختلف ألوان التنكيل والتعذيب والاذى والتحقير ممكنة , ذلك أننا لا نكون بصدد ايذاء شخص بل بصدد تدمير أسطورة شر وسوء من وجهة نظر الجلادين (انتهى) . (7)

التعاطف مع القاتل بعد ان يُقتل او يستضعف

لا نتحدث هنا عن جلاد ميداني عادي بل نتحدث عن جلاد رمزي أسطوري يلعب دور المحرك الرئيسي والأساسي في حدوث عمليات التعذيب والقتل . نتحدث عن زعيم أوحد لجماعة الجلادين قد يكون دكتاتور يترأس أحدى الدول وقد يكون ملك متسلط وقد يكون قائد مجموعة متطرفة .

أنا من أشد المعجبين بسلسلة أفلام قراصنة الكاريبي . السؤال الذي يطرح نفسه لماذا أتعاطف مع القراصنة من بداية الفلم الى نهايته مع أن القراصنة في الثوابت التي أعرفها يمثلون جانب الشر؟؟؟قام القرصان جاك سبارو بقتل العديد من الجنود لكن لم يرف لي جفن ولم أشعر بمشاعر سيئة تجاهه . ليس السبب لأني أعرف جيدا ان ما يجري تمثيل وليس حقيقة فلو كان الأمر كذلك لماذا لم أتعاطف مع الجانب الاخر؟؟؟السبب الحقيقي هو أن المخرج أرادني ان اتعاطف مع القراصنة واظهرهم امامي بصفات حسنة ومليئين بالشهامة و روح الدعابة وأظهر الشخصيات التي تمثل الجيش التقليدي عبارة عن مجموعة من الأشخاص الوصوليين المخادعين . هكذا تعاطفت مع القراصنة . أذا كان سبب تعاطفي مع القراصنة في فلم قراصنة الكاريبي هو المخرج (غور فيربينسكي) فسبب تعاطف شريحة كبيرة من المجتمع مع شخصيات مارست الجريمة ماديا ومعنويا هو (الواقع الاجتماعي الغير ناضج) الذي لم يحدد أولوياته في تقرير توجهاته . فالتبرير والأنحياز صفتان ملازمتان لمجتمعنا . وتجعلانه يغض الطرف عن بحر شاخص من الدماء لفشله في طرد لحظة تعاطف طارئة وغير مبنية على واقع حقيقي .

تعاطف قهري

من الطبيعي أن يشعر الأنسان بنوع من التعاطف القهري حين يشاهد مشهد يتألم فيه شخصا ما حتى لو كان جلاد . فهذه طبيعة الكثير من الكائنات ومن ضمنها الأنسان . لكن لا يجب ان يسمح الأنسان لنفسه ان يبني مواقف مبدأية بناءا على لحظة عاطفة غير عقلانية وغير مبررة . فليس هناك ضرر حين يتعاطف أحدهم مع اي صورة عابرة تعبر عن مشاعر ألم . لكن الضرر يبدأ حين يبني موقف معياري ثابت بناءا عليها .هناك معيار أخلاقي يقف عنده

الانسان ليقرر هل تعاطفه في محله ام لا . قد نتعاطف احيانا مع جلاد أو قاتل لأنه تعرض لموقف مهين او تعرض للقتل بطريقة بشعة . لكن هناك معيار يجب ان يكون هو الثابت في تحديد أحقية حصول شخصا ما على التعاطف من عدمه . المعيار هو دماء الأبرياء ومدى المحافظة عليها .

مهما يكون – بغض النظر

حين تسمع جملة من هاتين الجملتين في بداية حديث أحدهم فتأكد أنه يحاول تبرير شيئا ما. قد تكون جريمة قتل أو جريمة معنوية . أصعب لغز يواجه الانسان هو عقله . ذلك العقل الذي تتحول كل مقاييسه فور حدوث حدث مفاجيء. التعاطف مع القاتل بعد أن يموت أمر وارد في مجتمعنا وحتى في مجتمعات أخرى . ولا نتحدث عن تعاطف المؤيدين لفكره ومحبيه ومريديه. بل نتحدث عن هؤلاء الذين ينتقدوه بشدة ثم ينقلبون 180 درجة بعد موته مباشرة وتتغير مقاييسهم للحب والكره . فبعد أن كان صدام بالنسبة لهم دكتاتور تحول فجأة الى شهيد الأمة وبعد ان كان الزرقاوي بالنسبة لهم أرهابي تحول فجأة الى شهيد الاسلام . نتحدث تحديدا عن اصحاب المواقف المضطربة التي تتغير بشكل مفاجيء وبدون سابق أنذار. ان هؤلاء تتسم أحكامهم بالمنطقية والعقلانية حين يكون الحديث عن نهج تلك الشخصيات واثارها على ارض الواقع لكن حين يسمعون خبر تعرض أحد هؤلاء الزعماء الى ضرر شخصي ستتحول المواقف من (عقلانية ومنطقية) الى (عاطفية) وسيبدا بتبرير أعمال العنف الدموي والمعنوي وسيتركز كلامه على نقاط محددة تحاكي وجدانه المتعاطف والمنحاز.

من قاتل الى مقتول

في اللحظة التي يسمع بها هذا النمط من الناس خبر مقتل زعيم دموي سيبدا تعاطفه مع ضحايا ذلك الزعيم يقل تدريجيا الى أن ينعدم وما أن يتحدث أحدهم عن الضحايا الذين فقدوا حياتهم بسبب أفكار هذا الزعيم يثار غضبهم ويتحول كلامهم من العقلانية والمنطق الى الجدل ويبنون جدار سميك من الجمل الدفاعية التي يعدها عقلهم للوقوف امام انفسهم قبل غيرهم . وما ان يعود العقل في لحظات التأمل الى مساحة المنطق السليم يقمعوه بمفردات وجمل تدعم البقاء في مساحة الأنحياز والجدل . فمثلا حين أعلن عن خبر مقتل بن لادن أنفجر في عقول هذه الفئة من الناس حزام ناسف من التعاطف والتودد لشخصه بعد أن خرجوا يوما ما للتعبير عن رفضهم لأفكاره و بعد أن أتهموه بالعمالة لأمريكا .

المقارنة والقياس

بعد ان تنتشر في أرجاء كيان هذه الفئة من الناس أجواء التعاطف مع الزعيم المقتول . يبدأ الصراع بين فكرة أنه أرهابي قتلت أفكاره آلاف الناس على الظن والشبهة وبين فكرة أنه

فقد حياته بشكل شنيع على يد عدو الأمة الأول أمريكا . هذا الصراع لا يدوم طويلا فهناك مصل مجرب ينهيه بشكل سريع ودون ألم . أنه (التبرير والمقارنة والقياس)

يبدأ بأستعراض جرائم امريكا التي تجعل من بن لادن مجرد رد فعل ويحاول الدفاع عن كل جريمة أرتكبها بأستخدام جمل كثيرة تعطيه شعور بالارتياح مثل : (لماذا ترك المال والعيال وأختار حياة الكهوف...الكثير من اعمال القتل التي قام بها أتباعه لم يكن موافق عليها...كان رجلا بسيطا وزاهدا في الدنيا...على الاقل أذاق أمريكا الويل...لو كان سيئا لما قتلته امريكا...الخ)

بهذه الجمل سيتحول التعاطف مع بن لادن من قبل من كانوا ينتقدوه الى تعاطف مبرر وفي محله . ولو قلت لهم أن هناك عدد كبير من الأبرياء ماتوا بسببه سيقول لك دون أنتظار : (وكم قتلت أمريكا من الأبرياء) أنها المقارنة بين القاتل والمقتول . لو قلت لأحدهم أن أسامة بن لادن تسبب في قتل عشرة الاف انسان مثلا سيقول لك دون تفكير أن أمريكا تسببت بمقتل مليون أنسان . وبذلك سيكون أسامة بن لادن ملاك مقارنة بأمريكا .

التهويل والتهوين

وقد تجد من يصف عمليات القتل التي قام بها تنظيم القاعدة بانها (أخطاء) ويصف عمليات القتل على يد الامريكان بانها (جرائم) لانه يريد التهويل حين يكون الحديث عن الأمريكان لذلك يستخدم مفردة (جرائم) ويريد التهوين والتخفيف حين يكون الحديث عن القاعدة لذلك يستخدم مفردة (أخطاء)

من جلاد الى ضحية

ان امريكا بقتلها أسامة بن لادن حولته من قاتل الى مقتول في ذهن المجتمع . أن وقع الحدث الاخير في قضية ما قد يلغي او يخفف اثرالاحداث الأخرى السابقة له . فغالبا ما يبني المجتمع مواقفه بناءا على اخر الأحداث والتي قد تقلل اثر الاحداث السابقة . فعمليات القتل التي قام بها بن لادن بأشرافه المباشر أو بتخطيطه أو بأيحاء من افكاره ذابت جميعها وطويت معها اخر صفحة في كتاب أسامة بن لادن الأرهابي في لحظة الأعلان عن قتله لتبدأ صفحة جديدة في كتاب جديد عنوانه أسامة بن لادن الشهيد وما ساعد على ذلك هو الأدب الجم والأسلوب الهادىء لأسامة في حواراته التلفازية فضلا عن كونه مليارديرا يرتدي ملابس بسيطة تدل على التواضع . أن لهذه الصفات الشخصية فضلا عن مقتله على يد الأمريكان اثر كبير في تحوله الى رمز والتغاضي عن جرائمه.

في الوقت الذي قتل فيه بن لادن تحدثت مع أحد الأصدقاء في موضوعه فقال لي : (لماذا قتلوه في هذا التوقيت تحديدا الا تجد الامر غريب ؟) فقلت له : (وما هو المميز في هذا التوقيت ؟ وهل تعتقد انهم لو قتلوه قبل عام من الان أو بعد عام من الان لم تكن لتقول لماذا

هذا التوقيت؟) أمريكا في ذهنية من يناصبوها العداء تتمتع بمقدار عالي من الدهاء والذكاء الذي يجعلها لا تفعل شيء الا في وقت مناسب ولغايات دفينة .

كل ما سبق ينطبق الى حد ما على صدام حسين مع فارق التوجه . فصدام في ذهن فئة من المجتمع زعيم قومي وبن لادن زعيم اسلامي . حين تسرد لأحد محبي صدام حسين جرائمه سيحدثك بشكل مباشر ودون تفكير عن جرائم الأمريكان وما يفعله السياسيين الحاليين . بنفس المنطق . منطق المقارنة والقياس . الذي يجعل العشرة أقل من المئة والمئة أقل من الألف ويجعل من قتل عشرة ملاك قياسا بمن قتل ألف.

ما أن تقول أن صدام أدخلنا في حروب غير مبررة ذهب ضحيتها مئات الألوف يجيبك أحدهم : (يا أخي بغض النظر على الاقل واجه الأمريكان والأيرانيين) أو مبررات أخرى من قبيل : (على الاقل كنا نخرج للشارع في الساعة 2 ليلا...وكيف هو الوضع الان؟...كان صدام واحد الان ألف صدام)

حين يكون مقياس الشعوب في التعاطف والاحتفاء هو دماء الابرياء الذين قتلوا دون وجه حق ستكون شعوب في طريقها للتطور وتستحق كل ذرة هواء وكل قطرة ماء تستهلكها . أما الشعوب التي يتحول فيها القاتل الى ضحية فور شعوره بالألم هي في الواقع شعوب مزاجية غير مبدأية تحكمها العاطفة ولا تحترم دماء أبنائها . حين نرفض الظلم يجب أن نرفضه بالمطلق وليس الظلم الذي يقع علينا فقط . الظلم ليس سيء حين نتعرض له فقط بل سيء بالملطق . وأذا كنا نرفضه فقط حين نشعر به فهذا دليل وجود خلل أخلاقي . أمر محبط أن تجد شريحة من المجتمع يكرهون جلاديهم ويحبون جلادين غيرهم.

حين اقول (سابني تمثال للرئيس العربي الفلاني في قلب بغداد) ستستفز هذه المقولة نفوس مواطني هذا البلد من الذين تعرضوا من قبله للظلم . هذا بالضبط ما حصل ويحصل لنا حين يمتدح العرب صدام حسين والمفارقة ان نسبة كبيرة منهم يمتدحونه لانه كان (قاسيا) وفي نفس الوقت يلعبون دور الثوار الذين يرفضون الظلم في بلدانهم . الثائر الذي يثور ضد طاغيته ويمجد طاغية اخر لا قيمة لثورته حتى لو نجحت لان هناك طاغية اخر يستعبد لبه.

يبدو ان بعض من يؤيدون النظام السابق ويحنون له واقعين تحت تأثير (الحنين للماضي) فالانسان يحن للماضي بطبعه وتلك الحقبة جزء من تاريخنا الشخصي والحنين لها من قبل البعض لا يعدو كونه حنين لماضيهم الشخصي الذي يشكل نظام حزب البعث جزء لا يتجزأ منه . قد يفند احدهم هذه الفرضية بالقول (هناك ادلة موضوعية تثبت افضلية ذلك العهد) الواقع ان الانسان غالبا ما يرى الماضي افضل من الحاضر لانه يقع تحت تأثير (الحنين والنسيان معا) ومثال بسيط على ما اقول هو الحديث عن الجيش السابق والحالي . الكل يعلم ان الجيش السابق خصوصا في السنوات الاخيرة تفشى فيه الفساد الى درجة لا تطاق وبرزت ظاهرة (التبرع) التي تقابل (ظاهرة الفضائيين حاليا) في معظم مفاصل الجيش .

لكن الحنين القهري للماضي يجعل الناس تتناسى هذه التفاصيل وتركز على امور اخرى لتجعل الصورة براقة .

بعض من يؤيدون النظام السابق من العراقيين ينطلقون من (الوضع الامني والاستقرار) لا جدال في سوء الوضع الامني حاليا قياسا بالسابق . لكن ما يحدث هو التالي (حزب يحكم البلد لعقود من الزمن بقبضة من حديد...يسقط نظام حكمه...يحاول العودة ولا يتمكن من ذلك...كيف يثبت افضليته؟؟؟بما انه يملك قدرة وقوة على زعزعة الوضع الامني ماذا ينتظر اذن؟؟؟هنا سيراه الشعب افضل لان عهده اكثر استقرار) لكن هذا لا ينفي سوء ادارة من تسلموا السلطة بعده . ترك الكثير من المعارضين العمل السياسي بعد وصول احزابهم الى السلطة والسبب كما يقولون هو فساد الواقع ورغبتهم في المحافظة على تاريخهم وسمعتهم لكني اختلف معهم فتركهم للساحة فتح المجال لاشباه السياسيين للدخول في السياسة .

بعض الناس متأثرين بكاريزما صدام حسين ولم يكونوا من المنتفعين منه والمفارقة ان بعض من كانوا منتفعين منه ارتدوا لحية وتحولوا الى ناقمين عليه ومدافعين عن ضحاياه .

هل من الممكن ان نتعايش في العراق؟؟؟التعايش امر ممكن جدا لو طوينا صفحة الماضي . لا اقصد بطي صفحة الماضي نسيان التجاوزات على حقوق الانسان بل اقصد استذكارها للاعتبار منها وتخليد ضحاياها وليس لاستدرار عواطف الناس للحصول على اصواتهم في الانتخابات .

سألني احد اصدقائي (قبل ان يعدم صدام حسين) قائلا : (صدام اعدم عمك وحكم والدك وعمك الاخر بالاعدام واعتقلك واعتقل بعض افراد اسرتك...ماذا ستفعل لو وضعوك معه الان في غرفة واحدة؟؟؟) اجبته : لا اريد ان احبطك لكني لن افعل شيء...لن اضربه...لن اسبه...لن اكيل له الشتائم...ليس من شيمي ان انكل بضعيف لا قدرة له على الرد...لكني لن اقاوم الفضول وسأسئله بعض الاسئلة التي تدور في ذهني و في نفس الوقت لن اسمح لنفسي ان اتوحد مع الجلاد لان في ذلك اهانة لدماء عائلتي قبل غيرهم...ان مواجهة الظالم (الحقيقية) حين يكون (في اوج قوته) وليس حين يكون (لا حول له ولا قوة)

ان الوقوف ضد الظالم حين يكون في اوج قوته شجاعة ما بعدها شجاعة لكن التنكيل به حين يُستضعف عمل خالي من الشهامة من جهة ولا جدوى منه من جهة اخرى...الابطال يسمون ابطال لانهم يواجهون الظالم حين تكون هناك عواقب للمواجهة اما حين تخلو المواجهة من عواقب فلا قيمة لها .

اقول صادقا...الان لو جاء من ظلمني وعبر عن اسفه وندمه لصفحت عنه . لكن البعثيون وافراد مؤسساتهم القمعية لا يعرفون معنى الاعتذار لانهم مشبعين بالكراهية والغباء معا والدليل انظر ماذا يفعلون منذ ان سقط نظامهم الى الان وماذا فعلوا حين كانوا في السلطة .

اقول لهؤلاء الذين يعيشون في الماضي وهم منغمسين بثقافة الكراهية...التعايش ممكن حين نرنو للمستقبل وليس للماضي . حين نركز على المشتركات وليس الاختلافات . حين يتقبل كل منا الاخر . حين نرضخ للامر الواقع . وجودنا في نفس الوطن امر واقع ليس علينا الا تقبله . الماضي لا يعود . قد يجتمع ولدي مع ولدك في نفس المدرسة يوما ما وهما لا يعلمان شيئا عن الماضي حبا بالله لنحرص على ان لا نورثهم الكراهية لاننا سنرحل يوما ما ومن الظلم ان يكره احدهم الاخر بدون سبب وجيه . التوتر بيني وبينك قد يكون لها مسبباته وتاريخه لكن ما ذنب ابنائنا ان نورثهم اياه؟؟؟لنطوي صفحة الماضي لاجل ابنائنا على الاقل . واذا لم نتمكن من ذلك فلنفعل كما يفعل الاخوان الذين يعيشون في نفس البيت وهم غير منسجمين . وماذا يفعلون؟؟؟ يخرج كل منهم في منزل منفصل كي لا يخسر اخاه للابد . الفيدرالية قد تكون حل مثالي اذا كان احدنا لا يثق بالاخر ولا يطيق العيش معه .

اذا كنت سني وتراني (صفوي عميل) فقط لاني (شيعي) بنائا على افكار نمطية تم الترويج لها بسفاهة فهذا مرض عضال تعاني منه وحدك لكن حين تورث هذا المرض العضال لابنائك فهذه هي الكارثة بعينها ... واذا كنت شيعي وتراني (بعثي ارهابي) فقط لاني (سني) بسبب افكار نمطية اريد لها ان تكون رأي عام فهذه ازمة نفسية تعاني منها وحدك لكن حين تورث هذه الازمة لابنائك فهذه كارثة لا تقل حجم عن اختها التي تساويها بالقوة وتعاكسها بالاتجاه .

اكثر نوعية من البشر تثير الاشمئزاز هم هؤلاء الذين كانوا منتفعين من النظام السابق او جزء من مؤسساته القمعية ثم اصبحوا فجأة (ابناء المذهب) ويسبون النظام السابق ويلعنوه ليل نهار مع انهم في حينها كانوا ينظرون الينا على اننا (مشكوك في وطنيتنا) خلع هؤلاء البدلة السفاري ولبسوا اللحية والمحبس وتحولت مفردة (رفيقي) الى مفردة (مولاي الجليل) واقرانهم في الجانب الاخر لبسوا اللحية والدشداشة القصيرة وتحولت مفردة (رفيقي) الى (اخي بالله) وصاروا مجاهدين في سبيل الله لتحرير الوطن . هؤلاء حشرات...وبشرط ضارة وليست نافعة...هؤلاء طفيليات تمتص روح المجتمع وتعيق تطوره...لو فرضنا ان الحزب الشيوعي حكم البلاد للبسوا قمصان حمراء وكتبوا على باب دارهم (سنمضي سنمضي الى ما نريد...وطن حر وشعب سعيد)

البعث سلوك...اي مجموعة من البشر يسمحون لشخص ان يقودهم (تحت اي عنوان) لظلم الناس هم يسلكون نفس سلوك البعث (وان لم ينتموا) المشكلة الحقيقية ليست في البعثي (او بعثي الهوى) الذي اقفل بابه ورضي بالامر الواقع وقلب الصفحة للابد . وليست في البعثي الذي بقي ثابت على موقفه فهذا خصم واضح تستطيع تشخيصه والتعامل معه . المشكلة في البعثي (الصلف) الذي يتظاهر بانه يبغض البعث ويشتمه ليل نهار بل يتظاهر ببجاحة انه كان معارض و مظلوم و مضطهد بل يتجرأ ببجاحة بأتهام غيره بانه بعثي . هؤلاء الزئبقيون هم لب المشكلة .

الآخر الذي يجب الغائه

يعتبر قبول الاخر من أهم الثوابت التي تجعل المجتمع مجتمعا قابلا للتطور . لكن هناك (اخر) لا يمكن قبوله بل يجب ألغائه وهو الاخر الذي يلغي الاخر من خلال قتله او سلب كرامته او ارادته. يجب الغائه من خلال محاكمته وتخليص المجتمع منه بحكم القانون . حين يتحول الكلام الى دماء هنا يجب ان تسلب ارادة هؤلاء لأنهم لا يحترمون حياة الاخرين ويسلبوها بكل أريحية. قبل فترة شاهدت مقطع لمسلمين في استراليا كان يبدو من وجوههم انهم متشبعين بثقافة الكراهية وكروشهم كبيرة كفاية لنكتشف انهم عالة على المجتمع الاسترالي . كانوا يمتدحون انفسهم في انهم خير امة وانهم احباء الله واصفيائه ويذمون ابناء البلد الذي اواهم ويصفونهم بصفات سيئة وكيف انهم منغمسين في الرذيلة . لا ادري حقا ماذا تنتظر استراليا لتضع هؤلاء بقوارب وتعيدهم من حيث اتوا ؟ هؤلاء عالة على المجتمع الاسترالي وفوق انهم عالة هم خطر محدق . اجزم ان هؤلاء لو اتيحت لهم الفرصة لذبحوا الاستراليين عن بكرة ابيهم وفي افضل الحالات سيذبحون رجالهم ويتخذون نسائهم جواري .

طفولة الجلادين

اول كلمة سمعها من أمه هي كلمة (أذبحك) وأول فعل مسلي قام بفعله دون معلم هو الركض خلف الحيوانات وضربها بالحجارة . لغة العنف هي أول أدراكه واخر فهمه . حين تعرف على أقرانه من احباب الله كان أول نشاط جماعي يقومون به مجتمعين هو حفلة جماعية لقتل قطة صغيرة ثم حفلة جماعية لقتل جرو تتبعها حفلة جماعية لقطع رأس طير. في كل حفلة من هذه الحفلات كانت تغمرهم الفرحة وهم يشاهدون ألم الحيوان الضعيف الذي يعذبوه . حين يمر طفل بنفس عمرهم أو أصغر بشارعهم لا يحتاجون لمعلم يعلمهم ما يجب أن يفعلوه . أول جملة سيسمعها منهم هي (تعال لك تعال) ثم سيمسكه أحدهم من ياقته وبعد ذلك يتحول الوضع بطريقة دراماتيكية الى (ولية مال مخانيث) سيضربوه بكل الطرق الفنية (راشديات – دفرات – بوكسات) لن يتركوه ألا بعد أن يبكي بكل ما أوتي من قوة وسيودعوه بجملة (بعد أذا شفناك هنا ننعل والديك) نموذج بائس المستقبل كفيل في تحديد هويته فأما أن تحدث مؤثرات في حياته تحجم جنوحه للعنف وتحوله الى أنسان اخر مختلف أو تحدث مؤثرات تدعم جنوحه للعنف وتطوره الى مراحل متقدمة . وقد يصطدم بخيبات أمل متكررة و مشاعر بؤس ومشاعر أضطهاد وشعور بالدونية يغضبه على واقعه ومجتمعه ثم لن يجد وسيلة للتعبير عن غضبه الا التوحد مع الجلاد . هذا النموذج يمثل شريحة لا يستهان بها من الشباب الذي توحد مع الجلاد وجلد مجتمعه من خلال أنصهاره بالمؤسسات القمعية للنظام السابق . فلم يجد هؤلاء ما يغذي جنوحهم للعنف أكثر من مؤسسات القمع التي كان النظام السابق يحمي بها وجوده .

سقط النظام السابق وسقطت معه كل مفاصل الدولة وفقدت هذه الشريحة أثمن ما كانت تملكه وهو القدرة على أذلال المجتمع والتسلط عليه . لم يكن أنتسابهم لمؤسسات القمع بسبب قناعة بالأهداف التي تحققها هذه المؤسسات بل لأنها تعطيهم ما يريدون وهو القدرة على سلب ارادة الاخرين . حين تلاشت هذه المؤسسات بحثوا عن بدائل أخرى تعيد لهم توازنهم الداخلي وبما ان أنتمائهم لتلك المؤسسات كان أمر واقع ليس أكثر لذلك وجدوا ظالتهم في أمر واقع جديد فرض نفسه واختبأوا خلف الخطاب الديني . وأجمل ما في الموضوع هو وجود أحتلال أجنبي فاذا كان في طفولته يرفض دخول طفل غريب في شارعهم ويواجهه بعنف فما بالك حين يدخل جيش غريب في بلده ؟؟؟ هي فرصة ذهبية لممارسة العنف بشتى الوسائل وتمكنوا من استثمارها أبشع أستثمار هم وأقرانهم الاقل سنا من الذين لم يحالفهم الحظ في ادراك الة القمع المسلحة للنظام السابق ليكونوا جزء منها لكنهم أدركوا حالة جديدة يعبرون من خلالها عن أنفسهم وهي ارتداء عباءة الدين .

كان النظام الشمولي السابق يجمعهم في سفينة واحدة وهي مؤسساته القمعية لكن بسقوطه أنفصل الأخوة ليتحولوا الى أعداء فهذا اصبح جزء من المجتمع السني وذاك أصبح جزء من المجتمع الشيعي . وكلٌ منهما تحول الى حارس للدين والوطن والمذهب من الاخرين وهم (أتباع المذهب المخالف - الغير ملتزمين من أتباع نفس المذهب - الذين يعملون مع الأمريكان - من ينتقدون ممارساتهم بصوت عالي) بأسم حماية المذهب قتلوا اتباع المذهب الاخر بشتى الطرق وبأسم محاربة الفساد عذبوا غير الملتزمين من شاربي الخمور أو غيرهم . وبأسم الدفاع عن المقدس سلبت أرادة من ينتقدوهم وعذبوا بجميع الطرق المبتكرة.

يقول الدكتور مصطفى حجازي : يكمن جوهر السادية , في نظر أنطونيتي , في البحث اليائس عن الانا . في الحاجة الى توكيد الذات , في دفع الاخر للأستجابة الى حقيقتك الذاتية : هذا انا , أنا هنا , يقول السادي يجب أن تلاحظ وجودي , أذا لم تلاحظه بمحبتي فعليك ان تدركه من خلال ألمك , أني أنا من يجعلك تتالم . بألمك تعترف بوجودي الذي يصبح أكثر واقعية بمقدار ما تكبر معاناتك (انتهى) .(8)

حاخام في بغداد

هناك قصص أنتشرت في الشارع العراقي في ايام الاحتلال الامريكي وهي ذات مغزى . سأروي قصة من هذه القصص لنناقش بعدها المغزى منها : في الطريق المؤدي من المحافظة (أ) الى المحافظة (ب) أعترضت مجموعة مسلحة أحدى سيارات الاجرة وأستوقفتها. وكان في السيارة ثلاث ركاب . فسأل المسلحون الراكب الاول : (أنت سني لو شيعي ؟) فقال لهم : (أني سني) فقتلوه على الفور . وسألوا الراكب الثاني : (جاوب بسرعة أنت سني لو شيعي؟) فقال لهم : (أني شيعي) فقتلوه على الفور. فسألوا الراكب الثالث وكان حائرا فيما يجيب فمن قال أنه سني قتلوه ومن قال انه شيعي قتلوه فقال لهم : (أني لا سني ولا شيعي اني واحد كاولي -غجري-) فضحك المسلحين بشدة على ما قاله

وقالوا له : (أسمع أحنة مراح نقتلك بس لازم تسوي نفسك ميت وتنام بين الجثث حتة تخلص نفسك) ففعل الرجل ما طلبوا منه . وبعد قليل سمع صوت سيارة قادمة وحين توقفت السيارة قرب الجثث حاول أختلاس النظر فاكتشف حقيقة مذهلة وهي أن من جاءوا للتاكد يرتدون زي حاخامات يهود وبعد أن تأكدوا من موت الجميع أخرجوا مبلغ من المال وأعطوه للمسلحين . ويبدو أن الله أراد لهذا الرجل أن يبقى حي لينقل لنا هذه الحقيقة (انتهى) .

القصة السابقة وغيرها من القصص أنتشرت في الشارع العراقي في ايام الاحتلال وهي طبعا ذات دلالة ومغزى . المحبط والمؤلم ان المجتمع يصدق هذه القصص ويروج لها بقوة بل يزيد عليها ويحبكها .

هذه القصص تجمع حقائق مع اكاذيب لتبدو حقيقية فمثلا عمليات القتل على الهوية من (الحقائق) لكن الاكاذيب تجدها في التفاصيل . ما الذي يجعل الأمريكان بهذه الدرجة العالية من الغباء ؟ لو فرضنا ان الامريكان يريدون التحريض على الذبح . ما الذي يجعلهم يستخدمون أساليب قديمة وسخيفة جدا ومكشوفة ؟ ولماذا يحضر الحاخام اليهودي مرتديا زيه الديني ؟ وأين كان رجال المقاومة من هؤلاء الذين يسرحون ويمرحون ويقتلون العراقيين على الهوية في مناطقهم ؟ اما كان أولى بهم الوقوف بوجههم وقتلهم لانهم مدسوسين من قبل المحتل ؟

ان هذه القصص لا تحتاج الى خبير ليفندها فهي تفند نفسها بنفسها . ولا تستحق ان نقف كثيرا لاثبات صحتها من عدم صحتها . لكن الذي يستحق ان نقف عنده هو المغزى من الترويج لها و الجهة التي تبث هذه القصص .المجتمع العراقي ميال بشكل كبير لتصديق هذه القصص والزيادة عليها وحبكها . فلا يحتاج من يريد بث هكذا قصة بين الناس الكثير من الخيال الواسع فحتى لو كان في قصته ثغرة واضحة ستختفي هذه الثغرة بعد وقت قصير . ستروى القصة من لسان للسان وتتغير وتحبك وتصبح حقيقة قائمة لا يجرأ أحد على تكذيبها . من كان من يروي هذه القصة كان مستمتعا في روايتها لانه يجدها تدعم ما يؤمن به و يتمناه . أحد الأصدقاء قال لي بعد ان أنتهى من سرد قصته (وهذا الرجال موجود حي يرزق جيران بيت فلان وهو حدثهم عن قصته بنفسه) لا أقول أن صديقي يكذب فليس لدي شك في مصداقية كل من يروي هذه القصة (ما عدا الراوي الاول) والبقية يميلون الى دعم هذه القصة وتصديقها لأنها تحاكي ما يؤمنون به ويتمنونه.

المغزى الحقيقي :

أنها قصص تريح الضمير وترفع الشعور بعدم الارتياح الذي ينتاب الأنسان حين يعلم أن أبناء بلده رفعوا شعار مقاومة المحتل فأكل بعضهم البعض الاخر . هذه القصص تجعل مصدر الشر اجنبي بالكامل ومصدر الخير عراقي بالكامل . و ترفع الشعور بعدم الارتياح

عند الرأي العام المؤيد للمقاومة حين يشاهدون تعرض مدنيين عراقيين للقتل. اصبح الموضوع سهل (هؤلاء مندسين من قبل الامريكان) كم هي فكرة رائعة ومريحة للضمير. أن الجهة التي تروج لهذه القصص لديها خبرة عالية في التعامل مع ترويج الاشاعة وفبركة الحدث . وهي جهة تعرف المجتمع العراقي جيدا وتعرف ما يؤثر به ويحرك مشاعره . وتروج لهذه الافكار لمواجهة الغضب الشعبي بسبب قتل المدنيين ليكون القاء اللوم على الأمريكان بالكامل . لا املك دليل يثبت من هي الجهة وراء بث هكذا قصص لكن ارجح ان مصدرها النظام السابق بحكم خبرته في مجال بث الاشاعة والتلاعب بالرأي العام.

جرائم حقيقية ارتكبها الأمريكان

أذا أردت الحديث عن جرائم حقيقية أرتكبها الامريكان في العراق فسأتحدث عن حادثة أؤمن بحدوثها واصدقها وأعرف جيدا أنها حقيقة وأشعر بألم شديد حين أتذكرها وهي حادثة الجندي الأمريكي الذي قتل عائلة كاملة في المحمودية وأغتصب أبنتهم وأحرقها . وهذه القصة تجسيد واقعي وحقيقي جدا لجريمة أرتكبها الجيش الامريكي بحق المدنيين ولا ينكرها الا أخرق . أو سأتحدث عن جارتنا التي أرداها جندي أمريكي قتيلة هي وحفيدتها الرضيعة . هذا أجرام واضح لا يحتاج الى دليل ولا يحتاج الى كلام كثير . أو ساتحدث عن احد الاشخاص الذي اعتقله الأمريكان دون وجه حق وقضى عامين من عمره في المعتقل وهو لا يعلم لماذا . ان هذه القصص وغيرها تعتبر حقائق دامغة تدين الامريكان وهي واقع معاش وملموس .

ما بين الكفاح السلمي والكفاح المسلح مفارقة غريبة

اؤمن بجدوى الكفاح السلمي الذي يتخذ من اللاعنف منهجا اساسيا في مقاومة المحتل . ابرز رموزه الهندوسي غاندي والمسلم خان عبد الغفار خان . جيش منظم من المحتجين الملتزمين بمنهج اللاعنف يستطيعون تحقيق المستحيل .

الدفاع عن النفس رد فعل طبيعي عند اي انسان بل عند اي كائن حي (حتى الكائنات البدائية) بعد دخول الاحتلال ارتفع الدافع الوطني لدى الكثير من الشباب العفويين من ذوي الغايات النبيلة (من مختلف الاديان والمذاهب والقوميات) وواجهوا المحتل مواجهة مسلحة تحت عنوان (الدفاع عن الوطن والمواطن) هذا ليس كلام رومانسي لكنه أمر واقع فليس من المعقول عدم وجود نسبة من البشر من ذوي الغايات النبيلة الحقيقية...لكن هل تم استغلال نسبة غير معلومة منهم لتحقيق أغراض أخرى؟؟؟هل تم استغلال اندفاعهم لتحقيق الهدف الذي كان ينبغي عليهم منع تحقيقه من قبل المحتل؟؟؟ هل تم ادجلتهم لآديولوجيا تغير مسار الغضب الذي كانوا يكنونه للمحتل الى اتجاه آخر؟؟؟

من حسن حظي اني التقيت بشخصين رفعا السلاح بوجه القوات الامريكية بدافع الوطنية . وكل منهما التقيت به في وقت مختلف عن الاخر . وكل منهما حاصل على شهادة جامعية .

وكل منهما ترك السلاح لنفس السبب . وكل منهما يختلف عن الاخر في المذهب . حين سألتهما عن سبب رفعهما للسلاح وسبب تركهما له كان جوابهما مقارب ويحوي المضمون التالي : حين رفعت السلاح كنت أؤمن بضرورة مقاومة المحتل الذي دخل الى بلدي عنوة . والحقيقة اني كنت أشعر بضرورة رفع السلاح . لكن بعد فترة من الزمن تغير الحال وتحول الأمر من مقاومة الأمريكان الى قتل من يثير الشك في تعاونه مع الأمريكان ثم تغير الأمر الى سلب أرادة المجتمع وتطور الأمر أكثر الى وضع أوراق تهديد لأشخاص يُعتقد أنهم يتعاملون مع الأمريكان . فما كان مني الأ أن أنسحب بهدوء وأحترم نفسي وأبرء نفسي من سفك دماء الناس على الظن والشبهة فليس هذا ما دفعني لرفع السلاح . غايتني كانت حماية الأنسان وليس قتله لذلك كان الجدير بي الانسحاب .

المفارقة هي في نسبة من العراقيين الذين يقيمون في اوربا ويدعون للمقاومة في العراق . اتذكر اني استمعت مرة لحوار بين شخصين يقيمان في اوربا عن المقاومة في العراق فكان احدهم يصرخ بقوة بضرورة مقاومة المحتل فاجابه الاخر (يا اخي لماذا تتهم نفسك بالجُبن؟ وتأتي كل يوم لتصرخ انا جبان ... انا جبان) فقال له (متى حدث ذلك ؟؟؟) فاجابه (انت حين تدعو للمقاومة في العراق وتقول ان الجهاد فرض عين وانت تقيم في هولندا مطمئن البال ولا تكلف نفسك في مشاركة من تحرضهم على حمل السلاح فعلى ماذا يدل ذلك ؟؟؟ على شجاعتك؟؟؟) فأجابه (هناك فرق بين المقاومة ودعم المقاومة وانا ادعم المقاومة معنويا)...يتعامل بعض الناس مع قضايا معينة كأنهم يتعاملون مع برنامج أستعراضي يتابعونه في التلفاز . فالعرب الذين كانوا يؤيدون المقاومة في العراق كانوا يتعاملون مع الموضوع كتعاملهم مع لعبة (بلي ستيشن) فالموت في ألعاب البلي ستيشن أمر عادي ولا يعني موت حقيقي . بنفس طريقة التفاعل مع الموت في البلي ستيشن يتفاعل مؤيدي المقاومة وعشاقها الغير متواجدين في العراق . فبموت جندي امريكي يشعر بشعور عالي بالنصر والرفعة وحين يعلم أن هناك خمسة عراقيين ماتوا حين مروا بالصدفة قرب حصول الحادث سيقول لك (هؤلاء شهداء) وحين يسمع خبر ذبح عشرة مدنيين عراقيين سيقول في نفسه (لا بد ان هناك ما يبرر قتلهم ولا بد أنهم عملاء للمحتل) صاحبنا المقيم في أوربا ويدعو للمقاومة بكل قوة وفخر لا يتقبل أن يتعرض أبنه لجرح صغير في قدمه ولو حصل ذلك ستجده يتألم بشدة لأجل أبنه فلذة كبده بكل جوارحه . لكن أبناء الخائبة الذين يشجعهم على المقاومة ويشجعهم على قتل أبناء خائبة اخرين ليس لهم قيمة بالنسبة له فهو لا يعرفهم ولم يجلس معهم فهم بالنسبة له مجرد ارقام تعبر عن الخير أو أرقام تعبر عن الشر. هم بالنسبة له كفلم جميل يشاهده وينحاز فيه لجهة معينة تمثل الخير لكن الفرق الجوهري هو أن الموت في الفلم غير حقيقي والموت في العراق حقيقي .

جميع البشر ضحايا دفعوا اثمان باهضة لعبث السياسيين . حتى الجنود الامريكان هم جناة من جهة (في حال قاموا بقتل مدنيين) وضحايا السياسة من جهة اخرى (لان السياسيين

اقنعوهم انهم يدافعون عن الوطن لكنهم تورطوا بحروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل) لو كان بني البشر عقلاء كما يدعون لما كان هناك حاجة لجيوش وسلاح من الاساس .

اؤمن كل الايمان بجدوى المقاومة السلمية ولا اتفق مع من تبنوا المقاومة المسلحة لكني احترم وجهة نظرهم و يجب النظر لمن واجهوا المحتل فقط بعين الانصاف . هناك بعض الحالات الاضطرارية التي تكون فيها المقاومة المسلحة مقبولة لكن حين يتوفر بديل سلمي لتحقيق المطالب وحين تكون الاضرار المترتبة عليها اكثر من الفوائد فلا جدوى منها بل تعد سلبية .

الذين حملوا السلاح في العراق بعد 2003 ينقسمون الى ثلاث اقسام :

1- مقاومون حقيقيون واجهوا المحتل فقط

2- مجاميع ترفع شعار المقاومة لكنها توغل في قتل المدنيين

3- مجاميع اصولية تعلن صراحة عن اهدافها الطائفية دون خجل

لا بد ان نميز بين من يقتل بالجملة على الظن والشبهة باسم الوطنية وبين من يواجه المحتل فقط . فحين يؤجل فصيل مقاومة عملية عسكرية ناجحة ومضمونة ضد قوات الاحتلال فقط لان هناك احتمال ان يموت انسان عراقي يقف قريبا منها فهذا فصيل مقاومة حقيقي ومنظم. حين يركز فصيل مقاومة ضرباته على معسكرات المحتل البعيدة عن المدن فهذا فصيل مقاومة حقيقي ومنظم . لا بد ان نكون منصفين معهم ونميزهم عن الذين اوغلوا في الدماء تحت نفس الشعار .

الهدف الرئيسي من مقاومة أي احتلال أجنبي في أي بلد هو حماية الوطن وحماية أبناء هذا الوطن من أن تسلب إراداتهم ومقدراتهم من قبل المحتل . عدد العراقيين الذين قتلهم الأمريكان لا يصل الى ربع عدد العراقيين الذين قتلوا تحت شعار (مقاومة الامريكان) أما عدد الامريكان الذين قتلهم من يدعون المقاومة فلا يصل الى ربع عدد العراقيين الذين أريقت دماؤهم باسم المقاومة . معادلة صعبة...ترفع شعار حماية المجتمع من المحتل فتحقق تحت هذا الشعار الهدف الذي كان من المفترض أن يحققه المحتل ... إنه فن تشكيلي لا تجيده إلا الشعوب التي تعشق الشعارات وتخدرها العنتريات .

لنترك المقاومين الحقيقيين جانبا ولنترك الارهابيين الذين اباحوا الدم العراقي دون خجل جانبا ايضا...لنتحدث عن الذين رفعوا شعار مقاومة المحتل لكنهم اوغلوا في الدم العراقي...هؤلاء تحديدا هل يملكون شجاعة هذا الجندي الامريكي ؟؟؟لا اقصد طبعا شجاعته في قتل الابرياء بل اقصد التالي :

جندي امريكي يظهر في صورة وهو يحمل علم بلده بالمقلوب وكتب عليه (لا يوجد علم كبير بشكل كاف ليستر العار الذي لحق بنا جراء قتل الناس الابرياء)

هو يشعر بالعار لان الجيش الذي ينتمي اليه تسبب بقتل ابرياء...ماذا عن هؤلاء الذين اطلقوا صواريخ كان من المفروض ان تستهدف الجيش الامريكي لكنها سقطت على رؤوس الابرياء هل يشعر هؤلاء بالعار لتسببهم بقتل ابرياء كان من المفترض ان يحموهم من المحتل وشروره ام انها اخطاء تحدث في المعركة ؟؟؟

ماذا عن ابناء الخائبة الذين حرضوهم على قتل ابناء خائبة اخرين بحجة انهم عملاء للمحتل؟؟؟هل يشعرون بالعار لتسببهم في تحويل البعض الى مجرمين و البعض الاخر الى جثث هامدة على يد من حولوهم هم الى مجرمين؟؟؟ الامر المثير للغثيان هو ان القاتل والمقتول قد تكون بينهما ذكرى مشتركة في مرحلة ما من حياتهما فقد تكون المدرسة جمعتهما يوما او مباراة كرة قدم في الشارع !!!او قد يكون الاثنان اصيبا بالحصبة في نفس الفترة !!! او قد يكون الاثنان يكرهان نفس الاكلة او لديهما نفس الميول الشخصية !!!

قسم ظهري اثنان

ابن الجنوب الشهم الذي ارتفعت غيرته على اهل المدن الغربية التي سيطر عليها داعش وتطوع لتحريرها والدفاع عن اهلها فينصدم بان نسبة من ابناء تلك المناطق يستنكفون منه ولا يرحبون بوجوده بل ان بعضهم يفضلون الافغاني والشيشاني عليه...(يا حسافة)

وابن الغربية الطيب الذي يرفض الارهاب ويؤيد القضاء على داعش ومن لف لفهم ولا يقبل اي وجود لهؤلاء الهمج باي شكل من الاشكال ويؤيد ان تقضي القوات الامنية عليهم ويمني النفس في ان تفرض الدولة هيبتها ويعود السلم لكن بسبب وشاية كاذبة ومعلومات مفبركة اوصلها احدهم للجهات الامنية بغضا به . او بسبب وجوده في المكان الخطأ او لاي سبب اخر يجد نفسه مساقا الى السجن بذل وهوان على يد من يؤيد قيامهم بفرض القانون والاكثر ايلاما من ذلك يجد نفسه محاطا داخل السجن بالدواعش الذين لا يطيق رؤيتهم ولا يتمنى الا القضاء عليهم...(يا وسفة)

ألمانيا...كوريا الجنوبية...أفغانستان...فيتنام...اليابان...العراق

ما هو العامل المشترك بين هذه الدول ؟؟؟ هل هو صعودهم لكأس العالم ؟؟؟ هل هو الجين الوراثي ؟؟؟ هل هو الاحتلال الامريكي ؟؟؟ نعم هو كذلك فجميع هذه الدول احتلتها امريكا يوما ما .

تأمل أسماء الدول سالفة الذكر...أي الدول يمكن ان تنطبق عليها مقولة (دول متقدمة تكنولوجيا وحضاريا وتحترم كرامة الانسان وتحفظ له حقوقه ويؤدي فيها واجباته ؟؟؟)

وأي الدول يمكن ان ينطبق عليها مقولة (دول متخلفة تكنولوجيا والانسان فيها مهدور الكرامة ولا يحصل على حقوقه كاملة ولا يؤدي واجباته كاملة ؟؟؟)

أي المجموعتين رفعت شعار مقاومة المحتل ؟؟؟ وأي منها رفعت شعار بناء الوطن والمواطن والحفاظ على حياة ما تبقى من البشر لبناء ما بقي من الوطن؟؟؟المفارقة ان اليابان التي لم تقاوم بعد سقوطها بيد الامريكان أجرم المحتل الامريكي بحقها أكثر بكثير من الدول التي قاومت والقنبلتان الذريتان خير دليل على وحشية المحتل معهم .

المفارقة هي أن شعوب الدول التي واجهت المحتل الامريكي بالقوة تحترم شعوب الدول التي هادنت المحتل وتتغزل بتمدنها واحترامها لحقوق الانسان ولمعالم الحضارة الواضحة في محياها...لكنهم يحتقرون من لا يؤيد مواجهة المحتل بالقوة داخل بلدانهم مع انه يتفق في الراي مع الدول التي يحترمونها ويبجلونها!!!

الدول المتقدمة كانت متقدمة قبل ان يتم احتلالها والدول المتخلفة كانت متخلفة قبل أن يتم احتلالها . فليس للاحتلال دور جوهري في تقدم هذه الدول فهي كانت كذلك قبل ان يحتلها المحتل . لكن المفارقة ان محنة الاحتلال ضاعفت من واقع الجميع فالدول المتخلفة ازدادت تخلفا والدول المتقدمة ازدادت تقدما . أن الفارق في التطور و طريقة التفكير بين الشعوب قد يفسر سبب اختيارها لطريقة تعاملها مع المحتل .

صدقا...حين يخطر في ذهنك الفرد الياباني هل تقول (أنه جبان) أم تقول إنه (متقدم تكنولوجيا) هل نتغزل يوميا بذكاء اليابانيين أم نذم جبنهم ؟؟؟ حسب منطق (الممانعة) هم جبناء لأن أميركا اذلتهم وأجرمت بحقهم واحتلتهم لكنهم لم يقاوموا . هل هم جبناء؟؟؟ صدقا هل مقولة إن اليابانيين جبناء صادقة أم مثيرة للسخرية ؟؟؟وهل مقولة إن اليابانيين يستحقون الاحترام ويستحقون أن يكونوا مثلا أعلى صادقة أم مثيرة للسخرية ؟؟؟

يحكى أن سيدة شربت كوب من الحليب . وهي تشرب لاحظت وجود نمل يسبح داخل الحليب لكنها في ذلك الحين كانت قد شربت نصف الكوب فذهبت مسرعة الى المطبخ وأخرجت مبيد الحشرات وشربته الى اخره ظنا منها ان المبيد سيقتل النمل فقط . فوقعت بعد قليل على الارض ونقلوها الى المستشفى وماتت هناك بعد ساعات . حال هذه السيدة يشبه حالنا فالكثير من الذين مارسوا القتل على الهوية كانوا يرفعون شعار مقاومة المحتل . السيدة ارادت قتل النمل الذي في بطنها لحماية نفسها لكنها في الواقع قتلت النمل وقتلت نفسها.

ضابط لا يميز بين قيادة الجنود وبين اذلالهم!!!

قبل الدخول في صلب الموضوع لا بد ان نقول ان من اهم فوائد الحياة العسكرية انها تعلم على الانضباط والصبر والجلادة من جهة و تقرب المسافات بين ابناء الوطن الواحد (المتباعدين جغرافيا) وتخلق بينهم علاقات حميمة من جهة اخرى .

اذا اردت تدمير اي مؤسسة عسكرية فاستعن باثنين :

1- ضابط فاسد يذل جنوده

2- جندي متسيب لا يحترم الاوامر

ان من يتطوع في الجيش او الشرطة ويتذمر من الاوامر العسكرية ويميل لحياة ليس فيها إلتزام ليجد لنفسه عمل اخر افضل له لان الحياة العسكرية مبنية على الاوامر والطاعة والالتزام...ان الفكرة التي تقول (عدم ضبط الجندي يؤدي الى التسيب ويؤدي الى اضعاف الجيش امام العدو) هي فكرة صحيحة تماما . لكن طريقة تفادي حدوثها مغلوطة .

في التدريب العسكري بامكانك ان تميز بسهولة بين الضابط الذي يضغط عليك ليعلمك ويصقلك وبين الضابط الذي يضغط عليك ليتلذذ باذلالك فالأول مهني حرفي يعرف ماذا يفعل اما الثاني فهو مريض سادي لجأ للسلك العسكري ليشبع ساديته . العسكريون يعلمون عن ماذا اتحدث .

من الجيد ان يتدرب الجندي وسط ظروف ضاغطة وصعبة وفي مختلف الاجواء السيئة ليتمرس ويتكيف على تلك الاجواء في ارض المعركة ويصبح اكثر جلادة واكثر قدرة على التحمل . لكن الغير جيد والكارثي هو تعمد البعض تمريغ كرامة الجندي وممارسة السادية عليه . بامكان اي انسان بسيط اكتشاف الفرق بين اجواء التدريب القاسية وهي مطلوبة وبين اجواء الاذلال المتعمد وهي لا تخلق الا جندي منكسر من الداخل .

التدريب على المسير العسكري والحركات العسكرية ليس بدون فائدة كما يتصور البعض . بل هو الف باء الانضباط (الفردي والجماعي) لكن الافراط فيه على حساب التدريبات الفعالة (التدريب على القوة البدنية والسلاح و المداهمات وغيرها) يجعله سلبي . حين تواجه عدو يملك قوة مدربة ومندفعة وتقوم بانهاك متدربيك بالحركات العسكرية على حساب التدريبات القتالية فأنت تقتلهم . سبب التركيز على الحركات الاستعراضية كما يبدو هو ابهار المسؤول الذي سيحضر استعراض نهاية الدورة .

الغاية من الاستعراض العسكري هو التباهي بالقوة العسكرية امام العالم وهذا امر مهم جدا . لكن الانضباط الجماعي والفردي والمهارة في تطبيق الحركات العسكرية (مع اهميتها) الا انها لا تعبر بالضرورة عن حقيقة القوة العسكرية وواقعها . فمن يتقن الحركات العسكرية

دون ان يتقن التدريبات الفعالة بنفس القوة والمهارة لن تنفعه تلك الحركات في شيء حين يكون في مواجهة حقيقية .

غسل دماغ المتدرب تحت عناوين وهمية

اكبر كذبة في العالم هي القول بان تمزيق الحيوانات الضعيفة (ارانب او غيرها) وهي حية في الاستعراض العسكري شيء يعبر عن القوة والجلادة او شيء يعلم الجندي على التكيف مع الظروف الصعبة . لا زالت هكذا عروض بائسة تمارس لحد الان مع الاسف الشديد. من يقول لك ان هكذا اساليب تعلم على الجلادة والقوة فتأكد انه اما كذاب او مغسول الدماغ. وسنذكر لاحقا الغاية الفعلية التي تختبأ خلف هذه الغاية المعلنة . الجلادة وقوة التحمل تاتي من التدريب المستمر وليس بهذه الطرق التي لا تمت بأي صلة للشهامة . الواقع ان صفة الحنو هي ما يجب ان يميز الجندي وليس القسوة على الضعيف . الواقع هو ان الحنو على الضعيف قوة والقسوة عليه ضعف وليس العكس .

اي طفل عمره سنتان يستطيع تمزيق اشلاء ارنب او طير وليس في ذلك قوة . سبب وجود العنصر الامني في اي بلد هو لحماية الضعيف من المجرمين وليس لتقطيع اشلاء ارنب . قمة البؤس والانحطاط ان يجتمع مجموعة من الاشخاص على حيوان ضعيف لا حول له ولا قوة لتقطيع اشلائه كتعبير عن القوة!!!اذا كان هذا هو التعبير عن القوة فكيف يكون التعبير عن الضعف؟؟؟اذا اردت ان يكون جيشك اضحوكة بين جيوش العالم فقم بهكذا عروض بائسة .

احد اصدقائي دخل دورة قوات خاصة في زمن النظام السابق ما تسمى بدورة الصاعقة ومن ضمن الاشياء التي مارسوها ما يسمى (حول الكلب) وتتلخص بان يجلبون كلب للمعسكر و يقوم جميع الجنود بالهجوم عليه وقتله بأي طريقة ممكنة . بطبيعة الحال الهدف المعلن هو (زيادة جلادة الجنود وقوة قلوبهم) لكن الهدف الحقيقي هو غسل ادمغتهم بهذه الغاية المكذوبة . الغاية الحقيقية هي جعل الجندي (حقير) لا يرف له جفن حين يواجه مدنيين عزل بالقوة . لكن الكارثة ان هذه العقول لا زالت موجودة على ارض الواقع .

حين تتحدث عن لا جدوى هكذا ممارسات بقلب رقيق ويجيبك احدهم مستهزءا بالجملة الشهيرة (بابا لتصير من جماعة ماما غطيني صير زلمة خشن) فتأكد ان مفهومه للخشونة والرجولة قد بني بشكل خاطأ تماما . الرجولة والشهامة تعني (الحنو على الضعيف) وليس تقطيعه وهو لا يستطيع ان يدافع عن نفسه . اذا كان في ذلك رجولة ليستعرضوا قوتهم اذن على (نمر او اسد او ضبع) ويقطعوا اوصاله بدون سلاح وامام الجمهوركما يفعلون مع الارنب وحينها سنصفق لشجاعتهم وقوتهم!!! لا تسمح لهؤلاء ان يقتلوا شهامتك وحنوك على الضعفاء بهذه المفاهيم المغلوطة . تمزيق كائن لا يستطيع الدفاع عن نفسه نذالة...اما الرجولة فتكمن في الحنو عليه والدفاع عنه .

من الامور الجديرة بالملاحظة في اساليب نسبة من الضباط :

- البحث الدائم عن اعمال وواجبات اضافية تجعل الجندي متعب ومنهك فاقدا لتركيزه يشعر بالملل والالم والرغبة الجامحة في ترك الخدمة. هكذا ضابط حين تسأله عن السبب سيجيبك وكانه يملك سر الخلود (يا اخي الجنود من يصير عدهم وقت فراغ تكثر مشاكلهم) هو لا يعلم ان الحياة اختلفت وهناك وسائل ترفيه ومسابقات ونشاطات توفرها الدول المتطورة لجنودها لتقتل وقت الفراغ الذي قد يخلق مشاكل وليس اتعابهم بطرق اكل عليها الدهر وشرب كما كان يحدث في الجيش قبل 2003(احفر حفرة ثم اردمها) اساليب الحرب العالمية الاولى . ليس كل شيء قديم وتقليدي صحيح بالضرورة . القواعد والقوانين والانظمة والتقاليد والضوابط من صنع الانسان و بيده تغييرها لو ثبت عدم صلاحيتها .

- اختيار عقوبات عسكرية مذلة ومهينة لشخص الجندي.

- تعمد عدم احترام الجندي وتحقيره لاتفه الاسباب.

- تجنب اقامة علاقة انسانية مع الجندي ووضع حواجز هائلة بينه وبين الضابط.

- الاستعانة ببعض الجنود من المتملقين والواشين ليكونوا عيون للضابط على بقية الجنود.

- عدم التعاطف مع الحالات الانسانية التي يمر بها الجندي من قبيل (وفاة احد افراد اسرته) او مرضه مما يشعره بعدم استحقاق هذا الضابط لولائه.

هذا ما يفعله نسبة من الضباط في الجيش والشرطة وهم بذلك لا يعرفون الفرق بين قيادة العناصر وبين اذلالهم وارهاقهم . سؤال يطرح نفسه : هل شعار (الخير يخص والشر يعم) من الممكن ان ينتج شيء اكثر من الشعور بالقهر والاجحاف والانكسار؟؟؟

حدثني قريبي الذي يعيش في استراليا عن طريقة تعامل الضابط مع الجندي الذي ينام اثناء الواجب فقال ان الضابط يقوم بوضع صبغ احمر على رقبته وهو نائم كإشارة بانه لو كان في مواجهة عدو لكان الان مذبوح وهذا الصبغ الاحمر لا يمكن ازالته بالماء ويبقى لفترة معينة وتخيل معي ما هو شعوره امام زملائه ؟؟؟ لم يقل له (اكعد لك قشمر) ولم يقل له (اليوم اراويك نجوم الضحى) ولم يصرخ ولم يهدد ويتوعد كل ما فعله انه اشعره بفداحة فعله بقوة لكن بطريقة باردة او كما نقول بالعراقي (اشتغله عالبارد) لكن ما فعله معه (يسوه عمره)

فرق شاسع بين القائد والمدير...لا هي براءة اختراع ولا هي فكرة عبقرية...هي من بديهيات علم الادارة وتعلمناها في المرحلة الاولى من الدراسة الجامعية...هناك فرق كبير بين القائد والمدير فالقائد ليس بالضرورة مدير والمدير ليس بالضرورة قائد...المدير هو شخص معين في منصب ويملك صلاحيات اما القائد فهو شخص يلهم الاخرين بشخصيته

القيادية ويتبعوه ويطبقون افكاره بكل طيب خاطر دون ان يتسنم اي منصب . لكن هذا لا يمنع ان يكون المدير ذو شخصية قيادية اي انه يجمع بين الشخصية الملهمة وبين المنصب في آن واحد وهذه هي الصورة المثالية . وقد لا يملك المدير صفة القيادة فتجد من هم ادنى منه مرتبة وظيفية اما يطبقون اوامره على مضض او لا يطبقونها اصلا . وهناك اشخاص اقل مرتبة من المدير لكن لصفاتهم القيادية يثبتون انفسهم امام باقي الموظفين او الافراد في تلك المؤسسة فيكونوا عامل استقطاب والهام للبقية .

الضابط (القائد)

بامكانك ببساطة ان تميز بين الضابط القيادي وبين الضابط السادي من خلال وجوه الجنود الذين يحيطون به . فالضابط القيادي الجنود الذين بصحبته وجوههم يقظة لا تفارقها الابتسامة ينظرون اليه بشغف فور تحدثه يشعرون بالولاء المطلق له ويتمنون ان يامرهم بشيء لينفذوه لماذا ؟؟؟

لانه عاملهم معاملة اخوية وحفز لديهم روح الولاء والطاعة الذاتية وفي نفس الوقت قام بضبطهم وليس اذلالهم والفرق كبير بين الاثنين فالقائد الحقيقي يعاقب من يخالف الاوامر لكن لا يذله ولا يتعامل مع العقوبة كموضوع شخصي وهذا يجعل الجندي او الشرطي اكثر تقبل للعقوبة مما لو كانت موضوع شخصي فقد يعاقبه وفي نفس الوقت يتحدث معه بطيب خاطر ليوضح له ان العقوبة هي شي يقابل تقصير حدث منه وليس حبا في اذلاله .

وفوق كل هذا حين يدخلون في قتال يجدونه امامهم يحفزهم على القتال ويرفع عندهم الروح المعنوية وخير مثال على ذلك المقدم الركن الشهيد علي سعدي النداوي الذي ظهر في مقطع فيديو مؤثر تدمع له العين وهو يحفز جنوده على القتال قبل ان يذهبوا الى المعركة ونال بعد فترة شرف الشهادة مع انه لم يكن يملك دارا في هذا الوطن الذي مات من اجله !!! شتان بينه وبين من اشترى اكثر من دار باموال الحرام التي حصل عليها من الرشاوي التي جناها من (الفضائيين) ولا يعرف الا اذلال الجندي وتحقيره وفي ارض المعركة لا تجد له اثر يذكر .

الضابط (السادي)

اما الضابط الذي يذل جنوده فبامكانك بنفس البساطة ان تميزه من خلال وجوه العناصر المحيطين به . اذا نظرت الى وجوههم ستجدهم شاحبي الوجوه . يبدو عليهم الضيق والانزعاج . يقفون وكانهم تماثيل يحسبون الثواني ثانية ثانية لينتهي الواجب وكانهم في جهنم . ينظرون الى الضابط بخوف وحذر شديدين عيونهم ذابلة اكتافهم متهدلة الى الاسفل اذا طلب منهم الضابط تنفيذ اي امر ستجد ارجلهم متثاقلة لا تكاد تحملهم لان في داخلهم مشاعر كره تجاه هذا الضابط لانه اهان كرامتهم اكثر من مرة سابقا امام الاخرين ولاسباب تافهة .

قال احدهم مرة (ان هذه الاساليب التي يذل فيها الجندي هي من تصنع الرجال) . الحقيقة هي ان هذه الاساليب هي من جعلت الجيش العراقي ينهار بايام معدودة امام الاحتلال الامريكي . جندي منهار نفسيا اول ما تعلمه في الجيش هو ان يُذل وتسحق كرامته ثم بعد ذلك يشاهد من اذلوا كرامته من قادة وضباط غارقين في الرشوة ماذا نتوقع منه ؟؟؟

رفاهية الجندي وراحته (خارج وقت الواجب) تقابل عطائه (اثناء الواجب) بالضرورة

الفلسفة الجيوش العتيقة البالية التي عفى عنها الزمن ما عادت تعمل وما عادت تنفع في القرن الحادي والعشرين الان الفلسفة اختلفت بل تناقضت . الان كلما وفرت للجندي وسائل رفاهية في وقت راحته كلما كان احتمال عطائه اكثر...والعكس صحيح كلما حرمته من الرفاهية في وقت راحته كلما كان مقدار عطائه اقل...الجيوش الان توفر مسابح وملاعب ووسائل ترفيه مختلفة وفي المقابل تطالب الجندي ان يكون قمة التركيز في وقت واجبه . من غير المعقول ان تطالب جندي او شرطي ارتأى ضابطه ان يقف في الواجب لساعات طويلة جدا تفوق طاقة البشر فمن الطبيعي ان يقل تركيزه ويشغل نفسه بالهاتف النقال وغيره لان طاقته الجسدية والعقلية انتهت...هذه العقليات التي تحمل هذه الافكار العتيقة التي اكل عليها الدهر وشرب يجب ان تتقاعد بل اذا اقتضى الامر ليعطوهم راتب مضاعف ويجلسوهم في البيت ويخلصونا من افكارهم التي اذلت جنودنا واحرقتهم .

المنفعة المتناقصة

درسنا في علم الاقتصاد قانون المنفعة المتناقصة وهو باختصار اذا اكلت برتقالة فانك تحصل مثلا على وحدتين من المنفعة لكن حين تأكل برتقالة ثانية فانك تحصل على وحدة واحدة لان البرتقالة الاولى اغنت جسمك لذلك سيطرح ما لا يحتاجه . ولو اكلت برتقالة ثالثة فستحصل على صفر من المنفعة اي ان الجسم لن يستفيد منها ولو اكلت برتقالة رابعة ستحصل على سالب واحد من المنفعة اي انك ستتضرر منها لانها فوق طاقتك الطبيعية . هذا بالضبط ما يحصل مع الجندي حين يلتزم بواجب ساعات طويلة فالساعات الاولى يكون فيها يقظ ومحفز ومستعد لكل طاريء لكن التي تليها سيشعر بالملل والساعات التي تليها سيشعر بالارهاق والاعياء ويبحث عن ما يلهيه عن الواجب ليس لانه متسيب بل لان هذه هي الطبيعة البشرية فطاقة الانسان محدودة مهما كان مدرب .

نعم في ارض المعركة الوضع مختلف فالجندي متيقض ذاتيا ومستعد نفسيا لقضاء ساعات طويلة في القتال لانه يعلم مسبقا منطق المعارك ومحفز مسبقا لمجابهتها . لكن ان يكون الجهد (فوق الطبيعي) سنة متبعة فهذا خلاف الطبيعة البشرية . وينطبق عليه قانون المنفعة المتناقصة .

الجندي او الشرطي (الشايخ)

هناك نسبة من الجنود او افراد الشرطة لهم مكانة اجتماعية او نفوذ في المجتمع الذي يعيشون فيه فيشعرهم ذلك ان إلتزامهم بالواجب كما الاخرين امر يقلل من قدرهم فتجدهم يميلون الى التسيب وعدم الالتزام واذا طلب منهم احد زملائهم الالتزام كي لا يتعرضون للعقوبة لان الضابط خرج بجولة تفتيشية مثلا يجيبون بكل بساطة (خلي يولي هو يكدر يفك حلكة) هو في الواقع لا يحتقر الضابط فقط بل يحتقر زملائه ويجدهم ادنى منه مستوى ولا يجب ان يتساوى معهم وهو يعلم انه يستطيع تجنب العقوبة (بتلفون زغير) لماذا ؟؟؟ لان هذه ثقافة مجتمعنا وفي جميع المجالات وليس فقط المجال العسكري فمن هو على رأس المسؤولية او (الرئيس) غالبا لا قدرة له على رد طلب شخص ذو مكانة او تربطه به صلة قرابة ومن هو (مرؤوس) غالبا لا يتحمل اغراء ان له صلة بشخص ذو تأثير على رئيسه . هذا واقعنا وهذه ثقافة مجتمعنا المزرية وفي جميع المجالات .

العقوبة لا تعني توجيه الاهانة

النجوم التي فوق كتفك تعطيك الحق ان تعاقب المقصر لكن لا تعطيك الحق ان تهينه . حين يكون الجندي محل سخرية وهزل من شخص يعاني من عقد نفسية يريد اسقاطها على الاخرين سينكسر من الداخل قبل ان يواجه العدو حتى .

نعم الجندي المسيء يعاقب بل الافضل لو تكررت اسائته ان يفصل كي يكون عبرة لغيره . لكن لا يذل ولا يهان . العقوبة لا تعني الاهانة فقد يعاقبه الضابط عقوبة مالية مثلا من خلال استقطاع مبلغ من راتبه او عقوبة الحبس او عقوبة تكرار واجب او عقوبة جسدية من خلال تكرار تمرين معين لكن ليس من حقه ان يقول له (قشمر او حيوان او ابن الكذا) وليس من حقه ان يتجاوز عليه جسديا .

فصل المفاهيم عن بعضها امر في غاية الضرورة . ان الضبط لا يعني توجيه الاهانة والعقوبة لا تعني الاذلال والقيادة لا تعني الابتعاد والانزواء والتأمر على الاخرين . حين نصل الى مرحلة نميز بين هذه الامور سننتج ضابط قائد وجندي ملتزم .

يوجد 13000 شرطي حاصل على شهادة جامعية في وزارة الداخلية اغلبهم لديهم خدمة طويلة في الوزارة . كان هناك قانون يتيح للمنتسب الدخول في دورة ضباط الى حد عمر 40 سنة لكن هذا القانون تم تغييره واصبح العمر 27 سنة . وهذا حرم معظم المنتسبين الخريجين من الدخول بدورات ضباط . ما حصل هو ان وزارة الداخلية اخذت زهرة شبابهم وهم ملتزمين بالواجب في الشارع بمختلف الاجواء القاسية والصعبة والخطرة ثم حين يرغبون بتطوير انفسهم تطالبهم الوزارة بالعمر الذي اضاعوه فيها!!!مفارقة غريبة!!! بعد جهد جهيد ومطالبات مستمرة تم تحويل 2000 منتسب تقريبا على الملاك المدني . المؤسسة التي تدفن اكاديمييها بعمل يستطيع شخص ليس لديه شهادة ابتدائية اتمامه لا يحق

لها اطلاقا ان تتحدث عن الكفاءات وسبل تطوير المؤسسة ... المؤسسة التي تأكل ابنائها لحم وترميهم عظم بعد ان حرقت زهرة شبابهم تحت عنوان (الضوابط والقوانين) لا يوجد امل (ليس في تطورها) بل في بقائها محلها . فالتراجع هو عنوانها الدائم . تطالبهم بعمر 27 سنة؟؟؟اذا كان احدهم عمره 37 سنة مثلا ولديه خدمة 11 سنة هذا يعني ان العمر الذي يطالبوه به ضاع عندهم ومن باب الانصاف ان يمنح رتبة فخرية (في اقل تقدير) انصافا لخدمته الطويلة ورتبته العلمية الاكاديمية التي توازي رتبة الضابط (اكاديميا). يفترض ان يمنح خريجي المعاهد والكليات فرصة دخول دورة ضباط او ان يمنحوا رتب فخرية انصافا للعلم . صرح احد النواب قبل فترة ان احد القادة الامنيين وهو يحمل رتبة عسكرية عالية ليس لديه تحصيل دراسي . ان الضوابط (المقدسة) تسري دائما على المساكين اما (المبشرين بالحظوة) فيتم تفصيل الضوابط على مقاسهم دائما وابدا . هل ستنقلب الدنيا لو تم تفصيل قانون ينصف حملة الشهادات يحمل (ولو ربع) امتيازات القانون الذي فُصل على مقاس السادة الذين شملتهم دورات(الدمج)؟؟؟

من تنطبق عليه مفردة (مسؤول) هو ذلك الذي يتسنم المنصب ويجد الضوابط ظالمة ومجحفة فيقاتل لاستبدالها بضوابط منصفة . اما من يجد الضوابط ظالمة ويصر على تطبيقها بل تقديسها فلك ان تطلق عليه اي مفردة تشاء الا مفردة (مسؤول) .

معيار الشجاعة بين اطوار بهجت ومنتظر الزيدي

حدثين على درجة عالية من الاهمية

الحدث الاول :

الى سامراء...حيث...طريق الموت...منطقة ساخنة...حدث ساخن...تفجير مرقدي الامامين العسكريين...مشاعر غضب شعبي ...منطقة تحت سيطرة الارهابيين . هل سنكون مغالين لو قلنا أن من يواجه هذه الظروف مجتمعة لنقل الحقيقة بكل مهنية ومن قلب الحدث يستحق ان يكون رمز الشجاعة ومرادفها ؟

أنها أطوار بهجت...الصحفية اطوار بهجت...حين تجتمع حروف أسمها...على النهر أن يقف حدادا...وعلى الجبل أن يضطجع باكيا...وعلى الأعلام أن تنكس سواريها...وعلى الجندي ان يخفض سلاحه...لأنها أطوار بهجت...لأنها من اعطت للشجاعة معنى جديد.

الاستاذ : ما هي الشجاعة بالمفهوم المعاصر ؟

الطالب : انها اطوار بهجت

الاستاذ : سألتك يا بني عن معنى الشجاعة بالمفهوم المعاصر

الطالب : انها أطوار بهجت لا تزيد حرف ولا تنقص حرف

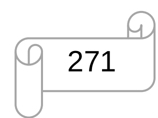
الأستاذ : لا تضيع وقتي هل تعرف معنى الشجاعة ام لا ؟

الطالب : يا أستاذ كل وقتك ضائع أذا لم تكن تعرف أن الشجاعة المعاصرة تعني أطوار بهجت. وعليك أن تغير السؤال من (ما هي الشجاعة) الى (من هي أطوار بهجت) .

وجدنا في هذه الحياة بغير أرادتنا . وما علينا الا أن نعيشها قدر أستطاعتنا وبأحسن وجه ممكن وهذا ما فعلته أطوار ألا أن أراذل البشر كان لهم كلمة . لا يمكننا ان ننكر ان اطوار بهجت حصلت على تعاطف شعبي ورسمي واسع لكن هل حصلت على مكانة (البطلة) في اذهان الناس ام حصلت على مكانة (المسكينة)؟؟؟

الحدث الثاني

في قلب فندق من فنادق الدرجة الاولى أو في قصر المؤتمرات . لا أعلم ولست مهتم جدا للمكان . وقف بوش في مؤتمره الصحفي . فخلع منتظر الزيدي حذائه والقاه على بوش وصرخ باسم الابرياء والمساكين . ليحصل بهذه البساطة على دور البطولة والشجاعة



والفروسية . لن يحتاج أن يذهب الى منطقة ساخنة لنقل الحقيقة ولن يحتاج أن يعرض حياته للخطر .

كلنا نعلم أن رد الفعل الرسمي والقانوني تجاه منتظر لن يصل في أسوء حالاته الى الاعدام. بكل هذه البساطة وفي جو مترف ومليء بذوي البدلات الرسمية حصل منتظر على لقب بطل وتحول الى رمز للجهاد ضد المحتل البغيض . وحصل على تكريم شعبي قل نظيره .

السؤال الذي يطرح نفسه : ما هو انطباع شريحة من المجتمع عن منتظر ؟؟؟ هل يقولون مثلا (خطية مسكين) ام (بطل...سبع)؟؟؟

لنقف على مجتمعنا ومستوى تقييمه للشجاعة الخاصة والاستثنائية التي مثلتها أطوار بهجت وبسببها فقدت حياتها . بأختصار وبدون لف ودوران . ان أقصى مستوى تفاعل اجتماعي حصلت عليه أطوار بهجت هو حصولها على تعاطف شعبي وأسف على ما حدث لها ومشاعر الم لا يمكننا أن نغفلها ويجب أن نقدرها وهذا امر أيجابي بكل المقاييس . لكن !!! لنترك مفردة (لكن) ونقف عند منعطف مهم . وهو معيار البطولة والشجاعة في عيون مجتمعنا .

في مجتمعنا المعايير معقدة . ومن يسعى لدور البطولة في مسلسل الشرق الاوسط عليه ان يفهم جيدا معايير المجتمع ومقاييسه . هناك أمور معينة لو فعلها شخصا ما مع بعض السمات الشخصية البسيطة ومقدار بسيط من الذكاء الاجتماعي سيتمكن من التحول الى بطل على الأرجح .

لتكون بطلا يكفيك ان تستخدم شعارات معادية للمحتل ومن جاء مع المحتل وأقارب المحتل وجيران المحتل وابن عم المحتل ومن شاهد المحتل ومن مر قرب المحتل وخياط بدلة عروس المحتل . فضلا عن الامبريالية والصهيونية هذا عدا الحديث عن المخطط الامريكي الذي يعده عامل النظافة عودة وينفذه الحمال خلف (مع احترامي الشديد لكلاهما وتبجيلي الكبير لمهنتهما الشريفة) أضافة الى شرح واف لدسائس المحتل وخبثه ونجاحه في تفريق الامة وتمزيقها . ونجاحه في أفساد الامة واختراق بكارتها . ودهائه في تحويل الابيض الى اسود والاسود الى أبيض . كل هذا لو حدث في الوقت المناسب ومن شخص يملك المقومات المناسبة ويعرف جيدا عن ماذا يتحدث سيتحول الى بطل وقد يتحول الى زعيم .

ان عنوان (مقاومة المحتل) تم استغلاله في كثير من الاحيان لتحقيق مَآرِبُ اخرى . المحتل ليس بريء ومسكين وليس مجني عليه بل هو (الجاني) لكن الحديث عنه تحول الى تجارة رائجة ومستهلكة .

لا يحتاج المرء ان يواجه الصعوبات ليكون بطلا . يكفي أن تنال من المحتل بشعارات رنانة لتكون أشجع الشجعان وبطل الابطال وقائد ثورة الفاتح والغامق والكحلي . ستزف لك

العروس بدون مهر وسيصرف لك راتب مدى الحياة وستخرج لاجلك التظاهرات في أرجاء الفردوس العربي الموحد . وسيستقبلونك وكأنك كلكامش حاصلا على سر الحياة الابدية . يا صديقي المتحمس اذا كنت تبحث عن دور البطولة ففكر جيدا قبل ان تضحي بحياتك فكل ما يحدث خدعة . ليس عليك ألا ان تصرخ عاليا (يسقط المطر في الصيف يعيش السمك في الماء) . أحسبها جيدا . لا تيتم أطفالك ولا ترمل زوجتك ولا تفجع امك اذا كانت غايتك هي الحصول على دور البطولة فهناك اساليب سهلة تمكنك من الحصول على هذا الدور دون الاضطرار للتضحية بحياتك .

ليضرب بوش بمئة حذاء وألف قبقاب ومليون جزمة ومليار نعال وترليون شبشب . فلست مهتم لامر بوش وهو كفيل بالدفاع عن نفسه . ولست هنا في محل تقييم مدى صحة ما فعله منتظر الزيدي أو مدى أستحقاق بوش ليضرب بحذاء . فلا انا مهتم لمشاعر جورج بوش ولا انا مهتم لما فعله منتظر الزيدي ولا يهمني أمر كلاهما (مع احترامي الشديد لشخص منتظر الزيدي الانسان الذي يشاركني في الوطن) ما يهمني حقا هو تصنيف المجتمع وتقييمه لما فعله منتظر الزيدي .

في اول انتخابات جرت بعد 2003 قام شرطي عراقي بأحتضان أرهابي يرتدي حزام ناسف وأبعاده عن الناس وتمكن الارهابي من تفجير نفسه ليموت الشرطي معه ولا يموت أحد غيره بفضله . الدفاع عن حياة الناس والتضحية بالنفس هي شجاعة حقيقية خالصة تستحق الخلود . هل هناك من يتذكر أسم هذا الشرطي وغيره من الابطال الحقيقيين ؟ لا أعتقد أن هناك من يتذكره غير أهله وأصدقائه وأبناء منطقته .

كنا على الموعد مع البطل الشجاع عثمان العبيدي الذي فقد حياته وهو ينقذ الاخرين من الغرق. وحصل منا على تقدير شعبي وحب كبير يستحقه لكن مع الاسف لسنا دائما على الموعد . فهناك اشخاص لم يفعلوا الا ترديد شعارات وفعل حركات أكشن في أجواء مترفة ليحصلوا على رمزية عالية . وهناك أشخاص قاموا بأفعال أنقذت الكثير من الارواح وضحوا بأرواحهم ولا يوجد من يذكرهم .

القوي المعتدي

المجتمع لا يكاد يميز بين القوة والشجاعة . واحيانا لا يصنف الشجاعة على أنها قوة ويتغاضى عنها ويعطيها وصف اخر . ففي نظر المجتمع من لا يستخدم القوة لا يملكها . ولا يوجد تقدير كبير لمن يملك القوة ولا يستخدمها . بل ان الانسان المسالم يصنف كضعيف ليس لديه قدرة على اخذ حقه...قم بهذه التجربة البريئة أختر أسم شخص مهذب ومؤدب ومسالم . واسأل عنه أبناء منطقته . ستلاحظ أن هذه المفردات ستتكرر على السنتهم أكثر من غيرها (خطية , فقير , خوش ولد , ما عندة أذية على أحد) . وقم بتجربة أخرى وأسأل عن شخص اخر معروف عنه كثرة المشاكل والمشاجرات والصوت العالي .

ستسمع هذه المفردات اكثر من غيرها:(سبع , أخو خيتة , تخليه على يمناك , واحد شراني دير بالك منة)

في تصوري ان مفردة فقير تعني ان المجتمع ينظر الى الأنسان المؤدب الذي لا تبدر منه تصرفات عدائية وكانه يفتقر الى شيء وهو فعلا يفتقر الى شيء مهم وهو (الاعتداء على الاخر) فهذه الصفة لو كانت موجودة لأستخدموا مفردة (سبع) وتلفظ بطريقة مشددة جدا مع حركة تأكيدية بالرأس وملامح تعبيرية هائلة بالوجه . الواقع ان تعابير مثل فقير او خطية أو غيرها تعبر عن عدم تقدير المجتمع للشخص المسالم . مع انهم يحترموه ظاهريا ويحبوه ويفضلون التعامل معه لكن في داخلهم نوع من التحقير والأستهانة التي تجعلهم يستخدمون مفردة فقير والتي تلفظ مع تعابير واضحة بالوجه وفي العينين تحديدا (تكون العينين نصف مغمضة) كتعبرعن الضعف . اما صاحب المشاكل فمع ان المجتمع قد يذمه وينتقده لكن من المحتمل أن يصفه أحدهم بمفردة (سبع) او(اخو خيتة) ويحاول الناس بشكل دائم المهادنة معه للابتعاد عن مشاكله وخوفا من استخدامه للقوة . لذلك تجد المجتمع يميل بشكل كبير الى منافقة هكذا شخصيات ومحاولة كسبهم بكل الوسائل . وبامكانك أن تكتشف الأحترام والتقدير من قبل المجتمع للشخص صاحب المشاكل وكثير المشاجرات بسهولة . فحتى بعد أن يبين لك احدهم انه يجب أن تتقي شر هذا الرجل فلا تستبعد ان يستخدم مفردة (سبع) لأنها تعبيرعن أحترام القوة وخير تجسيد للتوحد مع الجلاد .

القوة لا تعني الشجاعة

كل ما سبق نسبي الى حد ما لكنه واقع فعلي ملموس وشائع . ان احترام القوة لا يقف عند القوة العضلية فقط . فهناك احترام لمظاهر أخرى للقوة ليست عضلية . والقوة لا تعني الشجاعة دائما. فهناك فرق جوهري بين القوة والشجاعة فليس كل استخدام للقوة يعتبر شجاعة . وليس كل شجاعة تحوي في تفاصيلها استخدام للقوة . لكن المجتمع في كثير من الاحيان يعطي للقوي صفة الشجاع . مجتمعنا تأسره وتسحره الشعارات التي تعبر عن الوقوف بوجه المحتل . لكن ليس كل من يرددها يتمكن من التحول الى قائد ملهم مسموع القول . فهناك عوامل أخرى تتعلق بطبيعة المجتمع والصفات الذاتية للفرد ومؤهلات اخرى...لا اعلم الى ماذا سيتحول المكان الذي أجلس به الان بعد 100 عام ولا اعلم من سيجلس هنا . لكني أعلم جيدا ان من سيجلس هنا بعد مئة عام سيقرا في كتاب التاريخ المدرسي عن هذا الزمان الذي نتنفس به الان عن أشخاص كثيرين سيسجلون كأبطال وكرموز للوطنية والشجاعة وهم لا يستحقون ذلك . ان التاريخ لا يذكر الشجعان الحقيقيين الا على مضض . فكثير من الزعماء في الازمان الغابرة من الذين تورطوا بعمليات قتل وسلب لارادة المجتمع نجوا بفعلتهم وسجلهم التاريخ كابطال قوميين لسبب بسيط وهو مواجهتهم للاجنبي ورفع شعارات معادية له فالتاريخ يهمل انهم تسببوا بقتل مدنيين ابرياء ويركز على وقوفهم بوجه الأجنبي.

يقول الوردي : احب الشعب الملك غازي اكثر مما احبوا اباه . والسبب في ذلك ان الشعب العراقي كان لديه معيار واحد يقيس به رجال السياسة وهو معيار العداء للانكليز . فالذي يعادي الانكليز هو في نظر الشعب وطني , والذي يصادقهم خائن . انها كانت لدى الشعب كالمعادلة الرياضية . أذ كانوا ينظرون لرجل السياسة حسب هذه المعادلة . فكلما كان الرجل اكثر عداء للانكليز كان في نظرهم اكثر وطنية والعكس بالعكس (انتهى) .(1)

كيف يحدث ذلك ؟ وكيف يُكتب التاريخ ؟

الجيل الذي عاش الماساة ولمس المعاناة بنفسه من خلال فقدانه لاحبائه سيحكي للجيل الذي بعده عمق المأساة والمعاناة التي حدثت لهم على يد نفس القوى التي ادعت مواجهة الاجنبي واوغلت في دماء ابناء البلد...لكن الجيل الذي بعده لن يشعر بالمأساة بنفس القوة لانه لم يلمسها كواقع . وقد يحكي للجيل الذي يليه عنها لكنها بمرور الزمن ستندثر وتندرس ولن يبقى الا قصة دحر الأجنبي واذلاله...أما قصص قتل الناس على الظن والشبهة وقصص شوي الجثث والتمثيل بها وقصص التعذيب ستذهب ادراج الرياح . لأن التأريخ غالبا ما يسمع صوت القوي ولا يسمع صوت المألوم.

الضحايا ليس لديهم دائما من يدون لهم تاريخهم . لكن الجلادين سيجدون على الاغلب من يدون لهم تاريخهم ويحذف منه صفحات قتلهم للابرياء ويبقي صفحات دفاعهم عن الوطن . لكن تبقى مقتطفات متناثرة وآهات مبعثرة من صوت المألومين يرويها التاريخ مكرها وعلى أستحياء...في الوقت الذي يكون تقييم المجتمع لمعنى البطولة نابع من تقييم الأهداف الحقيقية ومقدار الخطر وعمق المبدأ ومقدار تعلق الامر في أنقاذ أبرياء او أظهار حقائق . وحين يكون لشخصيات مثل الشرطي الذي انقذ الناس وضحى بنفسه قيمة عليا ورمزية تمثل الشجاعة والبطولة ويتحدث عنها المجتمع بفخر . وحين يسجل تاريخنا المنهجي والاكاديمي السير الذاتية لهذه الشخصيات وأثرهم...حينها فقط سنكون امة تستحق الحياة وتعرف معنى الحرية وتحترم ذاتها . لا زلنا أمة لا تعطي شجعانها الحقيقيين حقهم الكامل . وتمجد اخرين .

اذا كنت تعيش في زمن بعيد عن زمن تاليف هذا الكتاب (هذا على فرض ان هذا الكتاب سيبقى لزمن طويل) وقرأت في كتب التاريخ المدرسية كلام مثالي يقول ان العراقيين واجهوا المحتل وطردوه ولم يخبروك ان هناك عمليات قتل على الهوية حصلت وهناك ابرياء تم قتلهم بسبب انتمائهم المذهبي من كلا المذهبين فتأكد ان هذا التاريخ اعور...واذا وجدت من يحاول اثبات حدوث مجازر وقع ضحيتها الابرياء من كلا المذهبين ولا يستمع له احد او يتهموه بمحاولة تشويه التاريخ فتأكد انه يحاول الامساك بالعين الساقطة للتاريخ الاعور ويعيدها في مكانها . تأكد ان هناك ابرياء قتلوا على الظن والشبهة لاسباب طائفية وتأكد ان نسبة من الناس صفقت للمجرمين تحت عنوان انهم ابطال يقومون بحماية المذهب.

لا تصدق تلك البهرجة التي تصور لك الماضي بأبهى صورة . احتفي بضحايا الطائفية كما تحتفي بضحايا الاحتلال فالجميع يستحقون ان تخلد ذكراهم .

عبادة الوطن وتحقير المواطن

نموت نموت ويحيا الوطن...هكذا علمونا حين كنا صغار...أنا جندي عربي بندقيتي في يدي...أول نشيد تعلمناه في حياتنا و طبقه نسبة كبيرة منا بكل سعادة...لماذا لم نسأل انفسنا ولو مرة أن اغلب الذين يدفعوننا الى الموت من أجل الارض لا يعرضون أنفسهم للخطر ويخرجون بمؤتمراتهم الصحفية للحديث عن بورصة الدماء (مات كذا...جرح كذا) ؟؟؟هل لأنهم العقول المدبرة وبدونهم تضيع القضية ؟؟؟

يسمى الوطن بهذا الاسم لأننا نستوطنه وبدوننا لا يسمى (وطن) بل يسمى (أرض غير مأهولة بالسكان) نحن من نجعله وطن والمألومون والمظلومون الذين بنوا الارض وأفنوا أنفسهم فيها أولى بسماع كلمات المديح والثناء من الارض التي لا تعلم أصلا أن هناك من يمتدحها . والنكتة هي اننا لو طبقنا جميعنا مقولة (نموت ... نموت ... ويحيا الوطن) ولم يبق منا احد على قيد الحياة لمات الوطن معنا لانه بدوننا لا يعدو اكثر من خربة فارغة لا قيمة لها . حين نحيا لاجله ونعمره سنحييه معنا وسيكون وطن بمعنى الكلمة .

أحب وطني جدا وهذا أمر خارج إرادتي ولا سيطرة لي عليه لكن ماذا يعني الوطن؟؟؟ هل هو الأرض ؟؟؟ هل هو الذكريات ؟؟؟ هل هو الانسان ؟؟؟ هل هو كل ما سبق وأكثر ؟؟؟ سافرت مرة الى خارج العراق وكان القرار أن أمكث لمدة لا تقل عن 15 يوم لكني عدت بعد أسبوع لشدة تعلقي بالوطن و أول مدينة دخلت اليها وسمعت اهلها يتحدثون بلهجة بلدي شعرت بأن هناك صلة متينة تربطني بهم مع اني لم أزر تلك المدينة في حياتي...الارض غير عاقلة ولا تشعر بالألم ولا تعلم ان هناك كلمات شعر تنظم بحقها ليل نهار...من يشعر فعلا هو المواطن وهو من يعاني ويتألم...ويفرح لو قرأ له أحدهم شعرا وليس الارض .

يقول الشاعر احمد مطر :

وطني؟ حبيبي ؟

كلمتان سمعت يوما عنهما

لكنني

لم أدر ماذا تعنيان !

وطني حبيبي

لست أذكر من هواه سوى هواني !

وطني حبيبي كان لي منفىً

وما استكفى

فألقاني الى منفىً

ومن منفاي ثانيةً نفاني !

دافع عن الوطن الحبيب

عن القريب أم الغريب !

عن القريب

إذن أدافع عن مكاني

وطني هنا

وطني أنا

ما بين خفق في الفؤاد

وصفحة تحت المداد

وكلمة فوق اللسان

وطني أنا حريتي

ليس التراب أو المباني

أنا لا أدافع عن كيان حجارة

لكن أدافع عن كياني

الانسان يمشي على الارض...يدوس عليها بحذائه...هذه مشيئة الله وسنن الفيزياء فالجاذبية تحتم علينا ان ندوس على الارض باقدامنا اذا اردنا التحرك من مكان الى اخر...هكذا اراد الله...الارض سُخرت لخدمتنا...الانسان هو من يُشرف الارض بوجوده عليها وهو من يعطيها قدسية فحين وجود فيها اسلافنا صناع الحضارة صار لهذه الارض قيمة اعتبارية . وحين دفن فيها الانبياء والاولياء والصديقين اصبحت مقدسة. وجدت الارض لخدمة الانسان...الكثير من الناس يمجدون ارض الوطن وهذا امر جيد وعاطفي لكن المشكلة ان هناك من يعبدون الوطن ويحتقرون المواطن.

قد يعلق احدهم صورة لارض الوطن ولعلم الوطن مكتوبا عليها (الوطن الجريح) لكنه لا يجد مشكلة تذكر في جرح مشاعر مواطن بكلام قاسي ومؤلم...ان الوطن الجريح لا ينزف دم ولا تتالم مشاعره لانه من تراب...الانسان هو من ينزف وتتالم مشاعره حين يوجه له احدهم كلام جارح وقاسي .

احد اصدقائي طالب في كلية الهندسة وفي نفس الوقت مطوع في سلك الشرطة . في ايام الامتحانات طلب من مديره اجازة في وقت اداء الامتحان فقط اي انه لم يطلب تفرغ . طلب فقط ان يذهب لاداء الامتحان ويعود . فرفض المدير طلبه و طلب من امر الحرس ان يراقب تواجده في وقت الامتحان كي يضمن عدم ذهابه . وحين سأله عن سبب رفضه اجابه بأسلوب جاف وعدائي ولم يبين له سبب واضح لسعيه لتحطيم مستقبله مع انه لا يعرفه سابقا وليس لديه معه اي موقف سلبي . الصورة الشخصية لهذا المدير في صفحته الشخصية في الفيس بوك يقبل فيها العلم العراقي.

لا اشك ابدا في حب هذا المدير للوطن وهو صادق فعلا في تقبيله للعلم لكنه لا يعلم ان المواطن هو من يجعل للوطن قيمة وليس العكس...محاولة هذا الموظف البسيط لتطوير نفسه ستجابه من قبل هذا المدير بعنف شديد كونه لا يتقبل فكرة ان يتحول من يراه هو (بلا قيمة) الى شخص (ذو قيمة) لانه يقيّم الاخرين على اساس منصبهم وتحصيلهم الدراسي وليس على اساس انساني اخلاقي...ان هذا المدير (المسكين اوالمنحط او كلاهما) لا يعلم انه ضيع على نفسه شعور رائع بالراحة تولده مشاعر الامتنان التي يقدمها الاخر بعد ان يمد له يد العون .

يقول علي الوردي : أن جلاوزة العراق ومن لف لفهم من المتزلفين وأنصاف المتعلمين ينظرون الى أبناء الشعب الفقير نظرة ملؤها الاحتقار والاستصغار . ولعلهم لا يشعرون بهذا الأحتقار الذي يكنونه لأبناء الشعب , أذ هو أحتقار كامن في أغوار اللاشعور في أنفسهم , فهم ينساقون به وقد لا يعرفون ماتاه أحيانا (انتهى) .(1)

ان نسبة من الأشخاص الذين وصلوا الى مناصب رفيعة يقومون ببعض السلوكيات الغريبة والملفتة للنظر في آنٍ واحد. حيث أن بعضهم يقوم بشكل متعمد بعدم ادخال الضيف الى مكتبه الا بعد مرور وقت معين مع انه غير منشغل لأشعاره بأنه لم يدخل ببساطة وليأخذ انطباع أنه دخل الى أنسان ذو مكانة مرموقة لا يتاح بسهولة ودائم الانشغال . فضلا عن التحدث مع المراجع بلغة جافة ممتلئة بألاستعلاء والتكلف. وكأنه يقول : (انا مسؤول وأنت مواطن عادي يجب أن أشعرك بهذه الحقيقة وأثبتها لك بشتى الوسائل وألا لم ولن تحترمني)

اتصور ان ما يدفع المسؤول الى التعامل بهذه الطريقة هو محاولة أثبات شيء ما . في داخل هذا الأنسان شعور عميق يلج في ظلمات عقله يقول له : (أنا أضعف من ان أثبت وجودي . انا اوهن من بيت العنكبوت . انا أبدو كأنسان لا يملك القدرة على ادارة هذا

المنصب لذلك سيأكلوني من هم اكثر مني قوة ويدحروني) لذلك يحاول جاهدا أثبات العكس. فتطفو هذه السلوكيات على السطح وبشكل مستمر لمصارعة أحساسه العميق بالنقص . وهكذا سلوكيات تعطيه شعور مؤقت بالأمان.

معتلين نفسيا ينتجون معتلين مثلهم

زوجان محرومان من الانجاب رزقهم الله بطفل بعد عشر سنوات من الصبر . بعد فترة فاز المنتخب في احدى المباريات فسقطت رصاصة على راس هذا الطفل وقتلته ... الا يستحق من اطلق تلك الرصاصة ان يسمى مجرم معتل؟؟؟ بل قد يكون المعتل الذي يقبع في مصح عقلي اكثر تمييزا لما هو مؤذي للاخرين من هذا . هل سيفيد هذين الزوجين فوز المنتخب بل هل سيفيدهم حصول العراق على كأس العالم؟؟؟ ولا كل كؤوس الدنيا تعوض نعل الطفل وليس الطفل نفسه .

هؤلاء اصحاب الوجوه التي تمتليء حقارة ولئم وفي نفس الوقت ترتسم عليها ابتسامة حقيرة تشبه ابتسامة الشخصيات الشريرة في افلام كارتون ويعلمون ابنائهم على ان اطلاق الرصاص في الهواء امر رجولي ويقول لابنه (تعال ابني خلي اسويك رجال) يعلم ابنه ان رمي الرصاص في الهواء رجولة بل يعطيه المسدس ويعلمه استخدامه ويسمح له ان يطلق منه الرصاص كي يحوله الى (زلمة خشن اخو خيتة) الطفل لا يعلم ان هذه الرصاصة قد تسقط او سقطت فعلا على راس احدهم وحرمت عائلته منه وحولت حياتهم الى كارثة ؟؟؟؟ تعسا لكم ولانحداركم الاخلاقي ... تبا لكم ولكل من يبني افراحه وتساليه على جراح الاخرين .

الزلم الخشنة (الحقيقية وليس الكارتونية) لا تعبر عن رجولتها بالاطلاقات النارية ولا بالتنمر على الضعفاء...قال احدهم مرة لاخر يعيره (انتوا ما عدكم بطولة بالمنطقة) يقصد لم تدخلوا بمعركة مع احد يوما...(المراجل) هي ان لا تؤذي احد مع قدرتك على ذلك...اما (الضعف والجُبن) فيعبر عنه بقوة هؤلاء الذين ينتهزون اتفه فرصة لاعلاء صوتهم والتجمع للاستقواء على احدهم وحرق بيته او تهديده او قتله .

طفلة بعمر الزهور تعرضت لحادث واصيبت عينها . بعد مراجعات طويلة وعريضة في المستشفيات وعيادات الاطباء وصلوا الى نتيجة استحالة علاج عينها وكل ما يستطيعون فعله هو قلع العين ووضع عين زجاجية . كان الامر قاسي على العائلة وعلى الطفلة فقرروا المحاولة خارج العراق فاتصلوا باحدى منظمات المجتمع المدني فارسلت لهم المنظمة رسالة تطلب منهم تقرير طبي متكامل عن حالتها فذهبت الام الى المستشفى وطلبت منهم تقرير يلخص حالتها فقالوا لها (ليس لدينا الا ما زودناكم به سابقا من نتائج الفحوصات) فذهبت الام الى الطبيب الذي اشرف على حالتها وبرفقتها الطفلة وطلبت منه تقرير طبي يشرح حالتها بالتفصيل كي يرسلوه لتلك المنظمة فانفعل الطبيب واشتعل غضبا وقال للام

(اني مو كايللكم ما الهة حل ليش تلحون ماكو تقرير قلعوا عينها وركبولها عين زجاجية وفضوا السالفة) بقيت الام مذهولة غير مصدقة وحين سمعت الطفلة كلام الطبيب انفجرت بالبكاء وقفزت الى حضن امها وهي تنظر الى الطبيب بخوف وحزن .

لا تستبعد ان تتحدث مع هذا الطبيب بالدين فيتفلسف عليك (يعملك فيها شيخ الازهر) ولا تستبعد ان تتحدث مع هذا الطبيب بالوطنية فيبكي امامك حرقة والم على هموم الشعب المسكين (يعملك فيها سعد زغلول)

بعض الناس يجسدون الشخصيات الشريرة في افلام كارتون بحذافيرها فكلما اتذكر تلك القصة اتخيل ان هذا الطبيب يشبه شرشبيل...البعض يجسدون الشر فحتى حين يضحكون تكون ضحكتهم شريرة...هذا الطبيب لا يفهم ان الام والطفلة لديهما مشاعر وحتى لو فرضنا ان عين الطفلة ميؤوس منها فاسلوب الطبيب ارعبها وجرح مشاعرها...الحقيقة هي ان ليس عين الطفلة التي ليس لها حل بل دماغ هذا الطبيب ليس له حل لانه خالي من الانسانية وحسن الخلق .

حين تتحدث عن حالة سيئة في المجتمع قد تجد من يقول لك (هؤلاء اقلية ولا يمثلون المجتمع...المجتمع مليء بالطيبين وهؤلاء شواذ)

دعكم من هذا الكلام المستهلك...فبغض النظر عن نسبة هؤلاء ولنفرض انهم اقلية لماذا تتمكن تلك الاقلية من اشاعة جو سلبي؟؟؟ على ماذا يدل ذلك ؟؟؟ هل يدل على سلبية الاغلبية الطيبة وعدم تمكنها من اشاعة اجواء ايجابية او رضوخها واستسلامها امام الاقلية السيئة؟؟؟

يقول مارتن لوثر كنج : المصيبة ليست في ظلم الاشرار بل في صمت الاخيار.(2)

نحن شعب دمرته الحروب لم تدمر المنازل والبنايات والمؤسسات بقدر ما دمرت الانسان...قدرنا جعلنا نولد في بلد مهم وله من المزايا ما يجعله محل استقطاب...قدرنا جعلنا بلد لا يحلو للجيران ان يتحاربوا الا فيه فهذه ايران وهذه تركيا بلدين متجاورين لكنهما اختارا ان يتحاربا في العراق (الصفويون والعثمانيون)

يقول المفكر والسياسي حسن العلوي : اصبح اهل العراق بين فوهتي المدفع الفارسي مرة, والمدفع التركي مرة .ولم يجد لا الجلاد التركي ولا الجلاد الفارسي صعوبة في العثور على مواطيء قدم له بين الطائفتين المقتتلتين السنية والشيعية . وكان كل منهما في نظر طائفته , بطلا فاتحا ومثالا للعدل والرحمة... حتى اذا خرج (الفاتحون) تركوا بغداد والبصرة تحت ركام الخرائب, وعفونة الجثث (انتهى) .(3)

طاقتنا سلبية في كثير من الاحيان ونتوقع غالبا حدوث احداث سيئة فحين تجمعنا الضحكة نقول بعدها (ربي اجعلها ضحكة خير) لاننا نتوقع السوء...قد نكون بالطاقة السلبية الكامنة

فينا جذبنا كل المشاكل العويصة التي تحيط بنا كافراد من حيث لا نعلم . ولا اعلم فعلا هل الظروف المرة التي عشناها من حروب ودمار وقتل على مر القرون هي من جعلتنا سلبيين متشائمين ام سلبيتنا وتشائمنا هي من جذبت الينا كل قوى الشر في العالم وكل الحروب والويلات من حيث لا نشعر؟؟؟

تقول روندا بايرن مؤلفة كتاب السر : كل مايحدث في حياتك ، حتى و إن كنت تكرهه فإنك تجذبه **!!**نعم .. إن الذي يجذب كل الصور و الأحداث إلى حياتك هو أنت **!!**و قانون الجذب هو القانون الذي يكمل الترتيب و النظام الكوني في كل لحظة في حياتك و في كل ما تختبر او تكتشف مهما كان صغيراً بغض النظر عن ماهيتك أو مكانك فإن قانون الجذب يشكل خبرة حياتك بأكملها... في أحيان كثيرة .. تجد نفسك تفكر في فكرة سلبية تكرهها و تكدر صفاءك و كلما فكرت فيها أكثر زادتك غضباً و استياءً و بدت الأمور أسوأ كثيراً مما كنت تعتقد في بداية تفكيرك ..**!**كل هذا بدأ بفكرة في ذهنك ، و بدأت الفكرة تجذب نحوها الأفكار المماثلة لها لا شعورياً ، و في خلال دقائق من بدء التفكير في الفكرة السلبية ، صار لديك العديد من الأفكار التي لا تحبها و جعلتك ترى الأمر أكثر سوءاً مما تخيلت ، و كلما فكرت أكثر جذبت أفكاراً سلبية مماثلة للفكرة الأولى في درجة السوء على اختلاف مضمونها .و قانون الجذب لا يهتم بكونك ترى شيئاً ما جيداً أو سيئاً و لا يهتم بكونك شخص طيب أو خبيث .. فقانون الجذب يرى الشيء نفسه فقط .. الحدث فقط .. بغض النظر عن كونك ترغب به او لا ترغب به ..مثال :حين تقول لنفسك في فكرة : أنا لا أريد أن أتأخر على موعد عملي ..كأنك تقول : أنا أريد أن اتأخر ..الحدث هنا هو التأخير على العمل و قانون الجذب لا يلتفت لكلمة أريد أو لا أريد ..فيجب عليك تغيير الحدث كأن تقول: أريد أن أصل مبكراً .. و هكذا (انتهى) .(4)

الغريب اننا نمتلىء طاقة ايجابية في حالات معينة منها مثلا (زيارة عاشوراء و زيارة الاربعين في كربلاء) التي تجد فيها الناس متعاونين تملئهم الحيوية ويدفع احدهم الاخر لفعل الخير مع ان نسبة منهم ليسوا بهذه الروحية في ايامهم العادية. ومثال اخر (المولد النبوي في الاعظمية) وتجد فيه الناس مبتسمين فرحين لا يكدر صفوهم شيء.

والاغرب من كل هذا والجدير بالاهتمام هو ذلك الحدث الذي يفجر الطاقة الايجابية التي تشع بالحب تجاه الاخر بل طاقة تعانق الاخر وتحنو عليه في كل مكان من الوطن ...هو ليس حدث ديني...ما هو هذا الحدث ؟؟؟

انه فوز المنتخب الوطني بكرة القدم . ففوز المنتخب يلغي كل الهويات الثانوية وكل الطاقات السلبية ويظهر الهوية الوطنية والطاقة الايجابية وفيه نكون في قمة عراقيتنا وقمة الحب والزهو والسعادة.

لماذا نتفاعل تفاعل ايجابي منقطع النظير مع فوز المنتخب ؟؟؟

لاننا نرى منظر رجولي يجتمع فيه عدة اشخاص (فريق) من كل اطياف المجتمع لمواجهة (جهة خارجية) ونحن نحتاج جدا ان نرى تلك الصورة التي يواجه فيها كل اطياف المجتمع طرف اخر خارجي .

ان اجتماع اي ندين متخاصمين في فريق واحد لمواجهة طرف ثالث امر شغوف بحد ذاته . فمنظر نجوم الاندية الذين يتواجهون كخصوم في الدوري حين يلتقون معا في المنتخب الوطني يثير الشغف . ومتابعي كرة القدم الشغوفين بمتابعة الدوري يعلمون عن ماذا اتحدث. بل حتى في الافلام الاجنبية حين نجد فلم اجنبي يجمع بطلين اعتدنا على رؤية كل منهما وحده امر يثير الاهتمام .

قد تجد سياسي شيعي يحابي ايران لكن من المستحيل ان تجد لاعب شيعي يحابي ايران في الملعب حين تكون المواجهة مباراة كرة قدم بين العراق وايران وقد تجد سياسي سني يحابي السعودية لكن من المستحيل ان تجد لاعب سني يحابي السعودية في الملعب...

اللاعبين فعلوا ما لم يتمكن السياسيين من فعله وهو الاجتماع معا ومواجهة الاخر . والجميل في الموضوع انها مواجهة رياضية خالية من الدماء والقتل والكراهية . مجرد مواجهة رياضية .

فيتولد لدينا ذلك الشعور الرائع حين نشاهد شيعي يعانق سني حين سجل احدهم هدف على (الاخر) والاخر هنا ليس شيعي وليس سني وليس كردي ... حين يسقط احدهم ارضا وياتي الاخرين للاطمئنان عليه وهم مختلفين عنه بالمذهب او بالقومية (تغلبنا دموعنا) انه شعور رائع حقا والاروع منه ان المواجهة رياضية وليست بالرصاص والموت . لذلك تجد حتى من لا يحبون كرة القدم ينتظرون مباريات المنتخب الوطني بشغف كبير .

نحن في حقيقتنا شعب طيب لا يريد الا ان يعيش بسلام وهذه الحقيقة تظهر بوضوح حين يفوز المنتخب الوطني لكرة القدم وفي اي مناسبة اخرى عابرة للطائفية والقومية...لكن تجار السياسة وتجار الدين وقلة الوعي...كل هذه الاسباب واكثر كان لها دور في عدم استقرار هذه الهوية وعدم طغيانها .

نحن والعقل الجمعي

قد تجد احيانا الجماهير يتمكنون من فعل اشياء وهم مجتمعين لا يجرأون على فعلها منفردين . نأخذ مثلا جماهير كرة القدم وما يطلقونه من هتافات مسيئة للفريق المنافس او للاعب في الفريق المنافس او للاعب في نفس فريقهم او للحكم او لجمهور الفريق المنافس) مثل :

بشت ميو ... انعل ابو (؟؟؟) لابو الاسسة

هي هي ... هذا الحكم (؟؟؟)

اهل اللبن والروبة ... شجابكم عالطوبة

وقد تكون هذه الهتافات اقل الهتافات حدة والا فهناك هتافات اكثر شدة وقسوة وامتهان للاخر . والتي قد يطلقها مراهق لا يتجاوز السادسة عشر فيتبعه الاف البشر قد يتجاوز سن احدهم الخمسين !!!

يقول الطبيب والمؤرخ والباحث الفرنسي غوستاف لوبون:

بمجرد ان ينضوي الفرد داخل صفوف الجماهير فانه ينزل درجات عديدة في سلم الحضارة. فهو عندما يكون فردا معزولا ربما يكون انسانا مثقفا متعقلا , لكن ما ان ينضم الى الجمهور حتى يصبح مقودا بغريزته وبالتالي همجيا . وهو عندئذ يتصف بعفوية الكائنات البدائية وعنفها وضراوتها وحماستها وبطولاتها ايضا (انتهى) . (5)

واحيانا يفعل البعض امر مشابه في السفرات المدرسية او الشبابية فتجد اشخاص معروف عنهم الادب والخلق الرفيع ينساقون لواحد او اثنين منهم فيتحولون الى رعاع يهتفون هتافات لا يجرأون على قولها منفردين فور رؤيتهم لفتاة تمشي قربهم مثلا .

ماذا عن التظاهرات والتجمعات التي تناصر جهة معينة او شخص معين او تعادي جهة معينة او شخص معين (على اختلاف توجهاتها)؟؟؟

ماذا عن التظاهرات التي يقوم فيها المتظاهرون بتكسير الممتلكات العامة والعبث بها مع انهم منفردين في قمة الادب؟؟؟

ماذا عن الجماهير التي تؤيد شخص لدرجة الانصهار به وقمع كل من ينتقده بل شيطنته بشكل مباشر دون وضع اي احتمال لحسن النية؟؟؟

يقول غوستاف لوبون : فالبطل الذي تصفق له الجماهير هو بالفعل اله بالنسبة لها . وقد مثل ذلك نابليون مدة خمسة عشر عاما . ولم يحصل تأليه لشخص مثلما حصل له . ولم يحصل ان استطاع معبود ارسال الناس الى الموت بمثل ما فعل هو بمثل هذه السهولة . فالهة الوثنية والمسيحية لم تستطع ان تمارس هيمنة مطلقة على النفوس اكثر مما فعل نابليون . ان مؤسسي العقائد الدينية او السياسية لم يؤسسوها الا عندما عرفوا كيف يفرضون على الجماهير عواطف التعصب الديني هذه (انتهى) .(6)

آرائنا الشخصية بين خزين الذاكرة والواقع المعاش...عودة وخلف نموذجين

حين تجلس في مقهى مع مجموعة من الاشخاص ويدور الحوار حول السياسة او الوضع العام فعليك ان تتوقع كل شيء فقد يقوم الشخص الذي سب صدام في بداية حديثه بمدحه في نهاية حديثه وقد يقوم الشخص الذي مدح صدام في اول حديثه بسبه في اخر حديثه . لا تعلم ما هو المعيار . كي لا اطيل عليكم اليكم الحوار التالي :

عودة: يا اخي قبل جان صدام واحد هسه الف صدام على الاقل قبل جنة نندل دربنة ما نندك بالحكومة محد الة شغل بينة

خلف: لازم انت جنت بعثي؟؟؟

عودة: اني جنت بعثي؟؟؟!!!هاي لوما انت تعرفني صارلك عمر...اني بحياتي ما صرت بعثي مو مثل بعض الناس اللي جانوا بعثية وهسه سووا نفسهم مظلومين ومضطهدين

خلف: لعد ليش تمدح صدام اكيد جنت مستفيد منه

عودة: عالاقل قبل جنة نطلع بالثنتين بالليل

خلف: يابة وشعندك حضرت جنابك طالع بالثنتين بالليل؟؟؟لو هو بس حجي فارغ تريد تمدح بي زمن صدام؟؟؟... بعدين اذا انتوا هيجي محترك قلبكم على ايام (السيد الريس) ألتزموا بيها من صدك مو (نص ردن) بس حجي لسان ... اخذوا من الراتب بس 3000 ورجعوا الباقي ... انترنيت لتفتحون لان (السيد الريس) ميقبل ... ستلايت لتفتحون لان ممنوع وبي سجن ست اشهر وغرامة ... لو تحبون شخص وتلتزمون بقوانينه لو لتحجون .

عودة: يا اخي اني ما امدح صدام بس قبل جان ماكو قتل بالشوارع ... واني مستعد اتنازل عن كل ذني اللي عددتهن لان ما الهن قيمة كدام الامان ... الامان ميتقيم بثمن .

خلف: همة نفسهم البعثية محترك قلبهم لان راحت منهم وجاي يقتلون بالعالم حتة الناس الغشمة مثلك تكول زمن صدام جان احسن... هي مال دروب كافي عاد اصحوا... اما اذا انت متحب صدام بس تمدح زمانه تنكيلا باللي اضطهدهم فهاي مصيبة .

عودة: اكلك اشو انت سويت ذولي السياسيين الجدد انبياء شنو انت لازم مستفيد منهم لو متعين لو محصل شي ؟؟؟

خلف:لا والله اني رجال حافي لا هسه مستفيد ولا قبل مستفيد بس احجي الحق هسه عالاقل سهلة الشغلة اذا ميشتغلون عدل تخلص اربع سنين ننتخب غيرهم مو مثل زمن ابو عداي جان سلمها لحفيد حفيدة واحنة مدفونين بالتراب

عودة: اي ميخالف سلملي عود اذا انتخبت غيرهم هسه تجي الانتخابات ويقشمروك يكولولك احنة نحمي المذهب وترجع تنتخبهم مرة لخ وانت الممنون

خلف: اكلك صارلك ساعة ادافع عن زمن صدام اذكرك لو ناسي؟؟؟

عودة: بلة بروح ابوك ذكرني؟؟؟

خلف: تذكر من جنة اني وياك جنود بزمن صدام شلون اجة اخذك ضابط الامن بالجلاليق وذبوك جوة واكلت طن كتل...يابة شكووو ؟؟؟ واحد ميخاف من الله كاتب عليك على اساس انت دايس بالبسطال علة جريدة بيهة صورة (السيد الريس) وهي جريدة جانت واكعة بالكاع وانت اصلا ما منتبه ولا متعمد ... لك انتوا تبقون فطر تنسون بسرعة ... لك انتوا تبقون عبيد ادافعون على جلادكم كافي عاد اصحوا

عودة: لك هاي شذكرك بيهة ايبااااا...ايبااا ...قلبت علية المواجع والله كضيت ايام صعبة ومرة بالسجن ... والله من انعل امي وابوية اذا ادافع على صدام شسوة بينة هذا الظالم...هاي شنو ؟؟؟اهووو!!! انطفت الكهرباء جايب بانزين للمولد ؟؟؟

خلف: والله من انعل هيجي عيشة...حكومة صارلهة كم سنة كهرباء ميعرفون يسوون ؟؟؟ عمي لوباقين على صدام هواية اشرفلنة ... لك من سوالفكم بيضتوا صفحة صدام يا متخافون من الله

هكذا تسير الامور في كثير من الحوارات فقد تنقلب الاحداث فجأة لسبب او لاخر كما حدث في الحوار السابق وانقلب في نهايته كل من المتحاورين الى الجانب الاخر .والفيصل في ذلك هو (الصراع) بين (خزين الذاكرة المرير وبين مرارة الواقع المعاش) ايهما اكثر استحضارا وقوة في تلك اللحظة التي يتحدث فيها المتحدث .

قد تجد احيانا تلك الازدواجية الغريبة التي يحكمها موقف لحظي...فالعراقي الشيعي قد يمر بموقف يشعر فيه بالذل او التهميش من قبل مسؤول شيعي فيقول(عمي احنة مو مال حكم هي كوة انطي الخبز لخبازة...شوف المسؤولين السنة شلون يشتغلون لربعهم ويداروهم وشوف ربعنة شلون يسوون بينة؟؟؟) ونفسه في موقف اخر مختلف قد تجده يقول (عمي ربعنة مهما يكون على سلبياتهم احسن من غيرهم عالاقل منة وبينة ويحمونة) ونفس الواقع ينطبق على العراقي السني ايضا فمواقفه تجاه السياسيين السنة والشيعة يحكمها الموقف اللحظي والواقع المعاش .

قدم احدهم على تعيين في احدى الوزارات واثناء تقديم الطلب كان هناك طابور طويل من المتقدمين . فسمع الذي يقف امامه في الطابور يقول لصاحبه (يا اخي ليش هيجي يخلونة ننتظر ويأخرونة لان احنة من (؟؟؟؟) (منطقة ذات اغلبية سنية) وهو لا يعلم ان والد الذي يقف خلفه ويسمعه كان قيادي في احد الاحزاب الاسلامية الشيعية (المتواجدة في الحكومة

بقوة) وتتلمذ على يده مجموعة لا يستهان بها من القياديين الحاليين لكنه ترك السياسة من مدة بعيدة لذلك ابنه يقف في طابور حاله حال غيره...من السهولة ان تعثر على منطقة شيعية فقيرة مهمشة من حيث الخدمات وقد تكون اسوء من منطقة اخرى سنية..قال لي احد الاصدقاء من المنطقة الغربية مرة (اي عمي الله ربكم صارت الحكومة بجيبكم) ان وجود الشيعة في الحكومة كما غيرهم من بقية الانتماءات الاخرى في الغالب وجود حزبي فيما يخص الترشيح للوزارة وحزبي عائلي فيما يخص المحيطين بالوزير.

الازمة ليست في الدرجة العلمية بل في العقلية

ان جامعاتنا العراقية انجبت عدد غير قليل من العلماء والمختصين والجهابذة الذين افادوا العراق و بلدان العالم الاخرى بخبرتهم وعلمهم . ونتاجهم على ارض الواقع في الدول التي عملوا فيها هو من يشهد لهم .

علمائنا...منهم من حقق الحد الادنى من طموحه في بلده ومنهم من ألقوه في غيابة الجب لتلقطه بعض السيارة من مؤسسات الدول المتقدمة لتستفيد من علمه وخبرته . ومنهم من بقي في قاع البئر ليموت وتموت معه احلامه وطموحاته .

شاهد الكلام هو ان جامعاتنا العراقية انجبت وتنجب جهابذة لا شك في عبقريتهم وامكانياتهم. لكن هذا لا ينفي وجود سلبيات من الضروري الوقوف عندها . الوقوف على الواقع وتحديد الخلل هو ما يرتقي بالمؤسسات التعليمية وليس التظاهر بالكمال .

قبل مدة من الزمن حدثني احد الاصدقاء عن حالة حدثت امام زوجته في احدى الجامعات حيث كان هناك طابور من الطالبات اللواتي قبلن في الدراسات العليا ينتظرن اتمام معاملتهن فمر قربهن استاذ جامعي وسألهن بوجه عبوس : (ليش واكفات هنا) فاجابت احداهن : (نكمل معاملة القبول مال ماجستير) فنظر اليهن بوجه باهت بسبب عددهن الذي كان اكثرمن العدد المعتاد لطلاب الماجستير وقال لهن : (هذا شاربي مو علية اذا نجحتوا) لا ادري حقا هل كان يتوعدهن ام يتنبأ لهن وفي الحالتين رد فعله مفهوم . فهو استغرب ان العدد كبير (كما يرى هو) لان منطق بعض الاساتذة ينطلق من انه يريد ان يبقى وحده دكتور و وحده حاصل على شهادة عليا بل ان البعض يحاولون جاهدين تحجيم قيمة البحث الذي يقدمه طالب الدراسات العليا ويدفعونه الى تقزيمه من حيث يعلم او من حيث لا يعلم وهناك نسبة من الاساتذة يعتقدون ان مناقشة طالب الدارسات العليا هي استعراض لعضلاتهم امامه ويتعمدون اذلاله واحراجه امام من دعاهم لحضور المناقشة . والبعض يشغلونه بشكليات وتعقيدات ثانوية تقلقه وتجعله منشغل جدا بترتيبها وابعد ما يكون عن الموضوع محل البحث لان القيود الشكلية اعاقت قدرته العقلية على الابداع .

هؤلاء لا يعلمون انهم كلما خرجوا عدد اكبر من طلاب الدراسات كلما كانت مفخرتهم اعظم على عكس ما يظنون تماما . فهم يظنون ان لقب دكتور او استاذ يجب ان لا يعطى بسهولة وهذا صحيح من حيث المبدأ لكنه خاطيء من حيث التطبيق.

في الجامعات الرصينة تحصل على المقعد الدراسي بأموالك وتحصل على النجاح بجهدك . وهناك مجتهدين يحصلون على منح تجعل المقعد الدراسي مجاني او شبه مجاني . لا يهم عدد من يحصلون على الشهادة العليا ليكن عددهم مليون ليس هذا مهم . المهم هو العائد المترتب على ارض الواقع من حصولهم على الشهادة .

شاربك مو عليك اذا نجحن؟؟؟ لماذا ؟؟؟ هل تريد ان تبقى انت ومن لف لفك فقط بروفسورات واساتذة؟؟؟ هل تعتقد ان هذا اللقب العلمي ذو قيمة لو لم تنقل علمك الى الذين يأتون بعدك؟؟؟

هؤلاء ومن لف لفهم يعتقدون انهم نوع راقي من البشر تمكنوا من الوصول لهذه المرحلة لانهم اكثر سمو من الاخرين فلا يسمحوا لغيرهم ان يصلوا لما وصلوا اليه ويعرقلون طريقهم بشتى الوسائل المباشرة وغير المباشرة لكن في النهاية معظم المجتهدين يصلون الى اهدافهم حتى لو بعد حين ولا يبقى الا المشاعر السيئة التي تنتاب الطالب كلما تذكر هذا الاستاذ . هم بهذه التصرفات لا يختلفون شيء عن صاحب (البسطية) الذي يتعارك مع احدهم لانه اخذ مكانه او تجاوز عليه بشبر او شبرين . نفس المنطق تماما . هي غريزة البقاء والرغبة في الاحتكار . مع احترامنا لاصحاب البسطيات هذه الطبقة الكادحة التي تركت الحكومة الارهاب والقتل وانشغلت في محاربتهم على رزقهم بين فترة واخرى . مع ادراكنا لواقع انهم بشر فيهم الصالح وفيهم الطالح .

لا ادري حقا لما كل هذه الصعوبة في الحصول على مقعد دراسات عليا؟؟؟يبدو ان مقاعد الدراسات العليا تتناسب طرديا مع فرص التعيين في دوائر الدولة . قد يكمن الخلل في عدم وجود قطاع خاص يرضي الطموح ويوفر فرص عمل تتحول الى جزء من احلام الانسان ومشاريعه المستقبلية مما يجعل التنافس على (التعيين الحكومي) في اقصى حالاته. ويؤدي ذلك الى تصعيب الحصول على الشهادة العليا ليكون خلاصة المجتهدين هم فقط من يحصلون عليها وقد يكون هذا احد اسباب بروز هذه الثقافة الاقصائية . هناك من يطمح للحصول على الشهادة العليا للحصول على مكانة اجتماعية وهناك من يهدف لتطوير نفسه علميا وهناك من يبتغي الحصول على وظيفة مرموقة ولو كان لدينا قطاع خاص حقيقي لكان هناك من يبتغي الحصول على الشهادة العليا ليعمل في القطاع الخاص .

احد اصدقائي تم قبوله في دراسة الدكتوراه . وفي يومه الاول وفي اول محاضرة دخل عليهم الاستاذ فنظر اليهم نظرة استغراب وقال لهم (شنو اني جاي ادرس بكالوريوس؟؟؟) وهو يشير طبعا الى عددهم الكبير الذي كان يتجاوز العشر طلاب على ما اتذكر . واردف

قائلا (هسه نصفيكم بالامتحانات) وللانصاف في النهاية حصلوا جميعا على شهادة الدكتوراه لكن ما قاله الاستاذ بقي متعلق بالاذهان .

احد طلاب الدكتوراه استشار احد اساتذته القدامى في موضوع رسالته فلم ينصحه به ونصحه ان يختار موضوع اخر . لكن المؤسف انه اكتشف بعد فترة ان هذا الاستاذ اعطى الموضوع الذي نصحه بتركه الى احدى طالباته . هذا الاستاذ لا يختلف بشيء عن التاجر الماكر الذي يتعامل مع زملائه التجار بدهاء ومكر وخديعة للحصول على اكبر مكسب ممكن . العلم ليس هو المعضلة التي تواجهنا فعندنا من المتعلمين واصحاب الالقاب العلمية ما يكفي . المشكلة تكمن في العقلية .

حين يتبنى المحتال والاكاديمي نفس المنطق

بعض الاطباء يتعمدون ان يجعلوا المريض يراجعهم مرة اخرى وهم يعلمون ان الامر لا يستوجب لكن هذا الاسلوب يعطيهم ضمان مالي على المدى البعيد...بالضبط نفس منطق (القفاصة في الباب الشرقي) الذي اختاروا الاحتيال على الناس كمصدر رزق . لكن الفرق ان القفاص يقف امام المراة ويقول بصراحة (انا محتال اضحك على الناس) وهذا الطبيب يقف امام المراة ويقول بنفاق (انا طبيب اعالج الناس) . تختلف كثيرا مظاهرنا الخارجية وتحصيلنا الدراسي ومستوانا العلمي و الادراكي لكن تبقى لدينا عوامل مشتركة (سيئة او جيدة) تجعلنا نتشابه حتى لو كان فلان ذو مكانة مرموقة اجتماعيا وفلان منبوذا اجتماعيا الا انهما ينتميان لنفس المدرسة .

احدى المدرسات تعطي الدرس لطالباتها بطريقة جافة ولا تكترث جدا للاجابة عن اسئلة الطالبات داخل المدرسة . لكنها في الدرس الخصوصي لها وجه اخر فهي مرحة ولطيفة وانسانية وطيبة . هؤلاء واقعهم هو احترام المال فنفس الطالبة التي تدرس عندها درس خصوصي لو لم تعطيها المال لما لاطفتها وحدثتها بطريقة جيدة. هي في الواقع تلاطف المال ولا تكترث للانسان .

هل موظف الاستعلامات (اللي وجهه ما يكصة الطبر) او اي موظف اخر (سيء الخلق مع المواطنين) أوصاه رئيس الجمهورية او رئيس الوزراء ان يكون سيء الخلق ام هو يعبر عن ذاته ؟؟؟؟طبعا لا...هو سيء الخلق دون توصية.

موظفة مسؤولة عن البريد الالكتروني لاحدى الوزارات وكان احد المراجعين قد طلب منها شيء واحد وهو التأكد فقط هل وصلت الرسالة الالكترونية الخاصة بعمله مع الوزارة أم لا فقالت له الموظفة (اي رسالة ما وصلت) لكن الرجل يعرف جيدا ان عليه المحاولة مرة اخرى . فطلب من احد الموظفين المنصفين أن يتأكد له فدخل الموظف وطلب منها التأكد من وصول البريد الألكتروني فقالت له نفس الجواب . فقال لها بعد ان نظر الى الحاسوب (ماشوف فاتحة أيميل الوزارة أشوف بس الفيس بوك) فقالت له (رجاءا لا تتدخل بعملي)

فذهب الى المدير و شرح له الحالة فذهب المدير بنفسه وأضطرت لفتح البريد الألكتروني الخاص بالوزارة ووجدوا الرسالة التي ينتظر المراجع وصولها موجودة منذ ايام .لا أعتقد ان هذه الموظفة مدفوعة من رئيس الوزراء او رئيس الجمهورية . أنها أبنة هذا المجتمع وفيه ترعرعت ومنه تعلمت .

التململ من سوء الواقع السياسي وسوء الخدمات واقعي جدا . لكن هناك مشاكل سببها اخلاقي اجتماعي ولا صلة لها بالحكومة او بالسياسيين . حكومة السويد هي انكعاس لواقع المجتمع السويدي . وحكومة العراق انعكاس لواقع المجتمع العراقي بطريقة او باخرى. الشعب مستمر في انتخاب نفس الطبقة مرة بعد مرة . وهذه الطبقة لم تأتي من الفضاء بل افرزها نفس المجتمع . والغريب ان الكثير من الناس يصرخون بضرورة التغيير ثم ينشرون صور المرشحين الاكاديميين المغمورين ويجعلونهم محل سخرية ثم يعيدون انتخاب نفس الوجوه التي يبغضونها .

قال لي احدهم مرة معلقا على نفس الموضوع بالمضمون التالي (من انت ايها الابله لتتحدث عن تلك الفئات المحترمة من المجتمع بهكذا تفاصيل مشوهة ومن يقول انك لست مثلهم؟؟؟فقد تكون تتصف بنفس الصفات التي تتحدث عنها؟؟؟)

كلام وجيه جدا...اولا انا لم اتحدث عن فئات محددة بأكملها بل عن نسبة من الناس من مختلف الفئات والتوجهات فالتعميم غير وارد والموضوع لا يتعلق بشخوصهم بل يتعلق بأفعلهم وما تناولناه هو الفعل بغض النظر عن الشخص .

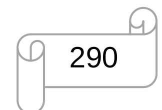
من جانب اخر...قد اكون فعلا مثلهم من حيث لا اعلم وهذا يعني اني غافل . اما في حالة كنت مثلهم واعلم اني مثلهم وانتقدهم فهذا يعني اني منافق (ظاهري خلاف باطني)

هذا كله ليس مهم...المهم هل ما قلته واقعي ام لا ؟؟؟ قد اكون اتصف به فعلا وقد لا اكون هذا لن يغير من الواقع شيء...هل هو واقع؟؟؟

يقول الامام علي : خذ الحكمة أنى كانت، فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن.

لما لا تضع هذا الاحتمال في الحسبان ؟؟؟ لما لا ؟؟؟ كل شيء وارد...فقد اكون منافق لكن اتحدث بما هو واقعي وما يستحق ان تتوقف عنده وتتامله . وقد لا اكون...ليس المهم ما اكون عليه فعلا بل المهم تقييمك لصحة ما اقوله من عدم صحته وهذا ما يعنيك ويفيدك بالدرجة الاساس اكثر من اي شيء اخر.

على كل حال...فقد سجلت نقدي على نفسي في بداية الكتاب ونلت منها حين وجدتها على خطأ وليس لدي اي مانع في ان انتقد نفسي وانال منها اذا ثبت لي اني الان على خطأ. ولا اجد في ذلك اي مشكلة بل اجد فيه احتراما للذات وتوقيرا لها .



كنا في نقاش مرة حول هذا النوع من البشر الذي تمكن من الارتقاء اكاديميا وحصل على مرتبة علمية عليا لكنه لم يتمكن او لم يحاول ان يرتقي اخلاقيا فقال احدهم (هذا كلشي يكدر يصير...طبيب , مهندس , ضابط , مدرس , محامي , عالم ذرة , عالم بالجينات الوراثية , وزير...شيخطر ابالك يكدر يصير...بس آدمي ميكدر يصير) ويبدو ان كلامه قريب من الصحة وينطبق على نسبة من الناس مع الاسف الشديد.

المظهر الخارجي بين المتدين الفضولي والمتحضر السطحي

المتدين الفضولي

نسبة من المتدينين يصدرون احكام مسبقة على كل من لا يلتزم بالمظهر الخارجي الذي يوافق قناعاتهم ظنا منهم ان كل الناس وصلت لنفس قناعاتهم لكنهم يحبون طريق الشيطان .

في اوربا جميع النساء تقريبا متبرجات لكن لا يوجد هناك تحرش ولا يوجد شخص يلقي اللوم على النساء في ضعف الرجال امام غريزتهم الحيوانية ! دع عنك اوربا خذ كوريا الجنوبية مثلا لا تختلف كثيرا عن اوربا من حيث الملبس و لا يوجد متحرشين ايضا . عندنا فقط هناك من عينوا انفسهم محامين على من ترتفع حيوانيتهم . يصرخ باعلى صوته (اتقوا الله في شبابنا) اذا كان الشاب نفسه لا يتقي الله ويغض البصر كيف تريد من الاخرين ان يتقوا الله فيه ؟؟؟ بعض هؤلاء المتحرشين يدغدغ هؤلاء مشاعرهم ويشعرونهم انهم مظلومين ... من يلتمس العذر لانحراف المتحرشين هو في الواقع يصنفهم كيحوانات اما من يستنكر فعلهم فهو من يحترمهم ويصنفهم كبشر .

كيف انجح في الاختبار وانا لم استطع مع المؤثرات صبرا واريد الغائها من الوجود ؟؟؟ النجاح في الاختبار هو ان اتحمل واصبر حين تمر امامي مؤثرات . ولا اعتقد يمكن ان يسمى الاختبار بهذا الاسم لو لم تمر امامي مغريات يجب الصبر عليها . الملبس والمظهر امر شخصي جدا لا يحق لاحد التدخل به . لكن اقول من باب التعبير عن الرأي والذائقة الشخصية . كاتب السطور انسان شرقي ولا يخرج من شرقيته مهما تحدث عن التمدن . يعجبني كثيرا الاتزان في الملبس سواء كانت (الفتاة او السيدة) محجبة او غير محجبة . الملبس الاكثر ملائمة حسب تصوري هو الملبس المتزن الذي تبرز فيه الاناقة ولا تبرز فيه معالم الجسد .

ماذا يعني غض البصر؟؟؟التدخل في شؤون الاخرين؟؟؟ ام الغضب عليهم؟؟؟ غض البصر لا يعني الا غض البصر...بهذه البساطة .

المتحضر السطحي

هناك نسبة من الناس يعتقدون ان التمدن والتحضر هو من خلال الملبس والبرستيج وطريقة التحدث فقد تجد احداهن تلبس ملابس مشابهة لملابس كيم كارديشيان فتتصور انها اصبحت

اكثر رقي واكثر تمدن من باقي الناس وتنظر لمن يرتدون ملابس تقليدية (شيلة وعصابة مثلا) نظرة احتقار وامتهان بل قد تقول بكل استعلاء (اوي ... شنو ذولي المتخلفين احنة بيا زمن عايشين) وقد تجد احدهم يقلد توم كروز ويكحل كلامه ببعض المصطلحات الانكليزية وينظر لهؤلاء الذين يلبسون ملابس تقليدية (الدشداشة والعقال مثلا) نظرة استصغار واحتقار ولا تستبعد ان يعلق عليهم ساخرا. هو يعتقد انه حين قلد الغرب في ملابسهم اصبح متمدنا مثلهم وهو لا يعلم ان الغربيين يعتزون بملابس اجدادهم التراثية ولا يحتقرون من يلبسها فلا اعتقد ان هناك اسكتلندي يستنكف من الملابس التراثية الشهيرة التي يلبسها الرجال (والتي تشبه التنورة)

الغربيون ليس لديهم شعور بالخزي من ملابس اسلافهم وليس لديهم شعور بالدونية من تراث اجدادهم وليس لديهم عقدة نقص من اصلهم . التطور لا يتعلق بالملبس ولو كان كذلك لتحول العالم اجمع الى عالم متطور في خمس دقائق وهو الوقت الذي يستغرقه الانسان في لبس ملابسه.

هؤلاء السطحيون لا يعيبهم سطحيتهم فلو كانوا يشعرون بتوازن نفسي حين يلبسون ملابس (مودرن) وينتهي الموضوع لكان الامر مقبول وطبيعي لان ما يفعلوه يندرج ضمن الحرية الشخصية . لكن ما يعيبهم هو تحقيرهم للاخر وامتهانه لانهم يعتقدون انهم يمثلون نموذج مثالي للتحضر والاخر المتمسك بملبس اجداده ولهجتهم يمثل نموذج للتخلف .

يقول الباحث والمؤلف سليم مطر : مشكلتنا في الحقيقة اننا , على جري العادة اتخذنا من النموذج الغربي مثالا مطلقا للحلول الممكنة , وانقسمنا حوله الى نقيضين : العلمانيون يدافعون عن وضع المراة و(ثيابها) في المجتمع الغربي , والمتدينون يدينونه ويعتبرونه نموذجا للفساد والتفسخ والتعري . من الطبيعي ان نختلف مع المتدينين الذين اعتبروا اي زينة انثوية هي رجس من عمل الشيطان , حتى خلطوا بين الطهارة والقبح ... لكن رفضنا لهذا التحجر الديني لا يمنع من ادانتنا ايضا للتحجر العلماني والغربي بتقديس عري المراة ! نختلف مع المتدينين في تقديسهم لحجاب المراة وتقبيحها , ثم نختلف كذلك مع العلمانيين بربط تحرر المراة بمدى قدرتها على الاثارة واظهار المفاتن . هناك فرق بين الجمال والاثارة , الجمال يخاطب المشاعر والعقل والقلب . اما الاثارة فتخاطب شيئا اخر نعرفه جميعا ونعاني من حرقته ليلا ونهارا (انتهى) .(7)

قصة حدثت تفاصيلها في احدى عيادات السونار في بغداد حيث خرجت سيدة مسنة من غرفة الفحص وطلبت من السكرتيرة ان تستخدم المرحاض فرفضت السكرتيرة طلبها بكل قسوة وعدم مبالاة فخرجت تلك السيدة من العيادة وعلى وجهها حزن شديد من رد السكرتيرة الغير انساني و كانت تلك السيدة تلبس (شيلة وعصابة) وعلى ما يبدو ان الطبيبة سمعت تلك السيدة حين طلبت من السكرتيرة دخول المرحاض فجائت الطبيبة الى السكرتيرة لتتأكد من انها لن تدخلها للمرحاض وقالت لها (خوما خليتيهة تدخل للتواليت)

فاجابتها السكرتيرة بثقة (لا طبعا شلون اخليهة) فقالت الطبيبة (اي عفية هاي محافظات لتخلين هيجي نماذج يدخلون للتواليت)

لا ادري حقا ما هو الفرق الجوهري في الدخول للمرحاض بين من تلبس البنطال وبين من تلبس الشيلة ؟؟؟

ان هذه الطبيبة تعتقد ان من تلبس الشيلة غير جديرة بمشاركتها حتى المرحاض لانها تعتقد ان الشيلة تتسق مع التخلف...والعلم والطب الذي حصلت عليه يتسق مع التحضر .

احد الاشخاص يعمل في شركة اجنبية تتواجد داخل العراق في يومه الاول شاهد حالة غريبة فعند دخوله للمراحيض شاهد المدير الاجنبي لهذه الشركة ينظف ارضية تلك المراحيض بنفسه بكل سرور بل كان يردد اغنية مع نفسه . فعاد هذه الشخص ادراجه وانسحب خارج المراحيض كي لا تتسخ الارضية لان حذائه كان متسخ بسبب المطر فانتبه المدير له وطلب منه بوجه مبتسم الدخول للمرحاض. يقول انه عند خروجه انتبه ان العديد من الموظفين كانوا يتحدثون بانبهار عن هذا المدير وبساطته وتواضعه . في تصوري ان هذا المدير اوصل رسالة مفادها (تنظيف ارضية المرحاض ليس امرا معيبا ولا يقلل من قيمة الانسان بل تركها غير نظيفة هو الامر المعيب وهو ما يقلل من قيمته)

هذا ما تحتاج ان تتعلمه من الغرب هذه الطبيبة وليس العلم والطب فقط ... الطب وحده بدون انسانية وشعور بالاخرين لا يجعل الطبيبة انسانة متحضرة بل يجعلها طبيبة متخلفة...الانسانية والتواضع والطيبة والتفاعل مع معاناة الاخرين هي من تصنع انسانا متحضرا. لبس البنطال ليس تحضر بالضرورة كما ان لبس الحجاب ليس تدين بالضرورة .

قبل فترة قرأت خبر يتحدث عن اجراء وزارة التعليم العالي لامتحان مفاضلة لطلاب المجموعة الطبية . ما اتمنى ان تفعله وزارة التعليم العالي هو اختبار نفسي يقوم به خبراء لمستوى (التعاطف والمشاعر النبيلة) وليس فقط المستوى العلمي .

السياسيين بين الديماغوجية والابراج العاجية

جلسنا لنتابع احد البرامج السياسية الحوارية وكان البرنامج شيقا ومثيرا الا ان ما اثار انتباهنا لدرجة كبيرة هو احد الضيوف الذي كان يكرر كثيرا مفردة (ديماغوجية) فبقينا باهتين احدنا يسأل الاخر (بروح ابوك متعرف شنو ديماغوجية) واصبحت هذه المفردة محل سخرية ومزاح وتندر فيما بيننا لمدة طويلة فما ينفك احدهم عن الحديث حتى يجيبه الاخر (لك لتصير ديماغوجي) ونحن لا نعلم فعلا ما هي تلك الديماغوجية التي اتحفنا بها هذا المحلل السياسي الذي لم يراعي عقولنا نحن الناس البسطاء .

لا ادري هل كان يعتقد ان كل الناس يعرفون ماذا تعني هذه المفردة ام انه كان يخاطب النخب فقط ويستنكف توجيه كلامه لنا؟؟؟لو كان وضح معنى المفردة مرة واحدة واعاد

تكرارها لقلنا انه يثقفنا لكنه لم يكلف نفسه في توضيح معناها!!!على كل حال نحن ممتنون منه لانه اتحفنا بمفردة كانت سبب في خلق اجواء مرح لاكثر من اسبوع .

بالمناسبة الديماغوجية تعني ببساطة (تملق السياسيين للشعب للوصول للسلطة) وهي كلمة يونانية تتكون من مقطعين (ديما) وتعني شعب و(غوجيا) وتعني قيادة ... وهي استراتيجية لاقناع الاخرين بالاستناد الى مخاوفهم وافكارهم المسبقة للوصول الى السلطة من خلال اللعب على وتر عواطفهم ورغباتهم ومقدساتهم .(8)

الكثير من سياسيينا يتملقون الشعب بشتى الوسائل في موسم الانتخابات فهذا يتحول الى متواضع وينزل الى الشارع ليستمع الى هموم الناس وذاك يتحول الى (التقي النقي) ويقترب من الناس في المناسبات الدينية ويلبس نفس ملابسهم البسيطة والاخر يبكي على الشعب بكل حرقة ويصرخ مطالبا بحقوق الفقراء في مجلس النواب ويهدد بالاستقالة اذا لم يلتفتوا للشعب المسكين وووووووقائمة لا تنتهي من التملق والتزلف المقيت والمج والمتعب... اما باقي ايام السنة فيعود السياسي الى سابق عهده في برجه العاجي .

كل هذا في كفة والخطب الرنانة التي يعلم المتلقي والمتحدث انها غير واقعية في كفة اخرى. كل شيء يحدث مصطنع والكل يعلم انه مصطنع فحين يقول احدهم وهو يحيي مناسبة معينة مثل ذكرى تاسيس مؤسسة حكومية ويقول (في مثل هذا اليوم العظيم) الجميع يعلم انه كان يوم عادي وليس عظيم . حتى المتحدث يعلم ذلك لكن الجميع موافق على ان يبتعد عن الواقع والعيش بخدعة .

المثير للاهتمام ان ابناء الشعب واعين لحقيقة ان هؤلاء يتملقونهم في موسم الانتخابات بسبب حاجتهم للوصول للسلطة ليس اكثر لكن الغريب ان نسبة لا يستهان بها من هؤلاء الديماغوجيين (على گولة محللنا السياسي) يحصلون على اصوات الناس ويعودون للسلطة مرة اخرى !!!

نسبة لا يستهان بها من الناس دائما تسبق بعض السياسيين بخطوة بل بخطوات من حيث (الوعي لما يجري) فأبسط الناس يعلمون ان ما يقوله بعض السياسيين هو مجرد دعاية انتخابية وكلام مج لا قيمة له ينتهي بعد الانتخابات . اما هذا السياسي (فلا يدري) ان الشعب (يدري) انه متملق لسبب بسيط وهو ان الشعب انتخبه مرة اخرى فهو يعتقد ان ما قاله كان مؤثر والدليل ان الشعب اعاد انتخابه لكن الحقيقة هي ان ما قاله ليس مؤثر لكن الناس اعتادت عليه وتقبلته كسنة متبعة واعادوا انتخابه لانهم يرون في هذا السياسي الذي يعلمون انه يتملقهم (درع حامي) بوجه الاخر (السياسي من المذهب الاخر) ولولا وجود هذا (الاخر المختلف في المذهب) لما حصل هؤلاء على شيء يذكر والجدير بهم ان يشكروا خصومهم السياسيين لانهم السبب في وصولهم . هؤلاء يشد احدهم عضد الاخر .

معادلة صعبة الواعي فيها هو الناخب والغافل فيها هو المرشح لكن الواعي يسلك سلوك الغافل والغافل يعتقد انه حذق...جرب ان تقول لاحدهم ان فلان الفلاني فعل كذا وكذا سيقول لك فورا (ميخالف مهما يكون احسن من غيره) اي انه يعلم بحاله لكن سلبياته لا تقارن بشيء امام وقوفه امام السياسي المختلف بالمذهب فهناك نسبة من الناس يفضلون السياسي القوي صاحب النفوذ حتى لو كانت تحوم حوله الشبهات على السياسي النزيه الغير متنفذ حتى لو كان مشهود له بالمصداقية والنزاهة.

هناك حقيقة يعلمها الجميع الا صانعي تلك الحقيقة انفسهم . اختر اي شخص يمر امامك وحدثه بالسياسة سيقول لك (عمي كلاوات همة بيناتهم دهن ودبس بس من يطلعون بالتلفزيون يسوون نفسهم محترك قلبهم) هذا الكلام استنتاجي فنحن لا نعلم حقا ما يجري خلف الكواليس .

لكنه حقيقة فعلية حدثني بها اكثر من شخص مطلع وقريب من اجواء السياسة وفعلا هناك نسبة من السياسيين من (الصقور) يظهرون في التلفاز بلغة تحريضية مجة لكن فيما بينهم تربطهم علاقة طيبة وعزائم وولائم . قد يقول احدهم ان السياسيين الاوربيين ايضا يتخاصمون سياسيا ولا يؤثر هذا على علاقاتهم الانسانية . الفرق شاسع فالاوربيين قد يتخاصمون داخل السياسة وتبقى علاقاتهم الانسانية خارج السياسة لكن ليس لتخاصمهم انعكاس على المجتمع يؤدي الى اثارة مشاعر الكراهية تجاه الاخر . اما سياسيينا فخصومتهم السياسية تنعكس على ارض الواقع وتثير الضغينة تجاه الاخر و تؤدي الى سفك دماء وهذا الفرق الجوهري وحتى لو كانت خصومة الاوربيين تنتج علاقات متوترة بين مؤيديهم فلن تصل الى الدماء في اسوء حالاتها .

المفارقة ان المجتمع ينتقد القوى السياسية الحاكمة ويتحدث بمرارة عن رغبتهم بتغييرهم لكن هناك شريحة من نفس المجتمع تنظر بعين الاحتقار للمرشحين المستقلين الذين لا ينتمون للطبقة السياسية فتجد احدهم يقول ساخرا حين يرى صورة لمرشح غير معروف (شوف هذا البطران هو انت منو ينتخبك) وهو يعلم ان هذا البطران يحمل شهادة اكاديمية ومكانة علمية لا يستهان بها لكنه قال ما قاله لانه يحترم القوي .

ان المجتمع ينظر بعين الريبة للطبقة السياسية بصورة عامة ويتهمهم بشتى التهم لكنه قد يلتمس العذر للقوي الذي يملك نفوذ وقدرة ويعيد انتخابه مع كل مساوئه لانه يشكل حماية له من الاخر لكنه لا يتساهل مع من لا نفوذ له ولا قدرة بل قد يرتاب منه ويتهمه بانه مدسوس من جهات خفية مع انهم يعلمون علم اليقين واقع الاقوياء الذين انتخبوهم . فضلا عن المزاجية التي تحكمنا في كثير من الاحايين . فقد يقوم احدهم بالاستماع للمطربة الايرانية كوكوش ليلا ويدافع عن ولاية الفقيه نهارا . واخر يستمع لام كلثوم ليلا ويدافع عن الصحابة نهارا . ليس كل ذو توجه ليبرالي سينتخب مرشح ليبرالي بالضرورة .

الابراج العاجية

البرج العاجي مفردة تستخدم كتعبير مجازي عن التعالي والابتعاد عن الناس...اتذكر ان عدد من السياسيين حولوها الى امر واقع ففي احد الايام كان هناك تظاهرة ضد الحكومة فذهب بعض السياسيين قرب تلك التظاهرة للحديث مع الناس ومعرفة مطالبهم لكن الاغرب من الخيال انهم اختاروا الصعود الى برج قريب من تلك التظاهرة لمراقبتها !!! لو كان الموضوع يتعلق بالمشاهدة فكانوا يستطيعون مشاهدتها في التلفاز وينتهي الموضوع . ولو كان الموضوع يتعلق بالتحدث معهم عن بعد فالهاتف النقال يفي بالغرض . اما الصعود الى برج شاهق قريب من تلك التظاهرة لمراقبتها والتواصل مع بعض المتظاهرين عن طريق النقال فهذا غير مفهوم ولا اعتقد ان له اي تفسير. على كل حال قد تكون الظروف اللحظية فرضت هذا الحال كأمر واقع . لا اعلم كل شيء وارد . لكن الواقع يقول ان عدم حضورهم في ذلك اليوم افضل لهم من ذلك الحضور المتعالي بمليون مرة .

من يستعلي على الناس يبحث عن شيء معين وهو حسب تصوري (الشعور بانه مهم) لكنه في الواقع بتعاليه ابتعد عن ما يبحث عنه و(التواضع) الذي هرب منه هو ما يعطيه الاهمية في عيون الناس .

ومن لا يعرف علي دواي محافظ محافظة العمارة (ميسان) . تمكن هذا الرجل من الحصول على حب نسبة لا يستهان بها من الناس على اختلاف توجهاتهم وانتمائاتهم ...لماذا؟؟؟ لانه عفوي ميداني يتواجد بين الناس ويشرف على النشاطات الحكومية بنفسه ويجالس البسطاء بتواضع . ويفعل ما يفعله بدون تصنع وليس في وقت انتخابات...ما يفعله يخرج من القلب لذلك يدخل الى القلب...وحين حاول بعض المسؤولين نسخ نموذجه لم يحصلوا على نفس الدرجة من الحب في قلوب الناس لان ما فعلوه لم يكن ليحدث لولا وجود نموذج علي دواي لذلك هو نسخة والنسخة ليست كالأصل . لنفترض انه في اسوء الاحتمالات يحاول كسب شعبية ويحاول كسب الناخب بهذا الاسلوب وغرضه هو الصعود سياسيا ... ليكن ذلك لما لا لو كان كل السياسيين والمسؤولين يحاولون كسب الناس بالعمل الدؤوب لكنا في افضل حال.

اتصور ان احد الاسباب الرئيسية لحصول الدكتورحيدر العبادي على تعاطف من شريحة لا يستهان بها من المجتمع في بداية تسنمه لمنصبه لدرجة انهم يلتمسون له العذر احيانا هي تواضعه و عفويته وابتسامته البريئة فضلا عن الاسباب السياسية الاخرى . لكن العفوية والذكاء الاجتماعي والتواضع لا تضمن النجاح خصوصا في منصب حساس كمنصب رئيس الوزراء فهناك عوامل اخرى تحدد النجاح من عدمه واحيانا تلك العوامل الاخرى تفرغ التواضع والذكاء الاجتماعي والعفوية من محتواها .

في احد الايام قبل سنوات كان مجلس النواب يناقش قانون التقاعد العام (وكان ذلك قبل ان يتم الغاء تقاعد مجلس النواب) فقام احد الاعضاء وهو منفعل وقال ما مضمونه (ليس من العدالة ان يتساوى من عمل في دوائر وهو بعمر 55 عام مع من عمل في دوائر الدولة وهو بعمر 24 عام ويحصل كلاهما على نفس التقاعد) وهو يقصد طبعا الموظفين في دوائر الدولة .

هل كان يعلم ان ما قاله ينطبق عليه؟؟؟ ام انه غفل عن هذه الحقيقة ؟؟؟ ام انه يعتقد ان ما يقدمه في هذه السنين الاربع عمل مظني يستحق عليه تقاعد؟؟؟في كل الاحوال بعض المسؤولين يعتقدون انهم مختلفين عن باقي الناس فهم نخبة النخبة ووصلوا لما وصلوا اليه عن جدارة واستحقاق ويستحقون ما يحصلون عليه من مكتسبات لانهم وصلوا لهذا المكان بعد ان بذلوا جهد استثنائي وكما يقول المثل (من جد وجد ومن زرع حصد) لذلك يظنون ان من لا يحصل على عمل فاخر فذلك لانه متكاسل ولو كان بذل جهدا اكبر لحصل على عمل كما حدث لهم .

يقول الدكتور علي الوردي: اينما ذهبت رايت من ينصحك على المنوال التالي : النجاح بالمثابرة , كل من سار على الدرب وصل , الجد في الجد والحرمان في الكسل ... الى غير ذلك من اقاويل سلطانية اخترعها لنا المغرورون واصحاب العبيد . وقد راينا في العراق في بدء حياته السياسية الجديدة اكواما من هذه الحكم والنصائح الفارغة ... فاخواننا الذين ساعدهم الوضع الشاذ او الصدفة على نوال المناصب العالية اخذوا ينظرون على من حولهم من البؤساء والمساكين بعين الكبرياء ... وكثير منهم قد ثاروا في الحرب العالمية الاولى على الدولة العثمانية وانحازوا الى صفوف اعدائها وكان من حسن حظهم ان تلك الدولة خرجت مغلوبة فصعدوا هم من جراء ذلك الى مناصب لم يكونوا يحلمون بها (انتهى) .(9)

احتقار الاعمال البسيطة ... بين عامل النظافة المصري وبائع الثلج العراقي

كثيرا ما نستخدم اسماء الاعمال البسيطة للتنكيل بالاخرين . فقد يقول احدهم لصديقه مازحا (امشي لك زبال) تنكيلا به وقد يقول احدهم لابنه مستفزا له بسبب اهماله او لا مبالاته او فشله في مجال معين (هذا الكناس احسن منك) وهو ليس جادا في القول لكنه يقارنه بمن يجده اقل الناس مكانة مع ان عامل النظافة لا يمكننا التخلي عنه ولو يوم واحد لاهمية عمله بالنسبة لنا فلولا امتهانه لهذه المهنة لتحول عالمنا الى ركام من الاوبئة . لو بقيت علينا نحن من نستنكف ان نعمل في هذه المهنة لتحول عالمنا الى ركام من القذارة .

اجد عامل النظافة اكثر اهمية من رائد الفضاء فما يفعله عامل النظافة تنعكس نتائجه في حياتي اليومية اما ما يفعله رائد الفضاء فنتائجه غير مباشرة وتاثيرها لا يبرز في الحياة اليومية.

الذي يدعو للتفائل هو اشاعة ثقافة احترام عامل النظافة وظهور ثقافة جميلة تدعو الى احترام تلك المهنة وتبجيل صاحبها والمنشورات التي يروج لها الناشطون في هذا المجال رائعة حقا لما تحوي من مضمون راقي وقوة تأثير .

حين يقول احدهم (عزت ابو الثلج) قد يكون المقصود بها (اننا نعلم يا ابو العز انك مجرد بائع ثلج لا تملك تحصيل دراسي جلبتك الصدفة لمنصب لا تستحقه) والواقع الذي اراه ان النقطة البيضاء الوحيدة في حياة ابو العز السوداء هي تلك اللحظات التي كان بها يوما ما كادح يبيع الثلج ويكسب من عرق جبينه ليطعم عائلته من الرزق الحلال ولو بقي بائع ثلج لكان اشرف له ولعائلته بمليون مرة من تحوله الى جلاد داهية كنا نتوقع انه مجرد متملق لصدام حسين لكن اتضح انه ثعلب ماكر وبقي على قيد الحياة بعد صدام لعقد من الزمن تقريبا...تركنا كل الصفحات السوداء للجلاد عزت الدوري وتمسكنا باللحظة الوحيدة التي كان بها (ادمي) لنعيره بها .

ان مجتمعنا حين يغضب من سياسي ولاي سبب كان منطقي او غير منطقي يبحث عن مهنة بسيطة يوصمه بها وينتشر هذا الوصم كالنار في الهشيم دون الحاجة الى التأكد من صحته. ففلان الفلاني (عميل الدولة الفلانية ويعمل في المهنة البسيطة الفلانية) وهكذا تهم كما يقول السوريون (ما بتضبط) لانها تجمع النقيضين فأما يكون عميل لدولة اخرى او يعمل في مهنة بسيطة فللعمالة ثمن وليس من المعقول ان يمتهن احدهم مهنة بسيطة و هو عميل لدولة اخرى فما هي فائدة العمالة اذن؟؟؟ احدى التهمتين تنفي الاخرى بالضرورة . كلنا اضطررننا في اوقات معينة للعمل باعمال بسيطة وقد نضطر للعودة لها يوما ما . اذا كان سياسي معين له مكانة مرموقة في حزبه وحاصل على شهادة عليا وثبت انه كان يمتهن مهنة بسيطة قبل تسنمه للمنصب فهذا يدل على نزاهته . و اذا كان سيء الاداء في منصبه الحكومي فليس هناك ملازمة بين سوء ادائه وبين بساطة المهنة المنسوبة إليه .

اغلب هذه التهم غير حقيقية حسب تصوري . لكن مصدرها ثقافتنا الدارجة التي تجعل العمل البسيط فضيحة لمن يتسنم منصب رفيع ولا يحصل على قبول اجتماعي بسبب سوء ادائه او لاي سبب اخر .

المفارقة ان المجتمع يقف باحترام للكادحين الذين يعملون بمهن بسيطة ويعتبرهم مجاهدين يحاربون لاجل لقمة العيش ويحترمهم اكثر لو كانوا يدرسون ويعملون في نفس الوقت بل يحتقر السياسي الذي ينظر لهم بتعالي . لكن المفارقة هي ان المجتمع نفسه اذا غضب من المسؤول او السياسي لن يتردد بوصمه بعمل بسيط لتسقيطه!!!

الاستفهامات التي تطرح نفسها : هل نحن نحتقر المهن البسيطة لذلك نصف بها من يغضبنا؟؟؟ام اننا نحاول تذكيره ان مكانه الصحيح ليس في هذا المكان المرموق بل في تلك المهنة البسيطة ووجوده في منصب مهم يعد ظلم لنفسه وللمنصب؟؟؟ام قد يكون القصد (ان

العمل البسيط يعني عدم حصوله على تحصيل دراسي بالضرورة مما لا يؤهله للمنصب الذي تسنمه ؟؟؟) ام ان الزعماء في اذهاننا شبه اساطير لا يستقيم ان يكونوا من ارباب الحرف او الاعمال البسيطة ونحقرهم فور سماعنا انهم كانوا يعملون بأعمال متواضعة؟؟؟

قبل فترة وجه سؤال لوزير العدل المصري خلال مقابلة تلفزيونية حول إمكانية تعيين ابن عامل نظافة كقاضي فاجاب الوزير (مش اوي كده مع احترامنا لعمال النظافة لكن القاضي يجب أن يكون من وسط مناسب...الخ) وبين أن نشأة ابن عامل النظافة في بيئة فقيرة لن تجعله مؤهلا ليكون قاضيا وإذا أصبح قاضيا فسيتعرض لأزمات وأمراض نفسية تؤثر على عمله ولن يستمر في هذه المهنة . وأضاف ان القاضي لابد وأن يكون من بيئة محترمة تليق بشموخ القضاء أما ابن عامل النظافة فهناك وظائف أخرى مناسبة له. وقال ايضا إن عامل النظافة مشكور لسعيه في تربية ابنه ومساندته حتى حصل على شهادة رفيعة ويمكنه أن يوظف ابنه في أي وظيفة أخرى محترمة لكن ليس من بينها العمل في القضاء .اثارت هذه التصريحات غضب الشارع المصري واستقال الوزير على اثرها . تستطيع ان تصبح قاضي يا صاحب المعالي لكن ليس من السهولة ان تصبح انسان .

الحبربش

مفردة (حبربش) تطلق في مجتمعنا على الزمرة التي تحيط بشخصية لها مكانة . هؤلاء في كثير من الاحيان يشكلون حائط منيع (بين تلك الشخصية وبين الجمهور) لذلك حتى الشخص الجيد تغيب عنه الرؤية السليمة بعد مدة لان هؤلاء يحيطون به تماما ويصيبوه بعاهة ادراكية مستديمة ولا يستطيع بعدها ان يعرف ما يحصل على ارض الواقع الا عن طريقهم وغالبا ما ينقلون له صور غير واقعية ليتمكنون من اللعب كما يشاؤون . وفي الجانب الاخر يتحدثون مع المجتمع باسم ذلك الشخص بطريقة تعكس صورة سيئة عنه والنتيجة هي حدوث فجوة هائلة يصعب ترميمها وتزداد تلك الفجوة مع مرور الزمن .

الحبربش هم ثلة من المتملقين الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان . (الداهية ميكافيلي) يصف حال هؤلاء ويصف علاج لهم . وميكافيلي هذا ينتمي لهم بطريقة وباخرى بل هو (احد اهم المتملقين في التاريخ) وتجد ذلك واضحا في الاهداء الذي وضعه في مقدمة كتابه (الامير) والموجه للامير لورنزو ومما يقوله فيه (ورغم انـي اعتبر ان هذا الكتاب المتواضع قد لا يرقى لقبول سموكم , الا انني واثق من عطف سموكم وقبولكم له . فسموكم تعلمون انني غير قادر على اهدائكم ما هو اعظم , او اكثر قيمة من هذا الكتاب . فهو يمكن سموكم من التعرف في وقت قصير على كل ما اكتسبته طوال حياتي , وما تحملت من اجله الكثير من الاخطار والفقر طوال سنوات عمري ...) (انتهى) (10)

ان تملق ميكافيلي هو تملق (عن بعد) والفئة التي نتحدث عنها هم متملقين (عن قرب) هم هؤلاء الذين يحيطون بالمسؤول من جميع الجوانب بطريقة (شدة يا ورد) ويخدرونه بكيل

المديح ويظللونه دائما وابدا بمعلومات اما خاطئة تماما او نصف صحيحة فيفقدونه الثقة بكل شيء الا بهم وفي النهاية هم من يتسببون بسقوطه المدوي .

يقول ميكافيلي : يجب ان لا نغفل عن موضوع هام , وهو ذكر خطأ الامير الذي لا يمكن تجنبه بصعوبة , الا اذا كان على درجة عالية من الحكمة , او لم يسيء الاختيار , وهو الموضع المتعلق بالمتملقين الذين يمتلىء بهم كل بلاط , فالناس يسعدون بما يخصهم , وينخدعون بالتملق , لدرجة انهم لا يستطيعون تجنب هذا الطاعون الا بصعوبة بالغة . وهم يغامرون باحترامهم حين يودون مواجهته , ويصبحون مزدرين , وليس هناك طريقة اخرى امام المرء يقي بها نفسه شر التملق سوى ان يدع الناس يدركون انه يحب ان يسمع منهم الحقيقة (انتهى) .(11)

لحد الان كلام ميكافيلي عقلاني وواقعي لكن في المقطع التالي يبرز دهاءه ومحاولاته في ان يصنع من الامير دكتاتور...**يستطرد قائلا :** (لكنك تفقد احترامهم لك لو سمحت لكل منهم ان يخبرك بالحقيقة . ولذلك على الامير ان يتبع طريقة ثالثة وهي ان يختار من ينصحونه من حكماء الناس , ويمنحهم الحرية التامة كي يتحدثوا اليه عما يسألهم عنه من امور فقط وليس عن اي شيء اخر . وله ان يسألهم عن كل شيء , ويسمع رأيهم ثم يتناول الامر مع نفسه وعلى طريقته الخاصة , وان يجتمع بنفسه مع مجالسهم .) (انتهى) (12)

حل مشكلة الحبربش يكمن في نقطتين **الاولى :** جعل الناس يدركون ان المسؤول يحب سماع الحقيقة (كما قال ميكافيلي) **والثانية :** اقتفاء اثر الحقيقة ميدانيا على ارض الواقع فالمسؤول الميداني لا يجرأ متملق على تظليله .

النُخب ونظرتها لطقوس المجتمع وعاداته

كيف تتعامل النخب (اسلامية وليبرالية) مع الطقوس الدينية التي يمارسها المجتمع؟ (طقوس الشيعة او طقوس الصوفية)

حسنا...قبل الدخول بالموضوع...استنكر كل عنف يمارس ضد الاطفال او يُسمح للاطفال بممارسته مهما كان عنوانه. واستنكر العنف المفرط الذي يمارسه البالغين . بل يجب ان يمنع القانون ممارسة العنف ضد الطفل او السماح لهم ان يؤذوا انفسهم حتى لو كان ذلك يجري تحت عناوين مقدسة . الطفولة مقدسة ولا يمكن السماح للعنف ان يتخللها تحت اي عنوان . و يجب ان يمنع القانون العنف المفرط الذي يمارسه البالغين ضد انفسهم والذي يؤدي بالبعض الى النزف وفقدان الوعي .

شريحة واسعة من ابناء الطبقة المثقفة باختلاف توجهاتهم كثيرا ما يعبرون عن ارائهم بعادات المجتمع المتوارثة. فالمتدين يسميها انحراف عن الدين والمتمدن يسميها انحراف عن التمدن .

هي عادات اجتماعية فلكلورية تراثية شعبية ينظر لها الكثير من النخب نظرة (استنكاف) فكثيرا ما نسمع هذه الجمل تتكرر (ذولي خزونة كدام العالم , هذا انحراف عن الدين , هذولي متخلفين لازم يوكفون عد حدهم , وغيرها من التعابير)

من حق النُخب انتقاد هذه الطقوس والشعائر وهذا امر طبيعي . ما نتحدث عنه هنا ليس الحق الطبيعي بل الواقع الفعلي واثر الطريقة التي تتعامل بها النخبة مع هذه الطقوس .

حسنا...الطرح النخبوي منطقي وعقلاني لكن لماذا ليس له تأثير؟؟؟لماذا كلما طرح احدهم حجة منطقية تؤكد لا عقلانية هذه الطقوس تزداد بل قد تستحدث طقوس جديدة؟؟؟ الامر لا يتعلق بعقلانية الحجة بل بشيء اخر...الامر يتعلق بلغة الاملاءات ولغة تقليل قيمة الاخر . من يمارس هذه الطقوس لا يلتفت لعقلانية الحجة بقدر إلتفاته للغة التعالي في طرح تلك الحجة . فمعظم من يطرحونها وكأنهم يتحدثون مع شخص اخزاهم امام العالم . وهذا يجعل الحجة واهية لان استفزاز المشاعر سيكون هو الحاكم والمسيطر .

تأخذ هذه الطقوس قدسيتها من الوازع الديني لكن الافراط بها والمبالغة والإلحاح ليس سببه وازع ديني بل اسباب اجتماعية تتعلق بالصراع القيمي بين النُخب وتلك الشريحة من المجتمع .

التعالي والتحقير يولدان (الشعور بالنبذ وعدم الاعتراف) ونتيجة ذلك يحدث رد فعل عكسي من خلال اختراع شعائر جديدة او المبالغة في شعائر قديمة .

في علم النفس الاجتماعي هناك ما يسمى تأثير السعي المرتد (boomerang effect) ما نتحدث عنه احد مصاديق تأثير السعي المرتد . وهو حدوث عواقب غير مقصودة من خلال محاولة اقناع احدهم بوجهة نظر معينة فيؤدي ذلك الى تمسكه بوجهة نظره اكثر من السابق(13). ولهذا اسباب عديدة منها ضعف حجة الشخص او اسلوبه العدواني او استخدامه للغة الاملاءات او غيرها من الاسباب.(14)

ان المبالغة بهذه الطقوس هو في الواقع تعبير عن (تمرد) بوجه ايحاء او تصريح النُخب برغبتهم في سلب ارادة من يمارسونها (لو كان الامر بيدهم) كونهم يخزونهم امام العالم .

كلما استشف الانسان من خلال حواره مع الاخر الذي يدعوه لترك سلوك معين او فكر معين بان هناك رغبة في سلب حريته الشخصية كلما تعزز عنده هذا السلوك او هذا الفكر . وهذا ما يسمى في علم النفس الاجتماعي (نظرية المفاعلة النفسية - Psychological reactance theory)(15)

كلما نصحتهم بعنف وتحقير واستعلاء كلما اصبح عندهم رد فعل عكسي . وتجد هذا واضحا عند الاطفال . ويُفضل بعض الاباء والامهات مواجهة هذا السلوك بما يسمى في علم النفس (بعلم النفس العكسي) اي ان يقوم الاباء والامهات بطلب العكس من الطفل

ليستجيب بطيب خاطر . ومثال على ذلك الطفل المعاند الذي لا يأكل يطلب منه اهله عدم الاكل فيقبل ذاتيا على الطعام وبشراهة لانه يجد فيه ممارسة لحريته .(16)

ويستخدم هذا الاسلوب كذلك في الترويج ومثال على ذلك قيام هيئة السياحة في تايلند بالترويج للسياحة من خلال مقطع فيديو يحمل عنوان (انا اكره تايلند) ويظهر فيه سائح اجنبي غاضب منزعج بسبب تعرضه للسرقة ثم تصادفه اشياء جميلة فيلتقي بفتاة جميلة ثم يحصل على مساعدة من السكان المحليين ليغير رايه ويحب تايلند . الغاية من الاعلان هي الترويج للسياحة في تايلند وليس العكس لكن باستخدام اسلوب (علم النفس العكسي) . وفعلا عنوان (انا اكره تايلند) جذاب اكثر من عنوان (ندعوكم للسياحة في تايلند)

نعود لصلب الموضوع...هل تعود هذه الطقوس بالفائدة على من يمارسونها؟؟؟

هذه الطقوس بالنسبة للكثير من الناس (ضرورة) للتعويض عن اشياء كثيرة مفقودة منها مثلا (الشعور بالالفة المفقودة اجتماعيا) بسبب انشغال الفرد الدائم بمصاعب الحياة واعبائها فهذه المناسبة تعوض ذلك الفقدان (للتعاضد الاجتماعي) وهي فرصة للتنفيس عن المكبوتات التي ولدت من رحم الاحباط المستمر و(التنفيس عن مشاعر الغضب الموجه ضد الذات وضد الاخر) ويخبرنا علم النفس ان لهذه الطقوس ايجابيات من خلال (تفريغها للمكبوتات) التي لو لم تفرغ في تلك الطقوس لوجدت لها مكانا اخر .

يقول البرفيسور المختص في علم النفس ابراهيم الحيدري في معرض حديثه عن العنف المقدس والطقوس التي يتخللها هذا العنف :

هذه الانفعالات الجماعية تحمل في الحقيقة بذور عنف يتطلع للانفجار، ولكنها من جهة اخرى، تكون صمام امان للتنفيس عن المكبوتات بدل الانفجار والتدمير. ولهذا تكون لغة الطقوس ضرورية احيانا، غير ان المبالغة فيها يخرجها عن محتواها وأهدافها وهو التعالي والتسامي الذي تشحنه رموزها. (انتهى) (17)

حين يلطم البعض على الامام الحسين ويبكون عليه هم صادقين فعلا في تعاطفهم معه لكنها فرصة ذهبية لهذا الجسد المثقل بالتعب وذاك العقل المثقل بالهموم ان يفرغ همومه الخاصة ومعاناته الشخصية في ان يلطم على الحسين ويلطم على نفسه من حيث يشعر او من حيث لا يشعر . ليفرغ في ذلك الغضب المكبوت والطاقة السلبية المخزونة . هي فرصة لا شعورية لافراغ غضبه تجاه خيبة الامل والواقع البائس واللاجدوى .

في تصوري ليس من واجب النُخب توفير بديل يسد هذه الحاجات النفسية لكن النُخب يتعاملون مع الموضوع وكانه قضيتهم الكبرى لذلك من الطبيعي ان يوجه لهم السؤال (هل لديكم بديل يسد هذه الحاجات التي تشبعها تلك الطقوس في واقعنا الحاضر؟؟؟)

نعـم هنــاك بـدائل تعرضــها النُخـب مثـل (سـاعدوا الفقـراء لتتقربـوا مـن الله بـدل هـذه الطقوس...كونوا على خلق مع الناس سيرضى عنكم الله وووو ألخ)

سيجيبون بكل بساطة...ومن قال لكم اننا لا نفعل هذه الامور ؟؟؟ وما المانع من ان نفعل هذه الامور ونمارس طقوسنا ؟؟؟ في نظرهم هذه ليست بدائل فالقيام بها لا يغني عن تلك الطقوس . ولا يوجد مانع من القيام بالامرين معا كما يرون .

حين اقول ما بال هؤلاء يمرغون انفسهم في الطين لقد شوهوا الدين...ما يشوه الدين حقا (على الاقل في زماننا الممتلىء حرائق بشرية باسم الدين) ليس من يمرغ نفسه في الطين اعتمادا على رواية او قصة فتأويله للنص الديني انعكس (عليه) وليس على غيره . هو في الواقع (طين نفسه) ولم يقتل غيره ومقارنة بين الاثنين تصبح مفردة تشويه الدين من قبل من يطين نفسه لون من الترف...من يشوه الدين فعلا هو ذلك الذي يؤول النص لما يناسب رغبته في (الغاء الاخر) فهذا انعكس تأويله للنص الديني (على الاخر) والغاه من الوجود و هو من يخزيني امام العالم لانه اعتمد على نصوص اقدسها .

تمريغ الجسد في الطين فعل غير عقلاني لكن هذه قناعتي انا. هو يجد ذلك الفعل مقدس وعقلاني هذه قناعته هو...ديني لا يشوه اذا مرغ احدهم نفسه بالطين بل يشوه حين يقتل احدهم الاخر اعتمادا على نصوصه . طقوس الصوفيين ومجالسهم التي يضربون فيها الدفوف ويتمايلون يمينا وشمالا وهم ينشدون في حب النبي لا تشوه ديني فهي تنعكس عليهم فقط ولا يلزمون غيرهم بها .

من الغريب أن نجد نسبة من الناس يتقبلون أي شيء يصدر عن الغرب مثل مهرجان الطماطم في إسبانيا أو مصارعة الثيران (احقر رياضة في التاريخ) أو سواها من الثقافات الغربية. لكنهم لا يتقبلون أي طقوس وعادات اجتماعية ذات منشأ ديني تبدر عن مجتمعهم . لأنهم يشعرون بعقدة نقص وخزي غير مبرر .

لاادري كم للشعوب من عادات غريبة ومهرجانات قد تبدو اغرب بكثير من عاداتنا ولاادري كم اوربي عبر عن شعوره بالخزي منها ؟؟؟ الفارق هو ان الطقوس عندنا منبعها مقدس لكن من حق اي انسان ان يفعل ما يشاء حتى لو كان يعطيه قدسية طالما انه لا يلغي الاخر ولا يجبره على ان يمارس طقوسه معه .

ان الاستنكاف الليبرالي العلماني المتمدن منبعه (ان هذه العادات مخزية امام العالم الغربي المتحضر) لذلك تجدهم يشعرون بعقدة نقص من هذه العادات ويتحدثون ضدها بحرقة. لماذا يجب ان اشعر بالخزي؟؟؟ لماذا يخزيني موكب حسيني يردد فيه المعزون كلمات عزاء موجهة لشخص النبي او لاهل البيت؟؟؟او مجلس صوفي يردد فيه الحاضرون كلمات حب موجهة لشخص النبي او اهل بيته او صحابته؟؟؟هذه الطقوس فيها الكثير من الايجابيات وهي فرصة جيدة للمجتمع ليطلق طاقته الايجابية . لا اجد مبرر من الشعور بالخزي امام

الغرب او امام باقي دول العالم فكل دولة لها من المشاكل ومن الجنون ما يكفي لتنشغل بنفسها . لنواجه الاخر كما نحن وليس بالصورة التي نعتقد ان الاخر سيحترمنا بها . شريكنا في الوطن هو هذا الذي يمارس طقوس قد لا تعجبنا وليس القابع في الغرب وليس القابع في العالم الاسلامي او العربي .

المشكلة ليست في النقد بحد ذاته بل في نظرة التعالي والشعور بالخزي . طالما هناك نظرة تعالي ولغة املاءات وتحقير لن نجد الا رد فعل عكسي وابداع في العناد وابداع في ابتكار طقوس جديدة اكثر انحدار واكثر شدة . استبدال علاقة الشراكة بعلاقة الوصاية هو لب المعضلة . لقد مل هؤلاء من اشعارهم انهم عار على المجتمع . طالما انهم لا يجبروننا على ممارسة طقوسهم ولا يمارسون العنف ضدنا لنتقبلهم اذا كنا ديمقراطيون كما ندعي .

اقتل النصوص والروايات المخزية (لدى السنة والشيعة) التي تقتل الانسانية داخل الانسان وساضمن لك ان هذه العادات ستنقى من تلقاء ذاتها . واضمن لك انك نفسك ستغير نظرتك عنها .

الاعراض الجانبية

هناك اعراض جانبية سيئة لهذه الطقوس لكن هذه الاعراض لا صلة لها بجوهر الطقوس بل تتصل بصلب التخلف الاجتماعي . فلا تستبعد ان يكون الفوضويون في المناسبات الدينية نفسهم الفوضويين في الاحتفال برأس السنة .

لا يوجد من يقطع الطريق باسم الدين الا في الدول التي لا تحترم قيمة الانسان . المواكب التي تقطع الطرقات من اعطاهم الحق في ذلك ؟؟؟هذا الطريق قد يحتاجه مريض في حالة حرجة ليصل الى المستشفى . الطريق مقدس فهو وجد لخدمة الناس ومن انت لتقطعه عليهم وتعطل حياتهم؟؟؟ لو تحججت بأكثر المقدسات قدسية تبقى في نظر من اذيتهم مجرد قاطع طريق . الا يوجد ساحات فارغة الا يوجد دور عبادة هل هؤلاء غايتهم الاستعراض علينا ؟؟؟ اما عن الصوت العالي فحدث ولا حرج . هؤلاء لا يراعون حرمة مريض ولا يراعون خصوصية الاخرين . هل غايتكم الاستعراض على الناس وازعاجهم ام احياء طقوس دينية؟؟؟

ماذا عن هذا النموذج الذي تجده في مكان عمله (وظيفة حكومية او تجارة او اي عمل اخر) في قمة انعدام الاخلاق ولا يرد على السلام الا ما ندر لكنه في الموكب تجده متصدر يوزع الثواب صائحا بملىء فمه وبوجه بشوش (تفضل يا زاير) اين كانت بشاشتك في مكان عملك؟؟؟ (يا اخي تخيل ان مكان عملك موكب وان المراجعين زوار وتعامل معهم بود وحب هل هذا صعب؟؟؟يبدو انه صعب على هؤلاء) ماذا عن هذا الموظف الذي يأخذ

اجازة طويلة ليخدم الزوار وهو بتلك الاجازة عطل اعمال الناس الضرورية ؟؟؟ من يعطل مصالح الناس ليذهب لتقوية علاقته مع الله هو في الواقع ذاهب لتملق الله وليس لانشاء رابط روحي معه .

عشائرية بطعم التمدن وتمدن بطعم العشائرية

لم نعتد كثيرا على وصف انفسنا بواقعية وكثيرا ما نحاول ان نصف انفسنا بطريقة مثالية نبدو فيها في احسن حالاتنا و نغض الطرف عن اشياء واقعية بسبب شعورنا ان الحديث عنها امر معيب وسبب ذلك هو اننا نميل الى التظاهر بالمثالية والكمال حين يكون الحديث عام لكن في احاديثنا الخاصة لا نبالي في النيل من بعضنا البعض ومن انفسنا كذلك..لنتمتع بقليل من الروح الرياضية في الحديث عن اشياء نعلمها جميعا لكن نتجنب كثيرا الخوض فيها في حديث عام .

ما سنتحدث عنه ليس شيء يختص به مجتمعنا بل حالة عامة موجودة في جميع انحاء العالم فالتمايز الطبقي والمناطقي حالة بشرية عامة فحتى في الدول المتقدمة تجد حالات مشابهة لهذا التمايز .

منذ ان كنا صغار الى الان اطلق ابناء المناطق التي يطلق عليها تسمية (شعبية) على ابناء المناطق التي يطلق عليها تسمية (راقية) مصطلحات كثيرة منها مثلا (دريدية , جماعة النيدو , مايعين , كيكية , جماعة ماما غطيني , وغيرها من التسميات)

وابناء المناطق التي يطلق عليها تسمية (راقية) يطلقون على ابناء المناطق التي يطلق عليها تسمية (شعبية) مصطلحات كثيرة منها مثلا (معدان , شروكية , عرب چول...ألخ)و هذه المفردات تستخدم في زماننا للدلالة على نفس المقصد الا ان لكل منها جذر تاريخي يختلف عن الاخر (راجع-ي : كتاب الدكتور علي الوردي – دراسة في طبيعة المجتمع العراقي)

وهناك مفردة اخرى حديثة (متداولة ومشهورة نسبيا) وتطلق على من يطبقون الموضة الصارخة الخارجة عن المألوف والغير متناسقة . وهي مفردة (ألمان – نسبة لالمانيا-) ولا اعلم تحديديا ما هو مصدر التسمية . وهي شائعة على نطاق ضيق بين الشباب الذين ينتقدون الملابس النشاز لهذه الفئة من المجتمع . والجدير بالملاحظة ان هذه الفئة يتم انتقادها حتى من قبل ابناء البيئة الشعبية التي تعيش فيها وليس فقط من قبل ابناء المناطق الاخرى. هؤلاء يظهرون فجأة في المناسبات يتجولون في المناطق الترفيهية مصطحبين معهم (دفوفهم) وهم يلبسون ملابسهم الصارخة والخارجة عن المألوف وسلوكهم غالبا ما يكون استعراضي الغاية منه لفت الانتباه.

المناطق الشعبية ترمز للكادحين والمناطق الراقية ترمز للمترفين وهناك لون من الوان التعالي من كلا البيئتين تجاه الاخرى فابن المنطقة الشعبية يشعر انه اكثر جلادة وقوة

ورجولة من ابن المنطقة المتحضرة اوبن المنطقة المتحضرة يشعر انه اكثر تمدن وتحضر وثقافة من ابن المنطقة الشعبية .

لكن هذا الكلام عفى عنه الزمن فمع ان اثاره لا زالت موجودة في ثقافة المجتمعين لكن الواقع الاجتماعي لكلا الطبقتين اختلف اختلافا جذريا . فالكثير من المناطق الشعبية تمدنت بشكل ملحوظ من جميع النواحي الا انها لا زالت عشائرية (بل ازدادت عشائرية) والمناطق المتحضرة عادت الى العشائرية بدرجة من الدرجات بسبب الحاجة لحماية الذات في ظل ضعف القانون. وفجأة اكتشف من كان يقول لفلان من ابناء المنطقة الفلانية (معيدي) و الذي كان يجيبه بمفردة (كيكي) انهما ابناء عمومة !!! منذ ان حدثت الهجرة من الريف الى المدينة تغيرت الكثير من الامور فكل مجتمع اكتسب اشياء من المجتمع الاخر وهذا التأثر المتبادل ليس غريب بل هو سنة الحياة وهو ما يسمى في علم الاجتماع بالصراع الثقافي(clash of cultures)(18)

حتى اللهجات لم تعد كما هي فلهجة بغداد قبل عقود من الزمن لم يعد لها وجود ولهجة ابناء بغداد المنحدرين من الجنوب لم تعد كما هي فالاختلاط والانصهار شكل لهجة جديدة تحوي مفردات من مختلف اللهجات .

والدليل على ذلك اذا ذهب من ينحدر من محافظة العمارة والذي يقيم في بغداد لزيارة اقاربه في العمارة سيشعر ان هناك اختلاف في اللهجة وفي الطبيعة . حدثني احد اصدقائي قبل فترة في انه حين يزور اعمامه في العمارة (وهم يقيمون في منطقة ريفية) اي شخص يشاهده يكتشف بسهولة انه قادم من بغداد والمفارقة ان اي شخص في بغداد يكتشف بسهولة حين يتحدث معه انه ينحدر من العمارة ... نعم اللهجة التي يتحدث بها خليط من لهجة بغداد القديمة ولهجة العمارة فهو في بغداد عمارتلي وفي العمارة بغدادي . اللهجات تتطور بمرور الزمن بسبب الاختلاط وحتى لهجة بغداد القديمة هي نتاج تفاعل اجتماعي . بعض المفردات اندثرت وبعضها اصبحت مشتركة يتداولها الجميع وبعضها دخلت حديثا على اللهجة ولم يكن لها وجود في اي لهجة سابقة . وساهم الانترنت في تداخل اللهاجات وتقاربها .

المستوى الاجتماعي لم يعد كما هو فابن المنطقة الشعبية قد تجده مدير وقد تجد موظف يعمل تحت امرته من ابناء المناطق (عريقة التمدن) المستوى التعلمي تغير كذلك نحو الاحسن . بل ان الكثير من رموز البلد في مجال الفن والرياضة والثقافة والادب والسياسة وغيرها ينحدرون من مناطق شعبية .

ما هي محاسن ومساويء المجتمع الشعبي ؟؟؟

المجتمعات الشعبية بصورة عامة (سواء كانت بغدادية قديمة او منحدرة من محافضات اخرى) تتميز بالتكافل الاجتماعي والتعاضد . المجتمع الشعبي مجتمع متراص يسند احدهم

الاخر دون تردد ولا يشعر من يعيش فيه بالغربة او الانعزال بل سيجد ان الناس تسال عنه دائما وتقف معه لو وقعت له مصيبة او اصابه مرض . لكن في نفس الوقت من الممكن ان تنشب معركة طاحنة سببها لا يكاد يذكر حتى ... مجتمع عاطفي انفعالي يحبك بقوة حتى بدون سبب لكن من الممكن ان يغضب عليك بشدة لسبب واهن.

حين يكون لك اصدقاء من ابناء تلك المناطق ولا اقصد صديق عابر او معرفة عمل بل اقصد صديق حقيقي فأعلم انك لن تشعر انك وحدك يوما ما وسيقف معك في السراء والضراء الى اخر لحظة لكن هذه العاطفة الجمة والاخلاص الكبير من الممكن ان ينقلب عليك لو اذيته او اغضبته.

لهذا النسيج المتراص سلبيات من اهمها هو ان ليس لك حياة شخصية 100% فمن الممكن ان يتدخل المجتمع في حياتك لمحاولة فرض نمط الحياة الذي يعيشون فيه عليك لو اخترت نمط حياة او فكر مرفوض حسب العرف السائد . من محاسن النسيج المتراص هو الحياة التكافلية التي يسند احدهم بها الاخر ومن سلبياته ان نمط حياتك الشخصي ليس شخصي تماما .

العلاقة التكافلية بين ابناء العشيرة قد تضعك في موقف لا تحسد عليه ... فقد تجعلك تعادي شخص لا تعرفه لاجل شخص من عشيرتك لا تعرفه معرفة شخصية ايضا . و المصيبة تقع احيانا على رأس شخص لم يفعل اي ذنب وكل ذنبه انه ابن عم الذي ارتكب الذنب او اخيه . وفي ظل ضعف القانون اصبح (دگ البيوت) امر هين جدا لاتفه الاسباب . وما هو دگ البيوت؟؟؟ حين تحدث مشكلة بين شخصين يذهب المعتدى عليه الى دار المعتدي برفقة مجموعة من ابناء عمومته (في حال لم يكترث له ولطلبه في ان يحل النزاع بينهما عشائريا) ويطلقون اطلاقات نارية باتجاه بيته كأنذار له ولعشيرته (يدگوه).

اما النزاعات العشائرية والمواجهات المسلحة بين العشائر والتي تحدث بعضها لاسباب غريبة جدا وبسيطة لا تستوجب حتى العراك بالايدي فعلاقتها مع قوة القانون عكسية كلما قوى القانون ضعفت المشاكل التي تحدث لاتفه الاسباب وكلما ضعف القانون كلما قوت تلك المشاكل...المشكلة ان ظاهرة (حضر عمامك) اصبحت مزعجة حتى لابناء المجتمع العشائري انفسهم .

استفحلت ظاهرة القتل لاسباب عشائرية واستفحلت ظاهرة استخدام السلاح لاسباب تافهة وسبب هذا الاستفحال هو ضعف القانون والامر المؤسف ان هناك رجال قانون ورجال دولة لا يعطون للقانون الذي يمثلونه قيمة ويلجأون في حل مشاكلهم لقوة العشيرة وليس للقانون . هذه الظواهر ستضعف بل تختفي لو اصبح للقانون كلمة . تحول الموضوع الى هوس فوصل الامر الى مرحلة يتصل احدهم على الاخر ليطلب منه ان ياتي معه لضرب

بيت فلان بأطلاقات نارية وكأنه يدعوه للمقهى . هؤلاء لن يردعهم شيء الا (العواقب القانونية) وطالما ليس هناك عواقب قانونية لن تتوقف هذه الموضة .

ما هي محاسن ومساويء المجتمع المتمدن ؟؟؟

اهم نقطة ايجابية في المجتمع المتمدن هي انه مجتمع خفيف الظل لا يتدخل في خياراتك الشخصية ونمط حياتك واسلوبها وتشعر فيه براحة تامة وحرية شبه مطلقة .

لكن لهذه الميزة عيوب من اهمها ان المجتمع يبدو بليد نوعا ما (كلمن بحالة) بحيث انك تشعر في لحظة من اللحظات انه من الممكن ان تقتلك عصابة ولا احد يعلم بامرك .

عاد الكثير من ابناء المجتمع المتمدن الى العشيرة بسبب الخوف وانعدام القانون او ضعفه وتمدن الكثير من ابناء المناطق الشعبية لاسباب عديدة منها ازدياد الاكاديميين وخريجي الجامعات والانصهار مع المجتمعات الاخرى و الانترنت وازدياد معدل الدخل وغيرها من الاسباب.

حصل التغير الاجتماعي بتسارع عجيب ويمكن ان تجد الان في منطقة تسمى متحضرة رجل يلبس ملابس عشائرية (شماغ وعگال) ومن الممكن ان تجد شاب من ابناء المناطق الشعبية يلبس اخر صيحات الموضة... لم تعد الشكليات تدل بالضرورة على محل سكن الشخص . و لا بد ان نشير ان للشكليات اثر لكنه لا يتعدى واقعها فالشكليات قشور تحيط جسد الانسان واثرها كما واقعها سطحي وقشري لكنه اثر في نهاية المطاف .

كل مجتمع سيبقى محتفظ بهويته الخاصة الى حدا ما مع كل ما يحدث من تطورات وتغيرات لكن بمرور الزمن ستتشكل هوية عامة ولهجة متقاربة يصعب تحديد محل سكن متحدثها . قد ياخذ حدوث هذا الامر اكثر من جيل ليستقر وينضج . والايام كفيلة في اثبات صحة كلامي من عدم صحته .

نحن في طور تشكل مجتمع جديد تنصهر فيه جميع المتناقضات لكن نضوج هذا المجتمع حسب ظني سيأخذ اكثر من جيل ليستقر . هذه سنة الحياة فالمجتمع البغدادي القديم اختفى تقريبا ولا تجد له اثر الا في المناطق البغدادية العريقة وحتى هذه المناطق تاثرت بشكل من الاشكال بالتفاعل الاجتماعي . والمجتمع العشائري تأثر بمعالم المجتمع المتمدن لكن يبقى الانتماء العشائري طاغي ومؤثر . فحتى من وصل الى مرتبة عالية في المجتمع قد يصدمك في لحظة انفعال ويتحدث بلغة (الفصل والثأر) لاسباب تافهة.

الانتماء العشائري بحد ذاته جميل . من الجميل ان تعرف من هم اجدادك ومن الجميل ان تتواصل مع ابناء عمومتك . ومن الجميل ان يقوم شيخ العشيرة ووجهائها بحل بعض المشاكل التي تحدث بين افراد المجتمع ويلملمونها بحكمة وروية . لكن الغير جميل هو ان تتحول العشيرة الى سلطة تنفيذية و قضائية و تشريعية في آن واحد . هذا الواقع كان يوما

ما (في عصر ما قبل الدولة) حاجة اجتماعية وفي حينها كان يعتبر مظهر حضاري بديل لمنطق الغاب . لكن الان يعتبر تدهور وتقهقر وضربة موجعة للدولة الحديثة ولا يمكن باي شكل من الاشكال ان تسمى دولة حديثة من تكون فيها الاعراف العشائرية اقوى من قوانين الدولة .

الصراع النفسي بين الانتماء المناطقي والانتماء المذهبي

يعاني من هذا الصراع الاقليات التي تعيش في مناطق ذات اغلبية من مذهب مغاير وابناء المحافظات المختلطة .

من ينتمي لمذهب معين ويعيش في محافظة ذات اغلبية من مذهب مغاير يتأثر بكل تأكيد بتلك البيئة من ناحية الملبس واللهجة والثقافة والعادات الاجتماعية و يشترك مع ابناء المجتمع في عمل او تجارة فهو ينتمي لذلك المجتمع...لكنه ينتمي ايضا لمجتمع اخر بعيد عنه وهو ذلك المجتمع الذي يشترك معه في المذهب .

في حالات السلم الاجتماعي والاستقرار لن يخير نفسه اصلا بين المجتمعين فهو اختار البقاء في المجتمع الذي يمثل اغلبية تختلف عنه من حيث المذهب لكن في حالات الشعور بالخطر لن يخير نفسه ولو لحظة في ان يترك ذلك المجتمع ويلوذ بالمجتمع الذي يشترك معه بالمذهب في نفس اللحظة التي يشعر فيها بالخطر دون تردد . في المناطق المختلطة الموضوع متشابه ايضا والغلبة للانتماء المذهبي لسبب وجيه وهو ان الموضوع يتعلق بالوجود...كيف ذلك ؟؟؟

حين يشعر فلان من الناس من ابناء بغداد (القدامى الذين يعيشون فيها قبل القرن العشرين) ان وجوده مهدد بسبب مذهبه وقد يخسر حياته سيختار حتما ان يلوذ بمن لا يشترك معهم لا بالثقافة ولا بطبيعة الحياة ولا بكثير من الامور الاخرى بسبب انهم يمثلون حماية له من الاخر الذي يشترك معه بالثقافة وطبيعة الحياة .

لا بد ان نكون واقعيين ومنصفين فالكثير من ابناء المناطق التي تم تهجير اقليات مذهبية منها لم يكونوا راضين على هذا الفعل وشعروا بالحزن لفقدان من كانوا يجاورونهم لسنوات طويلة فقد كانوا مغلوب على امرهم ... لكن المؤسف ان بعض الناس انكشفوا في تلك المحنة على حقيقتهم وتشفوا بجيرانهم المختلفين عنهم بالمذهب حين تم تهجيرهم بل وقفوا ينظرون اليهم باحتقار حين كانوا يلملمون اغراضهم ويهمون بالمغادرة .

يبقى في نفس ذلك الانسان حنين لتلك المنطقة وذلك المجتمع الذي يشترك معه في كثير من الامور الا المذهب ... لكن بعض الناس مع وجود ذلك الحنين الداخلي للعودة للمكان الذي ولدوا وترعرعوا فيه ومع كل خزين ذكريات الطفولة لكنهم لم يعودوا حتى بعد انجلاء

المسبب وعودة الامن الى تلك المناطق وسبب عدم عودتهم هو حدوث حاجز نفسي بينهم وبين المكان الذي قيل لهم انهم غير مرغوب بهم فيه .

هناك مناطق متجاورة في بغداد لا يجمعها مذهب لكن يجمعها نمط حياة ولهجة وجغرافية وتاريخ طويل من التفاعل الاجتماعي والانشطة المشتركة كالانشطة الرياضية . منها مثلا الكاظمية والاعظمية . لدي اصدقاء من كلا المنطقتين من السكان القدامى ... يشتركون باللهجة الى حد كبير وفي المستوى الثقافي والاجتماعي وحتى بيوتهم من الداخل تتشابه ... المفارقة ان هناك لازمة في اللهجة غير موجودة في اي مكان في بغداد الا في هاتين المنطقتين العريقتين ... نحن في بغداد اذا اردنا ان نقول لاحدهم (اعطني اياه) نقول (جيبة) الا في منطقتي الكاظمية والاعظمية فقط يقولون (جيبيالي) .

حين يكون وجود الانسان في خطر وحين ينعدم الامان وحين يكون سبب انعدامه هو الهوية المذهبية وحين يتوقف الانسان في اسفل هرم الحاجات لماسلو خصوصا عند حاجة (الامان) سيختار من يوفرون له الشعور بالامان وهم في حالتنا ابناء مذهبه مع انه قد يختلف عنهم في كثير من العادات والتقاليد لكنه يشترك معهم في المذهب والطقوس الدينية . ولماذا يوفرون الامان لشخص يختلف عنهم في كثير من العادات والتقاليد و اللهجة وقد يختلف بالقومية؟؟؟ في الحالات التي يكون فيها الشعور المذهبي في اوج حالاته يتحول ابناء المذهب الى كيان اشبه بالعشيرة لذلك يجدون انهم في اشد حالات الحنو والعطف على ابن مذهبهم وعلاقتهم معه تكافلية .

حين يحدث نزاع كبير بين عشيرتين يتعبر اي فرد في تلك العشيرة هدف للعشيرة الاخرى وهذا بالضبط ما حدث في ايام القتل على الهوية المذهبية ... تعامل الطرفان وكانهما عشيرتان . السنة اصبحوا عشيرة واحدة والشيعة اصبحوا عشيرة واحدة . لكن في ايام السلم والاستقرار والشعور بالامان يفرض الواقع نفسه مرة اخرى جغرافيا واجتماعيا . حين يكون الانسان في قمة هرم الحاجات سيختار ابناء مجتمعه الاول المختلفين عنه بالمذهب مع انه سيبقى حتما على صلة عميقة مع ابناء مذهبه .

ما الذي يجعل المعتدل يفكر بطريقة الطائفي في لحظة ما؟؟؟

كل منا له لحظات هو فيها مختلف عن وضعه العام ... الكثير منا لهم لحظات تحولوا فيها الى طائفيين لسبب او لاخر...ماذا اقصد باللحظات الطائفية ؟؟؟ هي تلك اللحظات التي اشعر فيها ان اسوء شخص من ابناء مذهبي افضل من احسن شخص من ابناء المذهب الاخر ... طبعا هناك اشخاص يشعرون بهذا الشعور على طول الخط لان الطائفية راسخة فيهم وهناك اشخاص ينتابهم هذا الشعور في لحظات انفعال معينة ... يا ترى ما الذي يدفع الانسان الغير طائفي الى النكوص في لحظات معينة والتفكير باسلوب الانسان الطائفي؟؟؟ قد ينكر بعض المثقفين والنخب تحولهم في لحظات معينة الى طائفيين حتى امام انفسهم

بسبب خزيهم وخجلهم من تلك اللحظات لكن هذا لا يعني عدم مرورهم بها . وهذا الشعور بالخزي هو شعور ايجابي لانه يعبر عن عدم ارتياحهم من تلك المشاعر .

حين يقول احدهم قام الدواعش بتفجير سيارة مفخخة في منطقتي وذهب ضحيتها عشرات الابرياء ويجيبه اخر (هذي كلها الحكومة تسويهة كذب لا اكو داعش ولا ماعش ... داعش ايران سوتهة ... اسكت لحد يسمعك ويضحك عليك هاي عود انت مثقف وتفتهم يا داعش يا ماعش ؟؟؟)

لاحظ انه لم يتعاطف مع الابرياء ولم يتأسف عليهم ولم يعبر عن حسرته لموت اشخاص لاذنب لهم ولم يعبر عن تعاطفه مع عوائلهم ... كل همه هو ان يثبت ان ايران والحكومة هي المسبب ولم يخطر في ذهنه ولو لحظة ان يتعاطف مع الضحايا .

هذا النموذج يولد مشاعر اللاجدوى حتى لدى المعتدل فعدم تعاطفه مع الابرياء يولد احباط يدفع الاخر الى التفكير باسلوب الطائفيين بشكل مؤقت ينتهي مع انتهاء الانفعال وقد يعود حين يحدث ما يذكره بهذا الموقف او بهذا النموذج .

حين يقول احدهم ان هناك من ابناء منطقتي من تورطوا مع الارهاب فعلا ويستحقون الاعتقال لكن هناك من تعرضوا للاعتقال ظلما دون وجه حق لسبب او لاخر ويجيبه احدهم (كلكم ارهابيين وكلكم تدعمون الارهاب ولو بيدي لمحيتكم من الوجود) عبر هذا النموذج عن غضبه بأحقر الطرق واكثرها دنائة ورسم لوحة الإبادة الجماعية بخياله . من الطبيعي ان يقوم هذا النموذج بدفع (الاخر) دفعا الى التفكير بطائفية حتى لو كان غير طائفي .

الطائفيون من كلا المذهبين يجعلون الاسوياء يمرون بلحظات من الطائفية قسرا وكرها. هؤلاء هم من يجعلون الانسان يقول في نفسه (لا فائدة) .

يهود العراق بين الفرهود العراقي وبين مبيد الحشرات الاسرائيلي

كان عدد اليهود العراقيين المقيمين في العراق قبل 2003 أقل من 100 يهودي . من حسن حظي أني ألتقيت بثلاثة منهم (شاب وسيدة عجوز ورجل مسن) كل منهم ألتقيته بوقت مختلف عن الاخر . حين ألتقيت بالسيدة العجوز وعرفت أنها يهودية شعرت بشعور غريب ونفور وأنزعاج بسبب التعبئة الهائلة من الالة الأعلامية للدولة ومؤسساتها التي تجعل عقولنا تتخذ موقف سلبي مسبق من اليهود . لكن بعد ان تحدثت معها لم أجد منها ألا كل الطيبة والمودة . وتغير ذلك الانطباع السلبي الى أنطباع أيجابي . وعزز ذلك لقائي التالي بالرجل المسن والشاب . وهذاالشاب والذي كان يعمل كبائع جوال لي معه قصة مؤلمة

كان لليهود دور مهم في المجتمع العراقي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وكان لهم دور كبير في بناء الدولة العراقية الحديثة في عشرينيات القرن الماضي ودليل ذلك ان اول وزير مالية عراقي كان يهودي وهو حسقيل ساسون .

سمعنا من كبار السن الكثير من القصص عن اليهود وكانت تتركز في أتجاهين . الأول هو الحنين للذكريات والشجون . ونلتمس في طيات هذه القصص شعور بالأسف على خروجهم من العراق . أما المحور الثاني في القصص التي يتندر بها كبار السن عن اليهود فيدور حول عقليتهم التجارية وذكائهم في ادارة تجارتهم . وهذه الصفة ليست غريبة عليهم وهي متجذرة فيهم على مر العصور .

شحلو الفرهود...كون يصير يومية

يقول الكتور ابراهيم الحيدري : ومن الفذلكات الاجتماعية المضحكة ـ المبكية ما حدثني به احد الأصدقاء. فقد حدث أن غنى المطرب العراقي المعروف فاضل رشيد في إحدى "الكسلات" التي كانت تقام في سلمان باك جنوب مدينة بغداد، قال فيها: "شحلو الفرهود كون يصير يومية!)(انتهى) (19)

الواقع ان الاغنية التي يتغنى بها المطرب الراحل فاضل رشيد هي اهزوجة من اهازيج (ثوار الفرهود)(20) لكن الفرهود لا يحدث كما يتمنون في الاغنية يوميا بل يحدث كل عدة عقود حين تقوم احدى حكوماتنا بخطوة رعناء تكشف هشاشة التماسك الاجتماعي وتتمكن من اخراج الوحش الذي يقبع في لاوعي بعضنا .

الفرهود هي التسمية الشهيرة لأعمال القتل والسلب والنهب التي حدثت ضد اليهود في عام 1941 وتحديدا بعد سقوط حكومة رشيد عالي الكيلاني . أو(الهولوكوست المنسي كما يطلق عليه نسبة من اليهود العراقيين) . وهو النسخة العراقية من (ليلة الزجاج المهشم) وهي التظاهرات الغاضبة التي خرجت ضد اليهود في نهاية العقد الثالث من القرن العشرين في المانيا وتم فيها تكسير محلاتهم وقتل عدد كبير منهم واعتقال اخرين .

لابد ان نشير ان حكومة رشيد عالي الكيلاني وفي الشهر الذي حكمت به قامت بالتضييق على اليهود واضطهادهم لتشبعها بالثقافة الهتلرية المعادية لليهود .(21) حدثت فوضى في المدن العراقية بعد هروب حكومة رشيد عالي وأثناء أنشغال اليهود بالاحتفال بأحد أعيادهم الخاصة (عيد الشفوعوت) اغار الرعاع عليهم وقتلوا منهم الكثير وتم نهب بيوتهم وتدميرها . أستمرت أعمال القتل والسلب والنهب والاغارة على بيوت اليهود يوم كامل او اكثر وأنتهت بنزول القوات البريطانية الى الشوارع .

يبين الدكتور كاظم حبيب اهم القيم التي ثقفت لها حكومة رشيد عالي في مدة الشهر التي حكمت بها بالنقاط التالية : (22)

- تأكيد أهمية القوة العسكرية في الدفاع عن المصالح القومية واسترداد الحق المغتصب، واحتقار الداعين إلى السلام، واعتبار الحرب هي الطريق السليم لاكتشاف العناصر الأصيلة عند الأمة!

- ربط القضية الفلسطينية بالقضية العراقية وكأنهما قضية واحدة. وهنا لعب الحاج أمين الحسيني دوراً أساسياً في هذا التوجية.

- تعميق الكراهية ضد اليهود في العراق، والتهليل لما يقوم به النازيون ضدهم في ألمانيا، وكأن يهود العراق مسؤولون عما كان يجري من صراع في فلسطين. وكان - التثقيف في المدارس والكليات يسير في هذا الاتجاه الذي وجد تجسيده في ما حصل لاحقاً ضد اليهود في فاجعة ومجزرة الفرهود في بغداد. (انتهى)

الفرهود وصمة عار لا تغتفر ودلالة على سهولة تحول نسبة لا يستهان بها من الناس الى رعاع في رمشة عين . والواقع يقول ان هذه الحادثة تكررت اكثر من مرة ابرزها احداث الكويت واحداث عام 2003 التي تسمى (الحواسم) وغيرها على نطاق اضيق . قد يقول قائل هؤلاء نفر ضال لا يمثلون الشعب أو هؤلاء لا يمثلون الجميع أو أو أو ... ألخ . السؤال الذي يطرح نفسه وبشدة (حين قام النفر الظال بقتل الابرياء وسلب ممتلكاتهم ماذا كان دور الاغلبية الغير راضية عن هذا الفعل ؟؟؟) حتى لو فرضنا الفرضية القائلة (ان التضييق على اليهود العراقيين هو خطة بريطانية طبقتها الحكومة العراقية لدفع اليهود الى الهجرة الى أسرائيل) لماذا تعامل المجتمع بهذه الطريقة الموجعة مع اليهود ؟؟؟

كان التوجه العام ليهود العراق مضاد للصهيونية وغير مؤيد لقيام دولة اسرائيل لكن بعد هذه الحادثة والتي قدم فيها (النفر الظال) خدمة كبرى للحركة الصهيونية تغير توجه اليهود وهذا أمر طبيعي فحادثة الفرهود جعلتهم يشعرون بعدم الامان وعدم الراحة وسط المجتمع العراقي وكان خيار الهجرة الى أسرائيل الخيار الأنسب لهم .

ما حصل ليهود العراق عام 41 يشبه ما حدث للفلسطينين عام 1948 . فجريمة الفرهود التي بدأتها الجماعات التي اسسها يونس السبعاوي (فدائيو يونس السبعاوي , الحرس الحديدي , كتائب الشباب)(23) والتي ارتكبت بحق يهود العراق لا تختلف كثيرا عن مجزرة دير ياسين التي قامت بها ميليشيا (شتيرن) وميليشيا (اركون) اليهوديتين بحق الفلسطينيين. الظلم واحد لا يجزء اما ان نتعاطف مع كل انسان يتعرض للظلم او نكرم الناس بسكوتنا .

يلخص الدكتور كاظم حبيب اثار الفرهود على المجتمع اليهودي العراقي بالنقاط التالية:(24)

1- عمقت الإحساس لدى اليهود بأنهم يعيشون في مجتمع فيه الكثير من الناس ممن يكرهون اليهود بسبب الدين الذي هم عليه، وكأنهم غرباء عن هذا الوطن رغم القرون الطويلة المنصرمة التي عاشوها في هذه البلاد.

2- عمق الخوف في نفوس اليهود من احتمال تعرضهم في كل لحظة لاعتداءات مماثلة من جانب المتطرفين العرب والمسلمين؛ اعتداءات يمكن أن تستهدف ليس أموالهم وما يملكون فحسب، بل وأوراحهم أيضاً. مثلما حصل في بغداد.

3- وعمق لدى نسبة غير قليلة من يهود العراق الكراهية لأولئك الناس الذين فقدوا الإحساس بالإنسانية.

4- وشدد لدى البعض الآخر الشعور بأهمية أن يكون لهم وطن يحميهم من مثل هذه الاعتداءات. وقد ساعدت المنظمات الصهيونية على إثارة هذا الشعور وتطويره وتعزيزه في نفوس يهود العراق.

5- وبعد عمليات الفرهود بدأ الكثير من العائلات اليهودية العراقية، تفكر بترك العراق والهجرة إلى دول أخرى تعيش فيها بأمان واستقرار بعيداً عن المخاوف اليومية. مما أدى إلى تمزيق المزيد من العائلات التي لم يكن جميع أفرادها مقتنعين بضرورة الهجرة، مع إحساسهم بالخطر المحتمل الذي يتهددهم من عيشهم وسط السكان العرب والمسلمين.(انتهى)

اسرائيل استفادت بكل تأكيد من اعمال الفرهود ومن اي معاداة لليهود العراقيين . لان ذلك سرع من هجرتهم اليها . لكن القاء اللوم في كل مصيبة نفعلها على اسرائيل لون من الوان الكفر بقيمتنا البشرية . من الكفر ان يخدر الانسان نفسه بهذه الحجج الواهية لتبرير جريمة بشعة قام بها ابناء الوطن بالاستيلاء على شركائهم بسبب الافكار الهتلرية المعادية لليهود التي استوردها حثالة السياسيين . تخيل ان احدى التجمعات الشبابية التي خرجت لدعم حكومة رشيد عالي الكيلاني اسمها (فدائيو يونس السبعاوي) ومن الاسم لك ان تتخيل ضحالة هؤلاء وسخافتهم .

بريطانيا اجرمت حين تركت رعاع الفرهود يسرحون ويمرحون مع قدرتها على ايقافهم كما ان امريكا اجرمت نفس الجريمة حين تركت رعاع الحواسم يسرحون ويمرحون مع قدرتها على ايقافهم . لكن هذا لا يعفي المجرم الاصيل من جريمته . وقوف بريطانيا مكتوفة الايدي في اعمال الفرهود كان حسب اعتقادي رسالة موجهة ليهود العراق مفادها (هل هؤلاء هم شركائكم في الوطن ام اقرانكم اليهود في الارض الموعودة؟؟؟)

يهود العراق في اسرائيل :

يتحدث السياسي والمفكر الماركسي اليهودي العراقي حسقيل قوجمان عن ظروف حياة يهود العراق في اسرائيل والتالي هي مقتطفات من حديثه المسهب عن تلك الظروف :

ان جميع اليهود الذين هجروا العراق سنة ١٩٥٠ سفروا الى اسرائيل ولم يبق في العراق سوى عدد قليل من الجالية لم يرغبوا في اسقاط الجنسية العراقية عنهم اما لشعورهم بان

العراق هو وطنهم ولم يرغبوا بالتخلي عن وطنهم وهم قلة واما لعدم رغبتهم في التخلي عن ثرواتهم. وقد نجح بعض هؤلاء في تحويل بعض اموالهم الى خارج العراق قبل ان يهاجروا بصورة شرعية او غير شرعية فاصبحوا لاجئين في بلدان اوروبا وفي الولايات المتحدة وكندا. وقد اصبح عدد كبير من هؤلاء من اغنياء البلد الذي لجؤوا اليه. كان اسقاط الجنسية وتسفير اليهود الى اسرائيل مؤامرة ثلاثية اشتركت في تنفيذها حكومة اسرائيل والحكومة البريطانية والحكومة العراقية. وقد سمح لليهودي المهاجر ان يأخذ معه بعض الملابس لذلك اشترى كل يهودي احسن ما يجده من الملابس وارتدوا لدى سفرهم افخر البدلات والقبعات والاحذية الانجليزية. فور وصول اليهود الى المطار الاسرائيلي جوبهوا بطريقة مذلة اذ كان اول عمل استقبلوهم به تعقيمهم برشهم بمبيدات الحشرات وكأنهم جاؤوا محملين بالجراثيم. واقتيدوا الى مخيمات تسمى المعابر حيث تسكن كل عائلة مهما كان عدد أفرادها في خيمة واحدة هي المسكن والمطبخ ودار الراحة. وليس في الخيم اية منافع فكان على العائلة ان تجلب الماء الى الخيمة من مسافات والخروج الى مراحيض مشتركة هي عبارة عن حفر تبعد كثيرا او قليلا عن الخيمة. وكان الغذاء يمنح لهم ببطاقات تموين شحيحة. بقيت بعض العوائل في هذه المعابر عدة سنوات قبل ان تندمج في المجتمع الجديد وتمتلك شققا صغيرة في المدن. بخلاف المهاجرين العراقيين غير اليهود الذين احتفظوا بجنسياتهم العراقية واصبحوا يعيشون كلاجئين عراقيين في مختلف المهاجر، اكتسب اليهودي العراقي حال نزوله من الطائرة الجنسية الاسرائيلية واصبح مواطنا اسرائيليا له كافة الحقوق وعليه كافة الواجبات المترتبة على اي اسرائيلي. وقد اضطر اليهودي العراقي على تحمل جميع واجبات المواطن الاسرائيلي ولكنه لم يتمتع باية حقوق عدا حق وجوده في الخيم واستلام المواد الغذائية التموينية الشحيحة. لم يمنح اليهودي العراقي عمليا حق العمل او مخصصات العاطلين لذلك كان عليه ان يخرج من المخيمات بحثا عن عمل، فخرج الاطباء والمهندسون والاساتذة والصيادلة وغيرهم للعمل في بساتين البرتقال للعمل في قطيف البرتقال لقاء اجور ضئيلة. حين هربت الى اسرائيل بعد اطلاق سراحي من السجن في نهاية سنة ١٩٦١ ووصلت الى اسرائيل عن طريق ايران في كانون الثاني ١٩٦٢ التقيت بزوجتي وبعائلتي. وسمعت منهم قصصا كثيرة عن هذه السنوات الصعبة التي عاشوها في اسرائيل في الخيم قبل اندماجهم في الحياة الاسرائيلية والحصول على وظائف تتفق مع اختصاصاتهم الطبية والهندسية والصيدلانية والثقافية او استطاعة بعضهم امتهان نفس الحرف التي مارسوها في العراق كالبقالة وبيع الخضروات وصناعة الاحذية وغيرها . اول واجبات اليهود العراقيين التي كان عليهم ان يخضعوا لها هو التجنيد الاجباري للشبيبة اناثا وذكورا فقد اخذوا جميع الشباب الذين تسمح اعمارهم بالخدمة العسكرية الى الجيش ليخدموا عدة سنوات فيه. وقد كانت الخدمة العسكرية على صعوبتها مفيدة للشباب اذ تعلموا اثناءها اللغة العبرية لكي يستطيعوا بعد تسريحهم ممارسة الوظائف الحكومية او الدخول في الجامعات لاستكمال دراساتهم وقد دخل العديد من هؤلاء الشباب بعد انهاء الخدمة العسكرية الجامعات الاسرائيلية. وكان وضع الاطفال الذين هاجروا الى اسرائيل وهم في حداثة اعمارهم

والاطفال الذين ولدوا في اسرائيل مشابها لوضع كل طفل يولد في اسرائيل بصرف النظر عن البلد الذي جاء منه اباؤهم. فهو طفل تكون لغته الام اللغة العبرية وتكون ثقافته الثقافة التي يتلقاها كل طفل في المدارس الاسرائيلية. بحيث ان الطفل ينشأ كمواطن اسرائيلي بالدرجة الرئيسية بصرف النظر عن وطن ابائه. وقد تحقق اليوم من هؤلاء الاطفال جيلان او ثلاثة اجيال. وكلما ابتعد الطفل عن ابائه الذين جاؤوا من العراق فقد شعوره بالتبعية او بالتقاليد العراقية بحيث ان من تبقى حتى الان من اليهود المهاجرين اصبحت اعمارهم تزيد على السبعين عاما واصبح ابناؤهم واحفادهم بعيدين عن الشعور بالانتماء العراقي.(انتهى)
حسقيل قوجمان 2005/6/29(25)

بين الفرهود العراقي ومبيد الحشرات الأسرائيلي ضاع يهود العراق وفقد العراق جزء اصيل من المجتمع . وسيفقد أجزاء اخرى طالما ان ثقافة أقصاء الاخر وألغائه ثقافة متاحة وممكنة التطبيق على ارض الواقع في لحظات معينة من التاريخ .

لم أجد صورة تعبر عن معاناة يهود العراق ومشاعرهم المتناقضة أكثر من اللوحة الرائعة التي يجسدها البرفيسور اليهودي العراقي شموئيل موريه أو (سامي أبراهيم) والتي يقول فيها :

قالت لي أمي والأسى في عينيها:

"ظلمونا في العراق،

وضاقَ المُقامُ بنا يا ولدي،

فما لنا و"للصبر الجميل" ؟فهيا بنا للرحيل"

وعندما بلغنا الوصيدا،

قالت لي: "يا ولدي لا تَحزنْ،

إاللّي ما يريدكْ لا تريدَهْ" ،

هَمستْ: " يا حافرَ البير

بربكَ قلْ لي لهذا سببْ؟

ورَحلنـــــــــــــــــــــــــــا...
وقبلَ رَحيلِها الأخيرْ،

قالتْ لي أمّي،

والقلبُ كسيرْ

أحنّ إلى العراق يا ولدي،

أحنّ إلى نسيمِ دِجلة

يوشوِشُ للنخيلِ،

إلى طينها المِعطار

إلى ذيّاك الخميلِ،

بالله يا ولدي،

إذا ما زُرتَ العراقْ

بعدَ طولِ الفراقْ

قبّلِ الأعتابْ

وسلم على الأحبابْ

وحيّ الديار

وانسَ ما كانَ منهم ومنّا"! (26)

هناك شريحة من العراقيين تتعاطف مع يهود العراق . ويهود العراق (خصوصا الجيل القديم) يحنون للعراق . وهناك عراقيون انشأوا مواقع وصفحات تهتم بتاريخ يهود العراق. وهناك يهود انشأوا مواقع تهتم بالعراق . كل هذا يدل على ان الهوية العراقية لم تندرس بالكامل في شخصية اليهودي العراقي الذي هاجر الى اسرائيل . وفي عالم الانترنت حدث تواصل بين يهود العراق وبين العراقيين وتلمس منه وجود شريحة من العراقيين تعترف بهم وتتعاطف معهم ووجود شريحة منهم حتى من الجيل الثاني الذي ولد في اسرائيل لديها شيء من الهوية العراقية . تشعر بانبهار حين تتابع فيديوهاتهم التي ينشرونها في الانترنت وتشعر بالحنين حين تتلمس لهجتهم القريبة من اللهجة الموصلية وتكتشف انهم مع انصهارهم في المجتمع الاسرائيلي الا ان الهوية العراقية لا زالت تجمعهم في (شارع ومقهى وحلاق وصالة اعراس وجالغي ومقام ووالخ) ان اخر تحديث لليهود فيما يخص (المجتمع العراقي) هو عهد السبعينات لذلك تجد اسلوبهم وثقافتهم ونمط حياتهم ستيني وسبعيني بامتياز . اذا اردت ان ترى كيف كانت شخصية الانسان العراقي في الستينات والسبعينات فانظر الى يهود العراق فهم نموذج حي لعراق الستينات والسبعينات .

بعض المتفائلين من العراقيين يدعون لعودة يهود العراق الى وطنهم كونهم جزء منه . هذه الدعوة مع جمالها الا انها طوباوية (خيالية) اي عودة ومفردة يهود اصبحت في عرف المجتمع شتيمة؟؟؟ مجتمع غُسل دماغة لسنين طوال الى درجة ان اسوء انسان فيه لو اتهمته بتهمة سيئة سيجيبك (قابل اني يهودي) او (حتى اليهودي ميسويهة) هل تتوقع ان يتقبل عودة يهود العراق ؟؟؟ لا يوجد مستحيل طبعا لكن هذا الامر شبه مستحيل على الاقل في ظل واقعنا الحالي .

يتحدث بعض الناس بحرقة عن فقدان الاثار التي توثق تاريخ اليهود والتي سرقت من العراق ...اعجب على امة تتأسف على فقدان حجر يوثق محطة من تاريخ اليهود ولا تتأسف على انسلاخ اليهود انفسهم من نسيج المجتمع . ما هي فائدة الحجر اذا كنا قد فقدنا البشر؟؟؟

السؤال الذي يطرح نفسه لماذا محطات العنف في بلدنا مستمرة وكأن لها دورة حياة تبدا ثم تنتهي لتبدأ دورة اخرى بعدها؟؟؟

يقول الدكتور ابراهيم الحيدري : العنف ثقافة وليس طبيعة، وهو تطبع واكتساب، رغم الإرث التاريخي الدامي، من الاستبداد والعنف والقسوة وهي مفردات أصبح لها دلالات سياسية وعرقية وطائفية تراكمت عبر الأجيال والسنين. وتاريخ العراق الحديث يؤشر أيضا إلى أساليب متنوعة من العنف والقسوة. فقد تم قتل الملك فيصل الثاني والوصي عبد الإله ونوري السعيد وغيرهم خلال ثورة 14 تموز 1958 وقامت الغوغاء بسحل بعض القتلى في بغداد والموصل وكركوك عام 1959، كما قتل الزعيم عبد الكريم قاسم بقسوة واعدم سكرتير وعدد من أعضاء الحزب الشيوعي وكثير من المحسوبين على اليسار عام 1963. كما أبيد مئات الألوف بعمليات الأنفال وحلبجة والمقابر الجماعية. وقد استخدمت أبشع أشكال العنف بعد هزيمة العراق في الكويت، ثم خلال الانتفاضة العفوية عام 1991. وقد ازدادت وتائر العنف والقسوة والإرهاب بعد سقوط النظام السابق واحتلال العراق...ومن الملاحظ أن ظاهرة العنف والعنف المضاد هي أكثر ظهورا في العراق من غيره من الدول العربية أو الدول المجاورة. فإذا قارنّا العراق بمصر أو غيرها نلاحظ أن هناك فارقا في التعبير عن أساليب العنف. فليس هناك ظواهر "سحل" و "فرهود" كما حدث مرارا في العراق. ففي الثورة المصرية في عام 1952 لم يستخدم فيها أي شكل من أشكال العنف ضد العائلة المالكة، حيث وضع الملك فاروق في طائرة خاصة أخذته إلى روما، حسب رغبته، وودعته فرقة عسكرية بواحد وعشرين طلقة مدفع...ومن الملاحظ أيضا أن العنف في العراق يأتي دائما من الأطراف، وغالبا ما كان يحدث من قبل الجيوش الغازية من الشرق أومن القبائل البدوية من الغرب وكذلك من إنصاف البدو والريفيين، وليس من سكان المدن "الحضر" الذين يكونون أكثر خضوعا واستسلاما واقل عنفا وتغالبا...إن استمرار الاستبداد والظلم وسفك الدماء، الذي هو دليل على استمرار العنف في العراق، خلَّف وراءه تركة ثقيلة من الكوارث والآلام والأحزان التي أثَّرت وتؤثر على ثقافة وشخصية الفرد

العراقي بحيث جعلته أكثر ميلا لرد العنف بعنف مضاد، حسب المصالح والدوافع والأهداف.(انتهى)(27)

مقاومين ومجاهدين يصنعون مجتمع قابل للتطور

يقاومون التخلف...ويجاهدون النفس...انه الجهاد الاكبر والمقاومة التي تحرر الانسان من التخلف الذي يحتل الذات البشرية . يحملون سلاح العقل والضمير لدفع الاخطار المحدقة بالوطن والمواطن من قبل المحتل الغاشم والذي هو (المرض , الفقر , الجهل , الفاقة , انعدام الضمير , النفاق ...الخ)

- عميد كلية يجالس طلبة الاقسام الداخلية ويشاركهم طعامهم كمحاولة لاشعارهم بانه ينتمي اليهم وينتمون اليه

- طبيب يتعمد المزاح مع مرضاه واضحاكهم ورسم البسمة على وجوههم

- طبيب يفتح داره لعلاج المرضى الفقراء مجانا

- حملة تطلقها احدى صفحات التواصل الاجتماعي لتنظيف شوارع مدينتهم

- حملة تطلقها احدى الصفحات لجمع تبرعات للفقراء

- حملة تطلقها احدى الصفحات لجمع تبرعات للنازحين

- حملة تطلقها احدى صفحات التواصل الاجتماعي لاعادة اعمار وصبغ دور الفقراء بايديهم وحسب الامكانية المتاحة

- مبادرة تقوم بها احدى صفحات التواصل الاجتماعي في زيارة الاطفال المصابين بالسرطان وتقديم الهدايا لهم واللعب معهم

- مبادرة تقوم بها بعض الشباب لبث الروح الايجابية (ابتسم تحصل على تفاحة او وردة)

- صفحة تواصل اجتماعي تقوم بمبادرة للتعبير عن النفس من خلال وضع لوحة في الشارع وكل شخص يكتب امنيته وطموحه عليها...هي مبادرة لبث روح التفائل وتبادل الافكار وخلق لحظة انطلاق لتحقيق الطموحات .

- بائع شاي بسيط يضع صندوق ويكتب عليه (صندوق دعم القطط) ليطعم من وارده قطط الشوارع . لكن المؤسف ان بعض الموتى الاحياء ضغطوا عليه لرفع هذا الصندوق تحت الشعار الزائف الشهير الذي ارجعنا الى الوراء مليون سنة والذي يقول (احنه بيا حال؟؟) قالوا له الا تستحي ان تطعم القطط ولدينا بشر جائعين؟؟؟ فقال لهم (اطعموا انتم البشر وانا اطعم القطط) فأجابوه بعبقرية (احنه بيا حال) حقهم طبعا لانهم منشغلين في اكتشاف علاج

لامراض السرطان ومنشغلين في اختراع اجهزة تفيد المقعدين . هؤلاء حين يحدثك احدهم في الدين والشرع (يدوخك ويدخلك بدرابين متطلع) لكننا في زمن لم يعد فيه للكلام قيمة فمهما تحدث هؤلاء بلغة دينية تبقى الاية التي تقول (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) تليق بهم جدا جدا جدا .

- زوجة تتبرع بكل تكاليف ليلة الزفاف للنازحين ليشتروا ما يقيهم برد الشتاء وكانت حفلة الزفاف عبارة عن دعوة الاقارب والاصدقاء للمساعدة في توزيع تلك المؤن التي اشتروها بنقود تكاليف الزفاف للنازحين.

- طلاب كلية يحولون حفل تخرجهم الى زيارة لدار ايتام ويقدمون لهم هدايا يفرحونهم بها .

- هشام الذهبي...شاب عراقي ياوي عشرات اليتامى ويرعاهم والاكثر من ذلك يفجر فيهم الطاقات والابداعات .

- اصيب ابني قبل فترة بالانفلونزا فأخذته لطبيب في منطقة اخرى بعيدة عن المنطقة التي اسكن بها مع ان هناك الكثير من الاطباء في منطقتي مشهود لهم بالسمعة الحسنة لكن ما دفعني للذهاب اليه هو سمعته الانسانية وبراعته في مهنته وتعاطفه مع المريض فضلا عن ذلك الرجل يشعر بمعاناة الفقراء فاجور كشفيته 3000 دينار فقط ما يعادل دولارين وبعض السنتات اي انها اجور زهيدة جدا قياسا بالاطباء الاخرين الذين يتقاضون 25000 دينار من المريض في اقل تقدير . والحقيقة اني صرفت على اجور النقل اضعاف ما صرفت على اجور الكشفية لان منطقة سكني بعيدة عن المنطقة التي تتواجد فيها عيادة الطبيب لكن الامر يستحق لماذا ؟؟؟ لان الرجل قمة في الانسانية و الخلق الرفيع فاول ما تدخل اليه يقدم للطفل قطعة حلوى ويداعبه ثم يستمع الى والدي الطفل بكل حب واصغاء مع ان طابور الانتظار في خارج العيادة طويل لكن هذا الرجل لا يكل ولا يمل . والجدير بالاهتمام ان بعض المرضى يعطوه اجور اكثر لانهم يشعرون ان 3000 دينار مبلغ قليل لكنه لا يقبل اخذها... الدكتور سعد الموسوي ليس متفرد بهذا السلوك الانساني فهناك اطباء اخرين لا يقلون انسانية عنه . هؤلاء لا يحتاجون دعاية من احد لسببين الاول انهم لا يهدفون للمال والثاني هو انهم معروفين مسبقا . فلا يخفى القمر .

هؤلاء هم من يصنعون المجد وليس من يشيعون ثقافة الموت والدم . مجتمعنا مليء بالطيبين الايجابيين لكن المشكلة ان صوت السلبيين اكثر حدة من صوتهم . هؤلاء نواة لواقع جديد ومجتمع ايجابي...هؤلاء قاوموا السلبية الاجتماعية وعدم الشعور بالمسؤولية الفردية ويبنون واقع جديد والجميل في الموضوع انهم يتكاثرون بسرعة .

اكثر اربع اشياء قاومها هؤلاء وتمكنوا من كسر حاجزها هي (الشعور بالعجز , الكسل , الخجل من استهزاء المجتمع او سخريته منهم , السلبية في الاكتفاء بانتقاد الواقع مع عدم القيام باي محاولة لتغييره) هؤلاء كسروا هذه الحواجز واسسوا لثقافة جديدة تستحق

الاحترام والجميل ان ما فعلوه اثار اعجاب الكثيرون وراحوا يفعلون مثله وهذه نقطة ثير التفائل حقا في ان هذه الثقافة ستنتشر بسرعة كبيرة . وحتى لو كان هناك من يفعلون هذه النشاطات كموضة جديدة ليس الا فهذا امر ايجابي ايضا وهو مؤشر على انها ستتحول الى امر واقع بديهي وثقافة مجتمع يوما ما .

الانترنت يقرب البعيد لكنه!!!يبعد القريب

من محاسن الانترنت انه حول العالم الى قرية صغيرة وقرب المسافات بين بني البشر واصبحت المعلومة مهما كان نوعاها بين يديك في ثواني معدودة وهذا شيء مذهل . لكن في نفس الوقت هناك اثر اخر واضح للانترنت هو انه يجعل تفاعل الانسان مع الواقع الفعلي في اقل درجاته وانتشرت هذه الحالة بشكل اكبر بعد ظهور (مواقع التواصل الاجتماعي) و (الهواتف اللوحية الذكية) فكثير من الناس لم يكن لهم علاقة بعالم النت او علاقتهم به على قدر العمل او الحاجة لكن بعد ان اصبح النت في جيبه تطور معه الموضوع واصبح النت شغله الشاغل . امر مزعج جدا ان تتحدث مع احدهم فتجده خافضا راسه يتصفح هاتفه فيجيبك ببرود وقد يكون غير واعي لما قاله والسبب الرئيسي الذي جعله يجيبك هو ليسكتك ويتخلص منك .

الكثير من الذين يدخلون في عالم النت (خصوصا من يدخلون باسماء مستعارة) لا يمارسون النفاق الاجتماعي ويظهرون على حقيقتهم ويبدون ارائهم بصراحة ودون مجاملة (بل بوقاحة احيانا) لانهم لا يخشون على انفسهم من العواقب بسبب اخفائهم لشخصياتهم الحقيقية .

مواقع التواصل الاجتماعي تنتشر فيها المجاملات وكلمات الثناء والمديح كالنار في الهشيم وهذا ما يجعلها بلا طعم . انت لست ملزم ان تجامل لدرجة تجعل الاخر يعيش في وهم وفي نفس الوقت لست ملزم ان تكون وقح في ابداء ارائك .

من فوائد الانترنت انه جمع المتشابهين خصوصا اصحاب القلوب الطيبة الذين تحولوا الى ناشطين دؤوبين همهم الاول والاخير هو تحويل الوطن الى مكان افضل . ومن مساوئه انه جعل الحياة الواقعية اقل تفاعل وجعل العلاقة الاسرية فاترة باردة كل فرد من الاسرة جالس قرب الاخر لكن لا يعرف عنه شيء الا من صفحته في الفيس بوك . احيانا اشعر ان جميع البشر في العالم منومين مغناطيسيا او (انترنيتيا ان شئتم) واصبح النت هو عالمهم الفعلي والواقع الفعلي هو عالمهم الثانوي الذي يهربون منه ولا يعيشون لحظاته الا للضرورة الملحة .

قبل مدة شاهدت فيديو لعائلة تحترق داخل السيارة في احد الانفجارات وكان افراد العائلة لا زالوا احياء يعانون ومقطع اخر لشاب لا زال يتنفس مع انه مصاب بجروح بليغة...السؤال الذي يطرح نفسه وعلى فرض ان هذا الشاب او تلك العائلة لا امل في تخليصهم الم يخطر

في ذهن من كان يصور ان يحاول ما يستطيع عسى وان يتمكن من مساعدتهم؟؟؟ يبدو انه لم يكن يفكر الا بتنزيل الفيديو في صفحته للحصول على اكبر عدد من الاعجابات . شغف الحصول على اعجاب الاخرين وتقديرهم تفوق على الضمير...لو كان الضمير هو من تفوق لقام هذا الشخص باي مجهود حتى لو كان يعلم انه ليس ذو جدوى كي يشعر انه فعل ما يستطيع ولم يتمكن .

تحطمت الكثير من العوائل بسبب الانترنت لسبب ولاخر . فهذا يتوسل ان تجيبه تلك التي لا يعلم حقا هل هي فعلا فتاة ام لا ولا يكترث لامر تلك التي تجلس امامه وتمني النفس في سماع كلمة طيبة منه . وتلك تستمع لكلام غزل من شخص لا تعرف حتى شكله وغير مكترثة لامر هذا الكادح الذي يحارب لاجل لقمة العيش ليشبع بطنها .

الارث الحضاري والامة العراقية الضائعة

لو جردنا العراقيون من الانتماء المذهبي لوجدنا السني اقرب للشيعي من التركي والشيعي اقرب للسني من الايراني لوجود مشتركات كثيرة وتشابه في العادات والتقاليد . العراقيون بدون مذاهب لا تستطيع ان تميز بينهم لان المشتركات التي تجمعهم اكثر من الاختلافات ولا يجمعهم مع الاخر الذي يطابقهم في المذهب من الناحية الاجتماعية الا المذهب ولولا التطابق المذهبي لما شعروا بوجود تشابه . ما هي علاقة العراقي السني بالتركي ؟؟؟ وما هي علاقة العراقي الشيعي بالايراني ؟؟؟ هناك علاقة انسانية وعلاقة جوار قطعا لكن مشترك اللهجة و العادات والتقاليد واسلوب الحياة لن تجد له اثر يذكر او اثره ضعيف .

اسألوا اهالي العلم والضلوعية وغيرهم من ابناء عشائر المنطقة الغربية الذين ساندوا ابناء الحشد الشعبي القادمين من مناطق الجنوب والوسط لتحرير مناطقهم من داعش عن المشترك الوطني وسيجيبوك عنه . ولو شاهدتهم حين كانوا يحتفلون معا لما ميزت بينهم لان جميعهم احرقتهم شمس العراق التي لا ترحم وجميعهم فقدوا احبة واعزاء ورسمت على وجوههم ملامح الحزن . اسألوا الشهيدة الشيخة امية التي فضلت العراقيين من ابناء الجنوب على الشيشانيين والافغان لانها تعلم جيدا حجم المشتركات الاجتماعية والتاريخية التي تربطها بهم . اسألوا ابناء الوسط والجنوب الذين استقبلوا نازحين من المناطق الغربية وساعدوهم.

اسألوا السيدة ام قصي عن معنى الوطنية وستجيبكم . تلك السيدة التي تسكن ناحية العلم في محافظة صلاح الدين والتي انقذت 25 شاب من طلاب قاعدة سبايكر . اسألوا السيدة ام علي (كردية من اهالي كركوك) والتي يقال انها دفعت مبلغ مليون دينار اجرة نقل عن نفس الاشخاص ليصلوا الى اهلهم سالمين . ولا تسألوا ذلك السياسي الذي يصرخ الى ان يشق حلقه حين يكون الضحايا من ابناء مذهبه ويصمت الى ان تبتلع شفتيه حين يكون الضحايا من مذهب اخر .

لا تسأل الطائفيون الذين يشكلون غطاء للموت . هناك مجرم اصيل يقوم بالجريمة بنفسه وهناك محرض يخطط للجريمة ويدفع المال وهناك غطاء اجتماعي تخلقه شريحة من المجتمع . وعمل هذه الشريحة الرئيسي هو تبرير وتخفيف وطأة الجريمة لتصبح عمل مبرر او رد فعل مقبول . وهذه الشريحة موجودة في كل مكان وكل زمان . وهم اخطر من الفاعل الاصلي . لانهم يشكلون غطاء شرعي لاجرامه .

هؤلاء الذين يراوغون في الحديث ويختلقون اعذار مباشرة وغير مباشرة وخيالهم الواسع يعمل ليل نهار لجعل الاجرام الطائفي والقتل على الهوية مجرد رد فعل (على الدولة هنا وعلى الارهاب هناك) مع ان الضحايا جميعهم مدنيين اقتيدوا من الشارع عنوة على هويتهم المذهبية سواء كانوا سنة ام شيعة . حدث في العراق في فترة من الفترات عمليات قتل طائفي على الهوية ذهب ضحيتها الاف الشيعة و السنة . محاولة انكار وجود تلك الصفحة المريرة خداع للذات . ومحاولة تبييضها والتماس العذر لفاعليها اشتراك بالجريمة . هؤلاء الطائفيون هم من يشكلون عائق رئيسي لتشكيل امة عراقية .

العراق له شخصية منفردة عن بقية العرب وله دور محوري في المنطقة . دماء ابناء الحضارات القديمة انصهرت مع دمائنا . او يمكننا ان نعكس الصورة ونقول ان دماء الاقوام التي استوطنت بلادنا اختلطت مع دماء اجدادنا بناة الحضارة . وبغض النظر عن دماء السومريون والبابليون وغيرهم ومدى صلتنا بهم من الناحية البايولوجية . تبقى الحقيقة الشاخصة هي ان هذه الارض تراكمت عليها ثقافات مختلفة وحضارات متعددة . ولهذا التراكم الثقافي اثر حتى لو كانت عواصف التاريخ جعلته يندرس ويضمحل. فالامم التي تندرس تترك خلفها اثر للأمم اللاحقة التي تستوطن في نفس الارض . ولا زلنا نتداول مفردات تنتمي لتلك الحضارات القديمة لحد هذه اللحظة .

كل حضارة فيها ما يمكن ان يكون عرضة للنقد لكن ما يمتدح هو الاسبقية في التمدن والتحضر و الابتكار . يمكن ان نمتدح الاسبقية في الزراعة والقوانين المدنية والنظام التعليمي وغيرها من شواهد الحضارة لكن لا يمكننا ان نفتخر بالسبي البابلي مثلا .

ما يمكن ان يجمعنا هو الارث الحضاري الذي يتجسد باحياء الانتماء للحضارات القديمة . الدين من الممكن ان يجمعنا لكنه من الممكن ان يحرق اجداد اجدادنا واحفاد احفادنا لو تمكن رجل دين دموي طائفي من تحريك الجماهير . ومن الجانب القومي ليس جميع العراقيين عرب وليس جميع العرب قوميين . اعتقد ان الارث الحضاري انتماء (محايد) قد يجمع الجميع لو تم احياء الانتماء له بشكل فعال .

صحيح ان اغلبية العراقيين عرب لكن لهم جذر حضاري (او ارث حضاري ان شأتم) يجعل لهويتهم طابع مختلف. وهذا امر واقع لا مفر منه سواء اعجبنا ام لم يعجبنا . فلهذه الارض التي سبقنا فيها من كان لهم اسبقية معرفية على جميع العالم اثر علينا حتى لو

انكرناه من الان الى مليون سنة وحتى لو كان واقعنا المرير يطمس معالمه. وهذا لا يعني اننا افضل من الاخرين في شيء فنحن مثلهم نعيش واقع التخلف . نختلف عن الاخرين في اننا نعيش في ارض نشات فيها اول حضارة في العالم و توالت عليها حضارات مختلفة . ونختلف عن الاخرين في اننا شعب متنوع القوميات والاديان والمذاهب . وللنهرين اثر غير قليل في البنية الشخصية للفرد العراقي .

اسأل الايدي العاملة الاجنبية في العراق (البنغاليين تحديدا) خصوصا من عملوا سابقا في دول عربية وخليجية..اسألهم عن الفرق في التعامل بين العراقيين وغيرهم ومن جوابهم ستعلم الفرق بين من يتربع في بلد تلاطمت فيه امواج الحضارة والتمدن ويمتد فيه نهرين وبين من يعيش في بلد لم يكن له وجود على الخريطة من الاساس (في ذلك الوقت الذي كان فيه اسلافنا يعلمون العالم معنى التمدن) وهذا لا يعيبهم ولا يعطينا افضلية فهو امر واقع ورثناه ليس لنا فيه يد لكن لا يمكن غض البصر عنه . العراقيين بصورة عامة يعاملون العمال البسطاء الاجانب بكل طيبة وانسانية وهذا السلوك المتحضر مع العامل البسيط لا يمكن ان تستورده كما تستورد التكنولوجيا . تستطيع ان تستورد التكنلوجيا وتبني ناطحات سحاب لكن التراكم الثقافي لا تستطيع استيراده .

الاف السنين من الحضارة لا تذهب هباءا فلابد ان لها اثر ولو بسيط..كان يحكمنا اول قانون احوال شخصية في العالم اجمع قبل ان ياتي الاسلام بألفين وسبعمئة عام تقريبا . سنه جدنا (حضاريا واعتباريا وجغرافيا وقد يكون نسبيا) الملك اورنمو . وهذه الاسبقية لاسلافنا لا تعطينا افضلية على الاخرين بل تفسر لنا الواقع .

يقول جورج كارلين : التباهي يجب ان يكون بسبب شيء قمت بتحقيقه بنفسك وليس لاجل شيء حصل بالمصادفة في وقت ميلادك...ان يكون المرء ايرلندي (يعطي مثلا على نفسه لانه امريكي من اصل ايرلندي) ليس بمهارة انه مجرد حادث جيني ... ان كنت سعيدا بذلك فلا بأس (انتهى) .(28)

مع كل الظروف الصعبة التي مر ويمر بها وطني لكني سعيد لاني انتمي لوطن تمتد جذور التمدن فيه الى الاف السنين . ما يقوله كارلين واقعي جدا لكن في الجانب الاخر لو لم يكن لاسلافك انجاز او قاموا بفعل مشين ليس عليك ان تشعر بالخزي . فلا ذنب لك فيما فعلوه .

في نهاية عام 2013 انتشر الخبر التالي : تظهر خريطة تفاعلية نشرها موقع "targetmap" متوسط مستوى الذكاء في دول العالم، يتصدر العراق فيها قائمة الدول العربية وتذيلها قطر والسودان على التوالي.وقد بنيت الخارطة التفاعلية استناداً إلى دراسة تحليلية أجراها عالم النفس البريطاني "ريتشارد لين"، ومختص في العلوم السياسية من فنلندا يدعى "تاتو فانهانين". وخلص العالمان إلى ترتيب دول العالم حسب معدلات الذكاء لدى شعوبها من خلال تحليل بيانات مأخوذة من 113 دولة مبنية على مقياس الذكاء الشهير

عالمياً "IQ"، والذي يعتمد نماذج امتحانات معينة لفحص معدل ذكاء الفرد.واحتل العراق المرتبة الأولى عربياً بـ 87 نقطة على مقياس "IQ"، ويأتي ترتيبه عالمياً في المركز العشرين (انتهى) .(29)

لاحظ ان الدراسة وضعت قطر في مؤخرة القائمة والعراق في مقدمتها . لكن بامكانك ان تلاحظ ان قطر تصرفت بذكاء واستقطبت الكفاءات العراقية وغيرها للاستفادة منها . ونحن تصرفنا بغباء وفرطنا بتلك الكفاءات . بل اكثر من ذلك نحن بيئة طاردة للكفاءات العراقية التي تأتي من خارج العراق رغبة بتقديم خدمة للوطن . تصرف ذكي من قطر حين تستقطب الكفاءات من مختلف بلدان العالم للاستفادة منها . لكن اذا اردت ان تلمس الغباء القطري (الرسمي) فما عليك الا ان تتابع السياسة الخارجية لقطر وكيف ان قطر تحاكي سلوك القط حين يواجه من هو اكبر منه حجما حيث يقوم بتقويس ظهره الى الاعلى ونفش ذيله ليبدو اكبر حجما من حجمه الطبيعي . وهذه عقدة قطر الفعلية التي تختبيء خلف محاولاتها لبسط نفوذها في بلدان لها عمق تاريخي وحضاري . عقدة اللاتاريخ وعقدة الصغر . مع ان كلا الامرين لا يشكلان عقدة . ليس عيب ان تكون بلد صغير بلا تاريخ حضاري . العيب هو ان تعيش هذه العقدة وتتصرف على اساسها . والكارثة الكبرى هي حين تجد قطر وغيرها من يقف امامها صاغرا (من ابناء تلك البلدان العملاقة ومن ضمنها بلدي العراق) يا للأسف .

ما هي الفائدة من ارتفاع معدل الذكاء للانسان العراقي عن غيره من العرب اذا لم يكن له اثر على ارض الواقع؟؟؟ الانسان الذكي قد لا يتصرف بذكاء دائما . لنصارح انفسنا هل نتصرف بذكاء دائما؟؟؟ هل هناك نتاج يعكس هذا الذكاء؟؟؟ هل مؤسساتنا تستقطب الاذكياء الذين يبتكرون ابتكارات نافعة وذكية ام تحاربهم؟؟؟ بعض الاذكياء يستخدمون ذكائهم بغباء حين يبتكرون طرق نوعية في النيل من الاخر . لدينا عراقي ذكي تفوق على اقرانه من العرب والمسلمين و تمكن بذكائه من تحقيق اغبى النتائج على وجه الارض...هذا الذكي تمكن من الانشطار عن تنظيم القاعدة وتأسيس اغبى واحقر تنظيم على وجه الارض...يستحق هذا المتفوق على اقرانه لقب (اكثر انسان ذكي تمكن من تحقيق اكثر النتائج غباءً بذكائه) انه ابو بكر البغدادي .

بعد 2003 جرى حوار بين احد الاشخاص من اهالي السماوة وبين جندي ياباني حول الوضع في العراق فقال له الجندي الياباني (بعد الحرب العالمية الثانية تطورنا بسبب وضع رجل ذكي وفاهم لقيادة مجموعة من الاغبياء يعملون تحت تصرفه وامرته اما انتم العراقيين فكل مجموعة اذكياء يقودكم شخص غبي والدليل انظر من كان يقودكم ولمدة 35 سنة) كلام هذا الجندي الفيلسوف لا يخلو من الصحة . معدل الذكاء المرتفع لا قيمة له اذا لم يكن له انعكاس على ارض الواقع .

على ذكر الحضارة...لا زال ابناء الدولة الاشورية والدولة الكلدانية يعيشون بيننا ويتنفسون هوائنا ولا زالت اللغة السريانية لغة حية في بلدنا . ولو كانوا في بلد اخر لتم تبجيلهم الى درجة لا توصف لانهم تاريخ يمشي على الارض . واتمنى ان تكون لنا صحوة حضارية ونكتفي عن التفاخر الزائف بتلك الحضارات ونحاول التعرف عليها اكثر والالتصاق بها فعلا وليس قولا .

اتمنى ان تُدرس حضارات العراق القديمة في المدارس كما تُدرس اللغة العربية

الانتماء للهوية الحضارية لا يعني التفاخر بها ليل نهار بمناسبة وبدون مناسبة . هذا التفاخر لا قيمة له اذا لم يقترن بفهم لابعاد تلك الحضارات وتثقيف الفرد منذ الصغر على انه مولود شرعي لتلك الحضارات وينتمي لها . اذا كنا فعلا نحترم اسلافنا فعلينا ان ندرس اطفالنا منذ الصف الاول عن تلك الحضارات كما ندرسهم الاحرف الابجدية وكما ندرسهم عن الدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي . ويجب ان يعي الفرد ان اصوله الحضارية والمنظومة المعرفية المنبثقة منها تسبق انتمائه الديني في ترتيبها الزمني على الاقل .

كم امني النفس ان يأتي الطالب من يومه الاول في المدرسة ويجيب امه حين تسأله ماذا تعلمت قائلا (تعلمت حرف الألف وعرفت ان اورنمو جدنا سن اول حرف في ابجدية التمدن) اتمنى ان ياتي اليوم الذي نكتفي فيه من قول اننا علمنا الناس الكتابة ونبدأ بتدريس ابنائنا في المدارس مناهج مبسطة عن الحضارات التي توالت على هذه الارض لتغرس في شخصية الطفل ان هؤلاء اسلافه . ليشعر بعنفوان الانتماء ويقف امام اي شخص ينتمي لامة اخرى بثقة عالية . هذا هو الطريق لبناء شخصية عراقية واثقة امام الاخر تقدم الامة العراقية على اي انتماء اخر . الشعارات الرنانة من قبيل (نحن ابناء سومر ... نحن علمنا الناس الكتابة) لا تجدي نفعا . التعرف على نتاج تلك الحضارات عن كثب هو ما يجدي نفعا. وهو ما يغرس شعور حقيقي بان العراقي الان هو امتداد طبيعي لتلك الحضارات العريقة . لو كان الامر بيدي لجعلت زي الرئيس ورئيس الوزراء في اللقاءات البروتوكولية نفس زي اورنمو و لجعلت الزي الرسمي لحرس الشرف نفس الزي السومري .

قبل ان اعلم ولدي القراءة والكتابة

ساحدثه عن الحضارات التي تنفست هواء العراق ووقف ابنائها على نفس الشاطيء الذي يقف عليه لأغرس في ذهنه الشعور بالانتماء لها . سأقول له ان المكان الذي تجلس فيه جلس فيه اورنمو وتأمل القمر وألهمه فقرات اول قانون مدني في تاريخ البشرية . وساقول له ان منظر شروق الشمس الذي يجعلك في قمة التفائل لبداية يوم جديد نفسه بذاته ألهم الامام علي وجعله يقول (اللهم يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلجه, وسرح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه) وعلى بعد خطوات منك كان هناك اربع جدران تسجن (راهب ال محمد) موسى بن جعفر (جدك من امك) الذي تمكن (بالكلمة فقط) من جعل جارية (ارسلت

لاغرائه) تتحول الى حياة نورانية مشرقة (بالكلمة فقط وليس بالتهديد والقتل) وفي نفس هذه البقعة من الارض وقف الحر الرياحي (جدك من ابيك) وخير نفسه بين ان يكون ظالم او ينصر المظلوم واختار ان ينصر المظلوم . وعلى بعد خطوات منك يرقد ابو حنيفة النعمان الذي وقف مع زيد بن علي في ثورته ضد الظلم (ويتجنب الكثير من الخطباء من الفريقين الحديث عن هذا الموضوع لان الحديث عنه لا يناسب توجهاتهم) وساعلمه ان الدين اخلاق و امر شخصي جدا ومن الفضول ان تتدخل في حياة غيرك الشخصية باسم الدين.

ساقول له (لا تتردد في تقديم يد العون للاخرين ولا تنتظر كلمات شكر في الدنيا ولا قصور في الاخرة ...اعمل الفضيلة لذاتها) لكن هؤلاء الأوغاد الذين يفسرون الطيبة على انها ضعف اعطهم حجمهم الطبيعي ولا تتردد في ايقافهم عند حدهم فهؤلاء شر من يمشي على الارض .

وساحذره قائلا...اياك ثم اياك ان تتفاخر تفاخر فارغ بالحضارة...اجعل لهذه الحضارة وجود في وجدانك وانعكاس على واقعك...اجعلها شعور بالانتماء له اثر على الواقع.

وساحذرة قائلا...اياك ثم اياك ان تتباهى بدينك او تشعر بالتعالي على غيرك لانه لا ينتمي لدينك او لا يلتزم به...اذا لم يكن لدينك انعكاس على اخلاقك في تعاملك مع الاخرين فلا قيمة لالتزامك به .

الاسبقية وحدها لا تكفي

في أحد أفلام تشارلي شابلن وتحديدا فلم السيرك وفي مقطع ترويجي للفلم مدته دقائق معدودة ينتبه مخرج شاب مهتم بافلام شابلن للقطة محيرة وغريبة . تظهر فيها سيدة يبدو انها تتحدث بالهاتف النقال وهي تتمشى بنفس الطريقة المتعارف عليها في زماننا الحالي!!!طبعا لا يفوتني ان اقول لكم ان الفلم تم تصويره عام 1928 والهاتف النقال تم اختراعه في سبعينيات القرن العشرين واصبح متداول بين الناس بعد سنوات اي انه حتى في وقت اختراعه لم يكن منظر سيدة تتحدث بهاتف نقال مألوف بين الناس...حين شاهدت المقطع لأول مرة شعرت بدهشة غريبة واعدت مشاهدته لأكثر من 30 مرة!!! بطبيعة الحال هناك أكثر من تفسير لهذا المقطع منها ان المقطع مزيف والغاية منه هو الترويج الغير مباشر لافلام شابلن ويسمى هذا النوع من الدعاية بالدعاية الفايروسية اي انك لا تحتاج ان تقول شاهدوا افلام شابلن ارجوكم انها جميلة...لا لا لا...كل ما تحتاجه هو خلق قصة مثيرة للاهتمام لاعادة اسم شابلن للسطح...حسب بعض الاخبار هناك خبراء محايدون تاكدوا من صحة المقطع ويأكدون صحته 100% لكن هناك اكثر من تفسير للحالة مثل :

1- السيدة تقوم بتركيب قرط الاذن وتتحدث مع أحد الموجودين في الكواليس.

2- السيدة قامت بتركيب جهاز للسمع وتقوم بتعديله وهذا الجهاز موجود في ذلك الزمن.

3- السيدة وضعت كيس ثلج لتخفيف ألم الاسنان.

4- السيدة مضطربة عقليا وتقوم بحركات غريبة وتتحدث مع نفسها.

5- السيدة مسافرة عبر الزمن الى الماضي...وغيرها من التفسيرات المنطقية والغير منطقية.

لماذا كل ما سبق اثار اهتمام الناس واثار دهشتهم ؟؟؟ لانه يتحدث عن اشياء وجدت في ازمان لم تكن فيها تلك الاشياء متعارف عليها .

القطع الاثرية التي تم اكتشافها قرب بغداد في العقد الرابع من القرن العشرين والتي اطلق عليها اسم بطارية بابل . اقترح بعض الخبراء انها بطارية بدائية كانت تستخدم في الطلاء الكهربي لتحويل المواد الذهبية الى فضية . لو صح هذا التوقع فهذا يجعلنا نعيد النظر في تسلسل تطور التجربة البشرية

لنتأمل المقطع التالي من ارشيف الكاتب الرياضي امير الفرطوسي:

من الطرائف واللقطات الجميلة المميزة التي كانت تحدث في كرة القدم العراقية ان فريق القوة الجوية قد خاض مباراة امام فريق مصحلة نقل الركاب عام 1963و الذي كان يحرس مرماه محمد ثامر وحدث ان اشر الحكم فهمي القيماقجي ضربة جزاء لصالح فريق القوة الجوية فتقدم قاسم زوية الى الحكم وقال له باننا سننفذ (حيلة) في تنفيذ الضربة وفعلا اتفق قاسم وعمو بابا على ان يقوم الاول بدفع الكرة من علامة الجزاء الى الامام قليلاً ثم يندفع عمو بابا تجاه الكرة ليصوبها بقوة نحو الهدف ونجحت الفكرة في حين اعترض محمد ثامر على طريقة التسديد الا ان الحكم وبعد التأكد من قانون التنفيذ اعتبرها هدف صحيح وتعتبر هذة الحادثة اطرف ما واجهته ملاعب الكرة العراقية في تلك الفترة.(انتهى) (30)

كرويف قام بنفس هذه الحيلة بعد عشر سنوات تقريبا وعرف بانه اول من قام بها . تخيل لو ان المباراة التي قام بها عمو بابا وقاسم زوية بهذه الحيلة موثقة فيديويا؟؟؟ قال لي احد الاشخاص ان لديه افكار لو طرحها لاحدث ضجة في عالم الفكر لكن هناك اسباب عديدة تحول بينه وبين طرحها . لا ادري ما هي تلك الافكار تحديدا لكني متأكد ان هناك من سيطرحها او انها طرحت سابقا وهو لا يعلم فليس كل ما يدور في مخيلتنا حكرا لنا فقد يكون هناك من سبقونا اليه ونحن لا ندري او ان هناك من سيتوصل اليه لاحقا وهو لا زال محبوس في مخيلتنا . كما ان الاسبقية في الابداع وحدها لا تكفي لتجعلك الاول . الاستمرارية في الابداع والتوثيق والاعلام الذكي وعوامل اخرى لو توفرت مجتمعة سيكون لك بصمة .

الموت لأمريكا ... اللعنة على الغرب الكافر

احتد النقاش وتعالت الأصوات هذا يقول كل مصائبنا من الغرب الكافر والآخر يقول هناك مخطط غربي لإفساد الأمة من خلال الانترنت والموبايل والستلايت . وثالث يقول يريدون إبعادنا عن ديننا . اجابه أحدهم مؤيدا (والله كلامك عين العقل فعلا وقعنا بالفخ ونجحت المؤامرة) بعد قليل وقع بيد أحدهم خبر منشور في الجريدة يتحدث عن تمكن شخص ألماني من اختراع ضمادة تشعل ضوءا أحمر إذا التهب الجرح . قرأ الخبر منبهرا . أجابه أحدهم بسرعة (كذب هذا سارق إن من اخترع هذه الضمادة هو في الحقيقة شيخ مسلم لكن هذا الألماني سرق براءة الاختراع منه) تفاجأ الجميع وسأله أحدهم من هذا الشيخ ومتى سمعت بالخبر فقال له (أن أحد الشيوخ دعا في صلاته أن ينزل الله من السماء ضمادة تضيء في حال التهاب الجرح) ويبدو أن الضمادة نزلت قرب هذا الألماني فادعى كاذبا أنه اخترعها) نظر الجميع إليه نظرة استغراب واستفهام فقال لهم (عجيب أمركم ! قبل قليل كان الغرب الكافر يخطط لهدم الدين والآن لا تصدقون أن أحدهم سرق اختراعا من رجل دين مسلم!!! أنتم تعلمون جيدا أن الله لن ينزل اختراعات من السماء وتعلمون جيدا أن رجل الدين لم ولن يخترع إبرة والفضل في كل ما نعيش فيه من تطور يعود للغرب الكافر . كيف لا يستحي نسبة من رجال الدين ومن يتناغمون معهم حين يصرخون بأعلى أصواتهم متمنين أن يقتل الله الكفار وهم يتمتعون باختراعاتهم؟؟؟

أجاب أحدهم بغيظ (يا أخي مسارقين منهم شي مشتريها بفلوسنا) رد عليه (تخيل لو ان الغرب أراد احتكار التطور لنفسه والإستغناء عن الفائدة المادية التي يجنيها منا كيف سيكون وضعنا حينها؟؟؟)

صحيح أننا نملك النفط مقابل امتلاكهم للتكنولوجيا لكن الفرق الكبير هو أن النفط ليس من إبداعاتنا بل مادة طبيعية أما التكنولوجيا فهي إبداع عقلي . وحتى اكتشاف النفط واستخراجه ونقله كان عن طريق تكنولوجيا أجنبية.

لا أتحدث عن الولاء المطلق للغرب والإيمان الكامل بهم والانغماس في تمجيدهم في كل شيء . فهم ليسوا أنبياء وليسوا مقدسين ونحن لسنا شياطين . كل ما هنالك انهم يبحثون دائما عن مصالحهم سواء كانت توافق مصالحنا ام لا . الموضوع يتعلق بلغة الارقام . لو كان من مصلحة امريكا دعم انتفاضة عام 91 في العراق لفعلت لكن لم يكن في مصلحتها فقامت بالتفرج على النظام وهو يقمعها في الجنوب وسمحت لها بالاستمرار في كردستان واصبح لكردستان استقلالية . لو كانت مصلحة امريكا تقتضي العكس لسكتت عن قمع النظام لانتفاضة كردستان وساعدت على نجاح انتفاضة الجنوب والوسط . الموضوع يتعلق بلغة الارقام...ارقام المصالح...اين تشير بوصلة المصلحة يتجهون لها . نحن من لا نستطيع ادراك هذا الواقع ولانتعامل مع الاخر على اساسه .

لكنهم في بناء مجتمعهم ونظامهم الداخلي انتجوا بيئة مؤسسات . بيئة علمية عملية . تصور ان هناك منظمات حقوق انسان في اسرائيل تقف بالضد من افعال الجيش الاسرائيلي وجرائم المستوطنين المتطرفين!!! من مصلحتهم ترسيخ بيئة داخلية مؤسساتية متينة .

هم يعلقون اذهانهم في (اثر اقامة علاقات معنا على مصالحهم) لذلك لا يكترثون للماضي ويتعاملون بكل واقعية مع الحاضر . وهذا هو الفرق الجوهري بيننا وبينهم . فنحن نرفع شعارات مبنية على الماضي . الماضي لا يعود والمصلحة هي الاولى . اليابانيون لم يبيعوا دماء ضحاياهم الذين ماتوا على يد امريكا بل تعاملوا بواقعية ولم يكن لديهم خيار اكثر فائدة من هذا والنتيجة واضحة للعيان . لغة الارقام والعائد المترتب هي من تغلب دائما . اما لغة الشعارات الغير مبنية على واقع فقد تصيب وقد تخيب . ما أتحدث عنه هو الوقوف على أرض الواقع للتمكن من المشي فالوقوف على الهواء لن يجعلنا نتحرك ولو خطوة واحدة وسنبقى هائمين على وجوهنا في مستقبل مجهول .

يقول سليم مطر : اخيرا في اوربا سقطت تفاحة نيوتن على راسي , واكتشفت الحقيقة : أن الاوربيين لا تدور حولهم الشمس , بل هم بشر مثلنا يدورون حول الشمس بكل طيبة وتواضع .لا هم ملائكة كما يصورهم علمانيونا ولا هم شياطين كما يتوهمهم متدينونا. الفرق الوحيد بيننا وبينهم يكمن في مشيئة التاريخ والجغرافية , التي منحتهم منذ قرون فرص بناء ذاتهم وخلق عناصر قوى مادية ومعنوية تضخ فيهم الاحساس بالتفوق والهيمنة على العالم (المتخلف) هذا التفوق هو الذي يجعل الاوربيين يصمدون أكثر أمام أسباب الأنمساخ والتمزق , ويحافظون على نوع من الاستقرار الأجتماعي السياسي . اما نحن فلاننا دائما وراء اوربا . فاننا بحاجة الى اجيال وحروب وخيبات لكي ندرك ان الغرب بدا ينتبه لمغالاته في عبادة العلم والتقنيات وأحتقار التقاليد الروحية والمواريث الانسانية (انتهى) .(1)

نحن واوربا في زمن واحد ... عهد مختلف

اوربا قبل قرون كانت تشوي من يتهم بالهرطقة و الالحاد على شبكة حديدية...اوربا قبل قرون كان منطقها ومنطق محاكم تفتيشها يسير على فكرة تقول (لنحرق المتهم على الشبهة التي اعتقل بسببها وننتظر...لو كان بريء فسيدافع عنه الله ويطفأ النار وينقذه) اوربا الان ترى الالحاد حرية فكرية والايمان حرية شخصية...نحن واوربا نعيش في زمن واحد لكننا في عهد مختلف . هم سبقونا في التجربة ونحن تقريبا نعيش واقعهم قبل قرون باستثناء استفادتنا من تقدمهم التكنولوجي الذي يجعلنا نبدو مشابهين لهم تقريبا من حيث المظهر والادوات التي نستخدمها في حياتنا (سيارات , اجهزة موبايل , حواسيب ... الخ) يكفي ان ناخذ اداة واحدة من ادوات تعذيب محاكم التفتيش في اوربا كمثال لنعلم كم كانوا مثلنا يوما ما .

دولاب الشفرات : وهو دولاب خشبي مزود بشفرات حادة جدا يوضع المتهم في داخله ثم يتم تدويره باقصى سرعة ليتمزق بذلك جسد المتهم أربا. وكان هذا الدولاب يستخدم مع من يتحدث عن البابا بسوء.(2)

مع ان الصورة السابقة مؤلمة لكنها تزرع فينا الامل . لانها تجعلنا نصدق باننا يوما ما سنصبح متمدنين مثلهم . من يصدق ان من يفعل هذا الفعل هو نفسه من يدافع عن حقوق الانسان ويعيش حياة التمدن؟؟؟ هذا ما سيحصل معنا يوما ما وسنتمدن كما تمدنوا . نعم هذا ما سنصل اليه وبسرعة اكبر من سرعتهم بسبب تكنولوجيتهم وانترنيتهم الذي قرب المسافات وجعل الافكار تنتشر بسرعة البرق .

عندما ظهر السيد المسيح في المجتمع اليهودي كان يمثل في نظر اليهود شخص منشق عن اليهودية وخارج عنها لذلك ليس له قيمة مقدسة في نظرهم وهو لا يعدو كونه أنسان عادي جاء بفكر منحرف . لذلك واجهوه بكثير من القسوة وحرضوا عليه . ولم يتبعه ألا قلة قليلة . وفي النهاية تم صلبه من قبل الرومان بتحريض من جمهور اليهود . وبغض النظر سواء كان من صلب هو المسيح نفسه حسب الرواية المسيحية أو شبه لهم حسب الرواية الأسلامية تبقى الحقيقة الشاخصة هي أن جمهور اليهود طالبوا بصلب السيد المسيح وتم ذلك أمام أعينهم فعلا حتى لو كان من صلب هو شبيهه لكنه يبقى في نظرهم المسيح نفسه . كان اليهود حينها منقسمين الى مذهبين وهما الصدوقيون والفريسيون ويبدو أن الفريسيين كان لهم اليد الطولى في التحريض على صلبه وقتله بسبب وقوفه بوجههم ومناظرتهم في كثير من معتقداتهم وافكارهم .

السركال هو اللقب الذي يلقب به الذراع الأيمن للأقطاعي في العراق في النصف الأول من القرن العشرين ويتمتع السركال بمقدار عالي من القسوة في التعامل مع الفلاحين ويقوم بقمعهم واجبارهم على العمل لساعات طويلة ويزجرهم و يبخس حقهم ويبطش بهم أكثر من الاقطاعي نفسه . أذا كان هذا الشخص معين من قبل الاقطاعي فسركال الأله عين نفسه بنفسه وأعطى لنفسه الحق في التحدث والتصرف وسلب أرادة الاخرين باسم الله .

الغريب اننا حاكيناهم في كثير من التفاصيل المرعبة واعدنا احياء التاريخ السقيم بكل بلادة. فتسمية ادوات التعذيب باسماء شخصيات مقدسة لاعطاء فعل التعذيب قدسية هو ما فعلوه قبل قرون و قمنا نحن باعادة احيائه . وانا متيقن ان المعتلين عقليا عندنا ليس لديهم اي اطلاع على معتليهم . لكن هذه النتيجة الحتمية للاعتلال العقلي حين يختبيء خلف المقدس .

الذي اسس جند السماء او جيش الرعب في العراق وجمع اتباعه في (مزرعة الزركة) ليفصلهم عن الواقع ويتمكن من غسل ادمغتهم لا اعتقد انه يعلم شيء عن نسخته الامريكية جيم جونز الذي انتهت حكايته في عقد السبعينات من القرن العشرين والذي اسس معبد

الشعب و (جونز تاون) وجمع فيها اتباعه من مغسولي الادمغة ايضا . قام جيم جونز بثلاث سوابق لا مثيل لها الاولى هي انه أول أبيض يتبنى طفل اسود والثانية هي انه أول شخص يتورط بقتل عضو كونغرس امريكي أثناء تادية الواجب والثالثة هي مسؤوليته عن أكبر عملية انتحار جماعي في تاريخ البشرية .

نتيجة كلا التجربتين (العراقية والامريكية) مريعة . والتشابه بينهما غريب ومثير للدهشة فكلاهما فصلا اتباعهما عن الواقع بمكان نائي. وكلاهما حصلا على دعم مادي كبير والا كيف يؤسسان مدينة متكاملة ؟؟؟ وكلاهما لهما قدرة على التأثير بالناس خصوصا المأزومين نفسيا والمحبطين والا لما تمكنا من جمع هذا الكم الهائل من البشر . ضياء مات مقتولا هو وعدد كبير من اتباعه على يد القوات الامنية في مواجهة مسلحة يعتبر دخوله بها اشبه بالانتحار . وجيم مات منتحرا بعد ان دفع اتباعه الى الانتحار بأكبر عملية انتحار جماعي في التاريخ الحديث والسبب هو قيام اتباعه بقتل عضو كونغرس جاء ليتأكد من حقيقة ما يجري بتلك المدينة فأكتشف الوضع المزري واكتشف ان هناك اشخاص مجبرين على البقاء رغم ارادتهم فتم قتله مع مرافقيه اثناء ذهابهم فطلب جونز من اتباعه الانتحار بشرف بدل تحمل عواقب رد فعل الحكومة . كلاهما لعبا على وتر المقدسات والحاجات النفسية وسوء الواقع الاجتماعي . وكلاهما اشيعت حولهما نظرية مؤامرة فضياء اشيع ان الحكومة قتلته وقتلت اتباعه لأسباب أخرى غير الاسباب المعلنة وجيم جونز أشيع أن الحكومة هي من خلقته لتختبر مدى استجابة المجتمع الأمريكي لشخصية تحمل هكذا أفكار ثم قتلته مع أتباعه بعد أنتهاء دوره . الامريكي جيم جونز والعراقي ضياء الكرعاوي نموذجان يثبتان قدرة أي مخبول لديه نسبة من الذكاء الاجتماعي على التلاعب بعقول نسبة لا يستهان بها من الناس ودفعهم الى الهاوية السحيقة من خلال غسل أدمغتهم والتلاعب بنقاط القوة والضعف فيهم . وكلما وجد هذا المخبول من يصدقه ويسير خلفه كلما أزداد جنونا .
(انظري:كتاب التعذيب باسم المقدس – روافد للنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية)

نكوص الغرب

نكوص الغرب يظهر في ثلاث نقاط الاولى : انضمام عدد من الاوربيين والاوربيات لتنظيم داعش واعتناقهم للتطرف الاصولي والثانية : حدوث رد فعل عكسي عند نسبة من الاوربيين تجاه التطرف انعكس واضحا على طريقة تعاملهم مع المسلمين في بلدانهم .

والثالث هو عدم تعامل حكومات الغرب بجدية كافية مع ظاهرة انتشار الاسلاميون الاصوليون وعدم ادراك خطر هؤلاء مستقبلا حين يتمكنون منهم . فهؤلاء يستغلون الديمقراطية التي يعتبرونها (جُبن وضُعف) ابشع استغلال .

لنتأمل الخبر التالي : قام مجهولون فجر الاثنين 29 ديسمبر/كانون الأول بحرق مسجد في مدينة أسليوف جنوب السويد، لتصبح الواقعة هي الهجوم الرابع عشر على المساجد في هذا البلد منذ أوئل العام الجاري.(3)

السؤال الذي يطرح نفسه هل هذا نذير لتشكل ميليشيا اوربية مضادة للوجود الاسلامي في اوربا؟؟؟ ام انها مجرد رد فعل مؤقت؟؟؟ من يعلم ؟؟؟الزمن كفيل باعطائنا جواب شافي .

ولنتامل المقطع التالي للكاتب حازم الامين: حين اتصلت المراهقة الفرنسية من أصل مغربي بشقيقها، من مخبئها في ريف حلب، قالت له إنها سعيدة هنا وتشعر بأنها تعيش في (عالم ديزني). ونقلت وكالة رويترز عن شقيقها، أن شقيقته البالغة من العمر 15 عاماً، والتي هربت من عائلتها المقيمة في جنوب فرنسا إلى سورية والتحقت بداعش ، كانت في طفولتها التي لم تكد تغادرها بعد ، شغوفة بعالم ديزني ، وأنها كانت تعيش حياة عادية في كنف عائلتها ، علماً أن حوالى 10 في المئة من الأوروبيين الملتحقين بداعش شابات ومراهقات تولت مافيات جهادية أوروبية تهريبهن إلى سورية والعراق، ونشطت في هذه المافيات نساء تولين إقناع المراهقات. ولا يبدو هنا أننا حيال ظاهرة دياسبورية، ذاك أن بين المهاجرات إلى داعش أوروبيات مسيحيات ويهوديات الأصول والنشأة...المراهقة الفرنسية التي أبلغت شقيقها أنها تعيش في عالم ديزني الذي كان شغفها في طفولتها، أصابت بتشبيهها هذا ملمحاً لداعش لطالما ألح على مراقبي هذا التنظيم، وعلى متقصّي أخباره. فلداعش وجه غير واقعي، أو ربما غير متصل بأكثر من خيال مراهقة. صحيح أنه حقيقي، وهنا تكمن المأساة، لكن الحقيقة حين تصبح غير واقعية، تحمل في هذه اللحظة احتمال الموت. فلنا هنا أن نلاحظ كماً هائلاً من الحقائق غير الواقعية. الذبح المصور والسبي واجتثاث الحاضر، كل هذه الحقائق الداعشية لا تحيلنا على الواقع، وهي إذ تفعل ذلك، يصبح عالم ديزني احتمالاً في وعي المراهقة الفرنسية...و داعش الذي باغتنا بتدفقه إلى مُدننا وصحرائنا وجبالنا، هو نوع من الشر الذي كنا نعتقد بأنه لم يعد موجوداً إلا في السينما. قَطَعة الرؤوس كانوا قبل داعش كفوا عن استدراج اشمئزازنا. كانوا غير حقيقيين على الإطلاق. ما يجري الآن ليس خطوة إلى وراء في الواقع، هو خطوة إلى وراء في الخيال، فها نحن نستأنف اشمئزازنا وخوفنا منهم، وعلينا أن نعيد الاعتبار لمكتبة سينمائية كانت كفت عن إدهاشنا.(انتهى)(4)

عالم دزنيّ؟؟؟!!!حاشاك يا ميكي ماوس ايها الفأر الطيب ان يتذكر احدهم عالمك الجميل حين يشاهد هؤلاء المعتلين او يعيش واقعهم .

فيما يخص الاوربيات من اصول عربية اسلامية...اين ذهبت الجهود لدمج الجالية الاسلامية في المجتمع ؟؟؟ هذه مصيبة !!! اما المصيبة الاعظم فهي انضمام اوربيات من اصول اوربية (مسيحية او يهودية)

كنت استمع لخبيرة في علم النفس تتحدث في احدى الاذاعات عن هذا الموضوع فعللت سبب ذلك الى المبالغة في ميوعة الشاب الاوربي الذي ادى الى ان تبحث بعض الفتيات عن رجولة شرسة...الا يوجد رجولة في هذا العالم الا في هؤلاء المعتلين ؟؟؟ ان ميوعة الاوربي اشرف بمليار مرة من رجولة هؤلاء . اجزم ان من تميل الى الانضمام لفئة تهدر دم ابناء شعبها وتذبح كل ما يتحرك امامها هي معتلة ماسوشية تميل الى التوحد مع الجلاد الذي يمني النفس في ذبح اهلها على رؤوس الاشهاد .

في الولايات المتحدة وفي سبعينيات القرن الماضي قامت الجماعة التي تسمى (جيش التحرير السمبيوني) بخطف حفيدة الصحفي الشهير وليام راندولف هيرست لمدة من الزمن تعرضت خلالها للاذلال والاغتصاب . كل هذا ليس غريب . الغريب انها تحولت لاحقا الى عضوا فعالا في هذه العصابة .(5)

التوحد مع الجلاد (متلازمة ستوكهولم)(6)

وهو مصطلح يطلق على الحالة التي يكون فيها الضحية متعاطف مع جلاده . وقد تجد الضحية يلتمس العذر له ويبرر أفعاله بل يشعر بأطراء كبير في حالة أن الجلاد حدثه بكلمة طيبة أو أبتسم في وجهه . وسميت بمتلازمة ستوكهولم نسبة الى حادثة حدثت في مدينة ستوكهولم عام 1973حيث قام مجموعة من اللصوص بعملية سطو على مصرف واحتجزوا مجموعة من موظفيه كرهائن لمدة ستة ايام وفي تلك الفترة حدث تعاطف من قبل الرهائن مع اللصوص . وبعد أطلاق سراح الرهائن دافعوا عن اللصوص الذين أحتجزوهم.

تفسير الحالة :

عندما يكون الضحية تحت ضغط نفسي كبير فانه يقوم لا أراديا بخلق الية نفسية للدفاع عن نفسه . وذلك من خلال الأطمئنان للجاني خصوصا أذا أبدى الجاني اي حركة تنم عن الأهتمام بالضحية ومهما كانت هذه الحركة صغيرة سيقوم الضحية بتضخيمها وتهويلها لأنها تشعره بالأمان , وحين يفكر في السبيل للخروج من هذه المحنة , ستشخص أمامه العواقب, وقد تجده يبرر أفعال الجلاد ويلتمس له الأعذار . لذلك يلجأ الى التعلق بالجلاد . وقد يشعر بالأمتنان له , وتحدث هذه الحالة أحيانا حين يقوم الجلادين بأعدام مجموعة أمام مجموعة أخرى فتشعر المجموعة التي شاهدت الأعدام بنوع من الأمتنان للجلادين كونهم قادرين على قتلهم لكنهم لم يفعلوا . بل هناك نساء يتعرضن للأغتصاب يعتريهن شيء من الشعور بالذنب ويلقين جزء من اللوم على أنفسهن في تعرضهن للاغتصاب وهي محاولة لا أرادية للدفاع عن المغتصب من خلال ألقاء جزء من المسؤولية على الذات . وتظهر حالات

التوحد مع المعتدي في الحوادث العائلية وقد تجد المعتدى عليه (جسديا , عاطفيا , جنسيا) يتعلق بالمعتدي أو يحاول التغطية على افعاله أو يسكت عنها .

التماهي مع اسلوب حياة المتسلط

بعض الناس يحنون الى من كانوا يستعبدونهم من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون . في زمن النظام السابق كان هناك ظاهرة معروفة وهي ظاهرة (ابن عم الريس) فحاشية صدام كانوا جميعا من اقاربه وابناء عمومته والكثير منهم كانوا يعاملون عامة الناس بتعالي واحتقار ويتفاخرون بعدم التزامهم بالقانون ولا بالاشارة الضوئية ولا باي شيء لاعتقادهم ان الالتزام بالقانون للضعيف فقط وهم اقوياء من المعيب ان يلتزمون به . كانوا لسان حالهم يقول ما سمعته في احد الافلام الامريكية على لسان شرطي (نخالف القانون كي نطبقه) كان المجتمع يمتعض من تصرفاتهم وسلوكياتهم . لكن الغريب ان هناك نسبة من الناس يتماهون مع (اسلوب حياة المتسلط) والاكثر غرابة هو ان (اسلوب حياته) الذي يحاكونه اكثر ما كانوا يعبرون عن انزعاجهم منه . عادت عندنا ظاهرة (ابن عم الريس) لكن بثوب جديد وعناوين جديدة تمثل من يملك القوة في هذا الزمن فهناك فئة من الناس في عصرنا الحالي يعتقدون (كما ابناء عم صدام) ان الالتزام بالقانون للضعفاء فقط وهم اقوياء من المعيب ان يلتزموا به.

التماهي مع (اسلوب حياة المتسلط) احدى حالات التماهي مع الجلاد ويقوم فيها الشخص المقهور بمحاكاة حياة المتسلط الى حد كبير ومثير للدهشة . ويصنفها علم النفس بانها من اخطر انواع التماهي مع المتسلط لانه يتم بدون عنف ظاهر (اكراه من قبل الحاكم المتسلط) بل من خلال رغبة الانسان المقهور في الذوبان في عالم المتسلط , بالتقرب من اسلوبه الحياتي . (7)

يبدو ان نسبة غير قليلة من معارضي النظام السابق كانوا يعارضون الظلم علنا ويشتهون نمط حياة الجلاد سرا . والدليل هو محاكاتهم لاسلوب حياة جلادهم بعد وصولهم للسلطة .

اذا كنت تنادي بموت الغرب فقم بعملية (delete) لكل نتاجهم من حياتك

أشعر بالامتنان لمخترع الامبيسيلين ومخترع علاج السرطان ومخترع الانترنت لكن لا أشعر بالولاء للمنظومة السياسية الغربية وهي محل نقد مرة ومدح مرة أخرى وهذا يعتمد على الموقف . الحالة نسبية وما يجب ان نعترف به ونقف عليه بقوة هو اعتمادنا الكلي عليهم فحتى المبدعين العرب (في زماننا) الذين تمكنوا من تحقيق إنجازات واكتشافات عظيمة تمكنوا من ذلك في ظل المنظومة التكنولوجية الغربية .

احد الاشخاص كان يمشي في الشارع فشاهد ابناء منطقته يعلقون جدارية لرجل دين . فنظر الى صورته لكن لم يتمكن من التعرف عليه لانه لم يكن ذو شهرة كبيرة . فخطر في ذهنه التساؤل التالي(لماذا لا نعلق جداريات لاشخاص لهم اثر واضح وكبير على البشرية) فقال لابناء منطقته (ما هو رأيكم ان نعلق جدارية اخرى لمكتشف الامبيسيلين؟؟؟) فنظروا اليه نظرة ازدراء وقال له احدهم (ولماذا نعلق جدارية لهذا الشخص وما هو ربطنا به؟؟؟) اجابه (ان رجل الدين الذي علقتم صورته والذي لم يسبق لي ان تشرفت بمعرفته لم يقدم للبشرية ما قدمه مكتشف الامبيسيلين فكل علاج يحوي على امبيسيلين يعود الفضل في وجوده لهذا الشخص العظيم) كرروا نفس نظرة الازدراء ولم يجيبوه بشيء فأكمل طريقه لا يلوي على شيء .

كان أحد رجال الدين يصرخ بأعلى صوته مناديا بموت الغرب الكافر (يا رااااجل!!!) السماعة التي تتحدث بها ويصل صوتك الينا بفضلها من صنع الغرب الكافر والقمر الصناعي الذي اوصل بث تلك الفضائية التي تتحدث منها من صناعة الغرب الكافر. هو لا يدري لولا الغرب الكافر لما وصل صوته الينا . من حقه أن ينادي بإلغائهم لكن عليه أولا أن يلغيهم من حياته . أي أن لا يستخدم مخترعاتهم . عليه أولا أن يعيش في خيمة أو في بيت من الطين أو اللبن ويستخدم الفرس في التنقل ويستغني عن المكيف الهوائي ويستخدم الزير لشرب الماء ولا يستخدم التلفاز لإيصال صوته إلينا لأن كل هذه الأمور من اختراع الغرب الكافر هذا فضلا عن استخدام السماعات المكبرة للصوت .

لو كان ينادي بالوقوف بوجه الحكومة الغربية الفلانية او العلانية ومعارضتها لكان الكلام معقول لكان ينادي بموت الغرب الكافر (حتة وحدة) وهو يستفيد من مخترعاته فهذه مفارقة عجيبة.

من المعيب أن تقلل من شأن حضارة تعتمد عليها في معظم احتياجاتك . قبل مدة كنت أقلب في الفيس بوك فلفتت انتباهي صفحة اسمها (دولة العراق الاسلامية) هل وجدتم خسة أكبر من هذه الخسة ؟ في أن يستخدمون التقنية الامريكية (الحاسوب) والخدمة الأميركية (الانترنت) والموقع الامريكي (الفيس بوك) في معاداة الأمريكان . كيف تريدني أن أؤمن بأفكارك وأعادي أميركا وأنت لا تملك ما تواجهها به سوى مخترعاتها؟؟؟ هذا يعني أنك لا تملك شيئا سوى الموت وأميركا تملك حتى أدواتك الخاصة للتواصل مع مريديك ولولا أميركا لما عرفنا ما هي أفكارك .

أما الصفحة الأكثر إثارة للسخرية فهي صفحة (الموت لأميركا قاطعوا البضاعة الاميركية) يطلب من الناس مقاطعة البضاعة الاميركية وهو يستخدم تقنية أميركية وتكنولوجيا أميركية وموقعا أميركيا . قرأت مقال يتحدث عن هذا الموضوع في أحد المواقع الالكترونية ولفت نظري رأي أحد المعتنقين لفكرة الجهاد عبر الإنترنت .

يقول المجاهد الانترنيتي : إن الله يؤتي الحكمة من يشاء وشاء الله أن تبصر التكنولوجيا النور على يد الكفار لكنها في الحقيقة من النعم التي سخرها الله لنا رغم أنوفهم وليس لهم فضل في وجودها لأن الله هو من ألهمهم اختراعها وإيجادها على أرض الواقع لذلك لنا كل الحق في محاربتهم بها .(انتهى)

تأمل المنطق الذي تفكر به هذه الفئة من الناس وتأمل النظرة الاصطفائية للذات ونظرة الاحتقار للآخر . الأولى بهؤلاء ومن لف لفهم أن يرسلوا رسائلهم التحريضية عبر الحمام الزاجل أو على ظهر الحمير (أو أن يرسلوا مناديا يحمل طبلا كبيرا يضرب عليه مناديا يا قوم ...) لأن هذه الادوات هي الوحيدة التي يستغنون بها عن الغرب الكافر .

لنتخيل للحظة اننا نعيش وحدنا بدون غرب كافر ويقودنا رجال الدين فقط . تخيلوا شكل الحياة . هل لكم أن تتخيلوا عدم وجود كل المخترعات الغربية ؟ سنكون أقواما بدائية تعيش على الصيد والرعي وسنبدع في كتابة الشعر والتمنطق في الكلام وكل عام سيأتي زعيم جديد يقتل الزعيم السابق ليترأس علينا .

إن رجل الدين يعتقد أنه يستطيع أن يوفر نظام متكامل للانسان . لكنه في الحقيقة لم يرينا ولو نموذج بسيط من هذا النظام المتكامل الذي يستغني به عن الآخرين بل لم يتمكن هو على الصعيد الشخصي من الاستغناء عنهم . قد يقول أحدهم رجل الدين مهتم بتوفير الرفاهية للإنسان في العالم الآخر . في الاخرة وهي الأهم لكونها أبدية أما الدنيا فهي زائلة وغير دائمة.

الحقيقة أن الانسان يبحث عن حياة مريحة ومستقرة ويبحث عن العدالة الاجتماعية فليس من المعقول أن يقول له الشيخ (كن كعلي ابن أبي طالب وليقتصر طعامك على الخبز والماء) في حين أن هذا الشيخ نفسه يتقاضى على المحاضرة مبلغا غير قليل من المال ليضمن توفير متطلبات الحياة والتي لا تقتصر على الخبز والماء قطعا.

رجل الدين إنسان ومن حقه أن يبحث عن لقمة العيش لكن هل ما يتحدث به واقعي ؟ هل التزم هو بأسلوب حياة علي ابن أبي طالب ؟ نسبة من رجال الدين يتحدثون بلغة مثالية لا يستطيعون الوصول لعُشرها في واقعهم الشخصي . رجل الدين يتمتع بمشاهدة التلفاز واستخدام الهاتف النقال وبكل الرفاهية الاجتماعية التي يوفرها الغرب . لكنه لا يجرؤ على مدحهم وإنصافهم فيما يستفيد منه على الاقل .

والأمر طبعا لا يقتصر على رجال الدين فظاهرة لعن الغرب الكافر والتمتع بكل قيمهم التقنية ظاهرة عامة . الكثير من الناس يعتقدون أن الغرب يعادي الدين الاسلامي ويحاربه ويبيت النية لتشويهه . السؤال الذي يطرح نفسه لماذا يفعل الغرب ذلك ؟ والجواب ضاع مني مع الأسف الشديد.

كارهي امريكا يقدرونها اكثر من محبيها

احيانا اشعر ان كارهي امريكا يعطونها قيمة عليا اكثر من محبيها فهم من خلال توجيه اصابع الاتهام لها (بعد اي حدث سيء مهما كان) وكأنهم يعطونها مكانة (اله الشر) فهي مطلقة القدرة في نظرهم فاي حدث سيء ورائه امريكا بالضرورة . وهذا لون مبالغ به من التقدير لمكانة امريكا حتى لو كان تقدير سلبي ينزع عليها الشر المطلق . لكنه تقدير عالي بكل الاحوال فهو يعطيها مكانة عالية (سلبية) بينما من يمتدحونها لا يعطونها مكانة ايجابية توازي ولو نصف تلك المكانة السلبية فالكثير من المعجبين بامريكا لا يعطونها قدرة مطلقة على فعل الخير بل قد ينتقدونها . لذلك اجد كارهي امريكا ومعاديها اكثر تقدير لها من محبيها والمعجبين بها .

المنتمون للتيار القومي يركبون في نفس القارب مع المنتمين للتيار الديني . فهم أيضا يمجدون انتماءهم القومي ويسبون الإمبريالية ثم يصلون الى بيوتهم ليتابعوا الاخبار عبر تلفاز إمبريالي ويأخذون القيلولة على مكيف هواء إمبريالي ويتصلون بأشقائهم بالعروبة عبر تقنية إمبريالية ويدخلون الماسنجر الامبريالي.

أن الإستفادة من هذه الخدمات ليست مجانية وكل شيء بثمنه . لكن لو أراد الغرب حجبها عنا من البداية لما تمكنّا من اختراعها ولا بعد ألف عام . إن الشعور بالامتنان للايجابيات والاعتراف بالواقع أمر أخلاقي كما أن انتقاد السلبيات أمر ضروري عند الحاجة اليه . حين أتخيل نفسي بدون مخترعات الغرب ومحاطا برجال الدين والقوميين فقط لا أتخيل نفسي الا (أنا والصحراء والوجه الحسن)

إن المشكلة في تصوري تكمن في إحساس وهمي بالسمو ينتاب القوميون والمتدينون يجعلهم يشعرون أنهم محور العالم وكل العالم يحوك حولهم المؤامرات والدسائس لإسقاطهم من أعلى القمة لكن الواقع يقول غير ذلك .

أحد الاشخاص يعمل في شركة أميركية . حين يتجاذبون أطراف الحديث يتحدث عن المقاومة ودور فلان الفلاني في حماية شرف العراق والحفاظ على ماء وجه العراقيين ويكرر كثيرا جملة : (بس فلان بطل بس فلان شريف) قال له أحدهم مرة : (يا أخي ليش ما تترك الاميركان وتروح لفلان الفلاني هو ينطيك راتب ما دام انت هيجي معجب بي بعدين جماعتك يحرمون العمل وية الاميركان ليش ما تمتثل لأوامرهم؟؟؟) لم يجبه طبعا لسبب بسيط وهو أنه يريد أن تسري المثاليات والوطنيات والحلال والحرام على غيره ويكتفي هو بشرف ترديد شعارات فارغة طالما أن القيمة العليا بالنسبة له هي المصلحة ثم المصلحة ثم المصلحة .

المشكلة الأكبر تكمن في هؤلاء الذين يعيشون في دول أوربية ويحرضون عليها في الجوامع التي شيدوها على أراضيها . والتقصير الحقيقي يكمن في هذه الدول التي تعطي

حق اللجوء لمجموعة من الجاحدين المارقين . من المستغرب أن تقوم هذه الدول بمنح هؤلاء حق اللجوء!!! ولا أدري ماذا تستفيد من وجودهم؟؟؟ المشكلة ان هذه الدول التي منحت هؤلاء حق اللجوء وتورطت بهم بعد ان تضخموا وازداد جحودهم تقيأتهم علينا من خلال سماحها لهم بالسفر الى سوريا والعراق للجهاد فمارسوا كل اجرامهم واسقطوا كل ساديتهم وعللهم علينا وانتشروا كالصراصير التي تهيم على وجهها حين ترش عليها مبيد الحشرات(مع اعتذاري للصراصير).

يقول المفكر المصري سيد القمني : في قلب لندن خرج أبو حمزة المصري رافعاً يده الخطافية إرهاباً ووراءه حشد من المسلمين ليصلوا وسط الشارع إقفالاً له ووقفاً لحركة المرور ؛ فقام البوليس بحمايتهم إلى أن انتهت الصلاة ؛ وذلك إعلاماً لإنجلترا بدين الإسلام فإن لم يسلموا بعد هذا المشهد نكون قد بلغنا و اللهم فاشهد أننا سنستشهد . و حزب التحرير الإسلامي الممنوع في كل بقاع المسلمين ؛ هو ناشط كبير في أوروبا ولندن ؛ يعلن أنه سيقيم الخلافة القرشية فوق الكرة الأرضية؛ و أنه سيعرض الإسلام على ملكة بريطانيا و إلا فعليها دفع الجزية ؛ وهم يأكلون و يشربون وينامون في حماية قانون اللجوء الذي جعل من دخل لندن كان آمناً!!... و يطلبون منهم الجزية !! (انتهى) (8)

من مفارقات هذه الحياة العجيبة ... ان مؤسس جماعة (عبدة الشيطان) او (كنيسة الشيطان) انتون ليفي يقول من ضمن ما يقوله (عندما تكون في مكان احد اعطه احترامه والا لا تذهب عنده اصلا) اما المتعوذين من شر الشيطان الرجيم الذين هاجروا الى الغرب ويقيمون فيه ويعتاشون على معونته فيمعنون في شتم اصحاب المكان الذي آواهم وهم يعيشون عالة عليه.

اما المشكلة الاخرى المثيرة للدهشة فتكمن في هذا النوع الذي يعيش في بلد اوربي ويتغنى دائما وابدا بجمال الحياة هناك وبروعة الدولة المدنية وبروعة الحرية الشخصية ثم يصدمك صدمة عنيفة حين يتحدث عن خطر العلمانية على العراق وضرورة ان يتصدى الاسلاميين للعلمانيين ويوقفون خطرهم . ويدعو لانتخاب قائمة اسلامية لمواجهة خطر العلمانيين على العراق .

حضرة (جنابك) تريد دولة اسلامية في العراق وتخشى عليه من العلمانية؟؟؟ ما الذي يجعلك تعيش في بلد علماني واذا كانت العلمانية خطر لماذا تتغنى بجمال الحياة في بلد علماني ؟؟؟واذا كان قلبك يرجف على الاسلام وتريد ان يكون الحكم اسلامي لماذا لا ترجع لتشارك المسلمين همومهم وتشارك في انشاء حكم اسلامي ام انك تريد التنعم بدولة مدنية تحترم حرية الانسان الشخصية ويسقم غيرك بشعارات تستغل الدين ابشع استغلال وتسلب ارادة المواطن باسم الله ؟؟؟

ما الذي يجعلنا نحن العرب والمسلمون مصدر خطر للغرب ويحاربنا بشتى الوسائل و الواقع يقول اننا نعتمد في كل شيء من الإبرة الى الصاروخ عليهم ؟؟؟

هل فعلا الغرب يحسدوننا ويغبطوننا وليس لديهم شغل شاغل الا الايقاع بنا؟؟؟هل هذا واقعي؟؟؟على ماذا يحسدوننا؟؟؟اذا كنا نحن انفسنا بمختلف شرائحنا نغبطهم على نظام حياتهم . فالمتدين يقول وجدت الاسلام ولم اجد المسلمين والعلماني يقول اين نحن منهم . لماذا اذن يحيكون لنا المؤامرات؟؟؟هل يمكنك ان تتخيل ان هذا لمجتمع الذي صنع مؤسسات علمية واجتماعية نشطة وعاملة منشغل في التخطيط لهدم امة ميتة مسبقا؟؟؟

حسنا...الانسان عودنا ان نتوقع الغير متوقع لان سلوكياته ليست منطقية دائما...على فرض ان الغرب يريد الاطاحة بالمسلمين وابقائهم على تخلفهم فالمشكلة ليست فيما يريده الغرب بل فيما نريده نحن . ان محاربة الانسان لاخيه الانسان ليس شيء جديد بل هناك سوابق في التاريخ البشري تثبت ذلك . فهذا هو الانسان يحارب أخاه الانسان منذ الأزل ولا يوجد جديد في هذا الأمر وسيبقى يسير وفق منطق القوي يأكل الضعيف الى إشعار آخر او كلما اتيحت له الفرصة . نعم الغرب يبحث عن مصالحه حتى لو كانت على حساب مصالحنا بل حتى لو كانت على حساب خياراتنا .هم حدووا خياراتهم وحددوا بوصلتهم التي تشير دائما الى المصلحة . نحن من نعمل دائما عكس مصالحنا تحت شعارات وعناوين سحقتنا وسحقت آدميتنا . الواقع الفعلي الثابت هو ان المسلمين ياكل بعضهم بعضا مستندين على تراث ديني دون حاجة لغرب يتآمر عليهم .

هناك من يقولون ان الفكر الديني من الممكن ان يحول المسلمين الى أسياد العالم لكن الغرب استفاد منه والمسلمين اهملوه...الذي اراه ان المسلمين منغمسين في الفكر الديني لدرجة الهوس لكنهم لم يتحولوا الى اسياد العالم...الموضوع يتعلق بمفهوم الدين عند الانسان...ما هو الدين؟؟؟هنا تكمن المشكلة...المشكلة في العقلية...اذا كان الدين علاقة روحية مع الخالق وعلاقة اخلاقية مع المخلوق فهو يساهم في تطور الانسان حتما مهما كان هذا الدين...اما اذا كان مفهوم الدين هو تسقيط الاخر المختلف والتمترس ضده نظريا وعمليا فلا مجال لاي تطور ولن يجد الانسان الا تقهقر وتراجع وسيبقى يعيش في وهم ان العالم كله يتآمر ضده . اذا كان هناك من يريد محاربة المسلمين والتامر عليهم وفعل ذلك فعلا فهو غبي لان الحاجة لذلك منتفية فهم يأكلون انفسهم بثقافة الكراهية الموجهة ضد الاخر دون حاجة لاي تدخل .

الفكر الديني الانساني يساهم في تطور البشرية ولا يشكل خطر الا على الفكر الديني الدموي الاقصائي . فاذا كان هناك جهة من الممكن ان تحارب فكر ديني انساني (مهما كان عنوانه) فهي الجهة التي تعتنق نفس الدين لكن بمحتوى دموي .

نعم حين كان عندنا عالم اسمه إبن الهيثم كنا منافسين حقيقيين بل كنا روادا . فمن بوادر اختراعاته وصلت التقنيات البصرية الى ما هي عليه الان لكننا مع شديد الاسف لا نملك ابن

الهيثم الان . وواقعنا مختلف ويقول إننا بلدان (العالم الثالث) ونحتاج الى ان نعترف بواقعنا. حين نسمي أنفسنا أننا شعب عظيم فهذا من قبيل (من مدح نفسه ذمها) أما حين يقول الآخرون عنا ذلك فهذا يعبر عن واقع .

يبدو أنها عقدة الشعور بالتفوق القومي والديني في ظل تفوق الآخرين التكنولوجي . الغرب يحاربنا لانه يحسدنا مثلا؟؟؟ يحسدنا على ماذا؟؟؟ انظر حولك الان هل هناك شيء يستحق ان يحسدنا عليه الغرب؟؟؟ الدين مثلا؟؟؟

الدين عقيدة وفعلا العقيدة السليمة تعطي الانسان رفعة لكن هذه العقيدة ليست دين معين بذاته بل (عقيدة احترام مخلوقات الله وبذل كل جهد ممكن لاشباع المعرفة) هذا هو سبيل النجاة (للمسلم والمسيحي واليهودي واللاديني والبوذي والسيخي والبهائي والصابئي والزرادشتي...ألخ)

حين نقف على أرض الواقع ونترك تمجيد الذات بمناسبة وبدون مناسبة . وحين نعترف أننا بلد من البلدان النامية والذي يغزوه التخلف من كل مكان . في ذلك الوقت فقط سنتمكن من التقدم لأننا سنكون في قمة الواقعية وأبعد ما نكون عن الخيال .

سر تفوقهم ليس عبقريتهم فلدينا عباقرة في جميع المجالات ولكن هؤلاء خارج نطاق الخدمة ولن ترى افكارهم النور لان هناك شريحة لا يستهان بها لا تفكر ولا تسمح لغيرها ان يفكر وتقمعه حتى النهاية بشتى الوسائل .

نكتة قرأتها قبل سنوات تقول : رفع احد الخبثاء لافتة امام بيته مكتوبا عليها(شعاري في الحياة ... ليس المهم ان انجح المهم ان يفشل الاخرون) يبدو ان هناك نسبة لا يستهان بها من الناس في مجتمعنا رفعوا نفس الشعار .

الرتابة هي الطاغية للبقاء في المنصب او للحفاظ على الشعور بالامان الذي تولده تلك الرتابة . نعم قد يسرقون جهودهم وينسبوها لنفسهم لكن هيهات ان ينصفوهم الا ما رحم ربي .

يقول الدكتور احمد زويل : الغرب ليسوا عباقرة . ونحن لسنا اغبياء . هم فقط يدعمون الفاشل حتى ينجح ونحن نحارب الناجح حتى يفشل .(9)

لماذا هذه الاخلاق يا سمو الاميرة؟؟؟

وأنا أقلب صفحات أحد المواقع العراقية قرأت موضوع يتحدث عن هموم العراقيين في السويد فلفت انتباهي الرد التالي باللهجة العراقية: (شخصياً كلما اشتاق للعراق اروح للسفارة واشبع قهر ومذلة ولا ابالية من قبل الموظفين وارجع ... أول البارحة سلمت على موظف الاستقبال بالسفارة ... جان رئسا يگلي (شتريد ؟؟؟) (يقصد دون أن يرد السلام)

قبل سنوات كنا في نقاش انا وصديقي الكاتب والصحفي العراقي المغترب (احسان كريم ديبس) فسرد لي القصة التالية :

ذات يوم وبينما كنت في عملي ، وعلى وشك الوصول للمكان الذي كنت انوي الذهاب اليه بسيارة العمل , توقفت عند أحدى الإشارات الضوئية . بعد أن وهج لونها الأحمر توقفت بجانب سيارتي سيارة سوداء يجلس فيها شخص بجانب السائق يرتدي نظارات توحي بأنه أحد أعضاء رجال الأمن ، نظر لي وابتسم فتسائلت بنفسي لماذا ينظر لي ويبتسم ، فنظرت لمن يجلس بالكرسي الخلفي ، وإذا فتاة جميلة تحدق لي بعينيها الواسعتان كالبحر وبثغر مبتسم جميل ، كان الزجاج المضلل لا يظهر كثير من محاسنها ، وكأنها شعرت ما بداخلي ، ففتحت نافذة الباب الذي كانت تجلس بجواره ولم أصدق عيني انها هي ، نعم انها هي ، تبتسم لي وتوميء بيدها ملقية التحية عليّ !! لم أصدق نفسي بأن بيني وبينها بضع سنتميترات ولا يفصل بيننا غير بابي سيارتي وسيارتها ، ولم اعلم ما افعل غير ان ابادلها التحية والإبتسامة وحينها تمنيت لو ان ضوء اشارة المرور لا يتحول للأخضر كي لا تنتهي هذه اللحظات الجميلة ، ولكن لابد للسير أن ينطلق وكل شخص يتخذ سبيله ، فتعجبت وتسائلت في نفسي مرة أخرى ، متى يكون ذلك في مجتمعاتنا العربية ؟ فأجبت مسرعاً على السؤال .... لا يكون ذلك ابداً . لقد كانت بحق أميرة ، وتستحق أن تكون ولية عهد ابيها الملك كوستاف ، انها الأميرة فكتوريا ، وليه عهد ملك السويد .(انتهى)

تخيل أنك في بلاد الغربة وتقود سيارتك فتصادفك ولية العهد أي الملكة المستقبلية وتعاملك بكل لطف وكياسة وخلق رفيع وتبادر في تحيتك وتبتسم لك لتذكرك بانك أنسان مرحب به . وتخيل أنك في بلاد الغربة وتشعر بالحنين الى الوطن فتذهب الى السفارة لتستفسر عن بعض المعلومات ولتبحث عن من يتحدث لهجة بلدك ومن يخفف عنك لوعة الاشتياق وحين تسلم على موظف الأستقبال يقول لك (شتريد) بدون أن يرد على سلامك ليذكرك بانك أنسان غير مرحب به .

الحقيقة هي ان جميع العاملين في الدولة من رئيس الجمهورية الى اصغر موظف ليسوا اكثر من موظفين يدفع الشعب لهم لقمة عيشهم مقابل خدمة يقدمونها . لكن هذه الثقافة شبه مفقودة في مجتمعنا .

كان احدهم يراجع أحدى المستشفيات في بغداد وكان هناك طابور طويل في الانتظار قبل الوصول الى الطبيب وحين وصل الدور له قرر أن ينحني قليلا ليحدث الطبيب دون أن يتمكن باقي المراجعين من سماعه كونه يعاني من حالة محرجة نوعا ما. وأثناء حديثه نظر اليه الطبيب بوجه مليء بالأنزعاج وقال له :(أوگف عدل واحجي) . فما كان من هذا الشخص الا أن مزق ملف المراجعة الخاص بالمستشفى وقال للطبيب :(أنت طبيب مو ضابط وأني مريض مو جندي عندك) وخرج من المستشفى لا يلوي على شيء .

شعر هذا الطبيب بالاهانة حين أنحنى المريض ووضع يده على المنضدة . شعر بأنه فقد توازنه وفقد وضعه الطبيعي كطبيب يملك مكانة رفيعة تشعره انه أعلى من أن يتعامل معه المريض بعفوية . ما يجعل هذا الطبيب يسلك هذا السلوك هو شعوره المفرط بالرفعة والعلو والرقي قياسا بالمريض . فهو يعتقد بانه أنسان من طراز رفيع تمكن من الحصول على شهادة الطب بمجهود وذكاء غيرعاديان لا يستطيع الأنسان العادي تحقيقهما . مما يعطيه شعور بانه أكثر رقي من أن يتحدث ببساطة وبدون تكلف مع المرضى .

يقول الدكتور علي الوردي : كنت أصبغ حذائي ذات يوم على رصيف شارع في نيويورك , وكان الصباغ يتوقف عن الصبغ بين لحظة وأخرى ليتحدث الى رجل كان واقفا بجانبه وعليه سيماء الوقار . لقد كانا يتحدثان عن رحلة للصيد قام بها ذلك الرجل الوقور هو وزوجته في سواحل كاليفورنيا ... وبعد ذهاب ذلك الرجل سألت الصباغ عنه فقال :(أنه صديقي .. وهو مدير هذا المستشفى) وأشار بيده الى مستشفى قريب كبير جدا لعل مستشفانا الحكومي لا يصلح أن يكون مطبخا فيه . لقد ذهلت حقا حين وجدت ذلك المدير الكبير يتحدث الى الصباغ الذي كان يصبغ حذائي . ولقد تذكرت انذاك ما يروى عن علي أبن أبي طالب من أنه كان أيام خلافته في الكوفة يكثر من الجلوس في دكان بقال , أذ كان البقال صديقه , وكان الخليفة يبيع التمر مكانه أذا غاب . يقول جعفر بن محمد : (ما من رجل تكبر أو تجبر ألا لذلة وجدها في نفسه وهذا قول يصدق في حالات كثيرة (انتهى).(10)

ماذا قال لي اللاعب البرازيلي؟؟؟

كانت السماء ملبدة بالغيوم في ذلك اليوم الذي ذهبت فيه مسرعا فور عودتي من المدرسة للذهاب لاحد الاندية الرياضية(يعني من المدرسة كبل وعدل) لم تكن لصيحات امي ومطالبتها بالبقاء لتناول الغداء اي فائدة . وصلت الى النادي متأخرا كعادتي وكانت هناك مباراة بين فريقين من الفرق الشعبية . انظممت الى الحشود المتجمهرة لمشاهدة المباراة والتي كانت تقف على جانبي الملعب وكان بعضهم صاعدا على السياج الحديدي الذي يحيط بالملعب (متشلبهين) لفت انتباهي احد اللاعبين الذي كان مختلفا في كل شيء فكانت بشرته سوداء وتجهيزاته راقية(تراكسود اديداس وبوتين بوما) . لم اتردد في ان اسأل اقرب شخص عن هذا اللاعب فأجابني (هذا برازيلي). اثارت هذه المعلومة فضولي الى اعلى الدرجات فبقيت اتابع هذا اللاعب . كان عندما يمسك الكرة يقوم بألعاب فردية ممتعة وجميلة . كل ما كان يقوم بحركة كان الجمهور يشتد حماسه وينطلق تصفيقه . في تلك اللحظة فقط صدقت انه برازيلي فطلبت من الشخص الذي يقف قربي ان يحدثني عنه اكثر فقال لي (هذا يشتغل بالامم المتحدة يعني دوبلوماسي بس يجي للنادي دائما يلعب وية الفرق الشعبية) تأملت الطريقة التي يلعب بها . كان متعاون جدا مع بقية اللاعبين ولم يكن انانيا وكان يذهب الى اي لاعب من فريقه لتحيته بعد اي ضربة جميلة او مناولة صحيحة . اثار انتباهي شيء هو ان الجمهور كان واقفا على جوانب الملعب ولم يكن هناك احد خلف الاهداف فقلت في نفسي(والله لعبتهة اروح اكعد عالسياج

ورة الكول وحدي واتفرج براحتي)فذهبت مباشرة الى هناك لأجلس وحدي والشعور بالحيرة لا يفارقني!!!كيف ان الجمهور مزدحم على الجوانب ولا يوجد اي احد خلف الاهداف؟؟؟تمنيت الحديث مع هذا اللاعب حالي حال من هم في عمري من الصبية الذين يثيرهم فضول الحديث مع الاجانب. سبحان الله لحظات وتحققت امنيتي وجاء هو للحديث معي ويا ليته لم يأتي . كانت الكرة عنده وكان يبني هجمة وتردد في ان يناول الكرة او يسدد مباشرة على المرمى . لسوء حظي اختار التسديد وكانت ضربة صاروخية لكنها لم تصب المرمى بل اصابت وجهي مباشرة . في تلك اللحظة عرفت لماذا كنت جالسا وحدي خلف المرمى والجمهور متوزع على الجوانب (طبعا طفالي عيني وكمت ما اشوف) جاء مسرعا نحوي يقول (are you all right) فأجبته ووجهي مبتسم (ماكو شي ماكو شي) انا اعلم طبعا انه لم يفهم شيء الا اني بصراحة) نسيت حتى (yes و no) من شدة الضربة.

أحد الاشخاص يعمل سكرتير مع رئيس قسم في احدى الدوائر . في أحد الايام قال له رئيس القسم (اني راح اصلي لا تفتح الباب ولا تخلي احد يدخل علية) بطبيعة الحال كان هناك مراجعون و كان احدهم رجل كبير السن ومريض و جاء من مسافة بعيدة جدا. يقول صديقي بدأ المراجعين يشعرون بالضجر والملل لكثرة الانتظار فمر عليهم أكثر من ساعة ورئيس القسم يصلي وظهر التعب والارهاق على الرجل المسن . فشعر صديقي بالتعاطف معه ومع ان رئيس القسم أوصاه بعدم الدخول الا أنه لم يحتمل حال الرجل المسن خصوصا انه لا يحتاج شيء أكثر من ختم ليذهب الى بيته . فدخل الى الغرفة ووجد رئيس القسم جالس على السجادة يقرأ القران فقال له (استاذ الناس واكفة تنتظر وأكو رجال كبير السن ومريض وما يحتاج بس ختم) فاجابه بغضب : (مو تشوفني اقره قران ماكو حرمة للقران؟؟؟) فأجابه : (تسهيل أمر الناس أفرض) طبعا أخذ الموضوع نصف ساعة اخرى لينهي صلاته . لكن بعدها قام بنقل السكرتير .

جثة لعراقي في الدنمارك وجثة لاسرائيلي في لبنان

في عام 2004 ومن خلال صفقة مع حزب الله أستبدلت الحكومة الاسرائيلية جثث ثلاث جنود أسرائيليين بالتالي :

(400 فلسطيني – 23 لبناني – 5 سوريين – 3 مغاربة – 3 سودانيين – ليبي واحد – ألماني واحد – 59 جثة لمواطنين لبنانيين)(11)

في عام 2010 توفى مواطن عراقي في عقده السادس وحيدا في منزله في الدنمارك بمدينة ستروور غرب جزيرة يولند وأكتشفت الشرطة الامر بعد ثلاث أيام من وفاته . وحين أكتشفوا انه وحيد وليس لديه لا عائلة ولا أصدقاء أتصلوا بالقنصلية العراقية

فأبلغتهم القنصلية أنهم لا شان لهم بهذا الامر وهذا الشأن يعود للجالية العراقية في مدينته .

فأبلغتهم القنصلية أنهم لا شان لهم بهذا الامر وهذا الشأن يعود للجالية العراقية في مدينته .

فأبلغتهم القنصلية أنهم لا شان لهم بهذا الامر وهذا الشأن يعود للجالية العراقية في مدينته .

ليس هناك خلل في الكتابة كررت الجملة ثلاث مرات لعلي استوعبها! على ضوء رد القنصلية سلمته الشرطة للمستشفى لأجراء اللازم حسب القانون في حال كان المتوفي وحيدا. فقررت المستشفى حرق الجثمان خلال 14 يوم أذا لم يسال عنه احد . لكن مسعى الشرطة في الوصول الى أقارب أو اصدقاء هذا الشخص بقي مستمرا . فأتصلوا برئيس الجالية اللبنانية في مدينة هولستبرو الذي أتصل بدوره ببعض العراقيين في مدينة مجاورة . وفي النهاية قام أبناء الجاليتين العراقية واللبنانية مراسيم دفنه واقاموا له واجب العزاء اللازم قبل ثلاث أيام من موعد حرقه.(12)

لن اقول لماذا تعطي اسرائيل مئات الاسرى الاحياء مقابل جثة هامدة ولن اقول ما أقسى قلوب الموظفين في القنصلية العراقية بسبب عدم مبالاتهم بموت أبن بلدهم وحيدا وليس هناك من يدفنه . لأن هذه الأقوال اصبحت بلا طعم ولا لون ولا رائحة . هذا واقع بورصة (القيم الانسانية) ولكل أنسان قيمة يتم تحديدها قياسا بمدى أهتمام دولته به ومدى دفاعها عنه.

العراقي كان عرضة للحرق وهو ميت وفي أرض الغربة وهذه قيمته في نظر قنصلية بلده . أما الاسرائيلي فحكومته مستعدة لأطلاق سراح أخطر خصومها من المعتقلات وبالجملة في سبيل عودة جثمانه الى وطنه.

ان المسؤولين في بلادنا يعرفون جيدا ما هي الصفات الحميدة وما هو السلوك الصحيح . لكن الموضوع لا يتعلق بالمعرفة بل بطريقة التفكير والطبيعة الذاتية التي تولد من رحم المجتمع . فكثير من الناس يمتدحون صفة لكنهم لا يتمتعون بها أو يذمون صفة لكنهم يتصفون بها.

من الطبيعي أن أشعر بانبهار عالي حين أعلم ان مدير احدى الشركات الالمانية لصناعة الادوية قام بنفسه بربط حذاء موفدة عراقية ضمن وفد عراقي لانها كان يتعذر عليها الأنحناء كونها ترتدي بدلة أمان ثقيلة الوزن . أشعر بأنبهار عالي لان في بلدي ثقافة مختلفة وطبيعة مجتمع مختلفة فالمدير في بلدي يرى أن هكذا فعل يقلل من قدره امام الاخرين . وأذا تهور المدير وفعل ذلك فلا بد أن تجد من يقول عنه ضعيف الشخصية.

الأنبهار بنمط الحياة الاوربية وطبيعة الفرد الاوربي فضلا عن الأنبهار بالتطور العلمي أمر طبيعي في مجتمعنا خصوصا ما يتعلق (بالبساطة لدى الشخصيات رفيعة المستوى وذات المكانة الاجتماعية العالية). خصوصا حين يكون الحديث منصبا عن (روح التعاون والالتزام بالقانون). وسبب تأثرنا بهاتين النقطتين أكثر من غيرهما هو أفتقادنا لها بشكل ملحوظ .

كما قنا سابقا ... نحن في زمن واحد لكن في عهد مختلف ... فنحن نعيش ماضيهم وهم حين يشاهدوونا فهم يشاهدون تجسيد حي لماضيهم الغير موثق صوريا او فيديوا .

حرب اهلية...جماعات سرية ذات اهداف عنصرية طائفية... حملات رعب منظمة موجهة ضد الاخر...لا اتحدث عن بلدي العراق بل اتحدث عن الولايات المتحدة الامريكية في القرن التاسع عشر .

بعد أنتهاء الحرب الاهلية ظهرت مجموعة من المنظمات السرية التي تهدف الى اهداف مختلفة منها منظمات تدعو الى مواجهة المد الكاثوليكي القادم من أوربا مثل (جمعية حماية أمريكا)التي تنادي بالوقوف بوجه الهجرة المتزايدة من الكاثوليك القادمين من النمسا وايطاليا والمانيا وقاموا ببث الاشاعات لتهييج الناس ضد الكاثوليك ومنها : (ان البابا يطالب بحرق كل منزل ليس كاثوليكي) لتخويف المجتمع من الكاثوليك الذين يتبعون البابا. وبذلك تكون عمليات العنف ضدهم مبررة وما هي الأ دفاع عن الوجود .(13)

وظهرت أيضا (جمعية كوكلوكس) التي تدعو الى مواجهة كل من هو (ليس بروتستانتي وليس أبيض) أي أنها عنصرية مزدوجة طائفية عرقية فضلا عن دعواتها الى مواجهة البيض البروتستانت المتعاطفين مع السود وتعرف الجماعة باسم (k.k.k) ولهم طقوس معينة ويقومون بنشاطاتهم ليلا وبملابس بيضاء ويركبون الجياد ويغطون وجوههم بقماش أبيض وكانوا يهددون السود بتخويفهم من خلال وضع جماجم بشرية في بيوتهم و يبثون أشاعات وحجج لكسب الرأي العام كبثهم لفكرة (أن نساء البيض مهددات من قبل السود) ليكون هجومهم في نظر العامة دفاع عن النفس.(14)

تقطع الشعوب وقت طويل نسبيا لتصل الى نمط حياة معين . الشعوب التي تعيش بنمط حياة ديمقراطي مثلا لم تصل أليه ألا بعد تجربة أنماط اخرى مختلفة تماما عن الديمقراطية . ويبدو ان هناك دورة حياة زمنية تأخذ أجيال لتصل بشعب ما الى نمط حياة مستقر ومريح . وكما هو واضح فان الشعوب لا تمر في نفس التجارب بالتزامن . فهناك من يبدأ من حيث انتهى الاخر لكن المعضلة أنه يمر بأغلب ما مر به الاخر من تجارب دون أن يتمكن من أختزال بعض المراحل المريرة . قد يحدث أختصار للزمن بشكل نسبي لكن لا يمكن الخلاص من المراحل التي تعدها الشعوب السباقة مراحل حزينة ومؤلمة .

لماذا يكرر الأنسان نفس التجارب خطوة بخطوة (مع أختلاف التفاصيل والتسميات)؟ ولماذا يصر على المرور بنفس المراحل مع علمه المسبق من خلال الاطلاع على تجارب الاخرين ان هناك خطوات كثيرة لم تكن في محلها ولم تكن مهمة وليست ألا هدر للأرواح وللجهود وللوقت؟؟؟

هل كان من الضروري ان تمر ألمانيا بهتلر وبالحزب النازي وهل كان من الضروري ان يجتاحها الجيش الامريكي لتصل بعد عقود من الزمن الى ما هي عليه الان ؟؟؟ وهل مرور

العراق بصدام وتجربة حزب البعث ومروره بأجتياح أمريكي يعني أنه سيصل بعد عقود الى ما وصلت اليه ألمانيا ؟؟؟ لا يوجد من يملك جواب مهما كان مسلحا بكم هائل من المعلومات ومهما كان مسلح بمقدار عالي من الذكاء .

هناك تشابه ملحوظ في بعض الاحداث التي تشكل المفردات الرئيسية بين اللوحة العراقية 2003 واللوحة الألمانية 1945 لكن الفروق شاسعة من حيث أجمالي اللوحة فواقع العراق قبل صدام ليس نفس واقع المانيا قبل هتلر . لكن هذه الفروق الشاسعة لا تنفي أن نقاط التشابه مثيرة للانتباه . (نظام شمولي يحكمه الفرد الواحد والحزب الواحد يدخل في صراعات مسلحة مع قوى عظمى تؤدي هذه الصراعات الى سقوط النظام وأجتياح البلد من قوى أجنبية) .

يقول المفكر التونسي (العفيف الاخضر) : واقعة الدولة السلطوية ، على اختلاف درجاتها،تكررت بانتظام في عديد البلدان والقارات.مما يجعل منها قانوناً تاريخياً لا ينفع معه المدح أو الهجاء.المقاربة المعقولة الوحيدة هي محاولة فهم هذا القانون للتحكم به إلى حد ما.إذن،الادعاء بأن الدولة السلطوية "لا ضرورة لها ولا حكمة فيها"لا يخبرنا عن الظاهرة بقدر ما يخبرنا عن ذهنية القائل السحرية ومدى جهله بالتاريخ. الديمقراطية كانت دائماً ضرورية ولكنها لم تكن دائماً ممكنة. فرضها قبل توفر شروطها كان سيكون كارثة عليها (انتهى).(15)

اطلاع مجتمع يطمح الى الديمقراطية على مراحل تحول مجتمع اخر سبقه أليها لا يمكن ان يلغي حقيقة مروره بنفس المراحل المريرة . تماما كفلم من أفلام هوليوود التي تتحدث عن معرفة المستقبل مسبقا وكيف يحاول البطل جاهدا تغيير مجريات الاحداث الى مسار اخر لكن دون جدوى مهما فعل يصل الى نتيجة واحدة .

لا فرق تكويني

حين نحاول محاكاة الديمقراطية الاوربية فنحن في الواقع نحاكي المستقبل الغير ملموس بالنسبة لنا كمنظومة مجتمعية متكاملة . نعم من الممكن أن نعيش حاضرهم كأفراد ننسلخ من مجتمعنا لنعيش في مجتمعهم بشكل كامل . فلا يوجد أي أختلاف تكويني بين الانسان العربي الشرقي والانسان الغربي . ولو وجد أختلاف في بعض المواصفات الشكلية فهو ليس أختلاف ذو قيمة تذكر وليس ذو علاقة مباشرة بسلوك المجتمع .

فلو أخذنا طفل عراقي عمره يوم واحد من أحدى المدن النائية الغير متمدنة وأستبدلناه بطفل هولندي من مدينة أمستردام وقامت كل عائلة بتبني طفل العائلة الاخرى سنجد بعد 20 عام ان الطفل العراقي قد اكتسب كل ثقافة المجتمع الهولندي ولم يبقى من عراقيته ألا ملامح شكله والعكس صحيح أيضا فالطفل الهولندي سيكتسب كل صفات البيئة التي نشأ بها . المجتمع والبيئة هما الفيصل وما يثبت كلامي هو أبناء العوائل العراقية المغتربة الذين ولدوا

في أوربا أكتسبوا كل ثقافة البلد الذي يقيمون فيه (مع بعض الثقافة العراقية المكتسبة من البيئة الداخلية – العائلة -)

يقول علي الوردي : البقال في نيويورك مثلا لا يمتاز في تركيب عقليته عن البقال في بغداد أو قرة تبة أو تلكيف . أن الفرق بينهما ان وجد هو أن أحدهما يستخدم في عمله مخترعات والالات دقيقة ليس له يد في أبتداعها بينما الاخر لا يستخدم شيء من ذلك ألا نادرا فالفرق أذن حضاري لا فردي وكل منهما صنيعة الحضارة التي يعيش فيها (انتهى).(16)

حين تجد المسؤول الاوربي يلتزم بالقانون ويراعي مطالب شعبه ويحترمها فليس لانه مختلف نوعيا عن المسؤول العربي . فأسلافه في القرون الماضية كانوا اكثر سوء من مسؤولينا الان . لكن ما يجعله يلتزم بالقانون ويحترم رغبة الجمهور هو الثقافة السائدة والرأي العام الواعي والشعور بوجود رقيب . ولا ندري لو اتيحت الفرصة لسياسي غربي طامح في ظروف منفلتة هل سيتحول الى حاكم شمولي ام لا ؟؟؟

يقول الوردي : يحكى ان زوجة وزير للمالية في احدى بلاد الله الراقية أحتاجت الى شيء من العملة النادرة أذ كانت مريضة وتريد ان تسافر الى منطقة من مناطق العملات النادرة وخشي زوجها ان يوقع على ورقة المبلغ الذي تحتاج أليه وذهبت الزوجة الى حيث وقفت مع سائر الناس تنتظر دورها أمام شباك المصرف المختص فلعلها تحظى منه بشيء يكفيها. أن هذا الوزير لا يختلف عن هارون الرشيد من حيث طبيعته البشرية . كلاهما يدعي انه يخشى من الله ويطلب الحق والحقيقة . سبب الفرق أن الرشيد كان يفعل ما يشاء فلا يحاسبه أو يعارضه أحد . أما صاحبنا الوزير فهو يابى أن يوقع على ورقة بسيطة من أجل زوجته المريضة لأنه يخشى أن يسمع بذلك الرأي العام فينتهز حزب المعارضة الفرصة ويعلنها عليه دعاية فاضحة لا تبقي ولا تذر (انتهى) .(17)

العادات الاجتماعية الحسنة

ان العادات الاجتماعية الغربية التي نجدها مثيرة للدهشة مثل عدم رمي الاوساخ في الشارع أو الالتزام بالقانون والنظام بشكل طوعي وبرغبة شخصية لم تاتي بيوم وليلة . وهي نتاج جهد سنوات طويلة من العناء أحتاجت منهم أجيال .

نموذج من الواقع :

لنفترض ان الدولة في العراق فرضت قانون دفع غرامة مالية وسجن لمدة ثلاث أيام على كل من يرمي الاوساخ في الشارع . ووفرت كمية كافية من سلات المهملات كي لا يتذرع من يرمي الاوساخ بعدم وجود مكان مخصص . وتشددت في تطبيق هذا القانون الى أعلى الدرجات . وتم تطبيقه بشكل فعلي . وذاق من يرمي الاوساخ طعم دفع مبلغ 50 دولار

غرامة وذاق طعم السجن 3 ايام . لم ولن يفكر مرة أخرى في رمي الاوساخ . طالما ان القانون مطبق بشكل دائم وبقوة وكلما فكر في رمي الاوساخ في الشارع سيتذكر الألم الذي عاناه من فقدان حريته وفقدان أمواله . أول شيء سيعلمه لأبنه هو أن رمي الأوساخ أمر معيب وفيه عواقب وخيمة لأنه أنكوى بنار العقوبة . أما أبنه فانه لن يكون كوالده فالحال عنده مختلف فهو تربى على أن رمي الاوساخ أمر معيب يعاقب عليه القانون . ولن يمتنع لأنه شعر بالم الحبس أو الغرامة . بل لأنه تثقف على هذه الثقافة ونشا عليها . ماذا عن أبن الابن ؟ ابن الابن سيكون أكثر ألتزام وأكثر طواعية في تطبيق هذا القانون لأنه وجده عادة أجتماعية دارجة ووجد ان من يرمي الأوساخ في الشارع منبوذ من البقية ويعتبر غير متحضر . وهكذا تتحول النظافة في الشارع الى عادة أجتماعية . بأختصار قوة القانون والانكواء بنار العقوبة المادية والمعنوية هو من يشيع ثقافة معينة ويجعلها دارجة بين أبناء المجتمع كالنار بالهشيم وليس الكلام المثالي .

من المفارقات الغريبة التي تستحق ان نتوقف عندها هي اننا نتعايش مع الامر الواقع بسرعة مذهلة فنصبح قمة في الالتزام بالنظام والقانون حين نسافر خارج الوطن وقمة في الفوضوية حين نكون داخله ! حدثني احد اصدقائي عن حالة حدثت امامه حين ركب الطائرة مسافرا الى احدى البلدان . يقول ان الركاب كانوا يتصرفون بفوضوية داخل الطائرة ولم يكفوا عن الضجيج الا بعد جهد جهيد لكن نفس الركاب تحولوا الى كتلة من النظام فور نزولهم في مطار الدولة التي سافروا اليها !!! انها مفارقة تستحق التأمل حقا .

الدولة المدنية...دولة الانسان

أروع ما أخترعه العقل البشري هي الدولة المدنية التي تضمن حق المتدين وغير المتدين معا . ليس لنا خيار الأ دولة مدنية وهذه الدولة لا تأتي بجرة قلم بل تحتاج الى نقطة بداية وخط شروع تصاعدي في كل خطوة يخطوها يقوى القانون المدني المتحضر ويضعف قانون الغاب الذي يعطي الحق لكل من هب ودب أن يسلب ارادة الاخرين .

هؤلاء الذين يرغبون بالتسلط على المجتمع يشعرون بالعجز امام مقومات نجاح الدولة المدنية وملائمتها لجميع اصناف البشر . لذلك يلجأون لحيلة بائسة وهي ترديد مفردة (محاربة الدين) وربطها بمفردة (العلمانية) والمؤسف ان كثير من الناس انطلت عليهم هذه الخدعة والكثير من الذين يروجون لها يعلمون جيدا ان الدولة المدنية هي الحل المثالي لكن لا يقاومون رغبتهم بالتسلط على المجتمع وسلب ارادته وثرواته باسم الله؟؟؟...لا تجعلوهم يضحكون عليكم بهذه الخدع السينمائية البائسة...احكم بنفسك... لا يستطيع احد منعك من الصلاة او الصوم او اي لون من الوان الالتزام الديني...كيف تصدق هذه الترهات وانت

تشاهد بنفسك المسلمين في اروبا العلمانية يعيشون حياة افضل من حياتك باشواط طويلة ومن جميع النواحي . ويمارسون طقوسهم الدينية بكل حرية واريحية؟؟؟

لا يرعبوكم بتسميات تم تشويهها من قبلهم لينفروكم من شيء انتم تعلمون جيدا انه هو الطريق الامثل (العلمانية كفر...الدولة المدنية إلحاد) ما قيمة هذا الكلام امام الواقع الذي تراه بام عينك؟؟؟

في الدولة المدنية...أذا قام شاب بالتحرش بفتاة في الشارع فمكانه السجن . واذا قام رجل متدين ملتحي بأيقاف سيدة تمشي في الشارع تلبس بنطال ولا تلبس حجاب وطلب منها أن تلبس الحجاب بأسم تطبيق الدين فمكانه السجن ايضا لأنه انتهك الحرية الشخصية للاخرين.

في الدولة المدنية لكل مقام مقال والقانون صاحب الكلمة الاولى فليس من المعقول أن يقوم أحدهم بشرب الخمور في دار عبادة فهذا فعل يجب أن يوضع فاعله في السجن ليعرف حدوده التي يرسمها له القانون الذي يراعي حرمة الجميع . وليس من المعقول ان يكون مكان النادي الليلي في منطقة سكنية وليس من المعقول ان يقوم شاب لم يتعدى السن القانوني بدخول نادي ليلي . ولا يسمح القانون بأن يسكر أحدهم ويعربد في الشارع وفي نفس الوقت لا يسمح لكل من هب ودب أن يتسلط على الجتمع وكل هذه الامور ينظمها القانون .

هب أن شرطي متدين حتم عليه واجبه أن يحرس مؤسسة ذات افكار ليبرالية . عليه كرجل قانون حماية مرتادي هذه المؤسسة حتى لو كان يراهم مخطئين . وهب ان شرطي غير متدين حتم عليه واجبه حماية دار عبادة فعليه القيام بواجبه بكل حرفية حتى لو كان في داخله غير مقتنع بالتدين.

الملازم نزهان الجبوري وهو من أهالي المنطقة الغربية (سني المذهب) وزميله العريف علي السبع أستشهدا وهما يدافعان عن الشيعة وفي منطقة شيعية وهي مدينة البطحاء في الناصرية دافعا عن الشيعة وهم يقيمون مراسيم الزيارة الاربعينية وهي كما نعلم زيارة شيعية (وأن كان هناك نسبة من السنة يشاركون بها) ألا أنها من طقوس الشيعة في المقام الاول . المهنية والتمدن يقتضيان أن يقوم رجل القانون مهما كان انتمائه القومي او الديني او المذهبي او الفكري بحماية ليس فقط من يختلفون عنه بل حتى من يناقضوه بالسلوك اوالفكر . والفيصل في كل هذا هو القانون الذي يجب ان يصمم لحماية الحرية الشخصية للأنسان .

شعب غير ناضج ينتج مؤسسات غير ناضجة

كوننا شعب غير ناضج لا يعني أننا أغبياء أو أدنى من مستوى البشر . فنحن نمر بمرحلة سبقنا غيرنا أليها وعبروا ألى مراحل أكثر تقدم منها . كما يمر الأنسان بمراحل عمرية .

كل ما هنالك أننا في بداية الطريق . وقد تحدث متغيرات لا يتوقعها أحد ولا تخطر على بال أنسان . وهل هناك شيء أكثر غرابة من مسار الحياة وتقلباتها الغامضة والغير متوقعة؟؟؟

يقول الجواهري : نحن الذين أعرنا الكون بهجته لكنه الدهر أقبالا وأدبار

قد نسمع شاعر أمريكي في عقود قادمة يردد نفس المضمون باكيا على اطلال ماضيه التليد. من يدري؟كل شيء جائز .

العبرة ليست في ان تؤسس دولة عظمى تكتسب عظمتها من جيشها القوي وتكنولوجيتها ونفوذها على باقي الدول. العبرة في ان تؤسس نظام اجتماعي سياسي اقتصادي قادر على تلبية حاجات الفرد .

الدول العظمى الحقيقية

ما يعجبني في الولايات المتحدة انها تجمع مختلف الاعراق والاديان والقوميات . ويستطيع اي شخص مهما كان البلد الذي قدم منه ان يندمج في مجتعها ويعيش في ظل قانونها كما الاخرين الذين يعيشون منذ مئات السنين . لكنها في نظري ليست دولة عظمى .

حسب رأيي الدول العظمى الحقيقية هي الدول الاقل مستوى في معدل الجريمة والاكثر سعادة ورفاهية . هذه هي الدول العظمى وليست الدول المتنفذة التي تسيطر على القرار الدولي . لا اعلم تحديدا اي دولة هي الافضل امانا وسعادة فقد تكون النرويج او الدنمارك او اليابان او ايسلندا او غيرها . لكني اعلم جيدا ان روسيا وامريكا ليستا في هذه القائمة . العظمة الحقيقية ليس في ان يكون لديك جيش عتيد بل في ان يكون لديك شعب سعيد . الدولة العظمى هي الدولة التي ليس فيها متسولين في الشارع وليس فيها مشردين وليس فيها عصابات تبيع المخدرات .

الدول العظمى هي الدول التي لا تعرف اسم رئيسها ولا تعرف شكله لانه ليس محط اهتمام وسائل الاعلام ووكالات الانباء . لان هذه الاخيرة شغوفة بتغطية الاخبار المثيرة . ومن يهتم بوضعه الداخلي لا يشكل نشاطه اي اثارة لذلك لا نعرف اسمه.

نعم عرفنا رئيس وزراء النرويج من خلال قيامه بالعمل كسائق تكسي للاحتكاك بالمواطنين لكننا لا نعرف اسمه ولم نحفظ شكله (الا لو استعنا بكوكل) ولو وضعوا صورته بعد سنة بدون تحديد هويته لا اعتقد اننا سنتذكره . ما ينطبع في الذاكرة هي اسماء واشكال رؤساء الدول المتنفذة او الشخصيات التي تثير مشاكل وقلاقل .

كم مرة ذكرت وكالات الانباء العالمية اسم رئيس جنوب السودان ونائبه (اللذان يخوضان حربا اهلية)؟؟؟او اسم الرئيس اليمني الحالي او السابق؟؟؟

وكم مرة ذكرت وكالات الانباء اسم الرئيس الامريكي واسم الرئيس الروسي اللذان يخوضان حرب سيطرة ونفوذ على القرار العالمي ؟؟؟

وكم مرة ذكرت الاخبار العالمية اسم رئيسة وزراء الدنمارك والتي شعبها من اكثر الشعوب سعادة في العالم؟؟؟

من هنا تعرف الفرق بين من ينشغل في بناء موطنه فعلا وبين من ينشغل في حرق موطنه مرة و محاولة التنفذ على العالم مرة اخرى .

كلما احرقنا علم...كلما اكتشفوا كوكب

الموت لامريكا...هو هذا الهتاف الذي اعتاد الايرانيون والعرب والمسلمون بصورة عامة على اطلاقه في التظاهرات والمسيرات المنددة بامريكا...هذا الهتاف الذي اصبح لازمة في فم الناشط الاسلامي العربي المعبأ منذ عقود طويلة لترديده .

بالمناسبة...قد يكون شعار (كلا كلا امريكا) موفق اكثر من شعار (الموت لامريكا) لانه يعبر عن الرفض دون اقحام مفردة الموت المائعة والتي لا نعلم ماذا يقصد بها تحديدا...او بالاحرى لا نعلم من يتمنون موته تحديدا؟؟؟من يطلقون شعار الموت لامريكا...من الذي يتمنون موته؟؟؟

هل يتمنون موت الشعب ؟؟؟ موت الارض ومن عليها ؟؟؟ موت الحكومة؟؟؟ موت مؤيدي اسرائيل في امريكا؟؟؟ موت مؤيدي اسرائيل فقط بسكتة قلبية مثلا؟؟؟ لو استجاب الله لهذا النداء وامات امريكا بكل ما عليها من حشائش واشجار وبشر وحيوانات وحتى الطفيليات وصحونا صباحا وسمعنا الخبر التالي والذي ستبثه طبعا الاذاعة الكندية او المكسيكية لعدم وجود اي مذيع حي في امريكا (ننقل لكم خبر وفاة امريكا بكل من عليها) هل هذا ما يرمي اليه مطلقي هذا الشعار؟؟؟

يجيبنا الرئيس روحاني بالقول: (ان الحشود التي تردد شعار الموت لامريكا لا تقصد الاذى للشعب الامريكي والشعار الذي يردده الكثيرون يعتبر بمثابة رد فعل على سياسات الولايات المتحدة تجاه ايران .)(انتهى) (18) لا ندري هل يتفق جميع مرددي هذا الشعار مع الرئيس روحاني ام لا؟؟؟ وهل لترديد شعار الموت انعكاس على نفسية من يردده؟؟؟

اعلم جيدا ان القصد الرمزي هو التعبير عن الرفض للسياسة الامريكية . لكن هل اثبتت هذه الشعارات جدواها؟؟؟ حين تحولت هذه الشعارات الى ثقافة مجتمع هل اثبتت جدواها في ايقاف جرائم الحرب مثلا؟؟؟ وهل مات الاخر فعلا لاننا تمنينا موته؟؟؟

الواقع يقول ان امريكا منذ ان اطلق هذا الشعار الى الان لن تتوقف فيها الحياة . من يتأثر فعلا على ارض الواقع هو من يطلق هذا الشعار في التظاهرة او المسيرة المنددة بسياسة

امريكا وليس امريكا . فهو من عود نفسه على ترديد مفردة (الموت) دون وجود اثر يذكر على ارض الواقع لهذه المفردة الا على نفسيته هو.

حين يكون الشعار الموجه ضد الاخر رد فعل عفوي بسبب فعل مشين قام به من الممكن تفهمه وتقبله لانه تعبير عن نقمة . لكن حين يتحول الى ثقافة مجتمع فلن يكون له اثر الا على من يرددونه فقط .

نحن في الشرق لو عودنا انفسنا على ترديد مفردة (الحياة لنا) بدل مفردة (الموت لهم) لكان لنا شان اخر . نموت نموت نموت نموت (هب لي بربك موتة تختارها يا موطني اولست من ابناكا؟؟؟) . والموت الموت الموت الموت للاخر . لو تمكنا جميعنا من الموت لاجل الوطن ولو استجاب الله لنا وامات الاخر . لن تبقى حياة على هذا الكوكب . من الجيد ان الله لا يأخذ ادعيتنا الموجهة تجاه الاخر على محمل الجد .

كم علم امريكي احرقنا في العقود الاخيرة؟؟؟لا زالت وكالة ناسا الفضائية تعمل بجد للوصول لأبعد نقطة في الكون ولا زالت وكالة التموين لا تقدر على توفير كل مفردات الحصة التموينية . احرقوا اعلام امريكية حتى الصباح لن تخسر امريكا شيء انتم ستخسرون قطع القماش فقط لا اكثر ولا اقل . حرق الاعلام ورفع الشعارات لا يعيق الاخر بل يعيقنا نحن ذهنيا في فهم الاخر ويثبت وجهة نظر اسرائيل امام العالم في اننا لا نعدو كوننا مجموعة من المجانين نحب الصراخ ليل نهار ونروج لثقافة الموت . وهذا يوفر عليها جهد اثبات جهلنا للعالم .

مواجهة الاخر الفعلية المؤثرة من خلال محاولة اللحاق به في مضمار العلم والمعرفة . وليس من خلال الادعاء في ان كل ما لديه من علم سرقه منا ونحن على ارض الواقع عاجزين على ان ندير انفسنا .

احرق اعلام كما تشاء...اسرائيل تتقدم في مجال التكنولوجيا...في مجال الابتكارات والاكتشافات...في مجال الابحاث...في مجال العمران...في مجال تطوير عقلية الفرد...اسرائيل اكثر المستمتعين بثقافتنا التعبوية...نحن نثبت ما تحاول اسرائيل اثباته للعالم.

هل تعتقد ان هناك امريكي يهتم حين تردد الموت لامريكا؟؟؟الامريكان ينهضون صباحا ويذهبون لاعمالهم بشكل طبيعي ويعودون الى منازلهم وينامون ويشخرون . وانت في نفس اليوم تتحضر منذ الصباح بكل حماس تاركا عملك وتخرج مع تلك الجموع الهائلة وانت متشوق لترديد شعارك المحبب لنفسك ومتحرق شوقا بكل ما لديك من (ادرينالين) لحرق ذلك العلم والقفز فوقه . ثم تعود ليلا وانت تشعر بلذة النصر . لكن الغريب انك كنت تخاطب نفسك فقط...نعم...كل شيء في امريكا بقي كما هو تماما...تاثير شعاراتك ومظاهراتك....صفر ...نعم صفر...يا للخيبة...وتاثيرها عليك سلبي اتعلم لماذا؟؟؟ لان

العيش في وهم مواجهة الخطر الامريكي بحرق الاعلام وترديد الشعارات هو خطر عليك لانه يحرق عمرك لاجل (nothing) اذا لم تعترف بواقعك الفعلي وتتعايش معه وتحاول التقدم علميا وثقافيا واجتماعيا لا تستطيع ليس فقط مواجهة الاخر بل مساعدة نفسك .

افعل كما تفعل سرائيل ستواجهها فعلا

ابني ذاتك ووسع علاقاتك واثبت وجهة نظرك للعالم ستكون ند حقيقي لاسرائيل. اجزم ان اسرائيل تمني النفس في عدم حدوث تقارب عقلاني بين المسلمين وباقي العالم خصوصا الغرب لان هذا التقارب يدحض نظريتها . قفل صفحة العداء الاسلامي الغربي الى الابد هو ما يمكن ان يزعج اسرائيل وليس العكس .

اكثر حدثان مهمان ازعجا اسرائيل هما تمكن فلسطين من الحصول على تاييد عالمي والحصول على صفة عضو مراقب في الأمم المتحدة . وتمكن ايران من عقد اتفاق مع الدول الكبرى حول برنامجها النووي . هكذا احداث هي ما يزعج اسرائيل فعلا وليس حرق اعلام وصراخ لا طائل منه .

كثيرا ما نسمع مفردة (اللوبي الصهيوني) يا اخي ما الذي يمنعك من ان تستعير الدهاء الاسرائيلي وتبني لنفسك (لوبي اسلامي او عربي) في امريكا وتساهم في تحريك السياسة الامريكية؟؟؟ ان مؤهلات العرب لتحريك السياسة العالمية اكثر من مؤهلات اسرائيل!!! مجرد امتلاكك للنفط يكفي ان يكون لك كلمة . لكن اسرائيل تملك شيء اخر لا يملكه العرب...انها العقلية...الدهاء... التصرف بذكاء. لا معنى لامتلاكك نقاط قوة اذا لم تكن تحسن استخدامها.

العالم لا يحترم من يملك النفط ويجعل من نفسه اضحوكة من خلال التورط بصفقات سلاح لا يحتاجه اصلا . العالم يحترم القوي الذي يحول ثرواته التي يحتاجها الاخر الى نقاط قوة . يقولون (اسرائيل الطفل المدلل لامريكا) ثم ماذا؟؟؟ هذا واقع اسرائيل الذي خلقته لنفسها . من الصعب ان يستوعب العرب والمسلمين ان مواجهة اسرائيل هي بمزاحمتها على مكانتها في العالم وليس بمعاداة جميع الدول العظمى التي تمكنت من كسبها .

كثيرا ما يتم توجيه اصابع الاتهام للمتطرفين في انهم عملاء اسرائيل وامريكا مع انهم يعتمدون في تطبيقاتهم على تراث اسلامي!!! الحديث المستمر في ان هؤلاء عملاء اسرائيل لا قيمة له ولا معنى حتى لو كان صحيح ومثبت بالدليل القاطع . لانه لون من الوان التشكي والتباكي والعجز عن تشخيص العلة الفعلية . التراث الذي يعتمد عليه هؤلاء موجود في كتب اسلامية مدونة قبل قيام دولة اسرائيل بقرون طويلة . تنقية التراث وتصفيته من الدموية والعنف هو خطوة مهمة لها الف معنى . لولا هذا التراث لما كان هناك تأصيل لذلك المنهج على ارض الواقع . في غفلة من الزمن القيت اجساد فلسطينيين ينتمون لحركة فتح من السطوح تنكيلا بهم . لكن ليست اسرائيل من فعلت ذلك بل حماس .

الحلاج والسهروردي لم تعدمهم اسرائيل بل حرض عليهم الفقهاء . فرج فودة ومرتضى مطهري لم تقتلهم الموساد بل راحوا ضحية افكارهم التنويرية . من حرضت على قتل علي بن ابي طالب لم يكن اسمها تسيبي ليفني . وليس الجيش الاسرائيلي من ضرب الكعبة بالمنجنيق . وليس الموساد من قتل الحسين واهل بيته . واقعة الحرة لم يقم بها شارون . الصراع الصفوي العثماني الذي اتخذ من العراق مسرحا له لم يكن بتخطيط يهودي . الخازوق اداة تعذيب اشتهر بها العثمانين للسيطرة على المجتمع يدخل من ترقوتهم ويخرج من دبرهم ولا زال الكثير من المسلمين الى اليوم يمجدون تلك الدولة (العلية) ولم نسمع ان اسرائيل استخدمت هكذا اداة على مواطنيها كما فعل العثمانيون على مواطنيهم . اسماعيل الصفوي هو الذي اتخذ من سب الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان أمتحان لعامة الناس لمعرفة مدى انصياعهم لأوامره في ترك المذهب السني وأعتناق المذهب الشيعي وليس بن غوريون(19). الوزير الذي انتقم من احد الاشخاص بعد ان استوزر من خلال دق مسمار طويل في اذانه لانه قال له يوما قبل ان يصبح وزير (كلامك لا يدخل اذني) هو وزير فاطمي وليس صهيوني(20). موسى بن جعفر لم يكن مسجون في تل ابيب بل في سجون هارون . ليست اسرائيل من نفت ابو ذر الغفاري . ليست اسرائيل من تركت عثمان بن عفان ثلاث ايام ملقى في مكان غير لائق دون دفن . قرون من الدماء وصفحات طويلة من التراث الذي يحرض على العنف . اسرائيل ليست ملاك فقد قامت بمجازر يندى لها الجبين لكن لم ولن تقوم بأضطهاد مواطنيها وهذا هو الفارق الجوهري بيننا وبينهم .

كثيرا ما نسمع تلك الجملة حين يسمع احدهم حديث يحرض على العنف (هذه اسرائيليات دسها اليهود في التراث لتشويه الاسلام) ماذا تنتظرون لتنقيتها؟؟؟ لماذا لا تزال في الكتب؟؟؟ اما الدفاع المهزوم مقدما هو محاولة التنقيب في تراث الاخر عن عورات تشبه عوراتنا ليبدو الاخر مثلنا . نحن امام خياران اما ان نعترف بواقعنا المخزي ونحاول اصلاحه . او نبقى نبكي ونتشكى كالاطفال الذين اعتادوا ان يكونوا (مكفخة) في يد المتنمرين .

نسخة فلسطينية من خان عبد الغفار خان كفيلة باحراج اسرائيل امام العالم

هذا القائد البشتوني المسلم الذي ولد في هاشتناغار في وتمانزاي في بيشاور (مقاطعه في الحدود الشمالية الغربية للهند) عام 1890 وتوفي في بيشاور بلوشستان في باكستان 1988. خان عبد الغفار خان هو النسخة الاسلامية من غاندي . تأثر به وتعاون معه . تخيل ان رجلا بشتوني ينتمي لتلك القبائل التي لا تعرف شيء غير القتال والثأر يؤسس (جيش خدام الرب) لمواجهة الاحتلال البريطاني . وما هو هذا الجيش؟؟؟ جيش سلاحه الصبر على الأذى يستلهم من حياة الرسول محمد قبل الهجرة نموذجا لمواجهة المحتل البريطاني ويعتبرها هي القاعدة والجهاد المسلح هو الاستثناء . كل واحد من افراد هذا الجيش تحول الى محمد في الطائف .

قال خان : ليس هناك ما يدعو للدهشة في مشاركة مسلم ، أو أحد البشتون مثلي، في العمل على مبدأ اللاعنف. فهو ليس بالمبدأ الجديد. لقد اتبعه النبي قبل أربعة عشر قرنًا طيلة مدة وجوده في مكة... لكننا بقينا إلى الآن ننسى هذا إلى درجة أنه عندما وضعه غاندي أمامنا ظننا أنه يحتضن مبدأ جديد. (انتهى) (21)

قال بلغة الواثق من نفسه وبنبرة المنتصر : سأقدم لكم سلاحًا فريدًا لا تقدر الشرطة ولا الجيش علي الوقوف ضده . إنه سلاح النبي ، لكن لا علم لكم به . هذا السلاح هو الصبر والاستقامة . ولا توجد قوة على وجه الأرض تستطيع الوقوف ضده (انتهى) .(22)

صحيح ان خان تأثر بغاندي وقام بنسخ نموذجه اسلاميا لكن نجاحه المنقطع النظير في تأسيس هذا الجيش الذي اذهل البريطانيون قبل غيرهم جعل غاندي يقول : (اللاعنف ليس للجبناء ، إنه للشجعان الجسورين . والبشتون أكثر شجاعة من الهندوس ، وهذا هو سبب تمكنهم من اللالتزام بمنهج اللاعنف) (انتهى) (23) هذا القول يوضح مدى اعجاب غاندي بتجربة خان و تقديره لها .

مع ان الدفاع عن النفس حق طبيعي لكن ما يحتاجه الفلسطينون لاحراج اسرائيل هو جيش نظامي حركي سلاحه اللاعنف . خان فلسطيني هو ما تحتاجه فلسطين فعلا . نموذج يؤسس جيش منظم له وجود على ارض الواقع لكن سلاحه اللاعنف . خان ليس مغفل والحديث عن لاجدوى هذا الاسلوب هو حديث نظري في حين ان تجربة خان تجربة عملية لها وجود على ارض الواقع . تحول العالم الى قرية صغيرة يزيد من اسهم نجاح هكذا تجربة .

ما هو نتاج الكفاح المسلح على فلسطين؟؟؟ ما يزعج اسرائيل فعلا هو العقلانية وظهور نموذج حركي سلمي يتماهى مع خان . النموذج المسلح قد يزعجها ايضا لكن بامكانها ان تستثمر افعاله في صالحها ولا يساهم الا في تعقيد الوضع على الفلسطينيين قبل الاسرائيليين. الجيش النظامي السلمي الذي يتسلح باللاعنف كفيل بأحراج اسرائيل امام العالم وتقريب فلسطين خطوة بل خطوات من تاسيس الدولة .

قد يقول قائل (ما الذي تتحدث عنه الموضوع ليس بهذه البساطة؟؟) بل الموضوع فعلا بهذه البساطة لكن لاننا منغمسين في نمط تفكير معين منذ قرون طويلة لا نستطيع تخيل ان الموضوع بسيط لهذه الدرجة .

انتفاضة السكاكين ماذا قدمت للشعب الفلسطيني؟؟؟ هل حررت فلسطين؟؟؟تخيل لو ان الفلسطينيين يستخدمون ما هو متاح وممكن ومجدي وهو (ثورة اللاعنف) في ظل تحول العالم الى قرية صغيرة ماذا ستكون النتائج؟؟؟ اتوقع انقلاب الرأي العام العالمي لصالحهم وتقربهم من حلم الدولة المنشودة خطوة اخرى على عكس ثورة السكاكين التي لا تجدي شيء ولا تنتج الا العنف .

يكذبون حين يصورون اسرائيل على انها اسطورة

تصوير اسرائيل من قبل البعض على انها داهية زمانها التي تستطيع ان تفعل اي شيء تبتغيه هو مبالغة تفوق قدرة الكائن الحي . اكثر من حولوا اسرائيل الى اسطورة معاديها فهم يربطون اي حدث سيء مهما كان بسيط حتى لو كان اصابة احدهم بالاسهال بها . وهذه اسطرة لاسرائيل تفوق قدرتها الحقيقية . لا يوجد من لا يمكن التغلب عليه لو استخدم الانسان عقله . ولا يوجد من يتمكن من تحقيق كل ما يريد .

الاسرائيليون عندهم عقول والفلسطينيون عندهم عقول . الفارق هو في استثمار العقل واستغلال الفرص والواقعية في التعامل وفق الامكانية المتاحة . للفلسطينين كل الحق في الدفاع عن انفسهم لو تعرضوا لعدوان . لكن عليهم ان يعيدوا حساباتهم وفق معيار المضرة والمنفعة . من المتضرر اكثر من الكفاح المسلح هل هي فلسطين ام اسرائيل؟؟؟ الجواب عند الفلسطينيون طبعا .

كان خان يحلم في توحيد البشتون في باكستان وافغانستان في وطن واحد .(24) وهذا حلم مشروع . لكن المؤسف ليس عدم تحقق هذا الحلم فقط بل ذهاب كل جهود خان سدى حين ساد معاتيه السلاح واخرهم المعتوه الملا محمد عمر .

المثلية الجنسية..الجنس الثالث..الايمو

هل هي ظواهر يساهم المجتمع في انتاجها ثم ينبذها ؟

ثلاث ظواهر مختلفة لكنها متصلة في ذهنية المجتمع . ثلاث ظواهر ينبذها المجتمع لكن هل للمجتمع يد في انتاجها ام انها سلوكيات وظواهر منحرفة لا يلوم اصحابها الا انفسهم؟؟؟

اعتذر من المدافعين عن حقوق المثليين جنسيا فلا يمكنني ان انافقهم واتظاهر اني ارى المثلية الجنسية امر طبيعي فقط لابدو بمظهر المتحرر الذي يواكب العصر . الطبيعي حسب اعتقادي هو ان يحب الذكر والانثى احدهم الاخر ويكونون اسرة ويعيشون معا . هذه قناعتي . لكني اعتقد ان لكل انسان الحق في ان يعيش كما يريد طالما انه لا يخترق حريات الاخرين ولا يفرض خياراته عليهم .

نشر بعض المدافعين عن حقوق المثليين صورتين احداهما لمجموعة من الدواعش واخرى لشخصين مثليين جنسيا يحمل كل منهما طفل . ويرافق الصورة تعليق يقول : هؤلاء شواذ

(اشارة للدواعش) وهؤلاء مثليين جنسيا (اشارة للمثليين) طبعا لا يوجد مقارنة بين المثليين جنسيا وبين الدواعش فالدواعش مجرمين لا يقارن بهم احد . ما اثار شجوني في الصورة هو الطفلين فالاستفهام الذي يطرح نفسه وبقوة (هل من الطبيعي ان ينشا الطفل بين والدين ذكور او والدتين اناث؟؟؟) لا اتحدث عن صلاحية المثليين جنسيا في تربية الابناء بل عن عدم وجود ام او اب في حياة الطفل ووجود اب اضافي او ام اضافية...هل هذا طبيعي؟؟؟ قد يجيبك احدهم ان المثليين جنسيا اكثر جدارة من كثير من الاباء والامهات العديمين الشعور بالمسؤولية...ليس هنا محل السؤال...لا نتحدث عن الجدارة بل عن فقدان الابن لدور الاب مرة ولدور الام مرة اخرى...هل لهذا اثار نفسية على الطفل ام لا وهل هذا طبيعي؟؟؟

قد يقول قائل ان هناك ايتام توفي احد والديهم وعاشوا طبيعيين...هذا صحيح لكن هذا اليتيم يعلم ان له اب لكنه متوفي او يعلم ان له ام لكنها متوفية اي انه نظريا له ام واب لكن لسوء حظه فقد احدهما . وهذا يختلف عن من يفتح عينيه ليجد ان له والدتين (انثتين) او والدين (ذكرين) على كل حال لولا حدوث عملية مشاركة بين شخصين مغايرين في الجنس (ذكر وانثى) لما حصل هذان المثليان على هذين الطفلين . اي ان اكتفاء المثليين ذاتيا سيحرمهم من الاطفال ومن اشباع الرغبة في تربية ابناء . الا اللهم اذا اعتمد المثليين الذكور على المثليات الاناث في علاقة تضامنية من خلال تخصيب بويضات المثليات الاناث بحيامن المثليين الذكور للحصول على اطفال . وحتى هذا لن يجعل الوضع طبيعي حسب اعتقادي . فمن منهم يستحق تربية الطفل وكلاهما اختارا علاقة مثلية؟؟؟

نعود للسؤال الكبير...هل للمجتمع يد في انتاج المثلية الجنسية؟؟؟ لو اتى الجواب مني فليس له قيمة لاني لست مختص في هذا المجال . وحتى لو طابق جوابي جواب المختصون فهو لا يستند على اسس علمية فهو مجرد تخمين او استنتاج مبني على ملاحظات شخصية . لذلك جدير بنا ان نلجأ للمختصين .

يصنف الدكتور كامل النجار (باحث وطبيب استشاري يعمل في انكلترا) كما يبين الكاتب والباحث عصام بغدادي أسباب الشذوذ الجنسى الى مايلي: (1)

1- أسباب تحرشات و إغتصاب بمراحل الطفولة الأولى, و هذا ما يخلق صورة باطنة بمنطقة اللاشعور التي (وفق رأي المدرسة الفرويدية) تمثل النصف الباطن للتشريح النفسي بالإشتراك مع منطقة Id, "إد" هذه هي منطقة الطاقة الجنسية الدفينة التي يتصرف بها الإنسان. و ما يحدث بعد الإغتصاب أن التفاعلات الهرمونية تحرض الطاقة الجنسية "إد" على الإثارة و لكنه إثارة متأثرة بذكريات الإغتصاب و التحرشات بمنطقة اللاشعور التي تؤثر بالإد التي هي مصدر الطاقة الجنسية. و هكذا فإن عملية الشذوذ تأتي كنتيجة خاطئة لوضع مغلوط. و يمثل الشواذ نسبة45% من المتحرش بهم بالعالم. هذا رأي من عمق المدرسة النفسانية الغربية.

2- الوسواس القهري: هو نوع من التخبط الهرموني الذي ينتج تصورات خاطئة و ملحة للمعتقد سواء الديني أو الجنسي أو أي معتقد ما. المصاب عادة يدخل بحالة صراع بين فكرة ملحة "وسواسية" و بين معتقده. الوسواس ليس صراع فكري لأنه فوق المستوى الطبيعي, فهو يهاجم الإنسان جبريا و بشكل متقطع و مكثف. 24% من حالات الشذوذ هي نواتج لوسواس قهري يمكن معالجته بدواء يسمى "ماسا" يعطى وفق وصفة طبية و تستمر مدة العلاج لثلاثة أشهر مع خفض كميات الدوائية.

3- الشيزوفرانيا الجنسية: هي حالة فصام بالشخصية الجنسية جراء ضغوطات أسرية أو إجتماعية صارمة تقوم بتهميش الهوية الجنسية للمريض و تصر على شكل جندري معين يجبر المريض لتعظيم هذا الشكل و الإنخراط فيه حتى و لو كان شذوذا. فمؤخرا, تعتبر المرأة رمزا للإنسان الحضاري و الرجل رمزا للوحشية, و نتيجة لهذا التهميش الإجتماعي تأنث عدد من الرجال و الممثلين. فالمجتمع يعتبر المتأنث أقرب تحضرا للمجتمع المحكوم نسويا و لذا فهو أقرب تحضرا. طبعا هذا ما هو موجود بمجتمعات غير مجتمعاتنا و لكنها أمثلة.

4- الإختلال الهرموني, و ينقسم لقسمين:

أ- ولادي: و هو نادر جدا جدا و صعب علاجه إلا أنه ليس مستحيلا.

ب- سريري: و هو يطرأ بمرحلة لاحقة و علاجه سهل.

اما الباحث السايكولوجي الدكتور صلاح كرميان فيعزو الشذوذ الجنسي الى الاسباب التالية:(2)

1- التعامل القاسي للطفل من قبل الوالدين، مما يؤدي بالطفل الى البحث عن العاطفة التي يفتقد اليها عند من يوفرها له من الاصدقاء بالنسبة للذكر أو الصديقات بالنسبة للاناث.

2- تعرض الطفل الى الاعتداء الجنسي، وهذه الحالة قد تؤدي الى الانطواء لدى الطفل أو التوحد مع الشخص المعتدي وينجذب الى معاشرته. وتؤكد دراسات أخرى ارتباط الميول الجنسية بالتجربة الاولى. أما بالنسبة للبنات فالحالة تختلف، فعند تعرض الفتاة للاغتصاب، فان حالة من الرعب التي تنشأ لديها قد تتولد لديها الكراهية نحو الرجال.

3- قد يجد البعض في ممارسة المثلية الجنسية ، اللذة التي يفتقدها ولا تشبع رغباتها لدى الجنس المغاير.

4- حالة الكبت الناجمة من عدم السماح باختلاط الجنسين في المجتمعات القبلية المحافظة، حيث يلاحظ انتشار ظاهرة المثلية الجنسية بصورة كبيرة رغم نبذها ظاهرياً ومحاربة المثليين بشتى الاساليب.

تطرح الباحثة الكويتية المختصة في علم النفس والحاصلة على شهادة الماجستير زهراء حسين الموسوي السؤال التالي : لماذا الذكور اكثر عرضة للشذوذ الجنسي من الاناث؟؟؟(هذا في حال لا زالت الاحصائيات تدل على ذلك) . تبين الباحثة ان سبب هذه الزيادة في المثليين الذكور عن المثليين الاناث ليس لان لديهم استعداد اكبر بل لاسباب وعلل اخرى والتالي هو تلخيص لتلك الاسباب والتي قسمتها الباحثة الى ست اسباب:

1- التربية الخشنة

2- الاغتصاب في الصغر

3- فقدان المحبة

4- عدم تقيد الوالدين بالحياء والستر:

5- عدم زرع العفة والحياء في قلوب الأولاد

6- التحقير والإهانة

بعد ان اطلعنا على اسباب المثلية الجنسية حسب المختصين (في الطب وعلم النفس)...نعيد طرح السؤال ...هل المجتمع مسؤول عن انتاج المثلية الجنسية؟؟؟ لو راجعنا اراء المختصين الثلاثة لوجدنا العامل المشترك هو (التعرض للعنف وللاغتصاب في الصغر) وهذا بحد ذاته يكفي لادانة المجتمع الذي يستنكر المثلية الجنسية لكنه لا يتعامل بنفس الشدة مع العوامل التي تساعد على انتاجها . كل هذا يقودنا لسؤال جوهري ومهم...هل المجتمع يستنكر المثلية الجنسية بذاتها؟؟؟ ام لانها تخل بشكل المجتمع وظاهره المثالي؟؟؟

المثلي الموجب والحصانة الاجتماعية

المثلي الموجب..تعبير عرفي عن المثلي جنسيا الذي يكون ظاهره (طبيعي رجولي) ويقوم بدور (الفاعل) وليس (المفعول به – السالب-) ويسمى في العراق (فرخچي) او (قرم) او (يدور ولد) لحد الان لم اسمع ان هناك من قتلوا (فرخچي) لانه مثلي جنسيا . نعم سمعنا عن قتل مثليين جنسيا مظهرهم يخل بشكل المجتمع وظاهرهم فيه شيء من الانوثة . حين تسأل احدهم عن (الفرخچية) سيستنكر فعلهم طبعا ويقول لك انهم اعداء الله لكن ليس بنفس الانفعال الذي يتحدث به عن المثليين جنسيا ذوي المظهر الملفت للنظر . حتى اني لاحظت في الحوارات التي تجري في هذا الموضوع لا يذكرونهم البتة الا اذا ذكرتهم بهم . بل حتى المفعول به ذو المظهر الطبيعي مسكوت عنه ايضا حاله حال الفاعل ذو المظهر الطبيعي .

هل استنكار المثلية الجنسية نابع من الاخلال بشكل المجتمع فقط ام لان المثلية الجنسية فعل يهتز منه العرش؟؟؟ اذا كان الفعل محرم ومستنكر فالفاعل والمفعول به في نفس الخانة ...

لماذا هذا مسكوت عنه وذاك مستنكر ومرفوض؟؟؟هل هناك حصانة اجتماعية للرذائل التي لا تخل بشكل المجتمع؟؟؟

ان السبب الرئيسي للانفعال ضد المثليين من ذوي المظهر الانثوي ليس حرمة المثلية الجنسية المجردة...ابدا ليس ذلك...بل الاخلال بالشكل الظاهري للمجتمع...بربكم...كفى ضحك على الذقون منذ ان ولدنا بل منذ قرون طويلة و المثلية الجنسية موجودة والنموذج الذي يطلق عليه (يدورون حلوين) موجود ومسكوت عنه . ولم يحدث انفعال الا ضد من ظاهرهم يخل بشكل المجتمع الذي يحاول جاهدا ان يبقى ظاهره مثالي . مصدر الانفعال هو الظاهر الذي يخل بشكل المجتمع وليس الحقيقة فمجتمعنا غير معني بالحقيقة بقدر عنايته بان يتظاهر الجميع بالفضيلة ... المجتمع غير معني بمعالجة اسباب المثلية الجنسية (التعرض للاغتصاب او للعنف في الصغر وغيرها) لكنه معني بالغاء النتائج التي لا تسره من الوجود.

كم طفل يتعرض للعنف الاسري ولا يجرأ على الكلام كي لا يتعرض لعنف مضاعف؟؟؟ كم طفل يتعرض للاغتصاب ولا يجرأ على الكلام اما خوفا من ان لا يصدقه احد لان من يغتصبه فوق الشبهات او خوفا من عواقب افشائه لسر هذا المعتل الذي اغتصبه ؟؟؟

ارذل الرذائل هي التظاهر بالفضيلة مع وجود رذائل دفينة يعرفها المجتمع لكنه يسكت عنها...طالما هناك معتلين نفسيا يمارسون العنف ضد الاطفال والمجتمع يسكت عنهم لن تقوم لهذا المجتمع قائمة . سنبقى في ظلمة قاتمة طالما ان الفضيلة الظاهرية تفرحنا والرذيلة الدفينة لا تثيرنا .

الجنس الثالث

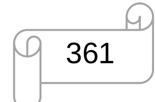
شريحة واسعة من مجتمعنا تتصور ان ذو المظهر (المختلط الهوية) هو في حقيقته رجل مكتمل الرجولة لكنه نهض صباحا فقرر ان يتصرف كالنساء ويغير مظهره ليبدو قريب من مظهرهن . وهذا الحكم المسبق الساذج لا اساس له ولا واقع الا في خيال من يعتقدون به .

مصطلح الجنس الثالث مصطلح عرفي يستخدمه المجتمع للدلالة على اكثر من فئة من البشر منهم (مضطربي الهوية الجنسية) ومنهم (ثنائيي الجنس) ومنهم (المثليين جنسيا) ثلاث فئات مختلفة عن بعضها لكنها مندمجة في ذهنية المجتمع ولا يكاد يميز بينها .

ما هو اضطراب الهوية الجنسية (Sexual identity disorder)؟؟؟

تنقسم اضطرابات الهوية الجنسية (حسب الدكتور احمد هارون استشاري الطب النفسي) إلى ثلاثة اضطرابات، هي: (4)

1- اضطراب التحول الجنسي : Transexualism disorder



يمثل هذا الاضطراب الرغبة في أن يعيش الإنسان كعضو من الجنس الآخر، هذه الرغبة يصاحبها أحاسيس بعدم الراحة أو عدم التلاؤم مع الجنس الأصلي للشخص، ورغبة ملحة في إجراء عملية جراحية أو تناول علاج هرموني حتى يتواءم الجسد بقدر الإمكان مع الجنس المفضل لدى الشخص ويبغي التحول إليه.

2- تحول الزيّ الثنائي الدور (الارتداء المغاير للملابس:Transvestism)

وهو ارتداء ملابس الجنس الآخر لفترة من الوقت من أجل الاستمتاع بتجربة مؤقتة كأحد أفراد الجنس الآخر، ولكن دون رغبة في تبدل جنس دائم أو إجراءات جراحية مصاحبة.

3- اضطراب الهوية الجنسية في الطفولة:Sexual identity disorder

هو رغبة عامة دائمة للتحول إلى الجنس المعاكس للجنس الفعلي والإصرار على الانتماء إلى الجنس المعاكس، بالإضافة إلى رفض شديد لسلوك وصفات أو ملابس الجنس الفعلي.

اما اسباب اضطراب الهوية الجنسية فيعزوها الدكتور هارون الى التالي : (5)

1- تشجيع الوالدين أو صمتهم أو عدم اكتراثهم لما يظهر على أطفالهم من جوانب سلوكية لغير جنسهم دون الوقوف على هذه الجوانب ومحاولة تغيرها أو استشارة متخصص فيها.

2- عدم وجود أب أو بديل يلعب دوره الشكلي كالأخ أو العم والخال يعلم الطفل مظاهر الرجولة بشكل غير مباشر حينما يراها الطفل في هذا الشخص ويحاكيها معه، وعدم وجود أم أو من يحل محلها لتعليم البنت مظاهر الأنوثة والمحافظة عليها.

3- تعرض الطفل لنوع من أنواع الإيذاء البدني أو الجنسي يجعله يتصور إمكانية اختفاء هذا الإيذاء لو كان من الجنس المخالف لجنسه.

4- حرمان الطفل من بعض المميزات يجعله يتصور لاشعورياً انه يفوز بهذه المميزات لو تحول إلى جنس أخيه أو أخته الفائزين بالامتيازات.

5- أن وجود ملامح أنثوية لدى الأطفال الذكور من العوامل المهيئة لحدوث الاضطراب وكذا الأمر بالنسبة للإناث

6- وفي اعتقادي (الحديث للدكتور هاورن) أن التثبيت على المرحلة القضيبية (مرحلة اكتشاف الهوية الجنسية من سن 4-6 سنوات) أمر خطير، إذ يتوحد الطفل مع الوالد من الجنس الآخر فيمثل ذلك خطورة على دور الطفل الجنسي في المستقبل، فالطفل الذكر الأكثر ارتباطاً بالأم مقارنة بالأب قد تظهر لديه بعض الميول المتعلقة بالأم، كما يحدث في كثير من الحالات.

ولو اتينا لاسباب اضطراب الهوية الجنسية (كما يوردها استشاري الطب النفسي الدكتور محمد شريف سالم عن جمعية الطب النفسي DSM IV) لوجدناها كالتالي : (6)

1- العوامل البيولوجية: إن هرمون الأندروجين يلعب دوراً أساسياً في تشكيل الجنس وتحديد نوعه، فهو مهم لنمو الخصيتين، و كروموسوم y مهم جدا . إن بعض الهرمونات Sex steroid المسؤولة عن التعبير عن السلوك الجنسي في الذكر والأنثى، فنجد هرمون التستوستيرون هو المسؤول عن زيادة إحساس النشوة والرغبة الجنسية في المرأة، أما الإستروجين فهو يقلل هذا الإحساس عند الرجل ..ولكن الملامح الخاصة بالهوية الجنسية عند الرجل أو السيدة ترتبط بشدة بأحداث الحياة المحيطة والبيئة المحيطة بالطفل بعد الولادة.

2- العوامل النفس اجتماعية Psychosocial factors: من المهم أن نعي جيداً أن الهوية الجنسية تنمو عادة عند الطفل منذ الصغر ومن خلال طريقة الرعاية والتربية على أنه ولد أم بنت، فالهوية الجنسية تعتمد على التفاعل بين إحساس الطفل بنفسه والرعاية المقدمة من قبل الوالدين.

الخنثى (ثنائي الجنس) Intersex Hermaphrodite

ثنائي الجنس او الخنثى (حسب استشاري الطب النفسي الدكتور محمد المهدي - رئيس قسم الطب النفسي – جامعة الازهر) هو مولود لديه أعضاء ذكورة وأعضاء أنوثة فى نفس الوقت , ويحتار فيه أهله , أيعاملونه كذكر أم كأنثى , وهنا يأخذونه إلى الطبيب الجراح ليرى أهو أقرب للتركيب الأنثوى أم الذكرى , ثم يقوم بإجراء عملية جراحية لتعديل تركيبة الجهاز التناسلى المميز لأقرب جنس له.(7)

يقول الدكتور محمد المهدي: تعبير الجنس الثالث ليس تعبيرا علميا دقيقا وإنما هو لفظ دارج يضع الناس فيه من لاينتمون إلى الذكورة التقليدية المعروفة أو إلى الأنوثة التقليدية المعروفة , فكل من لديه غرابة أو شذوذا فى مظهره أو هويته الجنسية أو سلوكه الجنسى يوضع فى سلة " الجنس الثالث " لأنه ببساطة ليس رجلا بالمعنى السائد وليس أيضا امرأة بهذا المعنى فهو رجل فى جسد امرأة أو امرأة فى جسد رجل أو رجل أو امرأة لديهما ميول لنفس الجنس ...... الخ.(انتهى) (8)

وينقسم ثنائي الجنس حسب الدكتور محمد المهدي الى ثلاث انواع : (9)

الخنثى الكاذب الذكري : وفي هذه الحالة تكون الأجهزة التناسلية الخارجية شاذة في طفل ذكر، وتبدو أقرب إلى الجهاز الأنثوي، إلا أنه يملك خصيتين وكروموسومات xy وفي هذه الحالة ينشأ الطفل كولد ذكر مع تصحيح أجهزته التناسلية الخارجية.

الخنثى الكاذب الأنثوي : وفي هذه الحالة تكون الأنثى بجهاز تناسلي خارجي شاذ، إذ يظهر لها جهاز أشبه بجهاز الذكور ولكنها تملك مبايض ورحما وقنوات، وفي هذه الحالة ينشأ الطفل كأنثى وتصحح أجهزته التناسلية الخارجية كجهاز الأنثى.

الخنثى الحقيقي : وفي هذه الحالة يملك الشخص جهازاً شاذًّا، إلا أن لديه مبيضا وخصية في نفس الوقت، وهنا يصحح جنس الشخص بعد النظر في باقي مستويات تحديد الجنس، وينشأ في الجنس الأقرب إلى واقع باقي المستويات وتصحح أجهزته التناسلية طبقاً لذلك، وينطبق الشيء نفسه على حالات خلل تكون الغدد الجنسية.

اما التدخل الجراحي وعملية التصحيح فتستند (حسب الدكتور ياسر صالح جمال- استاذ واستشاري جراحة الاطفال والتجميل) الى محددات وركائز اساسية ومحددات وركائز ثانوية . اما الاساسية فهي الكروموسومات والغدد الجنسية، فالذكر يحمل كروموسومات XYولديه خصيتان، بينما الأنثى تحمل كروموسومات XX ولديها مبيضان، أما إذا حدث خلل في الكروموسومات أو الغدد الجنسية كوجود أنسجة مبيض وخصية في نفس الشخص، فعندها يلجأ الأطباء إلى المحددات والركائز الثانوية وتشمل الأجهزة التناسلية الخارجية والداخلية والقدرة على ممارسة العلاقة الحميمة، ومستقبل الإنجاب ورغبة الشخص ومشاعره نحو الذكورة والأنوثة... وبخصوص العمر الافضل لاجراء التدخل الجراحي فيبين الدكتور ياسر ان مرحلة الطفولة المبكرة هي افضل مرحلة من الناحية النفسية والاجتماعية وحتى الجراحية .(10)

اما عن الاسباب فيقول الدكتور ياسر : هناك الكثير من الاسباب إلا أن الرئيسي منها مرتبط بالعوامل الوراثية لدى العائلات خاصة ممن تشهد تداخلا كبيرا في الزواج من الأقارب، إضافة إلى استخدام النساء لبعض الأدوية أثناء الحمل والتي تكون ذات مفعول هرموني، مما يؤدي إلى تقليل الجهاز التناسلي في حال كانت علاجات محتوية على نسبة عالية من هرمونات الأنوثة، أو تضخم الجهاز التناسلي إذا كانت تلك العقاقير متعلقة بتثبيت الجنس والمحتوية على هرمونات ذات صفات ذكورية، الأمر الذي من شأنه أن يزيد من حجم مشكلة الجهاز التناسلي لدى الجنين ويجعله يبدو كالذكر بينما يكون في الأصل أنثويا. وهنا يجب التشديد على ضرورة عدم تناول أي علاجات أثناء فترة الحمل إلا بإذن الطبيب، إلى جانب الابتعاد عن زواج الأقارب خاصة في الأسر التي لها تاريخ مرضي مسبق فيما يتعلق بالإصابة بعيوب اختلاط تحديد الجنس، أو حتى الزواج من أسر مشابهة لديها المشكلة نفسها (انتهى) .(11)

هل يتعارض العلم مع الدين؟؟؟ يجيبك نفس من يحتقر مضطربي الهوية الجنسية ويعتبرهم اعداء الله بالقول (كلا اخرس الله لسانك...العلم لا يتعارض مع الدين بل الدين هو منبع العلم) عظيم جدا هذا ما اردت الوصول اليه . العلم اثبت ان اضطراب الهوية الجنسية (كما بينا اعلاه) له مسببات وليس امر كيفي ومزاجي وليس لون من الوان الترف كما يظن البعض .

انسان ولد هكذا او حدثت مسببات لاحقة جعلته هكذا (كما بيناها سلفا في اسباب اضطراب الهوية) هل يعقل ان يعتبر عدو الله في نظر المجتمع؟؟؟ هذا خلاف العدالة وخلاف المنطق وخلاف المروءة .

السؤال الذي يطرح نفسه لماذا ينفعل نسبة لا يستهان بها من الناس حين يشاهدون شخص ذو ملامح مختلطة؟؟؟ الجواب حسب تصوري هو ان هناك احكام مسبقة تربط كل ذكر فيه انوثة وانثى فيها ذكورة بالانحلال الاخلاقي دون محاولة معرفة المسببات الحقيقية لهذا المظهر . وهذا التصور لا اساس له من الواقع فكل انسان على اختلاف مظهره وجنسه من الممكن ان يكون انسان خلوق ومستقيم ومن الممكن ان لايكون (مع ادراكنا لواقع ان مصطلح خلوق ومصطلح منحط مصطلحات فضفاضة من الممكن ان نطلقها على من نشاء متى ما نشاء ولاي سبب نشاء) تلك النسبة من الناس تتصور ان ذو المظهر المختلط انسان اختار بكامل ارادته ان يكون بهذا المظهر . والغريب ان هذا التصور قد تجده عند الجانبين (مناصريهم ومعاديهم) فهذا يقول انهم اختاروا بكامل ارادتهم اسلوب حياتهم والاخر يقول هؤلاء منحلين اخلاقيا واختاروا بكامل ارادتهم طريق الانحلال .

فكرة الاختيار الحر الكامل المطلق لا اجد ان لها اساس على ارض الواقع فكلنا نرغم على خيارات محددة في الحياة . وفي كثير من الاحيان نجبر على خيارين احلاهما مر . نعم مضطربي الهوية الجنسية والمثليين جنسيا منهم من هو متصالح مع ذاته كما هي ومنهم من يعيش معاناة الشعور بانه موجود في الجسد الخطأ او معاناة الشعور بانه يميل للجنس الخطأ. هؤلاء كما غيرهم طباعهم نسبية وسلوكياتهم تختلف من شخص الى اخر . ومنهم المتدين ومنهم الملحد ومنهم ومنهم ومنهم كما باقي البشر .

لا يمكن للانسان ان يتخيل ماذا يشعر مضطرب الهوية الجنسية . لكن من الممكن تقريب الصورة . ماذا لو استيقضت صباحا لتجد نفسك مسجون في جسد انثى ؟؟؟ وماذا لو استقضتِ صباحا لتجدِ نفسكِ مسجونة بجسد ذكر؟؟؟ قد تعطي هذه التصورات ولو شيء بسيط من معاناة مضطربي الهوية الجنسية .

قبل فترة شاهدت صورة نشرها أحدهم في الفيس بوك لجنس ثالث وكانت معظم التعليقات التي تجاوزت 600 تعليق تطالب بقتله . الغريب أن معظم المشاركين الذي أصدروا أحكام الأعدام الفيسبوكية ناس عاديين ليس لديهم قدرة على ذبح دجاجة ولو ناقشتهم في أي

موضوع اخر لوجدتهم في قمة اللطف والرقة . لكنها النظرة الشيئية التي تراعي جدا شكل المجتمع الخارجي ومدى موافقته لمواصفات الفضيلة . الجنس الثالث اطهر من حراس الفضيلة من الدواعش ومن لف لفهم مهما كان دينهم او مذهبهم بمليار سنة ضوئية .

تجربة مريرة لشاب ولد في الجسد الخطأ في مجتمع يعاني من عاهة ادراكية

شاب (من احدى الدول العربية) مظهره الخارجي انثوي لكن ليس له يد في هذا الموضوع فالموضوع ولد معه ويبدو ان هناك خلل معين الطب اعلم بحقيقته ادى الى ان يكون مظهره الخارجي انثوي ... مضمون قصته هو انه ولد بجسد ومظهر قريب من مظهر الاناث لكن ميوله الجنسية والنفسية طبيعية اي انه يشعر انه رجل وميوله طبيعية تجاه النساء كأي رجل اخر . لكن المعظلة تكمن في مظهره الخارجي فهو ليس لديه شارب ولحية وملامح وجهه انثوية ومظهر جسده فيه بعض الشبه من جسد الاناث ... المعاناة النفسية التي تحطمه هي ان المجتمع يلقي اللوم عليه في مظهره ... هذا الرجل مؤمن ملتزم وحين يذهب الى الجامع ينظر اليه المصلين نظرة احتقار ومرة من المرات ذهب مبكرا ووقف في الصف الاول ليصلي فنظر اليه إمام الجماعة نظرة احتقار وطلب منه الرجوع الى الخلف لان الصف الاول كما يرى هذا الامام الجهبذ لمكتملي الخلقة فقط (هذا اذا كان يعلم اصلا ان هذا الرجل ولد هكذا) ... وما ادرانا ما اذا كان هذا الامام العبقري يعتقد ان هذا الشخص هو من قام بالتحكم بمظهره بارادته ؟؟؟ حين يمشي في الشارع يسمع كلمات مؤلمة وجارحة من قبيل (اعوذ بالله) او (انها علامات الساعة يوم يتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال) او غيرها من الجمل التي يرددها بعض العباقرة من الذين يظنون انهم احباء الله واصفيائه وقال انه كثيرا ما يجلس بعد الصلاة باكيا مناجيا الله وهو يقول (ربي لماذا خلقتني بهذا الشكل وتركتني اتحمل كل هذا التجريح من المجتمع ؟؟؟) الغريب ان هذا الشاب المسكين لم يكن يعلم ان مشكلته من الممكن ان تحل طبيا الا بعد ان قلت له ذلك حين طرح مشكلته وفضفض عن نفسه في مقال كتبته عن هذا الموضوع . وطلبت منه بإلحاح ان يراجع طبيب مختص في هذا المجال . وللاسف لا اعلم اين حل به الدهر .

على ماذا يدل ذلك ؟؟؟ يدل ان حتى عائلته لم تفكر ولو للحظة واحدة في امكانية ان تحل هذه المشكلة طبيا او انها تعلم والحرج يمنعها من مراجعة الطبيب المختص في هذا المجال. الكارثة ان المجتمع يعزو الكثير من الظواهر الى اسباب غيبية فلا تستبعد ان يقول احدهم (هذا اختبار من الله لايمانه وايمان عائلته) ولا يكلف نفسه في اخذ راي الطب في مستوى الامل في علاج تلك الحالة .

مجتمع يكتفي بالتفاخر بالظواهر الرفيعة (حسب نظره) هو مجتمع لم يصل الى سن الاهلية بعد. فمن يصل الى سن الاهلية يتحمل المسؤولية كاملة تجاه اي نتيجة ولا ينتقي النتائج التي تعجبه ليفتخر بها والنتائج التي لا تعجبه يقتلها ولا يفكر حتى بعلاجها .

من هم الايمو ؟

مفردة ايمو اختصار لجملة (متمرد ذو نفسية حساسة) (Emotive driven hardcore punk) . الايمو في اوربا وأمريكا أشخاص متمردين على الواقع حزينين مرهفي الحس يميلون الى الأنتحار يجرحون أنفسهم بأدوات حادة . يستمعون الى اغاني موسيقاها صاخبة وكلماتها حزينة ومؤلمة وتنتمي الى الروك والميتال . يلبسون ملابس قاتمة سوداء وتحوي ملابسهم أحيانا على كلمات لأغاني الروك او صور جماجم و يلبسون حلي على شكل جماجم ويضعون الكحل على العينين ولهم تسريحة خاصة للشعر . (12) اما عن أيمو العراق فهم ظهروا للساحة قبل سنوات كظاهرة ثم اضمحلت تلك الظاهرة وانحسرت. وهم في الظاهر يقلدون ظاهرة الايمو الأصلية في أوربا وأمريكا من ناحية الشكل والملبس والتسريحة والحلي التي يلبسونها والموسيقى التي يسمعونها وفي صفحاتهم على موقع التواصل الاجتماعي ينشرون خواطر حزينة وسوداوية لكن لا يوجد معلومات كافية أن كانوا يقومون بجرح أنفسهم أو يفكرون في الانتحار.

يقول البروفيسور المختص في علم النفس قاسم حسين صالح : ان الشعور بالضياع النفسي عامل مشترك بين (ايمو)العرب والعراق و(ايمو)امريكا وأوربا.فنسبة بطالة الشباب في العراق تكاد تتصدر مثيلاتها في المنطقة.زد على ذلك أن شباب العراق كانوا يمنون انفسهم بأحلام جميلة مشروعة كون ان بلدهم هو الأغنى في العالم ... والسبب الآخر ، هو شعورهم بانعدام العدالة الاجتماعية ... ومع ان هؤلاء الشباب يعيشون حالة احباط واغتراب عن المجتمع فان التطرف الديني دفع بعدد منهم الى ممارسة تطرف سلوكي مضاد . وهذا قانون اجتماعي .ان التطرف يخلق نقيضه.ولأن الواقع ما عاد يحتويهم،ولا يقدم لهم حلا لمشاكلهم،ولا ينتشلهم من حالة الضياع التي يعيشونها ،فان الانفتاح على وسائل الاتصال، لاسيما الانترنت وشبكات الاتصال الاجتماعي العالمية، وجد فيها بعضهم وسيلة للهروب وحالة من التوحد بآخرين يمنحهم الشعور بوجودهم الانساني على مستوى العالم (انتهى).(13)

المثلية الجنسية...الجنس الثالث...الايمو...هل يساهم المجتمع في انتاج هذه الظواهر ام لا؟؟؟ ضع في ذهنك المعطيات الواقعية والاراء العلمية والاسباب الفعلية ثم قدم الجواب لنفسك . حتى من يولد مختلط الجنس ورث واقعه من والديه وليس له يد في واقعه . هل هؤلاء بحاجة للمساعدة الطبية والنفسية والوجدانية ام بحاجة للنبذ والتحقير؟؟؟ ما هي مشاعر البؤس التي يشعر بها هؤلاء بسبب وضعهم الذي وجدوا انفسهم عليه مرة وبسبب نبذ المجتمع لهم مرة اخرى ؟؟؟هل من حق هؤلاء ان يختاروا الحياة التي تناسبهم طالما انهم لا يؤثرون على خيارات الاخرين الشخصية ؟؟؟

في الجانب الاخر...هل ساهم الدفاع عن المثلية الجنسية الذي اتخذ اشكالا متعددة في الغرب منذ عقود طويلة في تعزيزها لدى المثليين؟؟؟هل اعاق من يشيعون ثقافة (ان المثلية امر طبيعي) نسبة من المثليين في تصحيح وضعهم؟؟؟لم تعد تصنف المثلية الجنسية كمرض منذ عقود ولم يعد يجرمها القانون في كثير من الدول لكن السؤال الذي يطرح نفسه...هناك سلوكيات يصنفها الطب كأمراض نفسية ويجرمها القانون وينظر لها المجتمع الاوربي الان نفس نظرته السلبية للمثلية الجنسية سابقا...هل هناك امكانية ان يتم إلغائها من دليل الامراض يوما ما وتتحول الى سلوك طبيعي بعد ان يتم الترويج الى ان النظر لها كمرض يعد تخلف؟؟؟

لا يمكنني ان اهضم فكرة زواج المثليين واتصور ان سبب تقبله من قبل كثير من الناس حتى في الغرب هو الترويج المفرط لفكرة (ان من يرفضه متخلف) لكن حياة المثليين ومضطربي الهوية ملكهم تماما وليس لاحد سلطان عليهم ولا يملك احد صلاحية التدخل بخياراتهم (مهما كان رأي الطب حيالهم سواء كان سلبي او ايجابي) طالما انهم لا يتدخلون بخيارات الاخرين الشخصية . وكل فرد منهم هو من يعلم ان كان متصالحا مع ذاته كما هي ام بحاجة الى اللجوء للمختصين لتصحيح واقعه . مع اني اشعر ان التائهين منهم وقعوا ضحية (تعزيز الفكرة من قبل المؤيدين والمروجين) من جهة (والغائهم من الوجود من قبل المتشددين) من جهة اخرى . تقييم الاخرين لا يعتمد على ظاهرهم او خياراتهم الشخصية الخاصة بهم بل يعتمد على سلوكهم معنا...هل هم مؤدبون معنا ام غير مؤدبون؟؟؟هل هم مخلصون في عملهم ام غير مخلصون؟؟؟هل هم صادقون ام غير صادقون؟؟؟ ليس للخيارات الشخصية علاقة بهذه الصفات سالفة الذكر .

من يعذب الحيوانات في صغره قد يقتل الانسان في كبره

في مجتمعنا حين تتحدث عن تعاطفك مع حيوان يعاني ستجد من يهز يده ازدراءً ويقول الجملة الشهيرة (احنه بياااا حال هو البشر محد بحالة) كلا (يا حباب) من يتعاطف مع الحيوان هو في الغالب يتعاطف بشدة مع الانسان . من له حس مرهف في الاحساس بالمعاناة حتى لو كانت في جسد حيوان سيتعاطف بكل جوارحه مع الانسان . والعكس صحيح فمن له قسوة قلب مع الحيوان ولا يهتم لمعاناته لا يهتم لمعاناة الانسان .

أوضحت دراسة أمريكية أجراها الرائد الأمريكى فى العلوم النفسية (فرانك آسيون) فى جامعة دنفر فى ولاية كولورادو الأمريكية أن العنف والقسوة التى يعامل بها الحيوان هى منذر للعنف الذى يرتكب ضد الأطفال والمرأة وكبار السن...وفى دراسة أجراها عالم الإجرام السويسرى (مارتن كيلياسن) على ما يقارب 3600 شاب تتراوح أعمارهم ما بين 13 و16 عاما كشفت الدراسة أن 12% من هؤلاء الشباب(17% من الذكور و8% من الإناث)اعترفوا بأنهم أساءوا معاملة الحيوان...وأشارت التحليلات الإحصائية إلى أن هؤلاء الأطفال ارتكبوا ضعف زملائهم ثلاث مرات جنح خطيرة، ويظهر ذلك فى كل من بريطانيا والبرازيل وكندا ونيوزيلندا وإسبانيا والسويد. (1)

الحديث في موضوع حقوق الحيوان يعتبر من أحاديث الترف والبطر . فنحن نعيش في مجتمعات ليس للانسان فيها حقوق وترفع شعار (البي زود يعبي السكلة رگي) نفس قانون الغاب بالضبط (القوي يأكل الضعيف) من الامور الملفتة للنظر أن حب الحيوانات يولد مع الانسان فالذي يحب الحيوانات وهو صغير سيبقى كذلك الى آخر عمره والذي يبغضها ويؤذيها وهو صغير قد تتعزز لديه هذه الحالة و يتطور لديه الأمر ويتحول الى مجرم لو عاش في ظروف تعزز ميله للعنف ولا تعزز الحنو والشفقة. لكن من الممكن ان يتحول الى انسان شفوق على الحيوانات لو وجد من يدعم هذا التوجه لديه .

وجد أحد الاطفال طير مصاب وساقط على الارض فأمسكه بيده وقطع رأسه بأسنانه . ماذا عن الحفلات الجماعية للاطفال في تعذيب القطط والكلاب . كانت تحدث بكثرة حين كنا صغار وأنا متيقن أن نسبة كبيرة من هؤلاء تحولوا من معذبين للكلاب والقطط الى مجاهدين أبطال يقتلون الناس على الظن والشبهة . هوية الانسان ذي الميول الاجرامية تظهر في هذه الامور التي يفعلها في صغره وهي مؤشر خطير يجب الالتفات له ومعالجته ويجب اشعار الطفل بفداحة ما يفعل وبأن الحيوان يشعر بالألم والمعاناة بالضبط كالانسان .

لكن السؤال هو (هل الكبير أصلا يفهم حقيقة أن الحيوان لديه مشاعر ويشعر بالألم كالإنسان ليُفهم الصغير هذه الحقيقة ؟؟؟)

أحد الصبية الطيبين كان يطعم قطة قرب دار عبادة فتوقف أحد المصلون ونظر اليه وبعد (صفنة طويلة) قال (عمو أنت تصلي؟) فقال له الصبي (نعم عمو أصلي الحمد لله) فقال له (عمو أنت هسة نجس من فوك ليجوة) ثم ذهب ليلاقي ربه بقلب سليم . هو لا يعلم طبعا ان القط غير محكوم بالنجاسة حسب الفقه الاسلامي ولا يعلم أن هناك أحاديث للرسول محمد تشجع على إطعام الحيوانات . لكنه نشأ و تربى على احتقار الحيوانات وتحقيرها لذلك يشعر بداخله أن كل الحيوانات نجسة .

من يملك قلبا لئيما حتى السلوكيات الحسنة التي يرغب بها الدين لا يلتفت لها ولا يهتم لأمرها كإطعام حيوان جائع . ومن يملك قلبا رقيقا حتى الأمور القاسية التي يحللها الدين لا يتقبلها (كذبح الحيوان لأكله)

قسوة القلب لا تتعلق بالدين أو انعدام الدين فمثالنا عن الطفل الذي قطع رأس الطير بأسنانه خير دليل فهذا الطفل لا يعرف شيء عن الدين لكنه قمة القسوة وفي الوقت نفسه هناك متدينون ويهتمون جدا في تحري الحلال والحرام في ابسط الامور كتحريهم الدائم عن احكام النجاسة والطهارة . لكنهم لا يكترثون عند ضرب الدواب على ظهورها بقسوة وعنف قل نظيرهما .

لو كانت الدجاجة بحجم برج إيفل لأصبح الانسان طعامها المفضل . الموضوع يتعلق بالمثل الذي يعشقه أبناء شعبنا (البي زود يعبي السكلة ركي) واستمرارنا بالحياة يتعلق بموت آخرين أقل قوة منا .

كم هو أمر مضحك في نظر الكثيرين ان يتحدث أحدهم عن حقوق الحيوان في مجتمع يفجر فيه الإنسان نفسه على مجموعة من الناس لأسباب فكرية عقائدية . كم هو أمر مثير للسخرية ان يتحدث أحدهم عن تقليل معاناة الحيوان في مجتمع يذبح فيه الانسان أخاه الانسان لأسباب طائفية . قمة السخافة أن يتحدث احدهم عن التعاطف مع الحيوان في مجتمع يصنع مجازر بشرية بسبب مباراة كرة قدم .

أجزم ان نسبة كبيرة من المظاهر العنيفة والدموية في مجتمعنا سببها السادية مع الحيوانات في الصغر...لماذا ؟؟؟ لان نسبة من الناس لا تجد مشكلة حين تجد ابنها يعذب حيوان أو يسلب إرادته مع انهم يتخذون موقفا ويمنعونه لو كان يمارس العنف مع طفل آخر لكنهم لا يعلمون ان ممارسته للعنف مع الحيوان قد تأتي بنفس نتائج ممارسته للعنف مع الانسان ففي كلتا الحالتين ستعزز عنده السادية وقد تتحول الى صفة ملازمة له . وفي أحسن الاحوال سيتحول الى إنسان بليد المشاعر حين يشاهد كائن حي يتألم . وفي أسوأ الاحوال سيتحول الى مجرم هذا في حال لم تحدث متغيرات في حياته تغير مسارها من العنف والسادية الى الرقة والطيبة وهو أمر وارد .

يقول جون لوك: قتل وتعذيب الحيوانات سيجعل من هؤلاء بالتدريج كائنات تمارس العنف ضد البشر وان هؤلاء الذين يستمتعون بمعاناة ودمار المخلوقات لن يستطيعوا ان يكونوا عطوفين تجاه ابناء جنسهم (انتهى) .(2)

سمعت قبل فترة عن حادثة مؤلمة حدثت في احدى المناطق في بغداد حيث تجمع مجموعة من الصبية حول كلب مصاب وضربوه بشدة بالحصى والحجارة ثم وضعوه في اطار سيارة قديم وحرقوه ولك ان تتخيل مقدار العذاب الذي تعرض له الكلب .

السؤال الذي يطرح نفسه...اين كنا؟؟؟ اين كان متدينونا الذين يملئون الدنيا والذين اعتادوا ان يامروا بالمعروف وينهون عن المنكر ؟؟؟لنترك هؤلاء... اين كان متمدنونا ودعاة الضمير والانسانية الذين ينادون بالتمدن والتحضر والعلمانية ؟؟؟هل يعقل منطقة سكنية كاملة ليس فيها لا متدين يحركه دينه ولا متمدن يحركه ضميره ؟؟؟

في اي واقع نعيش؟؟؟ هل كان متدينونا في الجوامع والحسينيات ومتمدنينا في شارع المتنبي؟؟؟ حين نترك ابنائنا يفعلون هكذا افعال دون رادع علينا ان نتحمل النتائج وليس من حقنا ان نعترض على تحولهم الى مجرمين .

يقول الشيخ احمد الوائلي :

هل دريت الانسان والذئب جنس واحد يجمعان بالاعراق

غير ان الذئاب تعوي واولاء يناغون في حروف رقاق

وصفات الذئاب تفتك بالغاب واولاء فتكهم بالرواق

اشمخي يا صراحة الذئب فالانسان خب منافق بالنفاق

ما تلبث ان تتحدث عن تعاطفك مع حيوان حتى يظهر احدهم ابتسامته المتعجرفة التي تعبر عن سخريته وقد يقول لك (صايرلي حنين عالحيوانات هو البشر محد بحالة).

نعم البشر (محد بحالة) لان هناك نوع من البشر خالي من الوجدان ليس لديه مشكلة في ضرب حمار الى ان يدبغ جلده وهناك اخرون يدعون (التمدن والتطور والعلمانية) واخرون يدعون (التدين والالتزام) يتفرجون على هذا المجرم دون ان يعترضوا ولو بكلمة. في اي مكان نعيش وفي اي مجزرة نعيش ؟؟؟مجتمع بليد المشاعر لا يجرأ فيه المثقف او المتدين (او لا يهتم اصلا) لردع احد الرعاع الذي يعذب حيوان ويستعبده...من الطبيعي ان يكون (محد بحالة) لان هذا ما صنعه بنفسه .

التالي هي معلومات مستقاة من مقال مطول من ترجمة عمر سيروان ومصطفى شهباز يعتمد على مجموعة من (الدراسات والاحصائيات الامريكية) ويربط بين (الوحشية تجاه الحيوانات والعنف تجاه البشر):(3)

- هنالك ارتباط بين سوء معاملة الحيوانات والعنف الاسري والاشكال الاخرى من العنف الاجتماعي.

- الاشخاص الذين يمارسون العنف مع الحيوانات من النادر ان لايمارسوا العنف ضد البشر.

- الفرد الذي يشهد حالات العنف المختلفة يكون اكثر تعودا وتقبلا لها.

- قد يمارس الاطفال والمراهقين العنف تجاه الحيوانات بدافع : (الفضول وحب الاستكشاف) او (تنفيس الضغط) او (تحسين المزاج) او(كطريقة لإيذاء الاخرين عاطفيا) او قد تكون (ممارسة للعنف المستقبلي) .

- قد يمارس البالغون ايضا العنف تجاه الحيوانات في محاولة (لزيادة قدرتها على تحمل الالم) او (لزيادة عدوانيتها مثل محاولة تدريب الكلاب لتكون اكثر عنفا باستخدام حيوانات اخرى) او (لإرضاء رغباتهم السادية في الاستمتاع برؤية معاناة هذه الحيوانات).

- هنالك ارتباط مذهل بين ممارسة الطفل للعنف تجاه الحيوانات وممارسته كبالغ تجاه البشر.

- الابحاث في علم النفس والاجتماع والجريمة اظهرت ان العديد من الاشخاص العنيفين كانوا قد ارتكبوا سلسلة من اعمال عنف تجاه الحيوانات في اثناء مرحلة الطفولة والمراهقة.

- نسبة ارتكاب العنف ضد البشر تزداد 5 مرات لدى الشخص اذا ما كان من مرتكبي العنف ضد الحيوانات في مرحلة البلوغ.

- ان العنف تجاه الحيوانات ليس مجرد مؤشر على وجود عيب صغير في شخصية الفرد بل هو عَرَض لاضطراب ذهني كبير كما ان القسوة تجاه الحيوانات قد شخصت كمؤشر على اختلال عقلي خطير يؤدي الى ضحايا من الحيوانات. وكذلك ضحايا من البشر.

- زعيم طائفة مصاصي الدماء(طائفة منحرفة) والذي يقضي عقوبة السجن مدى الحياة حاليا لضربه زوجين في فلوريدا حتى الموت. كانت اول حادثة جذبت انتباه الشرطة نحوه عندما اتهم في اقتحام مأوى للحيوانات حيث وجد جروين مقتولين وعليهما اثار تعذيب.

-100 % من مرتبكي جرائم الاغتصاب والقتل لديهم تاريخ في العنف تجاه الحيوانات.

-70 % من مرتكبي العنف ضد الحيوانات ارتكبوا على الاقل جريمة واحدة وان 40% منهم قد ارتكبوا جرائم عنف ضد البشر.

- 63.3% من الرجال الذي ارتكبوا اعمال عداونية اعترفوا بأنهم قساة في التعامل مع الحيوانات.

- 48% من المغتصبين و30% من المتحرشين بالأطفال مسجلون كمرتكبي عنف ضد الحيوانات اثناء الطفولة والمراهقة.

-36 %من النساء المدانات بالعنف مسجلات كمرتكبات عنف تجاه الحيوانات بينما 0% من النساء الغير عنيفات قد ارتكبن عنف ضد الحيوانات.

- 25% من الرجال المسجونين مسجلين كمرتكبي عنف ضد الحيوانات في مرحلة الطفولة بينما تكون النسبة 0% لدى الرجال الغير مسجونين.

- القتلة المتسلسلين غالبا ما يبدأون بقتل وتعذيب الحيوانات في طفولتهم.

- ايريك هاريس وديلان كليبولد الذين قتلا 12 طالب في اعدادية كولومباين تكلموا عن تشويه الحيوانات لزملائهم

- لوك وودهام الذي قتل امه واثنان من زملاءه عذب وقتل كلبه الخاص قبل تنفيذ الجريمة. كتب في مذكراته عن تقعيد كلبه على النار واصفا عواءه من شدة الالم كشئ جميل.

- قاتل الاعدادية كيب كينكيل عذب الحيوانات قبل التوجه لرمي الطلبة في المدرسة. وقد ابلغ عنه بأنه ضرب ابقارا وذبح قططا. اندرو كولدن يقال انه قتل الكلاب.

- 88% من 57 عائلة في نيوجرسي يتعرض فيها الاطفال للاعتداء تشهد اعتداءات على الحيوانات.

-85% من النساء و 63% من الاطفال الداخلين في الملاجئ هربا من العنف ابلغوا عن اعتداءات على الحيوانات في العائلة.

- اكثر من 80% من العوائل التي تعتدي على الاطفال كانت تعتدي على الحيوانات ايضا.

-70.3% من النساء في الملاجئ اللاتي هربن من العنف المنزلي ابلغن عن تهديدات او اعتداءات على الحيوانات الاليفة, مع 54% من هذه الحالات شهدت ايذاءا فعليا للحيوانات.

-60% من العوائل التي شهدت اعتداءا على الاطفال او تجاهلا شهدت ايضا تجاهلا او اعتداءا عن الحيوانات.

- 32% من الضحايا الذين يمتلكون حيوانات ابلغوا ايضا عن حالات يقتل فيها الطفل الحيوان او يقوم بإيذاءه.

بعد كل هذا...هل ستقف مكتوف الايدي حين تشاهد سيدة تشتري لابنها (كتكوت) ثاني بعد ان قطع رأس (الكتكوت) الاول بأسنانه فقط للتخلص من نوبات بكائه؟؟؟ دون ان تكلف نفسها بتنبيهه في ان هذا الكتكوت كائن حي يتألم وهو قام بقتله حين قطع رأسه؟؟؟(لك تعال...هذا اخوك كطم راس الفرخ هاك ربع روح للسوك جيبله فرخ ثاني) هل سنبقى معمل مزدهر لانتاج السادية؟؟؟ ام ستكون لنا وقفة مع انحدارنا؟؟؟

هناك بوادر جيدة تثير التفاؤل وهناك شريحة لا يستهان بها من المجتمع واعية لهذه المشكلة. نتأمل ان تتوسع هذه الشريحة لتتحول الى رأي عام ضاغط من جهة ومصدر توعية للاخرين من جهة اخرى .

الغباء البشري

قبل فترة شاهدت برنامج يعرض نشاط احد الفرق الطبية التي تنشط في مجال حقوق الحيوان في الولايات المتحدة . فقام هذا الفريق بأنقاذ ثعلب من فخ صياد . وتم علاج قدمه من الاصابة . ثم بعد قليل تناقش الطبيب والطبيبة حول وضع الثعلب فوصلوا لنتيجة ان اصابته قوية ومن الصعب ان يعود بعدها للسير بشكل طبيعي . فقرروا قتله بطريقة القتل الرحيم واعطوه فعلا حقنة وقتلوه .

هكذا اكحام طبية يصدرها الاطباء دون انتظار رؤية النتائج تدل على عدم دراية بالقدرة على التكيف . حتى الاطباء البشريون يصدرون احكام مسبقة وغالبا ما يثبت عدم صحتها فالكثير من الناس الذين (سود الاطباء عيشتهم) باحكام مسبقة تبين لاحقا بطلانها وعدم صحتها . لا يوجد ما يثبت صحة كلام الطبيب الا التحقق الفعلي وانتظار النتائج . لو انهم تركوا هذا الثعلب يتماثل للشفاء اجزم انه كان سيكمال حياته بشكل طبيعي . صحيح انهم اطباء بيطريين لكن لا خبرة لهم كما يبدو في معرفة (قدرة الكائن الحي على التأقلم والتعايش مع الواقع الجديد) كان هناك قطة في الشارع تعرضت لعوق مؤثر جدا في قدمها لا يمكن علاجه او علاجه صعب جدا فقال لي احدهم ان هذه القطة ستموت بعد فترة قصيرة بسبب عدم قدرتها على الحركة وذلك سيعيقها من الحصول على الطعام . مرت ثلاث سنين ومات جميع اخوان هذه القطة ولا زالت هي حية تسعى . ارادوا انقاذ الثعلب من فخ الصياد لكنهم في النهاية قتلوه!!!

قامت حديقة حيوان في الدنمارك بقتل زرافة رميا بالرصاص والسبب هو لانهم يملكون سبع زرافات اخرى من نفس الفصيلة ولا يريدونها ان تصل لسن البلوغ وتتكاثر . من انتم لتحددون من يعيش ومن يموت؟؟؟ هناك الف حل اخر غير القتل لكنهم اختاروا قتلها . هذا هو الغباء البشري المركب .

طلب عامل مصاب بالسرطان يعمل في احدى حدائق الحيوان في هولندا ان يقضي اخر ايامه في حديقة الحيوان قرب الحيوانات التي يرعاها ليودعها . وفعلا وضع فراشه في حديقة الحيوان فجاءت الزرافة التي اشرف على رعايتها لتوديعه في لحظاته الاخيرة لتعطيه قبلة الوداع وهذا ما كان يتمنى الحصول عليه قبل وفاته . هذا هو التكامل الحقيقي بين الانسان وشركائه في الكوكب .

حين يقوم بني البشر بتهجين فصائل مختلفة من الحيوانات لتعزيز الصفات الجيدة وانتاج نوع اقوى فهذا مفهوم ومعقول اما ان يقوموا بانتاج انواع ناقصة الخلقة او مشوهة لاشباع رغبته في اقتناء حيوان غريب الشكل فقط فهذا اوضح تجسيد للانانية البشرية . هو يعلم جيدا انها ستعاني من امراض متعددة بسبب قيامه بتعزيز تلك المورثات لديها لكنه مصمم على اقتناء حيوان يجعله (فنتازي) في نظر الاخرين . مثال واضح على ما اقول : (قط السفينكس عديم الشعر) و(الكلب الذي تم تهجينه من فصيلة الشيواوا وفصيلة الشيتزو وهو ذو مظهر مريع ومخيف) هذه الحيوانات ضحايا الانانية البشرية .

الفرق بين ناشطي حقوق السماء وناشطي حقوق الحيوان

تأمل اللوحة التالية التي رسمها ناشطي حقوق الحيوان: أعلن نشطاء حقوق الحيوان في أستراليا أنهم سيتخذون أنفسهم دروعا بشرية ويحاولون جهد أمكانهم أنقاذ حيوان الكنغر من قوات الحكومة التي تروم قتل أكبر عدد منه لتحديد نسله لانه يتكاثر باعداد هائلة و بسبب خروجه الى الطرقات الخارجية وأصطدامه بالسيارات لذلك قررت الحكومة تحديد نسله وتقليل أعداده من خلال حملة لقتل أكبر عدد ممكن . لكن نشطاء حقوق الحيوان كان لهم كلمة وخرجوا بسياراتهم يتابعون القوات التي تحاول قتل الكنغر للتشويش عليها ولأنذار الكنغر بمنبهات سياراتهم ليفر من الموت . وكذلك الوقوف أمام من يحاول أطلاق النار لأنهم يعلمون أنه لن يغامر في ضربهم .

وتأمل اللوحة التالية والتي رسمها أحد ناشطي حقوق السماء : (يجب ان يقتل هذا الكلب والا على الدنيا السلام ...أطالب بإقامة حد الردة في حمزة كاشغري حتى وإن تاب)

ما هو الفرق بين الناشط الذي يضع نفسه أمام الرصاص لينقذ حيوان من أيدي السلطات الرسمية والناشط الذي يضع رقبة قرينه الانسان تحت سيف السلطة دفاعا عن السماء ؟؟؟؟ الفرق كبير وشاسع بين التحريض على قتل انسان والمخاطرة بالحياة لمنع قتل حيوان .

الشعور بمعاناة الاخرين حتى لو كانوا من جنس اخر كالكنغر هو من يجعل محبي الحيوانات يتركون اعمالهم ومشاغلهم ويبذلون هذا الجهد الكبير في سبيل أنقاذ حياة حيوان يشعرون مسبقا ان هناك علاقة تكاملية بينهم وبينه تجعلهم أمام مسؤولية الدفاع عنه ويشعرون بمدى صعوبة الشعور بالألم وضرورة منع حدوثه.

الشعور بضرورة الغاء الاخر واحتقاره والنظر اليه على أنه مجرد رمز للشر كونه تعدى المحضورات هو ما يجعل من يعتقدون أنهم محبي الله ورسوله يحرضون على قتل الكشغري وكتابة كل تلك العبارات العدائية ولو أتيحت لهم الفرصة ووضع الكشغري أمامهم لقاموا بامور لا تحدث حتى في افلام الرعب .

حمزة الكشغري شاعر سعودي شاب في بداية عقده الثاني كتب قبل سنوات في يوم مولد النبي محمد وعلى صفحته الشخصية في موقع التواصل الاجتماعي تويتر :

في يوم مولدك لن أنحني لك، لن أقبل يدك، سأصافحك مصافحة الند للند وأبتسم لك كما تبتسم لي، وأتحدث معك كصديق فحسب وليس أكثر ... سأقول لك أنني أحببت أشياء فيك وكرهت أشياء.. ولم أفهم الكثير من الأشياء الأخرى... في يوم مولدك سأقول أنني أحببت الثائر فيك.. وأنني لم أحب هالات القداسة، لن أصلي عليك

بعد فترة تراجع الكشغري عن كلامه وتاب واعتذر والتالي هو نص توبته وأعتذاره :

(والله لم أكتب ما كتبت إلا بدافع الحب للنبي الأكرم، ولكنني أخطأت وأتمنى أن يغفر الله خطأي وأن يسامحني كل من شعر بالإساءة)

لم ولن يفيد أي كلام يقوله الكشغري مدافعا عن نفسه فقد رفعت الاقلام وجفت الصحف . وثبت الكفر والالحاد والزندقة . مع ان الكشغري تاب وتراجع عن كلامه واعتذر للمسلمون الا ان ذلك لا ينفعه بشيء فهؤلاء يفرحون حين تظهر كتابات كهذه كونها فرصة جيدة للتعبير عن الكراهية تجاه الاخر وللتعبير عن السادية بأفضع صورها وقد تكون توبته وتراجعه مصدر احباط لدى بعضهم . بعد ان حدثت موجة من المطالبات بقتله واقامة حد الردة عليه هرب الى ماليزيا ثم اعادته السلطات الماليزية الى السعودية وتم سجنه .

ارى علاقة الانسان مع نبيه كعلاقة الاب مع ابنه . النبي محمد نبينا وقد لا يرضينا ما قاله الكشغري لكنه نبيه ايضا . ارى التدخل بين خطاب يوجهه الانسان لنبيه كالتدخل بين الاب وابنه . طالما ان كلمات الكشغري لا تحرض على العنف فتبقى مجرد كلمات خاطب احدهم فيها نبيه بصدق والصدق هو جوهر ما يريده الله من الانسان . كلمات الكشغري الصادقة افضل كثيرا من كلمات المديح والثناء المنافقة التي تصدر من هؤلاء الذين يدعون حب النبي ويقتلون الناس ويحتقرونهم باسمه .

من حق المسلمين التعبير عن عدم قبولهم لما قاله الكشغري ومن حقهم ان يتهموه بالجهل أو بعدم الادب بل من حقهم اتهامه بالالحاد او بالكفر مع ذكر أدلتهم التي يستندون عليها مع ان ما قاله لا يمت بأي صلة للكفر أو للألحاد . من حقهم مواجهة الحجة بالحجة والدليل بالدليل والكلمة بالكلمة لكن ليس من حقهم المطالبة بقتله .

التالي هي بعض ردود الافعال حول كلام الكشغري في الأنترنت :

- والله ليوم قطع رقبته الخبيثة ليوم عيد وساحتفل بذلك نصرة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم

- اللهم عليك بهذا السافل الجاهل اللهم فشل يداه ورجلاه اللهم أرنا فيه وفي من يدافع عنه عجائب قدرتك

- هذا كافر بعينه من سب الرسول او سب الله فهو كافر بعينه ولا يحتاج ان ناخذ فتوى من اي عالم

تأمل...لا أدري اين سب الكشغري الرسول محمد؟؟؟ لكنه البهتان والافتراء . وتامل كيف يقول صاحب المشاركة الأخيرة انه لا يحتاج فتوى من اي عالم لقتله . مع العلم ان النبي محمد نفسه حين حدثه احدهم بطريقة جلفة وقال له (يا محمد) أجابه بكل طيب خاطر.

لنفصل ما قاله الكشغري ونحاول تحليله بهدوء :

في يوم مولدك لن أنحني لك، لن أقبل يدك : وهل النبي محمد طلب من احد ان ينحني له أو يقبل يده؟؟؟ الا ان هذا الانطباع رسخه في أذهان الناس رجال الدين الظلاميون الذين يصورون النبي محمد على انه ملك جبار شاهر سيفه ليل نهار بوجه من يخالفوه في الراي او حتى يناقشوه .

سأصافحك مصافحة الند للند : الندية التي يتحدث عنها الكشغري هي في تقديري رد فعل تجاه الأغلال التي قام رجال الدين الظلاميون بتكبيل الناس بها باسم النبي محمد وحولوا الدين الى سجن مذل وحفرة عميقة ومغارة مظلمة ليس لها اخر.

وأبتسم لك كما تبتسم لي : ما اجمل هذه الصورة وما أروعها.

وأتحدث معك كصديق فحسب وليس أكثر : تمرد على الصورة المرعبة التي يصورها الحمقى عن النبي محمد والتي يظهر فيها وكأنه يسعى الى اركاع كل الخلق بذل وخنوع أمامه. مع ان النبي محمد كان يحاور الاخرين كصديق فعلا كما يريد الكشغري تماما .

سأقول لك أنني أحببت أشياء فيك وكرهت أشياء.. ولم أفهم الكثير من الأشياء الأخرى:
تأمل جيدا قوله - كرهت اشياء- لو تاملنا جيدا سنجد ان الكشغري عرف النبي محمد من الكتب ولو ذهبنا الى الكتب فسنجد روايات عن النبي محمد تتحدث عن قيامه بسلوكيات لا تليق بمقام النبوة . لا ادري تحديدا ما هي الاشياء التي كرهها الكشغري لكنني اكاد اجزم أنها تلك السلوكيات الغير سوية المنسوبة للنبي محمد في امهات الكتب .

في يوم مولدك سأقول أنني أحببت الثائر فيك.. وأنني لم أحب هالات القداسة، لن أصلي عليك : لم يحب هالات القداسة قد يقصد بها (جعل التراث الدموي مقدس وفوق النقد) وقوله لن اصلي عليك هو تكرار لمضامين سابقة تمردية لها علاقة وثيقة بالصورة المرعبة التي زرعها هؤلاء الحمقى في أذهان الكثير من الناس والتي أثارت في بعضهم روح التمرد والرغبة الجامحة في كسر الأغلال . في النهاية الكشغري تراجع عن كل ما قاله وقضى فترة معينة في السجن ثم خرج منه . تراجع عن ما قاله كليا . ولا يعلم الا الله هل تراجع بسبب الخوف ام عن قناعة فعلية .

ان هؤلاء الظلاميين حولوا الدين من منظومة أخلاقية (أنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) أختيارية (لا اكراه في الدين) الى ثكنة عسكرية مرعبة لا تحوي الا أوامر عسكرية متتابعة لامتناهية وعقوبات قاسية لها بداية وليس لها نهاية . وكل ردود الافعال العكسية يتحملها هؤلاء ومن لف لفهم من عشاق الأغلال الذين يريدون ان يبقوا عبيد لرجال يتقمصون الدين. و لا يحتملون ان يروا غيرهم قد كسروا أغلالهم وحطموها وعادوا الى الدين كما دعا أليه النبي محمد (منظومة أخلاقية أختيارية) ان صمود الحمقى الذين يتقمصون دور حماة الدين لوقت طويل منبعه سببان : الاول السلاطين المنتفعين من غطائهم الديني والثاني العبيد الذين يركضون خلفهم كالغنم .

ما رأيكم ان نذبح الاخرين ونتوضأ بدمائهم؟

ما هو رايكم ان نقوم بانفسنا بالقبض على كل المخالفين لنا كوننا لا نحتمل وجود راي اخر ينتقدنا أو يخالفنا...ثم نذبحهم ونقطع أصابعهم التي خطت تلك الكلمات الناقدة ثم نقطع ألسنتهم التي تحدثت بما لا نحب ثم نتوضا بدمهم ونصلي ركعتان تقربا لله لاننا تخلصنا من اعدائه... ثم نحرقهم وندور حول جثثهم ونحن نصرخ باعلى أصواتنا (الله أكبر...الله اكبر)

الى كل انسان لا يحتمل وجود رأي اخر يختلف عن رايه ولا يحتمل وجود سلوك اجتماعي يختلف عن سلوكه ولا يحتمل وجود عادات اجتماعية تختلف عن عاداته ولا يحتمل وجود ميول شخصية تختلف عن ميوله...هل اشبعت اللوحة السادية السابقة مشاعر الكراهية المكنونة في عقلك وقلبك؟؟؟ ام ان للعداء بقية؟؟؟وهل تجعلك تلك اللوحة الدموية المشبعة بالكراهية والعدوانية مستقر نفسيا ومطمئن؟؟؟

فقط من يعرف معنى الحياة يفهم معنى الموت ويقدر تلك اللحظة العظيمة التي يقرر أحدهم أنهاء حياة كائن حي . هؤلاء لا يعرفون قيمة الحياة ولا يقدرون كل لحظة فيها وسيقضون أعمارهم وهم يجترون افكار تبث الكراهية ويعيدون مشهد الموت في خيالهم المريض وأذا وجدتهم يدافعون عن حياة شخصا ما ويشنون حملة لتخليصه من حكم الأعدام أو يبكون على موته فتاكد أنه أرهابي ومجرم كالزرقاوي او بن لادن .

هؤلاء ومن لف لفهم يشبهون كثيرا في عقليتهم اقرانهم الذين نزلت بحقهم الايات القرانية التالية من سورة البقرة :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ)

تأمل جيدا...(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) من نزلت بحقهم هذه الاية كانوا يدعون أنهم مصلحين ولسيوا مفسدين...تامل...(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ)...يتهمون الاخرون بالسفه لكن في الحقيقة هم السفهاء ولكن لا يعلمون بهذه الحقيقة ولا يرون اكثر من تمجيدهم لذواتهم وتسقيطهم للاخرين.

منذ عقود من الزمن ظهر العشرات من رجال الدين والمفكرين المتنورين وألفوا مئات الكتب لإيصال فكرة بسيطة جدا مفادها ان (الكلمة تقابل بكلمة وليس بسيف) منذ ذلك الحين الى الان هذه الشريحة لا تريد ان تستوعب هذا . وبعض هؤلاء حصلوا على شهادات عليا من اكبر الجامعات في العالم لكنهم ازدادوا تطرفا .

شاهدت برنامج عن القرود وظهر فيه قرد صغير يحاول تقليد الكبار في أن ياكل النمل من باطن الأرض بواسطة خشبة صغيرة لكنه لم يكن يجيد العملية . وكان قرد اخر كبير السن يراقبه . فقام بتعليمه الطريقة الصحيحة من خلال تكرار العملية أمامه أكثر من مرة فتعلم القرد الصغير الطريقة الصحيحة خلال أقل من خمس دقائق . هذا القرد الصغير تعلم مهارة جديدة في أقل من خمس دقائق وعبيد ثقافة الكراهية والغاء الاخر لم ولن يتعلموا مهارة قبول الرأي الاخر أومواجهته برأي مثله ولا بعد خمس قرون . يتهمون الناس بالالحاد وهم لا يعرفون ماهية الايمان !!! التفكير والنقد شيئان ملاصقان للانسان وطالما ان هناك دين فهناك نقد لهذا الدين وهناك من يفكر بصوتا مرتفع .

بدأنا الفصل بعلاقة الانسان مع الحيوان ثم تحولنا الى علاقة الانسان مع الانسان . الحديث عن حقوق الحيوان ليس لون من الوان الترف والبطر بل لهذا الموضوع اثر بالغ على طبيعة علاقة الانسان بالانسان . ليس بالضرورة ان تربي حيوان في بيتك. يكفي ان تعلم ابنائك ان الحيوان يشعر بالألم لو أذيته لتخلق حالة من الوعي الايجابي لديهم.

هناك اشياء سهلة جدا وبسيطة لو فعلناها ستتحول الحياة الى مكان افضل لنا وللحيوانات على حد سواء . منها مثلا : بدل ان نضع كل فضلات الطعام في كيس الازبال ونرميها لنجمع فضلات الحبوب (الرز وغيره) ونضعها في سطح المنزل لتأكلها الطيور . ونجمع

فضلات اللحوم في صحن ونضعه في باب المنزل لنتجنب بذلك تمزيق القطط لكيس القمامة كونه لا يحوي حينها اي ارياح مثيرة . او ان نضع في سطح المنزل او في باحته صحن ماء لتشرب منه الطيور والحيوانات . هناك الكثير من الاشياء السهلة والبسيطة التي تعود بالنفع على الجميع لكن يحتاج تطبيقها الى تحول هكذا سلوكيات الى ثقافة اجتماعية بشكل تدريجي وهذا ممكن جدا وهو يحصل الان وهناك بوادر نشوء هكذا ثقافة في المجتمع.

قبول الآخر بين الإستعلاء الايماني والإستعلاء الإلحادي

كنت أتحدث مع أحد الاشخاص ودار الحديث حول قبول الآخر فقلت له (إن لي صديق ملحد) وما أن سمع كلمة ملحد حتى تحول الى كتلة من الغضب وقاطعني وبدأ يلومني بشدة لكوني أتحدث مع شخص لا يؤمن بوجود الله ولم أجد أن النقاش ممكن أن يعود بفائدة تذكر فسايرته في كل ما يقول . في الواقع أن ردة فعل هذا الشخص طبيعية لكونه يعتقد أن الملحد إنسان يعلم أن الله موجود ومتيقن من ذلك لكن لا يريد أن يعبده . الملحد حسب رأيه مرادف للهارب من الخدمة العسكرية أو الذي يعلن العصيان المدني لكن الواقع غير ذلك فالملحد هو إنسان لا يشعر بوجود الله وأكدت له الأدلة العقلية عدم وجوده .

بعض الملحدين كانوا إسلاميين تغلب عليهم الشدة مع الآخر وبعد أن تحولوا الى ملحدين تحولت أفكارهم لكن بقيت طباعهم فهم لا يترددون في جرح مشاعر المسلمين في عقائدهم كما كانوا يفعلون سابقا مع غير المسلمين . أتذكر مرة أرسل لي أحدهم رسالة فيها استهزاء بذات الله مع العلم أن هذا الشخص كان إسلامي متشدد يدعو الى الجهاد ! يبدو أن التشدد وإلغاء الآخر صفتان ثابتتان عند البعض فمهما تغيرت أفكارهم تبقى سلوكياتهم ثابتة.

يقول الدكتور علي الوردي: (من الغريب أن نرى رجلا يضطهد غيره من أجل دينه أو رأيه ثم ينقلب فجأة فيصبح الى جانب الذي كان يضطهده حيث يأخذ إذ ذاك باضطهاد من كان على رأيه السابق . لقد تغير رأيه وبقي فيه شيء واحد لم يتغير , هو إطاره الفكري (انتهى).(1)

أما عن الإطار الفكري فيقول الوردي : (إن الإطار الفكري الذي ينظر من خلاله الإنسان الى الكون ....مؤلفٌ... جزؤه الأكبر من المصطلحات والمألوفات والمفترضات التي يوحي بها المجتمع اليه ويعززها في أعماق عقله الباطن . والأنسان أذن متأثر بها من حيث لا يشعر . فهو حين ينظر الى ما حوله لا يدرك أن نظرته مقيدة ومحدودة. وكل يقينه أنه حر في تفكيره. وهنا يكمن الخطر, فهو لا يكاد يرى أحدا يخالفه في رأيه حتى يثور غاضبا ويتحفز للإعتداء عليه. وهو عندما يعتدي على المخالف له بالرأي لا يعد ذلك شينا ولا ظلما إذ هو يعتقد أنه مجاهد في سبيل الحقيقة ويكافح ضد الباطل (انتهى) .(2)

إن ما يقوله الوردي بخصوص الإطار الفكري يفسر انحياز الإنسان لنفسه وعقيدته وأفكاره و يفسر وجود نسبة من الناس يبحثون عن الحقيقة ضمن إرادة حرة خالية من التعصب...سواء كان هذا التعصب واضح ومكشوف أو تعصب ذكي يحيطه الكثير من أجواء الموضوعية والتجرد لكنه في حقيقته لا يفرق شيئا عن ذاك التعصب المفضوح بل هو أكثر سوء .

المشكلة عندنا ليست في الدين أو اللادين . المشكلة في الإطار الفكري فالمتطرف دينيا قد يتحول الى ملحد متطرف ايضا والمتسامح إذا أصبح ملحدا قد يتحول الى ملحد متسامح ايضا . هناك طباع في الأشخاص تأثير المكتسبات عليها ليس كبيرا. نعم قد تجعل العقيدة فلان من الناس وهو مسالم بطبعه يؤيد فكرة عنيفة لأنها محاطة بهالة من القداسة وقد تجعل فلان من الناس وهو عنيف بطبعه يمتنع عن العنف بسبب حرمتها...المشكلة اجتماعية أكثر منها عقائدية فكرية فلسفية .

يقول الدكتور علي شريعتي : يجب ان تحل مسألة أنسانية الأنسان , وكيف كون الأنسان , وكيفية صيرورة الأنسان قبل أي مسألة أخرى , هذا أساس كل مسألة , سواء أردنا بعد ذلك أن نكون دينيين أم غير دينيين , أشتراكيين أم غير أشتراكيين , تقدميين أم رجعيين , أي شكل نريده نتبعه بعد ذلك , يجب أن تحل هذه المسألة لنا جميعا قبل كل شيء (انتهى).(3)

التكبر الإيماني

يتعامل نسبة من المؤمنين مع الاخر على انه مجرد شيء منحرف عن جادة الصواب . مجرد ذنوب تمشي على الأرض . مجرد رمز لتغييب العقل . مجرد شخص يعرف طريق الصواب ويتعمد سلوك طريق آخر . لا توجد مشكلة تذكر حين يشعر المؤمن أنه متنعم بنعمة الأيمان ويحمد الله عليها ومن الجميل أن يدعو للآخرين بالهداية ويتمنى لهم تذوق حلاوة الايمان. كل هذا إيجابي ولا غبار عليه طالما انه في دائرة احترام خيارات الآخر وعدم تخطي حدود خصوصياته وأجمل ما فيه هو التأثير الإيجابي على حياة الآخرين...لكن!

بعض المؤمنين من هذا الطراز الذي كرس نفسه للعبادة وتحري الحلال والحرام في أبسط الأمور . قد تصيبه لعنة الغرور من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر مع أنه قد يذم صفة الغرور ويعتبرها صفة غير حميدة . بمرور الزمن سيشعر أنه بعباداته وتحريه الحكم الشرعي في الصغيرة والكبيرة وصل الى درجة عالية من الإيمان تجعله أرفع وأسمى من باقي البشر وأقرب الى الله منهم فينظر الى الآخرين المختلفين عنه نظرة لا تخلو من الإستعلاء مع أنه يعتقد في قاموس أخلاقياته ان الاستعلاء صفة ذميمة لكن الكارثة أنه لا يدري أنه مصاب بها . ويؤدي به ذلك الشعور أحيانا الى (سوء الخلق) من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر . ولو امتلك القدرة على الآخرين لأعطى لنفسه الحق في سلب إراداتهم وتحقيرهم لأنه يقوم حسب قناعته بعمل فيه فائدة للآخر يبعده عن النار ويقربه من الجنة . إن هذا الغرور الايماني هو أسوأ أنواع الغرور لأنه يشعر صاحبه أنه يملك الحق في دفع الناس نحو الفضيلة باسم الله . ولو وجد ردة فعل سلبية سيقول في نفسه (هؤلاء ليسوا وجه نعمة فأنا أتمنى لهم الخير وأدفعهم الى دخول الجنة وهم يريدون دخول النار) هؤلاء يشعرون أنهم أوصياء على الناس ومن حقهم سلب إراداتهم وتحقيرهم وسبب ذلك هو شعور

داخلي بالأفضلية والسمو والرفعة لأن علاقته الأجتماعية مع الآخر مبنية على أساس أنه متصل بالسماء والآخر منكب على الارض.

يقول الكاتب والباحث حسن إبراهيم أحمد :مجتمع المؤمنين لا يجد سنده ومبرراته في الواقع المعاش من قبل جمهور الناس الآخرين , بل يجده في القوى المتعالية , قوى الغيب , قوى الفوق , المتحكمة بقوى التحت , والمؤمن لا يرضيه قال فلان الكاتب او الأديب أو المفكر أو العالم , بل يرضيه قال الله أو أحد أنبيائه أو أحد أوليائه , أو أحد أفراد السلالات المقدسة المتناسلة عبر الايام . إذن المشروعية الفكرية والثقافية للعقل الايماني ليست راضية بل مرتبطة بقوى السماء الموجهة لقوى الارض وبالتالي هي أعلى منها رتبة , وكلما علت مرتبة المرجع الذي يتم الرجوع اليه كلما علا مكان وموقع المرتبطين به . التعالي يأتي من الارتباط بقوى فوق الطبيعية وتمثيل هذه القوى في أرض الواقع (انتهى).(4)

قد يصل أحدهم الى مركز مسؤولية مرموق بسبب انتمائه لحزب معين أو بسبب قرابته من سياسي معروف أو بسبب اجتهاده فيشعره ذلك بأنه محاط بعناية السماء فيفسر حصوله على المنصب على أنه توفيق إلهي مرة واختبار إلهي مرة أخرى وفي كلتا الحالتين المحور في حصوله على المنصب هو السماء . قبل فترة تم تقديم طلب صرف مكافآت لمجموعة من الموظفين في إحدى الوزارات فكان جواب الوزير (لا يصرف سحت وحرام) والواقع يقول أن ليس هناك مفردة سحت وحرام في القانون . هناك مفردات قانونية دارجة وليس مفردات فقهية . ولا نعلم إن كان الموظفون يستحقون المكافأة أم لا وفي كل الأحوال جواب الوزير دلالة على شعوره بأنه يمثل الله في الوزارة . وهذا الشعور ليس له أساس على أرض الواقع . فالوزير يمثل القانون ولا يمثل الله .

لا يخصنا مستوى علاقة المسؤول مع الله ولا يخصنا تجلياته مع الله ولا يخصنا بكاؤه عند الدعاء ولا يخصنا ان كان يصلي صلاة الليل ويصوم في تموز . ما يخصنا هو مدى التزامه بمفردات القانون اللفظية والإجرائية . ما يخصنا هو العدالة الاجتماعية ووصول الحق لأهله وأنصاف الناس . لا يخصنا بشيء إن كان هذا الانسان مسددا من الله أو باء بغضب من الله . وهناك وزراء وصلوا الى مناصبهم وليس لديهم أي علاقة تذكر مع الله .

بعض المتدينين لا يطيقون أن يقول أحدهم (الدين أمر شخصي) لأنهم لا يؤمنون بالحرية الشخصية ويؤمنون بوجوب أن يكون الجميع مطابقين لهم وهذه المطابقة يحكم عليها من الشكل الظاهري للآخرين . وغالبا ما تكون المزاجية هي الفيصل في انفعال أحدهم لأجل الدين فقد تجده ينفعل ويصرخ بطريقة غريبة يفقد بها وقاره حين يشاهد شابا قام بوشم كتفه لكنه يخرس حين يرى منافقا يحاول استغلال الدين لأسباب سياسية أو مصلحة شخصية .

التكبر الإلحادي

- حسنا يا سيدي ... أنت تؤمن بوجود الله

أجاب رجل الدين :

- أجل أنا أؤمن

قال الملحد في أبتسامة الواثق من نفسه :

- وأنت توافق أيضا على أن محيط الأرض 28000 ميل اليس كذلك؟

- من غير شك .

- أرجوك أذن أن تخبرني عن حجم إلهك وأين يمكن أن يوجد .

- حسنا إذا صدق ظننا فإنه يقيم في قلبينا نحن الإثنين .

- (أجاب الملحد) كفى كفى لا تحسبني طفلا ! واعتصم رجل الدين بصمت متضع .(5)

حصلت هذه المحاورة أمام المهاتما غاندي أثناء حضوره جنازة أحد الملحدين البارزين وحضر فيها جمهرة كبيرة من الناس وعدد قليل من رجال الدين ليؤدوا واجب الإحترام الاخير . وبعد دفن الجنازة وأثناء انتظار القطار جرى الحوار السابق بين رجل دين وملحد متحمس كما يصفه غاندي . ويقول غاندي إن هذه المحاورة زادته كرها للإلحاد .

السبب الرئيسي الذي جعل غاندي ينفر من الالحاد الذي كان قد تأثر به في أيام شبابه الاولى هو غرور واستعلاء الملحد في طريقة محاورته لرجل الدين . ويبدو أن نسبة من المحلدين المعاصرين يتصفون بنفس الصفة .

إن السبب الذي يجعل العقل الإلحادي يميل الى التكبر والغرور في التعامل مع الآخر أحيانا هو الإيمان بفكرة أن منبع الالحاد هو احترام العقل واحترام العلم وعدم الايمان بالخرافات . لذلك يشعر الملحد بأنه مميز ويمتلك عقلا أكثر رجاحة من عقل الآخر . فالاخر يؤمن بوجود ملائكة وشياطين لا يوجد دليل واحد على وجودها حسب رأي الملحد . والآخر يؤمن أن قراءة بعض الكلمات من القران قد تحميه . والاخر يؤمن أن هناك حياة أخرى بعد الموت . ومن يؤمن بهكذا أفكار هو في الواقع يغيب عقله (في نظر الملحد) لذلك يجد الملحد نفسه عبارة عن إنسان تمكن من إيقاد شعلة التفكير في عقله وتجاوز حاجز الممنوع مما يعطيه شعورا بالتفوق والتميز عن البقية . والمشكلة ليست في الشعور بالتفوق بل في التعامل مع الآخر من منطلق هذا الشعور .

حين يجري حوار مفتوح دون قيود بين مؤمن وملحد من تلك النسبة التي تتعامل بكبرياء واستعلاء . ستجد أن الحوار سيتسم بالتفاخر . فسيتفاخر المؤمن بنعمة الايمان ورجاحة العقل وحسن العاقبة وسيتفاخر الملحد بالجرأة في التفكير دون قيود والإيمان بالعقل والعلم والنظريات العلمية التي تدعم الإلحاد . كلاهما يشعر بأن الآخر يعاني من الخواء وهو ليس على شيء.

قبل فترة كان يتحدث أحد الاشخاص من العلمانيين المؤمنين عن الخطب الدينية فقال : (إن هؤلاء جهلة ولن تقوم لهم قائمة) يبدو أن هناك الكثير في مجتمعنا يدّعون أنهم ديمقراطيون يتقبلون الآخر ويتفاخرون بأنهم مختلفون عن عامة الناس ولكن لا يعلمون أنهم لا زالوا بنفس العقلية التي تحتقر الآخر . فالمحاضرة الدينية بالنسبة لمن يحضرونها قيمة عليا ولحظات تجلٍي مع الله يجب احترامها طالما أنها لا تؤثر على الآخر ولا تلغيه . نعم هي مرفوضة لو كانت تدعو الى العنف وإلغاء الآخر لكن ليس من العدل رفضها والتقليل من قيمة مريديها فقط لأنها محاضرة دينية . المشكلة ليست في أن يرى الإنسان نفسه أفضل من الآخر فهذا أمر طبيعي ووارد جدا . المشكلة هي أن يتعامل مع الآخر من منطلق أنه أرفع وأسمى.

بعض حديثي العهد (بالتدين او بالالحاد) ينتمون لمدرسة واحدة

اقصد بحديثي العهد بالتدين هؤلاء الذين لم يكونوا يعلمون عن الدين شيء و منغمسين بحياة عبثية و ينظرون للمتدينين نظرة احتقار ثم فجأة ولسبب ولآخر (قد يكون تماشيا مع الامر الواقع وقد تكون توبة نصوح حقيقية) تحولوا الى رماح الله في وجه المفسدين والفاسقين . هؤلاء الذين يحرصون على استخدام مفردات فقهية في حديثهم العادي (هذا مفسد , ذاك فاسق , تلك زانية , هذه فاجرة) ليس عيب ان لا تكون على جادة الصواب ثم يعتدل خط حياتك فباب التوبة مفتوح والفرص متاحة دائما وابدا . العيب هو ان تجعل من نفسك ميزان للايمان وتصنف الناس على مزاجك هذا مؤمن وذاك فاسق .

في الوقت الذي كان هؤلاء منشغلون في اذية الناس وفي نمط حياة طائش (قبل 2003) ويعتبرون الالتزام بالدين شيء يخص كبار السن فقط كنا نزور منازل العلماء رغبة في الجلوس معهم والتماس علمهم حين كانت منازلهم مراقبة من قبل الاجهزة القمعية للنظام السابق. ولا اذكر ذلك من باب التفاخر فلا يوجد مفخرة بالخيارات الشخصية مهما كانت لكن اذكره للضرورة فهو تبيان لواقع مرير نعيشه . في ذلك الحين كان بعض هؤلاء (الذين يتشدقون علينا الان بمصطلحات فقهية) منسجمين مع توجهات النظام السابق . بعد 2003 وبقدرة قادر نزل عليهم الوحي وتحولوا الى مدافعين عن الفضيلة . ليس عيب ان يتحول الانسان الطائش الى متدين لكن العيب والخزي ان يتصور انه ممثل الله في الارض ويحتقر من يختلفون عنه . كيف لك ان تتجرأ على ان تعلم الناس دينهم وتحاول فرض نفسك عليهم وانت ذلك الذي لم نرى منه الا (الانسجام مع الامر الواقع مهما كان) لا يعنينا بشيء نوايا

هؤلاء الحقيقية واسباب تحولهم واسلوب حياتهم واي ثوب ظاهري يلبسون (سواء كان ديني او لاديني) ما يعنينا فعلا هو مدى احترامهم لخصوصيات غيرهم .

في الجانب الاخر...اقصد بحديثي العهد بالالحاد هؤلاء الذين كانوا مؤمنين متشددين يعتقدون ان عليهم ان يحتلوا العالم باسم الله ويقتلون كل من هم غير مسلمين او على الاقل يتعاطفون مع من هم كذلك ثم فجأة وبعد ان اطلعوا على بعض الافكار تحولوا الى ملحدين متشددين يتهمون كل من هو مؤمن بالجهل والتخلف . الغريب انهم حين يتحدثون عن الالحاد يشعرونك ان الالحاد براءة اختراع اكتشفوها حديثا .ولسان حالهم يقول (ايها الناس... ايها الناس...ما من إله) يا اخي انت كنت متقوقع في فكرك المتشدد الاصولي ولم تكن تعلم شيء عن الدنيا لماذا تعتقد ان الجميع مثلك ؟؟؟ حين كنت تتعاطف مع قتل الاخر (الغير مسلم) كان هناك شريحة من المسلمين تدعو لثقافة التعايش مع من تبيح انت دمهم فكيف تجرأ على اتهام الناس بالجهل وانت ذلك الذي لم يفعل شيء الا انه انتقل من تجهيل غير المسلم الى تجهيل المسلم . لكن للامانة النقلة النوعية هي ان الملحدين لا يدعون الى قتل (المسلم) وهذه ايجابية تمتدح ومن الانصاف ذكرها .

خبراء الخط يعرفون توقيع شخص معين حتى لو قام بتغيير خطه لان هناك سمات معينة مهما حاول ان يخفيها تبقى موجودة . قد لا نميزها نحن لكن الخبراء يميزونها فورا . بعض الاشخاص مهما انتقلوا من خط فكري سلوكي الى خط اخر مناقض يبقى توقيعهم الشخصي موجود وسماته واضحة .

دعني امارس غبائي بهدوء

الى هؤلاء الملحدين الذين يرددون دائما (المؤمنون اغبياء يؤمنون بغيبيات لا يستطيعون اثباتها انهم كالاطفال يجب ان يفهموا انهم كبروا ونضجوا وليتوقفوا عن هذه الخرافات) حين يتهمون المؤمن بالغباء ذلك لانهم يشعرون انهم كانوا اغبياء ومغفلين . هم في الواقع يتهمون ماضيهم بالغباء . أنت تعتقد انك كنت غبي حين كنت مؤمن اما غيرك فلا يجدون انفسهم اغبياء . دعنا نمارس غبائنا (كما تصفه) بهدوء . اليس لي الحق في ان امارس هذا الغباء الذي لا يعاقب عليه القانون؟؟؟نعم فقط حين يدفعني ايماني الغيبي لمخالفة القانون يجب ايقافي عند حدي .

الالحاد ليس وهم بل امر واقع

نسبة لا يستهان بها من الناس لا زالوا يتعاملون مع الإلحاد واللادينية واللاادرية او الانتقال من دين الى اخر بالانكار وترديد تلك الجمل المجة (نحن بحمد الله مجتمع مؤمن وليس لدينا هكذا ظواهر منحرفة...لا نقبل بهكذا ظواهر في مجتمعنا البتة...الخروج عن الدين خط احمر ونحن متمسكون بديننا ومن ينحرف مكانه اما مستشفى المجانين او الرقية الشرعية او الموت مصيره المستحق)

هؤلاء لا يعلمون ان العقيدة شيء يعيش في العقل ويتربع في القلب اذا خرج منه لن يعود الا بنفس الطريقة التي خرج منها فقط...لا زال بعضهم يعتقدون ان من يعلن عن افكار إلحادية او خارجة عن المألوف يجب ان يجبر عنوة على عدم البوح بها مرة اخرى والعودة الى الافكار المألوفة التي يعتنقها المجتمع...قد يظن البعض اني احاول تقمص دور ذلك التبشيري العقلاني الذي يريد امتصاص نقمة الملحدين والاستماع لهم بهدوء ومحاولة اعادتهم الى الدين بالتي هي احسن...كلا قطعا ليس هذا ما اعنيه البتة...الاعتراف بالامر الواقع والتعايش معه افضل كثيرا من التهرب منه وادعاء عدم وجوده...حتى لو اجبرت الملحد على التظاهر بالالتزام بالدين سيبقى في داخله كافرا به . لا يوجد حل الا الاعتراف بالامر الواقع .

ملخص الكلام...اذا كنت ملحد الحادك لن يضرني واذا كنت مؤمن ايمانك لن ينفعني . نعم نذالتك ستضرني وطيبتك ستنفعني سواء كنت مؤمن او ملحد .

انت متيقن من ايمانك ...انت متيقن من إلحادك...انا متيقن من ان الحياة لغز كبير والمعرفة البشرية تتقدم الى الامام وليس الى الاعلى . بمعنى اخر ليس هناك قمة ممكن ان تصل لها وتقول انك متربع عليها والاخرين ادنى منك... هناك طريق يشبه مضمار السباق تسير البشرية عليه . قد تتقدم على غيرك لكن من الممكن ان يراك متاخرا لانكما تسيران على طريق دائري . تماما كما ترى المتسابق الاول في المضمار يسير خلف الاخير لان المضمار دائري . والمضحك ان البشرية تكتشف بين فترة واخرى انها كانت مخطئة في امر معين وتعيد حساباتها مرة اخرى فلا تظن انك في قمة جبل بل انت في طريق دائري... طريق غامض...نتائجه نسبية...لا تغامر وتطبل لفكرة معينة وكأنك متسابق وصل لقمة الجبل قبل غيره . فقد ياتي يوم تصبح فيه هذه القمة مؤخرة السباق... كلما وصلنا لنتائج كلما ازداد اللغز تعقيدا وازداد الفضول البشري قوة . كلما كدنا ان نصل الى الحقيقة نكتشف لغز اخر اكثر اثارة من اللغز الذي قبله...كم اشفق على المؤمنين والملحدين الذين يتصورون انهم في قمة الهرم وينظرون للاخرين نظرة استصغار...لا يوجد هرم اصلا...ليس الا طريق من الصعوبة ان تميز فيه بين الاول والاخير .

ينسب للفيزيائي الالماني الشهير فيرنر هايزنبيرغ المقولة التالية (أول شربة تشربها من كأس العلوم الطبيعية ستحولك لملحد لكنك ستجد الإله ينتظرك في نهاية الكأس)

اقول (اول شربة تشربها من كأس الفكر الديني المتراكم هي الايمان...لكن الالحاد قد يصادفك في منتصف الطريق ويطلب منك بإلحاح شديد ان تكون ضيفه)

نحن في لغز...محاولة اكتشاف هذا اللغز هو ما يحركنا للامام...لكن تلك الحركة في ذلك الطريق الدائري قد تجعل المتأخر يبدو في الامام والمتقدم يبدو في الخلف...وها نحن

نتصارع على من هو المتقدم ومن هو المتأخر...المشكلة ليست هنا...المشكلة ان مضمار السباق بدون حكم ... حكم محايد لا ينتمي لاي من المتسابقين .

انكار ثوابت العلم غباء...لكن تلك الصورة الخيالية التي يتخيل فيها الملحد او المؤمن انه متربع على قمة جبل وغيره مجرد ارقام في عالم الوهم هو غباء مدقع . العلم لا يقف عند محطة معينة وعدم اثبات العلم لشيء معين لا يعني بطلانه بالضرورة فقد يثبته يوما ما حين تتطور الادوات وتتطور التجربة البشرية .

قرأت خبر يقول ان العلماء اكتشفوا ان عمر الكون اكبر بمئة مليون سنة عما كانوا يعتقدون وان تقديرهم السابق كان خاطئا...هذا ما اتحدث عنه...نحن في بحث دائم عن الحقيقة والمعطيات تتغير دائما .

صولجان الالحاد وسيف الايمان

الخطر الفعلي على البشرية لا ياتي من ذلك الملحد الذي اثبتت له الادلة عدم وجود الله بل من ذلك المؤمن الذي اثبتت له الادلة ان الله موجود ويامره ان يقتل كل من لا يؤمن بوجوده. اكبر كذبة (او شبهة لو احسنا الظن) هي القول في ان الاطلاع على افكار الالحاد يشكل خطر على الايمان...قال احد الملحدين مرة (ان عدم تمكن الانسان من استيعاب ان هذا الكون تشكل من ذاته سببه اعتياد الانسان على فكرة ان لكل شيء مصدر وهو بذلك واقع تحت تأثير ما اعتاد عقله على قبوله استنادا على معطيات هذا الواقع الذي لم يكن له ولقواعده وجود حين تشكل الكون)...نفس المضمون من الممكن ان يقوله مؤمن لملحد يقول (من خلق الله؟؟؟)

الموضوع ليس بهذه السهولة والعقل البشري من الممكن ان يُخدع وقد يكون مصدر هذه الخدعة (مقصودة او غير مقصودة) الدين او العلم على حد سواء... ليس بالضرورة ان ما ولدت عليه هو الحقيقة المطلقة لكن في نفس الوقت لا يعني انه الباطل المحض .

هل يعتبر الحديث عن الالحاد او مناقشة افكاره لون من الوان الترويج له؟؟؟

المروج الفعلي للالحاد حسب اعتقادي هو كل فكر ديني خارج حدود الضمير والعقل فهذه الافكار هي من تحفز نسبة من الناس على اعادة النظر . لكن هذا لا يعني ان الملحد واقع تحت تأثير التطرف فقط...كلا قطعا فالملحد اقتنع بافكار الالحاد لانها توافق تأملاته وتوافق ما وصل اليه عقله واصبح الالحاد هو الحقيقة التي يعتقد بصحتها .

نحن بحاجة الى اربع امور مهمة جدا لنواكب الامم الاخرى او قد نرتقي عليها وهي:

1- **نحن بأمس الحاجة لنمرن انفسنا على الاطلاع على افكار الاخر** المناقض لنا الذي يثبت عدم صحة اعتقادنا...نعم الاطلاع على الاخر المناقض لنا نحتاجه لنعرف انفسنا ولن نكتشف انفسنا على حقيقتها اذا لم نتمكن من كسر حاجز الخوف من الاخر والتوتر من الاطلاع عليه...اننا نطلع على الاخر في مرات كثيرة بنية الرد عليه او اعتناق افكاره...لا هذا نحتاجه ولا ذاك...نحتاج ان نطلع على الاخر بنية فهمه وتفهمه اما الرد عليه او اعتناق افكاره فكلاهما تحصيل حاصل لا قيمة له امام فهمه وتفهمه...اذا تجاوزنا هذا التوتر والانفعال والغضب الذي ينتابنا حين نستمع للاخر المناقض لنا سنتحول الى مجتمع مذهل .

2- **الوقوف على واقع ان عقيدتي الشخصية لا خطر عليها قد يسببه اطلاعي على افكار اخرى مخالفة لها**...الخطر الفعلي يكمن في تقوقعي على ذاتي...بربكم الى اي درجة عقيدتي مهزوزة بداخلي اذا كنت اخاف عليها حتى قبل ان اطلع على فكر اخر؟؟؟ جمال العقدية هي انها حقيقية...لو تأثرت بغيرها وتغيرت افكاري لم تعد عقيدة تستحق ان اخشى عليها بل ستصبح مجرد قوقعة اجبر نفسي على الانطواء بها خوفا من المجهول .

3- الوقوف على حقيقة ان هناك افكار خاصة بالفرد نفسه قد لا يتحدث بها امام الاخرين فقد يكون احدنا في احدى اللحظات في قمة الايمان وفي اخرى في قمة الالحاد . للمؤمنين اوقات الحادية وللملحدين اوقات ايمانية فحتى ابرز الملحدين ريتشارد دوكنز يعطي احتمال ضعيف جدا لوجود اله .

4- الاطلاع على الاخر من مصادره دون الاتكال على بعض اصحاب الوصفات الجاهزة الذين يقول لسان حالهم (نحن سنطلع على الافكار الفاسدة ونبين لك مواطن الفساد فيها دون حاجة الى ان تتعب نفسك اما انت فلا يجب عليك الاطلاع لان ذلك قد يفسد دينك وعقيدتك)

المجتمع الايماني الذي لا يوفر منصة يعبر فيها من يناقض ايمانه عن نفسه بحرية كاملة لا قيمة لايمانه .

اختلفوا في ايمان ابو طالب...هل هو مؤمن بنبوة الرسول ام لا؟؟؟مع ان الشواهد بالنسبة لي تدل على انه مؤمن لكن من يقولون انه غير مؤمن هم في الواقع يمتدحوه من حيث ارادوا ذمه... من يؤمن بعقيدة معينة ويدافع عن نبيها فهذا سلوك طبيعي . اما من لا يؤمن بتلك العقيدة ويدافع عن حق نبيها في نشر افكاره فهو تجسيد لقول فولتير (قد اختلف معك في الرأي لكني مستعد ان اموت دفاعا عن رايك) يتجسد السمو الحقيقي للذات البشرية حين ينفعل الانسان وترتفع غيرته ليس انتصارا لنفسه بل انتصارا لحق من يناقضه بالرأي في التعبير عن نفسه .

العلم والدين

حين يتحدث الانسان عن (العلم و الدين) فهو يتحدث عن اثبات سابقة علمية في النص الديني أو اثبات تناقض النص الديني مع العلم . ان اثبات سابقة علمية في النص الديني او اثبات تناقض النص الديني مع العلم محوره الدين . وهذا لا يعني بالضرورة أثبات وجود الله او اثبات عدم وجوده . فقد يؤدي أثبات تناقض الدين مع العلم الى ايمان احدهم بدين اخر يدعو الى عبادة الله أيضا . وقد يؤدي الى تحول احدهم الى (الوهي لا ديني) وقد يؤدي الى الالحاد . اماأثبات سابقة علمية في الدين فقد يؤدي الى ايمان احدهم به . وقد يتم تفسير الأعجاز بانه مجرد صدفة او تاويل غير واضح .

يقول أينشتاين : أنا لا أعتقد ان العلم يجب ان يكون بالضرورة في حالة تعارض طبيعي مع الدين . في الحقيقة ، أجد ان هناك ترابط متين بينهما . لذا أقول بان العلم بدون دين كسيح ، وعلى العكس ، ان الدين بدون علم أعمى . كلاهما مهم ، وسوف يعملان يد بيد . ويبدو لي ان من لم تبهره الحقيقة في العلم وفي الدين هو كالإنسان الميت (انتهى) .(1)

أذا أخذنا هذا القول على ظاهره وبشكل مجرد فمعناه ان هناك علاقة تكاملية بين العلم والدين لكن المقصد ليس كما يبدو كما سنرى لاحقا . فما قاله اينشتاين قاد محاوره بيتر بوكي الى ان يسأله (اذن انت تعتبر نفسك شخص متدين؟)

أجاب اينشتاين : أنا أؤمن بوجود الألغاز الغامضة ، والحقيقة اني في بعض الأحيان أواجه مثل هذه الألغاز بخوف كبير . وبكلمات أخرى ، أؤمن بوجود أشياء في هذا الكون لا نستطيع إدراكها أو النفوذ الى داخلها. لذا فاني لا أعتبر نفسي رجل متدين إلا في ما يتعلق بالموقف من هذه الألغاز المبهمة . مع ذلك اني أدرك هذه الأشياء بعمق . ما لا أستطيع فهمه هو كيف يمكن ان يكون الإله الذي سوف يكافئ ويعاقب رعاياه ، أو الإله الذي يمكن أن يحثنا على تطوير رغباتنا في حياتنا اليومية (انتهى) .(2)

يحاول عالم البايولوجيا المعروف ريتشارد دوكنز أن يثبت بإسهاب ان اينشتاين لا يؤمن بوجود الله وان استخدامه لكلمة الله يقصد بها الطبيعة واستخدامه لكلمة دين يقصد بها (الوقوف امام الغاز الكون باعجاب) فيستشهد بكلمة اينشتاين المعروفة (العلم بدون دين كسيح والدين بدون علم أعمى) وكلمته (لا أؤمن بالأله الشخصاني) ويحاول لفت النظر الى وجود تناقض بين القولين ليقوم بدوره باثبات أن اينشتاين لا يقصد الدين الغيبي في الجملة الاولى بل يقصد مفهوم خاص به . وبذلك لا يكون هناك أي تناقض .(3)

لكن المشكلة ان اينشتاين أوقع دوكنز في تناقض أكبر . فهو يوضح قصده بشكل يجعلنا نقطع أنه يقصد الدين الغيبي . بعد ان سأله بيتر بوكي : أنت أذن لا تؤمن بالرب ؟

اجاب اينشتاين : هذا ما أعنيه بقولي ان العلم والدين يسيران يد بيد ! لكل منهما موقعه، ولكن يجب ان يمكث كل منهما في دائرته. دعنا نفترض اننا نتعامل مع عالم في الفيزياء النظرية أو مع عالم له إلمام كبير مع مختلف قوانين الكون. على سبيل المثال: كيف هي وضعية مدارات الكواكب والشمس ، وكيف تدور الأقمار التابعة في مداراتها حول كواكبها ؟والآن : كيف يمكن لمثل هذا الإنسان الذي درس هذه القوانين المختلفة وفهمها أن يؤمن بان هناك إله واحد قادر على إحداث الإخلال بمسارات هذه الكتل المدارية العملاقة ؟ كلا ! القوانين الطبيعية للعلم لا تعمل نظريا فحسب ، بل قد تم إثباتها في الواقع . ثم أنا لا أستطيع أن أؤمن بوجود ذلك الإله الأنثروبومورفي (الإله التشخيصي الذي خلعت عليه صفات الإنسان) الذي يمتلك القدرة على التداخل مع القوانين الطبيعية . وكما سبق لي ان قلت ، ان المشاعر الدينية الأروع والأعمق التي يمكن تجريبها هي الإثارة التي تبعثها فينا هذه الإلغاز. ان هذه (الألغاز) هي قوة كل العلم الحقيقي . واذا كان هناك ثمة فكرة عن الإله فهي : الإله هو روح عذبة ، وليس ذاك الشخص الذي خزن الكثير في عقله . ديني هو الانبهار المتواضع أمام هذه الروح المتسامية و اللامتناهية ، والتي تعبر عن نفسها في التفاصيل الدقيقة التي نستطيع إدراكها بعقولنا الوهنة والهشة (انتهى) .(4)

لو ركزنا على بداية الحديث لوجدنا ان اينشتاين قال (يجب ان يمكث كل منهما في دائرته) ولا أعلم كيف تمكث الطبيعة (حسب تفسير دوكنز لقول اينشتاين) خارج دائرة العلم و المتحدث عالم فيزياء ؟ قطعا أن الدين الغيبي هو المقصود في هذا المقطع تحديدا ولا يمكن تأويل هذا الكلام بأي شكل من الأشكال . وهذا لا يقلل من قيمة ما وصل اليه دوكنز فكثير من كلام دوكنز يتناغم مع أقوال اينشتاين الى حد ما . مع ان البعض صنف اينشتاين على أنه (لا ديني ربوبي) الا ان دوكنز يصر على انه (طبيعي) ليس ربوبي .

يقول دوكنز : لدينا الكثير من العبارات المشهورة لاينشتاين والتي تدل على ان اينشتاين كان طبيعيا وليس ربوبيا مثل (الاله الخفي ولكنه ليس خبيث) أو(الاله لا يلعب النرد) أو (هل كان لله خيار في خلق الكون) بالتأكيد لم يكن مؤمنا . يمكن تفسير (الله لا يلعب النرد) ب(العشوائية ليست من صميم الأشياء) و(هل كان لله خيار في خلق الكون) يمكن تفسيرها ب(هل هناك أمكانية لتكون بداية الكون مختلفة عن التي كانت عليه ؟) اينشتاين استعمل كلمة الله بشكل مجازي ورمزي...دعني الخص دين اينشتاين ببعض ما قاله هو نفسه (الاحساس بأن خلف ما نحس به يوجد شيء ما لا نستطيع أدراكه وهذا الشيء يمسنا بجماله وسموه بطريقة غير مباشرة . وبشكل يكاد يكون غير محسوس .)(انتهى) (5)

الطريقة التي يفسر بها دوكنز أقوال اينشتاين تذكرني بطريقة رجال الدين في تأويل الايات والاحاديث الى معاني تروق لهم . مع ان تفسيرات دوكنز لأقوال أينشتاين منطقية نوعا ما . لكن أينشتاين عالم فيزياء . ما الذي منعه من قول : (العشوائية ليست من صميم الاشياء) بدل (الله لا يلعب النرد) ؟ وماذا يقصد اينشتاين بقوله (الاحساس بأن خلف ما نحس به يوجد شيء ما لا نستطيع أدراكه) ؟ من حق المؤمنين ان يثيروا هذه التساؤلات . الطريقة التي يصيغ بها اينشتاين أقواله تجعل منها اشبه بالنصوص المقدسة (قابلة للتاويل وحمالة اوجه)

الحقيقة ان اينشتاين في حديثه عن الدين خلق حالة من النزاع بين المؤمنين والملحدين تثير الغثيان وتجعل الانسان يشعر بمزيد من الاحباط . بسبب الالحاح الشديد من الطرفين على أثبات ايمانه أو الحاده . وهل يتوقف الايمان او الالحاد على بركات اينشتاين ؟ لكن يبدو أن الانسان يتعامل مع كل الامور بانحياز واضح وتفاخر مج ! هل العبقرية مرتبطة بالايمان أو بالالحاد . أذا كانت الغاية هي التفاخر بعبقري كانيشتاين . فلا أجد أي ربط بين العبقرية والمعتقد.

يقول دوكنز : الكثير من اللغط والحيرة سببها الفشل في تمييز الدين الاينشتايني والدين الغيبي . استعمال اينشتاين لكلمة الله (وهو ليس الملحد الوحيد الذي فعل ذلك) بتضرع كان ولا يزال سبب لسوء الفهم من قبل العديد من الغيبيين المتدينين والمتلهفين لسوء الفهم ليستطيعوا الادعاء بأن ذلك العالم اللامع كان واحدا منهم (انتهى) .(6)

الواقع ان دوكنز لا يختلف كثيرا عن المؤمنين الذين ينتقدهم فهو أيضا يحاول جاهدا اثبات ان اينشتاين ملحد لاضافة قوة للالحاد . فهو معهم في نفس الخانة . فلا ادري ما هي المشكلة في ان يكون عالم لامع مؤمن أو ملحد ؟ لنفترض ان اينشتاين كان مؤمنا باليهودية بشكل حقيقي (وليس كأنتماء أجتماعي او عشائري) هل ستهتز عروش الالحاد ؟ والعكس أيضا لو فرضنا ان اينشتاين كان ملحد واضح الالحاد مثل دوكنز . ما الذي سيضر بالايمان؟بعض المسلمين يحاولون اثبات أن اينشتاين كان مسلم ! والدليل هو حوار مزعوم مع ابنه يقول فيه ان ابيه كان يقول (الله أكبر) ما الذي قادهم الى التفاخر بهذه المعلومة المزعومة؟

ان استخدام المنطق في غير محله اوجد هذه الصورة . فالمنطق يقول ان العبقري انسان ذكائه خارق ومن يملك ذكاء خارق له قدرة على اختيار افضل الاشياء ولا بد أن يختار أفضل المعتقدات . فلو اختار الايمان فهذا دليل صحة الأيمان . ولو أختار الالحاد فهذا دليل صحة الالحاد . لان العبقري انسان له قدرة خارقة على تمييز ما هو صحيح .

وهذا الكلام ليس له واقع وليس له صحة . فهناك عباقرة ملحدين وهناك عباقرة مؤمنين بالاديان الابراهيمية وهناك عباقرة يقدسون البقر . ماذا عن الانبياء ؟ اليسوا ايضا عباقرة ؟ في نظر الملحدين هم يدعون النبوة (اي انهم حسب نظرة الملحدين نجحوا في اقناع الناس بفكرة مقدسة من وحي خيالهم) وهذا يدعم عبقريتهم بشكل اكبر من القول بصحة نبوتهم . اما اذا كانت الغاية اثبات حقيقة تاريخية فاينشتاين لا ينتمي للفريقين حسب تصوري . فاذا كان الحديث عن الدين فهو ينتمي لليهودية عرقيا واجتماعيا ليس اكثر . كأنتماء العرب للعشيرة .(7) اما عن ايمانه فهو يؤمن بوجود قوة خفية في هذا الكون ليكن اسمها ما يكن .

يقول أينشتاين : انا اؤمن بإله سبينوزا (الله والكون حالة واحدة) والذي كشف عن نفسه بالتآلف المرتب لكل الموجودات , وليس بالإله الذي يشغل نفسه بمصير البشر وتصرفاتهم (انتهى) .(8)

يقول فرانسوا دو كلوزيه عن اينشتاين في كتابه اينشتاين ضد الصدفة : كان الابتهال الى الرب مألوفا لديه , لكن هذا الابتهال لم تكن له علاقة كبيرة بصلاة المؤمنين . ربه بالنسبة اليه لم يؤسس دينا , ولم يولي كهنة , انه هنا في متناول العقل , كامن في النظام الكوني , انه رب يحمله العلم . كل الفيزياء ميتافيزيقية , كان يقول أحيانا . ان منطق الطبيعة مشابه لمنطق الانسان , يحمل معه مطلق الجمال , والانسجام , والوحدة والبساطة . وطوال حياته كان يؤدي ابحاثه كما لو كانت تأملا يتتبع كمالا ربانيا (انتهى) .(9)

من المؤكد انه لا يؤمن بالأديان . ومن المؤكد انه يؤمن بوجود شيء لا نستطيع ادراكه . اينشتاين مؤمن بطريقته الخاصة وملحد بطريقته الخاصة . هكذا يعرض نفسه . او هكذا فهموه . عبقري يقبل القسمة على الجميع . وكلامه عن الدين من الممكن تأويله لشتى

الاتجاهات . انها صورة قوس قزحية . وقد تكون هذه اللوحة الاينشتاينية رسمت بشكل مقصود بإسلوب الفن البصري (الاوب ارت) والذي يتجسد بتلك اللوحات التي تحوي اشكال متداخلة تحير الناظر. من يعلم؟! كل شيء جائز .

ربط الدين بالعلم والحديث عن الاعجاز العلمي خصوصا في القران يبدأ ولا ينتهي والبحوث في هذا المجال كثيرة ومستمرة , فيعتقد الباحثون الاسلاميون (ان أثبات وجود سابقة علمية تم أثباتها الان سيدعم حقيقة ان هذا الكتاب من الله) كما **يحاول الباحث الأسلامي المتخصص في العلوم الهندسية وعلوم التربية والدراسات القرانية عبد الدائم الكحيل ان يثبت (كروية الارض) من القران بالشكل التالي :**(10)

الآية الكريمة: يقول تعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) (الزمر: 5).

شرح الآية: يتحدث ربنا تبارك وتعالى عن نعمه التي لا تعد ولا تُحصى، فيخبرنا عن خلقه للسموات والأرض، وأنه يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل. وجاء في أضواء البيان للشنقيطي: والتكوير هو التدوير ومنه قيل كار العمامة وكورها، ولهذا يقال للأفلاك كروية الشكل.ومن هنا يمكن أن نستنتج إشارة علمية مهمة وهي أن الشكل الذي يتحرك في الليل والنهار هو شكل كروي حيث يتداخل كل منهما بعضه في بعض .

الحقيقة العلمية: لقد أصبحت حقيقة كروية الأرض من الحقائق اليقينية. وتدل على ذلك الصور الملتقطة من الفضاء الخارجي للأرض، ففي عام 1968 التقطت أول صورة للأرض بواسطة مركبة الفضاء أبولو، وبعد ذلك التقطت آلاف الصور للأرض، وجميعها أظهرت الأرض كرة تسبح في ظلام دامس .

وجه الإعجاز: يتبين لنا من خلال هذه الآية الكريمة وتحديداً قوله تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) وجود نظام كروي يسير عليه الليل والنهار ويتداخلان مع بعضهما، ولا يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية، وهو ما وجده العلماء بالصورة الحقيقية.

والسؤال: لو لم يكن محمداً رسولاً من عند الله تعالى فمن أين جاء بهذا التعبير (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) وكيف علم أن الأرض كروية، إن هذا من دلائل نبوة المصطفى عليه الصلاة والسلام.(انتهى)

طريقة منطقية جدا في الوصول الى حقيقة ان القران اشار الى كروية الارض قبل اكثر من 1400 سنة . وتأثيرها كبير على المسلمين . وقد يعجب بها باحث غير مسلم وقد تغري شاب اوربي في البحث اكثر عن حقيقة الاسلام وقد يصبح مسلما لو عرضت امامه ادلة

أخرى تؤكد الاعجاز العلمي في القران . لكن في الوقت نفسه من الممكن ان تجد مسلم يعيد النظر في الاسلام استنادا الى اية فُسرت على انها تناقض العلم . هذا كله وارد على ارض الواقع فهناك في كل مكان في العالم نوعية من الناس تواقين لمعرفة الاخر و يملكون الجرأة الكافية لتأييد فكرة مخالفة او اعتناق عقيدة أخرى لو ثبت لهم صحتها .

يقول الدكتور علي الوردي :(أن الباحث المبدع يمتاز عن الرجل العادي بكونه يعترف باطاره الفكري , ولذا فهو أقدر على مواجهة الحقيقة الجديدة من غيره)(انتهى) (11)

لكن هذا النموذج ليس هو النموذج السائد في العائلة الانسانية فكثيرا ما نجد عقل الانسان يبرر ويخلق اعذار تجعل جميع الامور منطقية ومقبولة في حال كانت نتائج ما توصل اليه (تثبت وجود ثغرة في معتقداته) من خلال تسخيف وتهوين تلك الثغرة التي قد تجعل ما يؤمن به وهماً أو شيء اخر غير الحقيقة . ويضخم كل نتيجة هامشية تدعم حقيقة معتقداته ويعطيها ابعاد تحولها الى داعم عظيم لها .

للحقيقة وجه اخر وما بينه الباحث عبد الدائم الكحيل من اعجاز في اثبات كروية الأرض من القران هو احد وجوه الحقيقة والوجه الاخر نجده عند الكاتب والباحث جواد البشيتي الذي كتب مقال يحمل عنوان (الارض ليست كروية في القران واليكم الادلة) والتالي هي مقتطفات من هذا المقال :(12)

في أمْرِ كروية الأرض لم يَرِدْ في القرآن أي لفظ (أو عبارة) يَدُلُّ معناه ، من غير تأويل ، على أنَّ الأرض (كوكب الأرض) كُرَة ، أو كروية . فكلمة كُرَة لا وجود لها في كل القرآن. ورد في القرآن ، وعلى سبيل المثال ، الآية (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) . المؤوِّلون العلميون للقرآن أوَّلوا التكوير في هذه الآية بما يُمكِّنهم من الادِّعاء بأنَّ الإشارة إلى كروية الأرض قد وَرَدَت أوَّل ما وَرَدَت في القرآن ...على أنَّ الآية إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ تُكَوِّر هذا التأويل ، وتَجْعَله يَنْكَدِر انكدار النجوم يوم القيامة ، فالشمس تُكَوَّر ، يوم القيامة ، أي تُظْلِم ويَذْهَب نورها. وغنيٌّ عن البيان أنَّ الشمس الكروية هي التي تُكَوَّر يوم القيامة ، أي تصبح مُظْلِمَةً ...ما هو شكل الأرض في القرآن؟ في القرآن ، الأرض ليست بكروية ، وليست بجسم مِنْ بُعْدَيْن ، أي ليست بجسم له طول وعرض فحسب . إنَّها ليست بمُرَبَّع، ولا مستطيل ، ولا مُثَلَّث . إنَّها ليست بمُكَعَّب . إنَّني لا أعْرِف السبب الذي منع كل من قرأ القرآن وفهمه من أن يَفْهَم الشكل القرآني للأرض على أنَّها كمثل قِطْعَة نقدية معدنية مستديرة . إذا أنتَ تأمَّلْتَ هذه القطعة تَفْهَم على خير وجه الشكل القرآني للأرض...القطعة النقدية المعدنية المستديرة (القِرْش مثلا) ، لها سُمْك (ارتفاع) . وبفضل هذا السُمْك نَفْهَم الأرضين السبع، فالأرض، في سُمْكها ، تتألَّف من طبقات سبع ، هي الأرضين السبع . وبفضل استدارتها نَفْهَم القُبَّة السماوية ، فَجَعْل السماء مُقَبَّبَة على الأرض (أي رفع السماء عن الأرض من غير أعمدة مرئية) إنَّما يقتضي أن تكون الأرض

مستديرة . وهذا الشكل القرآني للأرض يُفَسِّر جريان الشمس لمستقرٍ لها ويُفَسِّر أيضاً العبارة القرآنية يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ...وفي معنى التكوير جاء في تفسير القرطبي : معنى التَّكْوِير، في اللُّغَة , هو طَرْح الشَّيْء بَعْضه عَلَى بَعْض . يُقال كَوَّرَ الْمَتَاع أَيْ أَلْقَى بَعْضه على بَعْض . إذا كانت القُبَّة السماوية نهاراً فإنَّ الله يأتي بليل يشبه القماش ، فَيَلِفُّ به النهار مرَّات عدة ، فيتضاءل النهار ، أو النور ، شيئاً فشيئاً حتى يعم الظلام . وهذا ما شرحناه إذ قُلْنا من قبل : إنَّ الخالِق يُدْخِلُ الليل في النهار، ويُدْخِلُ النهار في الليل، أو يُتْبِعُ الليل بالنهار، والنهار بالليل. وَقَدْ قال اِبْن عَبَّاس : ما نَقَصَ مِنَ اللَّيْل دَخَلَ في النَّهَار وما نَقَصَ مِنَ النَّهَار دَخَلَ في اللَّيْل . وهذا هو معنى : يُولِج اللَّيْل فِي النَّهَار وَيُولِج النَّهَار فِي اللَّيْل . وتَكْوِير اللَّيْل على النَّهَار هو تَغْشِيَته إِيَّاهُ حَتَّى يَذْهَب ضَوْءُهُ . ومعنى يُغْشِي النَّهَار على اللَّيْل هو أنْ يُذْهِب النهار ظُلْمَة الليل . وَهَذَا قَوْل قَتَادَة . وَهُوَ مَعْنَى الآيَة : يُغْشِي اللَّيْل النَّهَار يَطْلُبُهُ حَثِيثًا . وجاء في تفسير الجلالين: يُكَوِّر، أي يُدْخِل اللَّيْل عَلَى النَّهَار فَيَزِيد ، ويُدْخِل النَّهار على اللَّيل فَيَزِيد. وجاء في تفسير ابن كثير: يُكَوِّر اللَّيْل على النَّهَار، وَيُكَوِّر النَّهَار على اللَّيْل ، أَيْ سَخَّرَهُمَا يَجْرِيَانِ مُتَعَاقِبَيْنِ لا يَفْتُرَانِ كُلّ مِنْهُمَا يَطْلُب الآخر طَلَبًا حَثِيثًا، كَقَوْلِهِ يُغْشِي اللَّيْل النَّهَار يَطْلُبهُ حَثِيثًا . هَذَا مَعْنَى مَا رُوِيَ عَنْ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَقَتَادَة وَالسُّدِّي وَغَيْرهمْ . وجاء في تفسير الطبري : يُكَوِّر اللَّيْل على النَّهَار وَيُكَوِّر النَّهَار على اللَّيْل أي يُغَشِّي الليل على النهار, والنهار على الليل . كما قال يُولِج اللَّيْل فِي النَّهَار وَيُولِج النَّهَار فِي اللَّيْل . ومعناه ، عن ابن عَبَّاس، يَحْمِل اللَّيْل على النَّهَار. ومعناه ، عن السُّدِّي ، يَجِيء بِالنَّهَارِ وَيَذْهَب بِاللَّيْلِ , وَيَجِيء بِاللَّيْلِ , وَيَذْهَب بِالنَّهَارِ. لفظ التكوير إنَّما اسْتُخْدِم هنا ليؤدِّي المعنى الذي نراه في ظاهرة نمو ظلمة الليل ، ونمو نور النهار ، فنور النهار يتحوَّل شيئاً فشيئاً إلى ظلمة الليل التي هي أيضاً تتحوَّل شيئاً فشيئاً إلى نور النهار . في هذا التَدَرُّج في نور النهار و ظلمة الليل يكمن المعنى الحقيقي للتكوير . وإليكم الآيات القرآنية التي يَدُلُّ معناها على أنَّ الأرض ليست بكروية : (وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) . (أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَاداً) . (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) . (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ بِسَاطاً) . (وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) . (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) . (وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) . أين معاني الكرة ، أو الكروية في (سُطِحَتْ) و(مِهَاداً) و(فِرَاشاً) و(بِسَاطاً) و(مَدَدْنَاهَا) و(مَدَّ)و(طَحَاهَا)؟!**(انتهى)**

الأول يثبت أعجاز علمي واشارة الى كروية الأرض من القران والثاني يثبت عكس ذلك تماما وكلاهما أعتمد على العلم والدين في بحثه . في الواقع أن ربط العلم بالدين بحد ذاته خلق وجه ثالث للحقيقة مختلف عن الوجهين السابقين يخالف مبدأ الموضوع من اساسه قبل الولوج الى تفاصيله ويرى فيه عدم انصاف للدين والعلم على حد سواء ويتبنى هذا الرأي بقوة الدكتور خالد منتصر حيث يقول : (13)

منهج العلم مختلف عن منهج الدين ، وهذا لا يعيب كليهما ولا يعنى بالضرورة أن النقص كامن فى أحدهما، فالمقارنة لا محل لها ومحاولة صنع الأرابيسك العلمدينى بتعشيق هذا فى ذاك محاولة محكوم عليها بالفشل مقدماً، فالعلم هو تساؤل دائم أما الدين فيقين ثابت ، العلم لا يعرف إلا علامات الاستفهام والدين لا يمنح إلا نقاط الاجابة ، كلمة السر فى العلم هى القلق أما فى الدين فهى الاطمئنان ، هذا يشك وذاك يحسم ، وكل القضايا العلمية المعلقة والتى تنظر الاجابات الشرعية لن تجد اجاباتها عند رجال الدين لسبب بسيط هو أن من عرضوها منتظرين الاجابة قد ضلوا الطريق فالاجابة تحت ميكروسكوب العالم وليست تحت عمامة الفقيه ، والعلم منهجه متغير وقابل للتصديق والتكذيب ويطور من نفسه بمنطقه الداخلى وربطه بالدين يجعل الدين عرضة للتصديق والتكذيب هو الآخر ، ويهدد العقيدة الدينية بتحويلها إلى مجرد قارب يمتطيه المتاجرون بالدين معرض ببساطة للعواصف والأمواج تأخذه فى كل إتجاه ، ويتحول الدين إلى مجرد موضوع ومعادلة ورموز من السهل أن تتغير وتتغير معه معتقدات المؤمنين ببساطة ويتملكهم وسواس الشك ويأخذ بتلابيبهم ويزعزع إيمانهم ، وكذلك جر العلم من المعمل إلى المسجد يجعل معيار نجاح النظرية العلمية هو مطابقته للنص الدينى سواء كان آية أو حديث نبوى وليس مطابقته للشواهد والتجارب العلمية والمعملية ... القرآن كتاب سماوى محكم وشامل ، أحدث ثورة وتغييراً شاملاً فى مجتمع صحراوى بدوى ضيق ومنه إلى الكون كله ، ولكى تحدث هذه الثورة كان لابد أن يتكلم القرآن مع أصحاب هذا المجتمع البدوى بلغته ومفاهيمه بمافيها المفاهيم العلمية السائدة فى هذا الوقت ، ومهما كانت هذه المفاهيم والأفكار العلمية ساذجة أو مغلوطة بمقاييسنا العصرية فإنها كانت ضرورة وقتها وإلا لكنا أمام كتاب ألغاز غامض وليس كتاباً دينياً هادياً ومرشداً ولابد أن يكون واضحاً لكى يقنع ويهدى ويرشد ، ولايعنى وجود هذه الأفكار أن القرآن منقوص ففى إعتقادى أن وجود هذه المفاهيم هى دليل قوة لأنها تحترم مبدأ هاماً وترسخه وهو أن الدين الإسلامى وكتابه الجليل الكريم المقدس يتفاعل مع الواقع بقوة وحميمية وهذه هى معجزته الحقيقية .**(انتهى)**

ثلاث وجوه للحقيقة في نفس الموضوع هل هناك مجال لوجه رابع ؟؟؟ لما لا؟ يجسد الوجه الرابع للحقيقة المفكر الايراني عبد الكريم سروش...حين وجه له الاستفهام التالي (اذاً للقران جنبة انسانية وبشرية , مما يعني امكانية وقوع الخطأ فيه؟) اجاب سروش:(14)

من جهة النظر التقليدية لا مجال لتطرق الخطأ في الوحي. واما في العصر الحاضر فهناك الكثير من المفسِّرين يذهبون إلى اقتصار عصمة الوحي على المسائل الدينية البحتة، مثل: صفات الله، والحياة بعد الموت، وأسس العبادة، واما في ما يتعلق بمسائل هذا العالم والمجتمع الإنساني فيمكن للخطأ أن يتطرق إلى الوحي من وجهة نظر هؤلاء المفسرين، فليس من الضروري أن يكون ما ذكره القرآن من الوقائع التاريخية وسائر الأديان والموضوعات العلمية صحيحاً، ودليل هؤلاء المفسرين أن هذا النوع من الأخطاء في

القرآن لا يؤثر سلباً على نبوة النبي؛ لأنه إنما نـزل منسجماً مع المستوى الفكري السائد في المجتمع آنذاك، وموافقاً للغته. أما أنا فأذهب إلى رأي آخر، حيث لا أتصور أن النبي قد تكلم بلغة قومه وهو يتمتع بعلوم ومعارف مختلفة، وإنما كان النبي مؤمناً بما يقول حقيقة، فكانت تلك هي لغته، وكان الفكر فكره، ولا أتصور أن علمه بشأن الأرض والكون وتكوين الإنسان أكثر من المعاصرين له، فان العلم الذي وصلت إليه الإنسانية حالياً لم يكن للنبي علم به، وهذا لا يؤثر على النبوّة سلباً؛ لأنه إنما كان نبياً، ولم يكن عالماً أو مؤرِّخا.(انتهى)

من حق أي باحث أن يدعم الدين بالعلم , فالبحث متاح للجميع لذلك أجد من حق رجال الدين ربط العلم بالدين وكذلك من حق المخالفين لهم اثبات العكس . أن الكثير من البحوث التي تدور حول ربط العلم بالدين مثيرة للأعجاب حقا لما فيها من تشويق في طريقة ربط النظرية العلمية بالنص الديني . سواء كان مؤلفيها علماء متدينون أو رجال دين متعلمون. لكني اجد بعض البحوث خصوصا تلك التي يعدها رجال الدين تحوي الكثير من المغامرة خصوصا المرتبطة بنظريات علمية قلقة تكون محل خلاف بين العلماء لأن العلم غير متفق على حقيقة ما ربطوه بالدين وقد ياتي يوم يغير نفس العالم صاحب النظرية الفلانية رأيه فماذا سيفعل رجل الدين في ذلك الوقت ؟ فهو جعل النظرية العلمية معصومة من الخطا في تلك اللحظة التي دعم بها النص ديني . فهو جعل النظرية القابلة للتغيير توأما سياميا للنص الديني الثابت . وفي اللحظة التي تظهر فيها حقيقة علمية جديدة تلغي السابقة سيجد رجل الدين نفسه في موقف لا يحسد عليه والخيارات المتاحة امامه أحلاها أن يتراجع عن الأعجاز العلمي الذي توصل اليه حين كانت النظرية العلمية السابقة في عز شبابها .

ظهر رجل قبل سنوات في العراق يقول أن الأرض مكعبة ! وعرض بحث كامل يثبت فيه نظريته وناظره بعض رجال الدين والعلم والتقته بعض الصحف التي رأت فيه خبرا غريبا ممكن أن يوضع في صفحة غرائب وعجائب وأستضافته بعض القنوات التي رأت فيه مادة دسمة لجذب الجمهور . الا أنه لم يفلح في أقناع أحد بوجهة نظره . حتى أن المسكين لم يحصل على الشهرة الكافية التي توازي قوة خروجه عن المألوف ولا أعلم ما الذي يمكن أن يقنعه أن الأرض كروية ؟ قد يحتاج الأمر أن تأخذه محطة ناسا الى الفضاء ليرى الحقيقة بعينه ومن يعلم قد لا يصدق ما يراه! وقد يقول لهم أنها مكعبة لكنكم واقعين في خداع بصري ! شعور الأنسان بحقيقة ما قد يجعله لا يرى ما سواها . الكلام بيني وبينكم انا متعاطف مع هذا الرجل جدا لاني اشعر انه مظلوم فهناك الكثير من الذين يعرضون معلومات يدعون انها حقائق وهي اغرب بكثير من ادعاء هذا الرجل لكن لانهم يغلفونها بغلاف القداسة يجدون دائما من يصفق لهم ويهلل ويدافع .

الشك منبع الالحاد ومنبع الايمان في نفس الوقت...بدون الشك ما كان لشخص ان يؤمن بنبي...الشك هو ما جعل بلال وعمار يؤمنان بنبوة النبي محمد...لولا شكهما بما وجدا عليه ابائهما لما صارا مسلمان...كل نبي كان يسعى لتشكيك مجتمعه بثوابتهم.

هناك شك يؤدي الى إلحاد وهناك شك يؤدي الى ايمان يقيني اكثر قوة من الايمان السابق له وهناك شك يؤدي الى تحولات فكرية تخلق مسار جديد يختلف عن المسار القديم . تناولنا في بحث سابق شكاك عاد الى ايمانه وهو الدكتور مصطفى محمود وسنتناول الان شخصيتان مهمتان احدهما شكاك تحول الى ملحد تبشيري والاخر شكاك تحول الى مفكر صادم . اما الاول فهو المصري اسماعيل ادهم والثاني هو السعودي عبد الله القصيمي .

الالحاد من فكرة الى عقيدة ... اسماعيل ادهم (15)

يقول واثق غازي : طرح التساؤلات والبحث عن الاجابات هو الذي يميز الأنسان عن غيره من المخلوقات . وأهم الأسئلة التي يطرحها الأنسان هي أكثرها صعوبة . من أوجدني ؟ولماذا أنا موجود؟ وكيف علي أن أعيش؟هذه هي اسئلة الوجود الصعبة التي اذا جمعنا الاجابات عنها في منظومة معرفية واحدة نشأ لدينا الدين . فليس الدين ان تؤمن بعقيدة أبويك , بل أن تشك في كل قضية حتى تثبت صحتها أو خطأها .فالدين هو الايمان والاعتقاد, ولربما لن يصل أبدا, ولكنه اذا وصل فإن إيمانه سوف يكون عميقا وراسخا...لا يمكن لانسان أن يحيا بدون دين , ولا يمكن له أن يحيا بسعادة دون أن يجيب عن تساؤلات الوجود , وهو اذا لم يجدها في الديانات التقليدية بحث عنها في المدارس الفلسفية والفكرية...ان الدين هو مجموعة الاجابات التي نحملها في أذهاننا عن أسئلة الوجود وسببه وغايته , وليس من الضروري أن يكون مصدر هذه الاجابات هو دين الابوين...الدين من الحاجات الضرورية للانسان , فلا يخلو مجتمع قديم أو حديث من دين يؤمن به , حتى الملحدين اختاروا عقيدة الألحاد دينا لهم (انتهى) .(16)

ان نفي عقيدة ما قد يتحول بمرور الزمن الى عقيدة (تفسير لعلة الوجود) فالايمان بعدم وجود خالق لهذا الكون هو ايضا عقيدة مقابلة لعقيدة الايمان بوجود خالق لكن في أي حالة؟ يمكن أعتبار الإلحاد عقيدة حين يملك الملحد اجابات وتعليلات تقنعه وتوصله الى درجة اليقين في حقيقة هذا الوجود ويكفي أن تقنعه هو وحده لتكون عقيدته ويسمى هذا النوع من الالحاد بالإلحاد الايجابي او القوي . أما اذا وصل الى قناعة بعدم وجود الله لكن لن يتمكن من ايجاد أجوبة واضحة تعطيه الحقيقة البديلة لا يمكن اعتبار إلحاده عقيدة وسيبقى إلحاده مجرد معادلة غير مكتملة . ويسمى هذا النوع من الإلحاد بالإلحاد السلبي أو الضعيف .

يقول الفيلسوف الفرنسي المعاصر أندري كونت سبونفيل: بوسعنا التمييز في هكذا عالم توحيدي كعالمنا، ما بين نوعين من الإلحاد مختلفين :عدم الإيمان بوجود الله(إلحاد سلبي) أو الإيمان بعدم وجود الله (إلحاد إيجابي إن لم نقل إنّه ثوريّ). الأوّل إذن هو انعدام الإيمان بينما الثاني إيمان بالعدم أي أننا إما مع القول بانعدام وجود الله وإما مع نفي وجوده.)(انتهى)(17)

بمعنى أن الانسان الذي ينفي وجود الله وليس لديه أجوبة مؤكدة وواضحة عن علة الوجود يعتبر إلحاده ضعيف (سلبي) مثال على ذلك لو سألت أحد المؤمنين من خلق الكون ؟ سيقول (الله الأزلي الذي ليس لوجوده بداية ولا نهاية) ولو سألت ملحد من اوجد الكون وأجابك (من المؤكد أن الكون لم يخلقه الله وفكرة وجود إله مجرد خرافة أخترعها الانسان ليبرر عجزه عن تفسير الواقع) ولو سألته سؤال اخر . من أين جاء الكون أذن ؟ وأجابك (ليس لدي فكرة واضحة مؤكدة لكني متأكد أن فكرة خلق الله للكون مجرد خرافة) هذا النوع من الالحاد هو الالحاد الضعيف (السلبي)

أما الإلحاد القوي (الأيجابي) فيجسده بقوة المفكر المصري اسماعيل ادهم الذي يمكن أن نعتبر إلحاده (عقيدة) تقابل عقيدة الإيمان بوجود خالق للكون . وهذا ما يؤكده هو حيث يقول: (أنا ملحد ونفسي ساكنة لهذا الإلحاد ومرتاحة إليه ، فأنا لا أفترق من هذه الناحية عن المؤمن المتصوف في إيمانه. نعم لقد كان إلحادي بداءة ذي بدء مجرد فكرة تساورني ومع الزمن خضعت لها مشاعري فاستولت عليها وانتهت من كونها فكرة إلى كونها عقيدة)(انتهى) .(18)

الولادة والنشأة

ولد أسماعيل أدهم عام 1911 وفارق الحياة بأرادته عام 1940 . ولد أدهم في عائلة هجينة فكان أبوه مسلم تركي وأمه مسيحية ألمانية . توفيت أمه بعد عامين من ولادته فأشعره ذلك بالحرمان خصوصا ان والده كان متشددا وكان لتشدده دور كبير في تحوله الفكري ووضع لبنات إلحاده , كان والده ضابطا في الجيش التركي وهذا ما جعله يبتعد عنه كثيرا , لكنه كان حريصا على أن يتعلم ابنه تعاليم الدين الاسلامي فأوصى زوج عمته بان يشرف على تعليمه تعاليم الاسلام واللغة العربية . كان لأختيه دور كبير في حياته وتاثير كبير على نفسه. فكانتا تأخذانه الى الكنيسة كل يوم أحد , وعلمتاه كذلك اللغتين التركية والالمانية , لم يكن ذهاب اختيه الى الكنيسة الا كعادة أجتماعية كما يبدو فهو يقول (كانتا تسخران من المعجزات ويوم القيامة والحساب، وكان لهذا كله أثر في نفسيتي)

قضى طفولته في تركيا ومراهقته في مصر . لم يكن هناك مفر لطفل منع من مخالطة أقرانه بوجود مكتبة والده العامرة بالكتب الا أن يكون قارئا نهما في سن مبكرة مما أفقده الشعور بمتعة الطفولة . قرأ الأدب و الشعر والقصة وهو أبن الثامنة وقرأ كتب داروين أصل الانواع وأصل الانسان وخرج مؤمنا بنظرية التطور وقرأ لديكارت وهيوم و كانت و هيجل وسبينوزا وقرأ في الرياضيات والهندسة كل هذا وهو لم يتعدى سن المراهقة . وبسبب ضغوط والده الكبيرة عليه في ممارسة شعائر الدين من صلاة وصوم أنفجر وعبر عن هويته بقوة قائلا : (أني لست بمؤمن ، أنا داروني أؤمن بالنشوء والارتقاء) و كان رد فعل والده هو إلحاقه بمدرسة داخلية لأبعاده عن القراءة لكن دون جدوى . أكمل دراسته الجامعية في تركيا وتلك المرحلة كانت ربيع إلحاده فهناك وجد من يشاركه أفكاره وأسس

جماعة نشر الإلحاد والتي تحولت مستقبلا الى فرع من جمعية نشر الإلحاد الامريكية. تكللت مرحلة حياته الدراسية بحصوله على شهادتي دكتورا من جامعة موسكو الأولى بالرياضيات البحتة والثانية بالطبيعيات النظرية . يقول حول خلاصة ما وصل اليه في رحلته باحثا عن سر الوجود :

وكانت نتيجة هذه الحياة اني خرجت عن الأديان وتخليت عن كل المعتقدات وآمنت بالعلم وحده وبالمنطق العلمي، واشد ما كانت دهشتي وعجبي أني وجدت نفسي أسعد حالا وأكثر اطمئنانا من حالتي حينما كنت أغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني(انتهى) .(19)

الدراسات والمؤلفات

له مجموعة من المؤلفات وبأكثر من لغة كالروسية والأنجليزية فضلا عن العربية . وفي مجالات شتى. كالرياضيات والفيزياء والفلسفة والتاريخ والفكرالديني والنقد الادبي . قام بمجموعة من الدراسات عن مفكرين وأدباء وشعراء نشرت في عدد من المجلات مثل : (مجلة المقتطف – مجلة الرسالة – المجلة الجديدة – مجلة البصير – مجلة الحديث – مجلة أدبي – مجلة الأمام – مجلة مملكة النحل) عام 1992 قام أستاذ النقد الادبي الدكتور أحمد الهراوي بجهد كبير تبلور بنشر مؤلفات أدهم بثلاث مجلدات هي : (أدباء معاصرون – شعراء معاصرون – قضايا أدبية) من أبرز مؤلفات أسماعيل أدهم :

- الرياضيات والفيزيقا (الفيزياء) – مجلدين باللغة الروسية
- تاريخ الاسلام – ثلاث مجلدات باللغة التركية
- أضاءة الدرب – باللغتين العربية والأنكليزية
- دراسة عن الشاعر أحمد زكي أبو شادي .
- توفيق الحكيم الفنان الحائر – دراسة عن توفيق الحكيم
- خليل مطران شاعر العربية الأبداعي – دراسة عن خليل مطران
- دراسة عن الاديب ميخائيل نعيمة
- دراسة عن الأديب والمفكر طه حسين
- دراسة عن المفكر المصري أسماعيل مظهر
- دراسة عن الشاعر التركي عبد الحق حامد
- بحث في النظرية النسبية – مجلة الرسالة

- بحث عن حرية الفكر – مجلة أدبي

- لماذا أنا ملحد – مجلة الامام ... وغيرها من المؤلفات .

رسالة لماذا انا ملحد

تعتبر رسالة (لماذا أنا ملحد) من أشهر مؤلفاته وأكثرها اثارة للجدل . وعلى الرغم من قصرها الا أنها تحوي مضامين ذات تأثير عميق سلبا أو أيجابا . كتب هذه الرسالة بعد أن قرأ رسالة عقيدة الالوهية لصديقه الشاعر أحمد زكي أبو شادي وتوالت بعدها ردود الفعل فأجابه الشاعر أحمد زكي أبو شادي بمقال أسمه (لماذا أنا مسلم) و رد عليه محمد فريد وجدي بمقال عنونه(لماذا أنا مؤمن) . ومن الطبيعي أن يكون رد فعل الاسلاميين أكثر حدة فقام الشيخ الأزهري يوسف الدجوي بالرد عليه في سلسلة مقالات تحت عنوان (حدث جلل لا يمكن الصبر عليه)

تقول الدكتورة رجاء بن سلامة :عمد الشّيخ يوسف الدّجويّ إلى استعداء السّلطة السّياسيّة بقوله إنّ صاحب الرّسالة يطعن في دين الدولة ومليكها حامي الدين والعلم ، وأن ما جاء فيها يتناقض مع الفطرة الإسلامية التي جبل عليها سائر البشر . وهو ما يدلّ على تعاضد المؤسّستين الدّينيّة والسّياسيّة في محاصرة الفكر ... وقد لبت وزارة النحاس نداء الشيخ يوسف الدجوي واستجابت للدعوة التي قدمها شيوخ الأزهر ضد إسماعيل أدهم ، وقامت النيابة بالتحقيق معه ومصادرة رسالته وتفتيش منزله فوجدت فيه رسالة (لماذا أنا ملحد؟) ، وملفات أخرى تحوي بعض نسخ من بحوث متعددة عن فلسفة النشوء والارتقاء، وكتاب (لماذا أنا ملحد؟) لراسل ، ومظروفا يحوي أكثر من ثلاثين صفحة من كتاب بخطه يشرع في تأليفه ينكر فيه وجود الله ويؤكد إلحاده . وقد حالت جنسيته التركية وحالته الصحية بينه وبين السجن واكتفت النيابة بتحذيره وتعطيل مجلة الإمام التي نشرت الرسالة لأول مرة ... يقول إسماعيل أدهم في بعض مقالاته إنّ شيخ الأزهر قرّر بمرسوم مسجديّ حرماني الجنّة جزاء لكفري ... ولأنّ الرّقابة تنتقل بالعدوى ، وتتّسع دائرتها تلقائيّا ، فإنّ العزل الذي تقوم عليه طال محقّق أعماله الكاملة . فقد ذكر لي أحد المفكّرين المصريّين المطّلعين (لا أذكر اسمه خوفا عليه من العدوى نفسها) أنّ أحمد الهراوي طرد من جامعة صنعاء لأنّه درّس أحد مؤلّفات إسماعيل أدهم في النّقد الأدبيّ وصادف أن كان هذا المؤلّف منشورا في المجلّد الذي يتضمّن رسالته (لماذا أنا ملحد) (انتهى).(20)

في رسالة(لماذا أنا ملحد) يستعرض أسماعيل أدهم موجز تحولاته الفكرية وسيرته الذاتية ويبين كذلك أسباب إلحاده . يرفض أسماعيل أدهم التعريف السلبي للالحاد الذي يكتفي بتعريف الإلحاد على أنه نكران وجود الله ويستخدم عوضا عنه تعريف إيجابي ينزله منزلة العقيدة قائلا:

لي أن أتساءل ما معنى الإلحاد ؟ يجيبك لودفيج بخنر زعيم ملاحدة القرن التاسع عشر : (هو الجحود بالله ، وعدم الإيمان بالخلود والإرادة الحرة) . والواقع أن هذا التعريف سلبي محض ، ومن هنا لا أجد بدا من رفضه . والتعريف الذي أستصوبه وأراه يعبر عن عقيدتي كملحد هو (الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم) . ومن مزايا هذا التعريف أن شقه الأول إيجابي محض ، بينما لو أخذت وجهته السلبية لقام دليلا على عدم وجود الله ، وشقه الثاني سلبي يتضمن كل ما في تعريف بخنر من معاني (انتهى) .(21)

أما عن اسباب إلحاده فيقول : إن الأسباب التي دعتني للتخلي عن الإيمان بالله كثيرة منها ما هو علمي بحت ومنها ما هو فلسفي صرف ومنها ما هو بين بين، ومنها ما يرجع لبيئتي وظروفي، ومنها ما يرجع لأسباب سيكولوجية ... الواقع الذي ألمسه أن فكرة الله فكرة أولية، وقد أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفي سنة. ومن هنا يمكننا بكل اطمئنان أن نقول أن مقام فكرة الله الفلسفية أو مكانها في عالم الفكر الإنساني لا يرجع لما فيها عناصر القوة الإقناعية الفلسفية وإنما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير. ومن هنا فإنك لا تجد لكل الأدلة التي تقام لأجل إثبات وجود السبب الأول قيمة علمية أو عقلية(انتهى).(22)

اراء حول اسماعيل أدهم

كان لكتابات أسماعيل أدهم تأثير كبير حوله الى ظاهرة (سلبية او ايجابية) و لم يسلم ادهم من الاتهامات فقيل أن هناك من يكتب له . وتم التشكيك في حصوله على شهادة الدكتورا من روسيا . وقيل أن بعض مصادره الموجودة في دراساته منسوبة لمجلات فرنسية ليس لها وجود أصلا . وقيلت حوله الكثير من الاراء (السلبية والايجابية) الان في عصرنا الحالي بعد أن اعيد نشر رسالة لماذا انا ملحد فضلا عن عصره ومنها :

الأديب علي أدهم : إن إسماعيل كان يغشى بعض المنتديات الأدبية في الثغر السكندري، وكنت أراه يجلس صامتاً لا يبين، فأين هي العبقرية المنسوبة إليه ما دام لا يعبر عنها وهو يجلس بين الأدباء؟! (انتهى)(23)

على كل حال ليس هناك صلة تذكر بين العبقرية والصمت أو العبقرية والالحاد فليس كل ضليع في فن المجادلة والنقاش هو عبقري وليس كل صامت هو بليد أو غبي . كما ان الايمان و الالحاد لا صلة لهما بالعبقرية .

الكاتبة صافي ناز كاظم :هذا الذي يسمونه كتاب (لماذا أنا ملحد)، لا يعدو كونه كراسا نحيلا لا يزيد عن 13 صفحة، كتبها حضرة المخبول المدعو إسماعيل أدهم عام 1937 وانتحر بعدها بثلاث سنوات في 23 يوليو عام 1940، قبل أن يبلغ الثلاثين، غريقا في بحر عروس البحر الأبيض المتوسط الإسكندرية. هذه الأوراق (العبيطة) تعود لتطفو بين حين وآخر عوامة يتعلق بها أصحاب النضال المكثف من أجل إنقاذ مصر من (الإسلام)

و(التدين) و(الإيمان) والعياذ بالله من شياطين الإنس والجن ... كراس (لماذا أنا ملحد) لا يهدد المؤمنين ولا يستحق جهد الرد الذي بذله في وقت صدوره العلامة محمد فريد وجدي بكتابه (لماذا أنا مؤمن)، فهذا الكراس على العكس، يؤكد قدر الخلل والارتباك والتخبط الذي عانى منه المسكين (إسماعيل أحمد أدهم)، وأتباعه الصارخون بعنوان كتابه والمختلط عليهم، مع ذلك، اسمه!(انتهى) .(24)

المفكر سلامة موسى: لو أننا كنا ندرك مغزى النهضة الحديثة والتقدم البشري في القرن العشرين لكافأنا الدكتور أدهم باحسن ما يكافأ به كاتب , لكي لا ينقطع عن تلقيح أدبنا بالأساليب العلمية , وتعيين الطرائق للرقي بأنفسنا وأدبنا (انتهى).(25)

الشاعر احمد زكي أبو شادي : العبرة في دراسات الدكتور أدهم بالمنهج الدراسي نفسه وبكيفية تناوله لموضوعاته بما ليس معهودا من قبل في الادب العربي (انتهى).(26)

المستشرق جورج كمب غامير :لا تجد بين كتب المستشرقين ودراساتهم عن الادب المعاصر ما يقف الى جانب دراسات أدهم من جهة تذوقها للروح العربية وتذوقها لجو الاداب العربية(انتهى) .(27)

الكاتب والشاعر نقولا يوسف :أن حياة الكاتب أسماعيل أدهم قد شابهت الشهاب الساطع والسريع الأنطفاء وما دمنا نجد في المقالات والتعليقات التي نشرها عنه النقاد قبل وفاته وبعدها من التناقضات والروايات المعتمدة على السماع ما ضاع خلاله الكثير من الحقائق , فقد كان علينا أن نبحث عن المراجع التي يكشف فيها الكاتب عن مكنونات نفسه , أعني المذكرات الشخصية والاعترافات (انتهى). (28)

الدكتورة رجاء بن سلامة :كان جسده ومصيره معنيّين بمعتقده ، أو لنقل إنّه جسّد مصير (الملحد) المختلف في حياته ومماته . ولهذا السّبب نجد أحد مقالات الإسلاميّين عنه يحمل عنوان (انتحار ملحد) .إنّه الصّورة المضادّة للشّهيد . الشّهيد يعزل بالتّضحية التي تنقله إلى دائرة القداسة ، والمنتحر يعزل بتضحية فرديّة تعدّها المجموعة (هدرا) وهباء ، أي مدنّسا ضديدا للمقدّس الإضحويّ . أمّا أن يكون المنتحر ملحدا ، فتلك مسرحة لأقصى صور الغيريّة المرفوضة(انتهى).(29)

الكاتب وائل السواح :واحد من أشد الباحثين الذين كتبوا بالعربية وضوحا وبعدا عن المساومة والتوفيقية. وهو واحد من ألمع المفكرين الذين برزوا في المنطقة في مرحلة ما بين الحربين في القرن الفائت ، التي يسميها الباحث السوري المختص في عصر النهضة العربية محمد كامل الخطيب (الفترة الذهبية في تاريخ الثقافة العربية الحديثة) . وهو بذلك ينتمي إلى مجموعة من المفكرين الليبراليين الذين حملوا الفكر المتحرر العقلاني ورفعوه عاليا ، من أمثال سلامة موسى وشبلي شميل وفرح أنطون ، وربما لحق بهم طه حسين

وغيره فيما بعد ... محزن أن تكون الساحة العربية في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي أكثر تسامحا وتحملا وليبرالية واستيعابا للآخر منها في مطلع القرن الواحد والعشرين. ومحزن أن تغدو لغة الحوار اليوم تخوينا وتكفيرا وتهديدا وإرهابا، بعد أن كانت تسامحا وتفهما واحتراما متبادلا. ومخيف أن المرء لا يجرؤ اليوم، ليس على كتابة، ولكن حتى على إعادة نشر مقالة نشرها باطمئنان قبل ثلاث وسبعين سنة (انتهى) .(30)

انتحاره

حين أعيد نشر مقال اسماعيل أدهم بعد سبعين عام على وفاته حقق نفس رد الفعل المثير للجدل ونفس قوة التأثير سواء كان سلبي أو أيجابي . وهذا أمر مثير للاهتمام . كان أسماعيل أدهم يراسل مجموعة من المستشرقين لتبادل الاراء والأفكار وكان متأثرا بهم الى حد بعيد وهو نفسه كان يعده البعض مستعربا بسبب أصوله التركية . قام الكاتب نقولا يوسف بنشر سيرة أسماعيل أدهم الذاتية ضمن كتابه (أعلام الاسكندرية)

عانى أسماعيل أدهم من أمراض الصدر ولفترة زمنية طويلة . أغرق نفسه بشكل مفاجيء في الأسكندرية عام 1940 تاركا رسالة أنتحار يقول فيها انه أنتحر زهدا في الحياة وكراهية لها وأوصى بأحراق جثته وعدم دفنه في مقابر المسلمين . لكن وصيته لم تنفذ وتم دفنه وسط أجواء من الصمت . لم يمشي في جنازته الا خمسة أشخاص . مدحه الكثير ليس بسبب أفكاره الإلحادية فقط بل لدراساته الادبية . وذمه الكثير بسبب افكاره الإلحاديه وسيبقى الانقسام حوله مستمر ويبقى مثار جدل فهو عبقري في نظر فئة ومخبول في نظر فئة أخرى . ارادة الموت . تلك اللحظة . تستجمع كل ما في الأنسان من قوة وضعف وحياة وموت . هي لحظة يتوقف فيها الزمن طويلا . ليرسم الأنسان لوحة تعبر عن شجاعته وارادته ممتلئة بخوفه ونكوصه . اسماعيل ادهم هو انسان صاحب تجربة . المؤسف ان اثاره لم تصلنا كاملة لنتمكن من تكوين صورة واضحة وكاملة عن تجربته وفكره . لذلك لا يمكننا رؤية كل ابعاد تجربته . لكن ما وصلنا يفيدنا جدا بمعرفة الاثار الاجتماعية لطبيعة الحياة الاسرية ونمطها التي قد يكون لها اثر غير قليل في تحريك البوصلة الفكرية للانسان.

من داعية سلفي متحمس الى مفكر صادم...عبد الله القصيمي (1907- 1995او96)

من يؤلف كتاب يسميه (الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم) ويتحدث في مقدمته عن سبب شدته مع الاخر بالقول: (ولا يكبرن عليك ما ترى في الكتاب من بعض الشدة . فأننا ما فعلنا ذلك الا غضبا لله وغيرة على دينه) هل تتخيل انه ممكن ان يقول يوما ما (إن الإنسان هو وحده الذي تحدث عن الآلهة ودعا إلى الإيمان بها) او يقول (إن من أسوأ ما في المتديّنين أنهم يتسامحون مع الفاسدين ولا يتسامحون مع المفكرين)؟؟؟ نعم انه المفكر السعودي عبد الله القصيمي .

الكاتب و المحقق السوري صلاح الدين المنجد : ان اراء القصيمي السلبية الى أقصى الحدود سيكون من نتائجها نكبة أعظم خطرا من تلك النكبة الحربية (نكبة حزيران) لأنها ستقتل الانسان العربي وتقضي على كل ايمان وقوة فيه وعندئذ لن تقوم للعرب قائمة(انتهى).(31)

الشاعر والكاتب اللبناني انسي الحاج : اقرأوا القصيمي . لا تقرأوا الان أي شيء سوى القصيمي . فلكم حلمنا بأن نكتب بهذه الجرأة ولكم تهربنا من أن نقول ما يقوله ولكم روضنا أنفسنا على النفاق وتكيفنا على الظروف القائمة (انتهى).(32)

ثمة تشابه كبير بين القولين السابقين فكلاهما يتحدثان عن نفس الشخص وبنفس القوة ونفس الثورية وبنفس الوقت تقريبا (1967/1966) لكن الفرق الوحيد هو في الدعوة إليه والدعوة ضده . الواقع ان كلا القولين يشيران الى تفرد القصيمي بقوة تأثير مخيفة لما تحويه كتاباته من جرأة أذهلت مؤيدي أفكاره قبل معارضيها . يقول انسي الحاج أنه كان يحلم أن يكتب بهذه الجرأة ويقول صلاح الدين المنجد أن أفكار القصيمي ستقضي على كل الايمان في الانسان العربي وكلا القولين دلالة واضحة على أستثنائية كتابات القصيمي .

عاش الكاتب والمفكر السعودي عبد الله القصيمي طفولة خالية من الطفولة . أنفصل والده عن والدته وهو في سن الرابعة . تولى جده من أمه تربيته في ظروف صعبة جدا أضطر فيها القصيمي للعمل وهو في سن الخامسة . انتقل في سن العاشرة من قريته خب الحلوة الى الرياض ودرس فيها . ثم ذهب الى الشارقة بحثا عن والده والتقى به وعاش معه وكان والده متشدد دينيا لدرجة كبيرة . توفي والده عام 1922 , أحتضنه صديق والده الذي أخذه معه الى العراق وسوريا والهند ومصر . التحق بجامع الازهر عام 1927 . في عام 1931 دافع عن انتمائه السلفي الوهابي ورد على مقال للشيخ الازهري يوسف الدجوي عنوانه (التوسل وجهالة الوهابيين) في كتاب أسمه (البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية) فصل على أثره من الازهر . ألف بعد هذا الكتاب مجموعة من الكتب في الدفاع عن عقيدته كلها موجهة الى مدارس اسلامية أخرى.(33)

يلاحظ بسهولة من عناوين بعض كتبه انها دفاع مستميت عن السلفية والوهابية و موجهة نحو الاخر بشدة ومنها على سبيل المثال :

- البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية (1931) (في الرد على مقال التوسل وجهالة الوهابيين للشيخ الازهري يوسف الدجوي)

- شيوخ الازهر والزيادة في الاسلام (1931)

- الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم (1934)

- نقد كتاب (حياة محمد) لهيكل (1935)

- الثورة الوهابية (1936)

- الصراع بين الاسلام والوثنية (جزءان ,1937-1939) (في الرد على كتاب كشف الأرتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب للعلامة الشيعي محسن الأمين العاملي) وغيرها.

ويبين القصيمي سبب هذه الشدة مع الاخر في مقدمة كتابه (الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم) قائلا: (ولا يكبرن عليك ما ترى في الكتاب من بعض الشدة . فأننا ما فعلنا ذلك الا غضبا لله وغيرة على دينه)(انتهى) (34)

ويقول أيضا في نفس الكتاب موجها خطابه الى شيخين من شيوخ الازهر(الشيخ الظواهري والشيخ الدجوي) : (فالذي نرجوه الان منكم ونطلبه بإلحاح وإلحاف أن ترجعوا إلينا وأن تعلنوا البراءة مما دعوتم إليه وأن لا تتمادوا على اغلاطكم وجموحكم عن سبيل الرشاد)(انتهى)(35)

ان الانسان الذي يعتقد انه يملك سبيل الرشاد لا بد ان يكون قد وصل الى أعلى درجات اليقين بعقيدته . القصيمي كان ذائبا في المدرسة السلفية و الفكر الوهابي الى درجة اليقين المطلق .

يتحدث الباحث الالماني يورغن فازلا الذي حصل على شهادة دكتورا في شخصية القصيمي عن تلك المرحلة من حياته مستشهدا بكلامه :

(وانطلاقا من ضرورة الدفاع عن المنجزات الثورية يشتق القصيمي دفاعه عن الممارسة المختلف عليها في الاسلام وهي قضية التكفير فبعد أن يعلن مرة أخرى ايمانه المطلق غير المشروط وغير المحدود بعقيدة التوحيد يؤكد على ان عقيدة التوحيد هذه والمباديء المشتقة منها يجب المحافظة عليها وحمايتها بجميع الوسائل . ويقول ان اهمال التوحيد ولو في المجال الشكلي من الممارسة الدينية الاسلامية يؤدي حتما الى تدمير الكل . لذلك فان الناس الذين لا يخضعون طوعا للمباديء الوهابية يجب طردهم من جماعة المسلمين لأنهم ليسوا سوى وصمة عار في جبين المؤمنين وأعضاء فاسدة في جسم الاسلام تنقل العدوى الى الجسم كله . ولتبرير الاجراءات القمعية ضد المخالفين يدعو القصيمي صراحة الى الاقتداء بالدكتاتورين هتلر وموسليني , ويقول ان كليهما ادركا أن المباديء الجديرة بالحماية لا يمكن المحافظة عليها الا بخلق شعور جماعي متطور – عصبية-)(انتهى)(36)

ما الذي يدعو الانسان...اي انسان...ان يفكر في لحظة ان الاخرين يجب أن يكونوا مشابهين له و القوة هي السبيل لحدوث ذلك ؟ وما الذي يؤذيه حين يكون انسان ما مختلف عنه في اسلوب الحياة وفي الاعتقاد ؟ القصيمي نفسه بعد تحوله الفكري خير من يجيب عن السبب لانه كان من المؤمنين باقصاء الاخر ويعلم اكثر من غيره في اي طريق سار العقل الى ان وصل الى هذه النتيجة .

يقول القصيمي : الذي يقول اقاتلك دفاعًا عن الله او عن الحرية او عن النظام والعدل إنما يعني الدفاع عن اسلوب من الحياة قد رتب مصالحَه عليه...إننا لا نعادي المخالفين لنا لأنهم ضد الفضيلة او ضد الإيمان والحق ، ولكن لأنهم ضدنا . إنهم مخطئون لأن إرادتهم ومصالحهم تناقِض مصالحنا وإرادتنا(انتهى) .(37)

لم يكن القصيمي سلفي تقليدي . مع أنه في مؤلفاته قمة في السلفية الا انه لا يخفى على من يقرأ له أنه كان مثقفا مطلعا على مدارس فكرية فلسفية غير اسلامية . حتى انه يستشهد في كتبه التي يدافع فيها عن السلفية باقوال فلاسفة من امثال ارسطو ليدعم بها افكاره . فضلا عن دعمه لفكره الاقصائي بمنهج شخصين غير مسلمين (هتلر وموسليني) وهذا امر جدير بالاهتمام .

في فترة الاربعينيات انقلب منهج القصيمي بشكل ملفت للنظر بل مفاجيء للكثيرين , وألف كتاب (كيف ذل المسلمون - 1940) وكتاب (هذه هي الاغلال - 1946) الذي يقارن فيه بين العجز والتخلف في الدول الاسلامية واسبابه والتطور في الدول الاوربية واسبابه . ويبدو ان هذا الموضوع اخذ منه الكثير من التامل والبحث كما يقول هو في مقدمة الكتاب:

(لقد فكرت في هذه المسألة تفكيرا شاقا مضنيا , وما زلت منذ ست سنوات او يزيد ورأسي يلتهب بالتفكير ... وما فتئت كل هذه الاعوام اثير مع الأصدقاء ومن يظن بهم الفهم حولها المعارك الكلامية والحروب الجدلية , بغية الاحاطة بها من كل أطرافها , والالمام باسبابها)(انتهى) (38)

يبدو أن خلفيته السلفية جعلته واعيا لقوة الهجوم الذي سيتعرض له فحاول ان يمتص شيء من رد الفعل المتوقع . فختم كتابه بالقول التالي :

(اني لم احاول الا أن اكون مؤمنا بالله ورسله وكتبه واليوم الاخر , لكني حاولت ان يكون هذا الايمان سليما قويا كإيمان عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وامثال هؤلاء , وابيت أن يكون مثل ايمان الشعراني والغزالي وابن عطاء الله والاسيوطي وغيرهم من شيوخ الطريق وحداة الجهالة ورسل الفقر – ممن نكبوا البشر وانحرفوا عن الغاية التي يجب أن يبلغوها)(انتهى)(39)

يبين يورغن فازلا مستوى التباين بين افكار القصيمي السابقة وافكاره في كتاب (هذه هي الاغلال):

(ان شيئا من الثبات في مواقفه الاساسية ظل قائما أيضا بحيث انه ظل يعتبر نفس اشكال التدين , التي هاجمها سابقا , كالصوفية وتقديس الاموات والقبور والمعتقدات الخرافية , مسؤولة عن انحطاط العالم الاسلامي , الا ان مطالبته بتحرر الفرد من التصورات الدينية التي تعيق تفتح شخصيته اصبحت اكثر جذرية وجعلته يقترب بصورة متزايدة من المواقف

العلمانيـة . ففـي كتـاب هـذه هـي الاغـلال يصـبح التفـاؤل غيـر المحـدود بالتقـدم الموضـوع الطـاغي . وهـذا الموقـف قـاده فـي نهايـة المطـاف بالضـرورة الـى شـن هجـوم مباشـر علـى التصورات الطوباوية للسلفية الوهابية وبمطالبتـه رفاقـه فـي العقيـدة بـالتخلص من عبـأ الأرث الثقافي)(انتهى) (40)

كان يعتقد في تلك المرحلة من حياته ان المشكلة فـي المسلمين وبالتحديد (فـي فهم المسلمين للاسلام) وليس في الاسلام نفسه . ويبدو هذا واضحا في خاتمة كتابـه حيث بـين انـه يريـد ان يكون مسلما منتجا كعمر بن الخطاب وليس كشخصيات اسلامية عطلت المجتمـع كمـا يـرى. ويرى ان مجاراة العلم والابتعاد عن الخرافات هو سبيل المسلمين للتطور . وهـذه دلالـة علـى اتسـاع دائـرة تـأثره بالحضـارات والمـدارس الاخـرى غيـر الاسـلامية فبعـد ان كـان يكتفـي بالاستشهاد بقول أرسطو او بـدعم ارائـه المتطرفـة بافكـار موسليني وهتلر أصـبح يـدعو الـى التفاعل مع العلم والاعتراف به كحقيقـة فاعلـة تـؤدي حتمـا الـى سمو الانسـان . لكنـه فـي تلـك المرحلة كان يحاول جاهدا وضع الدين موضع المظلوم الذي أسيء فهمه .

توقف فترة طويلة عن الكتابة واصبح طابع كتبه بعد ذلك ناقدا للفكـر الـديني وللواقـع العربـي بشكل اكثر قوة ووضوح ومن ابرزها :

- العالم ليس عقلا 1963 .
- هذا الكون ما ضميره 1966 .
- كبرياء التاريخ في مأزق 1966 .
- أيها العقل من رآك 1967
- يكذبون كي يروا الاله جميلا 1972 .
- الأنسان يعصي لهذا يصنع الحضارات 1972 .
- العرب ظاهرة صوتية 1977 .
- الكون يحاكم الاله 1981...وغيرها .

اصبحت مفردة ملحد مرادفة لاسمه لكن هذه المفـردة وغيرهـا مـن المفـردات كمفـردة زنـديق او كـافر أسـتهلكت علـى مـر التـاريخ الاسـلامي واسـتخدمت مـع المسـلم الـذي ينتمـي لمـدارس اسلامية أخرى لتسقيطه فليس كل من قيل عنه ملحد هو ملحد فعلا . لذلك لا يمكـن أن تكـون سمعة الالحاد التي تصيب شخصـا مـا مقيـاس حقيقـي لمعرفـة واقعـه الفكـري فقـد يكـون مجـرد ناقد لشخصيات تاريخية وقد يكون اثار تساؤلات غير تقليديـة بصـوت عـالي وقـد يكـون كسـر حـاجز الصـمت علـى شـيء مقدس هو لا يـراه يسـتحق الوجـود فـي اطـار القدسـية وقـد يكـون

ملحد فعلا . والشواهد التاريخية كثيرة في حالات وصف فيها المخالف بالرأي بالزنديق والكافر لذلك لا تعد هذه المفردات دلالة على ان من اطلقت عليه يملك فكر إلحادي بالضرورة . ولا زال الخلاف قائم حول تصنيف الكثير من الشخصيات التاريخية هل هم في خانة الإلحاد حقا ؟ أم كانوا ضحية الفكر او الرأي السياسي اوالخروج عن الجماعة . وهذا أمر يحبط المهتمين الى اقصى درجات الاحباط .

الامر الجدير بالاهتمام في فكر القصيمي بعد تحوله هو طريقة تناوله للنص الديني . فاسلوبه مثير للدهشة حقا قياسا ببداياته . ويبدو هذا واضحا في طريقة تناوله لقصة النبي موسى والخضر في كتابه (يكذبون كي يروا الاله جميلا) حيث يقول :

لماذا لم يطلب هذا الرجل الغيبي السماوي (يقصد الخضر) من اصحاب السفينة الا يسافروا الى البلد الذي يحكمه ذلك الملك السارق ؟ لماذا لم يخبرهم بقصة هذا الملك ؟ او لماذا لم يصب السفينة بشيء من سحره واسراره ليجعلها غير مرئية او غير مرغوب فيها بدل ان يصيبها بالعيب ؟ كيف يحصنها بعاهة وهو يستطيع تحصينها بلا عاهة , بسر روحاني يمنحها البركة والتقوى والجمال والحماية والحظ الجيد (انتهى).(41)

اذا كان النبي موسى لم يستطع مع الخضر صبرا فكيف بحال القصيمي ؟ قد يكون الكثير من الناس مرت بخاطرهم هذه الاسئلة وقد تكون أكثر قوة من اسئلة القصيمي . لكن الفرق بينهم وبينه هو جرأته على تدوين ونشر افكاره واعطائها اهمية كبرى في ميدان حياته ليس أكثر .

يقول الشاعر والناقد اللبناني كميل سعادة : ان القصيمي يعتبر خطيرا جدا على الثقافة العربية (في نظر منتقديه) لأن غالبية العرب لا يتجرأون على التعبير عما يؤمنون به فعلا (انتهى).(42)

لا يوجد سؤال لن تجد له جواب عند رجل الدين فلكل سؤال جواب وقد يكون جواب رجل الدين (عميقا منطقيا مقنعا) مرة...و قمة في (التعسف والغاء العقل) مرة اخرى...والمحبط هو ان اجوبة رجال الدين لا تعطي نفس المفعول مع الجميع . فقد تعيد مشككا ما الى دائرة الاستقرار وقد تدفع مشكك اخر الى دائرة استقرار أخرى خارج حدود الدين .

التفكير في حقيقة الوجود يثير في داخل الانسان الكثير من الاسئلة بل وابل من الاسئلة لذلك حين يتاح له طرح سؤال لا ينتظر دائما سماع جواب بقدر لهفته لطرح سؤال اخر لأنه متيم بحالة التفاعل الواقعي مع ما يلج في اعماق نفسه ليعود مرة اخرى الى تأملاته التي تكون أحيانا قمة في الايمان وأحيانا قمة في الالحاد . واحيانا قمة في الشك والحيرة . واحيانا قمة في الاحتجاج والاعتراض .

يقول القصيمي في مقدمة كتابه العالم ليس عقلا مدافعا عن أيمانه : (ايماني بالله والانبياء والاديان ليس موضوع خلاف بيني وبين نفسي او بيني وبين تفكيري ... لو أني نفيت ايماني بالقول لما صدقت أقوالي , فشعوري اقوى من كل اقوالي !... ان ايماني يساوي : أنا موجود , اذن انا مؤمن – أنا أفكر , اذن انا مؤمن – انا انسان , اذن انا مؤمن...لو أن اعرابيا ألف كتابا ضخما ينكر فيه الايمان ويطالب فيه الناس بوقاحة او ضراعة ان يحكموا عليه بالزندقة وان يصدقوا انه قد خرج من كل ابواب الايمان , لما أستطعت ان اصدق ذلك ولضللت مصرا على انه مؤمن – مؤمن بأعماق تاريخه وروحه ومزاجه وبيئته وتلافيف نفسه , بل لأعتقدت ان هذا الكاتب وهذا الكتاب ظاهرة من ظواهر الايمان القوي , وانهما اثبات للشيء بإسلوب نفيه وهو اقوى اساليب الاثبات . أن هذا المؤلف لا يعني الا ما يعنيه الطفل حينما يقول لأمه : لست امي ! او ما تعنيه الام حينما تقول لوليدها : لست ولدي !, انه تعبير عن الاحتجاج المحب الحاني او عن الحب العصبي او عن التدلل والثقة المتبادلة . وهو لا يكون ابدا اسلوب من اساليب الانكار ... اني لا اشك في الله ... ولكني كذلك لا اشك في ان من يؤمن به ويلوث ايمانه بكل الآثام المعروفة وغير المعروفة هو اشد كفرا من أنسان لا يؤمن ويتنزه عن هذه الآثام . ولو قلت غير هذا لكنت هاجيا للاله ... ان ايماني لا حدود له ولشدة اطمئناني الى ايماني لم اخف عليه من بعض التعبيرات التي قد تجيء متبرمة غاضبة . لقد وثقت بقوة الاله والاديان والانبياء في نفسي وفي نفوس الناس من حولي , فلم اخف على الله ولا على الاديان ولا على الانبياء من الالفاظ . ولو اني خفت من الخوف لاتهمت ايماني بالضعف والهوان)(انتهى) (43)

ان دفاع القصيمي عن ايمانه سبق تناوله لقصة النبي موسى والخضر بتسعة أعوام . و يمكن تمييز الخط العام لقلمه و السمات العامة لفكره بعد التحول (بالجرأة في اثارة كبريات القضايا الفلسفية والاجتماعية والثورة على انتهاك كرامة الانسان باسم الدين والثورة على الموروث والبحث الدائم عن مغزى الحياة ولغز الاله ولغز الألم وحقيقة الوجود وغاية الوجود) .

يقول يورغن فازلا : ينتقد القصيمي في كثير من كتاباته تصور المتدينين للاله بصورة مشابهة للانسان , ويصف الاثار السلبية لهذه التصورات على امكانيات التفتح وعلى حياته الأجتماعية . ولكنه يتفادى في باديء الامر التكلم عن الله , الله الواحد الأحد في الدين الاسلامي . ويستعمل بدلا من ذلك تعبيرا احاديا هو (الأله) الذي يأتي احيانا بصيغة الجمع ايضا (الالهة) ويمكن استعماله لجميع أشكال ألالهة في مختلف العقائد , او أنه يستعمل كلمة اكثر عمومية هي الالوهية . اما في كتاباته المتاخرة في الثمانينات فقد سقطت هذه المحظورات ايضا واخذ يستعمل بصورة متزايدة كلمة الله مباشرة . اضافة الى ذلك بدأ ايضا ينادي الاله مباشرة :(يا اله – يا الهي – يا الله) فقد تحولت الشكوى من صورة الاله في أذهان المتدينين الى شجار مع الاله . وخاصة كتاب الكون يحاكم الاله لعام 1981 هو وثيقة نادرة لهذا التنازع الداخلي الشخصي جدا ... هذا الشجار مع الاله مسألة قديمة في

الفلسفة العربية والتصوف الاسلامي . توجيه الانتقاد الى مسؤولية الاله عن احوال الدنيا والشك في رحمته نجدها عند ابن الراوندي و ابن سينا والمعري . وعند فريد الدين العطار وغيره من المتصوفة يتجسد هذا الشجار في شخصية المجنون الذي يتمتع بسبب جنونه بحرية اكبر من الاشخاص العاديين لمناقشة الاله وأنتقاده ولعل القصيمي استعمل نوعا من حرية المجانين بأن وضع اقواله التي تحطم الصور في سياقات تبدو غريبة وعبثية(انتهى).(44)

لا اجد ان هناك ضرورة ملحة للوقوف على حقيقة معتقد القصيمي اهو ملحد ام مؤمن ام متشكك؟ وان كان هذا الموضوع محل خلاف المهتمين . فهناك من يقول ان إلحاد القصيمي أمر واضح غير قابل للشك ولا يشك به الا أعمى . وهناك من يقول انه لم يخرج عن دائرة الايمان مطلقا . وهناك من اعتبره ملحدا منذ (هذه هي الاغلال) مع انه يؤكد ايمانه بقوة في هذا الكتاب! وهناك من يقول انه اصبح ملحدا بعد ذلك وما كتاب هذه هي الاغلال الا بداية التحول مع انه يؤكد ايمانه في كتاب العالم ليس عقلا الذي كتبه بعد (هذه هي الأغلال) بـ17عام ! وهناك من يقول انه عاد مؤمنا في اخر ايامه وهو في المشفى . وفي كل الاحوال ليس لمعرفة معتقده الشخصي اي فائدة جوهرية . لو فرضنا انه مؤمن فايمانه استثنائي لا يمكن ان تستخدم معه مفردة مؤمن بالمعنى المتعارف عليه . ولو فرضنا انه ملحد فإلحاده أستثنائي غير تقليدي فحتى حين قام بمحاكاة فرويد ينفي ان لمؤلفاته تأثير عليه (45) فهو يعتقد ان له فكر خاص به.

ترك القصيمي للمؤمنين الذين يشبهونه قبل انقلابه ارثا فكريا لا زالوا يعتمدون عليه في الرد على مخالفيهم كهذه الكتب :

- الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم

- الثورة الوهابية

- الصراع بين الوثنية والاسلام

وترك للملحدين ارثا فكريا يعتبرونه من ايات الإلحاد الراسخة و شذرات الكفر المضيئة كهذه المقاطع :

- ان الأنبياء لم يبعثوا الى الناس والوحي لم ينزل عليهم لانهم أفضل من الكائنات الاخرى بل لانهم اجرأ واقدر على الادعاء والكذب باسم الكائنات البعيدة الصامتة .(46)

- كيف يعاقِبُ الإلهُ على فعل اشياء هو يفعلها – مع ان الناس يفعلونها بالشهوة والضرورة وهو يفعلها بلا شهوة ولا ضرورة .(47)

- إن الإيمـان بـالله يلـوّث الله ويُسـقِط الكـون والإنسـان. امـا الإيمـان بـالكون والإنسـان فإنـه يُسقِط الله . واما الإيمان بالله والكون والإنسان فإنه يحقِّر الإيمان والذكاء. (48)

وترك للمؤمنين العقلانيين ارثا يعدونه من كنوز العقل البشري كهذه المقاطع :

- إن مـن أسـوأ مـا فـي المتـديّنين أنهـم يتسـامحون مـع الفاسـدين ولا يتسـامحون مع المفكرين.(49)

- ما اسخف الحياة لو كنا لا نفكر ولا نعتقد إلا ما نفعله. (50)

- إن اخـتلاف النـاس فـي الآراء والمعتقـدات لا يعنـي اخـتلافهم فـي تفسـيرهم للكـون، وإنما يعني اختلافهم في تفسير أنفسهم. (51)

هو كاتب أستثنائي بل انسان أستثنائي وتحولاته الفكرية فضلا عن فكره الصادم واسلوبه المباشر مرة والرمزي مرة اخرى . كل هذا واكثر يعطيه اهلية للبقاء في دائرة اهتمام الفكر الانساني أطول وقت ممكن.

يقول محمود كبيبو مترجم كتاب القصيمي بين الأصولية والانشقاق : القصيمي مهما أختلفت حول آرائه الاراء ومهما وجه له من اتهامات , رجل صادق لا وجهان له , مؤمن ايمانا عميقا بالخير وكرامة الأنسان (انتهى) .(52)

ويقول الكاتب اللبناني يوسف الحوراني : عندما يقرأ المرء كتب القصيمي يشعر وكأنه يجلس في غرفة غطيت جدرانها بالمرايا حيث يرى المرء نفسه من جميع الجهات وبجميع الأبعاد(انتهى).(53)

من السهولة ان تلاحظ تكرار القصيمي للفكرة اكثر من مرة بصياغة اخرى مشابهة واحيانا يكون التكرار في نفس الصفحة . وهذه الحالة يعتبرها النقاد من نقاط ضعف القصيمي فهي تملل القاريء وتشعره بالضجر .

يقول كميل سعادة : ان ما يمكن ملاحظته عليه (القصيمي) كإنتقاد فيقتصر على انه كان من الأفضل لو تخلى القصيمي عن التكرار الكثير جدا لنفس المقولات والافكار . ولعله تعمد التكرار خوفا من انه لن يستطيع ايصال هذه الافكار غير المألوفة الى القاريء بذكرها مرة واحدة (انتهى) .(54)

أتفق مع كميل سعادة في ان السبب وراء التكرار هو ضمان ايصال الفكرة . فهو كعازف الناي الذي يريد ان يعزف لحنه الخاص وسط حشد كبير من قارعي الطبول . اما عن سلبية التكرار فقد يكون ثمة تأثير نسبي في بعض الشعور بالملل والضجر وهذا صحيح جدا . الا ان تكرار أفكار غير تقليدية بمضمونها واسلوب كتابتها لن يعطي نفس المقدار من الملل

ولن ياتي الملل بنفس السرعة . فمن الممكن ان يمل الانسان بسرعة هائلة حين يقرأ كتاب ليس فيه جمل مكررة الا ان مضمونه يشبه آلاف الكتب الاخرى وليس فيه شيء جديد .

يقول الدكتور علي الوردي : (ان كلمة تكرر قولها على نفسك مرة بعد مرة لقادرة على ان تطبع في عقلك الباطن شيء من الايمان بها قليلا او كثيرا . والايمان يزلزل الجبال كما يقولون)(انتهى) (55)

دعا القصيمي في يوم ما الى ارغام الجماعة على اتباع الدين بنظرة احادية اقصائية لا مكان فيها للرأي الاخر حتى لو كان منبثق من نفس الدين . وهذا يعني كمية هائلة من الرعب وكمية هائلة من الدماء لجعل الجميع توائم احدهم يشبه الاخر . من كان يصدق ان هذا الانسان سيقول في يوما ما : (اني اتعذب بكل آلام العالم . ليس لاني قديس , بل لاني انسان). توحد القصيمي مع الالم والحزن الانساني بعد ان كان متوحدا مع الجلاد .

يقول في كتابه العالم ليس عقلا : ما رأيت انسانا يبكي الا احسست ان الانسان الذي في داخلي يبكي , وما رأيت حيوانا مفترسا يجوع الا احسست ان حياتي هي التي تجوع . اذا رأيت وجها حزينا وجدت الحزن في اشعة الشمس وفي اريج الزهر وغناء الطير لاني قد وجدته في فكري ووجهي وكل مرئياتي . اني احزن اذا رأيت محزونا , واذا رأيت مسرورا فانه يذكرني بالمحزونين وانهم الاكثرون . فاحزن امام الحزن واحزن امام السرور . اني اتعذب بكل آلام العالم . ليس لاني قديس , بل لأني انسان ... اني انقد لأني أبكي واتعذب , لا لأني أكره او اعادي ... ما افضع أن تكون مبصرا وحساسا ثم لا تكون حزينا ولا ناقدا ... دعوني أبكي فما أكثر الضاحكين في مواقف البكاء (انتهى). (56)

لعمري ان مشاعر القصيمي (الذي يصنف كملحد او كافر) عصية على الكثير من هؤلاء الذين يمجدون الله ليل نهار ثم يهينون مخلوقاته بكل اريحية باسمه . ان مشاعر القصيمي عصية على الكثير من قساوسة ورهبان القرون الوسطى ومشايخ القرن الحادي والعشرين...الشعور بآلام الاخرين وكانها نبضات قلب لا تسكت مرحلة لا يصلها الا نوادر البشر . الفرق كبير بين من يشعر بآلام الناس ويتالم معهم دون قيد او شرط وبين من يضع قيود وشروط للتفاعل مع عذاب الاخرين .

يا ليت من يتبجحون بالايمان يملكون هذه المشاعر الرقيقة . اذا كان الإلحاد يجعل الناس رقيقي القلب مرهفي الحس فهو ايمان راسخ لا يناله الظالمين . واذا كان الايمان يجعل على قلوب الناس اكنة فهو إلحاد صريح .

ثمة قوة جذب تربط القصيمي بمصر . عام 1937دافع عن انتمائه السلفي فطرد من الأزهر. عام 1954 مارس النقد الذاتي الاسلامي وتأثر به مجموعة من الطلاب اليمنيين في مصر وبدأ يجتمع بهم بشكل دوري فكانت النتيجة ان يتم طرده من مصر الى لبنان تحت تأثير الحركات السلفية وفي لبنان استمر في نشر كتاباته .(57) كأن لسان حال القدر

يقول له (اينما يجتمع القصيمي مع السلفية في مصر مدافعا او مهاجما فمصيره الطرد) . اخر سنوات حياته قضاها في مصر وكانت تقام في منزله جلسة نقاش اسبوعية يحضرها حلقة ضيقة من اصدقائه . (58) فارق الحياة عام 1996 في مصر ويقال ان احدى الممرضات في المستشفى الذي وافاه الاجل فيه شاهدته يقرا القران وكان ينصحهم ان يتحابوا فيما بينهم ويذكرهم بالله (لا استبعد ذلك ابدا وهو وارد جدا) توقف قلمه عن الكتابة وعقله عن التفكير . مدحه وانتقده الكثير من المفكرين الكبار في حياته وبعد مماته . ترك افكار فيها الغث والسمين . فيها المؤثر والغير مؤثر . فيها المفيد والغير مفيد . لكن يبقى القصيمي من المفكرين المهمين في القرن العشرين .

وتبقى المعظلة الاكبر والازمة الاضخم في عالمنا المنحدر هي التعاطي مع المفكرين. وتبقى حالة الخوف من تغير احدهم وانقلابه هي المعظلة . وتبقى القلوب والعقول تبحث عن الرتابة الالمعية . جرب ان تحرك احد الكراسي في الغرفة الى مكان آخر وانظر رد فعل المحيطين بك او رد فعلك انت حين يغير أحدهم موقع التلفاز . محل النزاع هو تفسير العقل الانساني للامور وردود فعله تجاهها . الامر مرتبط ارتباط وثيق بالانسان نفسه وليس فيما يحدث حوله من تغيرات فكرية وعقائدية وحتى مادية . حين يتم نقاش افكار كاتب كالقصيمي اول ما يفكر فيه المتلقي هو عقيدته الشخصية . يشعر ان هكذا أفكار تزعزع عقيدته وتعادي ربه . الواقع ان الذي يفكر في فهم الاخر والتعرف عليه بتجرد لا يمكن أن يشعر بالخوف البتة. عقلية (الضد الدائم) هي من تخلق هذا الشعور الكبير بالخوف من الاخر فليس السب والشتم واللعن والدعاء على الاخر بالحرق الا تعبير عن مشاعر هائلة من الخوف . من يفكر في فهم الاخر والتعرف عليه دون استحضار العقائد الشخصية لن تخطر في ذهنه فكرة الخوف على العقيدة .

يقول القصيمي : لا يخشى على الايمان من الصدق مهما كان , وانما يخشى عليه من النفاق والادعاء والحديث عنه بلا فضيلة سلوكية او نفسية . انه حينئذ لا يعني غير مقاومة فضائل الدين تحت شعار حماية الدين (انتهى).(59)

الملحد بين (واقعه الفكري) و(انتمائه الاجتماعي و جذوره الدينية)

الملحد الاول : كيف الصحة يا صديقي

الملحد الثاني : بخير والحمد لله

الملحد الاول : كيف تقول الحمد لله السنا ملحدين لا نؤمن بالله ؟

الملحد الثاني : نعم صحيح نسيت استغفر الله .

الملحد الذي اقسم بالله انه ملحد !

في مرحلة الدراسة الجامعة وقبل اكثر من عقد من الزمن التقيت بزميل دراسة ملحد وكان الملحد الوحيد في الكلية (على حد اطلاعي) و كان يعلن إلحاده بكل اريحية وهو امر نادر الحدوث لحد الان . دخلت معه في نقاشات كثيرة حول وجود الله والاديان وغيرها من المواضيع . لم يكن من السهل ان استوعب ان هناك شخص لا يؤمن بوجود الله في مجتمعنا وكان الموضوع برمته خارج عن المألوف ويثير الدهشة.

كل هذا استوعبته لاحقا . لكن ما لم أستطع استيعابه حينها هو حين حل شهر رمضان واكتشفت انه صائم ! فقلت له (لماذا أنت صائم ؟) قال لي (ولماذا لا اصوم) قلت له (انت لا تعترف بوجود الله ما الذي يجعلك تصوم ولمن ؟) فقال لي (اتفهم استغرابك لكن الصيام امر مهم بالنسبة لي واذا لم اصوم ساشعر ان شيء ما فاتني . الحقيقة ان الصيام بالنسبة لي شيء يجعلني اشعر بالانتماء لمجتمعي وبدونه اشعر بمساحة كبيرة من الغربة والوحدة)

والامر الاكثر غرابة حين كنا نتمشى معا ونتبادل اطراف الحديث قرب الكلية وحل وقت الصلاة وطلبت منه ان اذهب الى الجامع لاصلي فجاء معي وصلينا معا . لم اساله عن سبب صلاته لكن السبب واضح وهو نفس سبب صيامه . لكني حدثته بطريقة اتسفزازية وقلت له بشكل مفاجيء (انت لست ملحد انت متمرد على الواقع فقط) فقال لي (أقسم بالله اني ملحد) ضحكنا انا وهو كثيرا بعد ان قال الجملة الاخيرة التي خرجت منه بشكل عفوي.

في سن المراهقة كنت اعمل في محل من محلات الجملة في منطقة الشورجة وكان صاحب محل قريب من المحل الذي اعمل فيه ملحد . وكان مجتمع التجار في ذلك السوق ينظر اليه نظرة احتقار لانه كان يصرح بالحاده وينتقد دون اي مجاملة . وبطبيعة الحال هذا امر يؤدي الى رد فعل سلبي . في يوم من الايام قام احد التجار بعملية احتيال وسرق مجموعة من التجار وهرب . وكان صاحب المحل الذي اعمل به يتناقش في هذا الموضوع مع التاجر الملحد فقال له التاجر الملحد (هذا حرامي سارق لعنة الله عليه وين يروح من عذاب الله) أثار كلامه استغرابي الشديد وفسرته حينها على انه لغة معتادة في المجتمع الذي ينتمي اليه اعتاد لسانه عليها وطبعت في عقله وهو يقصد (يجب ان ينال هذا السارق جزائه ومن الظلم ان يفلت بفعلته) وليتني سالته حينها عن سبب تحدثه بلغة ايمانية وهو يصرح بعدم ايمانه بوجود الله.

قبل فترة قرات موضوع في موقع ذو توجه إلحادي . وكان الموضوع يتحدث عن (الثغرات في الدين الاسلامي والدين المسيحي) الطريف ان كل المناقشين ملحدين و صاحب الموضوع ملحد (مسلم الولادة) كان يتحدث عن وجود ثغرات في الدين المسيحي مسكوت عنها ويتم التركيز فقط على الثغرات في الدين الاسلامي . وكان يدعو الى المساواة في نقد الاديان وليس التركيز على الاسلام فقط . والردود جائت من ملحدين (مسيحيي الولادة) وتحول النقاش من نقاش بين ملحدين حول نقد الاديان الى نقاش بين (ملحد مسلم وملحد

مسيحي) وكان النقاش يوحي للقاريء ان هناك شعور خفي بالانتماء للأديان التي ولد عليها الملحدين . بل صرح الملحد المسلم المولد انه لا يرى الاسلام الا خرافة لكنه ينتمي للمجتمع الاسلامي وفيه يعيش .

كل ما سبق يثير فينا بعض التساؤلات ومنها مثلا :

- هل تمكن الملحد من ترك دينه وبقي منتميا لمجتمعه الذي يحمل هوية الدين الذي تركه ؟
- هل هي عادات اجتماعية قهرية ؟ وتعبيرات لغوية اعتادها لسانه منذ الصغر وطبعت في عقله ولا يستطيع تركها؟

- ام انها حاجة نفسية للشعور بالانتماء للمجتمع وعدم النكوص والانعزال ؟

- ام انها ايمان مخفي لا شعوري في عقول الملحدين ووجدانهم يظهر بشكل عفوي كلما شعر الملحد بالحاجة الى قوة تشعره بالامان ؟

- وهل يلتزم البعض بالدين لانه يجعلهم يشعرون انهم جزء من المجتمع ويكتمون إلحادهم الخفي حتى عن نفسهم ؟

تجربة ملحد

كل ما سبق تحكمه نسبية كل شيء بكل تاكيد ولا نجد جوابه الشافي الا عند الملحدين انفسهم. قبل سنوات كتبت مقال يحمل نفس مضمون هذا الموضوع وذكرت فيه قصة صديقي الذي اقسم بالله انه ملحد . **فكان هذا المقال فرصة لاحد الملحدين للحديث عن تجربته مع الإلحاد وإليكم القصة بتفاصيلها :**

غريب عجيب امر هذه النفس البشرية .ومن ذا الذي يزعم انه صبر كل اغوارها وتمكن من فتح شفرتها ؟ قصتي مع الالحاد ابتدات في سن مبكرة في سن (16سنة) وانا الان في سن(39 سنة) .يعني قد مر على ذلك الحدث الجلل (دعوني اسميه كذلك لانه بالنسبة لي فعلا كان حدثا جللا) ،23سنة. الى حد الساعة اعجز عن تفسير كيف حدث معي ذلك الامر.ففي ذلك السن الحدث لم يكن لدي من النضج ما يكفي حتى اقتنع -عقليا- او لا اقتنع بمسالة وجود خالق لهذا الكون او عدم وجوده. كل ما اتذكره انني قبل الالحاد سمعت لمرتين فقط تلك الجملة الشهيرة (الله غير موجود)في المرة الاولى توعدنا كاطفال بان ذلك الذي يتفوه بذلك الكلام مصيره عذابا اليم.اما في المرة الثانية فقد قيل لنا بانه عندما نصل الى المرحلة الثانوية فاننا سندرس مادة تسمى (الفلسفة) . ولكن ما هي الفلسفة ؟ يجيب احد التلاميذ (هي مادة يقول اصحابها بان الله غير موجود) عندئذ اخذنا نتبرأ من تلك المادة ومن دراستها .. المرة الثالثة التي سمعت فيها مثل ذلك الكلام كانت بمثابة الضربة القاضية لذلك الايمان الذي ورثته عن محيطي ! كنت انذاك طالبا في الاولى ثانوي ولكن الذي اثار استغرابي ويحيرني الى حد الساعة هو تلك الطريقة الغريبة التي تم بها غزو ايماني

الموروث فقد كنت ذاهبا ذات يوم الى المدرسة(الثانوية) انا واحد ابناء حينا وهو زميل لي في الفصل.في الطريق رمى لي بقنبلته في وجهي حيث قال لي مباشرة : اخوك كافر (اخي يكبرني ب 8 سنوات)!!!!!! قبل ان استفسر منه الامر اخذ يسترسل في الكلام مردفا : (امس كان جالسا مع اقرانه وانا كنت جالسا بالقرب منهم كان يجادل اصحابه مصرحا بان الله غير موجود وان القرآن ما هو الا تاليف محمد.وعندما اخذوا في جداله تمكن من ادخال الشك الى الكثير منهم).. ما ان اتم زميلي كلماته هذه - صدق اولا تصدق اخي الكاتب - حتى شعرت بكلامه يكتسح كياني ويتسلل الى اعماقي وكأن (جبريل الالحاد) قد القى الي وحيه ! طبعا هذه مجرد استعارة مجازية فلا جبريل ولا وحي.. لن استرسل في حكاية التفاصيل ولكن اؤكد لك ان تلك اللحظة كانت بالنسبة لي حدثا جللا نظرا للضرر النفسي والرعب الذي خلفه في نفسي وانا في ذلك السن .. اكرر لك اخي الكاتب -صدق او لا تصدق-فقد سرى ذلك الكلام في وجداني وعبثا حاولت ان اقاومه واقاتله لكن هيهات.فقد انتابني احساس قوي بانه صحيح. عانيت كثيرا قبل ان اتكيف مع الوضع الجديد.لم اتمكن من مصارحة احد بذلك الامر. ومن سأصراح ؟ وبمادا سأصارحه؟ وهل هدا امر يصرح به؟ لم يكن امامي الا اعز اعز اصدقائي وهو اكثر من اخ لي.(اتكلت على الله) ورميت انا بدوري القنبلة في وجهه.اؤكد لك اخي فنحن الاثنين لم ننم تلك الليلة ! ولكنه هو استطاع تجاوز ذلك الامر ولم يتمكن منه(ابليس) مثلما قال هو فاخد يطلب مني الاكثار من الاستغفار والتوجه الى الله بالدعاء والصلاة.فهذا ذنب تارك الصلاة على حد قوله. عملت بنصيحته ولكن هيهات ثم هيهات.فما كان علي الا ان اتكيف مع الامر في انتظار جبريل آخر ياتيني بوحي آخر ليعيد لي ايماني...تمر السنين وانا نسيت الامر او قل تناسيت الجرح وتمكنت من مواصلة حياتي مع الالحاد.لم يتغير تقريبا شيء في شخصيتي او هكذا بدا لي.. قد بدأت صيام رمضان وانا في سن 14 سنة وبمحض ارادتي ولكن الصلاة لم اكن اصلي.بعد الالحاد استمريت في صيام رمضان وكأن شيئا لم يكن ولكن الذي تغير هو انني قبلا كنت اصوم ايمانا واحتسابا اما بعد ذلك فلم اكن اريد جزاء ولا شكورا . وما زلت حتى يومنا هذا اصوم ربما لانني مثلما قال صاحبك اريد ان اشعر بالانتماء لمجتمعي. ولكنني طبعا رغم ذلك فانا لا التزم باحترام نواقض الصوم واذا مرضت مثلا واكلت بضعة ايام لا اؤديه ابدا .غريب هذا الامر حقا ! وانا لا اصوم خوفا من الناس ولا اعتقد ان ذلك يشكل عائقا فبامكان المرء ان ياكل خفية وبطريق ما..بالنسبة لسؤالك فيما يخص مسالة شعور الملحد بقوة تشعره بالامان.فلي مع هذا الامر قصة..شخصيتي وتركيبتي النفسية لم تكن يوما من القوة بحيث يمكنها ان تستغني عن ذلك السند(الدي لا يعجزه شيء في السماوات والارض) ولا يمكنها ان تكتفي بامكانيتها المتوفرة.لم تكن الحياة ودودة معي ابدا بالرغم من انني لم اولد يتيما ولا معوزا فابي لم يتوفى الا قبل عامين وقد عاش قرنا 100 سنة من الزمن. والدتي مازالت حية في 74 سنة من عمرها ولي اخوة واخوات كما ان لي اصدقاء وخصوصا خصوصا اعز اصدقائي الذي تحدثت عنه.فبالرغم من انه مازال محتفظا بايمانه وبالرغم من انه يعلم بحالي اي الالحاد.الا اننا مازلنا كما قلت اكثر من اخوة رغم بعد

المسافة المكانية بيني وبينه. كما سبق ان قلت فتركيبتي النفسية الضعيفة جعلت مني انسانا حساسا تلعب به العراقيل ويواجه صعوبات جمة في التكيف مع هذه الحياة.بعضا من معاناتي الداخلية اصرح بها لصديقي تماما مثلما هو يحتاجني كثيرا جدا وربما اكثر من احتياجي له .ولكن كثيرا من معاناتي احتفظ بها لنفسي واظهر للناس وكانني في اتم العافية النفسية.خصوصا وانني تمكنت من اتمام دراستي وحصلت على الاجازة في الفيزياء وما ادراك ما الفيزياء (طبعا حسب تقييم ونظرة الناس).المهم ان معاناتي تلك وعدم استطاعتي التغلب عليها وربما قناعتي بان الاخصائيين النفسانيين لن يقدموا لي الشيء الكافي رغم انني لم احاول الاتصال بهم... كل ذلك جعلني ارتد على عقيبي والجأ الى السماء ..صدقني ان قلت لك اريد ان اؤمن بان هناك خالقا لهذا الكون اريد ان اؤمن بان هناك من لا يعجزه شيء في السماء ولا في الارض كلما ضاقت بك السبل اشتكيت اليه فشعرت بالامان والطمانينة.. نعم التجات الى هذا الخالق المفترض.وطبعا الوسائل كانت تلك التي ورثتها : الدعاء ،الصلاة .قراءة القران...كنت ابحث عن ذاك الاله كانت لدي ومازالت رغبة قوية في ان اشعر بوجوده. فرح اهلي جميعا واستبشروا خيرا - طبعا هم لا يعلمون بالحادي - بانني اصبحت اصلي فرح صديقي العزيز (المسكين) معتقدا بان ابليس قد تركني وشاني.وكذلك زال الكثير من الحرج الذي كان يشعروني به اصدقائي فجميعهم يؤدون فريضة الصلاة الا زميلهم المفضل وكلهم كانوا يتساءلون عن سبب عدم الصلاة.ولكن المساكين لم يكونوا يعرفون بان زميلهم المفضل يقود صراعا مريرا بينه وبين هذا (الكفر) يريد ان ينتقل الى حضيرتهم..اخذت ابحث في القران وفي السيرة النبوية من بين كتب والدي عما يمكن ان يقنعني بوجود ذلك الرحمن الرحيم وبان ذلك الكلام هو كلامه. كانت لدي رغبة قوية فانا في امس الحاجة لذلك السند...ولكن هيهات هيهات فاذا كنت في السابق ملحدا فقط بسبب ذلك الاحساس الذي اقتحمني فقد انضاف اليه الان الاقتناع بالعقل بعدما بحثت وبحثت وفحصت ايات القران كلما تعمقت كلما شعرت بعبث محاولاتي .. كنت لمدة عام تقريبا اؤدي الصلاة وارغم نفسي على تاديتها وانا اخوض حربا ضروسا مع ذلك (الابليس). اهلي واصدقائي خصوصا صديقي الاعز راضون تمام الرضا فاخيرا سيزول هاجسهم الا وهو مصيري في سقر..ولكن للاسف الشديد فقد خيبت امالهم فبعد مغامراتي في طرق الايمان فشلت فشلا ذريعا في ان احصل عليه وفي ان اشعر بتلك الطمانينة.فتركت الصلاة بعدما اقتنعت بان كل ما اقوم به مجرد حركات رياضية ..ولكن رغم ذلك فصدقوني لدي رغبة قوية في الاحتماء بتلك القوة القاهرة..اريد ان اكذب على نفسي بانه هناك اله قادر على كل شيء ولكن الكذب لا يريد ان يطاوعني.. مسالة الايمان من عدمه بالنسبة لي ليست مسالة مشيئة (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر). اعتقد بان الامر اكبر من ذلك.فمثلا بالنسبة لصديقي فهو مازال حتى اللحظة انسان مؤمن يؤدي واجباته الدينية مثلا في بعض الاحيان يصرح لي بانه عندما يتامل بعض الايات القرانية يحتار في امرها وياخذ في التساؤل حول مدى منطقيتها ولكن لا يلبث ان يتملكه الخوف فلا يجد حلا امامه حتى يحتفظ بطمانينته الا ان يلقي باللوم على قصوره كما يقول اي يرجع

السبب الى قصور في فهمه.مرة وبينما هو كان يحاول وبجد وحسن نية ان يقنعني بصواب معتقده وبينما نحن نتجادل في القران حتى اخذ يتوسلني بان لا افتح معه هذا الموضوع والى الابد حيث تسببت له في البلبلة.وطبعا عاهدته بان لا افعل فقد شعرت بانه ليس من حقي ان اسلب طمانينته حتى ولو بدا لي الامر مجرد اوهام.ليس من حقي ابدا ! وما الذي ساقدمه له مقابل..انا انظر للامور بمنظار الضر والنفع...فمثلما ان قول الصدق في بعض الاحيان قد يتسبب في اضرار كذلك قول الحقيقة او معرفتها..الانسان ضعيف امام الطبيعة وامام متاعب الحياة وربما هذا ماجعله يخترع الاديان حتى يشعر بنوع من الراحة ، وانا شخصيا اتفهم الامر ولا الوم المؤمنين طالما لم يضروا بمعتقدهم غيرهم من غير المؤمنين.الاكيد انني انا شخصيا افادني الالحاد في كثير من الامور مثل عدم التزمت في النظر الى غير المسلمين وعدم تفسير الامور بطريقة خرافية وكذلك الاتكال على قدراتي الذاتية طالما كان ذلك ممكنا بدل انتظار عون من السماء.. ولكن كما سبق وقلت فتركيبتي النفسية ليست بتلك القوة بحيث اكتفي بامكانياتي لمواجهة العوائق وما اكثرها.اشعر بان الانسان ضعيف بحيث لن يمكنه مساعدتي في شيء حتى اعيش حياة مطمئنة. قرأت اسهامات كثيرة سواء في الكتب او هنا على الانترنت من مبدعين كتبوا كتبا في التحفيز الذاتي وفي اكتساب قوة الشخصية وكيفية مواجهة متاعب الحياة وكيفية الحصول على نفس مطمئنة ومازلت ابحث ولكن للاسف الشديد لم يستطيعوا ان يقدموا لي شيئا ولا لكثير من الناس. في قرارة نفسي وفي اعماق اعماقي اعرف ان ما اقوم به اي العثور على ذلك الاله القادر على كل شيء هو مجرد عبث. ولكن ما باليد حيلة. واصدقك القول ايضا بان فكرة وجود اله رحمان رحيم يمكن اللجوء اليه وكذلك فكرة البعث بعد القيامة والخلود ، كل ذلك بالنسبة لي شيء مرغوب كما ان فكرة ان الانسان مصيره التراب ولا شيء غير التراب هي فكرة مرعبة. ولكن كما قلت ما باليد حيلة لا اجد سبيلا الى ذلك الايمان وكما قلت لصديقي عندما قال لي ذات مرة معاتبا : ان سبب معاناتك هو الكفر بالله ! فرديت عليه : اذا كان الايمان (حقنة)ياخذها الانسان فيشعر بالطمانينة فانا على اتم الاستعداد لاخذها ! من اين سآتي بهذا الايمان ؟ التالي هي قصة رايتها بعيني : اخ لزوجة اخي كان طبيبا ناجحا جدا في عمله وهو انسان جدا مثقف وطبعا لم يكن يؤمن بالاديان ولا بخرافات الفقهاء كما يقول. للاسف الشديد اصيب ابن له شاب في العشرين من عمره فجاة بمرض نفسي.فما كان من الاب الا ان ينتقل من اخصائي الى اخر لا تهمه التكاليف المادية المهم ان يعود ابنه الى عافيته..طالما سمعت ذلك الطبيب يتوجه بالنقد اللاذع لمن يقصد الفقهاء بغرض العلاج ويسمي كل ذلك خرافات. ولكن اؤكد انه وبعدما عجز الاخصائيون علاج ابنه وبعدما راى ابنه الشاب يكاد يضيع من بين يديه وبعدما نصحه البعض بالتوجه الى الفقهاء قصد العلاج بالقرآن تناسى كل قناعاته وتوجه صوب العلاج بالقرآن.وما المطلوب منه ان يفعله في مثل ذلك الوضع ؟ هل سيتسلم ويترك ابنه لمصيره المشؤوم ؟ مرغم اخاك لا بطل ! يجب ان يتعلق باي شيء حتى ولو كان وهما !ولكن ايضا للاسف الشديد جدا فلا الفقهاء ولا القرآن ولا دعوات ذويه المؤمنين قدمت له شيئا وهكذا بعد عام توفي الطبيب تاركا لزوجته

مسؤولية الاعتناء بابنيهما المختل...الانسان بالنسبة لي هو ضحية في هذا الوجود وارجو فقط من غير المؤمنين ان يتفهموا ضعف الانسان بدل الاستهزاء بايمانه بالاوهام وكذلك اتمنى من المؤمنين ان يستوعبوا يوما ان لا احد يريد لنفسه الهلاك في الجحيم ربما لو استوعبوا ذلك لكفوا عن محاربة غير المؤمنين او صلبهم او تقطيع ايديهم وارجلهم من خلاف..اعتقد اخي الكريم باننا يجب ان نتعلم لغة التعاطف بدل الاستهزاء بالاخر! اؤمن كثيرا بتلك المقولة الجميلة :لو عرفت كل شيء لعذرت كل أحد ويؤسفني حقا ان ما ننتقده ونستنكره في خلق المتطرفين من اي دين ،نجده ايضا لدى بعض المتطرفين من الملحدين...يريدون من جميع الناس ان يقتنعوا وبكل بساطة بتهافت معتقداتهم وان لم يفعلوا فهم عرضة للاستهزاء !تربطني بصديقي المفضل علاقة اخوية قوية ونموذجية بين مؤمن وغير مؤمن لا هو يستفزني ولا انا افعل ذلك.غير ان (المسكين) من كثر حبه لي وخوفه على مصيري، ما ان يخرج مثلا من صلاة الجمعة حيث يكون قد استمع الى خطبة نارية مثلا تتحدث عن عذاب يوم القيامة حتى يسارع الى مخاطبتي عبر التلفون -بسبب بعد المسافة المكانية بيني وبينه- يرجوني ان اعيد النظر في الحادي وان احاول مرات ومرات دون ملل.مرة اتصل بي وقال لي : ارجوك اريد ان لا نفترق في الاخرة مثلما لم نفترق في الدنيا !اواجه كثيرا انتقادات ولوم لاينتهي من عائلتي خصوصا والدتي ،فلطالما قالت لي ولاخي الاكبر : عندما ارى اطفالا صغارا يؤدون صلاة الجمعة وعندما ارى كثيرا من الشباب احتقركم واستحي من نفسي واتساءل لماذا اولادي ليسوا مثل هؤلاء !طبعا انا اعذرها واتفهم الامر.المسكينة ذات مرة وبعدما استمعت الى خطبة الجمعة في مسجد بحينا.خطبة واية خطبة ! و من (إمام)عندما ترى تقاسيم وجهه العبوس(حضرت خطباته عندما كنت اصلي) وهو يخطب ويتوعد الكفار يتخيل اليك وكانك في حضرة حراس جهنم الشداد الغلاظ ! ما ان دخلت والدتي المنزل حتى رايت بعض الفزع في وجهها فاخذت تحكي عما سمعته وعما قاله الامام ، ففهمت الرسالة ، ولكنني تبسمت وقلت- محاولا تهدئة روعها- : لا تخشي شيئا نحن ابدا لن يكون مصيرنا جهنم فنحن لم نؤذي احدا.. لم يشتكي لك احد طوال حياتنا من تصرفاتنا. هل تتخيلين ان مثل ابنائك وبمثل هذه الطيبوبة يرضى الله ان يعذبهم؟ فتبسمت وطلبت لنا الهداية !عندما كان والدي في التسعينات من عمره كان مقعدا ولكن في تمام قواه العقلية كنت كل يوم جمعة اخذه في كرسي متحرك ليؤدي صلاة الجمعة بناءا على رغبته.وما ان يراه الناس حتى يتوجهون صوبنا لالقاء التحية عليه وكانت تتهاطل علي الادعية (دعاء) من كبير ومن صغير : بارك الله فيك يا بني.بارك الله فيك يا اخي..لا تعرف حجم الاجر والثواب الذي ينتظرك عند الله...عندما علم صديقي بالامر استغرب كثيرا وقال لي : لا افهمك ! انت لا تؤمن وفي نفس الوقت تقوم بمثل هذا العمل ! قلت له انا اقوم به لاجل والدي.هو يؤمن بذلك مادام لا يضر به احدا فمن الجنون ان اجادله في مدى صحة معتقده !اؤكد لك مرة اخرى ان مسألة الايمان ليست بتلك البساطة .. لو عدت مثلا الى سلسلة مقالات الكاتبة السورية وفاء سلطان -نبيك هو انت لا تعش داخل

جبته - تشرح فيه لماذا ليس سهلا ان يتخلى الانسان عن معتقده كما انني اؤمن بان الحقيقة ليست دائما مفرحة فهناك حقيقة جارحة وحقيقة صادمة .**(انتهت القصة)**

لك عزيزي القاريء ان تحلل هذه القصة كما تشاء وتتاملها متى تشاء...هي تجربة غنية من ملحد غير تقليدي مصدر الحاده الاساسي هو (الشعور الداخلي) ثم اتجه بعد ذلك للعقل ليدعم الحاده به...ملحد غير تبشيري وليس لديه مواقف مسبقة من الاخر ويلتمس للاخر العذر ويتفهمه...والاهم من كل هذا هو ان الالحاد لم يجعله ينظر للمؤمنين بوجود الله نظرة فوقية...اعتقد ان هذه التجربة تستحق ان نتاملها بامعان ونتفحصها عن كثب لما فيها من محطات غنية قد تجعلنا اكثر فهما للاخر واكثر تفهما له .

سيدافع الملحدين عن الاسلام وعن النبي محمد...نعم هذا ما سيحصل يوما ما

لا اقصد انهم سيعودوا مسلمين . بل اقصد انهم سيتصالحوا مع تاريخهم ومجتمعهم وثقافتهم. لكن متى وكيف؟؟؟ حين يحصل الملحدين عن اعتراف المجتمع بهم وبوجودهم ويكف الناس عن ارجاع كل إلحاد لخلل نفسي وحين يثبت الملحدين وجودهم ويحجزون مكانهم في المجتمع وحين يكون لهم وضع طبيعي غير مأزوم وغير مستنكر وحين يتقبلهم المجتمع كما هم دون تدخل في خياراتهم...بعد كل هذا سيعترف الملحدين ذوي الجذور الاسلامية ان الثقافة الاسلامية والتاريخ الاسلامي يمثل جزء من تكوينهم وتراثهم. وان النبي محمد قائد عربي عظيم له اثر كبير على العرب حتى لو كانوا لا يؤمنون برسالته السماوية .

هذا الملحد الذي يركز كثيرا على عدم استخدام مصطلحات اسلامية من قبيل (السلام عليكم) او (البقاء في حياتك) او (الحمد لله) او (ان شاء الله) او اي مفردة ذات ثقافة دينية ... هذا الملحد يفعل ما يفعله من تجنب ذكر مصطلحات ذات مدلول ديني لانه يريد بقوة اثبات وجوده . حين يثبت وجوده ستختفي تلك الحساسيات وسيصبح الهجوم على الدين بطريقة الغوص في التفاصيل ووضعها تحت المجهر مرحلة منتهية وستبدأ مرحلة ابراز الفكر الإلحادي دون اللجوء الى تلك التفاصيل فالحاجة لذكرها انتفت . فالملحد حين يشعر انه حر جدا في طرح ما يريد دون ان يحاول احدهم اسكاته او سلب ارادته لن يجد نفسه مضطر للغوص في تفاصيل لا قيمة لها امام المضمون . نعم ستكون المضامين هي الاكثر رواجا في رواق الملحدين . حين يشعر الملحد انه اثبت وجهة نظره سيستقر ويرتاح وتهدأ روحه الثائرة .

عودة الملحد للدين امر ممكن لكنه صعب جدا وهو في نفس الوقت ليس شيء ذو قيمة . ما له قيمة فعلا هو اعتراف المجتمع الايماني بالملحد وتصالح الملحد مع تاريخه وثقافته ومجتمعه. وهذا ما ارجح حدوثه لاحقا .

الدجال الديني والدجال اللاديني

الدجال الديني الذي اقصده هنا هو ذلك الذي يجلس على الانترنت ويثقف لثقافة الجهاد والموت ليل نهار ويدعو للانتحار وهو جالس مكانه لا يحرك ساكن ... هذا الذي يصفق لكل من يقتل نفسه وغيره باسم الله لكنه قابع في بيته .

مثلما ان هناك دجال ديني هناك دجال لاديني ايضا..لكن الفرق ان الدجال الديني يؤيد الموت ويستثني نفسه منه والدجال اللاديني يؤيد الكثير من الاشياء التي تصنف على انها حرية وتمدن وهو غارق في النفاق والدجل . انها الازدواجية . هو متحرر في عالم الانترنت لكنه منغلق ومتشدد في الواقع . هو غير متصالح مع نفسه يحاول فقط الظهور بمظهر المتوافق مع السائد سواء في الواقع او في الانترنت .

قبل فترة نشر احد الملحدين العقلانيين منشور يتحدث فيه عن مفارقة غريبة وهي قيام صديقه وهو ملحد ايضا بنشر منشورات تتحدث عن حقوق المراة وهو يضرب زوجته بقسوة تصل الى مكوثها في المشفى . هؤلاء من اتحدث عنهم . هذا النوع الذي يصعب شفائه من التخلف مهما تغيرت افكاره . احترام العلم يعني الانصات لاي راي مهما كان مختلف باحترام حتى لو كان من يعتنقه شخص واحد فقط . لولا انصات العلم لاراء منفردة وغير تقليدية لما وصلنا الى ما وصلنا اليه اليوم . كبريات الافكار العلمية المبتكرة انتجها اشخاص كسروا بديهيات عصرهم . العلم هو تأمل اي فكرة مهما كانت فقيرة . العلم هو الانصات لاي صوت مهما كان ضعيف . حتى الاراء التي لا تنطلق من العلم نفسه بل من ظنون وتوقعات وتصورات من الممكن ان يستمع لها باحث نهم ويبحث في اصلها ويتمكن من اثباتها علميا يوما ما . هذا هو العلم وليس التطبيل لفكرة واتهام كل من يخالفها بالجهل والتخلف .

هناك شريحة من الناس تنشر منشورات تدعو للحرية الشخصية وحقوق المرأة لكنهم لا يحترمون النساء في حياتهم الشخصية . نعم هناك ملحدون وعلمانيون ينشرون منشورات عن حقوق المرأة وهم لا يعاملون النساء في حياتهم بنفس الثقافة التي يروجون لها . ويؤيدون اشياء هم في الواقع لا يتقبلونها على انفسهم لكن يؤيدوها للظهور بمظهر المتحررين امام الناس . انها الازدواجية .

من الاشياء التي يروج لها على انها طريقة لايصال وجهة نظر هي التعري في مكان عام . مع ان تعري فلان او فلانة لا يخصني بشيء لكنه حسب اعتقادي لا يوصل اي وجهة نظر. مجرد تعري لا اكثر ولا اقل . ان التعري لاثبات وجهة نظر هو تسطيح لوجهة النظر التي يحاول احدهم اثباتها . الغريب ان هؤلاء الذين طبلوا وزمروا لقيام ناشطة مصرية بالتعري امام مقر السفارة المصرية في السويد لم يثقفوا نسائهم على القيام بنفس الشيء لاثبات

حقهن!!! ألستم تؤيدون ما فعلته ؟؟؟ لماذا لا تثقفون نسائكم على فعله طالما انه يقربهن من الحصول على حقهن المغتصب؟؟؟ انه النفاق اللاديني .

تقول الكاتبة فؤاده العراقية ضمن مقال لها يحمل عنوان (تعرية الأجساد .. باسم الحرية وتحت شعار جسدي ملكي): هذه الحركات هي بالأصل صرخة جديدة ضد حرية المرأة الحقيقية في محاولة منها لإلغاء عقلها الذي تستطيع به أن تملك جسدها فعلاً لكنهم يحاولون تهميشه من خلال تجسيدها وإقناعها بأنها مجرد جسداً يمكنه أن يتحرر من خلال تعريته , يقابلها الحجاب لحركات أخرى بحجة الشرف والفضيلة , فصارت المرأة بالحركتين مجرد جسد قابل للتعرية حيناً ,وللتغطية حيناً آخر...كون المرأة تتعرى لأجل ان تنال حريتها وتقفز فوق مفاهيم امتدت لقرون متجاوزة نظرة المجتمع المهينة لها والتي سلبتها حقوقها الأساسية وعملت على معاداتها وعدم مساواتها مع الرجل , فكونها تتجاوز كل هذه الانتهاكات وتتعرى وتقول جسدي ملكي وبتعريته سأتحدى قيودي وأحصل على حريتي الحقيقية , فهذا إثبات منها على أنها جسد فقط(انتهى).(60)

اذا كنت تعتقد انك تخلصت من سطحية الفكر الاصولي والنفاق الديني . فلا زال امامك سطحية انصاف المتحررين الذين يطبلون لاشياء سطحية جدا . التعري من الاشياء السطحية التي اريد لها بقوة ان تبدو جوهرية . لا يهمنا بشيء تعري فلان او فلانة . سواء كان في الحمام او في مكان عام . ما يهمنا هو ان بعض من يدعون التمدن يريدون ان يسطحون قضية المراة وهمومها بتعرية جسدها ... تخيل المرأة التي تحرم من الوظيفة في بعض البلدان ومن التعليم في بلدان اخرى وتتعرض للضرب وللاهانة وللتنكيل ولشتى انواع الظلم يراد ان تُختصر قضيتها (بجسد عاري)... يا لسخرية القدر . ويا للاسف .

تقول الكاتبة مكارم ابراهيم في مقال لها يحمل عنوان (انا مالالا ولست علياءالمهدي):

مالالا استطاعت ان تعري المجتمع الاسلامي دون ان تتعرى في وطنها باكستان وبقيت في وطنها ,الذي يضطهد الفتيات بمنعهن من الذهاب للمدرسة للتعلم رغم تعرضها للاعتداء من جماعة الطالبان تصر على ان تذهب للمدرسة واكمال الامتحان وهي راقدة في المستشفى للعلاج ولكن علياء المهدي لم تعري مجتمعها بل عرت نفسها فقط وليس في وطنها بل في السويد حيث يمكنها ان تحصل على اللجوء الانساني حفاظا على حياتها**!**, بينما الفتاة مالالا يمكنها ان تحصل على لجوء انساني في اية دولة تشاء اذا ارادت وليست بحاجة لادلة تثبت ان حياتها في خطر فكل العالم يشهد لها بذلك ولهذا اعتبرت شخصية عام 2012(انتهى).(61)

فلاسفة الاغريق واثرهم على الفلسفة والفكر الديني

من نحن ؟ ما هي ماهيتنا ؟ لماذا نحن موجودون ؟ اين نحن موجودون ؟ ما هي ماهية الوجود ؟ الى اين نحن ذاهبون ؟ وهل هناك شيء بعد كل شيء ؟ لماذا نحيا ؟ لماذا نتوقف عن الحياة ؟ هل ما نشعر به حقيقي ؟ هل ما نراه حقيقي ؟ ما هو تفسير ما نراه ؟ أهناك الهة متعددة ؟ أم إله واحد ؟ أم لا يوجد إله ؟ لماذا نحن مهتمون بحقيقة وجودنا لهذه الدرجة؟ لنتأمل كل شيء حد الاغماء . لننعش فضولنا لدرجة الادمان. قد يقال عنا حكماء وقد يقال عنا مجانين ليس مهم . المهم أن نفهم من وما و كيف ولماذا واين ومتى .

انه لسان حال فلاسفة الاغريق ابتداءا من طاليس مرورا بديمقريطس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وليس انتهاءا بأبيقور . ان فضول الانسان والظروف المحيطة به لها تأثير كبير على مستوى تأملاته وجرأته في التعبير عنها . وقوف اليونانيون على حقيقة ان حياة الانسان قصيرة الى درجة لا تصدق جعلهم بأقصى حالات الجرأة في طرح افكار مكثفة قصيرة مرة ومسهبة مطولة مرة وهي بالمجمل بالغة الخطورة فهي وضعتهم في خانة العباقرة مرة وخانة المجانين مرة اخرى . وبكل الاحوال الواقع يقول ان هناك مدارس فلسفية انجبتها الحضارة الاغريقية أثرها واضح في المدارس التي تلتها . فهي أخذت وقت طويل من حياة فلاسفة ومفكرين سواء حاولوا معارضتها اوتاييدها . وهذا دليل قوة تأثير المذاهب الفلسفية اليونانية في الفكر الانساني . وحين يطلع الانسان على افكارهم وتسلسلها الزمني له ان يتامل من تأثر بهم ومتى وكيف وله ان يقارب ويقارن ليكتشف اشياء مذهلة.

المدرسة الايونية(1)

وابرز فلاسفتها :

- طاليس (624- 546 قبل الميلاد)
- أنكسيمندر(610-547 قبل الميلاد)
- أنكسيمانس (588-524 قبل الميلاد)
- هيراقليطس(540- 475 قبل الميلاد)

في المستعمرة اليونانية ايونيا التي تقع وسط الساحل الغربي لاسيا الصغرى والتي انجبت الشاعر هوميروس مؤلف الالياذة والاوديسة ظهرت المدرسة الايونية . وفي مدينة ملطية اشتهر الفلاسفة الثلاثة واسسوا مدرسة ملطية ضمن الاطار الاوسع للمدرسة الأيونية . اضافة الى هيراقليطس الذي ينتمي الى نفس المدرسة لكن من مدينة اخرى هي افسس .

وتتلخص فلسفتهم بالتفسير العلمي العقلاني للأحداث والإبتعاد عن التفسير الأسطوري الغيبي وان الطبيعة يمكن ان تدرك من خلال تأملها اعتمادا على الفهم الانساني.

طاليس : سافر طاليس الى الشرق ودرس علومهم . اهتم بالفلك والهندسة اهتمام كبير و يعتبر الفيلسوف الاول في الحضارة اليونانية لانه كان سباق في اعطاء تفسيرات عقلانية بعيدة عن الاساطير .

يقول نيتشة : (يعد طاليس اول الفلاسفة لانه تحدث عن اصل الاشياء ومصدرها دون اللجوء الى الاساطير) واعتبرته اليونان احد الحكماء السبعة . يقول طاليس ان سبب فيضان نهر النيل رياح موسمية وعلى الرغم من ان تفسيره لم يصب الحقيقة الا انه يعد صفحة جديدة في عالم الفلسفة في تفسير الاحداث والوقائع بطريقة عقلانية بعيدة عن الخرافة والاسطورة . يعتقد طاليس ان الماء علة الوجود وهو اصل كل شيء وان الكون عبارة عن ماء منبسط لا نهاية له يستند عليه جسم نصف كروي والارض قرص طافي على السطح المستوي للجسم النصف كروي . ويقول ان العالم مملوء بالالهة وعلى الارجح المقصود بالالهة ليس المعنى الحرفي للكلمة بل يذهب المهتمين الى انه يقصد الانفس أو الارواح وهذا يعني انه يعتقد ان هناك حياة في المادة . ويؤكد هذا المعنى قوله (ان للحجر المغناطيسي نفسا لانه يحرك الحديد) يقول الباحث يوسف كرم معلقا على هذا القول : (هذا يدل على ان مبدأ الحركة والفعل عنده النفس)

انكسيمندر: اما تلميذه أنكسيمندر فقد أعتبر (اللامحدود) مبدأ كلي يجعل العلم اكثر معقولية. ويقصد باللامحدود مادة غير محددة بكيفية وغير محددة بكمية وهي عبارة عن مزيج من الاضداد مثل الحار والبارد واليابس والرطب وغيرها . وهذه الاضداد كانت مختلطة معا في حالة تعادل وهذا يعني انها لم تكن موجودة كما نراها الان . ووجدت بهذه الصورة بعد ان انفصلت كل حالة عن الأخرى ليتحول التعادل الغير مدرك الى حالة مدركة موصوفة . وسبب هذا الانفصال هو حركة المادة وبما ان المادة في حركة دائمة ستبقى حالة الانفصال والعودة الى التعادل مستمرة بدرجات متفاوتة لتظهر اجسام جديدة مختلفة دائما . يعتقد انكسيمندر ان الارض اسطوانية ارتفاعها ثلاثة اضعاف عرضها جزئها العلوي منتفخ قليلا ونحن نعيش فيه . ويعتقد ان الأرض مركز العالم اللامتناهي .

انكسيمانس: تبنى انكسيمانس تلميذ انكسيمندر رأي طاليس بخصوص شكل الأرض ويختلف معه في تفسير الليل والنهار ويتفق معه في ان اصل كل شيء هو عنصر واحد محسوس لكنه اختلف معه في اصل العنصر فهو يعتقد ان الهواء اصل كل شيء فالهواء يتكاثف ويتخلخل فيحدث النار ثم الماء ثم التراب ويتكون منه ومن العناصر التي حدثت عنه جميع الأشياء .

هيراقليطس: اما هيراقليطس فقد اعتبر النار عنصر اعظم وهي عودة الى العلم الطبيعي . واستعماله لمفردة (النار) لا يقصد به النار المتعارف عليها بل يقصد نسمة حارة عاقلة ليس لها بداية ولا نهاية تملىء العالم ومنها اصل كل شيء ثم يعود كل شيء الى نار مرة اخرى خلال فترة زمنية طويلة (سنة كبرى) وتعود النار لتتحول الى اشياء وهكذا دواليك .

ويعتقد ايضا ان الوجود والعدم شيء واحد . ويقول ان الاشياء في تغير دائم وان الانسان لا يستطيع ان ينزل في النهر الواحد مرتين فإن مياهاً جديدة تجري من حوله أبدا . ويعتقد ان التغير سببه صراع بين الاضداد ليحل بعضها محل بعض فلولا الشر ما وجد الخير والخير شر يتلاشى والشر خير يزول . يعتقد هيراقليطس ان الشمس قطرها قدم واحد ! كما نراها.

كلمة لوغوس او (لوجوس) كلمة يونانية تعني (القانون او العقل او الكلمة) مفهوم اللوغوس عند هيراقليطس هو (القانون العام الذي يسير عليه الوجود في تغيره من ضد الى ضد وهو الشيء الوحيد الثابت في هذا الوجود المتغير وهو النار)

ثم جاء امبيدوكليس(490- 430 قبل الميلاد) الذي لا يؤمن بالعنصر الواحد ويؤمن بالتعددية ليضيف عنصر التراب للماء والهواء والنار لتكون نظرية العناصر الاربعة التي اعتمد عليها افلاطون وارسطو فيما بعد . ولد امبيدوكلس في ايطاليا وتحديدا في مدينة صقلية واشتهر بالفلسفة والطب والشعر والخطابة ويقول ارسطو انه مؤسس علم البيان . كان شديد العاطفة الدينية وكثير الحنو والعطف على الناس ويدعو دائما الى المساواة ورفع الظلم عن المستضعفين . يعتقد امبيدوكليس ان العناصر الاربعة مستقل كل منها بكيفيته الخاصة . فالحرارة للنار والبرودة للهواء والرطوبة للماء واليابس للتراب . تجتمع العناصر وتفترق بتأثير الحب والكراهية . المحبة تسبب (الخير والجمال) والكره يسبب (الشر والقبح) الا ان فكرة الحب والكراهية يجدها المختصون اقرب الى الشعر منها الى الفلسفة.

الفيثاغوريون(2)

سموا بهذا الاسم نسبة لفيثاغورس الفيلسوف وعالم الرياضيات اليوناني وهو اول من ابتكر مصطلح الفلسفة (philosophia) وتعني حب الحكمة بعد ان رفض ان يسمى حكيما (sophia)وقال أن الحكمة من اختصاص الالهة وانا لست الا محب للحكمة . يعتبر من رواد التصوف .ولد في ساموس وسافر الى الشرق ثم استقر في جنوب أيطاليا . اسس جماعة دينية تؤمن بتناسخ الارواح . يؤمنون ان في الكون روحا واحدة تفيض الحياة على الموجودات وان روح الانسان تنتقل من كائن حي الى اخر الى ان تعود الى الروح الواحدة الكونية .

يؤمن الفيثاغوريون بوجود اكثر من عالم الا انها متناهية . ويؤمنون كذلك بعودة الاشياء بعد مدة طويلة (السنة الكبرى) عودة لا متناهية . يقول اوديموس تلميذ أرسطو لتلاميذه : اذا صدقنا قول الفيثاغوريون فسيجيء يوم نجتمع ثانية في هذا المكان فتجلسون كما انتم

لتسمعوا الي واتحدث انا اليكم كما افعل الان . يؤمن الفيثاغوريون ان بعد الموت تهبط النفس الى الجحيم تتطهر بالعذاب ثم تعود الى الارض تتقمص كائنا اخر وتستمر على هذا الحال الى ان تتطهر.

يعيش الفيثاغوريون وفق نظام معين للطعام والشراب والملبس وكان يدعوهم فيثاغورس الى العفة والابتعاد عن الشهوات والاتجاه الى الصلاة والعبادة وحرم عليهم اكل اللحم والفول وقتل الحيوان اذا لم يؤذي الانسان وحرم عليهم قطع الاشجار . كان العلم عندهم من المقدسات . دعاهم فيثاغورس الى البساطة و الابتعاد عن الكبرياء وللرياضة البدنية مكانة مهمة لديهم . كان لفيثاغورس تأثير كبير على اتباعه ويطيعونه بشكل مثير للاهتمام ويعتبر الفيثاغوريون جماعة سرية حيث كانوا يتفاهمون فيما بينهم عن طريق اشارات خاصة . ثمة معلومة تقول ان السرية تشمل الاكتشافات العلمية فضلا عن المعتقدات الدينية.

هباسوس احد تلاميذ فيثاغورس الاذكياء . خلال نقاش بين التلميذ والاستاذ حول مسألة في الرياضيات طرح التلميذ سؤال جعل الاستاذ في حيرة من امره . يقال ان هباسوس كان مصيره الموت غرقا كعقوبة من الالهة جزاءا لوضعه المعلم فيثاغورس في وضع محرج جعله يبدو قليل الحيلة امام الناس . وعلى فرض صحة هذه المعلومة فالسبب الاهم لاغتيال هباسوس انه افشى اكتشافه امام العامة وخرق قاعدة السرية ما جعل الفيثاغوريين يشعرون بغضب لان استاذهم أحرج امام العامة . يقودني الخيال الى تصور حدوث هيجان في البحر بعد هذه الحادثة مما جعل الفيثاغوريين يربطون بين الحادثين ليفسرون هيجان البحر بانه اشارة من الالهة لمعاقبة هباسوس غرقا . وقد تكون عقوبة الاغراق قاعدة متفق عليها بينهم لكل من يقوم بخرق فادح لقوانين الجماعة .

كانت المدرسة الفيثاغورية تعطي دروس في الرياضيات والهندسة والفلك والموسيقى وتقبل الذكور والاناث والمواطنين والاجانب على حد سواء . كان للأرقام أهمية كبيرة لدى فيثاغورس وكان يؤمن ان جوهر الكون عددي في حقيقته وهناك ارتباط وثيق بين الكون والطبيعة وللرقم عشرة قدسية خاصة فهو يمثل حاصل جمع الارقام (1و2و3و4) والتي تمثل 1 العقل 2 الرأي 3 الأكتمال 4 العدالة ومجموع هذه الأرقام يساوي عشرة ويمثل الكمال وهي عدد الاجرام السماوية التي كانوا يعتقدون بوجودها . والواقع ان اعتقادهم بوجود عشرة كواكب سببه تقديس لغة الارقام لكن الكواكب المعروفة في وقتهم كانت تسعة فقط لذلك افترض فيثاغورس وجود كوكب عاشر يكون دائما خلف الشمس لا يمكن رؤيته . يعتقد الفيثاغوريون ان مركز الكون يجب أن يكون مضيئا بذاته وساكنا لذلك الارض لا تمثل مركز الكون . وهذا الرأي يعتبر ثورة كبرى على الرأي السائد في زمانهم الذي يقول بمركزية الأرض . مركز الكون في اعتقادهم نار تدور حولها الارض والشمس معا . اما اعتقاد فيثاغورس الاكثر ثورة والأول في تاريخ البشرية هو قوله بكروية الارض .

اهتم فيثاغورس كذلك بدراسة النغم ويقول ان الكون يتألف من تمازج العدد والنغم وان كل الاجسام المتحركة في الفضاء تحدث اصواتا تختلف درجة ارتفاعها على حجم الجسم وسرعة حركته ويعلو الصوت كلما ابتعد الكوكب عن الأرض ونحن لا نسمع هذه الاصوات لاننا نسمعها دائما دون توقف . تمكن الفيثاغوريين من كسب الناس بسبب فضيلتهم وبساطتهم في التعامل وزهدهم وهذا بحد ذاته يعد خطر يهدد قوة السلطة ويعتبر نشاط سياسي معادي . ولم تكن افكار الفيثاغوريين تروق للحاكم . هجم رجال السلطة على مدرستهم وحرقوها ويقال ان فيثاغورس لم يكن موجودا ولم ينجو الا اثنان فيثاغورس وشخص اخر .

المدرسة الايلية(3)

وابرز فلاسفتها :

- اكسنوفانيس (570 - 480 قبل الميلاد)
- بارمنيدس (500 قبل الميلاد تقريبا)
- زينون (490 -430 قبل الميلاد)
- مليسوس (500 قبل الميلاد تقريبا)

اكسنوفانيس: يعد احد اعمدة النزاع الفلسفي الديني . يعتقد الفيلسوف اليوناني أكسنوفانيس الذي يؤمن بوجود اله واحد ان كل شيء يتكون من التراب والماء ويعتقد كذلك ان البشر يتصورون الالهة على هيئتهم ويقول : (لو ان الخيل والأسود كان لها يد يمكن ان تستخدمها في الرسم والطلاء وانتاج الاعمال الفنية مثلما يفعل الرجال فلسوف تقوم الخيل برسم الالهة على شاكلتها ولرسمت اجسام هذه الالهة على هيئة اجسامها . فأهل الحبشة يصورون الهتهم على انها سوداء البشرة فطساء الانف . ويقول اهل تارقيا ان الهتهم لها عيون زرقاء وشعر أحمر)

تدور افكار اكسنوفانيس حول الابتعاد عن المحسوس والتوجه نحو العقل والتفكير ويرى ان البحث عن حقيقة مطلقة بحث عقيم فلا يوجد حقيقة مطلقة بل يوجد معرفة عقلية نسبية من الجدير البحث عنها وكان يهاجم الافكار الدينية الشعبية ويقول ان علينا احترام الالهة وتقديسها معنويا عن طريق عمل الخير وتحقيق العدالة بين الناس .

ويقول عن عقيدته في الاله : لا يوجد غير اله واحد ارفع الموجودات السماوية والارضية ليس مركبا على هيئتنا ولا مفكرا مثل تفكيرنا ولا متحركا ولكنه ثابت كله بصر وكله فكر وكله سمع يحرك الكل بقوة عقله وبلا عناء . الله بالنسبة له لا يتغير ولا يتحرك ولا ينقسم ولا يحركه شيء ولا يضطرب ولا ينفعل انه كائن حساس وان كان بلا اعضاء حسية .

يقول أرسطو : ان اكسانوفانيس نظر الى مجموع العالم وقال ان الأشياء جميعا عالم واحد ودعا هذا العالم الله ولم يقل شيئا واضحا ولم يبين ان كان العالم عنده واحدا من حيث الصورة او من حيث المادة.

بارمنيدس: في مدينة ايليا الواقعة على الشاطيء الغربي من ايطاليا الجنوبية وفي القرن الخامس قبل الميلاد ولد بارمنيدس وتأثر بفلسفة اكسانوفانيس وامن بوحدة الوجود ويعتبر المؤسس الحقيقي للمدرسة الايلية التي وضع أسسها اكسنوفانيس ومهد الطريق لبارمنيدس ليتمم تشييد فلسفتها .

يعتقد بارمنيدس ان طريقة ادراكنا للواقع في العالم الفيزيائي خاطئة وان واقع العالم كينونة واحدة غير متغيرة وغير متوالدة وغير قابلة للانهيار . طرح افكاره شعرا في قصيدة اسماها (في الطبيعة) تتحدث عن الوجود والعدم ويقول ان الوجود واحد وثابت وبذلك يخالف هيرقليطس الذي يقول بالتغير الدائم .

ويقول ان الوجود موجود واللاوجود لا يدرك لذلك ليس امامنا الا الوجود . وما الفكر الا نتيجة التفكير بالوجود ولولا الوجود لما كان هناك فكر . والوجود في حاضر دائم لا يوجد ماضي ولا مستقبل . والوجود واحد متجانس مملوء كله وجود . لذلك فالوجود ثابت ساكن في حدوده مقيم كله في نفسه . والوجود كامل متناه . وهو مثل كرة تامة الاستدارة لا يمكن ان تنقص او تزيد .

زينون الايلي: اما تلميذه زينون الايلي فقد كان منشغلا في الدفاع عن استاذه بعد ان أصبحت فلسفته محل سخرية الفيثاغوريين . كان يستخدم المنطق لنفي الكثرة واثبات وحدة الوجود . ونفي الحركة واثبات الثبات . قال عنه أرسطو انه مؤسس علم الجدل فقد كان يسلم جدلا بأفكار خصومه ويستنتج منها نتيجتان متناقضتان فتصبح افكار خصومه غير منطقية .

مليسوس: مع ان مليسوس ولد في أيونيا الا انه كان ينتمي للمدرسة الايلية . انشغل في الرد على اراء الايونيين في الكثرة والتغير ويقول ان التغيرات التي تطرا على الأشياء حسية غير حقيقية ولو كانت حقيقية لكان الوجود كثرة متغيرة . وهذا يعني ان الوجود ينعدم واللاوجود يظهر وهذا يناقض قولهم ان الشيء لا يخرج من لا شيء والحقيقة الواضحة في العقل ان الوجود واحد متجانس ثابت . يختلف مع بارمنيدس في نقطة جوهرية وهي تناهي الوجود حيث يقول ان الكون لا متناهي وهو مطلق من حيث الزمان والمكان ويتفق مع اكسانوفان في ان للوجود حياة عاقلة . ويبرهن ثبات وسكون الوجود بالقول : ليس للوجود بداية ونهاية اذن الوجود لامتناهي واللامتناهي واحد فقط ولا يمكن ان يوجد شيء خارج اللامتناهي لذلك لا يوجد مكان يتحرك اليه لانه لو تغير لم يعد واحدا لذلك فالوجود واحد ثابت ساكن .

المدرسة الذرية(4)

وابرز فلاسفتها:

- ليوكيبوس (440 قبل الميلاد تقريبا)

- ديمقريطس (460 – 361 قبل الميلاد)

- أنكساجوراس (500 قبل الميلاد تقريبا)

يؤمن الذريون ان كل شيء يحدث وفقا لقوانين الطبيعة . والحقيقتان المطلقتان هما (اللاوجود او الفراغ) والذرات . وهذا يعني ان اللاوجود موجود ايضا . ولا يؤمنون بوجود حياة بعد الموت ويعتقدون ان نفس الأنسان تتحول الى ذرات متناثرة بعد موته . وملخص رأي الذريين ان المادة تنقسم الى اجزاء اصغر فأصغر الى ان تصل الى جزء بالغ الصغر غير قابل للأنقسام يسمى الذرة . وان هذه الذرات ازلية وان هناك فراغا يتيح لهذه الذرات ان تتحرك حركة دائمة وبدونه يستحيل حركتها . والذرات لا نهائية في عددها وتتحرك في فراغ لا نهائي . وان الفراغ اللانهائي ليس فيه فوق او تحت و حركة الذرات في روح الانسان تشبه ذرات الغبار التي نراها سابحة في شعاع الشمس حين لا يكون هناك ريح .

ليوكيبوس: ولد ليوكيبوس في مدينة ملطية على الارجح وهو واضع اللبنات الاساسية للمدرسة الذرية التي رسخها ومد جذورها تلميذه ديمقريطس , الا ان المعلومات عن ليوكيبوس شبه معدومة وهناك من يشكك في وجوده من الاساس و ثمة معلومة تقول انه تأثر بأفكار امبيدوكليس .

ديمقريطس: يؤمن ديمقريطس بعدم وجود خصائص للأشياء داخل الأشياء نفسها فهي خصائص تبدو فقط للناظر اليها . ويقسم ديمقريطس المعرفة الى نوعين : (معرفة اللقطاء) وهي معرفة الحواس وهي معرفة ظنية متدنية المستوى والاخرى (معرفة الاصلاء) وهي المعرفة الفكرية وهي الارفع والفكر حسب ديمقريطس هو عملية مادية فيزيائية بحتة فذرات الروح المنتشرة في الجسم تتصل مع الذرات في الخارج و تتعرف ذرات الروح داخل الجسد بذرات المادة و الفكر . والمعرفة تغير يحدث في مادة الروح نتيجة دخول الانطباعات من الخارج والاحساس هو تغير يحدث في العضو الخاص به نتيجة دخول الجزيئات الخارجية المنبعثة من الاشياء . ينكر ديمقريطس حدوث أي شيء بمحض الصدفة . يؤمن ديمقريطس بوجود الالهة وجاءت للوجود نتيجة العمليات الميكانيكية الناتجة عن اختلاط الذرات . لكن الانسان لا يفهم طبيعتها وقدرتها . والالهة برأيه لها وجود مادي تشبه البشر بطبيعتها لكنها أعظم وأقوى وتعيش لفترات أطول . وهي ليست خالدة وينكر قدرتها على كل شيء أما عن تأثير الالهة على البشر فيقول أن تأثيرها قد يكون أيجابي وقد

يكون سلبي . وهي مصدر الهام الانسان وتتمتع بحرية تفوق حرية الانسان وهذه الميزة تجعل الالهة اكثر علما .

انكساجوراس: لم يكن الاغريق يعبدون الها واحدا بل كان لهم الهة متعددة تتجاوز الـ 018الـه وكل الـه لـه دور خاص بـه مثل ابولو الـه الشمس والفنون واثينا الهة الحكمة وافروديت الهة الحب والجمال . وترتبط هذه الالهة فيما بينها علاقات شبيهة بعلاقات البشر كالزواج او رابطة الاخوة لذلك ليس من الغريب ان تجد فيلسوف مثل انكساجوراس يقاد الى المحكمة بتهمة بث فكرة (ان الشمس مجرد حجر مشتعل وان القمر ليس سوى ارض كالتي نعيش عليها) هكذا اقوال تعتبر من قبيل التجاوز على المقدس ووقعها على النفوس قريب الى حد ما لوقع افكار الملحدين في عصرنا الحالي على نفوس المؤمنين . لكنه تمكن من الافلات من العقوبة بمساعدة صديقه بريكليس حاكم أثينا .

يؤمن انكساجوراس ان كل مادة بنوعها هي اقصى حد للمادة ولا تنشأ من غيرها فالماء على سبيل المثال نشأ من الماء والخشب نشأ من الخشب وهكذا . ويؤمن كذلك بمبدأ العقل الكلي اي ان للعقل وجود مادي يدخل في تكوين الاشياء الحية وهو مصدر كل حركة وسبب كل التغيرات الفيزيائية . والعقل والمادة متلازمان مطلقان وهناك عقل يدير العالم نحو غاية معينة . ويختلف مع الذريين في قوله ان انقسام المادة لا نهائي .

السفسطائيون(5)

هل حدث معك ان تبحث عن شيء في كل مكان في المنزل ثم تكتشف وبعد عناء طويل ان ما تبحث عنه في يدك ؟؟؟ هذا بالضبط ما اكتشفه السفسطائيون حين ثبت لهم ان الحقيقة من صنع الانسان . بحثوا عن الحقيقة في كل مكان وكل زاوية وفي النهاية اكتشفوا ان الحقيقة في يدهم ... الحقيقة من صنع الانسان . شكك السفسطائيون بآلهة الاغريق لذلك تعرضوا لهجوم من شريحة واسعة من المجتمع . يعود اصل كلمة (سفسطائيين)الى كلمة (سوفيست) اليونانية وتعني المعلم .

يقول الوردي: من المباديء السوفسطائية المعروفة قولهم(الانسان مقياس كل شيء) واستطاع السوفسطائيين بهذا المبدأ ان يخدموا الفكر البشري خدمة كبرى . يقول البرفيسور زيلر : ان الخدمة الدائمة التي قدمها السوفسطائيين للفلسفة هي انهم وجهوا الانظار نحو دراسة الانسان ووضعوا الاساس للتربية النظامية ... وذهب السوفسطائيين الى ان الحقيقة هي تناقض ونزاع . وكل انسان يرى الحقيقة حسبما تقتضيه مصالحه وشهواته . وبتنازع هذه الحقائق الفردية تنبعث الوسطى التي تنفع النوع الانساني بوجه عام (انتهى).(6)

عرف عن السفسطائيين قدرتهم العالية في فن الخطابة وقابليتهم على الاقناع . ومن طرقهم في النقاش انهم يناقشون الفكرة ونقيضها وحين يستمع اليهم السامع وهم يدافعون عن الفكرة يقتنع بكلامهم وبعد قليل حين يناقشون نقيضها يقتنع ايضا . تماما كما يحدث لك حين تستمع

الى المحامي ثم تستمع بعده الى المدعي العام فتبقى في حيرة من امرك لكن الفرق ان المتحدث شخص واحد وليس شخصان . يعتبر السفسطائيين من ابرع الخطباء واكثرهم قدرة على الاقناع وعملوا في المحاماة وبرعوا في هذا المجال وكانوا يعطون دروس في فن الخطابة لابناء الاغنياء .

يقول الدكتور جميل حمداوي : ظهرت المدرسة السفسطائية في القرن الخامس قبل الميلاد بعدما ان انتقل المجتمع الاثيني من طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات وتنمية الحرف والاعتماد على الكفاءة الفردية والمبادرة الحرة. وأصبح المجتمع في ظل صعود هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة (رجال التجارة وأرباب الصناعات) مجتمعا ديمقراطيا يستند إلى حرية التعبير والاحتكام إلى المجالس الانتخابية والتصويت بالأغلبية. ولم يعد هناك ما يسمى بالحكم الوراثي أو التفويض الإلهي، بل كل مواطن حر له الحق في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة. لذلك سارع أبناء الأغنياء لتعلم فن الخطابة والجدل السياسي لإفحام خصومهم السياسيين. وهنا ظهر السفسطائيون ليزودوا هؤلاء بأسلحة الجدل والخطابة واستعمال بلاغة الكلمة في المرافعات والمناظرات الحجاجية والخطابية. وقد تحولت الفلسفة إلى وسيلة لكسب الأرباح المادية ولاسيما أن أغلب المتعلمين من طبقة الأغنياء(انتهى).(7)

يعتبر بروتاجوراس(485-410 ق.م) وجورجياس(485-380 ق.م)من أبرز فلاسفة السفسطائيين وأكثرهم تاثيرا.

ولد بروتاجوراس في ابديرا وعاش في اثينا وسافر الى ايطاليا ومكث فيها فترة من الزمن . له الكثير من المؤلفات في كثير من المجالات . كلفه الحاكم بكتابة دستور جديد . وعلى اثر افكاره الخارجة عن المألوف والتي تشكك في الهة الأغريق تم اتهامه بالإلحاد واحرقت كتبه امام الناس وحكم عليه بالاعدام وتمكن من الهرب ومات غرقا وهو في طريقه الى ايطاليا . يقول بروتاجوراس (لا أستطيع ان اعلم ان كان الالهة موجودين فأن أمورا كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم أخصها غموض المسالة وقصر الحياة)

يعتبر بروتاجوراس اول فيلسوف يتقاضى المال مقابل تدريس الفلسفة . وتقاضي المال مقابل التدريس من الامور التي يوجه فيها الانتقاد للسفسطائيين من قبل نسبة كبيرة من الباحثين .

يقول الدكتور يوسف كرم في هذا المجال : وأما اتجارهم بالعلم فكان شائنا حقا...كانوا ينتقلون بين المدن يطلبون الشباب الثري ويتقاضونه الاجور الوفيرة , وكان هذا الشباب يهرع اليهم ليتقوى بالعلم فوق ما توفر له من اسباب الغلبة كالمال والعصبية , فيستمع الى خطبهم العلنية ودروسهم الخاصة , فاصابوا مالا وافرا وجاها عريضا , ولكن اليونان كانوا يستقبحون ان يباع العلم ويشرى وكانوا يفهمون المدرسة على ان التلاميذ يفدون على المعلم

يقيم في مكان دائم , ولا يبذلون من المال الا الضروري لحاجات المدرسة , فعكس السفسطائيين الاية وتنزلوا بالعلم الى مستوى الحرف والصنائع , فلحقتهم الزاوية . لم ياخذوا بالعلم على أنه معرفة الحقيقة ولم يكترثوا لقيمته الذاتية ولا لفطرة العقل التي تدفعه لطلب الحق , بل أستعملوا العلم وسيلة لجر منفعة غريبة عن العلم , وهزأوا من العقل فكانوا معلمين وخطباء ولم يكونوا حكماء . هذا هو الموقف الشاذ الاثيم الذي جعل اسمهم سبة على مر الاجيال (انتهى) .(8)

اذا كان تقاضي الاموال مقابل العلم مسبة فلماذا يتقاضى الاساتذة الجامعيون في عصرنا الحالي راتبا؟؟؟ أليس اولى بهم احترام العلم واعطاء المحاضرات بدون مقابل؟؟؟ واذا كان الذهاب الى الناس واعطائهم الدروس امر يرفع عنهم صفة الحكمة فهذا يعني ان من ابرز صفات الحكيم هي الجلوس في برج عاجي وانتظار الناس لترتفع إليه . الواقع يقول ان الانبياء حكماء والانبياء لم يكونوا قابعين في مدارس ينتظرون من ياتيهم ليدعوه الى عبادة الله بل كانوا يذهبون الى الناس ويحدثوهم وهذا لم يقلل من قدرهم وتاثيرهم بل زادهم رفعة. ايمان السفسطائيون بمبدأ ان للحقيقة اكثر من وجه هو ما جعلهم غير منتمين لحقيقة بعينها او غير منحازين للفكرة او نقيضها لانهم ينتمون للشك الدائم والحقيقة النسبية القابلة للنقاش والمحاكمة في كل وقت . في الوقت الذي تكون فيه اي فكرة حقيقة في نظر فلان قد تبدو وهماً في نظر علان . يقول بروتاجوراس : (ان الاشياء هي بالنسبة لي كما تبدو لي وهي بالنسبة إليك على ما تبدو لك وانت انسان وانا انسان)

المفارقة هي ان جورجياس وبروتاجوراس ولدا في نفس العام . ولد جورجياس في جزيرة صقلية و تتلمذ على يد الفيلسوف امبيدوكليس الذي يعده ارسطو مؤسس علم البيان والذي عرف عنه غزارة المشاعر الدينية والحنو على المستضعفين . لم يكن حضور جورجياس الاول لاثينا لاسباب تتعلق بالفلسفة والفكر بل لطلب النجدة ضد اهالي سرقسطة . فلفت نظر اهالي اثينا ببلاغته وقدرته الكبيرة على الخطابة . الف كتاب في اللاوجود يواجه فيه فلاسفة الايليون . تتلخص فلسفته فيما يخص الغيبيات في ثلاث نقاط رئيسية وهي :

1-لا يوجد شيء

2-اذا كان هناك شيء فالانسان غير قادر على أدراكه

3-واذا ادركه فهو غير قادر على ابلاغه لغيره من الناس

من المؤاخذات التي سجلت على السفسطائيين هي تشكيكهم بعقائد الاغريق دون ان ياتوا ببديل.

يقول الوردي : من العيوب التي اتصفت بها السفسطة انها اثارت الشك في ديانة الاغريق القديمة من غير ان تؤسس مكانها جديدا . وهذا عيب لا مراء فيه , اذ ان الشك وحده لا

يكفي للاصلاح ولا بد للمصلح الذي يشكك في نظام قديم ان ياتي للناس بنظام اصح منه . ونحن اذ نصف السفسطة بهذا العيب يجب علينا ان لا ننسى المبدأ القائل (ان الشك مبدأ اليقين) ولو درسنا تاريخ اي دعوة اصلاحية جديدة لوجدناها تنتشر بين الناس بعد ان يمر المجتمع بفترة من الشك والحيرة . وهذه ما تعرف ايحانا بفترة الارهاص(انتهى).(9)

هناك سفسطة مذمومة فعلا ... اوضح مصاديقها هي هؤلاء المحامون الذين يتمكنون من خلال فنون الخطابة وفنون التلاعب بثغرات القانون من جعل المتهم بريء وافلاته من العقوبة ... او هؤلاء السياسيون الذين يجعلون الحق باطل والباطل حق على مزاجهم ومصلحتهم ....هذه هي السفسطة المذمومة .

تأثر الفيلسوف الكبير سقراط والذي يعد نقطة فاصلة ولحظة توقف في تاريخ الفلسفة اليونانية في بداية شبابه بالسفسطائيين لكنه ما لبث ان تخلص من سفسطته وشكه ودخل في يقين مفاده انه يتواصل مع السماء . انتهى السفسطائيين واستلم خصومهم الاقلام التي كتبت التاريخ ولا زال اسمهم يستخدم كمسبة وتحقير . هذه هي الحياة فالغالب هو من يكتب التاريخ وهو من ينقل لنا صورة خصمه المهزوم .

سقراط(10)

هو هذا الانسان المتواضع من حيث الطبيعة ومن حيث المظهر . هو هذا الانسان الذي قرر ان يدفع الاخرين الى التفكير دفعا من خلال اثارة الاستفهامات. كان سقراط متاحا للجميع ومستعد للنقاش مع الجميع . كان يبين للاخرين انه جاهل جهلا كاملا بالموضوع الذي اثار حوله الاستفهام ويقول لهم ان غايته الحقيقية هي تعلم الحكمة . يقول سقراط (لا اعرف سوى شيئا واحدا وهو اني لا اعرف شيئا)

كان يدفع الاخر الى استعراض معلوماته بل يدفعه الى التذاكي الى ان يصطاد من بين كلامه ثغرات يطرحها على شكل اسئلة تحرجه وتوقعه في الفخ السقراطي المحكم . اراد اثارة فكرة (اننا جميعا نجهل اشياء كثيرة حتى لو كنا نشعر العكس) وهذا في تقديري ما كان يريد ان يوصله حين يحرج من يظنون انهم على درجة من العلم والمعرفة .

اذا تحدث احدهم عن العدالة مثلا يقول له (وما هي العدالة ؟؟؟) ويقوده من سؤال الى اخر كلما ذكر مفردة اخرى تعتبر من البديهيات . كان يحول مكان البديهيات من دائرة الاستقرار الى دائرة الشك والاستفهام . الغاية الرئيسية ليست تشكيك الناس بما يعدونه مفروغ منه بل انزال البديهيات المعرفية من برج المثالية العاجي الى الواقع الفعلي . بمفهوم اخر كان يريد تحويل المفاهيم التي تحولت الى مثاليات لا واقع لها الى معارف فعلية موجودة في اذهان الناس من الممكن ان تتحول الى ممارسة . يعتقد سقراط ان الفضيلة هي الغاية الحقيقية من الحياة وهي الطريق الى السعادة . كان مهتم جدا في تحويل الفضيلة (الرحمة , التسامح, الحنو , تقديم المساعدة , ووالخ) من كلمات جردت من معانيها وتحولت الى مجرد

مكملات لفضية واحرف تشكلت مع بعضها وافرغت من محتواها الى امر واقع له معنى في ذهن الانسان استنتجه ذاتيا لكن ليس بمعزل عن الواقع المحيط به .

بسيط الطباع بعيد عن العجرفة زاهدا الى درجة كبيرة . يتصور انه يتواصل مع السماء . اجتمع حوله الشباب وتأثروا بالافكار التي يثيرها او بالاحرى تأثروا باسلوبه المبتكر في اثارة الاستفهامات . ذلك الاسلوب الذي جاء بقوة دفع فكري هائلة لهؤلاء الشباب التواقين للخروج من كلاسيكية الافكار المثالية والتقليدية الموروثة . لم يكن ارستقراطيا ابدا و كان قريب جدا من العامة ومنصهر معهم باعلى الدرجات وكان يقف بالضد من حصول الطبقة السياسية على امتيازات ومكاسب . لكنه في نفس الوقت لم يكن متكيفا تماما مع الديمقراطية التي تجعل الغوغاء يقررون قرارات مصيرية .

خلق سقراط لنفسه طابور من الاعداء فتمكن باسلوبه المتفرد من احراج شخصيات مهمة تتظاهر بالحكمة والمعرفة وتتشدق بها واحرج الكثير من الشخصيات ذات النفوذ وعندما بلغ السبعين وجهت له ثلاث تهم وهي :

1- انكار الالهة

2- تنصيب الهة جديدة خاصة به

3- افساد الشباب

وقف سقراط امام المحكمة واثقا بنفسه ولم يقر بصحة التهم الموجهة اليه وحكم عليه بالاعدام باغلبية بسيطة وحسب القانون يقترح من وجهوا التهم له العقوبة التي يرونها مناسبة ثم يقترح المتهم العقوبة التي يراها هو مناسبة وكان بامكانه ان يقر بذنبه ويقترح عقوبة مخففة على نفسه وسيشبع رغبة تلك الجماهير جلده مثلا لكنه قال لهم انه لم يرتكب اي جرم لذلك لا يستحق عقاب واقتراحه عقاب على نفسه بمثابة اقرار بالذنب فاقترح ان يكرم بان يمنح مقعد في مجلس الشيوخ وبما ان اقتراح عقوبة امر ملزم فاقترح ان يغرم ثلاثين قطعة نقدية وهذا الكلام حوّل الاغلبية البسيطة التي حكمت عليه بالاعدام اول مرة الى اغلبية كبيرة وعدل القضاة الذين لم يصوتوا على اعدامه عن رأيهم .

نعم كان هناك امكانية لتهريب سقراط من السجن من خلال رشوة الحراس لكن ابى ذلك قائلا(ان الهرب من الموت جبن وعلى الانسان ان يطيع القوانين) وبعد 30 يوم شرب كاساً مسمومً بكل اريحية وكانه يشرب كاس الحياة وهذا فعلا ما كان يعتقده ويؤمن به .

افلاطون(11)

ولد افلاطون في اثينا وهو من عائلة ارستقراطية عريقة . تعرف الى سقراط ولازمه في سن العشرين . بعد وفاة سقراط غادر اثينا الى ميغاري ومكث فيها ثلاث سنوات ثم غادر

الـى مصـر ودرس هنـاك علـم الفلـك ثـم غادرهـا مضـطرا بسـبب نشـوب حـرب بـين اثينـا واسـبرطة . والجـدير بالـذكر ان ملـك مصـر تحـالف مـع اسـبرطة فـي تلـك الحـرب . بقـي افلاطون يسـافر من بلد الـى اخر الـى ان عـاد من ايطاليـا الـى مسقط راسـه وانشـأ اكاديميتـه وانشغل بالتعليم المجاني والتأليف الـى ان وافاه الاجل وعمره 80 عـام. يغلـب علـى مؤلفاتـه اسلوب المحاورة وهو اسلوب سقراطي بحت لكن الفرق ان سقراط كـان يحـاور فعلا ويـؤثر بالاخرين تأثير مباشر سلبا او ايجابـا امـا افلاطـون فكـان مفكر نظـري يدون افكـاره او افكـار استاذه باسلوب الحوار .

وهذا وجه الاختلاف الجذري بينه وبين استاذه سقراط فسقراط كان استاذ للمجتمـع , للعامـة , متاح لهم في الشارع يتفاعل معهم يثير عقولهم . كل النـاس تلاميذه بطريقـة او بـاخرى . امـا افلاطون فكـان فكره نظـري . بعيد عن العامـة منزوي فـي تلـك الاكاديميـة التـي قضـى فيهـا وطرا كبيرا من عمره هو وتلاميذه الذين اصطفاهم لنفسه.

هناك من يعدون افتتاح افلاطون لاكاديمية على غرار المدرسـة الفيثاغوريـة نكوص وتراجـع عن الفلسفة السقراطية العملية بل يذهب الدكتور الوردي الى ابعد من ذلك ويـرجح ان تـأليف افلاطون لمؤلفات يتحدث فيها عن افكار سقراط هو طرح لافكاره الخاصة باسم سقراط .

يقول الوردي فـي هذا المجـال : الظـاهر ان افلاطـون اراد ان يسـتغل اسم سقراط فـي سـبيل مصـلحته الخاصـة وربمـا حـاول ان يتخـذ مـن مقتـل سـقراط ذريعـة للقضـاء علـى السفسـطة والديمقراطية اللتين كانتا من ألد اعدائه. وهو اذن يذكرنـا بمـا فعل معاويـة فـي تـاريخ الاسـلام حين اتخذ قميص عثمان حجة للوصـول للخلافـة . وممـا سـاعد افلاطـون علـى عملـه ذاك هـو ان سقراط لم يسجل تعاليمه في كتاب , بل كـان يبثهـا بـين النـاس شـفهيا . فجـاء افلاطـون مـن بعـده وأخـذ يسـجل تلـك التعـاليم حسـب مذاقـه , واعتبـر نفسـه الممثـل الوحيـد لرسـالة سقراط(انتهى).(12)

ويوضح الوردي اكثر من وجه اختلاف جذري بين افلاطون وسقراط نذكر منها على سبيل المثال قوله : ومما يـروى عن افلاطـون انـه كـان يقول (احمد الالـه حيث خلقنـي اغريقيـا لا بربريا , حرا لا عبدا , رجلا لا امراة , وحيث خلقنـي فوق كل شـيء فـي عصـر سـقراط) ويبدو لي ان افلاطون قال الفقرة الاخيرة على طريقة ذر الرماد في العيون(انتهى).(13)

يحـاول الـوردي لفـت نظـر القـاريء الـى الاخـتلاف الجـذري بـين سـقراط المتواضـع البسـيط الفقيـر الـذي يخـالط النـاس ولا يسـتنكف مـنهم وبـين افلاطـون المتعجـرف المتعـالي الارستقراطي.

قد يكون ظن الوردي في ان افلاطون ألبس افكـاره الخاصـة ثـوب سـقراط صـحيح وقد يكـون غير صحيح وهو في النهاية كلام ظنـي يحتمل الخطا والصواب . يبدو لـي ان افلاطـون كـان حالة طبيعية وتطور طبيعي لابد ان يظهر بعد انقضـاء حيـاة اي مفكر فذ مثل سقراط . مـا

حصل هو ان سقراط لم يكن مفكر عادي ولم يكن فيلسوف تقليدي وكما ان طاليس كان علامة فارقة في تحويل الفلسفة من مرحلة الماورائيات الى العقلانية كذلك سقراط انزل الفلسفة من المثاليات المرتفعة عن الواقع الى ارض الواقع . لكن هكذا زلزال هائل لا بد ان يترك خلفه اثر مختلف نوعا ما عن الفعل الاصلي قد يفسره بعض الباحثين نكوص وتراجع وقد يفسره اخرون تطور طبيعي وحقبة ضرورية . اميل الى ان افلاطون (كما باقي البشر) لم يكن منفصل عن ذاته ومجتمعه وبيئته (الارستقراطية) لذلك فهم افكار سقراط بما يناسب مزاجه الارستقراطي وما طرحه من افكار منسوبة لسقراط هي في الواقع (فهم افلاطون الخاص لافكار سقراط) وقد يكون فعلا اسقط افكاره الخاصة على افكار سقراط وهذا امر وارد . وحتى لو كان افلاطون امينا وصادقا في نقله لافكار استاذه فلا بد ان يكون لافكاره الخاصة اثر ووجود في ذلك النقل فهو في النهاية ينقل لنا فهمه الخاص لاستاذه .

من اشهر مؤلفات افلاطون (احتجاج سقراط) ويسرد فيه دفاع سقراط عن نفسه في المحكمة و(هيبياس الاصغر) ويدور حول العلاقة بين العلم والعمل و(بروتاغوراس) او السفسطائي ويدور حول الفضيلة و (المأدبة) ويدور حول الحب وفق منظور فلسفي و(محاورة فيدون) ويعالج فيه موضوع خلود النفس بعد الموت و(الجمهورية) وهو كتاب سياسي تظهر فيه معالم المدينة الفاضلة و(محاورة بارمنيدس) ويعرض فيها نظرية المُثُل. و(طيماوس) ويتناول فيه موضوع الطبيعة ونشاة الكون والخالق واخر مؤلفاته (النواميس) او القوانين.
من الجدير بنا ان نمر على لمحات من فلسفة وفكر افلاطون في اهم المجالات التي خاض بها :

يُعرف افلاطون الفلسفة على انها : السعي الدائم لتحصيل المعرفة الكلية الشاملة التي تستخدم العقل وسيلة لها وتجعل الوصول للحقيقة اسمى غاياتها .(14)

الوجود والطبيعة

يستدل افلاطون على وجود الله بوجهتين هما (الحركة والنظام) بخصوص (الحركة) يقسم افلاطون الحركات الى سبع (دائرية , من يمين الى يسار , من يسار الى يمين , من امام الى خلف , من خلف الى امام , من اعلى الى اسفل , من اسفل الى اعلى) وحركة العالم دائرية منظمة لا يستطيعها العالم بذاته فهي معلولة لعلة عاقل وهذه العلة هي الله وهو من وهب العالم حركة دائرية على نفسه وحرمه من الحركات الاخرى وهي طبيعية وحرمه من ان يجري بها عبثا .

اما فيما يخص الوجهة الثانية التي يستدل بها وهي (النظام) فيقول (ان العالم اية فنية غاية في الجمال ولا يمكن ان يكون النظام البادي فيما بين الاشياء (بالاجمال) و(فيما بين اجزاء كل منها بالتفصيل) نتيجة علل اتفاقية لكنه نتيجة عقل كامل توخى الخير ورتب كل شيء عن قصد)

يعتقد افلاطون ان العقل البشري لا يمكن ان ينفذ الى اغراض الله في الطبيعة فليس امامه الا الظن والتشبيه وكل ما يحدث يحدث عن علة والعالم بدأ من طرف اول لانه محسوس وكل ما هو محسوس خاضع للتغيير والحدوث وله صانع والصانع (خير) واراد ان تحدث الاشياء شبيهة به قدر الامكان فرأى ان العاقل اجمل من غير العاقل والعقل موجود في النفس فصور العالم كائنا حيا عاقلا لا على مثال شيء حادث بل على مثال الحي بذاته والعالم يحوي جميع الاحياء التي من نوعه فالعالم واحد لان صانعه واحد .

يتحدث افلاطون عن طبيعة الكون فيقول ان الله جعل الكون مرئي من خلال النار وملموس من خلال التراب ووضع الماء والهواء في الوسط . لكن هذه العناصر لم تكن كذلك منذ البداية فأصل العالم مادة رخوة غير معينة لا تدرك في ذاتها بل بالاستدلال . وكما ان الصانع ابدي فالكون على صورته ابدي كذلك لكن لا يشبه الخالق فالخالق نموذج مثالي ابدي لا متغير اما الكون فهو ابدي متغير .

الخلود

اما في موضوع الخلود وبقاء النفس بعد الموت فيقول افلاطون اذا نظرنا الى التغير بالاجمال وجدناه تبادلا دائرا بين الاضداد يتولد الاصغر من الاكبر والاحسن من الاسوء وبالعكس فتصبح لدينا العقيدة القديمة بان الحياة تبعث من الموت ولو لم يكن الامر كذلك لكانت الاشياء انتهت الى السكون المطلق .

الفضائل والاخلاق

الفضائل حسب افلاطون ثلاث (الحكمة , العفة , الشجاعة) وقوى النفس ثلاث (العقل , الشهوة , الغضب) والفضائل الثلاث تدبر قوى النفس الثلاث فالحكمة تدبر العقل والعفة تدبر الشهوة والشجاعة تدبر الغضب . وخضوع قوى النفس للفضائل ينتج العدالة .يميز افلاطون بين العقل والحس والنفس والجسم . وفيما يخص الاخلاق فهو يميز بين اللذة والالم من جهة وبين الفضيلة والرذيلة من جهة اخرى . ووقف بقوة ضد الرأي المنسوب للسفسطائيين القائل (بان الاخلاق التي تمنع الملذات من صنع البشر حالها حال القانون الوضعي وعلى الانسان اشباع شهواته من خلال استخدام ذكائه وعليه ان يتظاهر بالصلاح لكسب المجتمع وعدم التصادم معه) . هذا ملخص رأي السفسطائيين بالاخلاق والذي وقف افلاطون ضده بقوة حسب الدكتور يوسف كرم (راجع كتاب تاريخ الفلسفة اليونانية صفحة 113 وصفحة 114) قد يكون الشق الاول من هذا الرأي والذي يقول (ان الاخلاق من صنع الانسان) فعلا رأي سسفسطائي مع اني اراه اقرب للكلبيين(الذين سنمر على فلسفتهم لاحقا) واكثر انسجاما مع فلسفتهم ومؤسس فلسفتهم سفسطائي النشاة ايضا. اما الشق الثاني الذي يتحدث عن (التظاهر بالصلاح لكسب المجتمع) فهو غريب ليس من حيث وجوده على ارض الواقع فهو (نمط حياة) لكثير من الناس في مختلف الاماكن والازمنة . وهم هؤلاء

المنافقين الذين يتظاهرون دائما وابدا بالمثالية والعفة و ينتقدون دائما وابدا كل مظهر يصنفه المجتمع كمظهر غير لائق مع انهم يفعلون ما هو غير ادمي سرا . وسبب قيامهم بذلك هو محاولة ابعاد الشبهة عن انفسهم والاستمتاع بمشاعر الراحة التي تنتابهم حين يعتقد المقابل انهم ذوي فضيلة . الغريب في الموضوع ليس هؤلاء ابدا ... الغريب هو ان هناك من يُنظر لهذا المبدأ فلسفيا!!!

الحب والجمال

فيما يخص الحب فتتجه افكار افلاطون الى ان الحب هو القوة العظمى التي تحرك النفس والحرمان هو المحرك الرئيسي للحب والحب هو رغبة الانسان لمليء فراغ النفس .

يقسم افلاطون الحب الى نوعين (دنيء و شريف) اما الدنيء فهو يلبي الرغبات الجنسية مع الاناث او مع الذكور . واما الشريف فهو بريء خالي من اي ميول جنسية يكسب صاحبه المعرفة والحكمة والفضيلة .

يقول افلاطون : إن الذي يتوق إلى الحب الحقيقي ينبغي له منذ صباه أن يسعى في الاتصال بالأشكال الجميلة ثم يجعل شكلا واحدا جميلا موضعا لحبه ثم يلقحه بالمفاخر العقلية ثم عليه أن يعتقد أن الجمال أينما حل هو شقيق الجمال في أي شكل آخر فإذا كان واجبه أن يتقصى أثر الجمال في الأشكال فيكون من الجهل أن لا يعلم أن الجمال واحد و إن تعددت الأشكال فيطفئ قليلا من جذوة تعلّقه بشكل واحد ليقف حبه على سائر الأشكال ثم هو كذلك يعتبر جمال النفوس أرقى من جمال الأبدان فإذا وجد شخصا ذا نفس جميلة و لكن زهرتها ذوت فإن ذلك لا يمنعه عن وقف حبه و عنايته على هذا الشخص و اتخاذه رفيقا لإنتاج الأشياء الجميلة التي تحملها نفسه ثم يكون واجبه أن يهذب هذا الشخص فيبدأ بتعليمه العلم ليرى فيه جمال الحكمة و بذا يتأمل في الجمال فيخلص من ربق عبادة الجمال و الحب في شكل خاص بل يتلفت بعين نفسه إلى محيط الجمال العقلي فيستخرج بجمال الأشكال التي يراها ما كان كامنا في نفسه من أفكار الحكمة و إذا ما قوي و اشتد يشتغل بعلم واحد و هو علم الجمال العام. (انتهى) (15)

ويعتقد افلاطون ان الولوج للحقيقة لا يتم عن طريق العقل بالضرورة بل من الممكن الولوج اليها عن طريق القلب الذي ينقلنا من مفهوم الجمال الحسي الى مفهوم الجمال المطلق . يعتقد افلاطون ان الروح تدرك الجمال اما الحواس فتدرك انعكاساته . و(الجميل) عند افلاطون هو النافع الذي ينتج عن التفكير فيه سرور لانه ينقل من يفكر به الى الله . (16)

نظرية المُثل

يعتقد افلاطون ان النفس موجودة قبل الجسد ويقسم ما وراء الطبيعة الى قسمين الاول عالم محسوس يقع بين الوجود واللاوجود وهوعالم التعددية والصيرورة والفساد ويعتبر منبعا

للاوهام . ويضرب لنا افلاطون مثل لتقريب المقصد فيقول لو وضعنا اشخاص في كهف منذ الطفولة وتم توثيقهم بسلاسل ثقيلة بحيث لا يتمكنون من الحركة وتم اجلاسهم بمواجهة الكهف من الداخل بحيث لا ينظروا الا جدار الكهف الداخلي و خلفهم نار عظيمة تعكس صور الاشياء التي تمر من امام الكهف من الخارج فيتوهمون ان هذه الخيالات التي يرونها هي اشياء فعلية وليست صور منعكسة وحين تطلق صراحهم وتعطيهم الحرية سيكتشفون الحقيقة في ان ما كانوا يعدونها اشياء حقيقية هي ليست سوى انعكاس لغيرها فيتحسرون على ما مروا به من حياة مظلمة خادعة كانوا يظنون بها انهم يدركون الحقيقة .

الم يجد افلاطون مثال اقل سوداوية من هذا المثال الكئيب؟؟؟على كل حال هذا المثال مادة جيدة لعلماء النفس لدراسة شخصية هذا الفيلسوف .

يعتقد افلاطون ان الفيلسوف الحقيقي هو الذي يتعلق بالخير والجمال ويميز بين الاشياء ويتجاوز المحسوس المتغير الى نموذجه الدائم ويؤثر الحكمة على الظن . ويعتقد ان الحوار والنقاش والجدل هو الطريق الامثل للتحول من عالم الاشياء المتعددة الى العالم العياني للافكار .

يقول المفكر غالب الشابندر: تستند النظرية (نظرية المثل) إلى مقابلة ثنائية حادة مباشرة بين متغير دائم من جهة، وثابت دائم من جهة أخرى، كائنات عِرضةٌ باستمرار للكون والفساد / هذه المنضدة، هذه الشجرة، هذا الانسان / هذا من جهة، ومن جهة ثانية هناك كائنات ثابتة، أزلية، نورانية، غير مادية، هذه الكائنات هي المُثل، مُثل افلاطون، ولكن ينبغي أن نحذر هنا، فإن هذه الكائنات ليست ذهنية محضة، ليست مفاهيم كلية مخزونة بالذهن، بصرف النظر عن هذه المفاهيم، سواء كانت طبيعية أو منطقية أو فلسفية، وبصرف النظر عن منشئها، سواء كان الو اقع أو هي مستنبطة من النفس الانسانية كما هو رأي سقراط، لأن مُثل إفلا طون كائنات حية، لها رصيدها الفذ من الخارج، بل هي الحقيقة، وهذه الكائنات المتغيرة مجرد أشباح، ليست حقيقة، ومن ثم تأتي عملية الربط بين العالمين، عالم الثبات القار، عالم المعرفة الحقيقية، عالم الأزل، من طرف، وعالم الكون والفساد، عالم المعرفة السطحية، الزائلة،من طرف ثاني . إن عالم الكون والفساد طاريء، فيما عالم المثل هو الحقيقة، بل أن عالم المثل هو العلة الحقيقية للوجود، وما الوجود في التحليل النهائي سوى تطابق المثل مع ذاتها، أو التماهي الكلي التام مع هويته، رغم أن هناك أكثر من تصور للوجود في فلسفة افلاطون (انتهى).(17)

المعرفة

يقسم افلاطون المعارف الى اربع . تتحرك النفس فيها من اولاها الى اخرها حركة ضرورية وهي :(الاحساس , الظن , الاستدلال , التعقل) اما الاحساس فهو ادراك عوارض الاجسام في اليقضة وصورها في المنام . والظن هو الحكم على المحسوسات كما

هي . والاستدلال هو الماهيات الرياضياتية المتحققة في المحسوسات . اما التعقل فهو ادراك الماهيات المجردة في كل مادة .

الشرائع وجمهورية افلاطون

فيما يخص القانون او التشريع يعتقد افلاطون ان التشريع يجب ان يقوم على الفضيلة والعدالة ويقول افلاطون ان الله لا يحكمنا مباشرة بل بواسطة العقل الذي وهبنا فالقوانين التي يقررها العقل تحاكي قوانين العناية الالهية . ويقسم افلاطون السلطات الى سبع سلطات (حراس الدستور, القادة , مجلس الشيوخ , الكاهنات والكهنة , الشرطة , وزير التربية , المحاكم)

اما جمهورية افلاطون الفاضلة فتتكون من ثلاث طبقات هي (الحكام والجند والشعب) والجند يجب ان يفصلوا عن عامة الناس ويتربوا تربية خاصة بدنية ونفسية وهم من كلا الجنسين ويوفر لهم الشعب مؤونتهم . وهم مسخرون لاجل الوطن وليس العكس .لذلك يُحظر عليهم اقتناء الذهب والفضة والاموال لانها من الوان الترف . ويُحظر عليهم تكوين اسرة لانها تشغلهم عن مهامهم الرئيسية . بل الكل للكل من خلال اقتران مؤقت غايته التناسل وليس تكوين اسرة ويتم اختيار القرينان عن طريق قرعة وهمية لتفادي حدوث خصومة لكن الحقيقة هي ان الحكام هم من يختارون من يرتأون ان اقترانهم معا(اقتران مؤقت) سينجب نسل نقي وقوي . ويوضع الاطفال في مكان مشترك ويعتني بهم اشخاص مختصين وتأتي الامهات لترضع الاطفال دون ان تعلم اي منهن من هو ابنها وبذلك تصبح صلة قرابة بين جميع الجنود.اما فيما يخص الشعب فمن حقهم تكوين اسرة لكن بشروط وتحت مراقبة فليس من حقهم الانجاب متى ما يحبون بل وفق نظام محدد فالطفل الذي ياتي في غير وقته يتم اعدامه والطفل ناقص الخلقة او الضعيف او المريض بمرض مستعصي او فاسد الخُلق يصيبه نفس المصير وهو الاعدام . فيما يخص الحكام فهم طبعا من اقرانه الفلاسفة فهم اكمل البشر وافضلهم في ادارة المجتمع لان رؤيتهم للامور رؤية ثاقبة تختلف عن الرؤية القاصرة لعامة الناس . يقف افلاطون بالضد من حدوث اي نزاع او سطو او اعتداء بين افراد الشعب الذي ينتمي اليه (الشعب اليوناني) لكن ليس لديه مشكلة في ان يعتدي شعبه على شعب اخر ويظهر ذلك واضحا في قوله (اليونان لا يسترق بعضهم بعضا وانما يسترقون الاعاجم , لان الرجل العدل لا يسترق قريبه وصديقه بل يسترق عدوه)(راجع تاريخ الفلسفة اليونانية –يوسف كرم – من صفحة 125 الى صفحة 128)

ما سبق هي لمحات من جمهورية افلاطون (الغير واقعية) يستطيع اي انسان على وجه الارض ان يميز لا واقعيتها ولا عقلانيتها بسهولة (الا اللهم اذا كان عقله يطابق عقل افلاطون)

يعلق الدكتور يوسف كرم حول جمهورية افلاطون قائلا: هذا تلخيص المقالات السياسية في الجمهورية يتبين منه القاريء ان افلاطون نهج منهج الرياضي , يضع الاصول ويستخرج نتائجها دون التجاء للتجربة , كأن بني الانسان احاد مجردة او اشكال هندسية , وكأن طبائع الاجتماع تطيع المشرع كما يطيع الصلصال يد الخزاف , ولقد ظن الفيلسوف انه يحتاط للامر بما فيه الكفاية اذا هو اراد المدينة على ان تكون صغيرة لا تزيد ولا تنقص فيسهل تحقيق العدالة فيها على النحو الذي تصور , ولكنه وضع لذلك قيودا فضيعة وقوانين وحشية وبالغ في تقدير القوة البدنية وفي تمثيل الانسان بالحيوان , ولو انه ذكر في هذا الموقف مذهبه في النفس الناطقة , وشرفها وجمالها لكن نبا عن هذه المخازي التي اخذها عن الاسبرطيين الغلظاء ...لم يكن افلاطون اكثر توفيقا في مسألتي الحرب والرق , فانه يكيل هنا بمكيالين الواحد لليونان والاخر للاعاجم , ينصح للمدن اليونانية ان تتعهد فيما بينها العلائق الودية بل ان تتحالف وتؤلف اسرة واحدة , فان تحاربت فلا تدمر ولا تحرق ولا يسحق الغالب جميع اهل المدينة المغلوبة كأنهم اعداء , بل يضرب الاقلية التي اثارت الخصام , يعامل الباقي معاملة الاصدقاء , ويقصر التدمير والسحق على محاربة الاعاجم ثم هو يصرح بان اليونان لا يسترق بعضهم بعضا وانما يسترقون الاعاجم , لان الرجل العدل لا يسترق قريبه وصديقه بل يسترق عدوه ...الحق ان قاريء (الجمهورية) ينتظر من صاحبها غير هذه العدالة المنقوصة...(انتهى).(18)

الحق ان الاستاذ يوسف كرم اصاب كبد الحقيقة فيما قال ... كل انسان عاقل يشعر بالغثيان والصدمة وهو يقرأ عن هذه الجمهورية الجهنمية التي لم تخطر على بال حتى رئيس كوريا الشمالية .هناك الكثير من المعتوهين اشباه افلاطون في زماننا يتصورون ان الله خصهم بقدرة عقلية كبيرة تجعلهم مؤهلين لتحويل العالم الى معلف والناس الى ماشية وهم رعاة تلك الماشية التي هيأهم الله لرعايتها كونها قاصرة عن ادراك مصلحتها .

ارسطو(19)

ولد ارسطو في مدينة اسطاغيرا وسط اسرة تمارس الطب وكان والده مقربا من البلاط المقدوني وحافظ هو على هذا القرب . سافر الى اثينا وعمره 18 عام ودخل اكاديمية افلاطون وكان من تلاميذه النجباء . واسماه افلاطون (العقل) لذكائه و(القَراء) لاطلاعه الواسع . ترك ارسطو الاكاديمية بعد عشرين عام اي بعد وفاة افلاطون وغادرها الى مقدونيا وتزوج هناك واوكلت اليه مهمة تثقيف ولي العهد انذاك (الاسكندر المقدورني) وبعد ان اصبح الاسكندر ملكا عاد ارسطو الى اثينا وانشأ مدرسة في ملعب رياضي . وقسم رواد المدرسة الى قسمين (المسنون والاحداث) واقتصر انتخاب الرئيس على المسنين فقط . كان ارسطو يعطي دروسه لتلاميذه وهو يتمشى في ممشى فسمي هو واتباعه (بالمشائين) وكان يعطي دروس صباحية حول الفلسفة ومسائية حول الخطابة .

بعد عشر سنوات توترت علاقته بالاسكندر بسبب اعدام الاسكندر لاحد اقاربه بتهمة التامر لاغتياله وبعد عامين من ذلك توفي الاسكندر بالحمى . وكان لوفاة الاسكندر اثر كبير في اثينا فنشط السياسيون المناهضون لمقدونيا ضد الاجانب . واشهرهم (ديموستين) الخطيب السياسي المفوه الذي تحدى في طفولته ضعف صوته ولثغة لسانه وارتباكه وبقي يمرن نفسه منفردا حتى اصبح من اشهر خطباء اثينا. تعرض ارسطو لضغوط من سياسيي اثينا ومع علمهم انه لم يكن على وفاق تام مع الاسكندر بسبب اعدامه لقريبه الا ان ذلك لم يشفع له وتم اتهامه بالالحاد فاضطر لترك اثينا قائلا (لا حاجة لان اهيء للاثينيين فرصة جديدة للاجرام ضد الفلسفة) وسافر الى جزيرة اوبا ومات هناك مريضا بعد عام وعمره 63 سنة. كتب ارسطو في كثير من المجالات منها المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة والاخلاق والسياسة والخطابة والشعر .

ينقسم العلم عند ارسطو الى (نظري وعملي) والعلم النظري هو العلم الذي ينتهي الى معرفة مجردة تؤثر في الوجود وينقسم الى ثلاث اقسام : العلم الطبيعي (متحرك ومحسوس) وما وراء الطبيعة (وجود بالاطلاق) وعلم الرياضيات (مقدار وعدد) . اما العلم العملي فهو العلم الذي تكون غايته تدبير الافعال الانسانية من ثلاث نواحي : شخصية (الاخلاق) و اسرية (تدبير المنزل) والدولة (السياسة) اما الفن فمهمته تحريك مخيلة الانسان ومن هذه المخيلة تتوالد المصنوعات المفيدة والجميلة . ويعتبر ارسطو العلم النظري اسمى من العلم العملي لانه يقود لتكامل العقل .

عرض ارسطو نفسه كموسوعة شاملة فمرة تجده عالما طبيعيا ومرة تجده فيلسوفا ما ورائيا ومرة تجده خطيبا وشاعرا ومرة تجده يبحث في الاخلاق ومرة تجده سياسيا ومرة تجده عالم احياء .

يعتبر ارسطو اول من دون علم المنطق لكنه لا يعده جزءا من العلوم النظرية بل يعده آلة لتلك العلوم وقانون تسير عليه دون ان يتدخل في مضمونها . لذلك سمي منطق ارسطو بالمنطق (الشكلي).

يعتقد ارسطو ان عملية الاستدلال المنطقي تقوم على القياس اذ يمكننا الاستدلال على صحة قضية من خلال الاستناد على قضيتين اخرتين صحيحتين . السؤال الذي يطرح نفسه قضيتان صحيحتان وفق اي منظور؟؟؟ وفق منظوري انا مثلا او منظورك انت او منظور شخص ثالث او اخر رابع ؟؟؟

مثال على ذلك لو اردنا اثبات ان ابو بكر البغدادي خطر على المجتمع فنقول :

المجرم خطر على المجتمع(مقدمة كبرى)

ابو بكر البغدادي مجرم (مقدمة صغرى)

اذن ابو بكر البغدادي خطر على المجتمع(نتيجة)

طيب من قال ان ابو بكر البغدادي مجرم ؟؟؟ نعود للمطنق الارسطوطاليسي :

من يدعو الى قتل الناس مجرم (مقدمة كبرى)

ابو بكر البغدادي يدعو الى قتل الناس (مقدمة صغرى)

ابو بكر البغدادي مجرم (نتيجة)

وفق منطقنا نحن ابو بكر البغدادي مجرم لانه يدعو الى قتل الناس لكن وفق منطق غيرنا الامر مختلف...ماذا لو انطلقنا من بديهيات المتشددين واستخدمناها في المنطق الارسطوطاليسي؟؟؟

الوقوف بوجه الكفار والدفاع عن الدين عمل يحبه الله (مقدمة كبرى)

ابو بكر البغدادي يقف بوجه الكفار ويدافع عن الدين(مقدمة صغرى)

ابو بكر البغدادي يحبه الله(نتيجة)

نفس المنطق من الممكن ان يؤدي بنا الى نتائج تجعل امة كاملة مجرمة في نظرنا او تجعلنا مجرمين في نظر غيرنا .

المنطق في بعض الاحايين مجرد خداع للذات الغاية منه استئثار الحقيقة واصدار الاحكام الصارمة (لو استخدم للحكم على الاخر) من الممكن ان يخدعنا القياس في اصدار الاحكام فحتى ما نعدها بديهيات قد لا تكون كذلك بالنسبة لغيرنا .

من البديهي ان المجرم يعتبر خطر على المجتمع لكن من هو المجرم ؟؟؟ هنا تسكب العبرات . قد يقول قائل ان المجرم هو من يقتل الناس . وقد يجيبه احدهم ولماذا يقتل الناس؟؟؟ هل لانهم مثليين جنسيا مثلا ؟؟؟ هل لانهم ملحدين ؟؟؟ هل لانهم مرتدين ؟؟؟ هذا ليس مجرم هذا ينظف المجتمع من الرذيلة . المجرم هو المثلي جنسيا وليس قاتله . المجرم هو الملحد الذي يعادي الله . المجرم هو من يرتد عن دين الله . من يقتل هؤلاء صاحب فضيلة.

اي معلومتان صحيحتان يريدنا ارسطو ان نستنبط منهما نتيجة منطقية ؟؟؟ صحيحتان وفق من ؟؟؟ وفق من يقول ان الذي يتاجر بالدين مجرم يجب ايقافه عند حده ؟؟؟ ام وفق من يقول ان المختلف عني خطر على المجتمع يجب الغائه ؟؟؟ هناك من يعتبر الفكر المخالف لفكره يشكل خطر اكثر من القتل .

من بديهيات بعض الناس ان كل من لا ترتدي حجاب عاهرة من حقه ان يتهمها في عرضها لانها لم تستر نفسها وكل محجبة قمة الشرف بغض النظر عن واقعها الفعلي ويكفي الحكم عليها من ظاهرها بل قال احدهم مرة (لا اجد مشكلة في الطعن بالسافرة حتى لو كانت ممتنعة عن الرجال فهذا الشرف ليس ذي قيمة قياسا باظهارها لمفاتنها . ولا اسمح لنفسي ان اطعن بمحجبة حتى لو قيل لي انها سهلة المنال فيجب ان احكم على ظاهرها الذي يعبر عن الشرف والالتزام) المنطق اخذ هذا الكائن الاحفوري ومن لف لفه الى ان السافرة عاهرة حتى لو كانت مستحيلة المنال فالسفور بحد ذاته عهر في تصوره .

يقول الوردي : اما النطق الحديث فهو قد انكر وجود الحقيقة المطلقة عمليا ونظريا , وهو يرى في كل فكرة جانبا من الصواب في حدود الاطار الخاص بها . والفكرة التي هي مغلوطة في نظرك قد تكون صحيحة في نظر غيرك لانه يراها بمنظاره الذي فرضه المجتمع عليه او فرضته مصالحه الخاصة او عقده النفسية (انتهى). (20)

ملخص الكلام المنطق يؤدي الى نتائج مذهلة مع العلم (خصوصا التطبيقي) لكن في تحديد المواقف وتمحيص الحقائق فقد يصيب وقد يخيب .

يبين الباحث محمد انعيسى ان ارسطو يستند على اربعة مباديء في المنطق وهي (مبدأ الذاتية) ويقصد به ان الشيء يبقى هو هو لا يتغير ولا يتبدل وان حدثت به تغيرات داخلية . ومبدأ (عدم التناقض) اي ان تقول عن الشيء موجود وغير موجود في نفس الوقت . ومبدأ (الوسط المستبعد) ويقصد به ان للشيء صفة ما او نقيضها ولا يوجد خيار ثالث كقولنا (ان فلان نجح او رسب) ومبدأ (العلية) وهناك من استبعد هذا المبدأ من العقل الارسطي . ويقصد بهذا المبدا ان لكل معلول علة والعلة ماهي الا الشرط اللازم لحدوث امر ما .

ويبين محمد انعيسي ان ارسطو يحدد أربعة علل للشيء وهي:

أـ العلة المادية

ب ـ العلة الصورية

ج ـ العلة الفاعلة

د ـ العلة الغائية

اذا اراد نجار ان يصنع طاولة من الخشب فهو يحتاج الى العلة المادية (الخشب) و يحتاج الى تصميم (العلة الصورية) و يحتاج الى اداة لتحويل الخشب الى الطاولة (العلة الفاعلة) و لابد وان تكون هناك غاية من وراء صنع الطاولة (العلة الغائية) .

يرى ارسطو ان الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة وان القوانين العامة ليست إلا أفكاراً عامة وهي ليست فطرية بل تكونت من مشاهدات للأشياء المتماثلة فهي مدركات وليست أشياء.

يعتقد ارسطو ان النفس لا تأتي من خارج الجسم بل هي موجودة معه . وللنبات والانسان والحيوان (نفوس نامية) اي نفوس قادرة على النماء الداخلي . والحيوان والانسان يشتركان (بالنفس الحاسة) اي النفس التي لها قدرة على الاحساس . وللانسان والحيوانات الراقية (نفس منفعلة عاقلة) قادرة على الاشكال البسيطة البدائية من الحياة . والانسان وحده له (نفس فاعلة عاقلة) قادرة على الابتكار . وهذه النفس منبعثة من قوة الكون الخالقة العاقلة (الله) وهذه النفس مخلدة لكن الخلود للقوة وليس للشخص . وقوة الكون الخالقة العاقلة (الله) هو صورة الكون وحقيقته الفعلية وطبيعته الفكرية ووظائفه واغراضه . والعلل كلها ترتد الى العلة الاولى التي لا علة لها كما ترد كل الحركات الى المحرك الاول ولا بد لنا ان نفترض اصل لما في العالم من قوة وهذا الاصل هو الله .

مر فكر ارسطو بثلاث مراحل الاولى كان يقتفي فيها آثار استاذه . والثانية انتقالية اختلف فيها مع استاذه وانتقد نظرية المُثل واتضحت في تلك المرحلة ملامح فكره في مجال السياسة وفي مجال الطبيعة وما وراء الطبيعة والاخلاق . اما المرحلة الاخيرة فهي مرحلة الاستقلال الفكري الكامل والنضج وهي اخر 30 سنة من عمره .

قلنا سابقا ان امبيدوكلس يؤمن بالعناصر الاربعة (النار , التراب , الهواء , الماء) اما ارسطو فأكملها بعنصر خامس وهو (الاثير) وهو عنصر مقدس يكون دوائر السماء والاجرام السماوية.

يختلف مع افلاطون في حديثه عن الاخلاق فهو لا يريد ان يكون الجميع مثاليون بل يريد ان يكون الجميع سعداء ويعتقد ان السعادة هي غاية بذاتها وكل ما سواها ليس الا وسيلة . اما عن السياسة فيعتقد ان السياسة يجب ان تحقق السعادة الجماعية كما ان الاخلاق يجب ان تحقق السعادة الفردية.

ويقترح ارسطو نظام حكم خليط بين الديمقراطية والارستقراطية ليتجنب المجتمع دكتاتورية الفقراء والاغنياء على حد سواء . وحق الانتخاب في هذا النظام يقتصر على الطبقة الوسطى وتكون هي المسيطرة .

ما سبق نبذة بسيطة ونزر يسير من بحر ارسطو المتلاطم بالافكار التي تشمل مجالات عدة ليس غايتنا الغوص فيها والتنقيب في تفاصيلها ويكفينا (في مجال بحثنا) ذلك النزر اليسير.
يقول ارسطو : إنا لنحب الحق ونحب أفلاطون فإذا افترقا فالحق أولى بالمحبة .

الكلبيون(21)

يبين الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو ان تسمية الكلبيين اشتقّت من "knon" التي تعني الكلب. وكان الفلاسفة الكلبيّين حسب فوكو يعتقدون ان السعادة لا تتحقّق إلاّ بأن يحيا الإنسان على وفاق مع الطبيعة، وان يسعى الى التحرر من كلّ القيود . وان يكون مكتفيا بذاته . وان يحافظ على اسقلاليته تجاه جميع السلطات. و بيّن فوكو ان الفلاسفة الكلبيين كانوا يعتقدون ان الحياة الحقيقية لا تتحقق إلا بنسف القيم والعادات السائدة التي تظلل الانسان وتقيده بقيود وهمية ومن هذا المنطلق كانوا يحتقرون الحياة المستقيمة والاخلاق العامة السائدة حسب عرف المجتمع .

يعتقد الكلبيون ان المال مصدر كل الشرور لذلك يجب استئصاله . كانوا يمقتون الالتزام بالعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية التي هي بنظرهم قيم مصطنعة كاذبة. وكانوا يزدرون العلم النظري .

وتعد المدرسة الكلبية واحدة من المدارس الفلسفية التشائمية وانعكست افكارها بشكل واضح على نمط حياة فلاسفتها . اسس هذه المدرسة الفلسفية (العملية) الفيلسوف انتستانس او (انتيسثينيز) وهو من اتباع سقراط ونشأ قبله على السفسطة . ويرى انتستانس ان الشخص الحكيم هو الذي ينظر باحتقار لكل الرغبات المألوفة في الحياة ولا يكترث لا للثروات ولا للجاه ولا للشهرة . ويرى ان السعادة الدائمة أمر غير ممكن مادام للشخص حاجات ورغبات لا يستطيع إشباعها . وهو غير مقيد بأية التزامات نحو المجتمع او الدولة او الأسرة لأن هذه الالتزامات تولِّد رغبات لا يمكن إشباعها . ويرى ان على الانسان ان يقتصر على الضروريات المحضة لتبقى روحه حرة . كان شعاره (اني لا املك حتى لا يمتلكني احد) وذات مرة وكعادته كان يرتدي ثوباً رثاً فيه ثقوب فقال له سقراط (اني استطيع ان ارى غرورك يا انتستانس من خلال ثقوب ثوبك)

وكان ديوجين او (ديوجانس) واحدًا من أتباعه المتحمسين و اتبع الفلسفة الكلبية إلى درجة التطرف. ويقال إنه كان يعيش على أردأ أنواع الطعام ويعيش حياة متقشفة . تم نفيه من مدينة سينوب مسقط رأسه بسبب تشويهه للعملة الرسمية. واكمل ما بقي من حياته في اثينا واتخذ من برميل او حوض مسكنا له . وكان ديوجين يرفض كلّ ما يقيّد حريته . وشوهد مرة في الشارع وهو يتجوّل حاملا فانوس في وضح النهار. فلمّا سُئل عن ذلك قال إنه بصدد البحث عن إنسان مستقيم . كان رافضا لكل ما يجعله منصاعا للرغبات والشهوات.

يقول الدكتور محمد جلوب الفرحان متحدثا عن الاصول الفلسفية للمدرسة الكلبية ودلالات تسميتها بهذا الاسم:

إن الاصول الفلسفية لهذه المدرسة تصعد إلى أراء وعقائد مجموعة من الفلاسفة اليونان القدماء ، والذين يُعرفون بالكلبيين . وفي إسم المدرسة وفلسفتها روح ساخرة ومتمردة على

كل بهارج الحياة ومظاهرها الزائلة . ومن هنا جاء إسمها باليونانية والمترجم إلى الإنكليزية بلفظة سينك أي السخرية ، وللدلالة على سلوك الشخص وتفكيره جاءت لفظة سينكل أي الساخر أو المُثير للسخرية والضحك هذا طرف من إشتقاق إسم المدرسة والفلسفة والفيلسوف . أما الطرف الأخر لإسم المدرسة ، فيكمن في المحاولات القديمة للإجابة عن السؤال : لماذا سُمي هؤلاء الفلاسفة بالكلبيين ؟ ولعل واحدة من هذه المحاولات ترى بإن السبب وراء التسمية ، هو إن الفيلسوف الكلبي الأول أنتيستينيس (365 – 445 ق.م) ، كان يُعلم ويلقي محاضراته في الجمنزيوم المسمى كاينوساركس في مدينة أثينا . وإن كلمة كاينوساركس تعني مكان " الكلب الأبيض. " ونحسبُ على أساس الطرف الأخير ، إن كلمة الكلب ، هي كلمة فيها قذف وتجريح للفلاسفة الكلبيين الأوائل . كما وفيها تسفيل وإلحاق الضرر بهم ، وذلك بسبب عدم إلتزامهم بقواعد الحياء والحشمة ، وخروجهم على تقاليد وروتين الحياة اليونانية ، وفضلوا العيش على أرصفة شوارع المدن اليونانية . وفعلاً فإن الفيلسوف الكلبي ديوجانس الساخر ، قد أدرك المعاني السلبية (التي تحمل الذم) في كلمة كلب وكلبية ، ولكنه سعى بكل قوة إلى تحريرها من مضمونها السلبي ، وتوجيهها توجيهاً إيجابياً لصالح هذه النزعة الفلسفية الساخرة والمتهكمة من بهارج الحياة بكل ألوانها. ولعل في كلمات الفيلسوف ديوجانس الكلبي الصدق الكثير . فقد كانوا ينادونه " ديوجانس الكلب . " وفي رده عليهم ما يحمل التصحيح ، فقال " : الكلاب الأخرى تعضُ أعدائها أما أنا فأعضُ أصدقائي لأنقذهم . " وقد حفظت لنا كتابات الفلاسفة الكلبيون المتأخرون ، نصوصاً تشهد على تحويل كلمة كلب و كلبية وكلبي ، من معانيها السلبية التي تحمل الذم والإنتقاص ، إلى معاني إيجابية تحمل معاني التسامي والعلو والتي تشتغل لصالحهم ، وتقوض دعاوي خصومهم (انتهى) .(22)

اما المباديء الاساسية للفلسفة الكلبية فيلخصها الدكتور محمد جلوب الفرحان بالنقاط الخمس التالية :(23)

أولاً – إن هدف الحياة هو السعادة ، والتي تتحقق عن طريق العيش وفقاً للطبيعة.

ثانياً – تعتمد السعادة على الإكتفاء الذاتي ، والسيطرة على الميول العقلية.

ثالثاً – إن إنجاز الإكتفاء الذاتي ، هو أن يعيش الإنسان حياة " الأريت). " والأريت مفهوم يوناني يعني أن يعيش بدرجات من الإمتياز . وبعض الأحيان تعني أن يعيش الإنسان حياة الفضيلة . وتعني كذلك بأن " يعيش الإنسان بأحسن ما يستطيع أو الوصول إلى أعلى الممكنات الإنسانية)

رابعاً – إن الطريق إلى الأريت ، هو تحرير النفس من تأثير الثروة ، والشهرة والسلطة ، والتي لا قيمة لها في الطبيعة.

خامساً – تسبب المعاناة والعذابات ، الأحكام الكاذبة ، والتي هي سبب الإنفعالات السلبية والشخصية الشريرة... وعلى هذا الأساس فإن الكلبي لا يملك ملكاً ، ويرفض كل صور الثروة والأموال ، والشهرة والسلطة والسمعة .(انتهى)

وطن الكلبيون هو العالم فهم لا يشعرون بالانتماء لوطنهم الذي يعيشون فيه او شعورهم بالانتماء له ضعيف . يدعون الى هوية المواطنة العالمية الانسانية اي ان انتمائهم الفعلي للهوية الانسانية.

المدرسة الميغارية(24)

وهي مدرسة اسسها اقليدس الميغاري واشتهرت بالجدل . تلقى اقليدس في باديء الامر افكار المدرسة الايلية ثم انتقل ليصبح من اوائل مريدي سقراط وتأثر كذلك بالسفسطة . لذلك نجد مدرسته الميغارية عبارة عن خليط من كل ما سبق فهو اخذ وحدة الوجود من المدرسة الايلية والخير من سقراط . يعتقد اقليدس ان الوجود واحد والخير واحد وما ليس خير لا وجود له . والخير يسمى باسماء كثيرة منها (الله , العقل , العناية) وللوجود ماهيات مختلفة كلها مظاهر للوحدة الاصلية وليس لها وجود الا في الفكر والقول في انها موجودة (حقيقة) يجعلها متمايزة ثابتة . والماهيات واحدة باسماء متعددة .

ويعتبر ابوليدس الملطي من رواد هذه المدرسة ايضا وكان يقف بندية امام ارسطو ويحاججه بقوة . ومثال على ذلك رده على ارسطو في مبدأ عدم التناقض (استحالة اجتماع الشيء ونقيضه كان تقول عن الشيء موجود وغير موجود في نفس الوقت) رد على هذا المبدأ بالقول (اذا قلت انك تكذب فانت صادق وكاذب في نفس الوقت) وبذلك اجتمع النقيضين معا . ثم خطى على طريقه استلبون الميغاري واهتم بنقد فلسفة افلاطون وفلسفة ارسطو بنفس طريقة ابوليدس الملطي . ومثال على ذلك قوله (اذا قلنا ان هذا الشخص يحقق معنى الانسان . وكان هذا الشخص في ميغاري . فيلزمك القول انه لايوجد انسان في اثينا من حيث ان المثال واحد لا يتعدد)

المدرسة القورينائية(25)

وهي مدرسة من المدارس الحسية التصورية واسسها الفيلسوف ارستبوس. بدأ ارستبوس سفسطائيا ثم اصبح احد تلامذة سقراط وسميت المدرسة بهذا الاسم نسبة الى قورينا مسقط رأس ارستبوس والمدينة التي اسس فيها مدرسته .

يعتقد ارستبوس ان الانسان لا يدرك سوى تصوراته ولا يبلغ الى الاشياء التي تسبب الاحساسات و لا يدري ان كانت احساساته تشبه احساسات غيره من البشر لان الاحساس شخصي والانسان منعزل عن الخارج كأنه في مدينة محصورة ولا يشترك الناس الا في

الالفاظ التي يسمون بها احاسيسهم واللفظ الواحد يدل على شعور مختلف عند كل انسان لذلك يستحيل الحكم والعلم .

كان ارستابوس كما الكلبيون يزدري العلم النظري . مقياس الاخلاق عند ارستبوس هو الشعور باللذة . والالم والشعور باللذة والالم حركة . واذا كانت الحركة خفيفة كان الشعور لذيذا . اما اذا كانت الحركة عنيفة كان الشعور مؤلما . واللذة هي الخير الاعظم وهي مقياس القيم جميعا وهي صوت الطبيعة . اما القيود والحدود التي تجعل الخجل والحياء شاخصين فهي من صنع العرف . مصدر القلق والالم يكمن في (التعلق باللذة والتفكير بالمستقبل) فالمستقبل غيب والتفكير به ينتج قلق وألم . وعلى الانسان ان يتخلص من الشهوة باللذة التي تشبعها . او يتخلص من الحياة باكملها اذا لم يكن منها نفع . والفقرة الاخيرة تدل على نزعات تشائمية في المدرسة القورينائية .

بعد وفاة ارستابوس خلفته ابنته . وخلف ابنته ابنها . ويقال ان الافكار التي تتحدث عن اللذة هي افكار الحفيد ونسبت للجد . اما اخر فلاسفة المدرسة القورينائية فكان هجسياس وكانت نزعته التشائمية واضحة جدا وتخلص افكاره الى ان الموت افضل الخيارات . كيف ذلك؟؟؟

بما ان اللذة هي الخير وهي من تجلب السعادة . واللذة الخالصة من النادر تحققها . لذلك السعادة من النادر تحققها ايضا . وهذا يؤدي بالضرورة الى بحث الانسان عن السعادة دون جدوى . لذلك اللذة تنتج الالم لانها لا يمكن ان تشبع وسيبقى الانسان يعاني بسببها لذلك قتل الشهوة افضل الخيارات . لكن هذا منافي للطبيعة البشرية ولا يمكن تحققه . لذلك الحياة تعادل الموت ولا جدوى من الاستمرار بها . كان لافكاره التشائمية اثر في بعض الناس فأنتحروا بسببه ولقب (الناصح بالموت) وعلى اثر ذلك قام الملك بطليموس بنفيه واغلاق المدرسة .

السؤال الذي يطرح نفسه لماذا اقنع الناس ان الموت افضل من الحياة وانتحروا على اثر افكاره ولم ينتحر هو؟؟؟ ولماذا لم يطلب من الملك ان يعدمه بدل نفيه لان الموت افضل من الحياة ؟؟؟ ولماذا لم يتسائل مريديه الذين انتحروا ولو لحظة قبل انتحارهم (اذا كان الموت افضل لماذا لا ينتحر هو؟؟؟) حين يدعو الفيلسوف الى نمط محدد من الحياة ويتبعه الناس ويرونه بعينهم ملتزم بهذا النمط فهذا مفهوم ومعقول اما ان يدعو الى الموت ويبقى هو متمسك بالحياة الى اخر لحظة فهذا ما لا يمكن ان يكون معقول لكنه واقع موجود لهذه اللحظة فلا زال هناك مخبولون (دهاة) يقنعون مخبولين (مغفلين) ان الموت افضل لهم فيقدمون عليه ويبقى من اقنعهم حيا لا يكترث لشيء . تخيل معي الفيلسوف هجسياس يطرح افكاره التشائمية التي تخلص الى ان الموت افضل من الحياة فيسمع بعد فترة ان احد مريديه انتحر . حتى لو كان مقتنع بما يقول لا بد ان يشعر بوغزات ضمير لو كان لديه بقايا انسانية فيتوقف عن دعوة الناس الى شيء هو اجبن من ان يقدم عليه .

هل عدم انتحاره لانه صاحب رسالة يريد ان يوصلها لاكبر عدد ممكن من الناس ولو انتحر ستموت الرسالة؟؟؟ لذلك هو لم يكن متمسك بالحياة بل كان يضحي بتركه الخيار الافضل وهو (الموت) ويعاني السقم في هذه الحياة البائسة في سبيل ايصال رسالته للناس؟؟؟ في زماننا هذا منطق المعتوهين الذين يدفعون الناس الى الموت لاجل فكرة مقدسة ولا يقدمون هم عليه.

ابيقور(26)

معلم تزوج من ساحرة فكانت النتيجة ان ينجبوا الفيلسوف (ضعيف البنية , طيب القلب) ابيقور . ولد ابيقور في ساموس . بدأ بالتفلسف مبكرا وهو بسن الرابعة عشر وقال (ان القول بان ساعة التفلسف لم تحن بعد او انها فاتت معناه ان ساعة طلب السعادة لم تحن بعد او انها فاتت)

سافر الى اثينا في سن الثامنة عشر ثم سافر بعدها الى اسيا الصغرى وعاد بعدها الى اثينا ليفتتح مدرسته الخاصة هناك . كان يعطي دروسه في الحديقة لذلك سميت (حديقة ابيقور) كان طيبا مع تلاميذه لكنه في نفس الوقت معتدا جدا بنفسه لدرجة انه يدعي ان فلسفته وليدة افكاره البحتة ولا فضل لاحد عليه من الفلاسفة الذين عاصروه او سبقوه . اصيب بالحصوة ومات اعلى اثرها ويحكى انه كان صبورا جدا على المرض الى درجة مثيرة للدهشة.

لم يكن يهتم باي علم لا صلة له بالاخلاق . اما المنطق والعلم الطبيعي فهما لخدمة الفلسفة الاخلاقية . يعرف ابيقور الفلسفة على انها : الحكمة العملية التي توفر السعادة بالادلة والافكار .

المعرفة عند ابيقور اربعة انواع (الانفعال , الاحساس , المعنى الكلي , الحدس الفكري)

والانفعال هو الشعور باللذة والالم . ابيقور على عكس غيره من الفلاسفة يثق بالاحساس والاحساس عنده هو الادراك الظاهري للاشياء . اي ان خطأ الحواس ليس بالادراك بل بالاضافات التي يضيفها العقل للادراك ومثال على ذلك لو كنت ترى برج من بعيد ورايته مستدير فليس من الخطأ ان تقول انك تراه مستدير لانك تراه كذلك فعلا لكن الخطأ ان تحكم على انه مستدير دون ان تقترب منه وتتبين لك حقيقة شكله . وتكرار الاحساس ينتج عنه معنى كلي يثبت في لفظ وهذا المعنى الكلي حقيقي لانه ناتج عن احساس . اما الحدس الفكري فهو استدلال يؤدي بنا الى تصديق اشياء ليست واقعة في التجربة مثل القول بلانهاية المادة فان التجربة ان لم تثبتها لا تنفيها . وخلود المادة من الاشياء التي يصدقها ابيقور عن طريق حدسه الفكري .

اما بخصوص العلم الطبيعي فله وجهة نظر خاصة تخلص الى ان العلم الطبيعي ليس له قيمة بذاته وتكمن قيمته في تسخيره لعلم الاخلاق ومثال على ذلك لو قلنا ان سبب الكسوف

(توسط القمر او توسط جسم اخر غير معروف او انطفاء الشمس مؤقتا) اي تفسير من التفسيرات السابقة يفي بالغرض فهو في النهاية يبدد المخاوف من الكسوف وهذا هو المطلوب . يعتقد ابيقور ان نظرة اجمالية للعالم تكفي ولا داعي للدخول في التفاصيل الدقيقة لان الغاية من العلم الطبيعي ليس العلم الطبيعي بذاته بل الوصول للاخلاق .

يعتقد ابيقور ان الجواهر المفردة موجودة حتى لو كانت غير منظورة مثل (الاصوات والروائح وغيرها) والنفس عند ابيقور جسم حار لطيف يتواجد مع الجسم وينحل بانحلاله اي انها تفنى . ولها وظيفتان (وظيفة حيوية ووظيفة وجدانية)

يؤمن ابيقور بوجود الالهة ويثبت وجودها بالحدس الفكري . ففكرة وجود الالهة فكرة شائعة عند البشر وهي فكرة سابقة والفكرة السابقة تتكون من خلال تكرار الاحساس بها مما يعطيها مصداقية. ومنبع هذا الاحساس هو الخيالات التي نراها في المنام واليقظة والتي لا بد ان يكون منبعها الالهة . لكن هذه الالهة لا تتدخل في شؤون العالم . ابيقور يرفض فكرة تواصل الالهة مع الناس ويرفض التفسير الغيبي للظواهر الطبيعية ويرفض فكرة ان الله يضطرب ويغضب **ويقول في هذا المجال :** (اذا كان الله كامل وكلي القدره فهو اذن في سلام دائم ولذا لايمكن ان يغضب او ان ينزعج من اي شيء او من اي مخلوق لان غير الكامل هو الذي ينزعج ويغضب ويضطرب واذا كان الله كاملا فهو لايحتاج الى اي شيء او الى اي احد لانه اذا احتاج الى شيء او طلب من اي احد شيء ما سيكون ليس الخالق الكامل او الكلي القدره)(انتهى)

مع ان ابيقور يؤمن بوجود الالهة الا انه يحاول تفنيد تواصلها مع الناس وتفنيد التفسير الخرافي للظواهر الطبيعية كالقول بان البركان هو غضب الالهة الفلانية للسبب الفلاني والزلزال هو غضب الالهة الفلانية للسبب الفلاني وهكذا . اتصور ان ابيقور كان يؤمن بوجود آلهة خالقة غير واعية . **يحاول ابيقور إلزام الناس بما ألزموا به انفسهم ويستدل عليهم بما يؤمنون به (الله يتدخل ويغضب) من خلال ادخالهم في احدى متاهات المنطق التي تسمى معظلة الشر :**

هل يريد الله ان يمنع الشر لكنه لا يقدر ؟ اذن هو ليس كلى القدرة !!

هل يقدر لكنه لا يريد ؟ اذن هو شرير !!

هل يقدر ويريد ؟ فمن اين يأتى الشر ؟

هل هو لا يقدر ولا يريد؟ فلماذا نطلق عليه الله ؟

لم يكن ابيقور حسب تصوري يؤمن باي مما سبق فهو لا يؤمن بتدخل الالهة من الاساس لكن كان يحاول محاججة الناس (وفق مبانيهم) ليصل الى نتيجة ان التفسير العقلاني للاشياء هو الطريق الامثل .

يعتقد ابيقور ان اللذة الجسدية هي منبع السعادة ولكن !!! الوصول للذة الجسدية يجب ان يكون له ضوابط تجعل السعادة الروحية ضرورة للوصول اليها . كيف ذلك ؟؟؟ بما ان اللذة غاية يجب ان تكون الفضيلة هي الطريقة للوصول اليها والعقل والعلم والحكمة هي الادوات المسخرة لحرث طريق السعادة . كل لذة خير وهذا يستوجب ان تكون الوسيلة التي تؤدي لها خير ايضا بشرط ان تكون (اللذة لذة فعلا) والوسيلة تؤدي الى (لذة حقيقية) مثال على ذلك الشره يؤدي الى عواقب سيئة ويصيب صاحبه بالمرض فهو وسيلة لا تؤدي الى سعادة لذلك يجب استبعادها وهكذا دواليك .

يقسم ابيقور اللذات الى ثلاث :

1- لذات طبيعية ضرورية مثل (الماء والطعام والنوم)

2- لذات طبيعية غير ضرورية مثل (اشتهاء نوع مترف من الطعام)

3- لذات غير طبيعية وغير ضرورية مثل (البحث عن مكانة اجتماعية)

يعتقد ابيقور ان منشأ الاضطرابات النفسية هو اختلال توازن الجسم وتختفي اذا اعاد الجسم توازنه . وهي حركة يبحث الجسم من خلالها عن توازنه من خلال الابتعاد عن الالم واذا انتفى الألم نهائيا فهذه هي اللذة العظمى . واول اسباب اضطراب النفس هو الجهل بالطبيعة والايمان بالخرافات فالحكيم العالم لا يخشى الكسوف لان لديه دراية بنظام الطبيعة . وينطبق هذا على الخوف من الموت الذي لا داعي له حسب ابيقور لان الموت فناء تام وحين نكون موجودين لاوجود للموت وحين يوجد الموت ننعدم لذلك لا داعي للخوف من الموت.

قواعد ابيقور الثمانية :

1- لاتخاف من الله .

2- لاتخاف من الموت .

3- لاتخاف من الالم .

4- عش ببساطه .

5- ابحث عن المتعه بحكمه .

6- اعقد صداقات وابحث عن اصدقاء وكن حسن المعامله معهم .

7- كن مخلصا في حياتك وعملك .

8- ابتعد عن الشهره والطموح السياسي .

يقول ابيقور : اذا كان مايجلب البهجه لحياه البشر يسهم بتحريرهم من الخوف من الرب والموت ويسهم بتعليمهم كيفيه التحكم برغباتهم بشكل عقلاني ومنطقي سيصبحوا احرارا من اي ألم جسدي او عاطفي وسيكونون بدون اخطاء ويكون هذا بدايه القضاء على الشر .

الرواقية(27)

تعد المدرسة الرواقية من المدارس المعاصرة للابيقورية. وضع اصولها زينون الرواقي حيث اسس مدرسة في (ستوي) وتعني بالعربية (رواق) وهو مكان اجتماع الشعراء واتخذه زينون مقرا له . وخلفه اقلاينتوس وترأس المدرسة بعد وفاته . ثم تلاه اقريسبيوس .

مرت الرواقية بثلاث حقب . الحقبة الاولى في القرن الثالث قبل الميلاد وهي حقبة زينون واقلاينتوس واقريسبيوس والحقبة الثانية هي الرواقية المتوسطة في القرنين الثاني والاول قبل الميلاد واشهر فلاسفتها ديوجين (وهو بابلي عراقي حسب الدكتور محمد جلوب الفرحان)وبانيتيس وبوسونيوس . والرواقية الرومانية المتاخرة في القرنين الاول الثاني الميلاديين واشهر فلاسفتها سينيكا وايبكتيتوس والامبراطور ماركوس اوريليوس .

الفلسفة عند الرواقيون لا تعني حب الحكمة فقط بل تعني حب الحكمة وممارستها كذلك . والحمة تعني العلم بالاشياء الإلهية والإنسانية والطبيعية والأخلاقية . وتميزت الفلسفة الرواقية بثلاث سمات الاولى (الفلسفة الحقيقة هي الفلسفة العملية) و الثانية (الفلسفة العملية تقوم على العمل المطابق للعقل) والثالثة (العمل الموافق للعقل يجري وفق قوانين الطبيعة)

يعتقد الرواقيون ان التحكم بالذات وعدم الانشغال بالعواطف والرغبات يجعل الانسان اكثر اتزانا وموضوعية . والرواقية فلسفة ذات نزعة فردية تدعو الى المواطنة العالمية .

الرواقيون الاوائل اهتموا بالطبيعة اكثر من الاخلاق وفي الحقبتين التاليتين خصوصا الحقبة الرومانية تقدمت الفلسفة العملية على العلوم الطبيعية وكان كل هم الرواقيين تبيان انواع الاعمال التي يجب ان يؤديها الانسان ليصل الى حياة سعيدة .

تقسم الاخلاق عند الرواقيون الى نوعين الاول (اخلاق نظرية تحقق اعلى صورة للفضيلة من خلال معرفة القوانين الطبيعية ويقصد بالفضيلة هنا – الحكمة-) والثاني (اخلاق عملية يحاول بها الانسان التقرب من المثل العليا للفضيلة الرواقية ويقصد بالفضيلة هنا – الفطنة-) والفضيلة عند الرواقيون واحدة لا تتجزأ فأما ان يعرف الانسان الاشياء او يجهلها .

المنطق حسب الرواقيون هو (السور) والعلوم الطبيعية هي (التربة الخصبة) والاخلاق هي (الثمرة) .

وينقسم المنطق عند الرواقيين الى قسمين الاول (الديالكتيك - الحوار والجدل-) والثاني (الخطابة) والجدير بالذكر ان الرواقيين كانوا يهتمون جدا بالناحية الشكلية في حواراتهم وخطبهم اكثر من الاهتمام بالمضمون .

المعرفة عند الرواقيين معرفة حسية . والاحساس هو انطباع اثر المحسوس في النفس كإنطباع نقش الخاتم على الشمع. فالعقل يطبع صور الاشياء ويصدقها وتتبلور فيه معانيها.

يبحث الرواقيون في العلوم الطبيعية في اربعة مواضيع وهي (علل الوجود , نشاة الكون وصفاته , الطبيعة غير العاقلة , الانسان)

مدرسة الشك(البايرونية) (28)

ظهر الفلاسفة الشكيون في فترات مختلفة . واصبحوا التيار الاكثر رواجا في اكاديمية افلاطون في فترة من الفترات . يعتبر بيرون الاب الروحي للفلسفة الشكية او (مذهب اللاادرية) مؤسس المدرسة هو الفيلسوف انيسديموس وهو من اطلق اسم بيرون عليها .

ولد بيرون في جنوب اليونان وتتلمذ على يد احد اتباع المدرسة الميغارية . شارك في حملة الاسكندر على الشرق ووصل الى الهند وشاهد فقرائهم واعجب بعدم مبالاتهم بالحياة . عاد الى وطنه بعد وفاة الاسكندر وعاش حياة بسيطة . بدأ بيرون رساما ثم تحول فيلسوفا بعد ان اطلع على فلسفة ديمقريطس والجدل الميغاري . ومن ابرز فلاسفة هذه المدرسة (فضلا عن مؤسسها انيسديموس ووالدها الروحي بيرون) تلميذ بيرون تايمون فيلس والفيلسوف اكريبا والفيلسوف ساكس امبريكوس .

يذهب اتباع مدرسة الشك الى القول ان كل قضية تحتمل احتمالان يتعادل فيها السلب والايجاب . والحكمة تقتضي العدول عن الايجاب والسلب والابتعاد عن الجدل. وليس هناك خير وشر بالذات بل هناك اعراف واصطلاحات يسير عليها الناس ومن الممكن ان يكون الشيء الواحد خير وشر في نفس الوقت . ولو اقتنع الناس ان كل الاشياء زائلة لما ربطوا السعادة او الشقاء بالاشياء . والتيقن من زوال الاشياء يجلب السعادة والطمأنينة مهما كان الحال .

يعتقد الشكيون ان لكل حجة حجة مقابلة تساويها بالقوة . وان الحقيقة لا يمكن محاكمتها لان ادراك كل انسان لها مختلف عن ادراك الاخر . لذلك تبقى الاحكام معلقة . بما ان الادراك يختلف من شخص لآخر ويتبعه اختلاف الحكم على الاشياء فهذا يعني عدم امكانية الوصول للحقيقة . يبدو ظاهرا ان هناك تطابق بين السذاجة والشكية لكن الفرق الجوهري بينهما هو ان الساذج لا يهتم بتفسير الاشياء والشكاك يعتقد ان هذا التفسير يستحيل الوصول اليه على وجه اليقين .

فيلون الاسكندري(29)

تعتبر الاسكندرية الوريث الشرعي لاثينا كعاصمة للفلسفة . واختلط فيها المفكرين على مختلف توجهاتهم وانتمائاتهم (المصريين واليونان والرومان واليهود) ومنهم فيلون الاسكندري وهو الفيلسوف اليهودي الذي كان معاصرا للمسيح . يعود نسب فيلون لعائلة يهودية عريقة يمتد نسبها للملك هوردوس الذي عين واليا على يهودا في فترة الاحتلال الروماني . كانت التوراة في ذلك الوقت مترجمة لليونانية وهذا يدل على التأثر المتبادل بين خليط الثقافات الموجودة في الاسكندرية . كان فيلون يقرأ التوراة ويشرحها باليونانية لا بالعبرية . كان للفلسفة اليونانية دور وحضور وشاعت الفلسفة الافلاطونية والفلسفة الفيثاغورية واصبح لها شكل جديد . وهذه الفترة هي فترة بدايات الافلاطونية الجديدة اما تبلورها ووجودها الحقيقي فكان بعد اقل من قرنين على يد امونيوس الحمال الذي استحال الى فيلسوف .

حاول فيلون ان يوفق بين الفلسفة والمنطق من جهة وبين الدين والنصوص المقدسة من جهة . كان يؤول النصوص الدينية ليجعلها قريبة ومتناغمة مع النظريات الفلسفية خصوصا الافلاطونية.

ومثال على ذلك هناك تضارب بين الفكرة الفلسفية التي تقول (بأزلية المادة) وبين السرد التوراتي الذي يتحدث عن (خلق العالم من العدم) وفق فيلون بين الفكرتان بالقول (ان الله احدث العالم لكن ليس من العدم بل من المادة الازلية)

تأثر فيلون بمفهوم اللوغوس الفلسفي لدى هيراقليطس لكنه حوله الى مفهوم ديني فمفهوم اللوغوس عند فيلون هو (المولود الاول للاله) وهو النموذج الاول الذي يخلق العالم على صورته وهو الواسطة الاولى بين الله والناس) .

كان فيلون يؤول كل نصوص التوراة لتصبح متماهية مع فكرة (ان الله خالق للعالم ومهتم به لكن عقولنا قاصرة عن ادراكه) ويمكن البلوغ اليه بطريقتين الاولى (معرفته بواسطة العالم) والثانية البلوغ اليه من خلال (وسطاء) وهذه درجة عليا لا يصلها اي انسان.

من هم الوسطاء؟؟؟اولا (اللوغوس) وتعني (الكلمة ابن الله نموذج العالم) او (العقل الكلي الذي يتدخل في تكوين العالم لكنه ليس خالقا) ثانيا (الحكمة) ثالثا (رجل الله الاول – ادم-) رابعا (الملائكة)خامسا (نفس الله) واخيرا (القوات التي تنفذ الاوامر الالهية – ملائكة وجن ناري وجن هوائي)

تتطهر النفس حسب فيلون بثلاث طرق وهي (الزهد والعبادة الباطنية - طريق الصوفيين والمريدين) والطريق الثانية (طريق المعرفة والدراسة) والطريق الثالث (طريق الانبياء وهو هبة إلهية) ويبدأ التطهير والصعود الى الله حين يعلم الانسان بطلان المحسوسات

وزوالها . والغاية العظمى التي يبتغيها الانسان هي الاتحاد مع الله من خلال الوسطاء اما معرفته عن طريق العالم فقط فهي مرحلة ادنى من المعرفة الالهية.

قام اليهود بارسال فيلون الى روما للتوسط لدى الامبراطور الروماني لرفع الغبن الحاصل عليهم من حاكم الاسكندرية الروماني واعفائهم من التعبد لتمثال الامبراطور في كنائسهم . وهناك من يقول انه نجح بتلك المهمة في الوقت الذي لم يتمكن غيره من اليهود من النجاح . وهناك من يقول انه فشل .

هناك شيئان ملفتان للنظر في فكر فيلون وهو تأثره بفلاسفة الاغريق وتأثيره بالفكر الديني الذي جاء بعده من خلال مزجه بين الديانة اليهودية والفلسفة اليونانية .

يقول الباحث يوحنا بيداويد: لعل الفضل الاكبر الذي تركه فيلون على المسيحية واليهودية والاسلام هو تطويره وتقريبه للمصطلح الفلسفي الموجود في الفلسفة الاغريقية (لوغوس) من الافكار اللاهوتية لهذه الديانات. هذا المصطلح الوحيد الذي لازال متناولا بين الديانات والفلسفات الميتافيزيقية لحد القرن الواحد والعشرين. وهو مفهوم قديم في الفلسفة اليونانية...مما لا شك فيه ان محاولة التوفيق التي قام بها فيلون كانت كبيرة ومهمة، ولكن لضيق المساحة الفكرية المشتركة بين الديانة اليهودية والمدارس الفلسفية الاغريقية ترك هذا الالتحام ان يكون هشا غير صلدا. لان محاولة فيلون اصلا كانت لانقاذ اليهودية من القصص والاساطير التي كانت موجودة في الديانات الوثنية البابلية و اليونانية . فاخذ فيلون من فلسفة هيرقليدس الغرض من اللوغوس كي يفسر انسجام الاضداد الموجود في العالم . ومن المُثل الافلاطونية اخذ الصورة اللامادية للـ(لوغوس) كي يستطيع ان يقوم بمهمته كقوة عاقلة . ومن الفيثاغورسية الحديثة اكتسب فكرة وجود الوسطاء او الاشياء السبعة في العالم، لكن استبدل الوسيط الاخير الذي هو النور بالـ(لوغوس). من الرواقية تبنى فكرة وجود نوعين من اللوغوس احدهما لوغوس في عالم العقل او الفكر الذي يظهر في رجل حكيم بصورة دائمة والثاني لوغوس المتلفظ به، الذي مصدره العقل الموجود في العالم المادي وقد اعطاه عدة اسماء مثل الانسان الالهي، ادم السماوي، سفير الله . اذا فكرة فيلون عن اللوغوس "هو المبدا الاول للعالم ومدبره ولكن ليس خالقه واقل من منزلة الله." هنا نلاحظ تناقض في فكر فيلون حول هوية اللوغوس فتارة يعتبره كائناً قائماً بحد ذاته ومتميزا عن الله ومرة اخرى يجعله وسيط او قوى من كل انواع القوى الالهية المتنوعة. لكن كل اراء فيلون لم تدخل في الفكر اليهودي فقد كانت محاولات شعرية خيالية سمح لنفسه استخدام المجازية في تفسيراته (انتهى) .(30)

افلوطين(31)

ولد افلوطين سنة 205 ميلادية في مدينة ليقوبوليس (اسيوط) . عندما بلغ الثامنة والعشرين ذهب الى الاسكندرية . تتلمذ على يد امونيوس الحمال الذي تحول الى فيلسوف لمدة احدى

عشر عام . نشأ امونيوس مسيحيا ثم اعتنق الوثنية اليونانية . كان يحاول خلق حياة روحية لنخبة قليلة من التلاميذ ومنهم افلوطين . اراد افلوطين التعرف على الفلسفة الهندية والفلسفة الفارسية فالتحق بالجيش الروماني لهذا الغرض . قام الجيش الروماني بطرد الفرس من سوريا لكنه تقهقر في العراق وانهزم . فأضطر افلوطين للذهاب الى انطاكيا ثم رحل بعد ذلك الى روما ومات فيها عن عمر يناهز الخامسة والستين .

كان مجلسه في روما ذو مكانة رفيعة حتى ان الامبراطور والامبراطورة تتلمذوا على يديه. كان كما استاذه يعلم الحياة الروحية . وعاش حياة تشبه حياة الرهبان . تسمى المرحلة التي ظهر فيها افلوطين بمرحلة الذبول والانحطاط الفكري لان السمة الطاغية على هذا العصر هي الحروب والازمات الداخلية . اتخذ افلوطين من نظرية المُثل الافلاطونية مرتكزا اساسيا له . يذهب بعض الباحثين الى ان فكرة التثليث في اللاهوت المسيحي مستقاة من افكار افلوطين .

يؤمن افلوطين بالاقانيم الثلاثة . كلمة (اقانيم) جمع مفردها (اقنوم) وتعني لغويا (الجوهر او الشخص او الاصل) . اقانيم افلوطين الثلاث هي:

الله الواحد

يتصف الله عند افلوطين بالطبيعة الواحدة وهو (الاب) و(الخير) وهو لا متناهي و قمة السمو والكمال لذلك هو لا يتدخل في العالم لان التدخل في العالم يناقض السمووالارتفاع عن الموجودات . ولا يمكن اعطائه وصفا لان الوصف درجات وهذا سيجعله في درجة معينة ويناقض كماله وسموه .

العقل الكلي او اللوغوس

الاقنوم الثاني عند افلوطين هو (العقل) وهو صورة من صور الله يبعث من خلالها الخير للعالم . والعقل اقل كمالا من الله . وهذا العقل هو الطريق للاتحاد مع الله .

النفس الكلية

وهي جوهر الهي وصورة من صور الاله الواحد وهي حلقة الوصل بين عالم المثل وعالمنا الواقعي . والنفس هبطت من عالم المعقولات الى عالمنا الواقعي لكن صلتها بعالم المعقولات لم تنقطع . والنفس الكلية وليدة اتحاد العقل الكلي مع الله الواحد .

ملكوس السوري (فورفوريوس)(32)

وهو احد تلاميذ افلوطين . ولد في صور ثم سافر الى اثينا لدراسة الفلسفة ثم رحل الى روما واصبح من تلامذة افلوطين وتوفي في روما . فورفوريوس لم يكن ضليع بالفلسفة فقط

فله اكثر من سبعين مؤلف في الفلسفة ومجالات اخرى مختلفة مثل (الطب والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والفلك) وهو من نقل لنا افكار استاذه افلوطين .

عانى فورفوريوس من حالة اكتئاب ووضع نفسي سوداوي وبدأت الرغبة في الانتحار تعشعش في عقله فنصحه استاذه افلوطين على كثرة السفر للخروج من السوداوية الخانقة التي كان يعيشها (يغير المود) . فاستمع فورفوريوس الى نصيحة استاذه وسافر الى صقلية. وعده معلمه ان يرسل له المخطوطات التي تحوي افكاره وقام بجمعها في كتاب واحد وقسمه الى ست اقسام في كل قسم تسعة رسائل لذلك سميت بالتاسوعات . وكانت تحوي مواضيع في الفلسفة والنفس . وتعتبر التاسوعات خلاصة منهجية لافكار المدرسة الافلاطونية الجديدة . ما تأسف عليه فورفوريوس جدا هو عدم حضوره لوداع استاذه في لحظات احتضاره .

دون فورفوريوس منهاجا خلقيا روحيا دينيا في وصيته الروحية للارملة الحكيمة التي تزوجها وكانت أماً لستة ابناء . في بداية شبابه كانت افكاره قريبة جدا من افكار فيلون الاسكندري محورها (التوفيق والتأويل المجازي) اسماها (المباحث الهوميرية) ولعل المقصود بالهوميرية الملاحم الشعرية المنسوبة للشاعر هوميروس صاحب الالياذة والاوديسة والذي ظهر في القرن الثامن قبل الميلاد . فورفوريوس لم يكن على وفاق مع الديانة المسيحية والف كتاب اسماه (ضد المسيحيين) . دافع فورفوريوس عن تعدد الالهة عند اليونان في رسالته التي اسماها (في التماثيل)

في القرن السادس الميلادي تراجعت مكانة الفلسفة اليونانية وقل ميريديها ويرجع ذلك حسب تصوري لانتشار المسيحية . في عام 529 ميلادي قام الامبراطور المسيحي يوستنيانوس او (جيستينيان الاول) باغلاق مدارس الفلسفة في اثينا . اما الاسكندرية فكانت مكانتها كعاصمة للثقافة اليونانية قد تراجعت .

لماذا الفلسفة اليونانية؟؟؟

ما يميز الفلسفة اليونانية عن غيرها هو انها فلسفة قديمة تتسم بالحركة والتغير والتنوع والتطور . حسب تصوري هي البداية الجادة الاولى في محاولة الانسان لفهم الوجود . هي طفولة الفكر البشري في تفسيره الجاد للوجود. هي محاولة جادة من الانسان لتلمس ما يحيطه كالطفل حين يمسك الاشياء ويحاول التعرف عليها . هي استفهام يطرح نفسه وجواب يولد بعد مخاض ليلد معه سؤالين اخرين . حلقة مستمرة من الاستفهامات والاجوبة تتحرك بين المدارس الفلسفية . هي اكثر من عشر قرون من الفكر تستحق ان نقف عندها وان كان بعضها يبدو لنا ساذجا لكنه يستحق الوقوف عنده لانه (نحن في ايام طفولتنا)

من تأثر بها ومتى وكيف ولماذا؟؟؟

ولماذا اصلا يطرح هذا السؤال؟؟؟لاننا اذا اردنا ان نفهم شخص يبلغ العشرين من العمر سيفيدنا جدا معرفة سلوكه وافكاره حين كان طفلا . ليس مهم من تاثر بهم ومتى وكيف . المهم ان نفهم اين نحن الان واين كنا في زمن بعيد . وقد يقودنا ذلك الى ان نفهم الى اين نحن ذاهبين .

الهدف الاساسي من الاطلاع على الفلسفة القديمة ومقارنتها بالفكر الحديث (ديني ولاديني) هو محاولة الاطلال من سفح اعلى نستطيع من خلاله مشاهدة مسيرة الفكر البشري من زاوية فيها بعد بؤري اوسع يجعل حدقات العين اكثر اتساع ترى مساحة اكبر من لوحة الكون والحياة والوجود .

من تأثر بفلاسفة الاغريق ؟؟؟

جواب هذا السؤال نسبي جدا حسب اعتقادي . قلنا حين تناولنا فلسفة وحياة الفيلسوف افلوطين ان لافكاره اثر على اللاهوت المسيحي خصوصا فكرة الاقانيم الثلاث لكن من الممكن ان يجيبنا راهب مسيحي بالقول (ان اقانيم افلوطين الثلاث تختلف جذريا عن اقانيم المسيحية فأفلوطين يعتقد ان هناك ثلاث اشخاص منفصلين عن بعضهم اما الاعتقاد المسيحي فيقول ان هناك ثلاث وجوه لخالق واحد) وقد يجيبه باحث بالقول (ما تقوله لا ينفي ان فكرة الاقانيم الثلاث تم اقتباسها من افلوطين مع بعض التعديل لجعلها متوافقة مع العقيدة المسيحية ذات المنشأ اليهودي)

هذا ما اقصده...الحكم نسبي جدا ففهمي انا للفلسفة اليونانية يختلف قطعا عن فهمك . فضلا عن ذلك فهمي للفكر الديني والفكر البشري يختلف عن فهمك ايضا . نحن امام فهم نسبي للافكار . لذلك لا يمكنني ان احدد لك من تأثر بأفلاطون ومن تاثر بسقراط واي مدرسة فلسفية حديثة تأثرت بالمدرسة الذرية واي مدرسة دينية تأثرت بالمدرسة الرواقية . لاننا باختصار ننطلق من نقطة انطلاق مختلفة وفهمنا مختلف لذلك تقييمنا سيكون مختلف .

دع عنك اليونانيون...خذ مثلا التراث البابلي او السومري او الاكدي . خذ مسلة حمورابي او خذ مسلة اورنمو . خذ ملحمة كلكامش . او التراث الفرعوني او الفلسفة الصينية او الفلسفة الهندية . خذ البراهما عند الهندوس . خذ البوذية . اي فكر قديم يخطر في ذهنك من الممكن ان تقارنه باي فكر حديث (ديني ولاديني)

ان وجود تشابه بين فكرتين لا يعني بالضرورة ان صاحب الفكرة التالية اقتبس من الذي سبقه بالضرورة فتوارد الخواطر موجود وهناك افكار تخطر في ذهننا فنكتشف بعد مدة ان احد المفكرين طرحها قبل فترة ليست بالقليلة ... حين كنا اطفال كان لدي صديق اكتشف قانون الجاذبية !!! لست امزح ... اقسم بمقدساتي انه اكتشف قانون الجاذبية دون ان يعلم

شيء عن نيوتن واكتشفه بنفس الطريقة لكن لم يكن يحمل تفاحة . بكل بساطة جذب انتباهه سقوط الاشياء على الارض وقال (ان سقوط الاشياء على الارض يدل ان الارض فيها قوة جذب) على كل حال هذا الصديق جاء متأخرا جدا وحتى لو كان صديقي اكتشف الجاذبية قبل نيوتين فلم يكن احدا ليهتم لامره ومصيره السخرية حتما .

تشابه فكرة دينية مع فكرة فلسفية سبقتها لا يعني بالضرورة ان الفكر الديني متأثر بالفكر الفلسفي . قد يكون متأثر وقد لا يكون . وتشابه افكار مفكر معاصر مع مفكر عتيق لا يعني بالضرورة انه يقتبس منه . الكثير من الافكار التي نستنتجها بشكل مجرد نجد ان هناك فلاسفة ومفكرين طرحوا افكار تشببها الى حد كبير وهذا لا يدل بالضرورة اننا سرقناهم او اقتبسنا منهم بل يدل على ان العقل البشري متشابه وتأملات الانسان المجردة قد توصل من كان يعيش في القرن الثاني قبل الميلاد لنفس النتائج التي يتوصل لها من يعيش في التاسع بعد الميلاد .

لكن التأثر بالفلسفة القديمة امر واقع لا يمكن نكرانه . فلهذه الفلسفة اثر غير قليل على الفكر الانساني مهما كانت منطلقاته . قد يكون تأثر مباشر وقد يكون تأثر مبني على تراكم التجربة البشرية .

إلهي ... سنبقى نحتقر مخلوقاتك ونتزلف إليك

إلهي وربي وخالقي ... نتمنى أن تتقبل منا تملقنا وتزلفنا البسيط وهو اتهامنا لكل من يتجرأ على انتقادنا (نحن من خولنا أنفسنا على التحدث باسمك) بأنه عدوك وعدو نبيك وأنه من أتباع الشيطان وسنقوم بالتشهير بهؤلاء وإظهارهم أمام الناس وكأنهم كفروا بك حتى لو لم يكونوا كذلك والغاية هي لنغلق عليهم الباب كي لا يتمادوا في النقد وكي نتقرب إليك زلفى في قمع من نجدهم لا يوافقوننا وينتقدوننا لأننا نرى أنفسنا أقرب الناس إليك ونعتقد أنك تعتبرنا كذلك.

الهي وربي وخالقي ... يسعدنا جدا ان هناك نوع من البشر يعتقدون ان علاقتهم بك يجب ان تمر من خلالنا الى درجة اننا انفسنا نستغرب كيف انهم يمجدوننا ليل نهار ويقمعون كل من ينتقدنا لانهم يتصورون ان من ينتقدنا يسيء الى السماء والاغرب من الخيال هو انهم مستعدين ان يحرقون الدنيا لو تجاوز احدهم علينا بكلمة لاننا بالنسبة لهم مقدسون . ومنبع هذه القدسية هو كلامنا المستمر باسمك وحديثنا الواثق باننا نعرف كل شيء عنك وتخويفنا المستمر لهم من سوء عاقبة اطلاعهم على افكار اخرى غير افكارنا . والحقيقة اننا ليس بيدنا حيلة امام الاراء الاخرى الا ان نخوف الناس منها بغضبك كي لا يطلعوا عليها وينفضح امرنا . ونحن سعداء جدا ان تخويفنا للناس ياتي بنتائج مذهلة فالكثير منهم ليس فقط لا يطلعون على اراء اخرى امتثالا لنا بل يساعدوننا في قمع كل من يعرفوه حين يجدوه يقرأ كتاب او يستمع لرأي يخالف رأينا .

إلهي وربي وخالقي ... يدعي بعض المؤمنين أننا يجب أن لا نقمع من ينتقدوننا أو لا يتفقون معنا لأن الإيمان وحرية الفكر أمر شخصي ولا يجب التدخل في خيارات الناس الشخصية ويجب الرد على الفكر بالفكر وليس بسلب إرادتهم . أنت حسب رأيهم لا تهتم لو رسم أحدهم كاركاتير فيه نقد لحزب إسلامي ولا تغضب لو انتقد أحدهم دينك بل تحب من يحترم مخلوقاتك ويحترم الفكر الإنساني الحر ... إلهي وربي وخالقي هؤلاء يُجرؤون الناس عليك ويقولون انك تحب من يحترم مخلوقاتك. ان هؤلاء يجعلونك تظهر بمظهر الإله المحب وليس الإله المخيف ويريدون من الناس أن تواجه الفكر بالفكر . وحتى لو كان ما يقولونه يطابق ما تريد فهو ليس في صالحك . لذلك ارتأينا أن نتخذ موقف مضاد من هؤلاء المخانيث الجبناء ونجعلك تظهر بمظهر الإله المرعب .

في الواقع نحن نعتقد أنك تشبه حكامنا لكن أكبر حجما وأكثر قوة وقدرة . لذلك نحاول تملقك بشتى السبل فنعتقل كل من يشكك بوجودك وكل من ينتقد دينك بل حتى من يخونه التعبير .. وسنبقى نتزلف لك بهذه الأساليب وسنبقى نسعى لاستعباد الناس وتخويفهم باسمك . سنجعل حياتهم رعب مطبق وخوف دائم . سنجعلهم يخافون الحديث كي لا يفلت لسانهم بكلمة يتم تفسيرها من قبلنا على أنها إساءة لك .

بصراحة لا نجدك مهتما بالثأر من المنتقدين ونعلم انك قد تغفر لهم لذلك ارتأينا أن نأخذ نحن هذا الدور نيابة عنك . لو اقتضى الأمر سنكذب ونلفق كلام من عندنا لننتصر لك وبكل تأكيد لن تنزعج لأننا كذبنا لأن ما اقترفناه يؤدي الى رفع راية الله أكبر عالية وهذا شيء يسرك . وسنتحدث مع الناس بوجوه مكفهرة ليشعروا بهيبتك . سنخيفهم منك ونجعلهم يختبئون كالجرذان . يجب أن نشعرهم بجبروتك . سنحرم عليهم كل شيء وسنجعلهم يركعون لك ليل نهار .

إذا تمكن هؤلاء المؤمنون الضعفاء الذين يشيعون ثقافة التسامح وتقبل الرأي الآخر ومواجهة الفكر بالفكر من النجاح . هذا يعني حدوث فلتان أمني في دولتك وستجد من يحبك بدل الخوف منك وهذا أمر سيء . لأن من يتواصل معك حبا بك وليس خوفا منك هو في نظرنا شخص عاصي . لأننا لا نحترم أحدا إلا إذا أرعبنا وأخافنا و نعتقد أن كل الناس مثلنا لا تفهم سوى لغة الخوف . يجب أن تنتشر ثقافة الخوف منك ويجب ان ترتعب قلوب المؤمنين . لم نفهم أبدا أن الحب يعني الاحترام ونحن لا نحترم من يحترمنا ويحبنا بل نحترم من يعاملنا بقسوة ويسلب إرادتنا لذلك لا نعتقد أن إشاعة ثقافة (حب الله) من مصلحتك . لذلك نرجو منك ان تلقي الذين يحبونك في النار . لأن الحب حسب منطقتنا إهانة. ولن نسمح لهؤلاء بأن يتجاوزوا حدودهم ويحبونك دون أن يخافوا منك .

رأينا في أنفسنا حالة غريبة هي أننا نستقر نفسيا كلما تعرضنا لإهانة من الحكام . بعد أن يهينوننا نقوم بتبجيلهم وتملقهم بل لا نسمح لأحد بأن ينتقدهم . ونحن نريد ان تعامل الناس كما يعاملنا حكامنا . والحقيقة أننا أشعنا عنك هذه الفكرة حتى وإن كانت ماهيتك مختلفة . لأن هذا من مصلحتك حسب رأينا .

أحيانا نشعر أن هؤلاء المؤمنين الذين يشيعون ثقافة التسامح وقبول الرأي الآخر على حق . لكن هيهات أن نسمح للحقيقة أن تنتشر لأنها ليست في صالحنا وكل مصالحنا المعنوية والمادية ترتبت على أساس أنك مخيف ومرعب وتجلس على عرشك كالملك . ما نريده من الناس هو المظهر الخارجي الذي يعبر عن الهوية الدينية لا اكثر ولا اقل . قبل مدة وفي احدى الدول العربية جاءت فتاة الى القاضي وقالت له إن أخي يغتصبني وحضر أخيها الى المحكمة وكان مظهره يدل على التزامه الديني فانكر امام القاضي ما اتهمته به اخته . فقال لها القاضي عودي الى بيتك اتريدينني أن أصدقك انت وأكذب مؤمنا ملتحيا ؟ كبت وعقد نفسية متأصلة ... هذه نتيجة إشاعتنا لثقافة الهوية الدينية ونتيجة تحريمنا لكل شيء . وسنبقى هكذا لأننا نتحدث باسمك ولن يوقفنا شيء عن العبث في مقدرات الانسان وقيمته إلا قوة القانون وطالما ان القانون معنا فلن يوقفنا أحد .

يا إلهي نضع كل هؤلاء المجرمين بين يديك ونتمنى منك أن تكافأنا مقابل تزلفنا لك بشلة من الصبايا من حور العين .. ولا تنسى اننا أصحاب فضل عليك لأننا جعلنا الناس ترتعب منك خوفا ... ألسنا أفضل من هؤلاء الجبناء الذين يريدون من الناس أن تحبك ؟؟؟

سنخترع عيد الكراهية يا اعداء الله لنشوش على عيد الحب

الى اعداء الله الذين يحتفلون بعيد الحب :

اولا لا بد ان نشكر كل من قمعكم وحاول سلب ارادتكم حين احتفلتم بعيد الحب ... وثانيا في العام القادم سنجعلكم تحتفلون سرا داخل دهاليز خوفا منا نحن المهتمين جدا بشكل المجتمع المتدين وبظاهره .

ماذا نفعل لكم؟؟؟ نصحناكم وقلنا لكم مرارا وتكرارا ... هذه بدعة وعادة دخيلة على الاسلام ادخلها الغرب الكافر بدهاء عليكم ليفسد دينكم لكنكم لم تتعضوا وقلتم لنا (اننا ملتزمين بالدين الاسلامي مثلكم لكن الدين الاسلامي ليس ضد الحب بل يؤيد ما فعله القديس فلانتاين حين قام بتزويج المحببين سرا ودفع حياته ثمنا لذلك الفعل) وقلتم ايضا (ان الحب غير محصور بالجنس والاباحية ومعناه اوسع واكمل من ان يحشر في زاوية الجنس والاباحية)

كلامكم هذا لا قيمة له فهذه المناسبة مستوردة من الغرب الكافر ودخيلة على الاسلام لافساد الشباب وانتهى ... لا تصدعوا رؤوسنا بهذا الكلام الفارغ ... قلنا لكم اتركوا الاحتفال بهذه المناسبة والا انتم منحرفون في نظرنا وسنوقفكم عند حدكم ... اذا لم يقنعكم كلامنا فتحولوا الى منافقين وتظاهروا امامنا بانكم لا تحتفلون بهذه المناسبة وانكم مقتنعين بكلامنا فقط لتتخلصون من رد فعلنا تجاهكم ... لا يهمنا قناعاتكم الشخصية يهمنا فقط ان يبقى مظهر المجتمع كما نحب وكما يناسب نظرتنا نحن للدين ... نظرتكم انتم لا قيمة لها يجب ان تتحولوا ولو ظاهرا الى نسخ منا ولا يعنينا اعتقادكم الداخلي في شيء ...نحن ندفعكم كرها ان يكون ظاهركم خلاف باطنكم ولا نكترث لتحولكم الى منافقين ... ما يهمنا فعلا هو الشكل الخارجي للمجتمع ... ماذا نفعل لكم ؟؟؟

لدينا قابلية فضيعة في ازدواج الاراء فالسنة في السعودية يحتفلون بمهرجان الجنادرية وهي مناسبة غير دينية ... والشيعة في ايران يحتفلون باعياد نوروز وهي مناسبة لا علاقة لها بالاسلام ... لكن لا اقراننا من السنة يجرأون على انتقاد الجنادرية ولا اقراننا من الشيعة يجرأون على انتقاد اعياد نوروز مع ان المناسبتين كما (عيد الحب) منبعهما ليس الاسلام.

ولا تصدقونا حين نتيجج بمظاهر الفوضى المصاحبة لهذه المناسبة فنحن (وعلى فرض عدم وجود اي فوضى) نتحول الى زومبي فور رؤيتنا لدب احمر .... يا رباه دب احمر؟؟؟!!! الا تخشون الله ؟؟؟!!دب احمر (حتة وحدة)

ما هو السبب اذن؟؟؟

نحن مصابين بعقد متعددة منها مثلا (عقدة الغرب) فنحن نكره كل بني اشقر وكل ما ياتي منهم ما عدا (التكنولوجيا) لاننا لا نستطيع النوم بدون سبلت يونت ولا نستطيع التحرك

بدون سيارة . نحن جند الله وهؤلاء الاجانب الكفرة سخرهم الله ليكونوا خدم لنا لذلك نستخدم مخترعاتهم .

والعقدة الاخرى الاهم هي اننا غير واثقون من قدرتنا على اقناع الاخرين بافكارنا لذلك تجدنا نفقد تركيزنا واتزاننا حين تظهر ظاهرة جديدة لا تتفق مع نظرتنا للدين فنتحدث بطريقة غريبة وبعصبية لسبب بسيط وهو اننا .... ماذا؟؟؟(نشعر بالخطر)وقلة الحيلة تجعلنا نميل الى تخويف الاخر وزجره ... وسبب اخر مهم جدا هو اننا ضد كل ما هو جديد ويبدو ان هذه طبيعة بشرية نوعا ما .

الان نحن منشغلين جدا في التفكير بحل نواجه به عيد الحب ... خطرت في ذهني فكرة جهنمية ساطرحها على اقراني .

والفكرة هي ان نستحدث عيد نسميه (عيد الكراهية) ونحتفل فيه في نفس يوم عيد الحب ونوزع فيه دببة بوجه عصبي مكفهر وتشير بسبباتها وكأنها تتوعد من يراها بالموت ويفضل ان تكون بلون قاتم اسود او بني ويفضل ان نضع بيد الدببة سيوف او على الاقل قطعة حجارة ونضع معها كارت مكتوب عليه (نكرهكم ولا نريد الا سلب ارادتكم).

قد يقوم احدنا بالبكاء حد النحيب على كسر ظلع سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء لكنه قد يذهب الى بيته ويكسر جميع اضلاع زوجته لاتفه الاسباب.

وقد يقوم اخر بالبكاء حد النحيب على ام المؤمنين عائشة ثم يرجع الى البيت ويرمي امه في دار العجزة لان زوجته تتضايق منها.

هناك من يغيضوننا لانهم يشيعون فكرة ان عيد الحب لا صلة له بالانحلال الجنسي والخلقي كما نصور نحن ومنهم الكاتب ازهر مهدي الذي يقول :

عندما تقترب سنوية عيد الحب الجميل يسارع المتزمتون بحملة مضادة تقول (انا مسلم ولا احتفل بعيد الحب) في محاولة لتغييب هذه المحطة الجميلة التي نتذكر فيها حالة اسمها الحب قد ننساها في خضم الايام الاخرى من العام.إن السبب الاساسي لرفضهم لهذه (الكلمة) قبل (الحالة) يكمن في النظرة الدونية التي يحملونها تجاه (الحب) وإن هذه النظرة قد تركزت مؤخرا لدى طبقات وفئات عربية واسلامية معينة تتسم بالسلبية تجاه (الحب) حينا وترادف الشهوانية الجسدية في احيان كثيرة.ان (الحب) كمفردة يثير الرعب في نفوسهم فقواميسهم لا تتسع له وان (الحب) كحالة يثير الغضب في اذهانهم ولا اقول قلوبهم فليست لديهم، وإن شاع الحب فأي بقاء لهم وقد اعتادوا على الموت والدمار والكراهية كإسلوب للسيطرة والتسلط وان (الحب) كصورة يثير الاشمئزاز لديهم لانهم لا يرون فيه سوى مرادف للتفريغ الجسدي ولا اقول الجنس بمعناه الآدمي بعدما حصروه في التكاثر والتوالد فقط.الحب ليس مجرد مقدمة لعلاقة جسدية فقط (وان كان هذا ليس عيبا بقدر ما

يكون شيئا عظيما في اوقات كثيرة) وان كلمة وحالة وصورة(الحب) أساس لجميع الروابط الانسانية تجاه الله والحياة والانسان والطبيعة والذات وان مسخ الوعي البشري لهذا المفهوم بهذا الاسلوب يعد جريمة بحد ذاته وقد نجدنا بحاجة الى تعريف الحب مرة اخرى كما نحن بحاجة الى تعريف ما يستشعر بالحب أو الحب به أي (الله والحياة والإنسان والطبيعة والذات) كذلك...واخيرا اقول انا مسلم واحتفل بالحب سائلا المولى عز وجل ان يجعل ايامكم كلها حب بعيدا عن الكراهية والخوف (انتهى) .(1)

ما يقوله هذا الكاتب يزعجنا اكثر من غيره لانه كلام عقلاني ينطلق من منطلقات ايمانية . لو كان ملحدا او ينتمي لدين اخر لما اكترثنا لكن لانه مسلم فهو يزعجنا اكثر من غيره فنحن نريد احتكار الحقيقة الايمانية من منطلقاتنا فقط . وكل ما سواها لا قيمة له . لكن نطمئنتكم...اننا لا نمثل جميع المجتمع فنحن شريحة منه فقط وهناك بوادر تطور تدعو الى التفائل .

اذا اردتم التفائل لا تركزوا علينا نحن فنحن سنجعلكم تكرهون الحياة.ركزوا على هؤلاء الذين يزورون الاطفال المصابين بالسرطان والذين ينظفون شوارعهم ويصبغون ارصفتها ويمدون يد العون للضعيف ... ركزوا على هؤلاء الذين يجمعون الاموال والملابس للفقراء...ركزوا على هؤلاء الذين يبنون بيوت الفقراء ويعمرونها بالمجان...هؤلاء يصنعون المجد اما نحن فليس لنا الا البؤس .

واقول لكم سر لا تقولوه لاحد (بعد فترة من الزمن قد يتحول عيد الحب او اي شيء اخر دخيل الى امر واقع وفي ذلك الحين سنتقبله على مضض ثم بعد فترة من الزمن قد يربطه بعضنا بالدين ويحتفلون به)

عنفوان الكلمة...يقتل الموت

قبل عقود من الزمن قال احد خطباء بغداد (هناك ثلاث امور تؤدي الى فساد البلاد هي القمار والبغاء والدكتور علي الوردي)(1)

انه الخوف من الكلمة . الرصاصة لا تخيف لانها لا تأتي بجديد فهي تقرب مصير قادم لا محالة (بها وبدونها) . لكن الكلمة تخيف .

ان الرصاصة هي من تموت حين تخترق الجسد . هي من تتبعج وينتهي دورها وتصبح بلا قيمة . لكن بموتها تتضخم الكلمة . ما اغبى من يواجه الكلمة برصاصة فهو ذهب بنفسه الى ما يخاف منه وهو (انتشار الكلمة) هو بقتله لصاحب الكلمة لفت النظر اليها ونشرها . مسكين انت يا من تخاف من الكلمة فانت بلا حيلة فمهما فعلت تبقى الخاسر الاوحد في المعادلة .

ان لحظة نفاذ الرصاصة في جسد المفكر هي ذات اللحظة التي تنفجر فيها الكلمة ليتنفسها الناس كالهواء .

سقراط سقراطنا والمسيح مسيحنا والحسين حسيننا...بموتهم ارتفعت الكلمة وتسمم السم في جسد سقراط وصُلب الصليب على جسد المسيح وذُبح السيف في نحر الحسين .

الحلاج والسهروردي ومرتضى مطهري ومحمود محمد طه وعمر باطويل وقافلة طويلة بدأت ولن تنتهي...هؤلاء كلمات ليست كالكلمات ...هؤلاء الاحرار بموتهم راقصوا الحرية...وقالت الحرية على لسان قباني (يسمعنى حين يراقصني كلمات ليست كالكلمات) هؤلاء كما المتنبي (اسمعت كلماتهم من به صمم)

تسخر الكلمة من الرصاصة قائلة (انا حين الامسك اشرب ماء الحياة وانت حين تلامسيني تشربين الموت)

ارسل المتكثلك (معتنق الكاثوليكية) البرت بيرج رسالة لسبينوزا كرد فعل على كتاباته قال فيها: (من أين لك أن تعرف أن فلسفتك هي أفضل التعاليم التي لقنت في العالم فيما مضى، أو أنها أفضل ما يتلقاه العالم الآن بالفعل، أو ما سيتلقاه في المستقبل؟ هل درست كل الفلسفات قديمها وحديثها، مما يتعلمه الناس هنا وفي الهند وفي سائر أصقاع المعمورة؟ حتى إذا كنت درستها جميعاً.. كيف يتسنى لك أن تدرك أنك اخترت أحسنها؟.... وإذا كنت، على أية حال، لا تؤمن بالمسيح فإنك أيأس وأجدر بالازدراء مما يمكن أن أتصور لك. ولكن العلاج الميسور: أرجع عن خطاياك، وتحقق من الغطرسة القاتلة التي ينطوي عليها تفكيرك الحقير المجنون.... هل تجسر أيها الرجل الحقير، يا حشرة الأرض الدنيئة.... في تجديفك الذي لا يصح أن يوصف، أن تضع نفسك فوق "الحكمة المتجسدة اللامتناهية"؟....

إنك بقواعدك ومبادئك لا تستطيع أن تفسر تفسيراً كاملاً حتى واحداً من هذه الأشياء التي يأتي بها السحرة.... كما أنك لا تستطيع أن تفسر أياً من الظواهر المذهلة بين الذين يتملكهم الشياطين، مما رأيت منه بعيني رأسي أمثلة كثيرة منه أو سمعت صدق الأدلة اليقينية عليه؟)(انتهى) (2)

اجابه سبينوزا (اخيرا فهمت من كتابك ما لم اكن اصدقه حين رواه لي اخرون... وهو انك لم تصبح عضوا في الكنيسة الكاثوليكية وحسب بل انك كذلك من اشد انصارها وحماتها غيرة وحماسة , وانك تعلمت الان كيف تصب لعنتك وجام غضبك في وقاحة على خصومك ومخالفيك . ولم اكن اعتزم الرد على رسالتك ... ولكن جماعة بعينها من الاصدقاء , ممن علقوا اكبر الامال على مواهبك الطبيعية الحوا علي في الرجاء الا اقصر بحق صديق... وأن أفكر فيما كنت عليه منذ فترة وجيزة لا فيما أنت عليه الآن... وأقنعتني تلك الحجج بكتابة هذه السطور إليك، راجياً كل الرجاء أن تتفضل بقراءتها بنفس هادئة...ولن أعدد لك هنا من جديد مساوئ القساوسة والباباوات، لأصرفك عنهم، كما أعتاد أعداء الكنيسة الكاثوليكية أن يفعلوا. لأنهم عادة ينشرون هذه المساوئ بداعي الحقد والغضب، ورغبة في الإزعاج لا التقويم والتعليم. والحق إني أقر بأنه يوجد في الكنيسة الكاثوليكية رجال على قدر كبير من العلم والمعرفة واستقامة الحياة أكثر مما يوجد منهم في أية كنيسة مسيحية أخرى، فإنه حيثما توافر عدد أكبر من أتباع الكنيسة، فلا بد أن يوجد عدد اكبر من الرجال من كل صنف. وهناك في كل كنيسة كثيرون من الأمناء المخلصين غاية الأمانة والإخلاص، ممن يعبدون الله في عدل وإحسان،... لأن العدل والإحسان أصدق أمارات المذهب الكاثوليكي الحق... وحيثما يوجد هؤلاء، يوجد المسيح حقاً وصدقاً، وحيثما يفتقدون، يفتقد المسيح كذلك. لأن روح المسيح وحده هي التي يمكن أن تقودنا إلى حب العدل والإحسان. وإذا كنت قد اعتزمت عزماً أكيداً من قبل، التفكير ملياً بينك وبين نفسك في هذه الحقائق، لما ضللت، ولما سببت لأبويك أشد الحزن والأسى.... إنك سألتني كيف أدرك أن فلسفتي أفضل الفلسفات التي ظهرت في العالم من قبل، والتي تلقن الآن، أو ستلقن في المستقبل. والواقع أن لي حق أكبر في أن أسألك هذا السؤال. لأني لا أزعم إني وقعت على أفضل فلسفة. ولكني أدرك أني أظنها الفلسفة الحقة.... ولكنكم أنتم الذين تزعمون أنكم وجدتم آخر الأمر أحسن ديانة، أو على الأرجح أفضل رجال واسرعتم إلى تصديقها كيف تعرفون أنهم أفضل من علم سائر الديانات، أو يعلمونها الآن، أو سيقومون بتلقينها في المستقبل؟ هل درستم كل تلك الديانات قديمها وحديثها تلك التي تلقن هنا وفي الهند وفي سائر أنحاء العالم؟ وحتى لو كنتم درستموها حق الدرس، كيف تعرفون أنكم اخترتم أحسنها؟ هل تعتبرونه عجرفة وغروراً أن أستخدم عقلي في الإذعان لكلمة الله الموجودة في العقل، ولا يمكن بأية حال افسادها أو تحريفها؟...(انتهى)(3)

رسالة ألبرت بيرج هي رسالة مثالية تعبر بصدق عن المؤمن المتعصب مهما كان دينه او مذهبه وجواب سبينوزا هو رد مثالي من المؤمن الحر مهما كان دينه او مذهبه . يستطيع

اي مؤمن متعصب ان يستعين برسالة بيرج مع تغيير العناوين الفرعية لما يناسب دينه او مذهبه لانه في النهاية وبسبب تعصبه لن يصل لنص افضل حالا من نص بيرج .

زمن العبيد المملوكين انتهى...لكن الاستعباد لم ينتهي بل تحول الى صورة اخرى مثل الماء حين يتحول الى بخار...في الزمن الغابر اذا ثار العبيد المملوكين فيثورون ضد مالكهم...اما العبيد في زماننا فيثورون على من يدعوهم لتحطيم قيودهم...اذا كنت صاحب رأي حر وتعبر عن رأيك بتجرد وحرية...واذا كنت قد كسرت القيود وحطمتها... وتجد (العبيد) يتكالبون عليك ويمعنون في شتمك والحط من قدرك ويبذلون كل ما في وسعهم لاسكاتك بل قد يلجأون لتهديدك...فأبشر بالخير (فانت جلادهم) نعم انت جلاد العبيد...لكن زمن الجلد بالسياط ولى الى غير رجعة...نحن في زمن الجلد بالفكر...المفكرون الاحرار سيدبغون جلود العبيد (فكريا) في حال كانت الحرية بالنسبة لهم شيء سلبي...اما من يفهمون معنى الحرية فلا يدبغ جلودهم شيء لان الاحرار لاقدرة لاحد على ايذائهم البتة فالحرية الحقيقية حرية الفكر ولا قدرة لاحد على تحديد المساحة الفكرية (لانسان حر) مهما فعل .

اذا لم يكن بيدك حيلة وتواجه الرأي بالشتم او التهديد او التسلط ففكر ولو مرة ان تكون حرا وتواجه الرأي برأي مثله ...هيا يا بطل ابرز لنا عضلاتك وادلي برأيك فالدنيا الان للآراء وهذه الاخيرة لا يوقفها الموت بل على العكس يعلي منها ويرفعها .

وجهة نظر الخروف

إنه اليوم الموعود والساعة المرتقبة قد حلت . لم يبقى حيوان في الغابة الا وحضر في ساحة الاجتماعات ليشاهد حكم الأسد على الخروف . إنها الساعة التي طال انتظارها . وقف الجميع صامتين مترقبين خروج الاسد ومعه لجنة الحكماء ليعلنوا الحكم النهائي على الخروف . خرج الأسد يمشي بخطوات ثابتة ومعه اللجنة المتكونة من الحمار والثعلب والببغاء والأفعى .

الأسد خطيبا : أيها الحيوانات السعيدة . يا رعايا غابتي العظيمة . أجتمع بكم اليوم لموضوع خطير . كنا نناقشه انا ولجنة الحكماء . موضوع لم يسبق له مثيل قط . ورثت هذه الغابة أبا عن جد ولم أسمع من آبائي سابقة خطيرة كهذه . أيها القوم . أعلموا أن لنا إلها حكيما . لم يخلق شيئا عبثا ولا يفعل شيئا إلا بحكمة . وأعلموا أن الله أنعم علينا بنعم كثيرة . وأعلموا أن نعم الله لا تعد ولا تحصى . ويكفي أن تنظر حولك لتشاهد عظمة الله بأحاسيسك ومشاعرك قبل عينك . كل يوم أجلس في عريني أداعب أشبالي وألاعبهم . وأنتظر حضور لبوتي حاملة على كتفها صيدا وفيرا لنتقاسمه معا بسعادة ونصلي ونسبح تقربا الى الله على

هذه النعمة الوفيرة . وكل لحظة أتلمس فيها قوة مخالبي وصحة بدني أسجد لله على هذا الكرم السماوي . لم اجد حتى الان من يملك الجرأة على مواجهتي والتقرب من عريني ومهاجمتي أو مهاجمة أبنائي . أليس هذا دليلا جليا وواضحا لا يمكن المجادلة فيه على وجود الله وقدرته وكرمه وحفظه لنا ؟ أيها الحمار هل توافقني الرأي أم لك رأي آخر؟

الحمار : وكيف لي أن أرى رأيا اخر بعد رأيك فحتى لو بدر منك رأي خاطىء وحاشاك من ذلك فهو أفضل من رأيي الصائب . أؤيدك في كل كلمة نطقتها وكل حرف قلته وأسأل الله ان يحفظك لنا عقلا مدبرا لتنير لنا دربنا . وكل مرة أشاهدك فيها أشعر بقدرة الله وعظمته . وأصلي له كي يحفظك من كل سوء .

الاسد : أيها الثعلب هل رأيك موافق لرأي الحمار ام أن لك رأيا آخر ؟

الثعلب : يا سيدي ... إسمح لي ان أتحدث عن ما في قلبي بكل صدق ... انا ارى أن الله خلقك ملكا ذا قدرة ومكانة عالية . وخلق لك مساعدين يرفعون الهم عن كاهلك ويوضحون لك مبهمات الأمور... وكل صباح انهض فيه من فراشي أدعو ان يمكنك الله من أعدائك ويمكننا من أن نكشف لك كل خائن مدسوس يضمر لك السوء.

الأسد : أيها الببغاء اراك تبحلق وكأن في قلبك شيئا ؟

الببغاء : كل ريشة في جسدي فداء لك يا زعيم . أعلم يا زعيمنا أننا مستعدون للموت من أجل الدفاع عن الغابة وزعيمها وأهلها . سنموت لآخر ببغاء لأجلك ولأجل ما تؤمن به . ونحن رهن إشارتك .

الاسد : من الجدير أن نسمع رأي ذراعنا اليمنى الأفعى ؟

الافعى : يا جلالة الملك . أعلم أن الله قد وهبني سما قاتلا لا ينجو منه الا من يريد الله أن ينجيه . وقد وهبت سمي للنيل من أعداء الله وأعدائك . وأدعو الله أن يمكنني من تحقيق غايتي على أكمل وجه .

الاسد : الان وقد أدلت لجنة الحكماء برأيها حانت لحظة الحقيقة وساكشف لكم سر هذا الخروف الملعون ... أيها الذئاب أحضروا الخروف ... (خرج أربعة ذئاب من جحر قريب من مكان الاجتماع ومعهم خروف نحيل أحد قرنيه مكسور ويبدو على وجهه الجوع والخوف .

الاسد : يا أبناء الغابة العظيمة ... تعرفون جميعا أن ليس في غابتنا خراف وتعرفون جميعا أن هذا الخروف جاء لغابتنا قبل شهر وقد كان مذعورا خائفا . وقمنا معه بواجب الضيافة وآويناه وأطعمناه من حشائشها وأعشابها ما لذ له وطاب . لكن مع شديد الاسف تبين لنا من مصادرنا الخاصة ان هذا الخروف يروج لفكرة أن الحياة عبث وليس لها قيمة وأن فكرة

وجود إله يحمينا ويرزقنا فكرة قابلة للنقاش . أتقبلون ذلك ؟ أتقبلون أن يشكك أحدهم بخالقكم وخالق ملككم ؟ أتقبلون أن يشكك أحد بمقدساتكم ؟ أتقبلون أن يشكك أحد بمن يرزقكم ؟

جميع الحيوانات بصوت واحد وقد ضجوا بالبكاء : والله لا نقبل ليشل الله لسان الخروف . لعنة الله على الخروف . لعنة الله على الخروف

الاسد : سأترك الحكم على الخروف لكم .

الحيوانات كل منهم يدلي برأيه : اقتله ... أدخل مخلبك في فمه وأخرجه من دبره ... دع الأفعى تسمه ... لنضربه على رأسه بمناقيرنا حتى الموت ... لنأكله مجتمعين ونتخلص من لعنته .... ألخ

الحمامة : يا جلالة الملك ... أتسمح لي برأي ؟

الاسد وعلى مضض : تفضلي .

الحمامة : نتأمل منك العدل والانصاف ... أليس الأجدر بك أن تسمح للخروف أن يدافع عن نفسه ونحكم بعدها ليكون حكمنا أكثر إنصافا ؟

الاسد ويبدو عليه الحرج والامتعاض معا : سأتفضل على الخروف ليقول كلماته الاخيرة قبل ان ننفذ حكم الشعب فيه . أيها الخائن الكافر الملحد قل آخر كلماتك .

الخروف بعد لحظات صمت تعبر عن الحزن واللامبالاة معا : أيها الاسد ... يا من نصبت نفسك ملكا على هذه الغابة ... ما دام أنها كلماتي الأخيرة ... وما دمت ميتا لا محالة ... أعطني الفرصة كاملة لأقول كل ما عندي .

قبل زمن طويل كنا نعيش انا وعشيرتي في صحراء بعيدة وكنا نستوطن في أكبر واحاتها ونأكل من حشائشها ونشرب من مائها . وكانت حياتنا جميلة ملؤها السعادة . في إحدى السنين أصاب واحتنا الجفاف وبدأ العطش يفتك بنا واحدا تلو الآخر . وكان لنا جد عجوز طاعن في السن . قال لنا (يا ابنائي أدعو الله أن ينقذنا من هذه الشدة فكل عسر بعده يسر . وكل شدة بعدها فرج) فدعونا الله ليل نهار أن يخرجنا من هذه المهلكة . وكل يوم يمر كان عددنا يتناقص من أثر الجوع والعطش .

بقي منا على قيد الحياة عشرون خروفا . وفي صباح احد الأيام شاهدنا شخصا يمشي نحونا وفي يده عصا . لكن هذا الشخص لم يكن لديه صوف وكان يمشي على رجليه فقط . حين اقترب منا عاملنا بلطف كبير وسقانا ماء واطعمنا من متاعه . واخذنا معه الى مكان بعيد يسكنه الكثيرون مثله . وأسكننا في أرض خضراء مليئة بالعشب وما لذ وطاب . وأنقذنا من الموت . فقال لنا جدي :(الم اقل لكم ان الله سينقذنا من شدتنا ويخلصنا من الموت

والهلاك؟) فقلنا له يا جدي من هذا الشخص ولماذا أخذنا معه ولماذا يساعدنا ؟ فقال جدي : (ان هذا الشخص ملاك من السماء بعثه الله ليساعدنا بعد أن وصله دعاؤنا وتسبيحنا وهذه الأرض هي جنة الله التي تحوي كل ما تتمناه نفسك من حشائش ومياه وارض واسعة)

بعد فترة من الزمن تحولنا الى أكباش وزاد وزننا الى درجة كبيرة لا تصدق وصار أحدنا لا يقوى على الحركة . وفي يوم ما كنت أتمشى قرب المرعى فشاهدت منظرا غريبا لفت انتباهي . كان ابناء هذه القرية مجتمعين ويعدون لشيء ما . وكان بيد أحدهم أدوات كأنها مخالب كبيرة حادة . ذهبت مسرعا الى جدي وقلت له ما شاهدته وأخبرته بقلقي وعدم ارتياحي . فقال لي : (لا تدع الشك يدخل الى قلبك نحن مع ملائكة الله وأحبائه ولا تجعل الشيطان يوسوس في قلبك)

وفي تلك الاثناء اقترب الرجل الذي جاء بنا الى هذا المرعى من جدي ومسح على ظهره بمحبة وعفوية فقال لي جدي بصوت عالي :(ألم أقل لك إن هؤلاء ملائكة) وفي تلك اللحظة أخرج الرجل أداة الذبح من خلف ظهره وذبح جدي دون رحمة فأصابني الذعر على ما شاهدت . وفي تلك الاثناء نظرت الى وجه جدي وهو يذبح فوجدت الدموع تسقط على وجهه وفارق الحياة . ثم استمرت المجزرة وذبحوا عائلتي واحدا تلو الآخر أمام عيني (أمي أبي أخواني أبناء عمومتي)

وحين وصل الدور لي فكرت ولأول مرة ان أستخدم قروني في شيء غير مقاتلة خروف آخر . فكرت أن اغرس قرني فيه وفعلت ذلك فعلا وانكسر قرني في فخذه وهربت لا ألوي على شيء ووصلت أخيرا الى غابتكم .

اذا كنت ترى انك ولدت ملكا وابن ملك ومنعما بنعم الله فهذا لا يعني أن الجميع منعمون مثلك . إذا كنت تملك القدرة التي تجعلك تشعر أن الله ميزك وأكرمك فهذا لا يعني ان الكل مميزين . اذا كنت ترى أن كل شيء في الحياة جميل وخلق لغاية ما وحكمة ما فغيرك ليس ملزما بأن يشعر بما تشعر به .

أنت تشكر الله بعد كل وجبة طعام تجلبها لك لبوتك لكن لم تفكر في مقدار الألم الذي شعرت به الغزالة حين اصطادتها . لديك القدرة على اصطياد فريسة . ولي قدرة على افتراس عشبة . ولدت في هذه الحياة لاجد نفسي خروفا يأكله الصقر ويلقي به من أعلى الجبل .

وحين عرفت الانسان اكتشفت أن أهلي ذبحوا جميعا في يوم العيد . وشاهدت بعيني اطفالا صغارا يضعون يدهم في دماء أهلي ويطبعونها على الحائط . ماهي الحكمة من وجودي وانا أملك هذا الكم الهائل من الاحساس بالالم الذي يقابله كم هائل من الاحساس بالفرح في قلب ذبيحي ؟ هل تقبل أن تكون الغاية من وجودك في هذه الحياة هو الشعور بالألم . هل تعلم أن ابناء جنسي المتواجدين مع الإنسان لا يموت منهم أحد موتا طبيعيا بمرض او كبر سن ؟ كلهم يموتون مذبوحين إلا ما ندر . البقاء للأقوى. البقاء للأذكى . إذا كنت قويا ولا

يستطيع الانسان أن يدجنك ويذبحك فلا يعني هذا أن الحياة جميلة. انت في مأمن منهم لأنك قوي .

سأقول لك سرا قد يغضبك . هل تعلم ان الانسان يأخذ بعض أبنائكم ويربيهم ليضحكوا عليهم في السيرك ؟ أنتم في الواقع بالنسبة لهم برنامج للضحك والتسلية . صدقني البقاء للأذكى والاقوى . حين اجد أن كل بني جنسي يموتون ذبحا وبطريقة مفجعة لماذا يجب ان أؤمن بنظرية (هناك حكمة من وجودي) . أقولها بصراحة يا أبناء هذه الغابة : (لااجد الحياة ألا عبثا وقويا يأكل ضعيفا) لو كان للخراف قوة وذكاء لكانوا الان ملوك الغابة وأسيادها ولما تجرأتم على مواجهتهم .

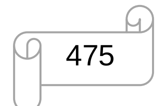
هذا الببغاء الأبله الذي مجد بك وتملق لك ينام يوميا واقفا على قدم واحدة وهو يملك قدمين ولا يعلم لماذا . وهذا الثعلب أرادك أن تشعر بانك تحتاجه كما أنه يحتاجك بطريقة مبطنة وغير مباشرة وأشار في مضمون كلامه الى أنه هو من وشى بي عندك لتشعر بالامتنان . اما الحمار فقد كان صادقا في قوله كما أن جدي كان صادقا في قوله . والافعى أرادت ان تشعرك بقوتها وقدرتها كي لا تغدر بها . كل شيء متعلق بالقوة والذكاء . هل تستطيع ان تجيبني لماذا انا موجود في هذه الحياة وأعاني يوميا من فقدان أحبتي بطريقة مفجعة ومؤلمة الى أقصى درجات الالم ؟ إذا كانت حياتك بهيجة وسعيدة وفيها مقدار كبير من الامان لا يعني ان الجميع يعيشون مثلك . حين تحكم على جوهر هذه الحياة من خلال نظرة واسعة لا تكون انت محورها سيكون تقييمك منصفا وعادلا . اما حين تتمتع بقواك وتتفرج على ما يصيب غيرك بسبب ضعفه . فلعمري انك في قمة الظلم والاجحاف. عليكم يا أبناء الغابة أن تتفهموا الاخر وتتقبلوا رأيه حتى لو كان مخالفا لآرائكم لأنه مبني على معطيات تختلف عن معطيات حياتكم . كما اني أتفهم شعوركم واحترم آراءكم . عليكم أن تحترموا رأيي الذي قد يختلف عن آرائكم قليلا أو كثيرا وهو نتاج تجاربي وتأملاتي . ومبني عليها .

الاسد : كل هذا الكلام باطل والقصد منه هو تشويه سمعة الغابة و النيل من عزة ملكها . وثبت لي الى درجة لا تقبل الشك أنك مدسوس . أجبني على هذا السؤال . هل تؤمن بوجود الله أم لا؟

الخروف ضاحكا بصوت عالي برزت فيه جميع أسنانه : المشكلة ليست عدم وجود إله لهذه الغابة . المشكلة هي لو كان هناك إله لهذه الغابة مع كل هذا الشعور بالألم الذي يصيب الكائنات سواء كان ألما تسببه الظواهر الطبيعية او ألما تسببه الكائنات لبعضها البعض وهنا تكمن العلة .

الأسد : سؤالي محدد وواضح لا تتهرب . هل تؤمن بوجود إله لهذه الغابة أم لا ؟

الخروف : مااااااع ... مااااااع . مااااااع



أعطني الناي و غني

الصلة التي تربطهم اقوى من اي صلة اخرى . انها صداقة الطفولة التي شهد عليها النهر الذي كانوا يلعبون قربه . مرت السنين ولا زالوا يلتقون بين الفينة والاخرى في نفس المكان الذي شهد طفولتهم . لا زالوا يلتقون قرب نفس الجرف ويجلسون على نفس الصخرة التي طالما جلسوا عليها وحاكوا احلامهم سويا احدهم متكئا على ظهر الاخر . مصاعب الحياة قللت لقاءاتهم . لكن لقاءاتهم المتباعدة كانت مكثفة دسمة فيها الكثير من الكلام . جلسوا وقد بان عليهم تعب السنين وارهاق الحياة ومصاعبها فاصبحوا جميعهم ارباب عوائل . جلسوا على نفس الصخرة يرمون الحصى في النهر كعادتهم وكأنها طريقتهم في القاء التحية عليه. كانوا يستمتعون بصوت الحصى وكأنه صوت النهر يحيهم بعد فراق قائلا (اشتقت لكم) كانوا يرون الدوائر التي يسببها سقوط الحصى في الماء كأنها ابتسامة اشتياق يرسمها النهر على ثغره .

منصف...مؤمن...حازم...هذه كانت اسمائهم.

مؤمن: حدثنا يا حازم هل لا زالت تلك الافكار تحرق عمرك ام انك استعدت توازنك؟؟؟

حازم: يا عزيزي كما قلت لك في لقاءنا السابق انا لست في صراع فقد حسمت امري منذ زمن بعيد وانت تعلم ذلك لكني اعلم ان حبك لي هو ما يجعلك تحاول ان تجعلني اعيد النظر في قناعاتي بين فترة واخرى . يا عزيزي انا وكما تعلم لاديني . ليس لان لدي عداوة مع الاديان بل لان الادلة اوصلتني لهذه القناعة .

مؤمن : الحمد لله انك تعلم ان سبب حديثي في هذا الموضوع هو حبي لك وقربي منك . وتعلم جيدا اني لا افتح هكذا مواضيع مع غيرك . وتعلم جيدا اني لست من هذا النوع الذي يقيم الناس على اساس عقائدهم . فانا اؤمن ان (لا اكراه في الدين) واؤمن ان كل انسان تشفع له اعماله الصالحة وليس لقلقة لسانه . و اؤمن بعدالة الله وحكمته .

حازم: بما ان قريحتك مفتوحة للنقاش في هكذا مواضيع اود ان اسألك سؤال...يقول الرسول محمد (لهدم الكعبة حجر حجر اهون عند الله من سفك دم امريء مسلم) هذا الحديث يبين ان هدر الدم يغضب الله اكثر بكثير من هدم الكعبة...لماذا اتخذ الله موقف رادع مع ابرهة ومنعه من تحقيق غايته وهو في طريقه لتحقيقها ولم يتخذ موقف رادع مع ابو بكر البغدادي الذي يهدر دم البشر والبشر اكرم من الكعبة عند الله حسب هذا الحديث؟؟؟ ماذا لو ان كل داعشي يريد ذبح انسان تنزل عليه حجارة من سجيل تقضي عليه ؟؟؟ اليس هذا المسلم الذي يقتله اشرف عند الله من الكعبة ؟؟؟

مؤمن: ابو بكر البغدادي وغيره من القتلة يقتلون بارادة حرة...الانسان يتحمل مسؤولية افعاله ومن يقع عليه الظلم يعوض في الحياة الاخرى ومن يظلم الاخرين يعاقب...الشر



الذي يقع من قبل بني البشر يتحملون مسؤوليته كاملة ويدفعون ثمنه عاجلا ام اجلا...الارادة الحرة متاحة للانسان ومن الممكن ان يستخدمها في جوانب ايجابية ومن الممكن ان يستخدمها في جوانب سلبية...الانسان كائن عاقل لو تدخل الله في كل شيء ومنع حدوث الشر لما كان هناك قيمة للارادة الحرة وما كان هناك قيمة للاختبار...لانه لن يكون هناك اختيار حر للشر...فعلا دم المسلم اكرم عند الله من الكعبة لكن من قال ان الله لن ينتقم لدم المسلم لاحقا في يوم تشخص فيه الابصار ؟؟؟ وقطعا عقوبة ابو بكر البغدادي في ذلك اليوم اشد من عقوبة ابرهة كونه هدر دماء مخلوقات الله مهما كان دينهم ومذهبهم وعرقهم .

حازم: ماذا تقول يا منصف في هذا الكلام؟؟؟ ما هو رايك؟؟؟

منصف: لو اثبت نقاشكم ان الله موجود وعادل ستبقى الحقيقة الشاخصة في هذه الحياة التي ندركها على الاقل ان هناك ظلم بغض النظر عن مسبباته . ولو اثبت نقاشكم ان الله غير موجود فلا زلنا في نفس الواقع...مهما كانت نتيجة نقاشكما ستصطدمان في النهاية بواقع ان الحياة مليئة بالظلم والايمان بالله او عدم الايمان به اعتقاد شخصي . الايمان بضرورة رفع الظلم سواء كان منبعه ديني او لاديني هو ما يحل المشكلة...تعتقد بوجود الله او لا تعتقد ليس مهم . المهم ان تؤمن بقيمة الكائن الحي . ورفع الظلم امر متاح للجميع وليس كما يتصور بعض الناس انه شعار خيالي . هو امر واقعي جدا ومتاح دائما . تستطيع ان تساعد الناس في اي وقت تشاء ضمن حدود قدرتك ومساعدة الناس من اوجه رفع الظلم ...ايها المؤمن انت تؤمن ان الله رحيم؟؟؟ كن مصداق لرحمته ماذا تنتظر؟؟؟ايها الملحد انت لا تؤمن ان هناك اله رحيم اصلا؟؟؟ كن انت رحيم .

من الامور الايجابية في مجتمعنا (بصورة عامة) هي انك اذا وقعت ستجد من يتسابقون لمساعدتك . بامكانهم ان يتركوك او ان يتكل كل منهم على الاخر . لكنهم لا يدخرون جهدا لمساعدة من يجدوه بحاجة للمساعدة . في الملمات تجدهم قربك . لا يتركوك وحدك . يشعروك دائما بانك جزء منهم . مع كل سلبيات مجتمعنا الا ان هذه الصفة الرائعة اهم صفة تجعلك تتناسى الشعور بالاغتراب عن الواقع .

المؤلم هو ان بعض عبيد الدرهم والدينار من هذا النوع الذي يستغل تعرض احد افراد اسرته لمكروه للحصول على مال...هؤلاء الذين يتهمون من يساعد ابنهم وياخذه للمستشفى في التسبب بما حدث له ضربوا التكافل الاجتماعي ضربة عنيفة. هؤلاء لا يهمهم ان يفلت من آذى ابنهم من العقاب . بل هم بايداعهم من (اعان ابنهم) في السجن جعلوا الجاني الحقيقي حر طليق .

لكن حتى هؤلاء لم يقتلوا النخوة . قبل سنوات تعرض احدهم لحادث مروري في شارع لم يكن فيه الا نفر قليل وافلت السائق بفعلته . الواقفين الذين شهدوا الحادث (وعددهم لا يتعدى اصابع اليد الواحدة) لم يحركوا ساكن الا واحدا منهم اصر على حمله واخذه للمستشفى على

امل انقاذه . نصحه الباقون ان يتركه ولا يتدخل لانه سيبتلي بدمه . فقال لهم (سافعل ما يمليه علي ضميري فقد انقذ حياته وانا مستعد لاتحمل العواقب) وحمله فعلا واخذه للمستشفى وفارق الحياة هناك وتحمل فاعل الخير العواقب فعلا واودع ايام معدودة في السجن . لكني متأكد انه غير نادم ولو كان تركه لشعر بندم شديد . المصيبة مركبة سببها (ظلم نسبة لا يستهان بها من الذين يطبقون القانون) من جهة و(عدم اكتراث بعض الناس لمواقف ذوي الشهامة بقدر اكتراثهم للأمساك بياقة احدهم ليتحمل العواقب بغض النظر سواء كان مذنب او غير مذنب) من جهة اخرى . القانون مصمم ليطبق على من لا حول لهم ولا قوة. ليس من السهل ان تجد شخص يشهد في موضوع كهذا خوفا من امرين الاول (الطلايب) والثاني (التعرض للظلم فنسبة من الذين يطبقون القانون يبحثون عن زلة بسيطة ليودعوا احدهم في السجن بلا رحمة لحلبه واستنفاذ اخر درهم في اخر جيب)

في ولاية (الباما) ذهب الضابط وليام ستيسي مع دوريته لالقاء القبض على سارقة تم ضبطها متلبسة بالسرقة في احد المتاجر . لما وصلوا هناك ووضعوا الاصفاد بيديها سألها الضابط لماذا سرقتي؟؟؟ فقالت له (انا سرقت خمس بيضات لاطعم حفيدتاي اللتان لم تأكلان الطعام منذ مدة) فقام الضابط وليام بفك قيودها واشترى لها سلة بيض واعادها الى المنزل فانهارت باكية من شدة تأثرها بالموقف . وبعد مدة جاء الى بيتها بصحبة احد رفاقه ومعه كمية كبيرة من الطعام حصل عليها (لاجلها) من احدى المؤسسات التي توزع الطعام للفقراء . فقالت له ودموعها تنهمر (انت لست مضطر ان تفعل كل هذا) فأجابها (اننا لا نحتاج الى القانون احيانا بقدر حاجتنا الى الانسانية) كان يستطيع وليام ان يلقي القبض عليها ويأخذها الى السجن وتخضع بعد ذلك الى محكمة . لكنه اختار وقرر في (جزء من الثانية) ان يكون انسان اكثر من كونه (رجل قانون) مساعدة الاخرين ورفع الألم عنهم ممكن في اي لحظة وفي اي ثانية وفي اي دقيقة . الخيار متروك لنا . نحن من نحدد من نكون؟؟ ونحن من نحدد وجهتنا .

حازم: مسألة وجود الله عندي محسومة فهو غير موجود...لا اتصور ان هناك اله مطلق القدرة موجود ويسكت على كل انواع الظلم في هذا العالم ... لو كانت لديك قدرة على انقاذ طفل يعاني من المجاعة هل ستنقذه؟؟؟ طبعا ستنقذه... لماذا الله يتفرج اذن؟؟؟ انه حتما غير موجود...ثم ان هناك اشياء لا عقلانية لا ادري كيف تصدقانها...حين يقال لي سيحضر في قبرك لو قمت بالعبادة الفلانية سبعون الف ملك...ارجوك هل انا ميت ام رئيس جمهورية؟؟؟ ماذا افعل بسبعين الف ملك وما هي الفائدة منهم؟؟؟لو احضروا لي امي وابي واصدقائي فقط يكفيني ويريحني .

مؤمن: لا يمكنني ان اتخيل ان هذا الكون وجد من تلقاء ذاته... اذا لم يكن الله موجود فمن اين جاء الكون اذن؟؟؟اذا كنت تعقل ان المادة ازلية... لماذا لا تعقل ان خالق الكون ازلي؟؟؟ المجاعات في افريقيا لو دققت في اسبابها ستجدها بشرية فالبشر لا يعين احدهم الاخر بالطريقة الصحيحة بل لا يعينوا انفسهم كما يجب .

منصف: ما تخوضانه حوار عقيم ... فكلاكما تعلمان ان هناك وجع لا ينتهي في هذا العالم . وكلاكما تعلمان انكما ستعودان للبيت واحدكما اكثر ايمانا والاخر اكثر الحادا . لكن اقول بكل بساطة انا ارجح وجود خالق لكن يبدو ان الموضوع اكبر من ان يستوعبه عقلي...ليس بالضرورة ان احصل على جميع الاجوبة فيما يخص وجود تناقضات... ليس من الضروري ان افك لغز معظلة الشر في هذه الحياة لكن الضروري هو ان اقلل الاعراض الجانبية للشر على نفسي وعلى الاخرين قدر المستطاع . الحياة مليئة بالتناقضات وانا نفسي قد اناقض نفسي في لحظة معينة...والسبب ببساطة لاني انسان والانسان مبني على التناقضات .

مؤمن : احترم وجهة نظرك لكن هذه صورة ضبابية رومانسية انهزامية...لااتعاطف معها بكل صراحة .

حازم: يبدو ان منصف جعلنا نتفق...اتفق معك جدا...فعلا هذه الصورة الضبابية مجرد فلسفة لا تسمن ولا تغني من جوع .

مؤمن(موجها خطابه لحازم) : انت تعرف باسكال وتعرف رهانه الذي يراهن فيه على الالتزام بدين من باب الاحتياط فيما لو تبين لاحقا ان هناك إله . هو يضع معيار المنفعة المتوقعة من الالتزام بدين في حال تبين ان هناك اله وهي افضل حتما من المضرة المترتبة على الالتزام بدين في حال لم يكن هناك اله بعد الموت.

حازم : نعم هذا كلام لا قيمة له...لو كان هناك اله لماذا لا يعلن عن نفسه بشكل صريح وينهي النزاع؟

منصف: ليست هنا المشكلة...المشكلة في معنى الالتزام بدين...هل تقصد ان ألتزم بدين معين كي اتخلص من العذاب بعد الموت لو تبين ان هناك اله؟؟؟ هذا كلام سطحي...الالتزام بالاخلاق هو الورقة الرابحة في الحالتين . الالتزام بدين احتياطا لتجنب الضرر المتوقع بعد الموت ليس ايمان...انه مجرد حذر من امكانية التعرض للألم .

مؤمن: باسكال عالم معروف وذكرته لاني اعلم ان حازم يحترم هكذا شخصيات . واحببت ان اعرف رأيه . ثم اني اريد ان اعرف كيف تصلي وتصوم وتلتزم بدين وانت لست متأكد منه لدرجة اليقين؟؟؟ قد يكون حال حازم افضل من حالك لانه متيقن من عدم وجود الله اما انت...فانت شخص ضبابي لا واقع له مجرد تائه...لا تعلم اين انت والى اين انت ذاهب .

منصف: لا ادري... قد يكون كلامك صحيح ... لكني لااراهن على شيء ...انا مقتنع بما افعل ...اصلي لاني اشعر بان هناك صلة روحية تربطني بالغموض او (الغيب) او (الخالق) الضياع ليس ما انا فيه...بل هو حال من يتمسكون بدين معين رهانا منهم على احتمالية صحته وخوفا من احتمالية تعرضهم للحرق لاحقا . هذا هو الضياع .

حازم: اسمعا...كلاكما ضائعان في عالم مليء بالخرافات والاساطير . وكلاكما في نظري في نفس الخانة . فما يقوله منصف لا يختلف كثيرا عن ما تقوله...كلاكما تضيعان وقتكما في اشياء لا وجود لها الا في خيالكما .

مؤمن: انت ضائع في عالم الكبر والغرور...ما يمنعك عن رؤية الله هو غرورك الداخلي وكبريائك .

حازم: لا مشكلة عندي في ايمانكما...هذا امر يعنيكما...لكني احزن لاجلكما لانكما تهدران الكثير من طاقتكما في خرافات لا طائل منها .

مؤمن: هي في نظرك خرافات لكنها في نظري حقائق .

منصف : هي في نظري نظريات من الممكن ان تكون صحيحة ومن الممكن ان لا تكون .

حازم : هذه الضبابية التي تثير اعصابي .

مؤمن: حيرتني يا (ابو وضع مختلف) !!! بماذا تؤمن وما الشيء الذي تريد الوصول اليه بالضبط؟؟؟

حازم ضاحكا : هذا يريد ان يكون فنتازي برأسنا...ايها الابله كفاك ضحكا على نفسك بتلك اللغة التوفيقية...منصف وامثاله اما ملحدين خجولين او مؤمنين تائهين...قد يكون هو وامثاله ملحدين جبناء يعرضون انفسهم بطريقة مبهمة تقبل القسمة على الجميع .

مؤمن : هؤلاء اضاعوا الطريقان فلا هم هنا ولا هم هناك . اريد ان اسألك سؤال يا منصف...هل تؤمن بوجود حياة بعد الموت؟؟؟

منصف : بصراحة وبدون لف ودوران (لا ادري) لكني ارجح ان الوعي الانساني لا يموت وارجح ان الانسان يخلق الحقائق التي يؤمن بها بعد موته . الانسان حين يحلم يقوم عقله ببناء عالم كامل يسرح به . لما لا نعطي احتمال ان الوعي سيبقى بعد الموت ويشكل عالم خاص للانسان فيه كل ما يعكس افكاره وتطلعاته؟ ؟؟؟ هل الوعي الانساني قادر على ذلك؟؟؟ ارجح انه قادر ... ارجح ان وعينا سيلتقي مرة اخرى وسنقف في نفس هذا المكان لكنه حينها سيكون اجمل لانه بلا جسد يتألم . سنتمتع بكل الجمال دون ألم .

مؤمن : هل انت من اللادينيين اللاادريين؟او بمعنى اخر التائهين .

حازم (مقاطعا) : اي لاادريين؟ هذه تخاريف...اللاادريين كما يبين **(نيل ديغراسي تايسون)** العالم الامريكي في الفيزياء الفلكية (اشخاص لم يجدوا دليل على صحة معتقدهم لكنهم مستعدين لتقبله ان وجد وهذا ما يعتنقه تايسون) .(1) اذن اللاادريون ملحدون واذا كان الامر

كذلك فأنا لا ادري ايضا لاني لم اجد دليل على صحة المعتقد الذي وجدت نفسي عليه لكني سأقبل الدليل القاطع لو قدمه لي احدكما الان .

منصف (مبتسما) : التائهون يا استاذ مؤمن هم من يلتزمون بدين لتجنب العواقب وليس لتيقنهم من صحته . اما انت يا استاذ حازم فاقول لك **ان نيل ديغراسي تايسون نفسه يقول:** (عادة ما يسألني الناس باسلوب اتهامي هل انت ملحد ؟ فأجيبهم انا عالم ولست مرتبط باي جماعة , فانا لا اتبع اي حركات واتبع ما يمليه علي عقلي فعندما يتبع احد الاشخاص مذهب فلسفي ما فانه يصبح وعاءا له وعندما ترغب في مناقشة امر ما فانهم يقولون لك انهم يعرفون بالفعل كل شيء مهم ينبغي عليك ان تعرفه بسبب هذا الارتباط بالمذهب الفلسفي . لكن عذرا هذه ليست طريقة للمناقشة فينبغي ان يعرف بعضنا البعض بواقعية بدلا من الصاق مسميات ببعضنا والتأكيد على اننا نعرف ما سوف يحدث مقدما)(انتهى) (2)

اللادرية حسب اعتقادي لا تعني (عدم الدراية) ولا تحصر في المفهوم الذي قاله تايسون بل تعني في بعض الاحيان عدم الوصول لنتيجة قاطعة . مثلا لو سألك شخص هل تعرف اين فلان وقلت له لا ادري فانت تجهل مكانه لكنك لو بحثت وبحثت وبحثت ولم تجده وقلت له لا ادري فالامر مختلف والحالة الثانية حسب تصوري اقرب لتصوير اللادرية الفلسفية .

نعم في بعض الامور اتفق مع اللادريين وفي بعضها الاخر اتفق مع المؤمنين وفي بعضها اتفق مع الملحدين . الموضوع يتعلق بالنتائج . انا ملتزم بدين ليس لاني اتخذ احتياطات كي لا احرق لاحقا بل لان هذا الالتزام يشعرني بالتوازن والراحة وبحدوث تواصل حقيقي مع الغيب . انا ملتزم بالدين إلتزام ذاتي جدا لا مكان فيه للاكراه او الخوف...اتصور ان الكثير من المؤمنين (لاادريين) لكن لا يعترفون (بلاادريتهم) لخوفهم من المجهول ولشعورهم بالامان داخل حدود الدين .

مؤمن : بالله عليك لماذا تصلي وتصوم وتدعي انك مسلم وانت لست متيقن من حقيقة حياة ما بعد الموت؟؟؟ لماذا تضيع وقتك في تلك الصلوات؟؟؟

منصف : اسمع ...انا لست ملزم ان اثبت لك شيء...انت (بدون ان تحصل على اجازة او تفويض من احد) تحاول ان تملي علي افكارك...انت تعتقد ان من يؤمن بافكارك فقط يحق له ان يلتزم بالدين .

مؤمن : يا اخي هذه ليست افكاري هذه ثوابت دينية

منصف : انت تعتقد اني ملحد؟؟؟

مؤمن : لااجد فرق كبير بينكما

منصف : هذه قناعتك ولست ملزم ان اثبت لك العكس لكني لست ملحد...انا ارجح وجود خالق... واؤمن بنبوة الانبياء...لكن ما هو مفهوم النبوة؟؟؟ هل هو المفهوم الذي يصل معناه اليك من خلال اطلاعك على بعض الكلمات من التراث الديني؟؟؟مفهوم النبوة اكثر عمق حسب تصوري...انا اصدق الانبياء واصدق نبوتهم لكن مفهوم النبوة بالنسبة لي يختلف عن المفهوم التلقيني . هو مفهوم اعمق تغلغلت معانيه عندي عن طريقين هما (المعلومات النمطية المتوارثة) و (التأمل والاطلاع) لكن لا يوجد ما يضمن ان افكاري وتصوراتي صحيحة . انا ارتاح جدا حين اتواصل مع الخالق بالطقوس الدينية التي ابصرت النور عليها وهي الاقرب الى نفسي والاكثر تحريكا لوجداني وعقلي . الصلاة بالنسبة لي فعل عقلاني يجعلني اكثر تصالحا مع الذات واكثر تواصلا مع الغيب وليست واجب اؤديه للتخلص من العقوبة . هي بالنسبة لي وقفة لمراجعة الذات .

مؤمن: هل تؤمن بوجود الجنة والنار؟؟؟

منصف: اظن ان الجنة هي البقاء الابدي بعد الموت . واظن ان النار هي (العدم) فتحول القاتل الى عدم سيفوت عليه الراحة الابدية والبقاء النوراني . العدم ليس راحة ابدية بل هو (اللاوجود) واللاوجود بالنسبة للجشع نار حامية تقتل كل تطلعاته للخلود .

مؤمن : ماذا تقول عن صور النار والعذاب المذكر في النصوص المقدسة؟؟؟

منصف: كيف سأوضح لك وجهة نظري؟؟؟ امممم...الموضوع معقد...اظن ان تلك الصور المرعبة (قوانين رادعة) دنيويا للاشرار الذين لا يمنعهم عن فعل الشر الا الخوف . لكن الله (ارحم الراحمين) اكثر رحمة من ان يحرق بالنار . سيحول الظالمين الى عدم وهذه عقوبة مستحقة وعادلة . من العدالة ان يتنعم المظلوم بحياة ابدية ويتحول الظالم الى عدم.

مؤمن : العدالة هي ان يعاقب الظالم ويحاكم بحضور المظلوم .

منصف : اذا كان الامر كذلك...اتصور ان وقوف الظالم امام المظلوم وقيام المظلوم بنفسه باخذ حقه امر منصف...مثلا ان ياتي القاتل الذي قتل احدهم ظلما ويقف كل من تضرروا من قتله لهذا الشخص امامه وكل منهم يقتله نفس القتلة ثم يحييه الله مرة اخرى ثم يقتله اخر وهكذا الى ان ياخذ الجميع حقهم . ولاي منهم الحق في ان يتنازل عن حقه . هل في هذا عدالة ام في الاحتراق الابدي عدالة؟؟؟هل تعرضت للاحتراق سابقا ؟؟؟ ليس جسدك كله بل احتراق بسيط في المكواة . هل يمكنك تخيل ان يحترق شخصا ما للابد بنار اكثر شدة من هذه النار بالاف المرات؟؟؟ ثق بي لو كان من يحترق عدوك لتأسيت لحاله . الحرق بالنار ليس كلام لسان نتحدث به ونحن نقف في الهواء الطلق . الحرق الابدي بالنار شيء لا يمكن تخيله .

مؤمن : هل تتعاطف مع الظالمين لانهم سيحترقون بنار ابدية ؟؟؟ الاجدر بك التعاطف مع من تعرضوا للظلم وليس مع الظالمين .

منصف : نحن لا نتحدث عن افلات الظالم من العقوبة . ولا عن عدم انصاف المظلوم... هل تظن ان تنعم المظلوم بحياة نورانية وتحول الظالم الى عدم ليس فيه عدالة ؟؟؟ الان لو قلت لاحد القتلة ان الله سيحولك الى عدم وسيبقي من ظلمته في حياة ابدية...هل سيرتاح؟؟؟ لا اظن ذلك .

حازم (موجها كلامه لمؤمن) : الرجل مثلك لكنك تغالط نفسك..طالما انه غارق في الخيال الوهمي فهو (مؤمن)... على كل حال ... الان لألفت نظركما لشيء بسيط ... ما هوالفرق بين المرض والموت عند الانسان وعند الحيوان؟؟؟ لا يوجد فرق الا واحد فقط ... الانسان يعطي لكل شيء تفسير فمرة يقول ان المرض يخفف العقوبة او ان المرض بحد ذاته عقوبة ويتخيل وجود حياة بعد الموت ليخفف عن نفسه الوجع ... الحيوان مرفوع عنه القلم حسب الاديان... لماذا يمر بكل ما يمر به الانسان من مرض وموت وتحلل وتفسخ؟؟؟

مؤمن : عجيب امرك يا حازم! اذا لم يكن هناك خالق فمن اين جاء الكون اذن ؟ كل لحظة اتنفس فيها الهواء اشعر بفضل الله علي . وكل لحظة انظر فيها لجمال الكون ولمخلوقات الله الرائعة كالطيور التي تحلق امامك الان اشعر بجمال خلقه وعظمته . وحين استشعر قطرات المطر اشعر بلطف الله ورحمته .

حازم : سأختصر عليك ثلاثة ارباع الطريق واتفق معك على وجود الله ولنناقش نقطة نقطة. الله خلق الانسان يحتاج لتنفس الهواء ليبقى على قيد الحياة . اذن مشروع الله لن يكون له وجود بدون هواء . حين يخلقني الله محتاج للهواء فيجب ان يوفر لي ما يستلزم بقائي . اذن الهواء ضرورة وليس ترف . حين نقول (الله قادر على كل شيء) فقد اختصرنا الطريق وليس هناك ضرورة لتعدد لي مخلوقات الله لتبين قدرته فأنت اختصرت الطريق من البداية وقلت انه (قادر على كل شيء) وما ندركه بابصارنا اقل من (كل شيء) ولن يثبت تعداده شيئا جديدا للمعادلة . لا ادري الى ماذا تريد ان تصل حين تعدد الكائنات؟ هل تريد ان تبين قدرة الله؟ من البديهي ان يكون الله خالق كل شيء والا لما سمي (الله) وما حصل على مرتبة (الإلوهية) وما كان لنقاشنا محل من الاعراب . ذكرت (الطيور) كمثال يذكرك بجمال خلق الله . لماذا لم تذكرالحشرات مثلا ؟ أليست من خلق الله ؟ ولماذا ذكرت قطرات المطر ولم تذكر الفيضانات التي تغرق قرى بكاملها ؟

منصف(موجها كلامه لمؤمن) : انت تلجأ في كثير من الاحيان للاجوبة الجاهزة لكن من الممكن ان يكون التأمل طريق مناسب للحصول على جواب لسؤال مظني لما لا؟؟؟

مؤمن : اي تأمل؟؟؟ هناك علماء ورجال دين افنوا عمرهم في الدراسة للحصول على اجوبة وانت تريد (بالصفنات) ان تحصل على جواب؟؟؟ تأمل من الان الى يوم غد لنرى من سيجيبك وماذا سيجيبك؟؟؟

منصف : من فينا الملحد الان؟؟؟ انا ام انت ؟؟؟

اتذكر حين كنا نتحدث عن فرس الامام الحسين (الميمون) وحزنه على مقتله وتأثره عليه وقلت لي انه ملاك منزل من السماء ؟ انت بقولك هذا نسفت جمال اللوحة فمصدر جمالها هو تعاطف الحيوان مع صاحبه الانسان ووفائه له وحزنه عليه . حين تقول انه ملاك تقلل من قيمة الحدث . الكثير من الاشياء الجميلة يتم قتل جمالها من خلال رفع العفوية عنها . اتذكر حين كنا في نقاش حول اقوال الانبياء والائمة فقلت لي انها ليست منهم بل من الله ؟ يا اخي انت بهذا القول الذي تتصور انك ترفع به من شأنهم تنسف جهودهم وتلغيهم .

حازم (ضاحكا) : انتما وجهان لعملة واحدة ... الم اقل لك انه مؤمن مثلك لكنك تغالط نفسك؟؟؟ اتعلمان ما هو الفرق بين العصير المخفف والعصير المركز؟؟؟ليس على الانسان الا ان يعاشركما ليعرف بوضوح الفرق بين العصير المركز (حاد المذاق) والذي تجسده انت (يوجه كلامه لمؤمن) والعصير المخفف (لطيف الطعم) والذي يجسده صاحبنا منصف.

مؤمن : العكس هو الصحيح والتشبيه الذي ذكرته ينطبق عليكما فأنت يا حازم تمثل (العصير المركز) ومنصف يمثل (العصير المخفف او الالحاد المخفف) تقول انه مؤمن مثلي؟؟؟اي ايماناً هذا؟؟؟ هذا لا يسمى ايمان...صاحبك هذا ضرب كل الثوابت الايمانية عرض الحائط ويتفلسف علينا بترهات من قبيل (التأمل)...من حقك ان تؤمن بما تشاء لكن لا تسمي نفسك مسلم فانت لست مسلم...انا لا احكم عليك انك في النار او في الجنة فلا يزكي الانفس الا الله لكنك حسب ما ارى تخترع لنفسك دين وتسميه اسلام .

منصف: لنفترض الفرضية التالية ... لنفترض اننا (كائنات مجهرية) قياسا بكائنات اخرى اكبر منا حجما بمليارات المرات وما هذا الذي نسميه الكون الا جزء غير مرئي (بالنسبة لتلك الكائنات) قابع في احدى زوايا منزلهم ولا يمكننا لصغر حجمنا مغادرة هذا الجزء او ادراك غيره ... كيف سنعلم واقعنا؟؟؟على فرض صحة تلك الفرضية فلن نعلم الا ما ندركه ادراك يقيني او ما نرجح صحته بناءا على معطيات واقعية وقد ندرك الواقع الفعلي وقد لا ندركه ابدا...بامكانك ان تبقى حبيس الادلة المادية او ان تبقى حبيس التسليم الغيبي او ان تفتح الباب على مصراعيه لكل الاحتمالات .

اسمعا...احدكما ملحد والاخر مؤمن كلاكما تمثلان وجه من وجوه الحقيقة...انا لست ملحد ولست مؤمن بالطريقة السائدة . لي افكاري الخاصة وانا حر بها...حين يجتمع جبران خليل جبران مع فيروز برفقة الملحن نجيب حنكش ستستمع للوحة مقتطعة من الجنة اسمها (أعطني الناي و غني)

أعطني الناي و غنيِ فالغنا سرّ الخلود

وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود

هل تَخذت الغاب مثلي منزلاً دون القصور

فتتبّعت السواقي وتسلّقت الصخور

هل تحمّمت بعطر وتنشّفت بنور

حين استمع لهذه الاغنية اشعر باني احب الله واحب اهلي واعشق زوجتي حد الجنون...احب جاري واحب عدوي واحب من يكرهني...اشعر باني في وقت مستقطع من الجنة...لا اشعر الا بكل معاني الخير والصفاء...هل هذا شيء استحق ان يصب الرصاص المذاب في آذاني بسببه؟؟؟

مؤمن : الشيطان يفتح لك الكثير من ابواب الخير ليوقعك في باب من ابواب الشر فهو يصور لك ان هذه الاغاني تجعلك اقرب الى الله كي يوقعك في حبائله .

منصف: حبا بالله دعك من هذا الكلام ... بربك كفى...هل تريد ان تشوه كل اللحظات الجميلة؟؟؟الله ابلغنا ان الشر قبيح والخير جميل تبليغ مباشر...في فطرتنا...في سجيتنا... يمكننا تمييز الخير والشر دون موجه اذا قمنا بتفعيل فطرتنا .

حازم: كلام مؤمن صحيح...اذا كنت ملتزم بالدين فما يقوله هو ما يريده الله حسب الدين...فعلا الاغاني حرام حسب الدين ...انت تبتدع لنفسك دين من تاليفك .

منصف : لا...انا اعيش حياتي بسلام دون ان اؤذي احد ودون ان افرض قناعاتي على احد...هي قناعاتي وحدي وتلزمني وحدي...سابقى اصلي لخالقي وابقى اتخيل نفسي في ظل تلك الشجرة في الجنة اعزف على الناي وتأتي زوجتي حبيبتي وتقول لي (اعطني الناي و غنيِ) سابقى اؤمن بدعاء الامهات...وسابقى اتواصل مع السماء...وسابقى اتعلق بشباك باب الحوائج واشعر بيديه تمسح على رأسي...اياك يا صديقي ان تقحم نفسك في تجلياتي...تبا لك... سأبقى وسأبقى وسأبقى اشتاق لسماع دعاء البسطاء الذي لا يعلوه دعاء...وسابقى اضج بالبكاء على كل موجوع في هذا العالم...وسابقى انتظر مرور النملة كي لا اسحقها...كلما رايت عراقية تركها ظلم الزمان وحيدة اشعر ان لسان حالها يقول (متعذبة بدنياي يا بابا چي مالي والي) سأبقى اقدس (نعاويها) الموجعة وهي ترثي نفسها وزمانها...تبا لكما يا اصدقاء العمر...لن تسلبا مني حقي في ان اعيش حياة روحانية وان امارس حقي في عيش لحظات جميلة لا اؤذي بها احد .

حازم: ما الذي يجري يا صاح!!! (قلبتها علينا نكد)... لك كل الحق في ان تختار اي طريق تراه مناسب طالما انك لا تلزم به احد .

مؤمن: يا عزيزي عش كما يحلو لك فلا انا ولا غيري نقدر على فرض شيء عليك..لكن ليس من حقك ان تحلل ما حرم الله . فالاغاني لست انا من حرمها بل الله حرمها .

منصف : الله حرم الشر ودعا لفعل الخير...الانسان له قدرة على تشخيص الشر والخير...يا صديقاي ليس لنا الا ان يحترم كل منا خيارات الاخر...في النهاية يجمعنا تاريخ الطفولة وخط العمر والاكثر من هذا يجمعنا وطن...اتركا عنكما كل هذا وتعالا قربي

اخرج منصف هاتفه وقال لهما (اتذكران تلك الصورة) وكانت صورة لهم وهم في سن المراهقة في نفس المكان . نزلت دموعهم لا اراديا . للذكريات وجع . للذكريات ألم . مرور الزمن يوجع . حين كان الماضي الذي وثقته تلك الصورة (حاضرا) لم يكن بذلك الجمال بل كان فيها معاناة وألم ووجع . لكن وكما يقول انيس منصور (الماضي جميل لانه ذهب ولو عاد لكرهناه)

وقف الثلاثة معا فوق صخرتهم (رفيقة دربهم) وكان مشهد غروب الشمس شاهدا على حوارهم واخذوا اروع (سيلفي) مع دجلة الخالد...عن هكذا لحظات قال الجواهري يوما (الشمس اجمل في بلادي من سواها)

كان لسان حال كل منهم يقول :

ايها الانسان...اعطني الناي و غنّي اي لحنا يعجبك لكن اياك ان تغني اغنية الموت (عاشق يحارب من اجل محبوبته) فالعاشق مات لاجل محبوبته منذ زمن طويل...وترملت تلك المحبوبة واصبحت عجوزا في الغابرين...اسمعنا ترانيم الحياة...اسمعنا تراتيل العشق...ارنا في لحنك ذلك العاشق الذي سيعيش لاجل محبوبته ويشيخ معها . اياك ان ترملها...فطابور الارامل في بلادي يجب ان يتوقف...العاشق لهذا الوطن هو من يموت دائما وابدا...ومعشوقته البشرية هي الحية الميتة دائما وابدا...ارجوك ايها العاشق لا تبلغ امك انك (ستشد الچرغد بزنودك)...بل ابلغها بانك عاشق لبنت الحي الجميلة وتريد ان تكمل ما تبقى من حياتك معها...رائحة البارود ليست رائحة هيل كما قالوا لك..لقد خدعوك...رائحة البارود هي رائحة الموت...رائحة الدم...رائحة اليتم...رائحة الضياع .

ايها العاشق يا من تعشق ارض الوطن انت (العلم) فعش هكذا في علوا ايها العلم . لا ترمل لا تيتم لا تموت...عش هكذا في علوا ايها العلم...علم وطننا ليس قطعة قماش بل شاب شجاع جسور يحب وطنه ويعشقه فعش هكذا في علوا ايها العلم .

روحاني أحاول الفهم ولا أبحث عن الثواب

الأول : لم أكن أعلم ان لك اهتمامات دينية في حياتك اليومية فهذا غير ظاهر عليك اسمح لي ان استفهم عن السبب الذي يجعلك تهتم لهذه الدرجة بالحضور الى الكنيسة والاستماع الى الموعظة ؟

الثاني : انا لست متدين أنا روحاني

الاول : هل تتكرم بايضاح الفرق بين الاثنين؟

الثاني : الروحاني يحاول الفهم والمتدين يحاول الحصول على الثواب

(مضمون مشهد من المسلسل الاميركي الكاتراز Alcatraz)

كان يمشي مسرعا كعادته . تدور الافكار في رأسه كدوران الأرض حول الشمس . هو دوران مستمر ليس له مستقر . ما ان وصل الى بيته حتى انقض على حاسوبه ليرد على رسالة آلمته كان قد أرسلها له أحد أصدقائه . شرع في الرد على الرسالة لكن شيئا ما كان يجعله يكتب ثم يحذف ثم يكتب ثم يحذف . فجاة قرر أن يرسل الرسالة مكتوبة على الورق بتقنية القرن العشرين عبر البريد وليس عبر البريد الالكتروني ليُشعر هذا الصديق بأهمية تلك الرسالة فوصولها بيد ساعي بريد يقرع الجرس يجعلها اكثر أهمية من وصولها عبر البريد الألكتروني . أمسك قلمه وبدأ بالكتابة :

رسالة الى صديقي

اذا كانت افكاري التي صرحت بها امامك والتي وضعتها حسب مزاجك في خانة (المعتقدات الفاسدة) تجعلك تسأل نفسك هل انا اهل لان اكون صديقك ام لا دون الالتفات لحسن خلقي معك فصداقتك لا اشتريها بفلسين . طوال سنوات معرفتي بك هل بدر مني فعل سيء تجاهك او تجاه غيرك؟؟؟انه التعالي الايماني الذي يعمي القلوب والابصار .

يا صديقي لا تتهمني بالإلحاد فلا أنا ملحد ولا الإلحاد تهمة . حين تحدثني بلهجة محققي الشرطة وتقول لي (أنت ملحد) فعليك أن تعلم أن الإلحاد ليس تهمة بل قناعة شخصية وأنا ببساطة لم أصل لهذه القناعة ولو كنت ملحد لما خجلت من هذه الحقيقة وفي نفس الوقت لن أكون مضطرا الى أن أبين لك ذلك فهذا أمر يعنيني وحدي . لماذا تعتقد أنك مؤهل لتقييم الاخرين وتقييم مدى انتمائهم لدينهم ؟ علاقتي مع الله شأن يخصني ويخص الله . أعلم أنك تنزعج حين أقول ان الدين أمر شخصي . نعم هو أمر شخصي لذلك ذكر لنا الدين ان كل إنسان يحاسب على أعماله يوم الحساب ولا أعتقد أنك ستحاسب على أعمالي . أنا ببساطة لم أقتنع بأدلة الإلحاد واجد بعضها نظري لا يمكن التحقق من صحته لدرجة اليقين .علاقتي

مع الخالق مبنية على التأمل والتساؤل وليس على أساس الثواب والعقاب . هي صلة روحانية الغاية منها الفهم وليس الحصول على ثواب .

الغاء الاخر درجات ...فحين تتخذ موقف من صديق لانه اصبح بالنسبة لك (في الجانب الاخر) فهذه قطرة من بحر التعصب ... لكن حين تتجمع القطرات تتشكل صور مرعبة واحداث دراماتيكية . القطرة الواحدة التي شربتها تنتمي لنفس البحر الذي يشرب منه من يلغون الاخر من خلال قتله .

في ايام الطائفية ... جاء مجموعة من المخانيث الرعاع لمدرسة ابتدائية وادعوا انهم من اقارب احدى الطالبات . لكن حين حضرت تبين انها لا تعرفهم وتوسلت بالمديرة قائلة (ست عفية الله يخليچ ذولي ما اعرفهم لتخليهم ياخذوني) وهي تبكي ووجها مرتعب وتلوذ بمديرتها دون ان تحرك تلك المديرة ساكن . هؤلاء جمعوا كأس من قطرات التعصب المتراكمة وصاروا امساخ بشرية. لا اعلم ماذا حل بالمسكينة . لكني اعلم جيدا ان سبب اقتيادها هو مذهبها.

هذا الشخص الذي جمع الاموال بكل ماأوتي من قوة لدعم من يدعون مقاومة المحتل ثم دارت الدنيا ووقع ابنه الطيب النقي اسيرا بيد من يدعمهم اباه بشكل غير مباشر ظنا منهم انه من مذهب اخر . فطلب منهم الابن ان يتصلوا بوالده ليتأكدوا من مذهبه . وحين اتصلوا بابيه ليتأكدوا تظاهر الاب انه من المذهب الاخر (لانهم اوحوا له انهم من المذهب المخالف لمذهبه) وهو لا يدري انهم انفسهم من يدعمهم بكل قوة . فكان نتيجة ذلك ان يتعرض ابنه لتعذيب لا مثيل له ويموت شهيدا برصاصات غادرة انفق اباه اموالها !!! لاحقا حين عرف هؤلاء الرعاع ان من قتلوه ينتمي لمذهبهم واباه احد قواديهم بعثوا له رسالة اعتذار واعتبروا ابنه شهيد !!! ابنه شهيد فعلا ليس لانه من مذهبهم بل لانه قمة في الطيبة والخلق الرفيع وابعد ما يكون عن الطائفية.

كل حادثة من الحادثتين السابقتين حدثت في منطقة يختلف مذهبها عن الاخرى ...سكوت المجتمع على هؤلاء يعني موافقة صامتة على تجرع مزيج من قطرات الذل والتعصب .

انا يا صديقي اؤمن بإيمان المؤمنين كتلك العجوز الطيبة التي ساعدتها في عبور الشارع ودعت لي بالتوفيق ومتيقن من تحقق دعائها لي كل اليقين . أما من أصبح الدين لعقا على ألسنتهم فقد كفرت بهم .

دعاء العفويين يشعرني بالخشوع ويجعلني أقف أمام الله بخضوع لما يملكون من طاقة ايجابية هائلة وايمان مطلق بالرحمة الإلهية يجعلها تفيض من حولهم اينما ذهبوا . هم يجسدون الرحمة اينما حلوا وهم مصداق للرحمة التي يطلبونها من الله .

أجمل ما في الاديان انها تعطينا الامل في اللقاء بمن نحب مرة أخرى بعد الموت . وأتعس ما في الإلحاد هو أنه يجعل نهايتنا مأساوية (العدم) . إن إيماني بوجود خالق يعطيني الأمل في كل لحظة أعيشها ويعطيني الحافز لمزيد من التأمل . من العدالة ان يهنأ المعذبون والمستضعفون وقليلو الحظ في الدنيا بحياة أخرى أبدية ملؤها السعادة والراحة والارادة الحرة . ومن العدالة ان يعاقب الظالمين .

إن الغيبيات بالنسبة لي نظريات يستحيل التحقق منها لدرجة اليقين المطلق (نفيا وإثباتا) هي بالنسبة لي كالنظريات العلمية التي يستحيل التحقق من صحتها أو عدم صحتها كنظرية الكون الموازي . فهي نظرية محترمة وهناك من العلماء من يعتقد بصحتها لكن لا يستطيع أي شخص في زمننا الحالي السفر الى الكون الموازي للتاكد من وجوده لكننا في الوقت ذاته لا يمكننا أن نجزم بعدم وجوده . هكذا أرى الغيبيات (نظريات يستحيل التحقق من صحتها ويستحيل التحقق من عدم صحتها لكنها تبقى نظريات قائمة)

الاستعلاء الالحادي قد لا يتقبل كلامي وينظر له بكبرياء العقل . الإيماني قد لا يتقبل كلامي وينظر له بكبرياء الإيمان . أكاد أجزم لو أن القرآن هو من قال أن حجم الكون قبل الانفجار العظيم كان أصغر من حبة السمسم لكانت هذه الآية مثار سخرية الملحدين . العقلانية وهم في بعض الاحيان .

تخيل معي ... لو كنا الان في عصر ما قبل دارون وما قبل نظرية التطور . وظهر شخص يقول انه يتواصل مع الخالق ولديه منه رسالة مفادها ان الانسان والقرد ينحدران من سلف مشترك . ماذا سيكون رد فعل العقلانيين عليه ؟؟؟ سيطلبون منه دليل على انه مرسل من الخالق ودليل على كلامه وفي حال لم يقدم دليل لم ولن يؤخذ بكلامه . لنتخيل اننا موجودين بعد ظهور هذا الرجل بعقود ولم يولد دارون بعد ولا يوجد شيء اسمه نظرية التطور وقرأنا في كتاب معين عن هذا الذي يدعي انه رسول ويقول ان الانسان والقرد ينحدران من سلف مشترك ماذا سيكون رد فعلنا؟؟؟ سنقول انه مجنون . طيب الان في واقعنا هل كل من يعتقدون بصحة نظرية التطور الداروينية ويدافعون عنها بتعصب صدقوها بعد ان اطلعوا على كل ابعادها وكل ادلتها وقاموا بفحصها وتمحيصها فعلا ام انهم صدقوها لان العلم يؤكدها وهم يصدقون العلم والادلة العلمية ؟؟؟ اذا كان ما يجعلها معقولة هي الادلة هل كل من يدافعون عنها (خصوصا المتعصبين) احاطوا بادلتها فعلا ام لانها اصبحت ايقونة للعقلانية فقط ؟؟؟ الجواب عندهم طبعا.

الطريق الاكثر ضمان بالنسبة لي هو طريق الشك ...المؤمن قد يقول (إن هناك قصورا في فهمك وتسطحا في عقلك وتشويشا في ذهنك ووو...إلخ) لكن هذه الحقيقة التي تسكن في عقلي وقلبي وليس من حق الملحد أن يستخف بعقلي لاني لم أقتنع بادلته وليس من حق المؤمن أن يستخف بعقلي لأني أفكر بحرية وتجرد . علاقتي مع الخالق مبنية على اساس السؤال الدائم والشك المتواصل للإقتراب من الحقيقة وليس على أساس الحصول على ثواب

فالثواب بالنسبة لي هو تحصيل حاصل وليس هدفا . واحرص جدا على الثواب الفوري الذي احصل عليه وألمس آثاره في نفس اللحظة التي اقوم بها بعمل ايجابي كمساعدة كائن حي يحتاج عونا ... وهو ذلك الشعور الجميل الذي يتولد عند الانسان بعد ان يساعد إنسانا آخر.

يا صديقي انا أحاول جاهدا فهم نفسي فكثيرا ما أقف حائرا أمام ذاتي وكل التناقضات التي تحويها . يا صديقي أنا أحاول جاهدا الحصول على أجوبة. المؤسف أنك لن تتمكن من الاجابة على اسألتي وهذا شيء لا يعيبك . والمؤسف أيضا ان نظريات الإلحاد لم ولن تحذف علامات الإستفهام الكبيرة المتربعة في كياني . لذلك أحيلك يا صديقي الى طلاسم إيليا أبو ماضي التي يقول فيها :

جئت لا أعلم من اين ، ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

وسأبقى ماشيا ان شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري!

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود

هل انا حر طليق أم أسير في قيود

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود

أتمنى أنني أدري ولكن..

لست أدري!

قد سألت البحر يوما هل أنا يابحرمنكا؟

هل صحيح ماروٰاه بعضهم عني وعنكا؟

أم ترى مازعموا زوراً وبهتانا وإفكا؟

ضحكت أمواجه مني وقالت:

لست أدري!

أنت يابحر أسير أه ما أعظم أسرك

أنت مثلي أيها الجبار لا تملك أمرك

أشبهت حالك حالي وحكى عذري عذرك

فمتــى أنــجــو من الأسر وتنجو؟

لست أدري !

رب فكر لاح في لوحة نفسي وتجلى

خلته مني ولكن لم يقم حتى تولى

مثل طيف لاح في بئر قليلا واضمحلا

كيف وافى ولماذا فر مني ؟

لست أدري !

أني أشهد في نفسي صراعا وعراكا

وأرى ذاتي شيطانا وأحيانا ملاكا

هل أنا شخصان يأبى هذا مع هذاك اشتراكا

أم تراني واهنا فيما أراه ؟

لست أدري !

بينما قلبي يحكي في الضحى احدى الخمائل

فيه أزهار وأطيار تغني وجداول

أقبل العصر فأمسى موحشا كالفقر قاحل

كيف صار القلب روضا ثم قفرا ؟

لست أدري !

كل يوم لي شأن، كل حين لي شعور

هل أنا اليوم أنا منذ ليال وشهور

أم أنا عند غروب الشمس غيري في البكور

كلما سألت نفسي جاوبتني:

لست أدري !

رب قبيح عند زيد هو حسنٌ عند بكر

فهما ضدان فيه وهو وهم عند عمرو

فمن الصادق فما يدعيه ، ليت شعري

ولمـــــاذا ليس للحسن قياس؟

لست أدري !

أنا لا أذكر شيئا من حياتي الماضيه

أنا لا أعرف شيئا من حياتي الأتيه

لي ذات غير اني لست أدري ماهيه

فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي ؟

لست أدري !

كل شيء نسبي يا صديقي وعيون الناس ليست عينك وعقولها ليست عقلك وقلوبها ليست قلبك وأحكامها ليست أحكامك . الحقائق التي يجمع عليها بني البشر قليلة . حقيقة الحياة وكل ما فيها من خير وشر وحقيقة الموت وكل ما فيه من ألم وغموض . اذا كنت تعتقد أنك تملك الحقيقة الكاملة فتأكد انك تمتلكها فعلا لكن غيرك غير ملزم بها فهي حقيقتك أنت . تأكد يا صديقي ان الحقيقة التي أمتلكها والتي لا تروق لك تتربع في كياني وتشعرني بالاطمئنان . لكنها تخصني وحدي ولا أتمنى ان يكون غيري مثلي . فكل إنسان له خياراته الخاصة ولا أعطي الحق لنفسي ان اوصم من هو مختلف عني بالجاهل .

انا انا وأنت أنت وهو هو . لا يمكن لأي منا سلب الحقيقة التي يؤمن بها الاخر . يا صديقي لا تملك القدرة على التدخل بين الانسان وخالقه فهذه علاقة مكتومة متربعة في القلب والعقل وأجمل لحظات التواصل مع الله هي تلك اللحظات التي نحاول فيها فهم لغز الحياة ولغز الموت . الصدف البسيطة التي تحدث بجزء من الثانية لتغير لوحة من لوحات الحياة هي صورة من صور علاقتي مع الخالق . أحيلك يا صديقي الى الحلاج الصوفي حين يقول مناجيا ربه :

رَأَيتُ رَبّـي بِـعَينِ قَلبي فَـقُلتُ مَـن أَنتَ قالَ أَنتَ

فَلَيسَ لِـلأَينِ مِـنكَ أَيـنٌ وَلَـيسَ أَيـنٌ بِـحَيثُ أَنتَ

أَنـتَ الَّـذي حُزتَ كُلَّ أَينٍ بِـنَحوِ لا أَيـن ثـم أَنـتَ

فَـفي فَـنائي فَـنا فَـنائي وَفـي فَـنائي وُجِدتَ أَنتَ

في مَحو اِسمي وَرَسمِ جِسمي سَـأَلتُ عَـني فَـقُلتُ أَنتَ

أَنـتَ حَـياتي وَسِـرُّ قَلبي فَـحَيثُما كُـنتُ كُـنتَ أَنتَ(1)

حين طلب بعض العلماء مناظرته أجابهم : تريدون مناظرتي ؟ على ماذا أناظر؟ أنا أعرف انكم على حق وأنا على باطل.(2)

لعل الحلاج يقصد (تريدون مناظرتي وفق مبانيكم انتم ... انتم على حق "وفق مبانيكم" وانا على باطل "وفق مبانيكم" وليس لديكم قدرة على تصور وجود حقيقة اخرى تنطلق من مباني اخرى لذلك الموضوع محسوم انتم على حق وانا على باطل)

حين جيء بالحلاّج ليصلب ورأى الخشب والمسامير ضحك كثيرًا حتّى دمعت عيناه ثمّ التفت طالبًا سجادة . فصلّى ركعتين وتلا آيات من القرآن . قيل له وهو مصلوب: قل لا إله إلاّ الله. فقال: إنّ بيتًا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج.(3)

قال الحلاج مناجيا ربه في لحظات مقتله : هؤلاء عبادك اجتمعوا لقتلي فاغفر لهم ولو كشفت لهم ما كشفت لي مافعلوا ولو سترت عني ما سترت عنهم ما ابتليت. (4)

ومن جانب اخر يا صديقي أنا انتمي لمنطق النبي موسى الذي لم يستطع مع القتل غير المبرر صبرا . لكن الفرق الجوهري هو أن النبي موسى شاهد الوحي وكلمه وانا قرأت عنه وسمعت به فقط . من حق النبي موسى أن يستنكر قتل الخضر لغلام صغير السن دون سبب . وأنا أنتمي لهذا المنطق وتستنكر نفسي كل ألم عبثي وليس من حقك أن تنظر لي نظرة العالم للجاهل فرد فعلي تجاه الشر في هذا العالم هو نفس رد فعل النبي موسى . هو رد فعل طبيعي . لكن الفرق أن النبي موسى يتعامل مع الوحي بشكل مباشر وأنا سمعت به وقرأت عنه .

أنا اؤمن بنبوة الانبياء وأؤمن بحدوث معجزات (ظواهر خارقة للعادة) لكن متبنياتي ليست الحقيقة الوحيدة في هذا العالم . واؤمن ايضا بان الحقائق الاخرى حتى المناقضة لما اؤمن به تستحق ان اتأملها ... فنحن نعيش عمر واحد ومن المؤسف ان لا نمعن النظر في حقائق مختلفة .

يـا صـديقي أمـر طبيعـي أن ينقسـم النـاس الـى مصـدقين وغيـر مصـدقين بـدعوة الانبيـاء فالموضوع بكل بساطة أن هناك رجل بسيط من نفس مجتمعهم قال لهم ان هناك الـه وهناك وحي مرسل من هذا الالـه يحدثـه ويطلـب منـه أن يدعو النـاس الـى الايمـان بـه . بكل بسـاطة هناك من يصدق وهناك من لا يصدق . أعلم أنك ستقول أن هناك معجزات جاء بها الانبياء تثبت دعواهم . كلامك صحيح ومنطقي لكنـه يشمل من شـاهدوا المعجزات بـأعينهم امـا مـن وصلتهم روايات تتحدث عن حدوث معجزات فهم لم يروها بـأعينهم ومن حقهم تصديقها أو عدم تصديقها بل من المنطقي أن يختلف حول حدوثها البشر.

يا صديقي كثيرا ما تتحدث عن حلمك في ان يقوم رجال يمثلون الله فـي الأرض بحكم النـاس باسم السماء ويفرضـون الـدين علـى النـاس فرضـا . أنـا انـزه الله عـن البشـر وأنـت تريـد أن تنصب بشر يسلبون ارادة الناس باسم الله . هل رأيت الفرق الشاسع بيني وبينك؟؟؟

قـال لـي احـدهم مـرة فـي رسـالة : لمـاذا لا تتـأدب حين تـذكر اسم الله وتكتـب بعـده (سـبحانه وتعالى)؟ ولماذا لا تتأدب حين تذكر اسم الرسول محمد وتكتب بعده (صلى الله عليـه والـه)؟ ولماذا...الخ

ارى ان تبجيل الله وتعظيمه امر روحـاني يجـب ان يكتم لتكون العلاقـة مـع الخـالق اكثـر قـوة واكثـر صـدق مـن الاعتيـاد علـى روتـين كتـابي لفظـي قـد يفـرغ تلـك الحالـة الروحانيـة مـن محتواها.

فما يدريه اني قلت فـي نفسـي كلمـات التبجيل تلك حين كتبـت الاسماء المقدسـة ام لا ؟؟؟ لا يمكنـه ان يعلم فقد اكون قلتهـا فـي نفسـي حين كتبـت تلك الاسماء وقد لا اكـون...لا يمكنـه الجـزم...ان علاقتـي مـع الله فيمـا يتعلـق بهـالات القداسـة مـن الافضـل ان تكـتم وهـي تنـدرج ضمن العلاقـة الخاصـة بين المخلـوق والخـالق . هذه قنـاعتي والـزم بهـا نفسـي ولا احكـم علـى غيري ممن يختلفون معي في هذه الجزئية احكام جزمية .

مـن يجـب ان يطلـب منـه ان يتـأدب مـع الله هـو ذلـك الـذي يقول ان الله امـره ان يغـزو العـالم باسمه . ومن يجب ان يطلب منه ان يتأدب مع الرسـول محمد هو ذلك الذي يقول ان النبـي يقول اتيتكم بالذبح . ومن يجب ان يطلب منـه ان يتـأدب مـع الامـام علـي هـو ذلـك الـذي يقـول ان الامـام علـي احـرق المغـالين فيـه ... هـؤلاء مـن يجـب ان يتـأدبوا ... هـؤلاء مـن يجـب ان ينفعل منهم .

بالمناسبة هؤلاء مؤدبين جدا مع الله اذا كـان التـأدب هـو اسـتخدام هـالات القداسـة والتبجيـل اللفظي ...فحتى ابو بكر البغدادي يستخدم كلمات التبجيل والتعظيم ...التـأدب مـع الله هـو مـن خـلال تنزيهـه عـن اعطـاء اوامـر قتـل لكـل مـن لا يـؤمن بـه ولـيس مـن يكتـب (الله سـبحانه وتعالى) ثم يحتقر مخلوقاته .

ايمان الناس بوجود الله لا يقدم لي شيء وكفرهم به لا يضرني . الايمان والكفر الذي يؤثر على المجتمع هو الايمان بالشر والكفر بالخير .

رمح الله بوجه الكفار...اتعتقد ان هذا الدور (جندي الرب) حكر على من يصنفون الناس على اساس ايمانهم بالله او كفرهم به او التزامهم بالعبادات او عدم التزامهم ؟؟؟ بامكان اي انسان تقمص هذا الدور فهو سهل جدا ولا يحتاج لكثير من الجهد ... لماذا يجب ان نأخذ دور المدافع دائما؟؟؟ لما لا نداوها بالتي كانت هي الداء؟؟؟ كل انسان من الممكن ان يوضع في موضع المتهم ... الامر بسيط جدا ... حسنا ... هذا الذي نصب نفسه ماكنة فرز بشرية يُفصل حسب مزاجه هذا فاسق وذاك كافر وهذا ملحد وذاك مؤمن... ليثبت لنا ايمانه بالخير وكفره بالشر . ايمانه بالخير موضع شك ... ليثبت لنا ايمانه . هؤلاء الذين عينوا انفسهم مدققين في ايمان الناس هم من عليهم اثبات ايمانهم بالخير .

المؤسف ان البعض ينصاعون للغة هؤلاء الاستعلائية التي يجعلون بها الاخر في موضع دفاع ... هم من يجب ان يكونوا في موضع دفاع وليس الانسانيين . هم من يجب ان يثبتوا ايمانهم بقيم الخير .

خذ مني :

من يقطع وردة فهو كافر (بالجمال) من يؤذي حيوانا فهو كافر (بالضمير)من يؤذي زوجته فهو كافر (بقدسية الحياة الزوجية) من ينهض صباحا بوجه مكفهر ولا يقول لعائلته كلمة طيبة فهو كافر مرتد (عن السلوك السوي الطبيعي) من يستنكف ان يقول لزوجته انه يحبها ويقف بذل امام اخرى وهو يتوسل ان تنظر اليه فقط فهو كافر (بكل القيم الانسانية) ومرتد (عن عهد الزوجية المقدس) من يؤذي ابنه ويضربه فهو كافر محكوم بالنجاسة (العقلية) من يضرب حمارا على ظهره فهو كافر مرتد (عن كل قيم الرحمة والمروءة) من لا يكترث لمشاعر الاخرين ويؤذيهم فهو مرتد (عن الضمير الانساني) من يؤيد ثقافة الكراهية ورفض الاخر فهو كافر (بالتعايش السلمي وثقافة المحبة) من يستغل ظروف إحداهن ويضغط عليها ليمارس معها الجنس (سواء كان متدين يبحث عن غطاء شرعي او غير متدين) مقابل ان يساعدها وهو يعلم انها مضطرة لذلك فهو عاهر بعقله وقلبه وضميره ولا صلاة له (لا صلة له مع الضمير والوجدان) من يقتل جرذا من خلال اختيار اقسى الطرق في قتله وليس اسرعها واقلها ألما (كالذين يلقون عليه ماء ساخن بدل اختيار طرق اخرى أقل قسوة) فهو مرتد (عن الرحمة)من يعد انسانة بالزواج ويتلاعب بمشاعرها ثم يتركها فهو كافر(بالضمير) من يضحك على جراح الاخرين كافر(بالضمير) المدرس الذي يجرح مشاعر طالب او يضربه فهو كافر (بقيمة الانسان)الطالب الذي يسخر من مدرسه المهذب الطيب فهو كافر (بقيمة الانسان)الطبيب الذي يعامل مرضاه بتعالي ولا يكترث لمشاعرهم فلا شك في كفره وخروجه (عن كل قيم التواضع) الزوجة التي تعامل زوجها الطيب بسوء أدب فهي كافرة (بعهد الزواج المقدس) كل من يدعي حب الله وهو يحتقر مخلوقاته فهو

كافر مرتد عن كل قيم الخير في هذا العالم...نعم انهم كفار ولا شك في ذلك . يكفرون في الخير ويؤمنون بالشر.

إنهم مؤمنون ... نعم كل من يحرص على ان يوجه لزوجته كلاما طيبا مفعما بالحب فهو مؤمن (بالمحبة) حتى لو كان لا يصلي ... كل من يحرص على ان يشبع حاجات زوجته العاطفية فهو مؤمن (بقدسية الحياة الزوجية) حتى لو كان لا يعترف بوجود الله ... الذي يربي أبناءه دون عنف فهو مؤمن (بالضمير) حتى لو كان لا يعترف بوجود الله ... كل من يعطف على الحيوان ويشفق عليه هو مؤمن (بالعطف والحنو) حتى لو كان لا يصلي ولا يصوم ... كل من ينقذ حيوانا من الموت فهو مؤمن إيمانا شديدا (بقيمة الحياة) حتى لو كان يدين بدين آخر ... كل من يساعد الاخرين ويمد لهم يد العون دون تردد فهو مؤمن (بالتعاون والحنو) حتى لو كان تاركا لصلاته ... كل من يحترم الضعفاء ولا يجرح مشاعرهم ويحرص على رفع معاناتهم و تقويتهم فهو مؤمن (بالنبل) كل رب عمل يعامل موظفيه بأخوية وحب فهو مؤمن (بالروح الجماعية وبالتواضع) حتى لو كان لا يصوم...كل مدرس يعامل طلابه كأنهم اصدقائه ويمدهم بالحب فهو مؤمن (بقيمة الانسان)...الزوجة الغير محجبة (حتى لو كانت ملحدة) و التي تعامل زوجها الطيب بالطيبة نفسها ولا تسمعه كلاما جارحا فلا شك في إيمانها (بقدسية الحياة الزوجية) كل طبيب يعامل مرضاه بحنان فهو مؤمن (بالحنو والطيبة) حتى لو كان لا يؤمن بوجود الله ... نعم إنهم مؤمنون ... هؤلاء الذين يحترمون المخلوقات ولا يلتزمون بالعبادات او لا يؤمنون أصلا بوجود الله ... نعم انهم مؤمنون متقون وصلوا الى درجات عالية من الايمان بكل معاني الخير بالعالم...ردها ان استطعت

اذا كان المعيار في تقييم الناس هو الايمان بوجود الله فليس لذلك اثر على ارض الواقع فلا ايمان فلان بوجود الله سينفعني ولا كفره سيضرني...اذن ما هو المعيار الاكثر جدوى في تصنيف الناس على اساس ايمانهم وكفرهم ؟؟؟ انه الضمير...الطريق الامثل للوصول لله...الذين يلتزمون بالعبادات ويكفرون بالانسان لن يفيدنا التزامهم شيئا لكن كفرهم بمخلوقات الله سيضرنا (وهو الأهم) من يؤمنون بالضمير ويكفرون بالله سينفعنا ايمانهم بالضمير جدا و لن يضرنا كفرهم بالله ابدا...هذا هو المعيار الاكثر واقعية من معيار الايمان بوجود الله او الالتزام بالعبادات...الالتزام بالضمير سيعود علينا بالنفع اما الالتزام بالعبادات فلا يخصنا في شيء ويخص من التزم بها وحده ويفترض ان يدخله الجنة وحده .

ماذا تقول عن هذا الذي طرد اباه في الشارع ثم ذهب بعد ايام ليقضي ليلة القدر في دار العبادة حتى الصباح؟؟؟ وماذا عن ذاك الذي طرد امه بعد ان انتهت من اعداد وجبة الغداء له ولزوجته لان زوجته لا ترتاح لوجودها فرماها في الشارع وابت نفسها ان تذهب لاحد اقاربها وبقيت في الشارع يساعدها هذا ويعطف عليها ذاك؟؟؟ كلا النموذجين رأيتهما بنفسي ولم اسمع قصتهما من احد ولو كنت سمعتها قد لا اصدقها . هذان النموذجان ومن لف لفهم

كفار (بكل المقاييس) ولا يعنينا بشيء علاقتهم الشكلية مع الله . لكن يعنينا جدا علاقتهم مع الانسان .

هناك ثابت وهناك متغير ولدينا امران ضمير وتراث ديني...تستطيع ان تجعل التراث هو الثابت وتخضع الضمير له وتستطيع ان تجعل الضمير هو الثابت وتخضع التراث له...وتستطيع ان تصالح الضمير مع التراث وتكون منصفا وتربط الاحداث بازمانها وظروفها ولا تحكم على الاشياء وكأنها حدثت الان...لكن في نفس الوقت لا تسمح لما حدث في زمن غابر ان يعاد انتاجه واخراجه (هذا اذا ثبت حدوثه اصلا)

من يتبعون الضمير يستمتعون بفعل الخير. قد يعتقد الاخرون ان فلانا من الناس يعاني ويقاسي وهو يصرف من وقته وجهده وماله للتخفيف عن الفقراء او المحتاجين لكن الحقيقة انه يشعر كما يشعر الطفل الذي اخذته امه لمدينة الالعاب هو شعور بالسعادة والحماس تولده المشاعر الجميلة التي شاهدها بعيون من قدم لهم العون...الكل سعيد في هذه المعادلة وما من شقي...مساكين هؤلاء الذين يتهربون من فعل الخير خوفا على اموالهم او خوفا من ان يصبحوا مغفلين على يد احدهم او خوفا من عدم الحصول على عائد في الحياة الابدية...هؤلاء خسروا اجمل شعور بالعالم وهو ذلك الشعور الرائع الذي يتولد بعد التخفيف عن هموم الاخرين .

يقول زرادشت ... فعل الخير للاخرين ليس واجبا بل متعة .

تسائل احدهم مرة (لماذا كل طيب القلب قليل الحظ؟؟؟) لااملك الا ان اضم صوتي لصوته . فعلا! لماذا كل طيب القلب قليل الحظ؟ السياب بدر... احد هؤلاء الطيبون يقول شعرا:

و ما من عادتي نكران ماضي الذي كانا

و لكن كل ممن أحببت قبلك ما أحبوني

و لا عطفوا علي عشقت سبعا كن أحيانا

ترف شعورهن علي تحملني إلى الصين

ان النساء لا يغريهن الانسان المباشر الواضح . هذا يحبطهن حتى لو كان في قمة الصدق و الحب و الوسامة . يغريهن الغامض الذي يشعرهن ان خلفه عالم خفي . الطيبة والوضوح ليسا عامل جذب . ان تكون كتاب مفتوح امام المرأة فانت مصدر احباط . اما ان تشعرها انك تخفي خلفك اشياء تجهلها فانت الفارس المنشود . هكذا تسلب لبها . ما يجذبها بقسوة هو الغموض . ما يجذبها بشدة هو ذلك الذي يشعرها انه يخفي خلفه سر الكون العظيم . يجذبها الذي يشعرها باهتمامه باشارة بسيطة مع حفاظه على اتزانه وقوته امامها ثم يتقرب تدريجيا ويمسك زمام المبادرة . ما يحبطها هو ان تكشف اوراقك كلها دفعة واحدة وتصبح مباشر .

النساء يحببن لعبة الغموض والسير خلف المجهول . يحببن المغامرة وتحبطهن الرتابة . النساء يحترمن المؤدب صاحب الخلق الرفيع ويفضلنه كزوج لكن لو كان كتاب مفتوح فسيكون مصدر احباط . المراة تقول دائما انها تحب الوضوح والصراحة لكنها تحبط فور حصولها عليها . لا اقصد الصراحة التي تقابل الكذب بل الصراحة التي تقابل الغموض والفرق شاسع بين الاثنين . مع النساء كل طيب القلب قليل الحظ فحتى لو نالها بسبب طيبة قلبه ستبقى اجزاء من قلبها مشفرة لا قدرة له على فكها . الدنيا مؤنث لذلك ينطبق عليها قانون النساء . فكل طيب القلب في هذه الدنيا قليل الحظ . والطيب اذا اخطأ يدفع ثمنا باهضا على خطأه قد يستمر طوال عمره .

في يوما ما قبل 4 سنوات دعوت صديقنا المشترك لشرب الشاي فسألني ونحن نتجاذب اطراف الحديث (ما سر احتفائك بهذه الحياة رغم كل ما فيها من ألم ؟؟؟) فقلت له :

سأروي لك يا صديقي سر احتفائي بهذه الحياة رغم كل ما فيها من ألم وغموض وتوهان. قبل عقد من الزمن و كنت في ذلك الوقت طالبا جامعيا في المرحلة الثالثة .. ما كنت اعاني منه في اعماق نفسي هو ايجاد ذاتي ... وما كان يؤرقني حقا هو سؤال دائم التكرار في عقلي وتترجمه دقات قلبي وهو (هل ساجد يوما انسانة ترى روحي وتشعر بألمي وتسكن قلبي وتمدني بحب وحنان يبدأ ولا ينتهي الا بتوقف قلبي أو قلبها؟؟؟) ... كنت ابحث عن من تفك شفرة قلبي وعقلي بصمت .

تقربن الكثيرات مني . لكن بعد حين اكتشفت ان السبب الرئيسي لتقرب نسبة لا يستهان بها منهن هو فضول يثيره قلة كلامي وهدوئي . يا صديقي لا تعلم مقدار ألمي واحباطي ومعاناتي ... فقد فقدت الأمل في ايجاد ذاتي ... وفقدت الامل بأن أجد ملاذا امنا لكل أحزاني وآهاتي ... أنه ضياع في ركام من الألم لم أجد له أي معنى .

تعاطفت مع نفسي كثيرا وبكيت عليها وحزنت لاجلها ... قال لي احدهم مرة (لماذا انت حزين؟ يا أخي انطلق للحياة وتمتع بها ..ولو كنت محلك ويتوددن لي الصبايا كما يتوددن لك لما فارقت محيياي الضحكة ولما شعرت إلا بالسعادة)... مع ان ما يقوله يؤلمني إلا اني لم اكن ألومه لانه بكل اختصار لم يكن يرى الفراغ العاطفي الذي كان يمتلكني او انا امتلكه... ولم يكن يرى بكاء روحي وانينها وعزلتها عن كل شيء ... في ذلك الحين كنت أنا وحدي أنيس نفسي وخليلها ووحدي اواسي ذاتي وأشد من ازرها ... وانا من كنت أمسح على رأسي وأربت على كتفي . كان لساني حالي يقول ما قاله الشاعر جبار الغزي على لسان قحطان العطار (يكولون غني بفرح وانه الهموم غناي)

في يوما ما كنت عائدا من كافتريا الكلية الى قاعة الدرس برفقة صديقي القديم الذي زاملني منذ الدراسة المتوسطة . دخلنا انا وصاحبي العتيق الى قاعة الدرس ونحن مثقلين بمتاعب الحياة ولا تغيب عنا حقيقة ان بعد نهاية الدرس لدينا يوم عمل طويل ينتهي في الثانية عشر

ليلا . جلسنا في مكاننا الأزلي المفضل ونحن نفكر بسبب امتلاء القاعة مع ان طلاب شعبتنا أقل من ان تكتظ بهم. اكتشفنا ان السبب هو دمج شعبتان معا . مر الوقت وانا وصديقي شبه نائمين ننتظر بفارغ الصبر نهاية المحاضرة ... في تلك اللحظات وصلتني ورقة الحضور فسجلت اسمي واسم زميلي وإلتفت لأعطيها لمن يجلسون خلفي ... هذه اللحظة هي اللحظة التي توقف فيها الزمن ليتحدث ... نعم ان الزمن يتوقف أحيانا ليجيب على المونلوج الداخلي للانسان ... كانت تجلس خلفي بملابسها السوداء الأنيقة . وقعت عيني على عينيها الأخاذتين ... لا اعلم ما حدث لي فكل جزء مني يدق كما قلبي ... شعرت انها نظرت لروحي المتعبة ولامستها بأناملها الناعمة ... شعرت ان روحي عانقت روحها بقوة...شعرت انها هي من كنت أحلم بها ... ما هي الا لحظات واعطتني ورقة الحضور فقلت لها ... هل سجلتي اسمك واسم زميلاتك فأشارت بيديها الناعمتان أشارة استفهام وكأن عقلها قد توقف عن فهم مفردات اللغة الدارجة وروحها فقط هي من كانت تتكلم ... خرجنا من قاعة الدرس وانا لم أعد أنا ... ذلك اليوم كان يوما مختلفا عن كل ايام حياتي ... رجعت وانا مفعم بالحياة وممتليء بالامل ... في اليوم التالي وبينما نتبادل اطراف الحديث مرت امامنا تمشي بثقة عالية وألقت علينا التحية (السلام عليكم) فشعرت حينها ان السلام قد نزل علي فعلا من السماء...سلام حقيقي دافيء ممتليء بالحياة . رددت عليها السلام وبعد ان ذهبت نظر صديقي لي وهو يضحك نظرة أفهمها وقال لي (اسمع يبدو ان هذه البنت مؤدبة جدا وجادة ولم ولن اسمح لك ان تكسر قلبها) أجبته بوجه مبتسم (اطمأن) بدأت اتقرب منها بحجة اني احتاج لدفتر المحاضرة الفلانية اوالمحاضرة العلانية ... في كل يوم أتحدث اليها اشعر ان روحي تسقي عطشها وقلبي يفيض من الحب والحنان وعقلي يستنتج انها من يجب ان تشاركني سنوات عمري ... (قلت لصديقنا المشترك : بالمناسبة اشرب الشاي قبل ان يبرد) أجاب (قبل ان اشرب الشاي اعطني نهاية القصة فالفضول قتلني لاعرف النهاية)... أجبته : الشاي الذي ستشربه أعدته بنفسها فهي زوجتي منذ ثمان سنوات وفي كل يوم من هذه الثمان سنوات يزداد حبي لها ويزداد تالقها في حياتي ويزداد بريقها . هي ورحي وانا روحها ... منذ ان عرفتها الى اليوم وروحي تغني (زيديني عشقا زيديني يا احلى نوبات جنوني)

الشاعر مأمون النطاح (ابو عمر) خير من ترجم مشاعري في قصيدته النثرية القادمة من عالم الاحلام والتي يقول فيها :

تجسَّدتْ بكَ عاطفتي فأخبِرْني ما يكونُ الحُبُّ إنْ لم يكنْ جلوسَ وترٍ في ماءِ عينيك؟ أو صومًا مباركًا أقضيهِ في انتظاري لـصوتكَ المُهابِ أو في إطلالةٍ وقورةٍ من شُرفةِ الحنين تعتصرُ جسدي بعظمةِ الرغبةِ ... ذراعاك. أرأيتَ إذ جَنَّ الليل وأُفرِغَتِ الأرضُ من الضجيج كيف يُمشطُ صدري التوقُ ويلتفُ على أنفاسي الضيق؟ عمْرٌ مضى مني أكلَتني عليه الندامةُ حيث ضلّ بي عنك الطريق..حتى جاءت أيامي الماضياتُ تعاتِبُني و تساءلت..ما الحُبُّ إذنْ إنْ لم يكُنْ أنتَ محكِمًا على مِعْصَميّ القيودَ قارئًا حكمَ التأبيدِ

عليّ..قارئًا مراسيم افتتاني فيك كلما نضحت بالاشتياقِ ... شفتاك، أو كلَّما احتدَّت المطالبُ طمعًا فـجعلتَ تعقِدُ قلبي كما في الغضبِ الشهيِّ حاجبيك ...أنا ممتنٌ لـوحشيتي التي أتت بك من بعد منتصفِ الهروب و شاكرٌ للقدر إذ أنصفني في لحظةٍ أسلمتُ بها للوحدانية، وقدستُ أوقات الغروب فبحقي المبخوس وحقِّ أوجاعي وجمراتِ الهوى وبحقِ حكمك القابضِ على روحي وطولِ النوى إني أشهدُ أمام الله أنْ لا حبَّ يستولي عليَّ و يستشري في دمي سواك وأنَّ الفؤاد تزَاوَر عن كل وجوه خلق الله تخليدًا و تقديسًا لحروف اسمك وضياعاً أبدياً في هواك.(انتهى)

قال احدهم مرة وهو يتحدث بطريقة مجة وبأفق ضيق (كيف يثق احدهم ويتزوج طالبة جامعية؟) الجواب وبكل بساطة هو ان اكثر مكان تستطيع ان ترى فيه الفتاة على حقيقتها هو حين تكون بعيدة عن اهلها ... نعم ففي الجامعة تستطيع ان تفعل أي شيء دون ان يعلم احد ... لكن في الجامعة بإمكانك ان تكتشف هل هذه الفتاة تخون ثقة اهلها بها ام تصونها؟؟؟ وليس حين تكون حبيسة المنزل. ففي المنزل لا يمكنك ان تعلم ان كانت اهلا للثقة ام لا فهي لم تدخل في اختبار حقيقي تكون فيه بعيدة عن الرقيب ... الاختبار الحقيقي الذي يكشف معدنها هو حين تكون بعيدة عن الرقيب . واذا كانت بعيدة عن الرقيب وصانت الامانة فهذه هي من تنطبق عليها مفردة (اصيلة)

هل كل من يتصدر المشهد هو الاول فعلا ؟

حين اشاهد فلم قصته تبدو غريبة او غير مفهومة او مملة الى درجة تجعلني اقلب القناة وفي نفس الوقت اجد ان الفلم يحقق اعلى ايرادات في شباك التذاكر ويثير الجدل ويقلب الدنيا ولا يقعدها اقول في نفسي : لو كان مؤلف مغمور يتمنى الحصول على فرصة واحدة فقط لتحقيق احلامه هو من كتب قصة هذا الفلم هل كان منتجي هوليوود سيقبلون انتاجه؟؟؟واذا تحول الى فلم هل سيحصل على كل هذا الاهتمام؟؟؟ هناك عشرات الامثلة على افلام سخيفة حققت اهتمام كبير من النقاد ومن الجمهور . وهناك مئات الكتاب المبدعين يتمنون الحصول على فرصة واحدة ولم يجدوا من يهتم لامرهم . الحياة كما يقول بيل غيتس (غير عادلة...فعود نفسك عليها)

احد الاشخاص يعمل موظف في احدى الدوائر كان يتحدث بحرقه عن تدرجه بالوظيفة فقال انه تدرج في المناصب رويدا رويدا بمرور السنين ثم فجأة اعادوه الى المنصب الذي بدأ به الوظيفة دون سبب مقنع . يبدو ان التدرج الوظيفي يسير مع صاحبنا بنفس نظام عقارب الساعة يعود الى الواحدة بعد ان يعبر الثانية عشر . ليس فيه ثلاثة عشر . بعض الممثلات قانون حياتهن يسير مع عقارب الساعة ايضا لكن ليس في التدرج والتطور في العمل بل في المظهر الخارجي . فالكثير منهن منذ ان ابصرنا النور وجدناهن شابات والان بعد ان ظهر الشيب في رؤوسنا اصبحن مراهقات !

العالم...مركز دراسات(عفوي)

دراسة حديثة تثبت ارتباط الضغط العصبي والتوتر بأزدياد الشيب . هذه الدراسة تذكرني بعادل امام في مسرحية شاهد ما شافش حاجة حين قال (اصل انا عاوز اضيف) هذه الدراسة اثبتت ما تم اثباته بالتجربة البشرية المتراكمة . التجربة البشرية هي حقل دراسات (عفوي) واسع طويل الامد قد يسبق العلم احيانا...ابسط انسان في العالم يربط بين ازدياد الشيب والضغط النفسي. ان التجربة البشرية المتراكمة والخبرات التي اخذت اجيال وتناقلها الناس من لسان الى لسان عبر الازمان هي في واقعها دراسة عفوية طويلة الامد تعطي اجوبة للكثير من الاسئلة وقد ياتي العلم لاحقا ليثبت صحة تلك الاجوبة . الجدير بنا ان نتعامل مع هكذا استنتاجات استشفها الانسان من التجربة المتراكمة على محمل الجد . فنحن في واقعنا في (مختبر كبير عفوي) قد يصل الى الكثير من النتائج قبل (المختبر الممنهج)

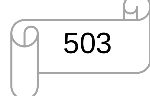
ربما لا تعلم يا صديقي ... كم اكره صوت الكناري ؟؟؟

كم هو جميل صوت الكناري وكم هو عذب لكن ماذا يقول ؟ وماذا يريد ؟ إنه يصرخ بصوت عالي يطلب شريكة حياته . انه يعاني من الوحدة . انه يبكي ويتألم من الوحشة . إنه كائن بائس يصرخ من شدة الألم . يصرخ ثم يصرخ ثم يصرخ (تعالي يا حبيبتي فقد طالت وحدتي و لم اعد أحتمل غربتي ... تعالي وأجلسي قربي وداعبيني وأشعريني بالحنان لأشعرك بالأمان) لكنه صراخ يشبه كابوسا لا ينتهي . صراخ وصراخ وما من جواب . كابوس أبدي كانت له بداية وليس له نهاية . لماذا ؟؟؟ لأن هناك كائنا يدعي الرقي اسمه الإنسان يتمتع بسماع صرخات الكناري ونداءاته اللانهائية . لان هناك كائنا يتبجح بتسمية المشاعر الجميلة باسمه ويسميها (المشاعر الانسانية) لكنه لا يعلم ماهية هذه المشاعر . لو كان الكناري يعلم أن سبب مكوثه وحيدا بائسا هو اعجاب الانسان بصرخاته الحزينة لسكت الى الابد . لكنه قانون الغاب (القوي يأكل الضعيف) . اعذرني يا صديقي ... تعسا للإنسان كم هو اناني وكم هو منحدر أخلاقيا من حيث يدري ومن حيث لا يدري . الإنحدار الاخلاقي يظهر حين يكون احدهم متفوقا عقليا على غيره ويتمكن من تحقيق كل رغباته ويدعي أن كل ما يفعله جيد ومبرر.

ليس للعصافير قدرة على كتابة تاريخهم وليس للعصافير قدرة على تدوين معاناتهم لكن هناك من البشر من لهم أرواح طيور بريئة نقية . هناك من البشر من يملك روحا طيبة طاهرة تأبى أن تقول (عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة) وتقول بصوت متفرد تجسده الاديبة غادة السمان:

لا تصدقوا أيها العشاق الصغار

الذين لم تتشوهوا بعد



لا تصدقوا أن عصفورا في اليد

خير من عشرة على الشجرة !

بملء حنجرة أعماقي أقول لكم :

عصفور على الشجرة

خير من عشرة في اليد

فالعصفور على الشجرة هو البداية

هو دعوة للركض على قوس قزح

وانطلاقة فوق فرس بريئة

إلى عوالم حقيقة الذات

والعصفور في اليد هو كلمة الخاتمة

هو قفل في باب الخيال والهواجس

وقالب معد سلفا لسجن كل ما هو نبيل وفريد فينا

اسمح لي يا صديقي ان احدثك عن اوباما وهتلر وعبور الزمن

أنا الان اكتب ... تلك اللحظة التي كتبت بها أول حرف من هذا السطر أصبحت الان في هذه اللحظة من الماضي حالها حال أي لحظة مر عليها الزمن قبل 1000عام او قبل 100عام . لا فرق كلها لحظات مضت ولا يمكن أن تعود ولا يمكن أن تتغير . كلها مجموعة من الثواني المتراكمة تمر دون توقف . الزمن ذلك الشيء العجيب الذي طالما تأملته وطالما أدهشني . كلما نظرت الى عقرب الثواني شعرت بشعور غريب . هو مزيج من الحزن والغرابة في آن واحد. يشعرني عقرب الثواني ان كل شيء خارج عن السيطرة وان هناك لغزا ما يقف خلف دقاته التي تحاكي بشكل عجيب نبضات القلب التي بتوقفها يتوقف الزمن .

في اللحظة التي سيتوقف فيها قلبي سيكون الزمن بالنسبة لي قد توقف . كأن الحياة وهم كبير ولغز عجيب كلما تعمقت في محاولة حله كلما زادت المتاهة اتساعا وتعقيدا . لم أكن قبل سنوات أهتم لبعد الزمن فكان بالنسبة لي يعني ببساطة مرور الوقت . حين تعمقت في تأمله شعرت أن الحياة تزداد غموضا وظلمة. يبدو أن الزمن هو مفتاح الحل للغز الحياة

ويشترك معها في انه كلما نظرت إليه ببساطة وسطحية فهمته وكلما نظرت إليه بعمق وقوة شعرت بمقدار هائل من السذاجة والضياع والتوهان .

المكان الذي أجلس فيه الان لا أعلم كيف كان قبل 100 عام (قد يكون بيتا من الطين أو بستان نخيل أو مستودع أسلحة للجيش العثماني أو بيت لأحد وجهاء بغداد لا أعلم) ولا أعلم كيف سيكون بعد 100 عام (مركز أبحاث متطور أو أرضا فارغة أو مرصدا فلكيا أو بيتا لأحد أحفادي لا أعلم) ولا أعلم من كان يجلس هنا ولا أعلم من سيجلس ولا أعلم كيف سيفكر . لكن ما أعلمه أن كل هذه المتغيرات يحدثها عدد هائل من البشر بمقدار هائل من الثواني المتراكمة .في لحظة ما شعرت أن الحياة عبارة عن عدد هائل من الناس تمر عليهم مجموعة هائلة من الثواني يكررون التجارب نفسها ويقعون في الأخطاء نفسها من دون توقف .

لا يمكن العودة بالزمن للماضي فهذا شيء لا يحدث الا في هوليوود كما حدث في مسلسل لوست حين عاد بهم الزمن الى حقبة السبعينيات . وعلى ذكر السبعينيات لو عدنا الى عام 1970 في أندونيسيا تحديدا وتحدثنا مع ذلك الطفل الأسمر البشرة باراك حسين أوباما ذي التسعة أعوام الذي ولد في حجر عائلة هجينة (أم أمريكية من أصل أوروبي وأب أمريكي من أصل كيني) والذي يقيم مع عائلته هناك . لو قلت له مثلا أريد ان اخذ معك صورة تذكارية لأنك ستكون أول رئيس أمريكي ذي بشرة سوداء . ماذا لو كنا في عام 1900 وقابلت الطفل أدولف وقدمت له قطعة حلوى وتوسلت إليه أن لا ييأس من أن يكون رساما بعد أول فشل وأن يستمر في الرسم على أمل أن لا يدخل مجال السياسة . الزمن يمر وتحدث متغيرات لا يصدقها أحد فلا أوباما في عام 1970 كان يحلم أن يكون رئيسا لأمريكا ولا هتلر في عام 1900 كان يعلم أنه سيتحول الى جلاد وسفاح لا مثيل له .

لا أجد فرقا كبيرا بين العودة الى عام 1970 أو البقاء في عام 2016 . النتيجة واحدة وثابتة هناك رئيس مستقبلي لا يزال طفلا صغيرا وسيدور عقرب الثواني مرات ومرات ليصبح هذا الطفل رئيسا . على سبيل المثال الرئيس الذي سيحكم العراق عام 2049 والذي سيرشح من قبل الكتلة النيابية الأكبر . أي بعد تسع دورات انتخابية لمجلس النواب هو الان طفل صغير . على فرض أنه من مواليد عام 2000 فهذا يعني أن عمره الان 16 عاما أي أنه الان في المتوسطة . لا زال يكتسب من الحياة ويتعلم ولا أعتقد أنه يحلم ان يصبح رئيسا أو رئيس وزراء . قد يحلم أن يصبح طبيبا أو مهندسا أو محاميا أو مغنيا أو لاعب كرة قدم أو أي شيء آخر إلا منصب رئيس الوزراء او رئيس الجمهورية فلم أسمع في حياتي حين كنت طفلا من أي صديق لي حين كنا نتحدث عن المستقبل انه يحلم أن يكون رئيسا . قد يكون السبب اننا جيل كان يعتقد انه لم ولن يرى رئيسا آخر غير صدام حسين لأننا ولدنا وهو رئيس وكبرنا وهو رئيس ولولا التدخل الامريكي لمتنا وهو رئيس .

لم نكن نفهم ولم نكن نستوعب أن الرئيس شخص عادي كان يعيش طفولة مثلنا . قد يكون حلم الرئاسة من ضمن خيارات أطفال الجيل الحالي على ضوء المتغيرات الحالية . لا أدري لكن الامر يستحق أن نسأل مجموعة من الاطفال عن طموحاتهم المستقبلية لم لا ؟ ولم لا يكون أحدهم يطمح الى أن يكون رئيسا وهو من سيصبح فعلا الرئيس العراقي في عام 2049 فعلا؟؟؟من يدري كل شيء وارد وممكن الحدوث حتى لو كان بنسبة 1 الى عشرة ملايين .

اذا كنت عراقي وتحلم ان يصبح ولدك رئيسا للعراق فهذا حلم بعيد المنال لكن الحلم الاسهل منه لو كنت عراقي هو ان تحلم ان يكون ولدك رئيسا للولايات المتحدة . نعم من الممكن ان تهاجر الى امريكا وتحصل على جنسيتها واذا رزقت هناك بولد قد يكون رئيسا للولايات المتحدة (كما اوباما) لما لا؟؟؟ فامريكا ليست بلد قومي (حسب مفهوم القومية السائد عندنا) بل بلد يسهل فيه الاندماج...تخيل ان الشعب الامريكي انتخب شخص ابوه مجنس !!! شيء مذهل حقا ويستحق التقدير...في العراق هناك اشخاص من اصول غير عراقية تمتد جذورهم فيه الى ثلاث قرون او اكثر ويطلق عليهم نسبة من الناس مفردة (عجم) بل هذه المفردة تطلق في معظم الاحيان لاسباب مذهبية لا صلة لها بالاصول . وفي دولة الكويت من يطلق عليهم (بدون) جذورهم ممتدة في هذا البلد ولا يشعرون بالانتماء لبلد اخر ولا زالوا (بدون جنسية) وبدون مواطنة كاملة . هذا هو الفرق الجوهري بين بلدان تبني دولة مؤسسات وبلدان تكتفي بالتفاخر بالاصول .

هناك لحظات في الحياة تغير الطريق الذي يسير عليه الانسان الى طريق لم يكن في الحسبان قد يكون طريقا أجمل من الطريق السابق وقد يكون أسوأ وبكل الأحوال تبقى تلك اللحظة التي اتخذ فيها هذا القرار المصيري هي الفيصل . قد تكون اللحظة التي خير بها بين أن يدرس الهندسة او يدخل كلية القوة الجوية . قد يكون اختياره للقوة الجوية يحوله الى محمد حسني مبارك الطيار البطل الذي قصف اسرائيل ويمتد طموحه بعدها ليصبح الرئيس محمد حسني مبارك وليتحول بعدها الى المخلوع مبارك الذي يحاكم وهو ممدد على سدية . ماذا لو اختار في تلك اللحظة اختصاص الهندسة المدنية بدل الطيران الحربي ؟

قد تكون اللحظة التي يدخل فيها احدهم الى الشارع الخطأ هي اللحظة التي يلتقي بها بشريكة حياته المستقبلية ويتزوجها لاحقا و يعيشون حياة سعيدة وتكون له خير سند . ماذا لو لم يدخل في الطريق الخطأ تلك اللحظة ؟ لحظات كثيرة عابرة لكن ثقلها في الحياة كبير وقد تقلب كل الموازين . صدف تغير مسار حياة الانسان وتقلب واقعه .

صورة التقطها سائح اجنبي لطفل عراقي من اهوار العراق يبلغ من العمر عام ونصف تقريبا في سبعينيات القرن الماضي . من كان يتوقع ان هذا الجزء من الثانية الذي اخذت به الصورة سيوثق ويشاهده آلاف الناس في مواقع التواصل الاجتماعي بعد اكثر من 40 سنة؟ حين شاهدت الصورة تسائلت في نفسي (هذا الطفل تجاوز الاربعين من العمر...اين هو

الان وما الذي حل به؟) هل هو حي ام ميت ؟ هل اكمل دراسته ام لا؟ ماذا يعمل ؟ هل تزوج ام لا ؟ اين اخذته مسارات الحياة ؟

كان (صالح) في الستين من عمره . ذو مظهر بسيط وملابس رثة وكان يميزه امران الاول (قصر قامته) والثاني (شاربه الكثيف) كان يحب الشعر الفصيح جدا وقرأ لي مرة ابيات من الشعر نظمها بنفسه تحاكي قصيدة المتنبي التي وجهها لسيف الدولة لكنها كانت تتحدث عن واقعه الشخصي ومعاناته . المؤسف اني (بطل العالم في النسيان) لذلك لا اتذكر شيء من القصيدة الا مشاعر الحزن التي كانت طاغية على معانيها . لا يوجد من يصدق ان هذا الرجل يكتب شعرا فصيحا . حتى انه لجأ مرة في بواكير شبابه (كما اخبرني) الى احد خبراء الشعر ليحاول تعلم بعض القواعد فقرأ له بعض الابيات التي كتبها فأجابه (انت لا تحتاج ان تتعلم شيء انت شاعر بالفطرة) قضى صالح اخر سنين حياته في دار عبادة ومات فقيرا ليس له عائلة ولم يرافقه في المشفى الا شقيقته المريضة وصديقه المخلص اللدود كريم (قاريء القران صاحب الصوت الشجي) ونفر قليل حضروا على استحياء. واقول (صديقه اللدود) لانهما حين كانا يتخاصمان كان يضع احدهم للاخر (شعر هجاء) في ورقة قرب فراشه وهو نائم فيجيبه الاخر صباحا على ظهر الورقة .

المفارقة ان مجلس عزائه اقيم في نفس المكان الذي كان يعيش فيه والمضحك المبكي ان العدد الغفير من الناس الذين حضروا عزائه كان بأمس الحاجة لحضورهم في نفس المكان حين كان حيا!!! السؤال الذي يطرح نفسه لو ان صالح هذا وجد في ايام شبابه الاولى من يؤمن بموهبته ويأخذ بيده نحو التألق والانطلاق هل كان سيموت ولا يعرف الناس عن شعره شيئا ؟؟؟ صدفة صغيرة تجمعك باحدهم قد تغير مسار حياتك بالكامل .

تبقى الحياة لغز وتغيرات الزمن لغز والطريق الذي نسلكه يتغير رغما عنا ولوحة الحياة التي نعتقد اننا نرسمها هي في الواقع ترسمنا أحيانا . مهما كنا أصحاب إرادة ومهما كان تخطيطنا محكما لا بد أن تأتي لحظة تلعب دورا كبيرا في تحديد مسار الواقع الى مسار اخر يمثل كابوسا مرة ويمثل حلما تحقق مرة اخرى . هناك لحظات قد نعتبرها عابرة لكنها مصيرية .

مع الاسف الحياة ليست لعبة بلي ستيشن يمكننا اعادتها من البداية إذا فشلنا في تخطي مرحلة أو اذا أخطأنا في قرار متسرع أخذ منا جزءا من الثانية . كل لحظة تمر لا تعود مرة أخرى وكل قرار نتخذه سنتحمل نتائجه مهما كانت ولا يمكن للزمن أن يعود أبدا . من المؤلم ان يتخذ الإنسان قرارا او يسلك سلوكا في جزء من الثانية ويؤدي هذا القرار او السلوك الى ايذائه أوايذاء اخرين ليقضي سنوات طويلة من حياته واقفا عند تلك اللحظة التي اتخذ فيها هذا القرار يجلد نفسه . اختار بعض الناس ان يكونوا عنواناً للرحمة واختار البعض الاخر ان يكونوا حشرات وبشرط حشرات ضارة وليست نافعة .

كم اشتاق يا صديقي لتلك البراءة التي كنا عليها يوما ما حين كنا صغار ... حين كنا نرى كل شيء جميل ... حين كنا نحسن الظن بكل شيء ... حين كنا نرى كل الناس طيبين يشبهون قلوبنا الطيبة .

قال احد الشعراء مرة :

كبرنا

وأكتشفنا أن الدواء ليس عصيراً

وأن البعبع رجل تركهُ أبناءهُ

ورموهُ في الشارع

كبرنا وأكتشفنا أن جدي لن يعود ثانية

كما قالت امي

كبرنا وأكتشفنا أن هنالك أمورٌ تخيفُ

أكثرُ من الظلام

كبرنا وما عدنا نبكي

لا على ريمي ولا على سالي

بل أصبحنا نبكي على قصصنا

كبرنا لدرجة شعورنا

بأن وراء ضحكة أمي الف دمعة

و وراء قوة جدتي الفُ مرض

كبرنا لنجد ان مشاكلنا

ما عادت تحل بقطعة حلوى

أو لعبه أو قبله

وأن والدينا لن يمسكا أيدينا دائما

لعبور الشارع أو منعطفات الحياه

كبرنا واكتشفنا أننا لم نكبر وحدنا فقط

بل كبروا معنا

وأوشكوا على الرحيل

أو رحلوا فعلاً

كبرنا جداً

وعرفنا ان قسوة أمي كانت حب

وغضبها حب وعقابها حب

كبرنا وكبروا أخوتي وكبرت مشاكلنا

كبرنا نعم كبرنا جدا

والطفولة أصبحت تزورنا للحظات

كبرنا وكبر الحنين لها!!

يا ليتني يا صديقي اعرف اسم الكائن الذهبي الذي تمكن بايحاء من قلبه المألوم من نسج تلك الكلمات الرائعة التي يقف المرء امامها عاجزا عن التعبير...لانها تستحضر الطفل الذي في داخلي . الذي تركته هناك في الزمن البعيد . تستحضره وتجعله يمسح على رأسي ليواسيني وامسح على رأسه وامده بالحنان ....لا ابالغ اذا قلت لك اني في كل مرة اقرء هذه الكلمات تدمع عيني.

يقول جورج برنارد شو : لا نتوقف عن اللعب لأننا كبرنا... إننا نكبر لأننا توقفنا عن اللعب.

كبرنا واصبحت لدينا اهداف كبيرة واحلام دافئة نسعى لتحقيقها ... الغريب والمثير للاهتمام ان تلك الاحلام لا تتحقق الا بعد ان ندفع ثمنا غاليا وننزف وقتا ثمينا وجهدا وفيرا يجعل تحققها لا قيمة له .

تقول الاديبة احلام مستغانمي : ان الاشياء التي نريدها تأتي متأخرة دائما .

اتدري ؟؟؟ افكر احيانا لو كان هناك كائنات فضائية فعلا وجاءت يوما لكوكبنا فماذا سيكون رأيها بالانسان ؟؟؟ اظن انهم سيختارون التواصل مع الاشجار او الخراف او الحمير او النمل(المسالم وليس الذي يغير على مستوطنات نمل اخرى) او الفراشات او اي كائن مسالم

لا يقتل ابناء جنسه لاسباب فكرية او توسعية ...على الاقل الكائنات المسالمة ليس لديها تاريخ مخجل ومخزي وليس لديهم فضائح كما البشر.

هؤلاء الذين يرفضون الاخر لاسباب دينية او مذهبية او عرقية (فضيحة على بني البشر) والبشر بسبب هؤلاء (فضيحة ووصمة عار على الكائنات الحية الاخرى) التي تستوطن الارض (امام المخلوقات الفضائية) لما فعل من فضائع وما سفك من دماء تحت عناوين تافهة مختلفة وعلى مر العصور . والاكثر صلافة في الانسان انه يسمي المشاعر الجميلة باسمه (مشاعر انسانية) ظنا منه انه يتفرد بها .

صحيح اني شغوف بعلم الفلك وبآخر اخبار وكالة ناسا خصوصا ما تتحدث عن اكتشاف كواكب اخرى تشبه الارض او امكانية وجود حياة في مكان اخر من الكون . لكن يثير استغرابي محاولة الانسان استيطان المريخ يوما ما وهو لم يستغل الارض التي يعيش عليها كما ينبغي بل امعن في تخريبها!!!

انه الموت يا صديقي ... انه الموت

حين افكر بالموت اشعر بألم وخوف وحيرة من مصيري بعد موتي ... خصوصا اني أخذ جميع الاحتمالات التي احتملها البشر يوما ما فيما يخص الموت بعين التأمل... كل هذه الحيرة تعد بسيطة حين افكر ان هناك احتمال ان يموت احبتي قبلي فهذا اكثر إيلاما واشد وجعا ... قبل فترة بسيطة توفي خالي ... انه بالنسبة لي خالي واخي الكبير وصديقي فهو اخذ كل هذه الادوار في حياتي وبوفاته المفاجأة شعرت بالمعنى الحقيقي لمفردة فاجعة ... كم هو مؤلم ان يتوفى من تحبهم قبلك ... المعضلة الاكبر هي رؤيتي لأمي وأختي الصغرى وباقي افراد عائلتي يتألمون لفراق خالي ولا املك ان اساعدهم بشيء الا المواساة ... امي هي الاخت الكبرى لخالي وكان لها دور في تربيته وخالي كان له دور في تربيتي ... وكان له دور كبير في حياة اختي الصغرى فهو لها خال وصديق واخ كبير ... كان انسانا رائعا بمعنى الكلمة وفي وفاته حتى من ناصبوه العداء بكوا عليه .

اكبر مأساة يعيشها الانسان اذا مات الشخص الذي يواسيه حين تلم به لائمة ... اعظم معاناة تمر بها اذا مات الانسان الذي اعتدت ان تجده قربك ليواسيك حين يتوفى احد محبيك الاجل...في جنازة خالي كنت ابحث عنه في وجوه المشيعين فأعتدت ان اماشيه . لكن في هذه الجنازة لم يكن موجود بين المشيعين لاماشيه بل كان محمولا على اكتافهم .

يقول محمود درويش :الموت لا يؤلم الاموات بل يؤلم الاحياء

تخيل كم من الوقت ستبقى غير مصدق ان فلانا من احبائك توفى ؟؟؟ وكم من الوقت ستبقى تعتصر الما ؟؟؟ على ارض الواقع لم ولن يبقى الا الذكرى الطيبة ... الموت لغز كبير وموتك انت اقل وجعا من موت احبائك قبلك .

يقول جبران خليل جبران :

ما زلت اؤمن ان الانسان لا يموت دفعة واحدة و

اننا نموت بطريقة الاجزاء كلما رحل صديق مات

جزء وكلما غادرنا حبيب مات جزء وكلما قتل

حلم من احلامنا مات جزء فيأتي الموت الاكبر

ليجد كل الاجزاء ميتة فيحملها ويرحل

انه الموت يا صديقي ... انه الموت ... انه اليقين الذي كل ما قبله غموض وكل ما بعده غموض .

الخوف الحقيقي من الموت هو الخوف من فقدان من نحبهم . من حسن حظي اني اعيش في مجتمع يسمح لك ان تحزن على من تفقدهم بل يشجعك على ان تحزن وهذا شيء ايجابي بالنسبة لي . لان التعبير عن الحزن شيء صحي جدا واذا كنت تعيش في مجتمع لا يسمح لك ان تحزن ويطلب منك بإلحاح ان تعود بسرعة البرق لحياتك الطبيعية... فستعود لكن في داخلك شعور غريب بان شيئا ما قد فاتك...من حسن حظي اني اعيش في مجتمع يواسي من يشعر بالحزن على فقدان احبته ولا يتركه وحده .

يقول ابيقور :

لماذا اخاف من الموت ؟

فطالما انا موجود فان الموت لا وجود

وعندما يكون الموت فانني لست موجودا

فلماذا اخاف من ذلك الذي لا وجود له عندما اكون موجودا ؟

يا ابيقور يا عزيزي في لحظات الموت انت موجود ... عند احتضارك انت موجود ... لحظة اللقاء مع الموت انت موجود ... لا اخاف من الموت لاني اخاف من لحظات ألم ... بل اخاف من مصير أحبتي بعدي ومن مصيري المجهول بعد موتي .

يقول الامام علي : انتم طرداء الموت ...ان اقمتم له اخذكم... وان فررتم منه ادرككم... وهو الزم لكم من ظلكم ... الموت معقود بنواصيكم.

في يوم احتضاري سيقول لسان حالي ما قاله نزار قباني (انثري شعرك حولي انثريه...و معا اخر ليل العمر نقضي...هكذا يصبح موتي مدهشا... عانقيني قبلي عيني وامضي... واذا حانت صلاة فأجمعي بعض دمعي...وتوضي طهر الدمع ذنوبي كلها...وسقى ارض المحبين وارضي...ووداعا يا احبائي وداعا...انا متعب والعين تحتاج لغمض)

تلك اللحظات التي نستذكر بها امواتنا ونشعر بوجودهم بيننا اتمنى ان تكون ارواحهم فعلا حاضرة...تتصل بنا بطريقة وبأخرى...في كل لحظة يتذكرني بها احبتي بعد موتي اتمنى ان يُسمح لروحي ان تحضر بينهم لتشاركهم تلك اللحظة واتمنى ان يشعروا بوجودي...ولسان حالي يقول ما قاله ستيفي وندر...لقد اتصلت لاقول اني احبك.

I Just Called To Say I Love You

انا وانت متيقنان من حقيقة الموت وحقيقة الحياة ... قد نختلف في باقي التفاصيل قليلا او كثير ... لنعش اذن ايام عمرنا المعدودة كلا منا يحترم خيارات الاخر وكلا منا يعامل الاخر بضمير متقد ... لنقابل كلانا الموت بضمير مرتاح ... وليكن بعدها ما يكن .

يا صديقي ... اذا اردت ان تناجي ارض الوطن التي سخرها الله لك واراد لك ان تقف فوقها (فعليك ان تخفض رأسك) لان الارض (تحتك) واذا اردت ان تناجي الله (فبديهيا سترفع رأسك) وتنظر الى السماء (فوقك) اما اذا اردت ان تحب الله وتحب الوطن بطريقة عملية مثمرة ترى نتائجها على ارض الواقع فلن ينفعك ان تخفض رأسك ولن يفيدك ان ترفع راسك بل عليك ان تنظر امامك بقامة معتدلة لانك سترى (المخلوق الذي خلقه الله ويشاركك في الوطن ... انه الانسان قرينك) ومده بالحب ومشاركته المعاناة كفيل بجعلك قمة الوطنية وقمة التدين في آن واحد. وسيرضى عنك الله وسيفتخر بك الوطن . بأمكانك ان ترفع رأسك مناجيا الله وبأمكانك ان تقبل ارض الوطن بكل حب وود وتواضع ... لكن عليك قبل ذلك ان تمد المألومين في هذا العالم بكل ما تستطيع .

يربطني بتلك الراهبة التي تذكرني بجدتي (انسانية ووطن) قبلت يدها بكل ود وحب وضمتني اليها كما تضم الام وليدها وسمعنا معا صوت المسيح (لله المجد في الاعالي وعلى الارض السلام) استقبلتني في الدير برفقة مجموعة من الراهبات استقبال حافل . قلت لها (امي) وقالت لي (انت ابننا) اسمعتني صوت المسيح وهو يطلب من الله ان يغفر لمن حرضوا عليه واسمعتها صوت الحسين وهو يبكي على من دقوا طبول الحرب ليحاربوه . ما يجمعه الوطن والانسانية لا يفرقه دين او مذهب او قومية او عرق .

حين تقول لي (انا اشفق عليك ولا اراك الا شخص ضائع تائه فكريا وعقائديا) لا يزعجني ذلك بل يفرحني ... نعم يفرحني انك تشفق علي فمشاعر الشفقة اجمل بكثير من مشاعر الكراهية والحقد...تراني مثير للشفقة اشرف بكثير من ان تكرهني بسبب اختلافي عنك...انا مرتاح لما انا فيه من ضياع وتوهان...لا اجد مشكلة في ذلك البتة بل العكس .

ضائع واعي لضياعي وابحث عن الطريق افضل بكثير من ضائع غير واعي يظن انه في الطريق الصحيح .

رسالتي لك هي الاولى و الاخيرة...لن اكتب لك رسالة اخرى...ساكمل حياتي صامتا...سأنشغل بترجمة كلماتي الى واقع فعلي ينعكس على من يعيشون قربي...رسالة واحدة...مطولة مكثفة...تكفي...لن يطرق ساعي البريد بابكم مرة اخرى ابدا...وحين نلتقي لن اناقشك في مضامين هذه الرسالة البتة...فقد اكتفيت من الكلام...لو ارسلت لك رسائل اخرى فلن تكون الا تكرارا لنفس المضمون لا طائل منه ولا ينتج عنها الا الملل... ليس لي الا رسالة واحدة يتيمة لن اثنيها ابدا.

يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي :

كلماتي، سادتي، كانت عناقيد الغضب

وأنا لستُ بسكرانَ، ولكني مُتعب

الشموع انطفأت

والليالي بردت

وأنا أحمل قلبي في حقيبة

مثل طفل ميتٍ، أغرق بالدمع صليبه

عبر آلاف الخيانات وآلاف الأكاذيب الحقيرة

حين اشعر بالحيرة ألجأ لصديقين...احدهما كاتب متحمس (من نفس جيلي) يعطي لقلمي العنان ليثور على كل مغالطات هذا العالم . والاخر استاذ جامعي حكيم (بعمر والدي) يمثل بالنسبة لي صوت العقل وهو من يروض(هيجان قلمي وفقدانه لصوابه)

يا صديقي انا انسان مليء بالاخطاء و لك كل الحق حين تقول لي مزدريا(من انت وماذا تظن نفسك ؟؟ كاتب ؟؟ مؤلف ؟؟ صحفي؟؟ باحث؟؟)...لست اي شيء مما سبق...لست الا انسان متسائل يعبر عن نفسه بالكتابة...لست الا مزحة اطلقها القدر...او مقلب اوقعك به القدر...من يدري؟؟؟

انتهت الرسالة يا صديقي...و لك مني خالص حبي

كتبت في بغداد عام :

6766 عراقي - آشوري كلداني بابلي سومري

2016 ميلادي

1437 هجري

التوقيع

ESSURU NAPARSUDU ULTU INA - QUPPU

إسيورو ناپارسودو اولتو اينا- كيوپيو

المصادر

المقدمة

1- منشور في صفحة (القادر من يعلم انه قادر) للكاتب محمد عبد القادر الفار في موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك

الفصل الثاني – حقيقة الله

1- أيها العقل من رآك - عبد الله القصيمي - صفحة 29

2- العقل الإيماني – حسن إبراهيم أحمد – صفحة 75

3- البداية والنهاية – أبن كثير - الجزء التاسع - موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي – نسخة ألكترونية

4- أنظر-ي:

- التعذيب باسم المقدس – حسنين السراج – روافد للنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية

- فتح العرب المسلمين لبلاد الاندلس – احوال اهل الاندلس السياسية والاجتماعية – لمحة جغرافية - دكتور خليل ابراهيم علي الزكروط – مجلة الدراسات التاريخية والحضارية – المجلد الرابع – العدد 14 – تشرين الاول 2012 م – نسخة الكترونية

5- منشور في الصفحة الرسمية للباحث السعودي حسن فرحان المالكي على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك – 2012/8/14

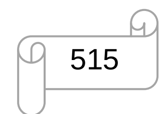
6- محطات في التاريخ والتراث – هادي العلوي – صفحة 228 – دار الطليعة الجديدة

7- الموريسكيون...مأساة شعب تعرض للتعذيب والطرد بعد سقوط الاندلس – سي ان ان العربية – 2015/6/20

8- الدين واحتكار الحقيقة - واثق غازي —– صفحة 51

9- التخلف الإجتماعي - مصطفى حجازي - (صفحة 72 و73)

10- المصدر السابق - صفحة 39



11- ديوان الدكتور الوائلي – صفحة 61

12- العقل الايماني – حسن ابراهيم احمد – صفحة 141

13- عندما اجتاز جلال الدين الرومي مدن الحب السبعة – شيرين صبحي – موقع نقطة

14- رواية دِميان – هيرمان هيسه – صفحة 103 – ترجمة ممدوح عدوان

15- باروخ سبينوزا – علم الاخلاق – صفحة 281

16- خوارق اللاشعور - علي الوردي - صفحة 187

17- الدكتور هيثم عيسى (باحث في مجال البرمجيات قسم الهندسة البحرية /سوريا) – مقال منشور في صفحته في موقع الفيس بوك -

18- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: 353/3 – نقلا عن مقال بعنوان (الاخلاص مراتبه وسبل تحصيله) – السيد عبد الله شبر – موقع العتبة الحسينية المقدسة

19- امالي المرتضى – الجزء الاول – تأليف الشريف ابي القاسم علي بن الطاهر ابي احمد الحسين – صفحة 198 – نسخة الكترونية – شبكة الامامين الحسنين للتراث والفكر الاسلامي

20- معرفة النفس – مقالات فلسفية – السيد كمال الحيدري – الموقع الرسمي لمكتب السيد كمال الحيدري

21- المصدر السابق

22- مقطع فيديو في موقع يوتيوب للفيلسوف الهندي سادجورو بعنوان (ماذا يحدث بعد الموت؟)

23- رواية دِميان – هيرمان هيسه – صفحة 10 – ترجمة ممدوح عدوان

24- واثق غازي – الدين واحتكار الحقيقة – صفحة 42

25- نيتشة وفلسفة المعاناة – مجلة سطور – مجلة الكترونية

26- مقطع من فلم روكي - الجزء السادس والاخير – تأليف واخراج وتمثيل الفنان الامريكي سيلفستر ستالون

27- قديس الغابون - اياد حسن دايش – جريدة الحقيقة – 2014/3/24

28- العربية نت - نيبال الداعشية تقطع رؤوس ربع مليون حيوان بيومين

29- انظر-ي : اكلة لحوم البشر والاحكام المسبقة – حمدي الراشدي – موقع الذاكرة –علم الاجتماع.

30- الامام علي وحقوق الانسان – السيد ضياء الموسوي – مكتبة الروضة الحيدرية – موقع الكتروني

31- بحارالأنوار: ج37، ص148 - نقلا عن كتاب (السياسة والدولة) للسيد محمد الحسيني الشيرازي – الفصل الثاني - الحكم الإسلامي عهد الرسول (ص) ووصيه (ع) - نبذة من سيرة علي (ع) وحكومته الرشيدة وأقواله المأثورة – لم يشبع الامام (عليه السلام) قط – نسخة الكترونية – موقع الامام الشيرازي

32- قديس الغابون - اياد حسن دايش – جريدة الحقيقة – 2014/3/24

33- الصمت هو افضل تعبير عن الاحتقار ...جورج برنارد شو – الادب العالمي – فاطمة الفلاحي – الحوار المتمدن

34- انظر-ي : يوتوبيا المعري – مثنى كاظم صادق – موقع مركز كلكامش للدراسات والبحوث الكوردية

35- انظر-ي: سلسلة محاضرات للدكتور عدنان ابراهيم بعنوان نظرية التطور في موقع يوتيوب

36- هناك اله – انتوني فلو – نقلا عن كتاب (رحلة عقل -هكذا يقود العلم اشرس الملاحدة الى الايمان-) –د.عمرو شريف – تقديم د.احمد عكاشة - صفحة 83- الطبعة الرابعة 2011 – مكتبة الشروق الدولية

37- علم الاخلاق – باروخ سبينوزا – صفحة 77 وصفحة 78

38- اجمل ما قال جلال الدين الرومي – موقع حكم

39- العلم الحديث يؤكد استحالة مركزية الارض ويتخلص نهائيا من نظرية بطليموس – علم بريس

40- ضياء الشكرجي في حوار مفتوح – موقع الحوار المتمدن – الردود على القراء

41- المقال في المنهج – رينيه ديكارت – ترجمة – صفحة 112

42- الماتريكس من يحكم العالم – ديفيد ايك- ترجمة بشار عبد الله – موقع بيت الصياد

43- اينشتاين ضد الصدفة – فرانسوا دو كلوسيه – صفحة 363

44- عجائب عالم ميكانيكيا الكم- موقع ما وراء الطبية –اعداد كمال غزال

45- هل الموت موجود ... بعض النظريات الحديثة تقول لا- روبرت لانزا – صحيفة الهافنكتون بوست - ترجمة مازن فيصل البلداوي - الحوار المتمدن - 2012/5/17

46- علم الاخلاق – باروخ سبينوزا – صفحة – ترجمة جلال الدين سعيد – توزيع مركز دراسات الوحدة العربية -

47- الماتريكس من يحكم العالم – ديفيد ايك- ترجمة بشار عبد الله – موقع بيت الصياد

48- ليزلي هازلتون : المتطرفون في كل الديانات غارقون في الدماء - ترجمة لمحاضرة فيديوية للباحثة والكاتبة والمفكرة اللادرية (من اصل يهودي) والمهتمة ببحث التاريخ الاسلامي ليزلي هازلتون – مدونة الدكتور سامي الامام (استاذ اللغة العبرية والديانة اليهودية في كلية اللغات والترجمة جامعة الازهر – ترجمة المختار بوخمسين

49- الحياة مجرد حلم وهذا هو الدليل – محمد عبد القادر الفار – 20/سبتمبر /2012 - awaredep.wordpress.com

50- الانسان من الغيبية الى العقلانية – محمود كرم – موقع الناقد

51- نهج البلاغة – خطبة 68 – في ذم اصحابه – صفحة 130 – نسخة الكترونية – موقع مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الاشرف

52- الكتاب المقدس – العهد الجديد – انجيل متى – الاصحاح السابع – نسخة الكترونية - كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت – الإسكندرية – مصر

53- نهج البلاغة – باب المختار من حكم امير المؤمنين عليه السلام – صفحة 784 – نسخة الكترونية – مكتبة الروضة الحيدرية

الفصل الثالث - يتطور الفكر الديني...حين يكون العلم المثبت متنه والاخلاق المطلقة سنده المتصل

1- علم الاخلاق – باروخ سبينوزا – صفحة 349

2- نقد العقل العملي – ايمانويل كانت – ترجمة غانم هنا – صفحة 77 وصفحة 78 – المنظمة العربية للترجمة

3- مقال عن المنهج – رينيه ديكارت – ترجمة محمود محمد الخضيري –صفحة 114 – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

4- المصدر السابق – صفحة 119 وصفحة 120

5- مستدرك الوسائل، ج11، ص193- نقلا عن كتاب (خير الزاد في شهر الله) نسخة الكترونية - المحاضرة التاسعة – حسن الخلق – المركز الاسلامي للتبليغ – مكتبة المعارف الاسلامية – شبكة المعارف الاسلامية

6- علم الاخلاق – باروخ سبينوزا - صفحة 229

7 - المطالب العالية: 3|290 – الرازي – نقلا عن (مصادر الفقه الاسلامي ومنابعه – الشيخ جعفر السبحاني – صفحة 171 – نسخة الكترونية – كتابخانة مدرسة فقاهت – موقع فارسي

8- علم الاخلاق – باروخ سبينوزا – صفحة 292

9- الولادات الثلاث – الشيخ علي الكوراني – صفحة 31 وصفحة 32 – نسخة الكترونية – الموقع الرسمي للشيخ الكوراني

10- المصدر السابق – صفحة 387

11- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال – ابو الوليد بن رشد – 22 و24

12- المصدر السابق – صفحة 33 وصفحة 34

13- مصادر الفقه الاسلامي ومنابعه – المجلد الاول – صفحة 18 – الشيخ جعفر السبحاني - نسخة الكترونية – كتابخانة مدرسة فقاهت – موقع فارسي

14- انظر-ي: تاريخ التعذيب – براين اينز – صفحة 41

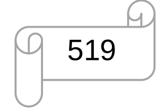
15- انظر-ي: أضطهاد المسيحية وتطورها – شبكة المعرفة الريفية – موقع ألكتروني

انظر-ي: تاريخ المسيحية – موقع مجتمعي – موقع ألكتروني

16- انظر-ي: قسطنطين الاول – موسوعة المعرفة – موقع الكتروني

انظر-ي: تاريخ المسيحية – موقع مجتمعي – موقع ألكتروني

17- الجزء الاول من سلسلة الرد على حروب العهد القديم – الدكتور غالي المعروف باسم (bible Holy) في برنامج البالتوك للحوارات الصوتية – الموقع الرسمي للدكتور غالي



18- المصدر السابق

19- الكتاب المقدس – سفر التثنية – الاصحاح السابع عشر – صفحة 306 وصفحة 307 – دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط

20- تفسير الكتاب المقدس – العهد القديم – القمص تادرس يعقوب - سفر التثنية – الاصحاح السابع عشر – حزم مع عابدي الاوثان والقضاة والملك - موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي

21- حروب العهد القديم – اوسم وصفي – موقع صوت

22- الكتاب المقدس – سفر يشوع – الاصحاح السادس – صفحة 344 -

23- الكتاب المقدس – سفر يشوع – الاصحاح السادس – صفحة 345

24- الكتاب المقدس – سفر يشوع – الاصحاح الثامن – صفحة 349 وصفحة 350

25- كتاب الحج ب 4 ف 2 : صحابة الفتوحات ليسوا من السابقين وليسوا من أهل اليمين - الحوار المتمدن – 29 /2013/3 – الحوار المتمدن – احمد صبحي منصور

26- داعش ويشوع – الحوار المتمن – اوسم وصفي حنا – 2015/2/4

27- المصدر السابق

28- المصدر السابق

29- المصدر السابق

30- رسالة في اللاهوت والسياسة – باروخ سبينوزا – صفحة 113 – ترجمة وتقديم د. حسن حنفي – مراجعة د. فؤاد زكريا – دار التنوير للطباعة والنشر 2005

31- المصدر السابق – نفس الصفحة

32- المصدر السابق – صفحة 114

33- ليزلي هازلتون : المتطرفون في كل الديانات غارقون في الدماء - ترجمة لمحاضرة فيديوية للباحثة والكاتبة والمفكرة اللادرية (من اصل يهودي) والمهتمة ببحث التاريخ الاسلامي ليزلي هازلتون – مدونة الدكتور سامي الامام (استاذ اللغة العبرية والديانة اليهودية في كلية اللغات والترجمة جامعة الازهر – ترجمة المختار بوخمسين

34- لا حد للردة في الاسلام - الشيخ محمد عبد الله نصر – الصفحة الرسمية في الفيس بوك

35- علم الاخلاق – باروخ سبينوزا – صفحة 294

36- محاضرة للسيد احمد القبانجي منشورة في الانترنت بعنوان (نقد سورة الرحمن بلاغيا)

37- التفسير المختصر – سورة الرحمن – الدكتور محمد راتب النابلسي – نسخة ألكترونية

38- من الإنجيل إلى الإسلام: مقابلة مع كريستوف لوكسنبرغ –الحوار المتمدن – ابراهيم جركس

39- المصدر السابق

40- التحرّي الفيلولوجي للمعجم القرآني: القراءة السريانيّة الآراميّة والقراءة اليونانيّة وجها لوجه-بسام الجمل – مؤمنون بلاحدود للدراسات والابحاث – ابريل 2014

41- المصدر السابق

42- مؤلفات حديثة ضد القران : مؤلفون وهميون – ملتقى اهل التفسير

43- معاني الحروف المتقطعة في القرآن الكريم بالآرامية - لؤي الشريف – يوتيوب

الفصل الرابع – الرسول محمد بين الاسلام الانساني والاسلام الدموي

1- السيرة النبوية برواية اهل البيت – الكوراني – 339 -340

2- المصدر السابق – صفحة 340

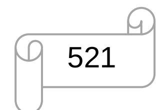
3- المصدر السابق – صفحة 341

4- المصدر السابق – 342

5- المصدر السابق – 342

6- ابن كثير - البداية والنهاية .الجزء الرابع - بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح الى بني جذيمة من كنانة – نسخة ألكترونية

7- مهزلة العقل البشري – علي الوردي – الصفحات (258 – 259 – 260)



الفصل الخامس - الاسلام الانساني بين الفكر الالحادي والاسلام الدموي

1- شروط النهضة – مالك بن نبي – صفحة 91 – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

2- الصراطات المستقيمة - عبد الكريم سروش –— صفحة 57

3- عندما يتحول الدين الى اديولوجيا – احمد القبانجي

4- حوار مع السيد اياد جمال الدين - جريدة المدى – حاورته فاطمة المحسن

5- انظر-ي: (الاصولية..هنا وهناك – عصام عبد الله – الحوار المتمدن) و(سان سيمون – موقع حكم)

6- ايها العقل من راك – عبد الله القصيمي – صفحة 5 – نسخة الكترونية – القُراء العرب

الفصل السادس – الفكر الحر واثره على الفكر الديني

1- الاسئلة العقائدية – الاسئلة والاجوبة – حرية الاعتقاد – 50896 – الموقع الرسمي للسيد كمال الحيدري

2- المصدر السابق

3- انظر-ي : المغالطات المنطقية – مدونة المنطق – مصدر الكتروني

4- صحيح البخاري- كتاب مناقب الأنصار , باب تزويج النبي (ص)عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها - 3681 – نسخة الكترونية

5- مكتب الشيخ حسن الصفار – موقع الكتروني يعنى بنتاج الشيخ الفكري والثقافي – دروس – في فقه الاسرة – سن الزواج

6- تقرير صحفي يستند على اراء اساتذة مختصين في الطب و علم النفس يثبت وجود اثار فادحة نفسيا وجسديا على زواج القاصرات – شبكة الاعلام العربية (محيط) – علماء نفس (لمحيط) : زواج القاصر عملية بيع وشراء للجسد – اماني محمد – 2014/3/22

7- شبهة زواج النبي -صلى الله عليه وسلم- من عائشة وهي صغيرة السن – محمد عبد العزيز الهواري – موقع طريق الاسلام

8- الشيخ العريفي يكشف عن ثلاث ولايات امريكية تسمح بزواج القاصرات – موقع صحيفة المرصد – 2014/4/7

9- تزويج الصغيرة التي دون البلوغ من كفء سائغ إجماعا – الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان – الموقع الرسمي للشيخ

10- تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١٩ - الصفحة ٣١٦ - نسخة الكترونية – المكتبة الشيعية

11- تفسير البحر المحيط – ابن حيان الاندلسي – الجزء الثامن - تفسير سورة الطلاق – نسخة الكترونية – المكتبة الاسلامية – موقع اسلام ويب

12- زواج القاصرات – الدكتور احمد صبحي منصور – موقع اهل القران – المقال والردود على المقال

13- المصدر السابق

14- المصدر السابق

15- الاستفتاءات – احكام الزواج – موقع مكتب اية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض

16- المصدر السابق

17- الفقه واصوله – الفقه – معاولات – الرق- موقع الاسلام سؤال وجواب – الاشراف العام الشيخ محمد صالح المنجد – 12562

18- المؤلفات – الفاتوى المنتخبة – صفحة 504 – موقع مكتب اية الله العظمى السيد كاظم الحائري

19- الاستفتاءات – ملك اليمين – موقع مكتب اية الله العظمى السيد على السيستاني

20- اكذوبة ملك اليمين – الصفحة الرسمية للشيخ محمد عبد الله نصر في موقع التواصل الاجماعي فيس بوك

21- المصدر السابق

22- الصراطات المستقيمة – الدكتور عبد الكريم سروش – ترجمة السيد احمد القبانجي – صفحة 9 وصفحة 10 – نسخة الكترونية

23- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال – ابو الوليد بن رشد – دراسة وتحقيق محمد عمارة – الطبعة الثانية – دار المعارف

24- صحيح مسلم – كتاب السلام – باب النهي عن ابتداء اهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم – رقم الحديث 2167 – نسخة الكترونية

25- لئالي الاخبار – الجزء الرابع – اقسام تارك الصلاة – صفحة 51- الشيخ محمد نبي التوسيركاني

26- المصدر السابق

27- الاداب الشرعية والمنح المرعية – محمد بن مفلح بن محمد المقدسي – الجزء الثاني – صفحة 203 – فصل في حسن الخلق – نسخة الكترونية – المكتبة الاسلامية – موقع اسلام ويب

28- بحار الانوار - 117/74- نسخة الكترونية – موقع مركز ال البيت العالمي للمعلومات

29- هداية العلم في تنظيم غرر الحكم – سيد حسين شيخ الاسلامى – صفحة 26 – نسخة الكترونية – المكتبة الاسلامية – شبكة رافد للتنمية الثقافية

30- الله والأنسان - مصطفى محمود - صفحة 131

31- رحلتي من الشك الى الأيمان - مصطفى محمود - صفحة 1و 2و 3

32- المصدر السابق - صفحة 13

33- حوار مع جريدة المصري اليوم – 2009/12/15

الفصل السابع - التجرد والتجديد...شيعة السنة وسنة الشيعة

1- قاسم حسين صالح – الحوار المتمدن – الحول الإدراكي – 2007/6/27

2- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
3- مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة – الشيخ حسن فرحان المالكي – صفحة 160
3- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
4- قراءة في كتب العقيدة المذهب الحنبلي نموذجا – الشيخ حسن فرحان المالكي - صفحة

46 – ملاحظة : الجزء الثاني من الكلام والذي يبدأ ب (- كنت اظن أن المداهمة غير صحيحة ... ألخ- في هوامش الصفحة نفسها)
5- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
6- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
7- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
8- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

9- التفريق بين السنة والشيعة - حسن فرحان المالكي - - زوايا الكتاب والمفكرين – منتديات صح – منتدى الشيخ حسن فرحان المالكي

10- هنيئا للشيعة – مقال للشيخ حسن فرحان المالكي – شبكة هجر الثقافية

11- حوار تلفازي مع الشيخ حسن المالكي في احدى القنوات الفضائية اجراه عبد الله المديفر منشور في اليوتيوب

12- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
13- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
14- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
15- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات

16- موقع بينات – الموقع الرسمي للسيد محمد حسين فضل الله – الاستفتاءات
17- قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا – الشيخ حسن فرحان المالكي – صفحة 14

18- موقع قطرة – الموقع الرسمي للشيخ ياسر الحبيب – الاجابات – مواقف

الفصل الثامن – كيف تمكن السلفيون من ابتلاع السنة ؟

1- هل ينتهي الرئيس السيسي الى مصير السادات؟ - سهيل احمد بهجت – الحوار المتمدن

2- السخرية من الرؤساء بين المسموح والممنوع – بي بي سي – بي بي سي اكسترا – 23/تشرين الاول / 2015 – الصفحة الرسمية لبي بي سي العربية

3- حوار فيديوي مع السيد اياد جمال الدين عن الشعائر الحسينية - موقع يوتيوب

4- المجتمع السعودي "رؤية نفسية!" - أ.د.طارق علي الحبيب - صحيفة الرياض (النسخة الالكترونية)

5- من يكتب طبيعة المجتمع السعودي – علي سعد الموسى – الوطن اون لاين

6- دراسة عن اثر البيئة العراقية في الشخصية – أ.د كامل جاسم المراياتي - جريدة الصباح

7- المجتمع السعودي "رؤية نفسية!" - أ.د.طارق علي الحبيب - صحيفة الرياض (النسخة الالكترونية)

8- وفاة طالبة جامعية تجدد الجدل حول منع الاختلاط في السعودية - سي ان ان – 2014/2/6

الفصل التاسع – حرية الفرد بين الجنرال اتاتورك والسيد الخميني

1- حوار مع السيد اياد جمال الدين - جريدة المدى – حاورته فاطمة المحسن

2- احمدي نجاد يطلب التحقيق في مقتل ندا اغا سلطاني – جريدة اليوم السابع – 29/ يونيو/ 2009

3- اردوغان يصف المتظاهرين بـ"حفنة من المخربين" ويصر على مشروع ميدان "تقسيم" – روسيا اليوم

4- تركيا.. مقتل متظاهر بـ"قنبلة دموع" – سكاي نيوز

الفصل الثاني عشر - لوكان النبي محمد من الصين

1- قراءة في آيات التكفير - موقع إيلاف – غالب حسن الشابندر – الجمعة 17 يونيو 2005

2- مهزلة العقل البشري – علي الوردي – صفحة 41

الفصل الثالث عشر - السكير المؤمن

1- حوار مع عبد الرزاق الجبران – صحيفة الوقت البحرينية – نقلا عن صفحة الناقد العربي

2- علي شريعتي – الانسان والاسلام – صفحة 308

3- رباعيات مولانا جلال الدين الرومي – تأويل محمد عيد ابراهيم – دار الاحمدي للنشر - صفحة 21

الفصل الخامس عشر - الناطق الرسمي باسم الله

1- علم الاخلاق – باروخ سبينوزا – صفحة 74

2- موقع هدي الاسلام – الفتاوى –الزنى - أدلة رجم الزاني المحصن – أ. أحمد عبد القادر محمد البهي

3- العقائد الأسلامية – شبكة رافد – أسئلة وردود – أحكام فقهية – سبب رجم الزاني المحصن والنزانية المحصنة ؟

4- لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي – صفحة 7

5- لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - صفحة 12

6- لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - صفحة 12

7- لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - صفحة 12 وصفحة 13

8 - لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - صفحة 13

9- لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - صفحة 13

10- لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - صفحة 45

11 - لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - صفحة 45

12- لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - صفحة 46

13- لا رجم في القران – الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي - صفحة 46

الفصل السادس عشر - نظرية الخداع بدافع التقوى...واخواتها

1- أنظر– ي : المعجم العلمي للمعتقدات الدينية - (165- 486)

2- البلاسيبو : العلاج بالوهم – ما وراء الطبيعة - اعداد ياسمين عبد الكريم

3- انظر-ي : الباريدوليا – ما وراء الطبيعة – اعداد كمال غزال

4- الحوار المتمدن – ضياء الشكرجي في حوار مفتوح ... إلخ – ضمن ردوده على أسئلة القراء - 2011/5/1

5- المصدر السابق

الفصل السابع عشر - غسل الادمغة الذاتي وتقطيع اوصال الذات البشرية

1- غسيل المخ – د. نبيل راغب – صفحة 33 – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

2- المصدر السابق – صفحة 34

3- الراديكالية – موسوعة المعرفة

4- سايكولوجيا الجماهير – غوستاف لوبون – صفحة 99- ترجمة وتقديم هاشم صالح – دار الساقي

5 - أنظر-ي :

التعذيب باسم المقدس – حسنين السراج – روافد للنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية

تاريخ التعذيب – براين اينز – من صفحة 10 الى صفحة 13

6- مارينا ابراموفيك وتجاربها الموندرامية – ايمان سليم – موقع دماغ – موقع معني بالصحة النفسية والعقلية والتربية بأشراف دكتورة رفيدة سعود

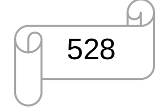
7- الأنسان المهدور – صفحة 129- الدكتور مصطفى حجازي

8- التخلف الأجتماعي – صفحة 191 – د.مصطفى حجازي

الفصل الثامن عشر – معيار الشجاعة بين اطوار بهجت ومنتظر الزيدي

1- الوردي يدافع عن نفسه - حميد المطبعي – صفحة 176

الفصل التاسع عشر - عبادة الوطن وتحقير المواطن



1- علي الوردي – خوارق اللاشعور – 215 – 216

2- مقولة شهيرة منسوبة لمارتن لوثر كنج

3- حسن العلوي - الشيعة والدولة القومية – صفحة 50-51

4- ملخص كتاب السر – عائشة زاهر – كاتبة سعودية – مدونة توارد

5- سايكولوجية الجماهير – غوستاف لوبون – صفحة 60

6- سايكولوجية الجماهير – غوستاف لوبون – صفحة 92

7- سليم مطر – الذات الجريحة – صفحة 18

8- ديماغوجية – قاموس المعاني

9- علي الوردي – خوارق اللاشعور- صفحة 109-110

10- الامير – ميكافيلي – 19صفحة

11- المصدر السابق – صفحة 114

12- المصدر السابق – صفحة 114

13- Brehm, S.; Brehm, J.W. (1981). Psychological reactance: a theory of freedom and control. New York: Academic Press.

نقلا عن (bommerang effect) الموسوعة الحرة الانكليزية

14- Hovland, C.I., Janis, I.L., & Kelley, H. H. Communication and persuasion. New Haven. Yale University Press, 1953

نقلا عن (bommerang effect) الموسوعة الحرة الانكليزية

15- Dr Simon Moss - Psychological reactance theory - www.psych-it.com -18/10/2008

16- لا تقرأ هذا المقال فلن تستفيد سوى ضياع وقتك! ماذا تعرف عن علم النفس العكسي؟ - جمال النشار – ساسة بوست

17- العنف المقدس - البرفيسور ابراهيم الحيدري – موقع اقلام حرة

18- انظر-ي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي – علي الوردي – صفحة 163

19- ثقافة العنف وتأثيرها على الشخصية العراقية – د.ابراهيم الحيدري

20- انظر-ي: حركة شباط - مايس 1941 الانقلابية والفرهود ضد اليهود - كاظم حبيب – الحوار المتمدن

21- انظر-ي: احداث الفرهود في منطقة باب الشيخ – د. نسيم قزاز (باحث يهودي عراقي في تاريخ يهود العراق) – نقلا عن (علاقة الكرد الفيليين بفرهود العراق – عصام اكرم الفيلي – مجلة الكاردينيا)

22- حركة شباط - مايس 1941 الانقلابية والفرهود ضد اليهود - كاظم حبيب – الحوار المتمدن

23- انظر-ي: المصدر السابق

24- المصدر السابق

25- ظروف اليهود العراقيين في أسرائيل – حسقيل قوجمان - الحوار المتمدن

26- مجلة الكاردينيا – فنجان قهوة مع الاستاذ البرفيسور (سامي) شموئيل موريه

27- ثقافة العنف وتأثيرها على الشخصية العراقية – دكتور ابراهيم الحيدري – مدارك – موقع الكتروني

28- مقطع فيديو من عرض (ستاند اب كوميدي) لجورج كارلين على موقع يوتيوب بعنوان (التفاخر بالوطن)

29- دراسة :الشعب العراقي اذكى الشعوب العربية - روسيا اليوم – 2013/11/27

30- منتدى كووورة عراقية - امير الفرطوسي

الفصل العشرون - الموت لامريكا... اللعنة على الغرب الكافر

1- سليم مطر - الذات الجريحة – صفحة 14

2- انظر-ي:

التعذيب باسم المقدس – حسنين السراج –روافد للنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية

تاريخ التعذيب – براين اينز – صفحة 95

3- هجوم جديد على مسجد في السويد – روسيا اليوم – 2014/12/29

4- رحلة الجهاد السهلة الى سوريا ... ربما هذه هي – جريدة الحياة – حازم الامين

5- مرض التماهي مع المضطهد – صحيفة الاسبوعية الالكترونية- 2011/11/27

6- انظر-ي: متلازمة ستوكهولم – صحيفة الشرق – د. جبران يحيى

انظر-ي: متلازمة ستوكهولم – موسوعة المعرفة

7- انظر-ي : مصطفى حجازي – التخلف الاجتماعي – صفحة 134

8- ارهابيونا في الخارج – سيد القمني – الحوار المتمدن

9- مقولة منسوبة للعالم المصري احمد زويل ومنتشرة كالنار في الهشيم لم اعثر لها على مصدر لكن في نفس الوقت لم اجده ينفي صحة نسبتها له

10- خوارق اللاشعور - علي الوردي – 213- 214

11- تاريخ صفقات تبادل الاسرى – موقع الاخبار

12- موقع شبكة الاعلام العراقي في الدنمارك – السبت – 14 أغسطس 2010 - هل تعلم ان جثمان مواطن عراقي كاد يحرق بسبب قنصلية جمهورية العراق في الدنمارك - بقلم الدكتور محمد الحسيني

13 - انظر -ي :

التعذيب باسم المقدس – حسنين السراج – روافد للنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية

أحمد سويلم العمري - التفرقة العنصرية - صفحة 85 وما بعدها

14- المصدر السابق

15- هل الدولة السلطوية ضرورة تاريخية - العفيف الأخضر - الحوار المتمدن

16- خوارق اللاشعور – علي الوردي – صفحة 74

17- مهزلة العقل البشري – علي الوردي – صفحة 77

18- بي بي سي العربي – روحاني: الموت لامريكا لا يعني الشعب

19- أنظر-ي: لمحات أجتماعية من تاريخ العراق الحديث – الجزء الأول – صفحة 58- الدكتور علي الوردي

20- انظر-ي: من تاريخ التعذيب في الاسلام– صفحة 20 وصفحة 21– هادي العلوي

21- عبد الغفار خان وجيش اللاعنف الاول - ادراكات للعلوم والمعارف والخبرات والدراسات الانسانية – نورس مجيد

22- المصدر السابق

23- المصدر السابق

24- المصدر السابق

الفصل الحادي والعشرون – المثلية الجنسية..الجنس الثالث..الايمو..ظواهر يساهم المجتمع في انتاجها ثم ينبذها

1- العلاقات الجنسية الشاذة – ج6 – أسباب الشذوذ – عصام البغدادي – الحوار المتمدن

2- حوار مع الباحث السيكلوجي الدكتور صلاح كرميان حول المثلية الجنسية - محمد شفيق – الحوار المتمدن

3- لماذا الرجال اكثر عرضة للشذوذ الجنسي من النساء؟ - زهراء حسين الموسوي – الشبكة العربية للصحة النفسية الاجتماعية(مجانين)

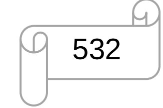
4- اضطراب الهوية الجنسية – د. احمد هارون الشريف (مستشار العلاج النفسي وعلاج الادمان – عضو الجمعية العالمية للصحة النفسية – موقع (ملتقى الدكتور احمد هارون..للعلاج النفسي والصحة النفسية)

5- المصدر السابق

6- اضطراب الهوية الجنسية – د. محمد شريف سالم (استشاري الطب النفسي – عضو الجمعية المصرية للطب النفسي) – موقع (طبيب نفساني)

7- الجنس الثالث – د. محمد المهدي (رئيس قسم الطب النفسي - جامعة الازهر) – موقع واحة النفس المطمئنة (مستشفى د. جمال ابو العزائم)

8- المصدر السابق



9- المصدر السابق

10- المصدر السابق

11- الشرق الاوسط - الجراح السعودي ياسر جمال : 100 حالة تنتظر دورها في تصحيح الجنس جراحيا.. وراغبو تغيير الجنس مرضى – 26 مارس /2011

12 - أيمو – الموسوعة الحرة

13- الايمو - تحليل سايكولوجي – د.قاسم حسين صالح – الحوار المتمدن

الفصل الثاني والعشرون – من يعذب الحيوانات في صغره قد يقتل الانسان في كبره

1- اليوم السابع – دراسة امريكية :سوء معاملة الحيوان له علاقة بالعنف تجاه البشر

2- موقع العلوم الحقيقة – علم النفس – الربط بين الوحشية تجاه الحيوانات والعنف تجاه البشر – ترجمة عمر سيروان ومصطفى شهباز

3- المصدر السابق

الفصل الثالث والعشرون – قبول الاخر بين الاستعلاء الايماني والاستعلاء الالحادي

1- خوارق اللاشعور - علي الوردي – (47-48)

2- خوارق اللاشعور - علي الوردي –47

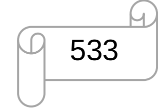
3- الانسان والاسلام – صفحة 142 – الدكتور علي شريعتي – كتاب مطبوع

4- حسن إبراهيم أحمد – العقل الإيماني – 138

5- قصة تجاربي مع الحقيقة – المهاتما غاندي –90 -91

الفصل الرابع والعشرون - صولجان الالحاد وسيف الايمان

1- اينشتاين عن الدين –نشر وترجمة عدنان عاكف – الحوار المتمدن – العدد 2614 - 2009/4/1



2- المصدر السابق

3- انظر –ي : وهم الاله – ريتشارد دوكنز – صفحة 17 وما بعدها

4- اينشتاين عن الدين –نشر وترجمة عدنان عاكف –الحوار المتمدن

5- وهم الاله – ريتشارد دوكنز – صفحة 21

6- وهم الاله – ريتشارد دوكنز – صفحة 15

7- انظر-ي : (اينشتاين ضد الصدفة – فرانسوا دو كلوسيه – الفصل العاشر) و (أينشتاين عن الدين –نشر وترجمة عدنان عاكف –الحوار المتمدن

8- وهم الاله – ريتشارد دوكنز – صفحة 20

9- اينشتاين ضد الصدفة – فرانسوا دو كلوسيه – صفحة 60

10- كروية الأرض – عبد الدائم الكحيل – موقع عبد الدائم الكحيل للاعجاز العلمي في القران والسنة

11- خوارق اللاشعور – علي الوردي – صفحة 48

12- الأرض ليست كروية في القران واليكم الادلة – جواد البشيتي – موقع الحوار المتمدن

13- أكذوبة الأعجاز العلمي – خالد منتصر – موقع عرب تايمز – 2004/12/17

14- حوار مع المفكر عبد الكريم سروش في مجلة زمزم الهولندية المتخصصة بقضايا العالم الاسلامي – اجرى الحوار ميشيل هوبينك - نقلا عن مدونة سوريا الوعد

15- انظر-ي :

- أسماعيل أدهم ورسالته لماذا أنا ملحد - موقع الأوان الالكتروني - كانون الاول سنة 2009

- أسماعيل أدهم الناقد العبقري الذي كتب كتاب لماذا أنا ملحد – وديع فلسطين – مجلة الضاد العدد 78 – كانون الثاني سنة 2008

16- الدين وأحتكار الحقيقة – واثق غازي – الصفحات 20-21-22

17- الألحاد – أندري كونت سبونفيل – ترجمة حسن أوزال – موقع الاوان الالكتروني – 2009/4/26

18- اسماعيل أدهم ورسالته لماذا أنا ملحد - موقع الأوان الالكتروني - كانون الاول سنة

2009
19- المصدر السابق

20- اسماعيل أدهم وأختلافه غير المحتمل مثالا عن اليات الحجز الرقابي – رجاء بن سلامة – موقع الحوار المتمدن – العدد 2455 – 2008/11/4

21- اسماعيل أدهم ورسالته لماذا أنا ملحد - موقع الأوان الالكتروني - كانون الاول سنة 2009
22- المصدر السابق

23- اسماعيل أدهم الناقد العبقري الذي كتب كتاب لماذا أنا ملحد – وديع فلسطين – مجلة الضاد العدد 78 – كانون الثاني سنة 2008

24- من الخبل اختصر – مدونة صافي ناز كاظم

25- أسماعيل أدهم الناقد العبقري الذي كتب كتاب لماذا أنا ملحد – وديع فلسطين – مجلة الضاد العدد 78 – كانون الثاني سنة 2008

26- المصدر السابق

27- المصدر السابق

28- المصدر السابق

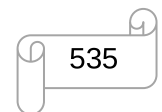
29- أسماعيل أدهم وأختلافه غير المحتمل مثالا عن اليات الحجز الرقابي – رجاء بن سلامة – موقع الحوار المتمدن – العدد 2455 – 2008/11/4
30- لماذا أنا ملحد؟ من يجرؤ، اليوم، على هذا السؤال؟ – وائل السواح – موقع الحوار المتمدن – العدد 3115 – 2010/9/4

31- الرجل القادم من الصحراء – أنسي الحاج – ملحق النهار – 1966/8/28- نقلا عن (القصيمي بين الاصولية والأنشقاق) – يورغن فازلا – ترجمة محمود كبيبو - صفحة 187

32 - دراسة عن القصيمي – صلاح الدين المنجد – الطبعة الثانية 1972 – نقلا عن (القصيمي بين الأصولية والانشقاق) - ترجمة محمود كبيبو - صفحة 179

33- أنظر - الفصل الحاسم بين الوهابيين وخالفيهم - عبد الله القصيمي - ما بعد صفحة 176

34- الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم - عبد الله القصيمي - المقدمة - صفحة 9



35- الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم - عبد الله القصيمي – صفحة 167

36- القصيمي بين الاصولية والانشقاق – يورغن فازلا – ترجمة محمود كبيبو- صفحة 56

37- أيها العقل من راك – عبد الله القصيمي – (صفحة 4- 29) – نسخة الكترونية

38- هذه هي الأغلال - عبد الله القصيمي - صفحة 22 – نسخة الكترونية

39- هذه هي الأغلال - عبد الله القصيمي - صفحة 353

40- القصيمي بين الاصولية والانشقاق – صفحة 62

41- يكذبون كي يروا الأله جميلا - عبد الله القصيمي - صفحة 68– نسخة الكترونية

42- أدب القصيمي قرف من العرب – كميل سعادة – ملحق النهار – 1974/4/16 – نقلا عن (القصيمي بين الأصولية والأنشقاق صفحة 190)

43- العالم ليس عقلا - عبد الله القصيمي – الصفحات (5 – 6 – 7- 8) – نسخة الكترونية

44- القصيمي بين الأصولية والأنشقاق – صفحة 158

45- أنظر القصيمي بين الاصولية والانشقاق – صفحة 212

46- أيها العقل من راك – عبد الله القصيمي – صفحة 11

47- أيها العقل من راك – عبد الله القصيمي – صفحة 18

48- أيها العقل من راك – عبد الله القصيمي – صفحة 14

49- أيها العقل من راك – عبد الله القصيمي – صفحة 2

50- أيها العقل من راك – عبد الله القصيمي – صفحة 10

51- أيها العقل من راك – عبد الله القصيمي – صفحة 12

52- القصيمي بين الأصولية والأنشقاق – صفحة 9

53- أرشح القصيمي للموت حرقا – يوسف الحوراني – ملحق النهار 1966/7/31 – نقلا عن (القصيمي بين الأصولية والانشقاق - صفحة 187)

54- أدب القصيمي قرف من العرب – كميل سعادة – ملحق النهار – 1974/4/16 – نقلا عن (القصيمي بين الأصولية والأنشقاق صفحة 190)

55- خوارق اللاشعور – علي الوردي – صفحة 128

56- العالم ليس عقلا - عبد الله القصيمي – صفحة 13- 14

57- أنظر-ي: القصيمي بين الاصولية والأنشقاق - الصفحات (121-122-123- 124)

58- أنظر – القصيمي بين الاصولية والأنشقاق – صفحة 11وصفحة 215

59- العالم ليس عقلا – عبد الله القصيمي – صفحة 7

60- تعرية الأجساد .. باسم الحرية وتحت شعار جسدي ملكي - فؤاده العراقية – الحوار المتمدن

61- نا مالالا ولست علياءالمهدي - مكارم ابراهيم – الحوار المتمدن

الفصل الخامس والعشرون - فلاسفة الاغريق واثرهم على الفلسفة والفكر الديني

1- انظر-ي :

- تاريخ الفلسفة اليونانية ولتر ستيس صفحة 30 الى 36 ومن 71 الى 80)

-الموسوعة العربية – المجلد السابع عشر – العلوم الانسانية – الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد – اللوغوس – موقع الموسوعة الرسمي)

- تاريخ الفلسفة يوسف كرم – 25 – 32 وصفحة 52

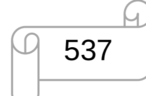
- النبض والطاقة في المدرسة اليونانية – الايونيين – ورشة السُهروردي

- الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي - فريدريك نيتشة -تعريب: د. سهيل القش تقديم : ميشال فوكو

2- انظر-ي:

-تاريخ الفلسفة اليونانية ولتر ستيس - 38 -40

-تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم – 33 -41



- موسوعة المعرفة – فيثاغورس

- موسوعة المعرفة – الفيثاغوريين

- موقع طبيعي – رياضيات اللانهائيات

3- انظر-ي:

- تاريخ الفلسفة اليونانية ولتر ستيس -45- 54

- تاريخ الفلسفة يوسف كرم – 43-50

4- انظر-ي:

- تاريخ الفلسفة اليونانية ولتر ستيس – 81-86

5- انظر-ي:

- تاريخ الفلسفة – يوسف كرم – 62- 65

- جورجياس - موسوعة المعرفة

6- مهزلة العقل البشري – علي الوردي – صفحة 149

7- مدارس الفلسفة اليونانية ومناهجها – جميل حمداوي – موسوعة دهشة

8- تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – 58 -59

9- مهزلة العقل البشري – علي الوردي – 151

10- انظر-ي:

تاريخ الفلسفة اليونانية - ولتر ستيس 113- 123

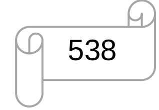
11- انظر-ي:

تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم - من صفحة 79 الى صفحة 133

12- مهزلة العقل البشري – علي الوردي - 153- 154

13- المصدر السابق – صفحة 155

14- مدخل إلى الفلسفة العامة - ماجدة طه - ص20- نسخة الكترونية



15- ايات العقل – افلاطون – الحب الافلاطوني

16- انظر-ي :

- ابراهيم حجاج – الجمال عند فلاسفة اليونانيين – الحوار المتمدن

- التباس المفاهيم واختلاطها بين الحضارات الحب الافلاطوني نموذجا – صلاح عبد الستار محمد الشهاوي - مجلة الرافد

17- نظرية المُثل الافلاطونية – غالب حسن الشابندر – جريدة المثقف الالكترونية

18- تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – صفحة 128 وصفحة 129 – مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة

19- انظر-ي:

- تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم - صفحة 137الى 146 - مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة

- موسوعة المعرفة - ارسطو

- الجزائر نيوز – مشاهير تحدوا الاعاقة / ديموستين خطيب اثينا العظيم الذي تغلب على تلعثمه)

-حسين الصدر – دروس في علم المنطق – صفحة 19 - نسخة الكترونية

- دراسة في المنطق 3 - محمد انعيسى – الحوار المتمدن

20- مهزلة العقل البشري – علي الوردي –صفحة 146

21- انظر-ي:

ميشال فوكو يقدم للاحياء من على فراش الموت الدرس الاخير – صحيفة العرب (تأسست في لندن 1977) – حسونة المصباحي - 2014

- قصة الحضارة – ويل ديورنت – المجلد الثاني – حياة اليونان – صفحة 2532

- موسوعة المعرفة - المدرسة الكلبية

- نقلا عن (قاريء الكتب – علم , فكر , ادب – صفحة في موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك)

22- المدرسة الكلبية : فلسفة وفلاسفة – موقع الفيلسوف الدكتور محمد جلوب الفرحان

23- المصدر السابق

24- انظر-ي: تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم - 250 -251- مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة

25- المصدر السابق - 254 – 255

26- انظر-ي:

- تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – 257- 265- مؤسسة الهنداوي للثقافة والتعليم

- الذاكرة – نظريات فلسفية - من فلسفة ابيقور –موقع الكتروني

27- انظر-ي:

- الموسوعة العربية – المجلد العاشر – العلوم الانسانية – الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد – الرواقية – الموقع الرسمي للموسوعة العربية

- موسوعة المعرفة – الرواقية

28- انظر-ي:

- المدرسة الشكية البايرونية- دكتور محمد جلوب الفرحان – مجلة اوراق فلسفية جديدة

- تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – 277الى285- مؤسسة الهنداوي للثقافة والتعليم

29- انظر-ي:

تاريخ الفلسفة – يوسف كرم – 287-288 – مؤسسة الهنداوي للثقافة والتعليم

- الموسوعة العربية – فيلون السكندري

30- الفيلسوف اليهودي فيلون الاسكندري – يوحنا بيداويد – الحوار المتمدن

31- انظر-ي:

- الفيلسوف الكبير افلوطين والافلاطونية الحديثة – يوحنا بيداويد – الحوار المتمدن

- تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم – 289- مؤسسة الهنداوي للثقافة والتعليم

32- انظر-ي:الموسوعة العربية – المجلد الرابع عشر –الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد – فورفوريوس

الفصل السادس والعشرون - الهي...سنبقى نحتقر مخلوقاتك ونتزلف اليك

1- انا مسلم واحتفل بعيد الحب – ازهر مهدي – الحوار المتمدن

الفصل السابع والعشرون - عنفوان الكلمة...يقتل الموت

1- مهزلة العقل البشري – علي الوردي – صفحة 297

2- باروخ سبينوزا – موسوعة المعرفة

3- المصدر السابق

الفصل التاسع والعشرون – اعطني الناي وغن

1- نيل ديغراسي تايسون: هل انا ملحد ام لاديني لا ادريا؟ - مقطع فيديو في موقع يوتيوب

2- المصدر السابق

الفصل الثلاثون - روحاني احاول الفهم ولا ابحث عن الثواب

1- هكذا تكلم الحلاج – صفحة 202 - قاسم محمد عباس

2- المصدر السابق – صفحة 164

3- صلب الحسين بن الحلاج – فارس ملكي – موقع كفن المسيح

4- 23 اذار يوم محاكمة الحلاج - طارق حرب – موقع البينة